وزارة المعارف العمومية

المنتخب
من
أدب العرب

جمعه وشرحه

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الثانى

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

القاهرة

طبع بالمطبعة الأميرية ببولاق

١٩٣٦

وزارة المعـارف العمومية

المنتخب
من
أدب العرب

جمعه وشرحه:

طه حسين أحمد الاسكندرى أحمد أمين على الجارم

عبد العزيز البشرى أحمد ضيف

الجزء الثانى

للسنة الرابعة والخامسة الثانويتين

القاهـرة
طبع بالمطبعـة الأميرية ببولاق
١٩٣٦

فهرس الكتاب

العصر الجاهلى

الشعر

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

الشعر

النثر في ذلك العصر

العصر العباسى الأول

الشعر

النثر الفنى

النثر العلمى

الأدب فى مصر والشام

الشعر

النثر الفنى

النثر العلمى

الأندلس

الشعر

النثر الفني

النثر العلمي

المغرب وممـالك البربر

الشـــعر

النثر الفني

النثر العلمى

عصر المماليك العثمانيين

الشعر

النثر الفني

النثر العلمي

العصر الحديث

الشعر

النثر الفنى

النثر العلمى

العصر الجاهلى

(أ) الشعـــر

(١) لامرئ القيس من معلقته : (١)

قِفَا نَبْكِ من ذِكْرَى حبيبٍ ومنزلِ ... بِسِقْطِ اللِّوَى بين الدَّخولِ فحَوْمَلِ (٢)

* * *

وقدْ أَغتدِى ، والطيرُ فى وُكُنَاتِهـا ... بِمُنْجَرِدٍ قَيْـدِ الأَوابِدِ هَيْكَلِ (٣)

مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًـا ... كجُلْمودِ صخرٍ حَطَّه السيلُ من عَلِ (٤)

(١) هو امرؤ القيس بن حجر الكندى أشهر شعراء الجاهليـة ، وأحد الأربعـة المقدّمين على غيرهم من شعرائها . وكان يعيش قبل الإسلام بنحو ثمانين سنة . وله ديوان شعر مشروح مطبوع ، منه هذه القصيدة اللامية إحدى القصائد العشر الشهيرة بالمعلقات .

(٢) قفا : فعل أمر للاثنين ، يريد بهما صاحبيه على عادة الشعراء فى مخاطبة الاثنين ، ولو كان المراد واحدا ؛ لأن أقل الرفقة فى السفر ثلاثة . وسقط اللوى والدخول وحومل مواضع بنجد بينها سقط اللوى منزل محبوبته — يقول (عند ما مر بالمنزل الذى كانت حبيبته نازلة به قديما) : يا صاحبىَّ قفا معى هنا وأسـعدانى بالبكاء ؛ لتذكرى العيش الذى قضيته مع حبيب عزيز على كان ينزل فى هـذا المكان الذى بين الدخول وحومل الخ .

(٣) أغتدى : أبكر وأذهب غدوة ، أى قبـل طلوع الشمس . والوكنات : جمع وكنة وهى الموضع الذى يبيض فيه الطائر أو يبيت فيه . والمنجرد : الأجرد الشعْر أى القصيره ، وذلك من محاسن الخيـل . والأوابد : جمع آبد وهو الوحش النافر ، والهيكل : الضخم (المعنى) يقول : وقد أخرج مبكرا قبل أن تنهض الطير من أوكارها راكبا فرسا أجرد ضخما كأنه فى سرعته قيد للوحوش لأنه يحاذيها فى الجرى و يكون بجانبها ؛ حتى كأنهـا واقفة مقيدة ، فيسهل على راكبه صيدها . وهذا التشبيه من أحسن تشبيهات امرئ القيس وقد أخذه عنه شعراء كثيرون .

(٤) مكر مفر : صفتان لهذا الفرس ، وهما بمعنى مقبل ومدبر . وقوله (معـا) أى أن هاتين الصفتين اجتمعتا له معا ؛ فهو يصلح للإقبال كما يصلح للإدبار ، فمنده هذا وهذا ، لا أن الكر والفر يقعان منه فى وقت واحد ؛ لأن ذلك محال عقلا ؛ على أنه لو أراد ذلك لكان من المبالغات المقبولة فى الشـعر ، أى أنه إذا وصل الإقبال بالإدبار كانا فى رأى العين كأنهما حركة واحدة فى وقت واحد لا تحس العين الفـرق بينهما . ثم إنه شبهه فى سرعته أيضا بجلمود من الصخر أسقطه السيل من مكان عال . وفيه إشارة إلى صلابته .

كُمَيْتٍ يزِلُّ اللِّبْدُ عن حالِ مَتْنِـهِ كما زَلَّتِ الصَّـفواءُ بالمُتَنَزِّلِ (١)
على الذبْلِ جَيَّـاشٍ، كأنّ اهْتِزَامَهُ إذا جَاشَ فيـه حَمْيُهُ غَلْيُ مِرْجَلِ (٢)
مِسَحٍّ إذا ما السابحاتُ علَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُبَارَ بالكَديد المُرَكَّلِ (٣)
يَزِلُّ الغُـلامُ الخِفُّ عن صَهَواتِه ويُلوِي بأثوابِ العنيفِ المُثَقَّلِ (٤)
دَرِيرٍ كخُذْرُوفِ الوليـدِ أَمَرَّهُ تَتَابُعُ كَفَّيْهِ بخيطٍ مُوَصَّلِ (٥)

(١) الكميت : الفرس الأحمر الذى تميل حمرته إلى السواد . وحال متنه : وسط ظهره . والصفواء : الصخرة الملساء . والمتنزل بصيغة اسم الفاعل : السيل أو المطر الذى ينزل الصخور و يجرّها إلى أسفل (المعنى) أنه فرس مكتنز اللحم أملس الظهر، وللاسته يزل اللبد الذى يوضع على ظهره تحت السرج عن ظهره كما تزل الصخرة الملساء إذا أنزلها السيل .

(٢) الذبل : الضمور . والجياش : الذى يجيش فى عدوه كما تجيش القدر فى غليانها . والاهتزام : شدّة الصوت المتقطع ، يريد به صوت جوفه . وحميه : غليه وارتفاع حرارته . والمرجل : القدر الكبيرة (المعنى) أن هذا الفرس على ضموره متوقد النشاط ؛ كأنه فى استرسال عدوه قدر تغلى وتجيش لازدياد عدوه كلما واصل الجرى وهزيم جوفه .

(٣) المسح : الذى يسح العـدو سحا كالمطر . والسابحات : الخيل التى تسبح فى عدوها وتبسط أيديها كالسباح فى الماء . والونى : الفتور . والكديد : الأرض اليابسة . والمركل : الذى تركله الخيل بأرجلها (المعنى) أن هـذا الفرس عنـد ما تفتر الخيـل السابحات ، ويبطؤ سعيها حتى تثير الغبار — لا يفتر هو؛ بل يصب العدو صبا ، ولا يثير الغبار؛ لأنه لنشاطه لا يلمس الأرض إلا بأطراف حوافره .

(٤) المعنى أن هذا الفرس إذا ركبه الغلام الخفيف الجسم زل عن ظهره ، و إذا ركبه العنيف الثقيل الجسم أطار ثيابه ؛ فلم يمالك أن يصلحها ؛ فلا يستطيع ركوبه إلا فارس ماهر لشدّة قوّته .

(٥) درّ الفرس : عدا عدوا شديدا سهلا فهو درير . والخذروف : لعبة تلعب بها الصبيان ، وهى شظية من خشب ونحوه يثقب وسطها ، و يدخل فيه خيط ، فيجرّ الصبى الخيط بيديه فتدور الشظية دورانا شديدا يسمع له حفيف . وأمرّ الخيط : أحكم فتله . شبه الفرس فى شدّة عدوه بسرعة الخذروف فى دورانه . ووصف الخيـط بأنه موصل إشارة الى أن اللاعب صبي كثير اللعب بالخذروف حتى أن الخيط يتقطع فيصـله .

له أيْطَلا ظبْى ، وساقا نَعــامَةٍ ، و إرخاءُ سِرْحانٍ ، وتقرِيبُ تَتْفُل (١)
ضَليع إذا اســتدبرتَه ســَــدَّ فرجَهُ بضافٍ فُوَيْقَ الأرضِ ليس بأعزَلِ (٢)
كَأَنَّ على المتْنَيْن منــه إذا انْتحى مداكَ عروسٍ ، أو صَلايةَ حَنظل (٣)
كَأَنَّ دِماءَ الهــادياتِ بِنَحْرِه عُصــارةُ حِنّــاءٍ بِشَيْبٍ مُرَجَّل (٤)
فَعنَّ لنــا سِرْبٌ كأنّ نِعاجَه عَذارَى دَوَارٍ فى مُــلاءٍ مُذَيَّــل (٥)
فأدبَرْن كالجَـزْعِ المفصَّلِ بينَــه بجيــد مُعِمٍّ فى العشــيرةِ مُخْــوَل (٦)

(١) أيطلا الظبي ونحوه : خاصرتاه ، وخص الظبي لضمور أيطليه . والإرخاء : الجرى الذى فيــه سهولة . والسرحان : الذئب . والتتفل : ولد الثعلب . وتقريب الفرس فى العدو : رفع يديه معا ووضعهما معا (المعنى) أن هــذا الفرس فيــه عدّة محاسن ، فخاصرتاه ضامرتان ، وساقاه طو يلتان صليبتان . وهو فى جريه الخفيف يشبه الذئب ، وفى الشديد يشبه الثعلب .

(٢) يقول إن هــذا الفرس عظيم الصدر ، واسع الأضلاع ، سابغ الذنب بحيث إذا نظرت إليه من خلفــه رأيت ذنبه يسدّ الانفراج الذى بين فخذيه ، وذنبه فو يق الأرض ليس بقصير ولا طو يل طولا فاحشا فيطأه الفرس برجليه ، وليس هذا الذنب بمعوج إلى جانب .

(٣) المتن : الظهر — والمراد بالمتنين هنا جانبا ظهره — وانتحى : وقف فى ناحيــة من البيت . والمــداك : الحجر الذى يداك به الطيب أى يسحق . والصــلاية : الصخرة الملساء يدق بهــا لب الحنظل (المعنى) أن هــذا الفرس إذا وقف بجانب البيت غير مسرج رأيت ظهره براقا أملس كأنه مداك العروس أو صلاية الحنظل ، وخص العروس لاهتمامها بأمر الطيب .

(٤) الهاديات : جمع هادية ، وهنّ الأوائل والمتقدّمات فى السير من سرب الوحش . والمرجل : المسرح . (المعنى) أن هذا الفرس يلحق أوائل الوحش بله أواخرها ، فعند ما يطعنها أو يضربها راكبه يصيب رشاش دمائها نحر هذا الفرس ، فيصبغه بالحمرة ؛ فكأنّ عصارة حناء صبغت منه شعرا شائبا مسرحا . و يفهم من هذا أن لبة هذا الفرس الكميت بيضاء .

(٥) عنّ : ظهر . ودوار (بفتح الدال) : اسم صنم كان بالجاهلية . والملاء : جمع ملاءة . والمذيل الذى لون ذيله أســود (المعنى) ظهر لنــا سرب من بقر الوحش كأنّ نعاجه بنات أبكار يطفن حول دوار لابسات ملاءات سود الذيول : وذلك لأن بقر الوحش بيض الظهور سود القوائم .

(٦) الجزع : خرز فيه بياض وسواد ، والبياض فى الوسط ، وكذلك بقر الوحش فإن قرونها وقوائمها سود . والجيد : العنق . والمعم المخول : الصبي الذى له أعمام وأخوال كرام ؛ فهو عزيز على أهله =

فألحقنا بالهاديات ، ودونه جواحرها فى صرة لم تزيل (١)
فعادى عداء بين ثور ونعجة دراكا ، ولم ينضح بماء فيغسل (٢)
فظل طهاة اللحم من بين منضج صفيف شواء أو قدير معجل (٣)
ورحنا يكاد الطرف يقصر دونه ، متى ما ترق العين فيه تسفل (٤)
فبات عليه سرجه ولجامه وبات بعينى قائما غير مرسل (٥)

= يقلدونه قلائد الجزع (المعنى) أن هذا الفرس سبق سرب البقر ، فردها على أعقابها ، فدارت حيرة ، وكانت أشبه بقلادة جزع فرق بين خرزاتها بخرزات أخرى ، وكانت هذه القلادة فى عنق صبى كريم على أهله ؛ فبذلك تكون خرزاتها أجود وأصفى .

(١) الجواحر : المتخلفات . والصرة : الجماعة . وتزيل : أصله تتزيل ، أى لم تتفرق (المعنى) فألحقنا هذا الفرس بأوائل الوحش ، وبقيت أواخرها لم تتفرق كأنها لسرعته لم تشعر بما أصاب أوائلها ؛ فلم تذعر وتتفرق ، فأصبحت فى حكمنا أيضا .

(٢) المعنى ثم لما تفرقت البقر بعد ذلك عادى هذا الفرس عداء متواصلا بين ثور ونعجة ، فأدركهما فى طلق واحد ، ولم يعرق عرقا يعم جسده ؛ حتى يصير كأنه غسل بماء .

(٣) الطهاة : جمع طاه وهو الطباخ . والصفيف من الشواء : ما صفف مرققا على الجمر . والقدير : ما طبخ فى القدر (المعنى) فظل الطباخون يعالجون لحم الصيد ، فنهم من يشوى ، ومنهم من يطبخ فى القدر متعجلا . ويجر لفظ (قدير) على المجاورة أو على العطف على منضج ؛ أى من بين منضج صفيف شواء . أو منضج قدير بالإضافة . فحذف المضاف وأقيم المضاف اليه مقامه ؛ فجر مثله .

(٤) الطرف : البصر . ورحنا : من الرواح أى الرجوع عشية . ويقصر : يحير دون إدراك محاسنه . (المعنى) أننا بعد ما أدركنا العشى بقينا ننظر بأبصارنا الى محاسن هذا الفرس ؛ فلا يدرك البصر كل محاسنه جملة ؛ فبينا يتجه النظر الى محاسن أعالى جسمه ، إذا بمحاسن أسافله تجذب النظر اليها ؛ فلا يمكننا حصر النظر فى شيء واحد من محاسنه .

(٥) المعنى فبت وقد بات عليه سرجه ولجامه ، وبات بمرأى عينى قائما غير مطلق ؛ لأننا على سفر ، فنحن على استعداد لركوبه فى أى وقت وعند أى خطر . يصفه بالنشاط وعدم التعب ووصل اليوم بالغد فى احتمال الركوب والعدو .

أصاحِ ترى برقًا أُريكَ وميضَهُ ... كلمعِ اليدينِ فى حَبِيٍّ مُكَلَّلِ (١)
يُضىءُ سناهُ، أو مصابيحِ راهبٍ ... أمالَ السَّليطَ بالذُّبَالِ المفتَّلِ (٢)
قعدتُ له، وصُحبتى بين ضارجٍ ... وبينَ العُذَيبِ، بُعْدَ ما مُتأمَّلِى (٣)
على قَطَنٍ بالشَّيْمِ أيمنُ صَوْبِهِ، ... وأيسرُهُ على السِّتارِ فيَذْبُلِ (٤)
فأضحى يَسُحُّ الماءَ حولَ كُتَيفةٍ ... يَكُبُّ على الأذقانِ دَوْحَ الكَنَهْبَلِ (٥)
ومَرَّ على القَنَانِ من نَفَيانِهِ ... فأنزلَ منه العُصْمَ من كلِّ منزلِ (٦)

(١) بعد أن فرغ من وصف الصيد والفرس أخذ فى وصف الغيث وما يتعلق به فقال : (أصاح الخ) و(صاح) : ترخيم صاحبى . والوميض : لمع البرق ونحوه . والحبى من السحاب : المتراكم بعضه على بعض كأنه يحبو لثقله . والمكلل : المستدير (المعنى) ياصاحبى أنت ترى البرق الذى أريك لمعه كلمع اليدين وحركتهما السريعة فى إنذار وغضب — وهذا البرق يلمع فى سحاب متراكم مستدير .

(٢) المعنى كأن هذا البرق — حال كونه يضىء — لمع اليدين، أو كأنه مصابيح راهب أمال السليط، وهو الزيت بذبال المصابيح المفتل، وهى الفتيلة، وفى الكلام قلب . أى أمال الذبال بصب السليط . أو أن الباء بمعنى مع، أى أمال السليط مع الفتيلة الى جانب لتكون متغذية دائما بالزيت، فتكون أشد إضاءة .

(٣) صحبتى : أصحابى . وضارج والعذيب مكانان . (المعنى) قعـدت لذلك البرق أنظر من أين يجىء بالمطر، ويا بعد ما تأملت أى ما أبعده، وبعد منصوب على النداء التعجبى وما زائدة .

(٤) قطن والستار ويذبل : أسماء، والشيم : النظر . والصوب : المطر (المعنى) أن مطر هذا البرق امتد فى جهات متراميـة، فكان يمينـه على جبل قطن، وكان يساره على جبلى الستار فيذبل، بحسب نظرنا وتقـــديرنا .

(٥) كتيفة : اسم أرض أو هضبة . والدوح : الشجر العظيم . والكنهبل : شجر شائك (المعنى) فأضحى المطر يسح الماء حول كتيفة ويقلب سيله الأشجار العظيمة فيجعل عاليها سافلها .

(٦) القنان : اسم جبل . والنفيان هنا : ما يتطاير من رشاش الماء والسيل أو ما يشذ عن معظمه (ومن) هنا : بمعنى الباء كقوله تعالى (ينظرون اليك من طرف خفى) . والعصم : الوعول، واحدها أعصم، وهو ما كان فى معصمه بياض يخالف لونه، ومن شأن الوعول أنها تسكن الجبال، ولا تكاد توجد فى غيرها . (المعنى) ومر هذا المطر على جبل القنان برشاشه فأكره الوعول على النزول منه من كل ناحية .

وتَيْمَاءُ لم يَتْرُكْ بها جِذْعَ نَخْلَةٍ ولا أُطُماً إلا مَشِيدًا بجَنْدَلِ (١)
كأنَّ ثَبِيرًا في عَرانينِ وَبْلِهِ كبيرُ أُناسٍ في بِجادٍ مُزَمَّلِ (٢)
كأنَّ ذُرَى رأسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً من السَّيلِ والغُثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ (٣)
وألْقَى بصحراءِ الغَبيطِ بَعَاعَهُ نُزُولَ اليَمَانِي ذي العِيابِ المُحَمَّلِ (٤)
كأنَّ مَكَاكِيَّ الجِوَاءِ غُدَيَّةً صُبِحْنَ سُلافًا من رَحيقٍ مُفَلْفَلِ (٥)

(١) وتيماء : كانت من مدن اليهود قديما في الجاهلية . وهي بين مدائن صالح وتبوك من طريق الشام الى المدينة . وكان بها نخل كثير وقصور حصينة منها الأبلق الفرد . وتسمى العرب القصر العالى والحصن المرتفع أطما (المعنى) أما تيماء فلم يترك بها سيل هذا المطر جذع نخلة لأنه أسقطها جميعا ولم يترك بها بناء قائما إلا اذا كان مشيدا بالجنادل والصخور العظيمة .

(٢) ثبير : اسم جبل . والعرانين : جمع عرنين وهو : أوّل الشيء ومقدمه . الوبل : المطر الشديد الضخم القطر . والبجاد : الكساء المخطط . والتزميل : اللف في الثوب ، فالثوب مزمل به (المعنى) كأن هذا الجبل عند أوائل هذا المطر رجل كبير في بجاد مزمل به . وذلك أنه شبه الجبل وقد غطاه الماء والغثاء إلا رأسه الأسود بشيخ ملتف في كساء مخطط . وجرّ مزمل على المجاورة اذ كان صفة لكبير . أو هو مجرور على أنه صفة لبجاد على تقدير في بجاد مزمل به .

(٣) المجيمر : اسم جبل ، وذراه : أعلاه . والغثاء : ما احتمله السيل من حطام النبات ونحوه ، وفلكة المغزل : الخشبة المستديرة في أعلاه كالقرص (المعنى) أن هذا المطر كشف ما على رأس المجيمر من التراب والنبات ، وأحاط سيله وغثاء سيله بجوانبه على استدارة جعلت رأس المجيمر كأنه فلكة مغزل .

(٤) صحراء الغبيط : من صحارى بلاد العرب ، وأصل الغبيط : الأرض المنخفضة . والبعاع : الثقل والحمل . والمراد هنا السحاب المثقل بالماء . والعياب : جمع عيبة ، وهي : وعاء من جلد يحمل فيه الثياب ونحوها (المعنى) وألقى هذا المطر أثقاله بصحراء الغبيط فأنبتت نباتا حسنا . مختلفا ألوانه وأزهاره ؛ فكان نزوله بها كنزول التاجر اليماني اذا جاء محملا بعياب ثياب مختلفة الألوان والأصباغ ، ونشرها أمام الناس ترغيبا لهم في شرائها .

(٥) المكاكي : جمع مكاء كرمان ، وهو طائر كثير الصفير . والجواء : البطن الواسع من الأرض . وصبحن : من الصبوح ، وهو الشرب صباحا . والسلاف : أوّل ما يعصر من الخمر . والرحيق : صفوة الخمر . والمفلفل : الذي يلذع لذع الفلفل أو الذي وضع فيه الفلفل (المعنى) أن هذا المطر بعد ما نزل في هذا الوادي جعله روضة من النبات والزهر ، وأصبحت تغرد فيه الطيور مبتهجة كأنها شربت صباحا رحيق سلاف مفلفل فسكرت وطربت ..

كَأَنَّ السباعَ فيـــه غرقَى عَشيةً ... بأَرجائه القُصْوى أَنابيشُ عُنْصُلِ (١)

(٢) لزُهَير بن أَبى سُلمَى من معلقته التى مطلعها : (٢)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَـــةٌ لَمْ تَكَلَّمِ ... بِحَـــوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَـــلَّمِ (٣)

* * *

سَعَى سَاعِيَا غَيْظِ بْنِ مُرَّةَ بَعدَمَا ... تَبَزَّلَ مَا بيْنَ الْعَشِـــيرَةِ بِالدَّمِ (٤)

فَأَقْسَمْتُ بِالْبَيْتِ الَّذِى طَافَ حَوْلَه ... رِجالٌ بَنَوْهُ : من قُرَيْش وَجُرْهُمِ (٥)

(١) الســباع : جمع سبع ، وهو كل حيوان مفترس أسدا كان أو غيره . والأرجاء : جمع رجا ، وهو الناحية . والعنصل : بصل برى تختفى أصوله تحت الأرض فتنبش ، فهى بعد النبش أنابيش ، جمع أنبوشة . أو لا مفرد لها (المعنى) أن هذا المطر استحال فى بعض الأودية سيلا عظيما أغرق السباع واحتملها طافية على وجه مائه مقلوبة على ظهورها بادية خراطيم رءوسها وأطرافها ؛ فترى من بعد كأنها أنابيش عنصل .

(٢) هو زهير بن أبى سلمى ربيعة بن رياح المزنى ، أحد فحول شعراء الجاهلية الأربعـــة . وهم : امرؤ القيس ، والنابغة ، وزهير ، والأعشى ثم هو أعفهم قولا وأكثرهم تهذيبا لشعره ، وآل أبى سلمى نشأوا فى غطفان أحلافا لهم ، وإن كان نسبهم فى مزينة ، وتخرج زهير فى الشعر على بشامة بن الغدير الشاعر خال أبيه ، وعلى زوج أمه أوس بن حجر شاعر مضر فى زمانه ، ففاقهما فى الشعر ، وله ديوان شعر ، كثير منه فى مدح هرم بن سنان الذبيانى المرى ، ومن مدائحه فيه هذه المعلقة ، مدحه بها لحسن سعيه هو والحارث بن عوف فى الصلح بين عبس وذبيان فى حرب داحس والغبراء بتحملهما ديات القتلى ، وقد بلغت ثلاثة آلاف بعير . ومات قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم بسنة .

(٣) أم أوفى : امرأة زهير ، والدمنـــة : ما اســـودّ من آثار الدار من الرماد ونحوه ، وحومانة الدراج والمتثلم : موضعان بنجد (المعنى) أمن دمن أم أوفى دمنـــة لم تتكلم عند وقوفنا عليها وسؤالنا لها : أين أصحابك ؟ أو قولنا لها : ما كان أطيب أيامنا فيك !

(٤) غيظ بن مرة : حى من غطفان منه هذان الرجلان الساعيان فى الصلح بين العشـــيرة ، يريد بهما هرم بن سنان والحارث بن عوف الممدوحين ، وتبزل بالدم : تشقق به (المعنى) سعى هذان السيدان فى الصلح بعد ما تشقق ما بين العشيرة من الألفة والمودّة بالدم .

(٥) جرهم : قبيلة يمـانية كانت تملك سدانة الكعبة قبل قريش .

يَمِينًا لَنِعْمَ السَّيِّدَانِ وُجِدْتُمَا ... عَلَى كُلِّ حَالٍ : مِنْ سَحِيلٍ ومُبْرَمِ (١)
تَدَارَكْتُمَا عَبْسًا وَذُبْيَانَ بَعْدَ مَا ... تَفَانَوْا ، وَدَقُّوا بَيْنَهُمْ عِطْرَ مَنْشِمِ (٢)
وقد قُلْتُمَا : إِنْ نُدْرِكِ السِّلْمَ وَاسِعًا ... بِمَالٍ وَمَعْرُوفٍ مِنَ الأَمْرِ ـ نَسْلَمِ
فَأَصْبَحْتُمَا مِنْهَا عَلَى خَيْرِ مَوْطِنٍ ... بَعِيدَيْنِ فِيهَا مِنْ عُقُوقٍ وَمَأْثَمِ (٣)
عَظِيمَيْنِ فِي عُلْيَا مَعَدٍّ وَغَيْرِهَا ... وَمَنْ يَسْتَبِحْ كَنْزًا مِنَ الْمَجْدِ يَعْظُمِ (٤)
فَأَصْبَحَ يَجْرِي فِيهِمُ مِنْ تِلَادِكُمْ ... مَغَانِمُ شَتَّى مِنْ إِفَالِ الْمُزَنَّمِ (٥)
تُعَفَّى الْكُلُومُ بِالْمِئِينَ ، فَأَصْبَحَتْ ... يُنَجِّمُهَا مَنْ لَيْسَ فِيهَا بِمُجْرِمِ (٦)
فَمَنْ مُبْلِغُ الأَحْلَافِ عَنِّي رِسَالَةً ... وَذُبْيَانَ : هَلْ أَقْسَمْتُمُ كُلَّ مُقْسَمِ (٧)
فَلَا تَكْتُمُنَّ اللهَ مَا فِي نُفُوسِكُمْ ... لِيَخْفَى ، وَمَهْمَا يُكْتَمِ اللهُ يَعْلَمِ

---

(١) السحيل : الخيط أو الحبل يفتل فتلا واحدا ، والمبرم : ما يفتل خيطين ثم يفتلان ثانية ويجعلان خيطا واحدا (المعنى) أقسم يمينا لنعم السيدان أنتما فى حال الرخاء وحال الشدّة .

(٢) « دقوا بينهم عطر منشم » : مثل يضرب فى شدّة التشاؤم وانتشار الشر بين القوم ، وأصله أن امرأة عطارة تعطر أقوام بعطرها وخرجوا للحرب فهلكوا .

(٣) العقوق : قطيعة الرحم ، والمأثم : الإثم .

(٤) معد بن عدنان أبو القبائل النزارية ومنها الممدوحان .

(٥) التلاد من الإبل : ماولد عندك ، والإفال : جمع أفيل ، وهو الفصيل الصغير ، والمزنم : فحل كريم من الإبل زنموا أذنه ، أى ميزوه بعلامة .

(٦) التعفية : المحو وإزالة الأثر . والكلوم : الجراح . وينجمها : يدفعها نجوما أى أقساطا . (المعنى) أن الجراح يمحى أثرها ببذل المئين من الإبل يغرمها على أقساط من لم يجن فيها جريمة ، وهما الممدوحان .

(٧) يريد بالأحلاف القبائل التى حالفت ذبيان على حرب عبس ، و « هل » هنا بمعنى « قد » مثل « هل أتى على الانسان حين من الدهر » . (المعنى) أبلغ ذبيان وأحلافها بأنكم قد أقسمتم كل قسم عظيم على الصلح ، فلا تضمروا الغدر وتكتموه ؛ فان الله يعلمه ، ويعاقبكم عليه فى يوم الحساب ، أو يعجل عقابكم — ومن هذا يعرف أنه كان مؤمنا بالبعث .

يُؤَخَّرْ ، فَيُوضَعْ فى كِتَابٍ، فَيُدَّخَرْ ... لِيوْمِ الحِسابِ ، أَوْ يُعَجَّلْ ، فَيُنْقَمِ
وَمَا الحَرْبُ إِلّا ما عَلِمتُمْ وَذُقْتُمُ ... وما هُوَ عنها بالحَدِيثِ المُرَجَّمِ (١)
مَتَى تَبْعَثُوها تبعثوها ذَمِيمَةً ... وَتَضْرَى إِذَا ضَرَّيتُمُوها ، فَتَضْرَمِ (٢)
فَتَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الرَّحا بِثِفَالِها ، ... وتَلْقَحْ كِشَافًا ، ثُمَّ تُحْمِلْ ، فَتُتْئِمِ (٣)
فَتُنْتِجْ لَكُمْ غِلْمَانَ أَشْأَمَ ، كُلُّهُم ... كَأَحْمَرِ عادٍ ، ثم تُرْضِعْ فَتَفْطِمِ (٤)
فَتُغْلِلْ لَكُمْ ما لا تُغِلُّ لِأَهْلِها ... قُرًى بالعِراقِ مِن قَفِيزٍ ودِرْهَمِ (٥)

---

(١) المرجم من الحديث المقول بطريق الظن ، لا عن تحقيق . أى : وما حديثى عن الحرب وتخويفكم و يلاتها بالحديث المفترى ، بل أنتم قد علمتم و يل الحرب وذقتموه ، فلا تقربوها .

(٢) الضرى والضراوة : شدة الحرص ، والتضرية : الحمل على الضراوة . وضرمت النار تضرم : التهبت . (المعنى) متى تهيجوا الحرب تهيجوها مذمومة ، و يشتد حرها ، وتضطرم نارها .

(٣) العرك : الدلك ، والثفال : الجلد أو الخرقة توضع تحت الرحى ليقع عليها الطحين ، والباء فى « بثفالها » بمعنى « مع » و « تلقح كشافا » أى وتلقح لقاحا كشافا بأن تحمل فى عامين متواليين ، وتتئم أى تأتى فى كل مرة من المرتين بتوأمين . (المعنى) إذا هجتم الحرب طحنتكم طحن الرحى ، وتدوم زمنا طويلا فى شدة فتكون كالناقة التى تحمل حملين فى عامين متتابعين ثم هى لا تلد إلا توأمين .

(٤) أشأم : مصدر من الشؤم على وزن أفعل أو صفة لمحذوف . وأحمر عاد لقب لعاقر ناقة صالح نبى ثمود عليه السلام ، واسمه قدارا ، وكان عقره لهذه الناقة شؤما على قومه ، و يريد بعاد هنا ثمود : إما توهما وخطأ ، وإما أن ثمودا من عاد . (المعنى) ان هذه الحرب يطول أمرها وتنتج لكم غلمان شؤم أو غلمان أب أشأم شؤم قدار عاقر الناقة ، ثم تعيش هذه الغلمان ، فترضع وتفطم . وكل ذلك كناية عن طول الحرب وشرورها .

(٥) أى فتغل لكم غلة ليست كغلة قرى العراق من الحب الذى يكال بالقفيز ، أو من ثمن الغلة وهى الدراهم . وإنمـا تغل لكم غلة هى الموت والهلاك .

لَعَمْرِى لَنِعْمَ الحَىُّ جَرَّ عليهمُ بما لا يُؤَاتِيهِمْ حُصَيْنُ بنُ ضَمْضَمِ (١)
وكان طَوَى كَشْحًا على مُسْتَكِنَّةٍ فلا هو أَبْدَاها ، ولم يَتَجَمْجَمِ (٢)
وقَالَ : سَأَقْضِى حاجَتِى ، ثُمَّ أَتَّقِى عَدُوِّى بأَلْفٍ مِن وَرائِىَ مُلْجَمِ (٣)
فَشَدَّ ، ولم تَفْزَعْ بيوتٌ كثيرةٌ لَدَى حَيْثُ أَلْقَتْ رَحْلَها أُمُّ قَشْعَمِ (٤)
لَدَى أَسَدٍ شَاكِى السِّلاحِ مُقَذَّفٍ لَهُ لِبَدٌ ، أَظْفَارُه لم تُقَلَّمِ (٥)
جَرِىءٍ مَتَى يُظْلَمْ يُعَاقِبْ بِظُلْمِهِ سَرِيعاً ، وإلَّا يُبْدَ بالظُّلْمِ يَظْلِمِ (٦)

---

(١) يؤاتيهم : يوافقهم . (المعنى) نعم الحى الذين رضوا بالصلح بعد ما جر عليهم الحصين بن ضمضم من تلك الجريرة والجناية التى لا تجعلهم يوافقون على الصلح ، ثم أخذ يقص قصة الحصين بقوله : « وكان طوى كشحا الخ » وملخص هذه القصة أن رجلا من بنى عبس قتل أخا للحصين بن ضمضم قبيل الصلح ، فلما اصطلحت عبس وذبيان أضمر الحصين بن ضمضم الأخذ بالثأر بقتل قاتل أخيه أو بقتل رجل من أهله الى أن لقى رجلا من عبس فشدّ عليه وقتله ، واعتمد على أن يناصره ألف فارس من قومه اذا غضبت عبس لقتيلها ، فثارت عبس وتدارك الحارث بن عوف الشر ، فدفع لعبس مائة من الإبل دية القتيل ، وتم الصلح بين عبس وذبيان .

(٢) مستكنة أى فعلة أو جريمة مستكنة مستترة فى نفسه ، فلا هو أظهرها حتى يؤخذ الحذر منه ولا هو تردد فى الإقدام عليها .

(٣) أى وقال فى نفسه : سأقضى حاجتى بقتل قاتل أخى ، وأدفع عن نفسى بألف فرس ملجم أى بألف فارس من قومى .

(٤) أم قشعم : كنية للمنية ، ومعنى إلقاء رحلها فى مكان تحقق الموت فيه . (المعنى) فشدّ الحصين على العبسى غدرا من غير أن تعلم بذلك بيوت كثيرة من عبس ، فكانت تفزع لصاحبها وتدفع عنه ، وإنما شدّ عليه عند موضع نزل فيه الموت المحقق الذى لا يدفع .

(٥) يصف الحصين و يقول : كان هذا عند رجل كالأسد الذى له لبد على عنقه ، ولم تقلم أظفاره ، وأنه شاكى السلاح يقذف به فى الحروب .

(٦) يصف الحصين بأنه جرىء اذا ظلم عاقب ظالمه سريعا بظلمه ، وإن لم يبدأه الناس بالظلم بدأهم هو بظلمه لثقته بنفسه .

رَعَوْا مارَعَوْا مِن ظِمْئِهم، ثم أَوْرَدُوا غِمَـاراً تَسِـيل بالرماح و بالدم (١)

فَقَضَّوْا منَايَا بينهمْ، ثُمَّ أَصْـدَرُوا إلى كَلَإٍ مُسْـتَوْبِلٍ مُتَوَخَّمِ (٢)

لَعَمْرُكَ مَا جَرَّتْ عليهِـم رِمَاحُهُمْ دَمَ ابنِ نَهِيـكٍ أوْ قَتِيـلِ المُثَلَّمِ (٣)

وَلا شَارَكُوا فى القَوْمِ فى دَمِ نَوْفَلٍ، ولا وَهَبٍ مِنهمْ، ولا ٱبنِ المُخَزَّمِ

فَكُلًّا أَرَاهُمْ أَصْـبَحوا يَعْقِلُونَه عُلَالَةَ أَلْفٍ بَعْـد ألفٍ مُصَـتَّمِ (٤)

تُساقُ إلى قَـومٍ لِقومٍ غَرَامَةً صَحِيـحَاتِ مَالٍ طَالِعَاتٍ بِمَخْرَمِ

لِحَىٍّ حَلالٍ يَعْصِمُ النـاسَ أَمْرُهم إذا طَلَعَتْ إحْدَى اللَّيَالى بِمُعْظَمِ (٥)

(١) يقال رعت الماشية الكلأ ورعاها صاحبها الكلأ أيضا، والظمء: ما بين الشربتين وحبس الإبل عن الماء الى غاية النوبة، والغمار: جمع غمر وهو الماء الكثير. و يريد بالظمء هنا و بورود الغمار الرجوع الى الحرب. (المعنى) تركوا الحرب وبقوا يتمتعون بنعيم السلم مدة، ثم عادوا وأوردوا أنفسهم غمارا منها لا تسيل إلا بالرماح والدم.

(٢) قضوا: أنفـذوا. وأصدروا: أرجعوا، والكلأ المستوبل: هو العشب الو بيل أى يجلب الوبال؛ والمتوخم بمعناه. (المعنى) أنهم بمنزل رعى الكلأ الوبيل. ثم أضرب عن هذا الكلام وعاد الى مدح الذين أعطوا ديات القتلى فقال: لعمرك الخ.

(٣) ابن نهيك، والقتيل الذى قتل فى المكان المثلم، ونوفل، ووهب وابن المخزم كل هؤلاء عقلهم أمثال هرم بن سنان والحارث بن عوف، أى غرموا دياتهم لأولياء دمائهم مع أنهم لم يقتلوهم برماحهم، و إنما غرموا تبرعا و إيثارا للصلح بين القبيلتين.

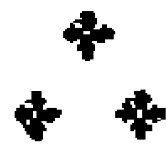
(٤) العلالة: الشىء بعد الشىء. والمصتم: التام. والمخرم: الطريق فى أعلى الجبل، (المعنى) أرى هؤلاء الكرام يعقلون القتلى بألف تام العدد بعـدها ألف أخرى من الابل الصحيحات التى تساق الى أولياء القتلى طالعات فى أعالى الجبل لأجل الرعاية للقوم القاتلين.

(٥) الحى الحلال: الكثيرو العدد، أو المتقاربون فى المنازل، المعظم: الخطب العظيم. (المعنى) تساق هذه الابل، لأجل المحافظة على ولاء حى يحفظون جيرانهم اذا نزلت بهم الخطوب العظيمة وهم =

كِرامٍ، فلا ذُو الوِتْرِ يُدرِكُ وِتْرَه   لَدَيْهِمْ، ولا الجَانِي عليهم بِمُسْلَمِ

(٣) لعَمرو بن كُلثوم من معلقته التي مطلعها : (١)

أَلَا هُبِّي بِصَحنِكِ فَاصْبَحِينا   ولا تُبْقِي خُمورَ الأَنْدَرِينَا (٢)



أَبَا هِنْدٍ فلا تعجَلْ علينا   وأَنظِرْنا نُخَبِّرْكَ اليَقِينَا (٣)

بأَنَّا نُورِدُ الرَّاياتِ بِيضاً   ونُصْدِرُهُن حُمْراً قد رَوِينَا (٤)

وَأَيَّامٍ لنا غُرٍّ طِوالٍ   عَصَيْنَا المَلْكَ فيها أن نَدِينَا (٥)

وسيِّدِ مَعْشَرٍ قد توَّجُوه   بتاجِ المُلْكِ يَحمِي المُحْجَرِينَا (٦)

= كرام شجعان لا يدرك صاحب الوتر: أى الثأر وتره منهم، ولا الجانى عليهم بما جر عليهم من الجنايات فى العشائر الأخرى بمسلم أى مخذول لا ينتصر له .

(١) هو عمرو بن كلثوم بن مالك بن عتاب التغلبي سيد تغلب وفارسها وأحد فتاك العرب وشعرائهم المشهرين بقصيدة واحدة والمجيدين للفخر . وأمه ليلى بنت مهلهل أخى كليب . قال هذه المعلقة فى ملاحاة وقعت بينه وبين الحارث بن حلزة اليشكرى فى مجلس الملك عمرو بن هند يصف فيها حديثه مع ابن هند، ويفتخر بأيام قومه وغاراتهم المشهورة — ومات قبل الإسلام بنحو نصف قرن .

(٢) الصحن : القدح الواسع، وأصبحينا أى أسقينا الصبوح وهو الشرب فى الصباح، والأندرين : قرية جنوبى حلب من بلاد الشام .

(٣) أنظرنا : أى أمهلنا .

(٤) أى أنا نورد راياتنا الحرب وهى بيضاء، ونصدرها وهى حمراء، وقد رويت من دماء أعدائنا .

(٥) أى ونخبرك بأيام حرب لنا مشهورة عصينا الملك فيها أن نخضع له ونذل .

(٦) المحجرون : اللاجئون الى من يحميهم، مشتق من أحجره اذا ألجأه الى المضيق .

تركنـا الخيـلَ عاكفةً عليـه مقـلّدةً أعنّتهـا صُـفونا (١)
وأنزلنـا البيوتَ بذى طُلُوحٍ إلى الشّـامَاتِ ننْفِى الموعِدينا (٢)
وقد هرّتْ كِلَابُ الحىِّ منّا وشـذّبنـا قتادةَ من يلينـا (٣)
متى ننقـلْ إلى قـومٍ رحَانا يكونوا فى اللّقاءِ لهـا طَحِينَا
يكونُ ثِفَالُهـا شرقىَّ نجْـدٍ ولُهْوَتُهـا قُضـاعة أجمَعينـا (٤)
نزلْتُم منزلَ الأضـيافِ منّـا فأعْجلنـا القِرَى أن تشـتِمونا (٥)
قريْنـاكـمْ فعجّلْنـا قِراكُمْ قُبيلَ الصّـبْحِ مِرْداةً طَحونَا
نعمُّ أُناسَـنا ، ونَعِفُّ عنهـمْ ونَحْمِـلُ عنهُـمُ ما حَمَّلُونا (٦)

---

(١) أى قتلناه واسترحنا منه ونزلنا عن خيولنا لأخذ سلبه وسلب أصحابه ، فبقيت خيولنا واقفة عليه صافنة . والصافن : القائم ، أو الذى يرفع إحدى قوائمه لعبا .

(٢) ذو طلوح : مكان جنوبى نجد بين اليمامة ومكة ، والشامات : جمع شامة ، والشامة والشامات تسمى بهما بلاد الشام أحيانا ، وننفى الموعدين أى نزيل من بين هذين البلدين من الأعداء ، فنملك هذه الأرضين الواسعة ، وننزل بها بيوتنا .

(٣) هرت الكلاب : نبحت خوفا ، والتشـذيب : قطع أغصان الشجرة أو شوكها ، والقتادة : الشوكة ، أى أذهبنا شوكة من يلينا و يقرب منا من الأعداء .

(٤) الثفال : جلدة أو خرقة تجعـل تحت الرحى يسقط عليها الطحين ، واللهوة : القبضة من الحب تلقى فى الرحى (المعنى) أن كيدنا وحربنا تشبه الرحى ، وهذه الرحى تدور بالحرب فى شرق نجد وتلتهم قضاعة أجمعين وهى قبيلة عظيمة .

(٥) القرى : الضيافة . يسـخر بأعدائه و يقول : نزلتم علينا فى إغارتكم كالأضياف ، فعجلنا قراكم بحرب طحون خشية شتمكم إيانا ، وجعلنا ضيافتكم قتالا طحنكم كطحن المرداة للحجارة . والمرداة الصخرة التى تكسر بها الحجارة و يدق بها النوى .

(٦) أى نعم قومنا بخـيرنا اذا أيسرنا ، ونعف عن أموالهم اذا أعسرنا ، ونتحمل عنهم ما حملونا من الديات والمغارم والدفاع .

نُطاعِنُ ما تَراخَى الناسُ عنّا ونَضرِبُ بالسُّيوف إذا غُشِينا (١)
بِسُمْرٍ من قَنا الخطّيِّ لُدْنٍ ذَوابِلَ ، أو بِبِيضٍ يَعْتَلِينا (٢)
نَشُقُّ بها رءوسَ القوْمِ شَقًّا ونُخْلِيها الرِّقابَ، فتَخْتَلِينا
كأَنَّ جَماجِمَ الأبْطالِ فيها وُسُوقٌ بالأَماعِزِ يَرْتَمِينا (٣)
وأنّ الضِّغْنَ بعدَ الضِّغْن يبدو عليك، ويُخرِجُ الداءَ الدَّفِينا (٤)
وَرِثْنا المجدَ قد عَلِمتْ مَعَدٌّ نُطاعِنُ دونَهُ حتى يَبِينَا (٥)
ونحنُ إذا عِمادُ الحَيِّ خَرّتْ على الأَحْفَاضِ نَمنَعُ من يَلِينَا (٦)
نَجُذُّ رءوسَهم في غيرِ بِرٍّ فما يَدرونَ ماذا يَتَّقُونا (٧)

(١) أى أننا نحسن استعمال السلاح ؛ فنطاعن أعداءنا بالرماح اذا لم يلاصقونا ودنت أشخاصهم منا، فاذا لاصقونا ضاربناهم بالسيوف .

(٢) ثم وصف هذه الرماح التي يطاعن بها، فقال : إنها سمر لذبولها وجفاف مائها، وانها من القنا الخطي أى منسوبة الى بلدة الخط على ساحل البحرين من خليج فارس تجلب منها الرماح ، واللدن جمع لدن (كسهم) وهو المرن في صلابة . و وصف السيوف فقال إنها بيض تعتلى الرءوس فتشق هاماتها ، ونضرب بها الرقاب فتقطعها كما يقطع المحش الخلا وهو النبات الرطب ، أى تجعل الرقاب لها كالخلا، فتختليها أى تحشها .

(٣) الأماعز : جمع أمعز ، وهى الأرض الصلبة الكثيرة الحصى ، والوسوق : جمع وسق ، وهو الحمل .

(٤) الضغن : الحقد الذى يخفى .

(٥) معد بن عدنان أبو الشعب العظيم المقابل لشعب قحطان ، والشاعر من شعب معد — يقول : تعلم قبائل معد جميعهم أنا ورثنا المجد عن آبائنا فلم نفرط فيه بل دافعنا دونه حتى لا يزايلنا ويخفى عنا .

(٦) العماد : جمع عمود ، وخرت : سقطت ، والأحفاض : جمع حفض (كسبب) وهو متاع البيت . وسقوط الأعمدة على أمتعة البيت كناية عن تقويض البيوت للرحلة والظعن (المعنى) نحن لا يطمع فينا فى ظعن ولا إقامة ؛ فنحمى أنفسنا ، ونمنع من يلينا من أعدائنا منا .

(٧) أى فنقطع رءوسهم فى غير برمنا ، ولا شفقة عليهم ، وتدهلهم ؛ فلا يدرون أى شىء يجانبونه ويبتعدون عنه من السلاح لأن سيوفنا تعجلهم عن الاتقاء .

كَأَنَّ سُـــيوفَنا فِينَا وفيهـــمْ مَخَارِيقٌ بأيـــدِى لاعبينـا (١)
كأن ثيابَنـا منَّا ومنهـــمْ خُضِبْنَ بأُرْجُوانٍ أو طُلِينـا (٢)
إذا ما عَىَّ بالإسْـــنَافِ حَىٌّ من الهَوْلِ المُشـــبَّه أن يكونا (٣)
نَصَبْنَا مثـــلَ رَهْوَةَ ذاتَ حَدٍّ مُحافظـــةً، وكُنَّا السابقينا
بشُبانٍ يرَوْنَ القتـــلَ مَجْـــدًا وشيبٍ فى الحروب مُجرَّبينا
حُدَيَّا النـاسِ كلِّهـــمُ جميعًا مقارعةً بنيهـــمْ عن بنينا (٤)
فأَما يـــومَ خَشْيَتِنا عليهـــمْ فتُصْبِحُ خيلُنـا عُصَبًا ثُبِينـا (٥)
وأما يـــوْمَ لا نخشى عليهـــم فنُمعِنُ غارةً مُتلبِّبينـا (٦)

(١) لم يصف أعداءه بالجبن وقلة الدفاع عن أنفسهم، بل يقول إنهـم انتصروا على أقوام شجعان ماهرين فى استعمال السيوف مثلنا ؛ فكانت سيوفنا وسيوفهم كمخاريق بأيدى لاعبين. والمخاريق: جمع مخراق، وهو المنديل أو الخرقة تلف ويضرب بها، وهى لعبة من لعب الصبيان (الطرة).

(٢) الأرجوان: صبغ أحمر أى كأنها صبغت به من الدماء. والمراد بالثياب العذبات التى تربط بأطراف الرماح تحت أسنتها.

(٣) عىّ بالأمر: تحير فيه ولم يهتد لوجه الصواب فيه، والإسناف التقدم بالخيل الى القتال (المعنى) اذا تحير قوم فى الإقدام على القتال من شدة الهول المخشى أن يقع نصبنا نحن للقتال كتيبة ضخمة مثل جبل (رهوة) ذات حد وشـوكة محافظة على أحسابنـا ؛ فكان غيرنا المترددين، وكنا نحن السابقين الى القتال بشبان الخ.

(٤) الحديا: مصغر الحدوى: اسم من التحدّى، وهو المباراة ومنازعة الغلبة فى الأمر العظيم (المعنى) نحن حديا الناس كلهم لا نخشى قوما منهم، بل نتحدى الجميع، ونقول لهم اخرجوا الى قتالنا: نفعل ذلك من أجل مقارعتنا (أى مضاربتنا وممانعتنا) بنيهم عن بنينا.

(٥) العصب: الجماعات، والثبون الجماعات من الخيل والناس فى تفرقة، جمع ثبة (بالضم) وهو ملحق بجمع المذكر السالم.

(٦) أمعن فى الأمر: أبعد فيه وتوغل، وهو يتعدى بحرف الجر (فى) واذن فتكون غارة منصوبة على أنها مفعول مطلق، أو على الظرفية على تقدير وقت الغارة، أو على نزع الخافض، والتلبب التحزم =

برأسٍ من بَنِي جُشَمَ بنِ بَكْرٍ نَدُقّ به السُّهولةَ والحُزونا (١)

(٤) لعنترة بن عَمْرو بن شدّاد العبسى من معلقته التى مطلعها : (٢)

هل غادَرَ الشّعراءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ أم هلْ عَرَفْتَ الدارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ (٣)

* * *

أَثْنِي عليَّ بما علِمتِ ؛ فإنّنِي سَمْحٌ مُخالَقَتِي إذا لم أُظْلَمِ (٤)

فاذا ظُلِمْتُ فإنّ ظُلْمِيَ باسلٌ مُرٌّ مَذاقَتُه كطعمِ العَلْقَمِ (٥)

= بالسلاح ، والتشمير فى الأمر (المعنى) أننا يوم خوفنا على أبنائنا من إغارة أعدائنا علينا نستعد للقتال مبكرين وننشر خيلنا فى الأرض فرقا وجماعات للدفاع عنهم ، وفى يوم أمننا عليهم نبادئ نحن غيرنا من الأعداء بالإغارة عليه مبعدين فيها ، منشمرين لها ، مدججين بالأسلحة ؛ فالقتال دأبنا فى الخوف والأمن .

(١) الرأس : الحى الذين لايحتاجون إلى إعانة أحد ، أو الرأس : رئيس القوم وسيدهم ، وجشم ابن بكر أحد أجداد الشاعر (المعنى) أننا عند إمعاننا فى الغارة نغير على أعدائنا بحى من بنى جشم بن بكر لا يحتاجون الى نجدة غيرهم ، فندق بهم السهول والأوعار ، أو نغير عليهم يقودنا فارس هذه صفته .

(٢) هو أحد فرسان العرب وأغربتها (سودانها) وأجوادها وشعرائها المشهورين بالفخر والحماسة ، وأمه أمة حبشية يقال لها « زبيبة » على وزن كبيرة . وكان أبوه وأهله يعدّونه فى عداد العبيد على عادتهم فى أبنائهم المولدين من الإماء ؛ فكان يرعى إبلهم وخيلهم ، ولكنه كره ذلك ، ومارس الفروسية ، وأنقذ قومه من المهالك فى غارات أعدائهم عليهم ، وأعتقه أبوه ، وخاض مع قومه أكثر الوقائع ، ومنها حروب داحس والغبراء . حتى صار فارس عبس الأوحد ، وضرب به المثل فى الشجاعة . ومات قبيل الإسلام .

(٣) غادر بمعنى ترك و (من) زائدة . والمتردم : اسم مفعول من تردم ثوبه بمعنى أصلحه ورقعه . و (أم) بمعنى بل للإضراب . والتوهم : التفرّس . (المعنى) هل ترك الشعراء شيئا من الشعر لم يصلحوه ويهذبوه أو معنى لم يسبقوا اليه حتى يتهيأ لمثلى أن يأتى به . ثم خاطب نفسه وقال : بل هل عرفت دار محبوبتك بعد تفرّسك فى آثارها .

(٤) المخالقة : المعاشرة بخلق حسن .

(٥) الباسل هنا الكريه ، والبشع الطعم . والعلقم : الحنظل وكل شىء مر الطعم جدا .

ولقد شرِبْتُ من المُدامةِ بعْدَ ما ... رَكَدَ الهـــواجرُ بالْمَشُوفِ المُعْلَمِ (١)
بِزُجاجةٍ صفراءَ ذاتِ أَسِرَّةٍ ... قُرِنَتْ بأزهرَ فى الشمال مُفَدَّمِ (٢)
فاذا شَرِبتُ فإنّنى مستهلكٌ ... مالى ، وعِرضى وافرٌ لم يُكْلَمِ (٣)
واذا صحَوتُ فما أُقَصِّرُ عن نَدًى ... وكما علِمتِ شمائلى وتكرُّمى
وحَليلِ غانيةٍ تركتُ مُجَدَّلًا ... تمكو فريصتُهُ كشِدْقِ الأَعلَمِ (٤)
عجِلتْ يداىَ له بِمارِقِ طَعْنةٍ ... ورَشاشِ نافذةٍ كلون العَنْدَمِ (٥)
هلَّا سألتِ القومَ يابنةَ مالكٍ ... إنْ كنتِ جاهلةً بما لم تعلَمى

(١) الهواجر : جمع هاجرة ، وهى نصف النهار عند زوال الشمس أو من زوالها الى العصر . ومعنى ركود الهواجر سكونها ؛ أى سكون الناس فيها فى بيوتهم . والمشوف : المجلو . والمعلم : المنقوش ، وأراد به القدح الذى شرب به الخمر ، أو الدينار ، أو الدرهم الذى اشتراها به ، والأقرب الأوّل ؛ لأن البيت الآتى يوضحه .

(٢) الزجاجة الصفراء : يريد بها القدح ، وصفرتها آتية من صفرة الخمرة . والأسرة جمع سرار بالكسر ، وهو الخط فى بطن الكف أو الوجه والجبهة ، والمراد بها الحزوز والخطوط والطرائق . والأزهر : الأبيض الحسن يريد به الأبريق . والمفدم : الذى عليه الفدام ، وهى المصفاة تكون على فم الأبريق . (المعنى) ولقد شربت المدامة بزجاجة صفراء أى كأس صفراء مقرونة بإبريق أبيض ركبت على فمه مصفاة كان فى جهة الشمال من الكأس أو فى شمال الساقى .

(٣) وافر أى تام سليم لم يجرح بسب أو طعن فيه .

(٤) مجدلا : صريعا على الجدالة وهى الأرض . وتمكو : تصفر وتصوّت . والفريصة : العضلة التى ترعد من جسم الدابة أو الإنسان اذا خاف . والأعلم : المشقوق الشفة العليا . (المعنى) ورب زوج غانية حسناء قتلته ، وتركته صريعا على الأرض تصوّت فريصته من شدّة انفجار الدم منها بعد طعنه فيها مشبهة فى سعتها شدق الرجل الأعلم .

(٥) المرق : الطعن ، ومارق طعنة : أى بطعنة عاجلة . ورشاش نافذة : أى ورشاش طعنة نافذة الى الجوف ، ولون هذا الرشاش كلون الصبغ الأحمر المسمى العندم .

إذ لا أزالُ على رِحالةِ سابحٍ نَهْدٍ تَعاوَرُهُ الكُماةُ مُكَلَّمِ (١)
طورًا يُعرَّضُ للطعانِ، وتارةً يأوِى إلى حَصَدِ القِسىِّ عَرَمْرَمِ (٢)
يُخْبِرْكَ مَنْ شهِدَ الوقائعَ أنني أغشَى الوغَى وأعِفُّ عند المغنَمِ (٣)
ومُدَجَّجٍ كَرِهَ الكُماةُ نِزالَهُ لا مُمْعِنٍ هَرَبًا ولا مستسلِمِ (٤)
جادت يدَاىَ له بِعاجِلِ طعنةٍ بِمُثَقَّفٍ صَدْقِ القَناةِ مُقَوَّمِ
بِرَحِيبةِ الفَرْغَيْنِ يَهدِى جَرْسُها بالليلِ مُعْتَسَّ السِّباعِ الضُّرَّمِ (٥)
فشَكَكْتُ بالرمحِ الطويلِ ثيابَهُ ليس الكريمُ على القَنا بمُحرَّمِ (٦)

(١) الرحالة : سرج كان يعمل من جلود الغنم بأصوافها ؛ يتخذ للجرى الشديد ليس له قربوس ولا مؤخرة . والسابح : الفرس الذى يبسط يديه معا عند العدو . والنهد : الغليظ الصدر ، وتعاوره الكماة أى تتعاوره وتتناوبه الفرسان التامو السلاح بالطعن ، والكماة : جمع كمى ، والمكلم المجرح .

(٢) الحصد من القسى : المحكم فتل أوتاره وربطها . والشىء العرمرم : الكثير . (المعنى) هذا الفرس يهيأ مرة لمقابلة الطعان ، وتارة للقسى المتينة الكثيرة ؛ فهو مدرب على الحروب .

(٣) يخبرك مجزوم فى جواب (هلا سألت) لأنه بمنزلة الأمر .

(٤) المدجج بالسلاح : الذى ستربه أى أنه تام السلاح مثل الكمى و(هربا) منصوب على أنه مفعول مطلق لأن أمعن يتعدّى بفى فكان حقه فى غير الشعر أن يكون لا ممعن فى الهرب ، ولكن لما كان لفظ ممعن يراد به معنى الهارب كان بمنزلة لا أدعه تركا (المعنى) ورب فارس تام السلاح تكره الأبطال التامو السلاح مثله نزاله ، وهو لا يهرب من الأعداء لجبنه ، ولا يستسلم لهم فيأسروه ، قتلته بطعنة عاجلة من رمح مثقف مقوّم صدق القناة صلبها مستويها .

(٥) برحيبة الفرغين : بيان لقوله (بعاجل طعنة) ، ورحيبة : واسعة . والفرغ : مصب الماء من الدلو ، وللدلو فرغان . والجرس : الصوت . والمعتس من السباع : الطالب الشىء ليلا . والضرم : الجياع (المعنى) جادت يداى له بطعنة شقت من جسمه كالدلو الواسعة المصبين يهدى خرير الدماء منها جياع السباع الى قتيلها فتأتى لتأكله .

(٦) قالوا إن الثياب هنا كناية عن القلب لأن الرجل لا يقتل بشك الثياب وإنما المراد : أن الرمح شق ثيابه وخرق صدره وقلبه .

وتركته جَزَرَ السباع يَنُشْنه ما بين قُلَّة رأسه والمِعصَم (١)
ومِشَكِّ سابِغةٍ هَتَكْتُ فُروجَها بالسيف عن حامى الحقيقة مُعْلَمِ (٢)
رَبِذٍ يَداهُ بالقِداح إذا شَتَا هتَّاكِ غاياتِ التِّجارِ مُلَوَّمِ (٣)
بَطَلٍ كأنَّ ثِيابَه فى سَرْحةٍ يُحْذَى نِعالَ السِّبتِ ليس بِتَوْءَم (٤)
لما رآنى قد قصدتُ أريده أبدَى نواجذَه لغيرِ تَبَسُّم (٥)
فطعنتُه بالرمح، ثم عَلَوْتُه بمهنَّدٍ صافى الحديدة مِخْذَم (٦)

(١) الجزر : جمع جزرة، وهى الشاة تذبح أو الناقة . وينشنه : يعنى يتناولنه بالأكل من رأسه الى يده .

(٢) المشك : الدرع التى أحكم اتصال حلقها ومساميرها، صفة جاءت على وزن مفعل كمسعر ومغشم، مشتقة من الشك بمعنى اللزوم واللصوق وشدّة الاتصال . والسابغة : الدرع الطويلة . ومعنى (هتكت فروجها) : شققت منافذها بالسيف . والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه من الأهل والمال . والمعلم الذى أعلم نفسه فى الحرب بعلامة فلا يتنكر لجبنه (المعنى) ورب درع سابغة ملتصقة الحلقات ضيقة المنافذ شققتها بضربة من سيفى، فانكشفت عن جسم فارس حام لأهله وقومه، لا يتنكر فى الحرب بل يعلم نفسه بعلامة يعرف بها من فرط شجاعته .

(٣) الربذ : السريع الضرب بالقداح، والغايات : الرايات، والمراد بالتجار هنا تجار الخمر (المعنى) يصف هذا الفارس الذى هتك درعه بأنه كان كريما حاذقا يلعب القمار والميسر وخاصة فى الشتاء؛ لأنه زمن الجدب فى بلاد العرب . فاذا نزل تجار الخمور بحيه ونصبوا راياتهم وعلاماتهم جاء فاشترى الخمر كلها لأصحابه، فيقلعون راياتهم، ويذهبون فيأكل الناس من الجزور التى كسبها أو خسرها ويشربون من الخمر فيكثر لوم أهله ونصحائه له على إتلافه ماله، وهى صفات يفتخر بها أهل الفتوة من الأعراب .

(٤) السرحة : الشجرة الطويلة العظيمة غير الشائكة . والسبت بالكسر : جلود البقر أو كل نعال مدبوغة بالقرظ . والتوءم المولود مع غيره فى بطن واحد . يصف قتيله بالطول والضخامة والغنى وبأنه ليس من صعاليك الأعراب الذين يحتذون النعال غير المدبوغة وانه ليس بتوءم اذ التوءم يكون ضعيفا غالبا .

(٥) النواجذ : جمع ناجذ، وهو آخر الأضراس : أى فتح فمه من الفزع فبدت نواجذه .

(٦) أى علوته بسيف من صنع الهند قاطع .

عهـدى به شَدَّ النهارِ كأنما خُضِبَ البَنانُ ورأسُـه بالعِظْلِم (١)

إلى أن قال :

نُبِّئْتُ عَمْـرًا غيرَ شاكرِ نِعـمَتِي والكُفْر مَخْبَثةٌ لنفسِ المنعـم (٢)

ولقد حفِظتُ وَصاةَ عمِّي بالضحى إذ تَقْلِصُ الشَّفتانِ عن وَضَحِ الفَمِ (٣)

فى حَوْمة الموت التى لا تَشْـتكِي غَمـراتِها الأبطـالُ غيرَ تغمغُـم (٤)

إذ يتَّقونَ بِىَ الأسِنّةَ لم أخِمْ عنهـا، ولو أنّى تضايقَ مُقْـدَمى (٥)

لمـا رأيتُ القـومَ أقبـلَ جمعُهمْ يتـذامرون كَرَرْتُ غيرَ مذَمَّم (٦)

يَدْعُونَ عنترَ، والرماحُ كأنها أشطانُ بِئرٍ فى لَبـانِ الأدهم (٧)

(١) (عهدى به) مبتدأ وخبر، و(شدّ النهار) أى عند شدّ النهار، أى عند ارتفاعه، وهو وقت الضحى. والعظلم : نبات النيلج تصبغ الثياب بعصارته، فيكون لونها أسود الى زرقة . أى أن دم هذا القتيل جف على رأسه وأصابعه فاسود فصار كصبغ النيلج (النيلة) .

(٢) كفر النعمة : جحودها . و(مخبثة) مصدر ميمى من خبث ضد طاب . أى أن كفران عمرو هذا لنعمة الشاعر أفسد نفسه عليه فمقته وكرهه .

(٣) تقلص : تقصر وترتفع — أى حفظ وصـية عمه بثباته وصبره عند ما حاربوا أعداءهم وقت الضحى، وقد انكشفت الشفتان من كل محارب عن بياض فمه، أى عن أسنانه .

(٤) حومة كل شيء : معظمه، أى فى ساحة الموت العظيمة . والغمرات : الشدائد . والتغمغم : الصوت يسمع ولا يفهم .

(٥) لم أخم أى لم أجبن، بل أقدم عليها ولو كان الموضع الذى أقدم عليـه أمامى متضايقا من تزاحم الأعداء بهجومهم علىّ .

(٦) يتـذامرون : أى يحض بعضهم بعضا على القتال، فعنـدئذ عطفت عليهم غير مذموم على عملى بل ممدوحا عليه .

(٧) عنتر : أى ياعنترة حذفت التاء للترخيم، وروى المبرد أنه كان يسمى عنترا أيضا . والأشطان : جمع شطن، وهى الحبال الطويلة الشديدة الفتل . واللبان : الصدر . والأدهم : فرسه .

ما زلت أرميهـــمْ بِثُغْرة نَحْـرِهِ ولَبـانه حتى تَســرْبَلَ بالدمِ (١)
فازورَّ من وَقْعِ القنـا بلَبانه وشــكا إلىّ بِعَـبْرة وتَحمحُم (٢)
لو كانَ يدرِى ما المحاورةُ اشتكى ولَكانَ لو علِمَ الكلامَ مُكَلِّمِى
والخيــلُ تقتحم الخَبـارَ عوابسًا من بَيْنِ شَيظَمة وأجردَ شــيظم (٣)
ولقد شفَى نفسى ، وأبرأَ سُقْمَها قِيلُ الفوارسِ : وَيْكَ عنترَ أَقْدِمِ (٤)
ذُلُلٌ جِمالى حيثُ شِئتُ ، مشايعى لُبِّى ، وأَحفِــزُه بِرأيٍ مُبْرَم (٥)
إنّى عدانى أن أزورَكِ فاعلَمِى ماقد علمتِ ، وبعضُ مالم تعلَمِى (٦)
حالت رماحُ بَنى بَغِيضٍ دونكمْ وزَوَتْ جَوانِى الحربِ مَنْ لم يُجرِمِ (٧)

(١) أى بنقرة نحره .

(٢) العبرة : تَرَدّد البكاء فى الصدر قبل أن تفيض الدمعة ، والتحمحم : الصوت المتقطع دون الصهيل ، و يفعله اذا طلب العلف ، أو رأى صاحبه الذى ألفه ، فاستأنس اليه .

(٣) الخبار : الأرض اللينة . والشيظم : الطويل . والأجرد : القصير الشعر ، وهما صفتا حسن للفرس الكريم .

(٤) ويك مركبة من (وى) وكاف الخطاب ، ووى تعجب ، كأنهـم قالوا : عجبا لك ! أقدم ! أو هى مخففة من ويلك ، أو ويحك .

(٥) الذلل : جمع ذلول ، وهو من الإبل وغيرها ضـد الصعب الحرون . ومشايعى قلبى أى متابعى ومشجعى . وأحفزه : أدفعه . والمبرم : المحكم . (المعنى) يصف نفسه بأنه رجل أسفار ، وأن جماله لذلك مذللة لتعوّدها السير لا يصعب أن يوجهها الى أى أرض . و يصف نفسه أيضا بأنه حاضر العقـل لا يعزب عقله فى أى حال من الأحوال ، بل هو أيضا يدفعه و يقويه برأى محكم .

(٦) المعنى : صرفنى عن زيارتك ما قد علمته من الأسباب ، وما لم تعلميه . وجملة (فاعلمى) معترضة .

(٧) بغيض بن ريث بن غطفان : أبو الحى الذى يجمع بين عبس وذبيان ، فكلاهما ابنا بغيض لها . وزواه زيا وزويا : نحاه ، وأبعده . والجوانى : جمع جانية من الجناية . (المعنى) صرح ببعض الأسـباب التى حالت دون زيارة محبوبته ، فقال : صرفنى عنك الحرب الناشـئة بين عبس وذبيان ، وصرفتنى عشائر القبيلتين بجناية بعض على بعض ، فاضطررت لمظاهرة قومى فى حروبهـم مع أنى لست من جناتها ، ولم يكن لى دخل فى الأسباب التى جرتها .

ولقــد كرَرْتُ المُهــرَ يَدْمَى نَحْرُه : حتى اتقتني الخيـــلُ بابْنَيْ حِذْيَم
ولقد خَشيتُ بأن أموتَ ولم تَدُرْ للحـــرب دائرةٌ على ابنَيْ ضَمْضَم
الشاتِمَيْ عِرضِي ، ولم أشْتِمْهُما والنــاذِرَيْنِ إذا لَمْ ألْقَهُما دَمِي (١)
إن يَفْعلا فلقـــد تركتُ أباهمـا جَزَرًا لِخامِعَـــةٍ ونَسْرٍ قَشْـــعَم (٢)

(٥) من معلقة لَبِيد بن ربيعة التى مطلعها : (٣)

عَفَتِ الديارُ : مَحَلُّها فمُقامُهـا بمِنًى ، تأبَّدَ غَولُهـا فرِجامُهـا (٤)

(١) يقال نذرت دم فلان : اذا أبحته لكل من يقدر على قتله .

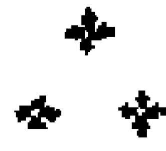
(٢) الخامعــة : الضبع كأن فى مشيها خمعا أى عرجا ، والقشعم : من النســور الكبير . (المعنى) إن ينذروا دمى فقد قتلت أباهما ضمضما وتركته جزور الضباع والنسور القشاعم .

(٣) هو أبو عقيل لبيد بن ربيعــة العامرى أحد أشراف الشعراء والقوّاد والمعمرين الأجواد ، وهو من بنى عامر بن صعصعة : إحدى القبائل المصرية ، وأمه عبسية ، وكانــ فى الجاهلية شجاعا فاتكا جوادا شاعرا ، شهد له النابغة ، وهو غلام ، بأنه أشعر هوازن حين سمع معلقته ، ولما ظهر الإسلام أسلم وتنسك وحفظ القرآن كله حتى لم يرو له فى الإسلام غير بيت واحد وهو :

ما عاتب الحر الكريم كنفسه والمرء يصلحه الجليس الصالح

ولما فتح المسلمون الأمصار سكن الكوفة حتى مات سنة إحدى وأربعين من الهجرة . قيل إنه عاش ثلاثين ومائة سنة ولبيد شاعر يجيد الفخر والرثاء فى لفظ جزل ومعنى بارع وحكمة وموعظة .

(٤) عفت الديار : درست ، ومحلها : بدل أو عطف بيان من الديار ، فمقامها معطوف على محلها ، والفاء هنا للترتيب الذكرى أى لعطف ما يحسن ذكره بعــد سابقه إذا تفاوتا بخصوص أو عموم أو تفصيل أو إجمال . إذ أن المحل (كما هنا) مكان الحلول أى النزول ولو لم تكن مدة النزول طويلة ، والمقام مكان الإقامة وهى الثبات والاستقرار فى المكان طويلا بأن يصيــر دار إقامة . وعند الجرمى — من كبار أئمة النحويين — أنها لا تفيد الترتيب فى الأماكن . والأشبه أن تكون هنا بمعنى (الى) كقوله تعالى : « إن الله لا يستحى أن يضرب مثلا ما بعوضة فما فوقها » أى من بعوضة الى ما فوقها . وتأبد : توحش ، وخلا من أهله . ومنى وغول ورجام : مواضع فى وسط نجد . وليست منى هنا (منى مكة) . (المعنى) دوس مكان النزول ومكان الإقامة من ديار أحبتنا بمنى متوحشا غولها ورجامها منهم .



أو لم تكن تدرى نَوارُ بأننى — وَصَّالُ عَقْـدِ حَبائلٍ جَذَّامُهـا (١)
تَرَّاكُ أمكنـــةٍ إذا لم أرضَهـا — أو يَعتلِقْ بعضَ النفوس حِمامُهـا (٢)
بل أنتِ لا تدرين كم من ليـلةٍ — طَلْقٍ لذيذٍ لَهْــوُها ونِدامُهـا (٣)
قد بِتُّ سامرَها ، وغايةِ تاجرٍ — وافيتُ إذْ رُفعتْ ، وعَزَّ مُدامُها (٤)
أُغْلِي السِّــباءَ بكلِّ أَدْكَنَ عاتقٍ — أو جَوْنةٍ قُدِحتْ وفُضَّ خِتامُها (٥)
وغداةِ ريحٍ قد وَزعْتُ وقِـــرَّةٍ — قد أَصبحتْ بيـد الشَّمالِ زِمامُها (٦)

(١) نوار : اسم امرأة ، والجذام : القطاع ، والحبائل : جمع حبالة : مصيدة الصائد وشركه . وهذا البيت وما بعده من الأبيات يتحدث بها عن مفاخر نفسه ومآثر قومه . (المعنى) أو لم تكن تعلم نوار بأننى رجل أخدع الناس بوصل عقد حبائلى وهم لا يخدعوننى ؛ فهم إن نصبوا حبائلهم قطعتها عليهم . و إذا أريد بالحبائل أسباب الشيء ودواعيه كان المعنى : أنى أصل من يستحق المواصلة وأقطع من يستحق القطيعة .

(٢) اعتلق الشيء تعلق به ، و(بعض النفوس) يريد به نفسه ، والحمام : الموت ، وفى جزم يعتلق هنا كلام عريض ، والأجود أن يكون معطوفا على لم أرضها وتكون (أو) للاضراب و يكون المعنى إنى تراك أمكنة إذا لم أرضها بل إذا لم تعقنى المنية أى أنى أتركها وقت كراهتى بل مدة حياتى .

(٣) التفت فى كلامه الى نوار وقال : (بل أنت ... البيت) والليـلة الطلق : التى لا حر ولا برد فيها يؤذيان ، والندام : المنادمة .

(٤) السامر : من يتحدث بالليل (وغاية تاجر) الغاية هنا : الراية ، والتاجر : الخمار يرفع رايته عند نزوله على الحى إعلانا للشراب . وغاية بالجر : معطوفة على ليـلة فى البيت السابق (المعنى) كم من ليلة طلق يلذ فيها اللهو والمنادمة قد بت المسامر فيها ؛ وكم من راية تاجر خمر وافيتها عند ما رفع التاجر رايته واشتريت مدامها عند ما عزت بارتفاع ثمنها لكثرة المشترين لها — يصف نفسه بأنه طيب الحـديث ، يحب اللهو والطرب ، و يبذل فى ذلك نفيس المـال .

(٥) السباء : شراء الخمر وجلبها ، ولا يستعمل لشراء غيرها . والأدكن : يريد به زق الخمر لأنه أغبر ، والعاتق : القديم . والجونة (بفتح الجيم) السوداء يريد بها الخابية ، وقدحت وفض ختامها : واحد .

(٦) الغداة : البكرة والصباح ، والقرة : البرد ، و وزعت : كففت ، والشمال أبرد الرياح (المعنى) ورب صباح يوم بارد ذى رياح قد أصبح زمام برده بيد ريح الشمال ؛ فهى تصرفه وتمعن فيه كيف شاءت ، قد كففته عن الإخوان بشرب الخمر والتدفئة والسماع : يتحدث بالفتوة والكرم .

بصَبُوحِ صافيةٍ وجَذْبِ كَرِينةٍ بمُوتَّرٍ تَأْتَالُه إبهامُها (١)
باكرتُ حاجتَها الدجاجَ بسُحرةٍ لأُعَلَّ منها حين هَبَّ نيامُها (٢)
ولقد حَميتُ الحيَّ تحمِلُ شِكَّتى فُرُطٌ، وِشاحى إذْ غدوتُ لجامُها (٣)
فعلَيتُ مرتقِبًا على مرهوبةٍ حَرِجٍ إلى أعلامهنَّ قَتَامُها (٤)
حتى إذا ألقتْ يدًا فى كافرٍ وأجنَّ عوراتِ الثغورِ ظَلامُها (٥)
أَسهلْتُ، وانتصبَتْ كجِذْعِ مُنيفةٍ جرداءَ يَحْصَرُ دونَها جُرَّامُها (٦)

(١) الصبوح : الشرب صباحا ، أى بشرب خمر صافية ، والكرينة : المغنية الضاربة بالعود ، والموتّر : العود لأنه ذو أوتار وتأتاله : تصلحه أى أنه يشرب الخمر ويتلهى بسماع مغنية عوادة .

(٢) حاجتها : أى حاجة الخمر : أى حاجته هو اليها ، وأضاف الحاجة الى الخمر توسعا ، والدجاج : يريد بها الديكة ، والعلل : الشرب بعد شرب (المعنى) استبقت بشربها صياح الديكة لأكرر شربها حين استيقظ نوامها أى سقاتها النائمون .

(٣) ثم أخذ يصف نفسه بالكفاية والغناء وحماية قومه وأصحابه فقال : (ولقد حميت الحى الخ) وشكّتى : جميع سلاحى ، يريد تحملنى شاكى السلاح ، وفرط : أى فرس تقدّم الخيل بى بحيث أصبح لجامها وشاحالى . وتوشح الفارس لجام فرسه : أن يلقيه على عاتقه ويخرج يده منه لتفرغ يداه كلتاهما للعمل بالسلاح .

(٤) عليت وعلوت واحد ، وعلى مرهوبة أى على جبال عالية ، وحرج : مرتفع فى تكاثف وتزاحم أو لاصق ودائم ، والقتام : الغبار .

(٥) والضمير فى ألقت يعود على الشمس المفهومة من المقام . والكافر : الساتر من أسماء الليل ، وأجن : ستر ، والثغر : موضع المخافة ، أى علوت على الجبال التى ينعقد فى أعاليها الغبار المتصاعد أو الضباب الحامل للغبار أرقب حركات العدو حراسة لأصحابى طول النهار ، حتى اذا ألقت الشمس يدها فى الليل ، وبدأت تغيب فيه ، وستر الظلام مواضع الخوف من نواحى العدو ، ولم يعد لمراقبتى فوق الجبل فائدة نزلت الى السهل .

(٦) أسهلت : نزلت الى السهل . (وكجذع منيفة) : أى كجذع نخلة مرتفعة ، وجرداء : خالية من الكرب ملساء ، ويحصر : يكل ويضجر ، وجرامها : قطاع ثمارها عند نضجها (المعنى) عند ما أسهلت مرحت فرسى ونشطت وانتصبت كأنها جذع نخلة عالية ملساء يضجر ويتعب دون الوصول الى رأسها من يجذ أعذاقها — ثم أخذ فى بقية وصف الفرس بالأبيات الثلاثة الآتية .

وفَّعتها طَــرَدَ النَّعــامِ وشَـــلَّهُ ... حتى اذا سَخِنتْ ، وخفَّ عظامها (١)

قلقتْ رِحالتُها وأسـبَلَ نَحْـــرُها ... وابتــلَّ مِن زَبَدِ الحمـــيم حِزامُها (٢)

تَرقَى ، وتَطعَنُ فى العِنان ، وتنتحى ... وِرْدَ الحمــامة إذ أجَدَّ حَمــامها (٣)

وكثيرةٍ غُرَباؤُها مجهــولةٍ ... تُرجَى نوافلُها ويُخشَى ذامُهــا (٤)

غُلْبٍ ، تَشَــذَّرُ بالذُّحول ، كأنَّهــا ... جِنُّ البَـــدِىِّ رواسيًا أقدامُها (٥)

أنكرتُ باطلَها ، وبُؤتُ بحقها ... عنــدى ، ولم يفخَــر علىَّ كِرامها (٦)

(١ و ٢) رفعتها : أى جعلتها تعدو العدو المسمى بالمرفوع ، وهو فوق العدو الموضوع ، وهما مصدران جاءا على وزن المفعول كالميسور والمعسور ، وطرد النعام : عدوه . والشل : الطرد ، وخف عظامها : أى خف قصب قوائمها بمعنى أسرعت ، والرحالة : سرج كان يعمل من جلود الشاة بصـوفها لا قربوس له ولا مؤخرة يتخذ للجرى الشديد ، وأسبل نحرها : أى سال بالعرق . والحميم : العرق (المعنى) طردتها طرد النعام حتى اذا حميت واشـتدت سرعتها اضطرب سرجهـا عن مكانه وسال نحرها بالعرق وابتـل حزامها من زبده .

(٣) ترقى : ترفع رأسها ، وتطعن أى تعتمد فى العنان كما يعتمد الطاعن ، تنتحى أى تقصد ، ويريد بالحمامة هنا القطاة (المعنى) أن هـذه الفرس ترفع رأسها تارة وتخفضه فى العنانـ أخرى ، تمر فى سيرها مر القطاة الى المـاء وقد سبقها اليه جماعة حمام مسرعة فهى تجد مسرعة فى أثره .

(٤ و ٥ و ٦) هذه الأبيات الثلاثة يصف فيها نفســه بالشجاعة والانتصاف من الأعداء الأقوياء قال (وكثيرة غرباؤها مجهولة) : أى ورب كتيبة كثيرة الغـرباء ؛ لمـا يحضرها من ألوان الناس مجهولة العاقبة ، ونوافلها : غنائمها والنصر فيها ، وذامها : عيبها وعار هزيمتها ، وغلب : جمع أغلب وهو الغليظ العنق وهو كناية عن قوة البدن ، وتشـذر بالذحول : تتهدد وتتوعد بالأحقاد والثارات . والبدى هنا : واد لبـنى عامر يحسب أنه كان موحشا . وبؤت بحقها انصرفت به (المعـنى) ورب كتيبة حرب كثيرة المقاتلة المختلفة الأنساب والألوان مجهولة العاقبــة بحيث ترجى مغانمها وأنفالهـا بالظفر فيها ويخشى عار الهزيمة منها ، ومقاتلتها غلاظ الأعناق تتهدد وتتوعد بأخذ الثار كأنها جن البدى راسخة الأقدام فى القتال تلك الكتيبة التى صفاتها ما ذكرت قد انتصفت منها ؛ فأنكرت باطلها المزعوم عليها ، وفزت فيها بالحق بمحض عزتى وحسن بلائى لا بمعونة كرامها ومنهم على .

وجزورِ أيسارٍ دعوتُ لحتفها بمغالقٍ متشابهٍ أجسامُها (١)
أدعُو بهنّ لعاقرٍ أو مُطفلٍ بُذِلَتْ لجيرانِ الجميع لِحامُها (٢)
فالضيف والجار الجنيب كأنما هبطا تَبالة مُخصِبا أهضامها (٣)
تأْوى الى الأطناب كلُّ رَذيَّةٍ مثلِ البَلِيَّةِ قالصٍ أهْدامُها (٤)
ويُكلِّلون اذا الرياحُ تناوحتْ خُلُجًا، تُمَدُّ شوارعًا أيتامُها (٥)

(١ و ٢) يصف فى الأبيات الخمسة الآتية نفسه بأنه متلاف للمال يلعب الميسر بالجزور ويطعم لحومها الجيران والضيفان والأرامل والأيتام وكان ذلك عندهم من الكرم والفتوة — الجزور : الناقة تشترى للذبح ، والأيسار : جمع يسر وهو الذى يضرب بالقداح ، وهى أعواد تسوى وتوضع عليها علامات الكسب والخسارة فى القمار ، والمغالق من نعوت قداح الميسر التى يكون لها الفوز ، (أدعو بهن) أى بالمغالق ، (لعاقر أو مطفل) أى للعب بها على جزور عاقر فتكون سمينة أو لجزور ذات طفل فتكون أغلى ثمنا ، ولحامها أى لحومها جمع لحم (المعنى) ورب جزور مقامرين دعوت من أجل نحرها سواء كانت عاقرا أم مطفلا بقداح متشابهة العلامات فائزة عند اللعب بها — تبذل لحومها لجيران الجميع .

(٣) تبالة : بلد بين اليمن والحجاز (فى العسير) أهضامها ، أى وديانها وهى من أخصب بلاد العرب (المعنى) أى أن ضيفه وجاره القريب يكونان من الخصب بمنزلة من نزل تبالة . ومن أمثالهم ، ما حللت تبالة لتحرم الأضياف .

(٤) الأطناب : جمع طنب وهى حبال الخيام ، والرذية : المرأة الضعيفة جوعا أو الأرملة البائسة ، والبلية فى الأصل : الناقة يموت صاحبها ، فتشدّ عند قبره حتى تموت ، و يقولون إنه يبعث عليها فى القيامة ، و إنما يفعل ذلك من يعتقد منهم بحشر الأجساد ، وقالص : صفة لرذية . والأهدام : جمع هدم وهو الثوب الخلق البالى . (المعنى) تأوى الى أفنية خيامنا كل رذية بائسة توشك أن تموت جوعا وهزالا ، قصيرة الثياب البالية ، فتطعم .

(٥) الخلج : هنا الجفان الكبيرة ، وتمد أى يزاد فيها ، وشوارعا : نعت للخلج ، والشوارع التى ترد الشريعة وهى منهل الماء ، ويريد بها هنا اليتامى من الناس . (المعنى) أنه يطعم المعوزين والأرامل واليتامى لحوما يكللون بها جفانهم عند تناوح الرياح واشتداد هبوبها من كل ناحية وذلك فى الشتاء ، وهو زمن الجهد عندهم .

(٦) قال النابغة الذبيانى : (١)

كِليني لهـــم يا أُمَيْمـــةُ ناصبِ ... وليلٍ أُقاســـيه بطيءِ الكواكبِ (٢)
تطاوَلَ، حتى قلتُ ليس بمُنقضٍ ... وليس الذى يرعَى النجومَ بآيبِ (٣)
وصَـــدْرٍ أراحَ الليلُ عازبَ هَمِّهِ ... تضاعفَ فيه الحزنُ من كلِّ جانبِ (٤)
علىّ لعَمْرٍو نعمـــةٌ بعدَ نعمـــةٍ ... لوالدِه ليستْ بذاتِ عقـاربِ (٥)

(١) هو أبو أمامة زياد بن معاوية أحد أشراف قبيلة ذبيان من القبائل المضرية وأحد فحول شعراء الجاهلية . لقب بالنابغة لنبوغه فى الشعر فجاءة وهو كبير . وهو ممن تكسب بالشعر فى الجاهلية ، ولكنه آثر مدح الملوك : ملوك المناذرة بالحيرة والغساسنة بالشام ، وكان ممن مدحهم من الأولين النعمان بن المنذر، فقربه اليـه ، ثم وشى به عنـده ، وهم بقتله ، ففر الى ملوك الشام . فمدحهم ، ولم يطب مقامه بالشام ، فعاد يستعطف النعمان بقصائد رائعة كانت سببا فى عفوه عنه . وطال عمر النابغة ، ومات قبيل الإسلام . ويعده كثير من أصحاب المعلقات وأن معلقته هي قصيدته التى أوّلها :

يا دار ميـــة بالعلياء فالسند ... أقوت وطال عليها سالف الأمد

أو هى القصيدة التى أوّلها :

عوجوا لخيوا لنعم دمنة الدار ... ما ذا تحيون من نؤى وأحجار

ومن أشهر قصائده القصيدة التى نشرحها وهى التى مدح بها عمرو بن الحارث الأصغر من ملوك بنى غسان بالشام .

(٢) كلينى لهم : أى دعينى وهى من وكله للشىء أى أسلمه له . وأميمة : اسم امرأة تصغير أم وناصب صفة لهم أى هم ذو نصب أو ناصب صاحبه . وبطىء الكواكب أى غروب كواكبه . توهم أن ليله بطىء الكواكب وأنه طويل لكثرة ما يقاسيه فيه من الهموم .

(٣) وليس الذى يرعى النجوم بآيب . أى وحتى قيل : ليس الذى « البيت » والذى يرعى النجوم يريد النجم الذى يتقدمها فيكون بمنزلة الراعى لها ويؤيد ذلك رواية (وليس الذى يهدى النجوم) وإياب النجوم والشمس مغيبها كأنها رجعت الى مبدئها ومسقطها : أى وحتى قيل إن أوّل النجوم الطالعة فى هذا الليل لا يغيب مع أنه سابقها فكان حقه أن يكون أوّل غائب . وكل ذلك كناية عن طول الليل .

(٤) وصـــدر : أى وكلينى أيضا لصدر . وأراح الليل : من الرواح وعازب : غائب . (المعنى) ودعينى أيضا وصدرى المتضاعف الحزن الذى أرجع هذا الليل ما كان غائبا من همه . ثم اقتضب الكلام اقتضابا وشرع فى مدح عمرو بن الحارث فقال (على لعمرو) .

(٥) عقارب النعمة : تكديرها بالمن والأذى . (المعنى) على لعمرو نعمة حديثة بعد نعمة قديمة لوالده لم يكدرهما منّ ولا أذى .

حلفتُ يميناً غيرَ ذى مَثْنَوِيَّةٍ ... ولا عِلْمَ إلا حسنُ ظَنٍّ بصاحِبِ (١)

لَئِنْ كان لِلقَبرينِ قبرٍ بِجِلِّقٍ ... وقبرٍ بصَيْدَاءَ الذى عنـد حارِبِ (٢)

وللحارثِ الجَفْنِيِّ سـيدِ قومه ... لَيَلْتَمِسَنْ بالجيش دارَ المحاربِ

وَثِقتُ له بالنصر إذْ قِيل قد غزَتْ ... كتائبُ من غسانَ غيرُ أشائبِ (٣)

بنـو عمِّه دُنْيَا، وعمْـرُو بنُ عامرٍ ... أولئك قـومٌ بأسُهم غيرُ كاذبِ (٤)

إذا ما غزَوْا بالجيش حَلَّقَ فوقَهمْ ... عصائبُ طيرٍ تهتـدى بعصائبِ (٥)

يُصاحِبْنَهم حتى يُغِـرْنَ مُغَارَهمْ ... من الضارياتِ بالدماءِ الدَّواربِ (٦)

تراهُنَّ خلْفَ القومِ خُزْراً عيونُها ... جلوسَ الشيوخِ فى ثيابِ المَرَانبِ (٧)

---

(١) أى حلفت يمينا لم استثن فيها، ولا علم لى بصحة هذه اليمين إلا ثقتى وحسن ظنى بصاحبى الذى أمدحه.

(٢) أى لئن كان الممدوح عمرو منسوبا لصاحبى هذين القبرين وهو الواقع. وجلق: اسم لدمشق. وصيداء: من مدن ساحل الشام. وحارب: موضع قريب منها، وذكر صفة صيداء باعتبار أنه بلد. وصاحبا القبرين: هما الأب، والجد الأول، والحارث الجفنى: هو الجد الثالث لأن الممدوح هو عمرو ابن يزيد بن الحارث الأعرج بن الحارث الأكبر بن أبى شمر الجفنى لأنه سيد آل جفنة. (المعنى) لئن كان هذا الممدوح ابن هؤلاء الملوك العظام (وهو يعلم أنه ابنهم وإنما بالغ فى المدح) ليبلغن مبلغهم وليطلبن بجيشه أعداءه فيغزوهم فى عقر دارهم كما كان آباؤه وأجداده يفعلون.

(٣) أشائب: جمع أشابة وهم الأخلاط، أى أن هذه الكتائب كلها من صلب غسان.

(٤) أى أن هذه القبائل هم بنو عمه الأدنون، وبنو عمه الأبعدون فى القرابة وهم بنو عمرو بن عامر.

(٥) أى اذا غزوا حلقت عليهم جماعات النسور والعقبان والرخم لتأكل ممن يقتلونهم.

(٦) أى تسير جماعات الطير معهم كأنها تغير باغارتهم على الأعداء ضاريات متدربات على دماء القتلى.

(٧) خزرا: جمع أخزر وخزراء، أى ضيقة العيون خلقة، أو أنها تتخازر أى تقبض أجفانها لتحدد النظر. جلوس الشيوخ الخ. أى أنها عند اشتداد القتال تقع على أعالى الارض والهضاب كأنها فى ريشها ووقوفها وتحديد النظر ترقب القتلى جالسة جلوس الشيوخ إذا التفوا بأكسية المرانب يحددون النظر الى شىء بعيد. والمرانب: جمع مرنبانى وهو الثوب المبطن بفراء الأرانب.

جـوانحَ قد أيْقنّ أنّ قَبيلَهُ ... إذا ما التقى الجمعـانِ أوّلُ غالب (١)
لهُنّ عليهـــمْ عادةٌ قـــد عرَفْنَها ... إذا عُرِّض الخَطّيُّ فوقَ الكواثب (٢)
على عارفاتٍ للطعانِ عوابسٍ ... بهنّ كلــومٌ بينَ دامٍ وجالب (٣)
اذا استُنزِلُوا عنهن للطعْن أرقلوا ... إلى الموت إرقالَ الجمالِ المَصاعب (٤)
فهـــمْ يتساقَوْنَ المنيــةَ بينهـــمْ ... بأيديهـــمُ بيضٌ رِقاقُ المضارب (٥)
تَطـيرُ فُضاضًا بينهـا كلُّ قَوْنَسٍ ... و يتبعُها منهـمْ فَراشُ الحواجب (٦)
ولا عَيْبَ فيهمْ غيرَ أن سـيوفَهم ... بهن فُلولٌ من قِراعِ الكتائب (٧)

(١) جوانح : أى مائلات للوقوع .

(٢) أى القنا الخطى المنسوب الى الخط بلد بالبحرين . والكواثب : جمع كاثبة ، وهى من جسم الفرس ما تحت الكاهل الى الظهر بحيث اذا نصب عليه السرج كانت أمام القربوس يضع الفارس عليها رمحه مستعرضا : أى اعتادت الطير أن الرماح اذا عرضت على الكواثب كان ذلك لرزق يساق إليها .

(٣) على عارفات : أى على خيول صابرات لطعان الأعداء عابسات الوجوه . والكلوم : الجراح . والدامى : الذى يسيل دما . والجالب : اليابس الذى نشأت عليه جلبة يابسة .

(٤) أرقلوا : أسرعوا . والجمل المصعب : الفحل الصعب . (المعنى) اذا أنزل هؤلاء الأقوام عن هذه الخيول لضيق فى المكان ، ووقع الالتحام — أسرعوا الى الموت على أرجلهم كأنهم الجمال المصاعب .

(٥) يتساقون : أى يسقى بعضهم بعضا .

(٦) الفضاض : ما انفض وتفرق . والقونس أعلى البيضة التى توضع على الرأس من الفولاذ . وفراش الحواجب أى فراش الجمجمة وهى العظام الرقاق التى تكون أسفل الجمجمة فوق الحنك والحلق . والضمير فى يتبعها يعود على (كل قونس) لأنه فى معنى الجمع — كقوله تعالى : « وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق » — وهو القوانس (المعنى) يطير بين هـذه السيوف قوانس الفرسان فضاضا ، ويتبع هذه القوانس فى الطيران فراش جماجم الفرسان .

(٧) الفلول : جمع فل ، وهو الثلمة فى حد السيف . والقراع : المضاربة بالسيوف . وهذا الاستثناء سماه ابن المعتز تأكيد المدح بما يشبه الذم إذ أن انفلالها من قراع الكتائب فخر وفضل ؛ لأنه دليل على صبرهم وشجاعتهم وكثرة ضربهم للأعداء .

تُورِّثْنَ من أزمانِ يومِ حليمةٍ ... إلى اليومِ قد جُرِّبْنَ كلَّ التجارب (١)
تَقُدُّ السَّلوقِيَّ المضاعَفَ نسجُه ... وتوقِدُ بالصُّفَّاحِ نارَ الحُباحِب (٢)
بضربٍ يُزيلُ الهامَ عن سَكَناتِه ... وطعنٍ كايزاغِ المَخاضِ الضوارب (٣)
لهم شِيمةٌ لم يُعطِها اللهُ غيرَهم ... من الجود، والأحلامُ غيرُ عوازب (٤)
مَحلَّتُهم ذاتُ الإله، ودينُهم ... قويمٌ، فما يَرجُونَ غيرَ العواقب (٥)
رقاقُ النعالِ طَيِّبٌ حُجُزاتُهم ... يُحَيَّونَ بالرَّيحانِ يومَ السباسب (٦)

(١) أى أن هذه السيوف ورثت عن الآباء الذين حضروا يوم حليمة، وهو يوم انتصرت فيه الغساسنة على المناذرة . وحليمة هذه ابنة الحارث بن أبي شمر جدّ الممدوح الثالث وكانت ضمخت عسكر أبيها عند رجوعهم منصورين بالطيب فقيل فى المثل (ما يوم حليمة بسر) .

(٢) السلوق : أى الدرع السلوق . والدرع مؤنثة، وقد تذكر كما هنا، وهو منسوب الى بلد سلوقية من ساحل أنطاكية بالشام . والصفاح : الحجارة العراض، ونار الحباحب : شعاع يضيء بالليل من ذباب يسمى الحباحب (المعنى) أن هذه السيوف تقطع الدرع المضاعفة النسج واذا ضرب بها الحجارة قدحت شررا يتطاير كأنه نار الحباحب .

(٣) الهام : جمع هامة وهى الرأس، وسكناته : حيث يسكن و يستقر. والإيزاغ : دفع الناقة ببولها والمخاض : النوق الحوامل . والضوارب : التى تضرب بأرجلها (المعنى) اذا ضرب بهـا أزالت الهام عن الأعناق واذا طعن بها خرج الدم فى إثرها خروجا كاندفاع بول النوق الحوامل .

(٤) الأحلام : العقول . والعوازب : البعيدة أو الغائبة : أى أنهم أجواد حاضرو العقول .

(٥) يروى محلتهم ذات الإله ومجلتهم فمعنى الأولى مسكنهم دار نفس الإله يريد بيت المقدس والأرض المقدسة . ومعنى الثانية : كتاب حكمتهم ومقروؤهم ذات الإله . أى عبادة الإله . والعواقب : جمع عاقبة أى عاقبة أعمالهم جزاء الإله لهم عليها . يصفهم بأنهم متدينون .

(٦) رقاق النعال : أى أن نعالهم رقيقة لا يخصفونها طباقا، وذلك كناية عن قلة مشيهم لأنهم ملوك لا يمشون بل يركبون الخيل غالبا . وحجزة الأزار والسراويل : مجمع شدّهما على الوسط من الجسم، كناية عن عفتهم . والريحان الزهر الطيب الرائحة . والسباسب : يوم الشعانين، وهو يوم عيد عند النصارى وكان الممدوح نصرانيا، وذلك كناية عن رقة أمزجتهم وحسن أذواقهم أو محافظتهم على التقاليد المرعية .

تُحَيِّيهِـــمُ بيضُ الولائدِ بينهـــمْ وأكسيةُ الإِضْرِيجِ فوقَ المشاجب (١)

يَصونون أجسادًا قديمًـا نعيمُها بخالصةِ الاردانِ خُضرِ المناكب (٢)

ولا يحسَــبونَ الخيرَ لا شرَّ بعــدَه ولا يحســبون الشرَّ ضربةَ لازِب (٣)

حبوتُ بها غسانَ إذ كنتُ لاحقا بقومى ، وإذ أعيَتْ عَلَىَّ مذاهبى (٤)

(٧) قال أعشى قَيْس : (٥)

ودِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الركبَ مُرْتحِـلُ وهــل تطيقُ وَداعًا أيُّهـا الرجلُ (٦)

(١) الولائد : الإماء . والإضريج : الخز الأحمر اللون ، والخز : ثياب تنسج من الصوف المخلوط بالحرير ، والمشاجب : جمع مشجب ، وهو الأعواد تنشر عليها الثياب وتعلق . أى أنهم ملوك أهل نعمة خدمهم الولائد البيض ، وثيابهم ثمينة مصونة تعلق على المشاجب .

(٢) الأردان : جمع ردن ، وهو مقدم كم القميص (المعنى) يصونون أجسادهم العريقــة فى التنعم بثياب بيض الأردان خضر المناكب . وكان هذا الزى من لبس الملوك .

(٣) اللازب : الثابت اللّازم (المعنى) أنهم قد عرفوا تصرف الزمان وتقلبه ، فاذا أصابهم خير لم يثقوا بدوامه فيبطروا ، وإذا أصابهم شر لم يرهقهم ، وأيقنوا أنه لا يدوم فلم يقنطوا ؛ فوصفهم بالاعتدال .

(٤) أى حبوت بقصائدى غسان عند ما كنت لاحقا بقومى غير خائف من أحد وعند ما كنت خائفا هاربا من النعمان ، وضاقت على مذاهبى . أى أنهم خير من يمدحهم فى حالى الأمن والخوف .

(٥) هو أبو بصــير ميمون ، الأعشى بن قيس بن جندل القيسى البكرى ، أحد فحول شعراء الجاهلية ، والمتكسبين بالشعر منهــم ، وينتهى نسبه الى بكر بن وائل ، وكان يسكن أرض اليمامة فى قرية منها تسمى «منفوحة» ، قال الشعر وأجاده وذاع صيته ، ومدح الملوك والأجواد ، ومنهم المناذرة ، وملوك نجران ، حتى طمع فى جوائز كسرى فرحل اليه ومدحه ، وله شعر غزير جيد ، وقصائد مطوّلة ، وهو أحد المكثرين فى وصف الخمر ، وعرب فى شــعره كثيرا من الألفاظ الفارسية بعد دخوله أرض فارس . ولشعره حلاوة ورنة فى نفس سامعه حتى سمى صــناجة العرب ، ومات فى أوائل ظهور الإسلام . وعدّه كثير من أصحاب المعلقات ، وأن معلقته القصيدة اللامية التى مطلعها :

ما بكاء الكبير فى الأطلال وسؤالى وما ترد سـؤالى

وقيل : معلقته هى القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٦) هريرة اسم قينة كانت لرجل من آل عمرو بن مرثد أهداها الى قريب له ، فولدت خليدا الآتى ذكره فى شعره .

غَرَّاءُ فَرْعاءُ مصقولٌ عوارضُها … تمشي الهُوَيْنَى كما يمشي الوَجِي الوَحِلُ (١)

كأنّ مِشيتَها من بيتِ جارتِها … مَرُّ السحابةِ ، لا رَيْثٌ ولا عَجَلُ (٢)

تَسمعُ للحَلْيِ وَسْواسًا إذا انصرفتْ … كما استعانَ بريحٍ عِشْرِقٌ زَجِلُ (٣)

ليستْ كمن يَكرَه الجيرانُ طَلعتَها … ولا تراها لسرِّ الجارِ تختتِلُ (٤)

يكاد يَصْرَعُها (لولا تَشدُّدُها) … إذا تقومُ إلى جاراتِها ــ الكَسَلُ (٥)

إذا تقوم يَضُوعُ المِسْكُ أَصْوِرةً … والزَّنْبَقُ الوَرْدُ من أردانِها شَمِلُ (٦)

ما روضةٌ من رياضِ الحَزْنِ مُعشِبةٌ … خضراءُ جاد عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ (٧)

---

(١) الغراء : البيضاء الواسعة الجبين ، والفرعاء : الطويلة الفرع أي الشعر ، والعوارض هنا : الرباعيات والأنياب من الأسنان ، يريد أنها نقية الأسنان ، الوجى : الذي يشتكي حافره ولم يحف بعد ؛ فيكون مشيه متثاقلا ، فكيف اذا كان وحلا ؟ أي يمشي في الوحل . يعني : إن هذه الجارية لسمنها وتدللها تمشي متمهلة متمايلة .

(٢) الريث : البطء .

(٣) الوسواس : صوت الحلي ، والعشرق : شجيرة مقدار ذراع لها أكمام فيها حب صغار إذا جفت فمرت بها الريح تحرك الحب فسمع له خشخشة على الحصى . شبه وسواس حليها بصوته اذا ضربته الريح . والزجل : رفع الصوت بالطرب ، والزجل بالكسر صفة منه .

(٤) تختتل : أي تتسمعه استراقا .

(٥) يصفها بالسمن والترف ، وكانوا يمدحون المترفات بالكسل وقلة العمل في البيت لأنهن مخدومات منعمات .

(٦) يضوع المسك : أي تذهب رائحته هنا وهناك ، وأصورة : جمع صوار بالضم ، وهو نافجة المسك أو حقه ، والزنبق عند العرب : زيت الياسمين ، وأجوده ما كان يميل الى حمرة ، ولذلك وصفه بالورد . (المعنى) اذا قامت هذه الجارية تضوع منها المسك شديدة رائحته كأنما تضوع من عدة حقاق ، وكذلك كانت رائحة زيت الياسمين المنبعثة من أطراف أكمامها شاملة عامة للمكان الذي هي فيه .

(٧) الحزن : الأرض الغليظة ، والحزن المراد هنا : موضع ببلاد بني يربوع من اليمامة فيه رياض وقيعان .

يُضاحِكُ الشمسَ منها كوكبٌ شَرِقٌ ... مُؤَزَّرٌ بعَمِيمِ النبتِ مكتَهِل (١)
يومًا بأطيبَ منها نَشْرَ رائحةٍ ... ولا بأحسنَ منها إذ دنا الأُصُل (٢)
صدّت هريرةُ عنا ما تكلّمنا ... جهلًا بأم خليد، حبلَ مَنْ تَصِل؟ (٣)
أَئِن رأتْ رجلًا أعشى أضرّ به ... رَيبُ المنونِ ودهرٌ مُفْنِدٌ خَبِل (٤)
قالت هريرةُ لما جئتُ زائرَها: ... وَيْلِي عليك! ووَيْلِي منك يا رجل! (٥)
إما تَرَيْنا حُفاةً، لا نِعالَ لنا ... إنّا كذلك ما نَحْفَى وننتعل (٦)
وقد أقودُ الصِّبا يومًا، فيَتْبَعُني ... وقد يصاحبُني ذو الشِّرّةِ الغَزِل (٧)

(١) كوكب كل شيء: معظمه ويريد به هنا جماعة الزهر، أى يضاحك الشمس منها ويدور معها حيث دارت زهرها، أو يتفتح ويشرق عند شروقها، وهذا الزهر مؤزر أى يكتنفه نبات تام النمو ملتف عليه كالتفاف الإزار.

(٢) الأصل: جمع أصيل وهو من العصر الى الظلام، وخص هذا الوقت لأن الجو يبرد فيه فيهب النسيم حاملا رائحة الأزهار، يعنى أن رائحة الروضة الموصوفة بهذه الصفات الحسنة ليست بأفضل من رائحة هريرة.

(٣) أم خليد: كنية هريرة وقوله (حبل من تصل؟) استفهام تعجبى، يعنى. اذا هجرتنا ولم تكلمنا فمن تكلم إذن ؟ .

(٤) الأعشى: الذى لا يبصر بالليل، والمفند: الآتى بالفند وهو السفه فى الرأى، ومثله الخبال.

(٥) «ويلى عليك وويلى منك» أى أتفجع عليك لأنك تسعى بزيارتك لى فى هلاك نفسك، وأتفجع منك لأن زيارتك لى تجر إلى هلاكى. (المعنى) أمن أجل أن رأتنى هريرة رجلاً أعشى قد أهلك الموت أهله وخانه دهر سفيه مخبول تقول لى لما زرتها «ويلى عليك الخ».

(٦) ثم أخذ يعاتبها ويدفع عن نفسه بأن الصفات التى صدّت عنه من أجلها طارئة عليه بفعل الموت والزمان، وأنه كان شابا غنيا طروبا غزلا يشرب الخمر مع فتيان مثله ويستمع للقيان وينعم بهن فقال: «إما ترينا حفاة لا نعال لنا ... الخ» أى إن ترينا نتبذل مرة فنمشى حفاة فليس هذا دأبنا دائما فانا نمشى أيضا منتعلين فطورا نفتقر وطورا نغنى.

(٧) أقود الصبا الخ: أى أتصابى، وآتى بأفعال الفتيان، ويصحبنى منهم الغزل ذو الشرة، وهى نشاط الشباب.

وقد غدوتُ إلى الحانوت يتبعُنى ... شاوٍ مِشَلٌّ شَلُولٌ شُلْشُلٌ شَوِل (١)

فى فتيةٍ كسيوف الهند قد علموا ... أَنْ هَالِكٌ كُلُّ مَنْ يحفَى وينتعل (٢)

نازعتُهم قُضُبَ الرَّيحان متكئا ... وقهوةً مُزَّةً رَاوُوقُها خَضِل (٣)

لا يستفيقون منها، وهى راهنةٌ ... إلا بهاتِ، وإن عَلُّوا، وإن نَهِلوا (٤)

يسعىٰ بها ذو زجاجاتٍ له نَطَفٌ ... مُقَلِّصٌ أسفلَ السِّربال مُعْتَمِلُ (٥)

ومستجيبٍ تخالُ الصَّنْجَ يَسمعه ... إذا تُرَجِّعُ فيه القَيْنةُ الفُضُلُ (٦)

(١) الحانوت: بيت الخمار، والشاوى: الذى يشوى اللحم، والمشل: السوّاق الخفيف، والشلول والشلشل: الغلام الحار الرأس الخفيف الروح النشيط فى عمله، والشول: من يشوّل بالشىء الذى يشتريه المشترى، فيحمله له ويرفعه. (المعنى) قد أبكر الى حانة الخمار يتبعنى غلام طاه يشوى لى اللحم ويسوق دابتى سوقا حسنا، ويحمل لى ما أشتريه فى نشاط وخفة روح، وذكر هذه الألفاظ المتقاربة الحروف والمعانى مبالغة، ولكنها عيبت عليه.

(٢) أى كالسيوف فى المضاء والصرامة وأن مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن المحذوف وجملة خبرها «هالك كل من ... الخ» فهالك خبر مقدم وكل مبتدأ مؤخر. (المعنى) أى فى فتية قد علموا أن جميع الناس هالكون فهم يبتدرون اللذات خوف أن يفوتها الموت عليهم.

(٣) الريحان: كل زهر طيب الرائحة، ونازعتهم قضب الريحان: أتناولها مرة ويتناولونها أخرى؛ والقهوة: الخمرة، والراووق: الوعاء الذى تروق فيه الخمر، وخضل: دائم الندى لا يجف لكثرة شربهم.

(٤) راهنة: دائمة أمامهم أى لا ينتهون إلا اذا أبطأ عليهم الساقى فصاحوا به "هات" ولو شربوا عللا بعد نهل أى مرة بعد أخرى.

(٥) النطف: القرطة من اللؤلؤ، ومقلص: مشمر، والسربال: القميص، والمعتمل: النشيط. (المعنى) يسعى بالخمرة ساق يحمل زجاجاتها مقرط الأذن بلؤلؤ، مشمر ذيله معتمل نشيط.

(٦) ومستجيب: أى ورب عود طرب مستجيب لصوت الصنج كأنه يسمعه النغم فيجيبه بمحاكاته، أى أن العود والصنج متفقان فى النغم لا يشذ أحدهما عن الآخر. والصنج: دوائر رقاق من صفر يصفق بإحداهما على الأخرى وهى التى نسميها فى زماننا «الكاسات» وهو أيضا نوع من الآلات الوترية، وترجع: تردد النغم، والقينة: الأمة، وقيل: إذا كانت مغنية، والمرأة الفضل: التى تلبس ثوبا واحدا كأنها متبذلة.

والساحبـاتُ ذُيولَ الرَّيْطِ آونةً ... والرافـلاتُ على أعجازها العِجَلَ (١)
من كل ذلك يومٌ قـد لَهَوْتُ به ... وفى التجارب طولُ اللهوِ والغَزَلِ (٢)
أبلغْ يزيدَ بنى شَيْبانَ مَأْلُكَةً: ... أبَا ثُبَيْتٍ أمَا تنفـكُّ تأتَكِلُ (٣)
ألستَ منتهيـا عن نَحْتِ أثْلَتِنـا ... ولستَ ضائرَها ما أطَّتِ الإبِلُ (٤)
كَنَاطِحٍ صَخْـرةً يومًا لِيُوهِنَهـا ... فـلمْ يَضِرْها وأَوْهَى قَرْنَه الوعِلُ
تُغرِى بنـا رَهْطَ مسعودٍ وإخوتِهِ ... يومَ اللقـاءِ، فتُرْدِى، ثم تعـتزِلُ (٥)
لا أعرِفنَّكَ إن جَدّتْ عداوتُنـا ... والتُمِسَ النصرُ منكم عَوْضُ تُحتَمَلُ (٦)
تُلحِمُ أبناءَ ذِى الجدَّين إن غضبوا ... أرماحَنا، ثم تلقاهمْ، وتعـتزِلُ (٧)
لا تقعُدَنَّ، وقـد أكَّلتَها حَطَبًا ... تَعوذُ مِـن شرِّها يومًا وتبتهِـلُ (٨)

(١) والساحبات بالنصب على أنه مفعول لفعل مقدّر : أى وترى الساحبات ، أو على أنه معطوف على الصنج ، أى وتخال الصنج يسمعه وتخال الساحبات كذلك ، أى يوافقن فى غنائهنّ نغم العـود ، وبالرفع على تقدير وعندنا الساحبات ، والريط : الملاءات ، وآونة : جمع أوان . والرافلات : الجارّات لثيابهنّ خلفهنّ ، والعجل : القرب الصغيرة شبه بها أعجازهنّ .

(٢) أى لهوت وتغزلت طويلا فى تجاربى .

(٣) المألكة : الرسالة ، وتأتكل : يأكل بعضك بعضا من الغيظ .

(٤) أصل الأثلة الشجرة من الأثل ، والمراد بها هنا أصلنا ومجدنا المؤثل ، وأطت الإبل : أنت تعبا وحنينا . (المعنى) لست بضارنا أبد الدهر .

(٥) تغرى بنا رهط مسعود : أى تلصق العداوة بيننا وبينهم فتهلك الناس باغرائك ثم تعتزل القتال .

(٦) عوض : ظرف لمستقبل الزمان ضدّ قط التى هى للماضى ، تقول عوض لا أفارقك . أى لا أفارقك أبدا ، وتحتمل بالبناء للمجهول . أى يحتمل لونك أى يمتقع من الغضب والغيظ . أى لا أظنك إن احتدم الشر بيننا والتمس منك المساعدة تغضب للتمس وتنصره .

(٧) أى يجعلهم لحمة وطعاما لرماحنا وذو الجدّين : قيس بن مسعود من أشراف العرب .

(٨) أكلتها : أججتها ثم تعوذ بالله من شرها وتبتهل اليه فى اجتنابها .

سائل بنى أسـدٍ عنّا، فقد علموا أنْ سوف يأتيك من أنبائنا شَكَلُ (١)

واسأل قُشَـيْرًا وعبـدَ الله كلَّهمُ واسألْ ربيعةَ عنـا كيفَ نفتعِل (٢)

إنا نقـاتلُهم حـتى نُقتّلهـمْ عند اللقاءِ، وإن جارُوا، وإن جَهِلوا

قد كان فى آلِ كهفٍ إن همُ احتربوا والجاشرية مَنْ يسـعَى و ينتضل (٣)

إنى لعمـرُ الذى خطّتْ مَناسِمُها تَخْدى، وسِـيقَ اليه الباقِرُ الغُيُل (٤)

لئن قتلتم عميـدا لم يكن صَـدَدًا لنَقتُلَنْ مثـلَه منكم، فنمتثِل (٥)

لئن مُنِيتَ بنـا عن غِبِّ معركةٍ لا تُلْفِنَا عن دِماءِ القـومِ ننفتـل (٦)

لا تنتهون . ولن ينْهَى ذوو شطَطٍ كالطعنِ يذهب فيه الزَّيْتُ والفُتُل (٧)

---

(١) شكل : أزواج، أى خبر ثم خبر .

(٢) نأتى بالأمر العظيم المبتدع .

(٣) آل كهف والجاشرية : حيان من العرب ، أى لقد كان فى هذين الحيين من يسعى لأخذ ثاره ويناضل فادخولك أنت بينهم ولست منهم .

(٤) خطت : سفت التراب بمناسمها ، والمناسم : جمع منسم كمجلس ، طرف الخف من البعير وتخدى : تسرع فى السير مع اضطراب ، والباقر : البقر ، والغيل ككتب ، جمع غيول : الكثير من الإبل والبقر ونحوهما (المعنى) إنى أحلف بالله الذى ترحل إلى بيته إبل الحجيج مسرعة تثير التراب بمناسمها ويساق اليه البقر الكثير ليضحى به هديا يتقرب به إليه .

(٥) العميد : السيد ، وصدد الشيء : المقابل له أو القريب منه فنمتثل أى نتخير الأمثل فالأمثل. (المعنى) لئن قتلتم منا سيدا لم يكن فى رفعة الشأن مقاربا للقاتل لنقتلن به أفضل سيد فيكم .

(٦) منيت : أصبيت وابتليت بنا بعد معركة ، وننفتل : نلوى وننصرف (المعنى) لئن ابتليت بحربنا لا تجدنا نجحد دماء قومك ونتبرأ منها بل نعترف بها ونستعد لملاقاتكم عند ما تريدون أخذ الثار منا .

(٧) ينهى : ينتهى ، أى أنكم لا تنتهون عن أذانا ولن ينتهى ذو الجور والبغى العميق فى نفوسكم. كالطعنة الجائفة التى إذا عولجت بوضع الزيت والفتيل ذهب الزيت والفتيل فيها لغورها ولم يغن العلاج. وبقى الجرح بلا برء .

حتى يَظَلَّ عميـدُ القومِ مرتَفِقًا ... يَدْفَعُ بالرَّاحِ عنه نِسْـوةٌ عُجُـل (١)

أصابَهُ هِنـدُوانِىٌّ، فأقْصَـدَهُ ... أو ذابلٌ من رماح الخَطِّ معتدِل (٢)

كَلَّا ! زعمـتمْ بأنا لا نقاتلُكـم ... إنا لأمثـالِكم يا قومَنـا قُتُـل (٣)

نحن الفوارسُ يومَ الحِنْوِ ضاحِيةً ... جَنْبَي فُطَيْمَةَ لا مِيـلٌ ولا عُزُل (٤)

قالوا: الطعانُ. فقلنا: تلك عادتُنا، ... أو تنزِلونَ، فإنا مَعْشَرٌ نُزُل (٥)

قد نخضِبُ العَيْرَ فى مَكنونِ فائِلِه ... وقـد يَشيطُ على أرماحِنا البَطَل (٦)

(١) العجل: جمع عجول: المرأة الثكلى، أى لا تنتهون عن غيكم حتى نصرع سيد قومكم، فيظل معتمدا على مرفقه يهم بالقيام فلا يستطيع، وقد فزعته أنصاره أو قتلوا، ولم يبق مدافع عنه إلا نسوة ثكالى يدفعن عنه بأكفهن خشية أن تدوسه الأرجل.

(٢) الهندوانى: المنسوب الى الهند أى سيف هندوانى، وأقصده: أصابه فلم يخطئه. أو ذابل: أى رمح ذابل من رماح الخط وهى بلد فى البحرين تجلب منها الرماح.

(٣) قتل: جمع قتول أى قتال.

(٤) الحنو: المعوج من جبل و رمل ومن كل شىء: و يوم الحنو: من أيامهم ويسمى « حنو قراقر، وحنو ذى قار». وفطيمة: اسم موضع بالبحرين انتصر فيه قومه على بنى شيبان. وفعل الشىء ضاحية: أى علانية — والميل: جمع أميل وهو الذى لا يثبت فى القتال. والعزل: جمع أعزل وهو الذى لا سلاح معه وحركت الزاى بالضم (المعنى) نحن الفوارس المنتصرون علانية يوم الحنو بجانبى وأدى فطيمة حيث لم نكن ثمة فارين ولا عزلا من السلاح.

(٥) أى أو تنزلون عن خيولكم فنجالدكم بالسيوف بدل المطاعنة بالرماح فانا مثلكم نازلون.

(٦) العير: المراد به هنا حمار الوحش الذى يصاد بالرماح، والفائل: عرق يجرى من الجوف الى الفخذ. ومكنون فائله: الدم الذى ينفجر منه. ويشيط: يهلك (المعنى) اننا بصراء بمواضع الطعن فاذا كان الصيد والطرد طعنا حمار الوحش فى فائله فخضبنا العير بدمائه التى تنزف منه، واذا كان القتال طعنا الفارس فرفعناه على رماحنا.

(٨) قال طَرَفة بن العبد (١)

لخـــولةَ أَطلالٌ بِبُرقةِ ثَهْمَــدِ تلوحُ كباقي الوَشْم فى ظاهرِ اليــدِ (٢)
وقوفًا بهـا صَحْبِي علىَّ مَطِيَّهُــمْ يقولون : لا تَهْلِكْ أسًى وتَجَــلَّدِ (٣)
كأنَّ حُدوجَ المـالكيّةِ غُدْوةً خَلَايا سَـفِينٍ بالنواصفِ من دَدِ (٤)
عَدَوْلِيَّــةٌ أو مِن سَفِينِ ابنِ يَامِنٍ يَجورُ بها المَلّاحُ طَوْرًا، ويَهتدِى (٥)

(١) هو عمرو طرفة بن العبد البكرى أحد فحول شعراء الجاهلية ، مات أبوه وهو صغير ، ورباه أعمامه ، ومال الى البطالة وقول الشعر ، وتعرّض به لهجاء الناس والملوك ، وكان ممن هجاهم عمرو بن هند ، فجاء يوما يتعرض لمعروفه ، فأحاله على عامل له بالبحرين بأن يأخذ جائزته منه ، وأوعز ابن هند الى الوالى بقتله فقتله وهو شاب لم تزد سنه على ست وعشرين سنة . وهو من أوصف الناس للناقة ، يميل الى الغريب من اللفظ والكناية حتى تكاد تخفى معانيـه فى بعض أبيات من شعره ، وله ديوان صغير أشهره معلقته التى نحن بصدد شرحها .

(٢) خولة : اسم امرأة . والأطلال : الآثار الشاخصة من الديار بعد دروسها . والبرقة فى الأصل : المكان الذى اختلط ترابه بحجارة أو حصى براق . و برقة ثهمد : اسم ديار محبوبتـه . الوشم : النقش على اليد بالنيلج أو بصبغ أسود بغرز الإبر فى الجلد .

(٣) وقوفا منصوب : إما على أنه حال سببية من فاعل تلوح ، وهو الأقرب هنا ، ويكون إذًا جمع واقف ، و يكون صحبى فاعلا للفظ (وقوفا) لأنه اسم فاعل يعمل عمل فعله ومطيهم مفعول لأنه بمعنى حبس المتعدّى . و إما على أنه مصدر مفعول مطلق بفعل محذوف أى يقف وقوفا صحبى الخ (المعنى) لاحت لى هذه الأطلال ، وأصحابى حابسون مطيهم من أجلى فى هذه البقعة ناصحين لى بالتجلد والصبر : يقولون : لاتهلك حزنا وتجلد .

(٤) الحدوج : جمع حدج وهو مركب يوضع على الجمال للنساء خاصة . والمـالكية : أى المنسوبة الى بنى مالك بن سعد . والخلايا : جمع خلية ، وهى السفينة العظيمة . والنواصف : جمع ناصفة ، وهى الرحبة الواسعة فى الوادى . ودد اسم مكان (المعنى) كأن هوادج المـالكية وهى تسير بالرحاب الواسعة من المكان المسمى ددا سفن عظيمة لكبرها وتمايلها ثم أخذ فى وصف هذه السفن فقال عدولية الخ .

(٥) عدولى : قرية بالبحرين كان أهلها يصنعون السفن العظيمة . وابن يامن ملاح أو تاجر من أهل هجر . و يميل بها الملاح : أى يجور بها عن طرق السفن المسلوكة طورا و يهتدى طورا على حسب تصار يف الــرّ ياح .

يَشُقُّ حَبابَ المـاءِ حيزومها بهـا كما قَسَمَ التُّرْبَ المفـايِلُ باليـــد (١)

وفى الحَىِّ أحْوَى ينفُضُ المَرْدَ شادِنٌ مُظـاهِرُ سِمْطَىْ لُؤلُؤٍ وزَبَرْجَـد (٢)

خَـــذُولٌ تُراعى رَبْرَبًا بخميــلةٍ تنـاوَلُ أطرافَ البَـــريرِ وترتدى (٣)

وتَبسِمُ عن ألمَى كأنَّ مُنَـــوِّرًا تَخَلَّلَ حُرَّ الرَّمْـــلِ دِعْصٌ له نَدِ (٤)

(١) الحباب: موج البحر المزبد. والحيزوم: الصدر. والمفايل: الذى يلعب لعبة الفيال أو المفايلة، وهى لعبة لصبيان الأعراب، وهى تراب يكومونه، ثم يخبئون فيه خبيئا، ثم يشق الفايل تلك الكومة بيده فيقسمها قسمين، ثم يقول: فى أى الجانبين خبأت؟ فان أجاب المسئول بالصواب ظفر وإلا قمر وغلب.

(٢) وفى الحى: أى فى منازل القبيـلة ظبى أحوى، أى أسود العين، يريد به محبوبته، ثم ذكر بعض أوصاف الظبى وبعض أوصاف المحبوبة فقال: هـذا الظبى ينفض المـرد أى يأكل ثمر الأراك نفضا بفمه. شادن: أى صغير السن. وهذه المحبوبة تتقلد سمطين أحدهما فوق الآخر، سمطا من اللؤلؤ، وسمطا من الزبرجد. واللؤلؤ: خرز كريم يكون فى جوف نوع من الأصداف. والزبرجد: جوهر كريم من جواهر البر أخضر اللون.

(٣) الخذول: البقرة الوحشية أو الظبية اذا خذلت صواحبها وأقامت على ولدها وهى خاذل أيضا. وصفها على التشبيه هنا بوصف المؤنث. وفى البيت السابق بوصف الذكر بقوله (أحوى) من أجل أن البقرة الخذول وان رعت مع صواحبها لا تزال تتلفت إلى ولدها والهة عليه ترنو الى ناحيتـه بحنو. وذلك ما يريده فى وصف محبوبته عند تلفتها ونظرها بتدلل لمن يراعيها. وتراعى بمعنى ترعى مع غيرها. والربرب: القطيع من البقر والظباء. والخميلة: الأرض اللينة ذات الأشجار الكثيفة الغضــة المتهدلة. والبرير: ثمر الأراك (المعنى) أن هذه الفتاة حسـنة التلفت والنظرات كأنها مهاة مذعورة على ولدها، فهى ان رعت مع صواحب لها خذلتهن واجتنبتهن ولا تزال متلفتــة الى ناحيـة ولدها، وهى متنعمة كالمهاة التى ترعى البرير وتدخل فى خلال أغصان الشجر فتكون كأنها مرتدية بها.

(٤) الثغر الألمى: الأسمر اللثـة، وهم يمدحون سمرتها لدلالتها على اكتناز الدم فيهـا، وهو أمارة الصحة. والمنور: صفة لموصوف محذوف أى كأن أقحوانا منورا. وخبر كأن محـذوف تقديره (هو) أو (فيه) وتخلل الشيء حل فى خلله. وحر الرمل خالصـه. والدعص: الكثيب من الرمل (المعنى) كأن فيه أقحوانا منورا تخلل دعصه الندى الذى نبت فيه رملا خالصا نقيا. والأقحوان: الذى ينبت فى الرمل الندى النقى يكون أنقى بياضا.

سَقَتْهُ إياةُ الشَّمسِ إلا لِثاتِهِ أُسِفَّ، ولم تَكدِمِ عليه، بإثْمِدِ (١)

ووجهٍ كأنَّ الشمسَ ألقتْ رداءَها عليهِ نقيِّ اللونِ لم يَتخدَّدِ (٢)

وإنى لأُمضى الهَمَّ عندَ احتضاره بعَوْجاءَ مِرْقالٍ تَروحُ وتغتَدِى (٣)

الى أن قال :

على مثلِها أمضى اذا قال صاحبي: ألا ليتنى أفْديكَ منها ، وأفتدِى (٤)

وجاشتْ اليه النفسُ خَوفًا، وخالَهُ مُصابًا، ولو أمسى على غيرِ مَرْصَدِ (٥)

اذا القومُ قالوا: مَنْ فَتًى؟ خلتُ أنَّني عُنِيتُ، فلم أكْسَلْ ولم أتَبَلَّدِ (٦)

---

(١) وصف الثغر : باعتبار بياض أسنانه بأن سقته إياة الشمس أى ضوءها بياضا وحسنا أى أشربته حسنها . واستثنى اللثة لأن بياضها عيب ودليل على ضعف الدم بل هى سمراء كأنما ثغرها أسف بأثمد وهو الكحل فاسودت لثته و بقيت مرسلة على الأسنان لم تتقلص الى أعلى لأنها مترفة فى المأكل لا تكدم على ثغرها بأكل الأشياء اليابسة الغليظة التى تكشف اللثة عن أصول الأسنان بل تأكل الناعم اللين .

(٢) ووجه : ولها وجه أبيض كأن الشمس خلعت رداءها عليه فهو نقى اللون لم يتخدد أى يتكسر جلده و يتغضن فيطفئ ذلك رونقه .

(٣) أمضى : أنفذ ، والهم ما يهم من الأمور ، واحتضاره : حضوره . والعوجاء : الضامرة الملتصقة البطن ، فتكون معوجة الأسفل . والمرقال : السريعة السير ، وتروح وتغتدى : أى تصل سير الرواح بسير الغدو . أى اذا همنى أمر يستدعى السفر أمضيته من ساعة حضوره بركوب ناقة ضامرة سريعة تصل الرواح بالغدو .

(٤) على مثلها الخ : أى على مثل الناقة أسير فى الفلاة الموحشة التى يقول صاحبى من خوفها : إنا هالكون ، فياليتنى أقدر على أن أفتديك منها ، وأفتدى نفسى — وضمير فيها يعود على الفلاة المفهومة من المقام كقوله تعالى « حتى توارت بالحجاب » أى الشمس .

(٥) وجاشت إليه النفس خوفا : أى ارتفعت ، فلم تستقر : كما تجيش القدر إذا ارتفع غليانها . والمرصد : المكان الذى يترصد فيه اللصوص والأعداء من يمر بهم (المعنى) وذعرت نفسه ، وظن نفسه مصابا هالكا ، ولو لم يكن هناك من يرصده . ثم أخذ يفتخر بخصاله فقال « إذا القوم الخ ... » .

(٦) أى إذا قال القوم : من فتى لسلوك هذه الفلاة و إمضاء هذه المهمة العظيمة ؟ خلت أنهم يعنوننى ؛ فقمت بها غير كسل ولا متبلد .

أحلْتُ عليها بالقَطِيع ، فأَجْذَمتْ ... وقَـد خَبَّ آلُ الأَمْعَزِ المُتَوقِّـد (١)

فذالتْ كما ذالتْ وَليـــدةُ مجلِسٍ ... تُرِى ربهــا أذيالَ سَحْـلٍ مُمَــدَّد (٢)

ولستُ بحــلّالِ التّـــلاعِ مخافةً ... ولَكِــن متَى يسترفِدِ القومُ أرفِدِ (٣)

فان تَبغِنى فى حَلْقةِ القـــومِ تلقَنِى ... وان تلتمسْنِى فى الحوانيتِ تَصطَدِ (٤)

متى تأتنى أصبحْكَ كأسًــا رَوِيَّةً ... وانْ كُنتَ عنها ذا غِنًى فاغْنَ وازدَدِ (٥)

و إن يلتَــقِ الحَىُّ الجميــعُ تلاقِنى ... الى ذِروة البيتِ الشريفِ المُصَمَّد (٦)

نداماىَ بِيــضٌ كالنجومِ وقَيْنــةٌ ... تروحُ إلينــا بينَ بُرْدٍ ومُجْسَد (٧)

(١) القطيع : الســوط ، وأحلت على الناقة بالقطيع ضربتها به ضربا فى إثر ضرب . وأجذمت : أسرعت ، وخب : ارتفع . والآل : السراب ، أو هو سراب أوّل النهار خاصة . والأمعز والمعزاء : المكان الغليظ الكثير الحصى ، والمتوقد : الملتهب بالحرّ (المعنى) قمت بســلوك هذه المفازة فركبت ناقتى وضربتها بالقطيع فأسرعت ، وقد اشتد الحرّ وارتفع السراب فى الأماعز الملتهبة من الحرّ .

(٢) فذالت أى ماست وتبخترت . والوليدة : الجارية المولدة فى بلاد العــرب . والسحل : الثوب الأبيض (المعنى) فتبخترت هذه الناقة كما تتبختر جارية تعرض فى مجلس سيدها تجر أذيال ثوبها الأبيض الضافى .

(٣) التلاع : جمع تلعة ، وهى مجارى المياه من رءوس الجبال إلى الأودية حيث تشق فيها شــقا . واسترفد : طلب الرفد وهو المعونة والعطاء (المعنى) لست ممن يستتر فى التلاع وشقوق الجبال مخافة الضيفان والمسترفدين ، ولكن متى يطلب القوم إعانتى أعنهم .

(٤) الحانوت : حانة الخمار يعنى إذا طلبت معونتى تجدنى إما فى حلقة القوم عنــد المشورة وإجالة الرأى . و إما فى حانات الخمارين ، أى أنى رجل جدّ اذا جدّ الأمر ، ورجل لهو اذا فرغت .

(٥) يقول إذا جئتنى أصبحك بشرب كأس ترويك ، و إن كنت غانيا عنها بمــا عندك فاغن به وازدد بمــا عندنا .

(٦) ذروة كل شىء : أعلاه . والمصمد : الذى يصمد اليه فى الحوائج أى يقصد (المعنى) إن يجتمع الحى للفاخرة بالأنساب تجدنى أنتمى الى أعلى بيت شريف يقصد فى الحوائج .

(٧) النــدامى : جمع نديم . والقينة : الأمة المغنية وقد تطلق على الأمة أيا كانت . تروح علينا أى تأتينا عشية . والمجسد : الثوب المصبوغ بالجساد ، وهو الزعفران أو الثوب الذى يلى الجسد وهو=

إذا نحنُ قُلْنا : أسمِعينا ، انبرتْ لنا ... على رِسْلِها مطروفةً لم تَشَدَّد (١)
إذا رجَّعتْ في صَوْتها خلتَ صوتَها ... تجاوُبَ أظْآرٍ على رُبَعٍ رَدِ (٢)
وما زال تَشرابي الخمورَ ولذّتي ... وبَيْعي وإنفاقي ، طَريفي ومُتْلَدِي (٣)
إلى أن تحامتْني العشيرةُ كلُّها ... وأُفرِدْتُ إفرادَ البعيرِ المُعَبَّد
رأيتُ بني غَبْراءَ لا يُنكرونني ... ولا أهْلَ هاذاكَ الطِّرافِ المُمَدَّد (٤)
ألا أيُّها ذا الزاجري أحْضُرَ الوَغَى ... وأنْ أشهَدَ اللذاتِ ، هل أنتَ مُخْلِدِي (٥)
فإن كنتَ لا تسطيعُ دفعَ مَنيّتي ... فدعْني أُبادرْها بما ملكتْ يدى (٦)

= الشعار (المعنى) ندامای أحرار بيض ليسوا مولدين من إماء سود فهم مثل النجوم الوضاءة ، ومن ندامای مغنية تجيء الينا عشية عليها برد تحته قيص أحمر اللون ، أو تحته قيص واحد على جسدها .

(١) أى اذا قلنا لهذه المغنية : أسمعينا غناءك اعترضت لنا وظهرت تغنى على رسلها هينة فى رفق وتؤدة ، مطروفة العين (أى ساكنة الطرف) لم تبالغ فى صياحها .

(٢) رجعت فى صوتها : كررت النغم . والأظآر : جمع ظئر ، وهى هنا الناقة المرضع . والربع : الفصيل الذى ولد فى الربيع . والردى : الهالك (المعنى) اذا رجعت هذه المغنية فى صوتها أشبه حنين صوتها حنين النياق التى فقدت فصلانها .

(٣) تشرابى : أى شربى . والطريف : المال الذى يكتسبه المرء بنفسه . والتليد والمتلد : الذى يرثه عن آبائه ، والمعبد : البعير الأجرب المطلى بالقطران المبعد عن الإبل (المعنى) ما زال شربى للخمر ولذتى بها وبيعى وانفاقى لأجلها هو كل ثروتى الحديثة والقديمة حتى تحامتنى عشيرتى لإفراطى فى اللذات ، وأصبحت منفردا بلذاتى عنهم كالبعير الأجرب .

(٤) الغبراء : اسم للأرض . وبنو غبراء : الفقراء أو الأضياف . والطراف : القبة من الجلد يتخذها المياسير والأغنياء . والممدد الذى مد بالأطناب (المعنى) إن اعتزلونى لا أكن مجهولا ؛ فان الفقراء يعرفوننى بعطائى لهم ، وكذلك الأغنياء بجلالتى وشرف نسبى .

(٥ و ٦) الوغى : الحرب (المعنى) يامن يزجرنى من أجل حضورى الحروب وانهما كى فى اللذات بأن كلا منهما يجر الى الموت هل أنت ضامن لى الخلود فى الدنيا ؟ فان كنت لا تستطيع دفع منيتى فدعنى أستبق اليها بانفاق ما ملكت يدى فى لذاتى .

وقال طرفة بن العبد :

سائلوا عنّا الذى يعرفنا بقُوانا يومَ تحلاقِ اللِّمَم (١)
يومَ تُبدى البيضُ عن أَسْوُقِها وتَلُفُّ الخيلُ أعراجَ النَّعَم (٢)
أَجْدَرُ الناسِ برأسٍ صِلْدِمٍ حازمِ الأمرِ شُجاعٍ فى الوَغَم (٣)
كاملٍ يحملُ آلاءَ الفتى نَبِهٍ سيّدِ ساداتٍ خِضَم (٤)
خيرُ حىٍّ من مَعَدٍّ علموا لِكَفِىٍّ ولجارٍ وابنِ عم (٥)
يَجْبُرُ المحروبُ فينا مالَه ببناءٍ وسَوامٍ وخَدَم (٦)
نُفُلٌ للشحمِ فى مَشْتاتِنا نُحُرٌ للنِّيبِ طُرّادُو القَرَم (٧)

---

(١) يوم تحلاق اللم : يوم انتصرت فيه بكر على تغلب من أيام البسوس ، وكان يقود بكرا الحارث ابن عباد البكرى ، وقد أمر بحلق شعورهم ليتميزوا .

(٢) أى النساء البيض أى يوم يكشفن عن سوقهن ، كناية عن هول ذلك اليوم ، والأعراج : جمع عرج بفتحتين ، القطيع من الإبل من الثمانين فما فوق ، والنعم : الابل ، واللف : الجمع والضم ضد النشر . أى وتحوز خيلنا أى فرسانها قطائع إبل تغلب .

(٣) الرأس الصلدم : القوى الصلب ، ويريد به هنا رأس القوم فى الحرب ، أى رئيسهم ، والوغم : الحرب . (المعنى) نحن أجدر الناس بأن يقودنا رئيس قوى حازم شجاع فى الحرب .

(٤) الآلاء : جمع ألا (كعصا) أو ألو (كدلو) ، ومن معانى الألو والألا : العطية والنعمة والجهد وكلها مناسبة هنا . والخضم : السيد الجمول المعطاء ، خاص بالرجال أى إن هذا الرئيس كامل يحمل نعم الفتى الكامل أى يتصف بمحاسنه ، أو يحمل عطاء الفتى القاصد له ، أو يحمل ضعفه وجهده بإعانته وحمايته .

(٥) نحن خير حى من قبائل معد — وعلموا بالبناء للعلوم أى عرفونا بذلك . والكفىء : الكاسف اللون المتغيره بؤسا — أى نحن خير حى فى معد عرفه الناس مرجوا للكفىء وللجار ولابن العم .

(٦) المحروب : المسلوب المال . والبناء : المسكن ، والسوام كسحاب : الإبل السائمة — أى أن المسلوب المال اذا أقام فينا جبرنا ماله ، وأسكناه وأعطيناه إبلا سائمة وخدما .

(٧) نفله : أعطاه نفلا أى عطية ، والقرم : شدة اشتهاء اللحم لبعد العهد بأكله . يعنى أننا نعطى من يقصدنا الشحم فى الشتاء ، وهو زمن الجهد ونحر النوق النيب ، ونطرد عن مشتهى اللحم قرمه باطعامه إياه .

تَزَعُ الجاهلَ في مجلسنا ... فترى المجلسَ فينا كالحَرَم (١)

وتفرَّعنا من ابنى وائلٍ ... هامةِ المجدِ وخُرطومِ الكرَم (٢)

من بنى بكر اذا ما نُسِبُوا ... وبنى تغلبَ ضرّابِى البُهَم (٣)

حين يحمى الناسُ نحمى سِربَنا ... واضحِى الأوجُهِ معروفِى الكرم (٤)

بحُسامات تراها رُسَّبًا ... فى الضريبات مُترّات العُصُم (٥)

وفحولٍ هيكلاتٍ وُقُحٍ ... أعوجيّاتٍ على الشأوِ أُزُم (٦)

وقنًا جُردٍ وخيلٍ ضُمَّرٍ ... شُزَّبٍ من طُول تعلاكِ اللُّجُم (٧)

(١) تزع : مضارع وزع بمعنى كف وزجر ؛ والحرم ، ما يحارب عنه الإنسان ويحميه ، أو أنه يريد حرم مكة — بمعنى أننا نكف الجاهل فلا يأتى فى مجلسنا بسفاهة فكأن مجالسنا حرم نحميه أو حرم يحترم دينا .

(٢) على صيغة الماضى بسكون العين والخرطوم الأنف — أى وقد تفرعنا ونسلنا من ابنى وائل بكر وتغلب اللذين هما بمنزلة هامة للمجد وأنف للكرم . والأنف يكنون به عن الأنفة والعز والشمم .

(٣) ثم فسر معنى ابنى وائل بأنهما بكر وتغلب وضرابو البهم : جمع بهمة وهو الشجاع لا يعلم من أين يضرب .

(٤) والسرب بالكسر : النساء أو النفس .

(٥) جمع الحسام على حسامات نادر ، ورسب : جمع راسب ، وهو السيف يغيب فى الضريبة . واذا قرئت رسبا ككتب كان جمع رسوب بمعنى الراسب أيضا . والوزن لا يمنع من ذلك والمتر القاطع ، والعصم : جمع عصام ، كل ما يعصم الشىء ويشده ويربطه من الحبال ونحوها وقيل : أراد بها المعاصم على المعنى لأنها تعصم البدن بالدفع عنه .

(٦) الفحل : الذكر من كل حيوان ، ويريد بالفحول هنا الخيل الذكور ، والهيكل : العظيم الجسم ، وجمعه على هيكلات نادر ، ووقح : جمع وقاح ، يريد الفرس الصلب الحافر ، وأعوجيات : جمع أعوجى ، وهو الفرس ينسب الى أعوج : اسم فرس كريم عتيق ، وأزم : جمع أزوم ، وهو الفرس يعض على فأس اللجام من شدة نشاطه . والشأو : السبق ، أى ونحمى سربنا بخيول فحول صلبة الحوافر أعوجيات شديدة فى السبق .

(٧) وقنا جرد : أى رماح مجردة من الكعوب الغليظة ، وخيل ضمر : أى ضامرات ، وشزب : ضامرات صلاب ، وتعلاك اللجم وعلكها تحريكها والعض عليها بالفم . واللجم : جمع لجام .

آدت الصـــنعةُ فى أمْتُنِهـا فهى من تحتُ مُشيحاتُ الحُزُم (١)
تتّـــقِى الأرض بِرحّ وُقُحّ وُرُقٍ يقعرن أنبـاكَ الأكمْ (٢)
وتفـــرّى اللّحْمُ من تعدائهـا والتغالِى ، فهى قُبٌّ كالعَجمْ (٣)
خُلُجُ الشـــدّ مُلِحّاتٌ إذا شالت الأيدى عليها بالجـذَم (٤)
قُدُما تنضـــو إلى الدّاعى اذا خلّلَ الداعى بدعْوَى ، ثم عمّ (٥)
بشبـابٍ وكُهُول نُهُـــدٍ كَلُيُـوثٍ بين عِرِّيس الأجَم (٦)

(١) آدى : قوّى . وصنعة الفرس : حسن القيام عليه والعناية بعلفه وتسمينه ، والأمتن : جمع متن ، وهو الظهر . ومشيحات الحزم : أى أن أحزمتها متقدمة الى الأمام ، أو أنها مرتفعات الحزم لعظم صدرها ومتنها — يعنى أن هذه الخيل قد قوّى متونها وأعظمها حسن القيام على علفها حتى أنك لترى حزمها من تحتها مرتفعات جدا لعظم متنها وصدرها .

(٢) الرح : انبساط الحافر فى زقة ، والأرح : الحافر العريض ، والجمع رح . ووقح : جمع وقاح ، وهو الحافر الصلب ، وورق : جمع أورق ، وهو الذى لونه الورقة ، وهى سواد فى بياض قليل كلون الرماد ، و يقعرن : يقتلعن ، والأنباك : جمع نبك ، وهى الأرض المرتفعة أو الأكمة المحدّدة الرأس . أى تتقى تأثير مشيها على الأرض بحوافر صلبة ورقاء تقتلع الآكام .

(٣) تفرى : تشقق ، وتفرت العين : انبجست بالماء ، وكلا المعنيين مناسب ، والتعداء : العدو . والتغالى : شـدّة الارتفاع ، يريد صعود المرتفعات ، والقب : جمع أقب ، والقبب دقة الخصر وضمور البطن ، وهو من محاسن الخيل . والعجم : نوى كل شىء (المعنى) أن هذه الفرس يتشقق لحمها و ينبجس بالعرق من شدّة عدوها وصعودها الآكام فأصبحت لذلك ضامرة البطن دقيقة الخصر يابسة العضل ، كأنها النوى فى اليبوسة .

(٤) الخلج : جمع خلوج ، وهى السريعة الجرى ، والشد : العدو . والملحات : المنصبات فى الجرى من ألح السحاب : دام مطره ، وشالت الأيدى : ارتفعت . والجذم : جمع جذمة ، وهو السوط .

(٥) قدما تنضو : أى تسبق وتسرع قدما أى تجرى أمام أمام بدون انحراف ، وخلل : خصص . والداعى : المستغيث — أى تسرع الى نجدة المستغيث قدما اذا خصص بادئ بدء . فصاح : يا لفلان ! ثم اضطر بعد الى التعميم لاشتداد الكرب عليه فعمم الدعوى .

(٦) والنهد : جمع ناهد ، وهو الشجاع الذى يمضى على كل حال وهو أيضا الأسـد ، والعريس : مأوى الأسد . والأجم : الأجمات .

(٩) قال تأبط شرا : (١)

يا عِيدُ ما لَكَ مِن شَـوقٍ و إيراقِ ... ومِنْ خَيـالٍ على الأهوال طَرَّاقِ (٢)
يَسرِى على الأيْنِ والحَيَّاتِ مُحْتَفِيًا ... نفسى فـداؤُكَ مِن سارٍ على ساق (٣)
إنى إذا خُـلَّةٌ ضَنَّت بنائلهـا ... وأمسكتْ بضعيفِ الوصلِ أَحْذاقِ (٤)
نجوتُ منهـا نَجائى من بَجِيلَةَ إذ ... ألقيتُ ليلةَ خَبْتِ الرَّهْطِ أرْواقى (٥)
لَيْلَةَ صاحوا وأغْرَوْا بى سِراعَهُمْ ... بالعَيْكَتَيْن لَدَى مَعْـدَى ابْنِ بَرَّاق (٦)
كأنمـا حَثْحَثُوا حُصًّا قوادِمُـه ... أو أُمَّ خِشْفٍ بذى شَثٍّ وطُبَّاق (٧)

(١) هو ثابت بن جابر الفهمى ، وفهم إحدى قبائل قيس عيلان المضرية ، وتأبط شرا : لقب لقب به لأنه حمل الى أمه أفاعى فى جراب يتأبطه (وكانت طلبت منه فائدة) فقيل فيه تأبط شرا فلزمه . وكان لصا فاتكا عدّاء داهيا . وغزا هو وعمرو بن براق الفهمى (وكان يليه فى العدو) قبيلة بجيلة ، فلم يظفرا منهم بغرة . فثاروا خلفهما على الخيل ، ففاتاهم عدوًا . وفى ذلك يقول القصيدة التى نحن بصدد شرحها .

(٢) العيد هنا : ما يعتاده من الحزن والشوق والأرق ، ومالك من شوق : يعنى ما أعظمك من شوق كقولهم : مالك من فارس ! فى التعجب من فروسيته مثل ما تقول : قاتله الله من شاعر ! والإيراق : التأريق ، مصدر آرقه الهم والشوق . ومر طيف : أى ومرور طيف المحبوبة عليه فى غفوته ، وطراق : أى يطرق ليلا . (المعنى) يأيهـا الذى يعتادنى من الشوق والتأريق وطروق طيف الأحبة متجشما ان غفوت الى الأهوال ووطء الحيات ما أعظمك وأعجبك . ثم وصف هذا الطيف بالبيت الآتى .

(٣) يسرى : أى يسـير ليلا ، والأين : التعب والإعياء ، محتفيا : أى مبالغا فى الإكرام لى والاهتمام بشأنى .

(٤ و ٥) الخلة هنا : الخليلة أو الخليلات ، وضنت : بخلت ، والنائل : العطاء والفائدة ، والأحذاق : المتقطع ، من قولهم حبل أحذاق ، أى متقطع قطعا ، ونجوت : خلصت ، و بجيلة : التى أغار عليها ولحقته ، والرهط : اسم واد ، وخبته : بطنه ، و يقال ألقى أرواقه : اذا عدا عدوا شـديدا . (المعنى) أى إن ضنت خليـلة علىّ ، وأصبح وصلها لى كالحبل المتقطع خلصت منها خلوصى من فرسان بجيلة عند ما أدركونى ليلا بخبت الرهط ، فألقيت أرواقى ، وعدوت عدوا قصرت عنه خيلهم ففتهم .

(٦ و ٧) العيكتان : جبلان أو موضع ببلاد بجيلة ، وابن براق : رفيقه فى هذه الغارة ، ومعداه : مكان عدوه ، وحثحثوا حركوا وهاجوا ، والحص : جمع أحص ، وهو الذى تساقط شعره ، والمراد به هنا =

لا شيء أسرعُ منى ليس ذا عُذُرٍ — وذا جَناح بجنب الرَّيدِ خفَّـاق (١)

حتى نجوتُ، ولمـا ينزِعُوا سَلَبِي — بواله مِن قبيضِ الشَّـدِّ غَيْـدَاق (٢)

ولا أَقولُ إذا ما خُلَّةٌ صَرَمَتْ : — يا وَيْحَ نفسِيَ من شَوقٍ وإشفاق! (٣)

لكنما عِوَلِي ان كنتُ ذا عِوَلٍ — على بصـيرٍ بكسب الحمـدِ سبَّاق

سبَّاقِ غَاياتِ مجـــدٍ فى عشـيرته — مُرَجِّعِ الصَّـوتِ هَدًّا بين أرْفَاق

= الظليم، وهو الذكر من النعام؛ لأن قوائم النعام لا ريش فيها، وذات خشف: أى ظبية، والخشف ولدها، وذو شث وطباق: واد به الشث والطباق، وهما نباتان. (المعنى) عند ما صاحوا فى هذه الليلة، وأغروا بى المسرعين منهم فى العيكتين وهو المكان الذى تراءى لهم ابن براق رفيق يعدو فيه كانوا كأنما هاجوا منى ظليما أو ظبية، فلم يلحقونى.

(١) العذر: جمع عذار، وهو ما سال على خد الفرس من اللجام، وذو العذر: الفرس، وذو الجناح الخفاق بجنب الريد: هو الطير الذى يرتق الى أعلى الجبل كالعقاب والنسر، والريد الحرف الناتئ من الجبل فى أعلاه خارجا عن معظمه.

(٢) السلب: ما يسلب من القتيل من الســلاح والدرع والثياب، والواله هنا: البقرة التى فقدت ولدها فهى تجرى مذعورة عليه. قال الأعشى: يذكر بقرة وحش أكل السباع ولدها:

فأقبلت والهـا ثكلى على عجـل — كل دهاها وكل عندها اجتمعا

ورجل قبيض الشد (أى العدو): سريع نقل القوائم، ويقال إنه لغيداق الشد: سريع الجرى، والباء فى قوله بواله للتجريد، أى نجوت بنفسى وأنا شديد العدو كأنى وحشية والهة.

(٣) صرمت: قطعت، أى قطعت الود وهجرت. وويح: كلمة رحمة، وياويح نفسى: نداء للترحم كما فى نحو يالهف نفسى للتحزن، والإشــفاق: الخوف. والعول: اسم مصدر من التعويل على الشىء والاعتماد والاتكال عليه. وعلى بصير: أى صاحب بصــير الخ. ومرجع الصوت: مكرره فى الحلق، والهد: الصوت الغليظ الجهير. (المعنى) أى لكنما اعتمادى (ان كنت ذا اعتماد) انمـا يكون على رجل خبير بكسب الحمد سباق اليه والى غايات المجد فى قومه جهير الصوت غليظه بين رفقائه، وكانوا يحمدون من السيد جهارة صوته وغلظه.

عارِى الظَّنابيب مُشْتَدّ نواشِرُه مدلاجِ أدهَمَ واهِى الماء غسّاق (١)
حمّالِ ألْوِيةٍ، شهّادِ أنديةٍ قوّالِ مُحكَمَةٍ، جوّالِ آفاقِ (٢)
فذاك همّى وغَزْوِى: أستغيث به اذا استُغيث بضافى الرأس نَعّاق (٣)
كالحِقْف حدّأهُ النامونَ، قلتُ له: ذو ثُلّتين وذو بَهْمٍ وأرْباق! (٤)
وقُلّةٍ كسِنانِ الرمح بارزةٍ ضَحيانةٍ فى شهور الصيف مِحْراقِ (٥)
بادرتُ قُنّتَها صَحْبى ـ وما كَسِلُوا ـ حتى نَمَيْتُ اليها قَبلَ إشراق (٦)

---

(١) الظنابيب: جمع ظنبوب، وهو حرف عظم الساق من أمام. وعرى الظنابيب واشتداد النواشر (وهى عروق ظاهر الذراع) كناية عن ضمور العضل و يبسه وعدم ترهل لحمه، وذلك محمود فى رجال العمل والحرب والجرى، والمدلاج: من يكثر السير فى دلج الليل أى فى وسطه وأواخره. والأدهم هنا: كناية عن الليل. وواهى الماء: أى منصب الماء كأنه فى قربة واهية متشققة لشدّة مطره. والغساق: الماء المنصب أيضا، أو يكون صفة للأدهم وهو الليل وأنه مظلم.

(٢) هذا السيد الذى أعول عليه من صفته أنه حمال ألوية فى الحروب، شهاد أندية للشاورة فى معضلات الأمور، قوّال أقوال محكمة من الشعر أو الحكمة أو الأقضية الفاصلة فى المشكلات، كثير أسفار الغنم والاكتساب؛ فهو شجاع عاقل حكيم كساب.

(٣) بضافى الرأس: أى بضافى شعر الرأس، نعاق شديد الصياح فى سوق الإبل والغنم. (المعنى) بهذا الرجل الشجاع الحكيم أستغيث اذا استغاث غيرى براعى ضأن أحمق ينعق بها.

(٤) الحقف هنا: الرمل العظيم المستدير، وحدأه: ألصقه ولبده، والنامون: المرتفعون. والثلة: الطائفة من الغنم، والبهم: صغار الغنم، والأرباق: جمع ربق وهو حبل له عرا تشدّ فيها البهم. أى ان رأس هذا الراعى كالحقف لبده من يرقى اليه من الناس بأقدامهم، وهذا الراعى قلنا له استهزاء: أنت ذو ثلتين الخ فمالك وللحرب.

(٥) القلة: أعلى الجبل، وضحيانة: بارزة للشمس.

(٦) بادرت: استبقت، وقنتها أعلاها: أى استبقت أصحابى الى قنتها أى أعلى جزء مستطيل فيها الى السماء. وما كسلوا أى وما كسلوا عن اللحاق بى فى صعودها، حتى نميت اليها: أى حتى ارتفعت وارتقيت اليها قبل إشراق الشمس.

لا ظِـــلَّ فى رَيْدها إلا نَعامَتُهــا منهــا هَزِيمٌ ، ومنهــا قائم باق (١)
بِشِرْثَةٍ خَلَقٍ يُوقَى البَنانُــ بِهــا شـددتُ فيها سَرِيحًا بعد إطْراق (٢)
بل ما لِعــذَالةٍ خَــذَّالةٍ أَشِبٍ حَرَّق باللوم جِلْدِى أىَّ تَحْــراق (٣)
يقول: أَهلكْتَ مَالًا لو قَنِعت به: مِن ثوبِ صِدْقٍ ومن بَزٍّ وأَعْلَاقِ (٤)
عاذِلَتِي ، إن بعضَ اللوم مَعْنَفَــةٌ وهل متاعٌ ـــ وإن أبقيته ـــ باق (٥)

(١) فى ريدها: أى الحرف الناتئ منها المشرف على الهواء ، والنعامة هنا: ما نصب من خشب يستظل الربيئة أى العين الذى يستطلع حال الأعداء فى الحرب أو يستطلع الصيد ، والهزيم: المتكسر .

(٢) الشرثة: النعل الخلق أى البالية أو هو الخلق من كل شىء ، والبنان: الأصابع من اليدين أو الرجلين أو منهما جميعا أو الأطراف وكل مناسب هنا . أى أنه كان يستر أصابعه وأطرافها بنعال بالية ليقيها بها من حدة شظايا الصخور ، وهو يرتق تلك القنة . والسريح: السيور من الجلد تشد بها النعال وتقوى وتخصف والواحد سريحة ، والإطراق: تقوية النعل بجلد آخر فوق الجلد الأول ، أى انى وقيت أصابعى وأطرافى بنعال بالية قويتها بشدها بسيور من الجلد بعد أن أطرقتها وقويتها بطبق آخر من الجلد فوقها . وقد وصف نفسه فى هذه الأبيات الأربعة بأنه رجل مخاطرة وإقدام لا يألو إذا فدحه الطلب أن يرتق قنن الجبال المحرقة فيصعدها مستبطنا فى يديه ورجليه نعالا بالية يخصفها بسيور وطباق من الجلد فوقها ؛ ليكون عينا وربيئة لصحبه أو ليفلت من طالبيه . ثم أضرب عن وصف القنة مقتضبا الكلام بمعارضة اللائمين له على إتلاف ماله فقال بل ما لعذالة الخ .

(٣) عذالة وخذالة أى لرجل عذالة خذالة: للمبالغة من العذل والخذلان والتاء فيهما كذلك كما فى نحو رحالة ، والأشب: اللائم العائب .

(٤) أهلكت مالا: أى مالا عظيما فالتنكير هنا للتعظيم نحو إن له لإبلا ، وسيكون لفلان معى شأن و(لو) هنا للتمنى فلا جواب لها ، أو شرطية والجواب محذوف دل عليه ما قبله أى لكان كثيرا كافيا أو لأغناك . ومن ثوب صدق الخ: بيان لهذا الحال ، وصدق الشىء: ثبوت الصفات المحمودة له ، فيقال لسان صدق بالإضافة ، وفرس صدق ، وثوب صدق . والبز: الثياب التى تلبس ، أو ما اتخذ متاعا للبيت من النسيج كالستور ونحوها . والأعلاق: الأشياء النفيسة من السلاح وغيره .

(٥) عاذلتى: أى يا عاذلتى ، يوجه الخطاب لامرأة بعد توجيهه لرجل ، ومعنفة: مصدر ميمى من العنف ، وهو ضد الرفق أى أن بعض اللوم شديد على نفس الملوم .

إنى زعيم لئن لم تتركوا عذَلى أنْ يسأل الحىُّ عنّى أهلَ آفاق :(١)

أنْ يسأل القومُ عنى أهل معرفة فلن يُخَبِّرهم عن (ثابتٍ) باق

سَدِّدْ خِلالَك من مال تُجَمِّعه حتى تُلاقى الذى كلُّ امرئ لاق

لتقرعِنَّ علىَّ السِّنَّ من ندم اذا تذكّرتِ يومًا بعض أخلاقى

(١٠) من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكُرى التى مطلعها :(٢)

آذنَتنا ببَينها أسماءُ رُبَّ ثاوٍ يُمَلُّ منه الثَّواءُ (٣)

* * *

وأتانا مِن الحوادثِ والأنـ ـباء خَطْبٌ نُعنَى به ونُساء (٤)

أن إخوانَنا الأَراقِمَ يَغلُو ن علينا فى قِيلهم إحْفَاءُ

(١) إنى زعيم : أى إنى كفيل إن لم تكفوا عن عذلى أن أفارقكم إلى حيث لا تعلمون مقرى ، فتسألون عنى أهل النواحى والآفاقيين ممن تتوسمون فيهم المعرفة فلا يخبركم باق بلقاكم منهم بخبر عن ثابت (وهو اسمه) والخلال فى البيت بعده : جمع خلة وهى الحاجة . ثم عاد ، وقال لعاذلته : لتقرعن البيت الخ .

(٢) هو الحارث بن حلزة اليشكرى أحد فحول الشعراء المقلين ، وصاحب المعلقة الهمزية المشهورة . كان فى بكر بن وائل بمنزلة عمرو بن كلثوم فى تغلب شجاعة وحماسة وفصاحة وارتجالا . وكثير من الرواة يقولون : إنه ارتجل هذه القصيدة بحضرة الملك عمرو بن هند إثر ملاحاة وجدال بين أعيان بكر وتغلب عند الملك عمرو ، وكان يتعصب لتغلب ، فهاج ذلك الحارث بن حلزة ، وارتجلها على طولها وكثرة غريبها ، يفتخر بقومه وأيامهم فى حروب البسوس مع تغلب ، وفى غيرها — وعمر الحارث طويلا .

(٣) آذنتنا : أعلمتنا ، وبينها : بفراقها لنا ، وثاو : مقيم . أى كثيرا ما تكره إقامة المقيم بين قوم لثقل كلفته أو لشره ، وليست أسماء من هؤلاء ، ففراقها شاق علينا .

(٤) نعنى به : نقصد به نحن دون غيرنا . ونساء به : يصيبنا منه سوء ، والأراقم : أحياء من تغلب معادية لبنى بكر قبيلة الشاعر ، ويغلون علينا : يجاوزون الحد فى التقول علينا ، والقيل : القول ، والإحفاء : شدة الإلحاح والاستقصاء (المعنى) بلغنا من الأخبار خبر يقصد به إساءتنا ، وهو أن الأراقم من تغلب يغالون ويتشددون فى نسبة مالم نفعل الينا .

يخلطون البرىءَ منّا بذى الذّنـ ـب، ولا ينفع الخَلِيَّ الخـلاءُ (١)
زَعَمُوا أنّ كلَّ مَنْ ضَرب العَيْـ ـرَ مَوَالٍ لنـا ، وأنّا الوَلاء (٢)
أجمعـوا أمْرَهم عِشـاءً فلمـا أصبحُوا أصبحتْ لهم ضَوْضاء :
من مُنادٍ،ومن مُجيبٍ،ومن تَصْـ ـهالِ خيل ، خِلالَ ذاك رُغاء (٣)
أيهـا الناطقُ المـرقِّش عنّـا عنـد عَمْرو ، وهل لِذاكَ بَقاء (٤)
لا تَخَلْنـا على غِراتِـك ؛ إنَّا قَبْـلُ ما قد وَشى بنا الأعداءُ (٥)
فبقِيـنا على الشَّـناءةِ تَنمِيـ ـنا حُصُونٌ ، وعِزَّةٌ قعساء (٦)
قبلَ ما اليومِ بيَّضتْ بعيون النـ ـاس فيهـا تَعيُّـطٌ وإباء (٧)

(١) الخلى هنا : الخالى من الذنب ، والخلاء : الخلو من الذنب كذلك ، أى لا تنفع البرىء عندهم براءته من الذنب فهم يأخذونه بذنب المجرم .

(٢) أى فهم يلزموننا ذنوب الناس ولو لم تكن ذنوبهم مما يؤاخذ عليه ؛ فعندهم أن كل من ضرب حمارا مثلا مذنب ، وأنه من موالينا وأنصارنا ، ونحن دون غيرنا ولاته وأنصاره .

(٣) أى يتلمسون أى ذنب ، ويتشاورون فى الليل فى أمر حربنا ، والتعبئة له فلا يصبح الصباح حتى تكون لهم جلبة وضوضاء من مناد الخ . قيل إن هذين البيتين أوجز ما قيل فى وصف التأهب للارتحال. وأصدقه وأوضحه تصويرا للحقيقة .

(٤) المرقش : المزين القول بالباطل ، وهل لذلك الخ : أى لتزيينك الباطل دوام .

(٥) لا تخلنا : أى لا تحسبنا ، والغرة : اسم مصدر من الإغراء ، وما زائدة والمفعول الثانى محذوف (المعنى) لا تحسبنا جازعين لإغرائك الملك بنا ؛ فمن قبلك وشى بنا الأعداء فلم يفلحوا .

(٦) الشناءة : البغض ، وتمينا : ترفعنا . والقعساء : الثابتة ، أى فبقينا على بغضك لنا فى عزة ثابتة وحصون منيعة من أن يصيبنا منكم مكروه .

(٧) قبل ما اليوم : أى قبل اليوم وما زائدة ، و بيضت بعيون الناس : بيضتها أى أعمتها ، والباء زائدة ، والتعيط : الترفع والإباء (المعنى) قبل اليوم أعمت عزتنا القعساء أبصار الناس ، فلا يتطلعون الى إذلالنا ، وكان فى عزتنا ترفع وإباء عن أن تنال بسوء .

وكأن المنون تردى بنا أر عن جونًا ينجاب عنه العماء (١)
مكفهرًا على الحوادث لا تر توه للدهر مؤيد صماء (٢)
أيما خطة أردتم فأدو ها إلينا تمشى بها الأملاء (٣)
إن نبشتم ما بين ملحة فالصا قب فيه الأموات والأحياء (٤)
أو نقشتم، فالنقش يجشمه النا س، وفيه الصلاح والإبراء (٥)
أو سكتم عنا، فكنا كمن أغ مض عينًا فى جفنها أقذاء (٦)

(١) تردى : ترمى وترجم، والباء فى (بنا) للتجريد نظير قولهم : لئن لقيت فلانا لتلقين به الأسد، أى لتلقين الأسد، أى هو كالأسد . والأرعن هنا : الجبل الذى له حيود وأطراف تخرج عن معظمه، والجون : الأسود، وينجاب عنه : ينشق عنه، والعماء : السحاب الأبيض (المعنى) كأن المنون اذا رمتنا إنما ترمى جبلا عاليا يشق السحاب، وذلك من منعتنا وقوتنا .

(٢) وصف هذا الجبل بأنه مكفهر، والمكفهر من الجبال : الصلب المنيع، ولا ترتوه : لا تنقصه وتنال منه، والمؤيد : الداهية . وصماء : لاتسمع اعتذارات — أى أن هذا الجبل منيع على حوادث الدهر لاتنال منه الدواهى الصماء .

(٣) الخطة : الأمر يقع بين القوم، أو الإقدام على الأمر . والأملاء : جمع ملأ، وهم الأشراف والرؤساء . (المعنى) أى أمر أو طريقة تجرون عليها فى معاملتنا فابعثوها الينا مع سادتكم وسفرائكم .

(٤) ملحة والصاقب : موضعان — أى إن كانت الخطة التى ترضونها أن تثيروا القتال الذى وقع بيننا فى هذين المكانين ففيه أموات وأحياء أى فكانت عاقبته قتلى وأسرى منكم لم تدركوا منا ثأرهم — وحذفت الفاء الواقعة فى جواب الشرط (وهو فيه الأموات الخ .) للضرورة، أو أن جواب الشرط محذوف تقديره فلنا الفخار بذلك، أو أن جواب الشرط الآتى جواب له ولهذا .

(٥) أو نقشتم أى دققتم فى الاستقصاء، ويجشمه : يتكلفه على مشقة . (المعنى) إن دققتم الحساب فيما وقع بيننا وبينكم فان ذلك مع ما فيه من المشقة والكلفة يفضى بنا الى صلاح أمورنا وإبرائنا من العار .

(٦) وإن سكتم عنا فانا نسكت، ونغضى أعيننا على القذى لأن الحق فى جانبنا .

أو منعتُمْ ما تُسألُون فَمَن حُـدِّ ثتُمُــوهُ له علينـا العَـلاء ؟(١)

هل علِمـــتمْ أيامَ يُنتَهَبُ النا سُ غوارًا لِكـل حَيّ عُواء (٢)

اذ ركبْنا الجمالَ من سَعَفِ البحْـ رَين سَيراً حتى نَهاهـا الحِساء (٣)

ثم مِلْنـا على تمــيم فأحْرَمْـ ـنا، وفينـا بَنـاتُ مُرٍّ إماء (٤)

لا يُقيم العـزيزُ بالبـلَد السهـ ـل، ولا ينفعُ الذليـلَ النجاء (٥)

ليس يُنجى مُوائلا من حِذارٍ رَأسُ طَـودٍ وحَرةٌ رَجْــلاء (٦)

---

(١) وان منعتم ما تسألون فيه من الصلح والتراضى فمن الذى أخبرتم أن له العلو علينا حتى تطمعوا فينا — وحدّث هنا تعدّت الى ثلاثة مفاعيل .

(٢) غوارا : أى مغاورة بعض على بعض ، والعواء : الصياح . (المعنى) إن كنتم لا تنتهون عنا فقد علمتم فعالنا وحفظنا لأنفسنا ، بل بغلبنا على غيرنا من قبائل تميم فى تلك الأيام التى تعرفونها ، أيام كان الناس ينهب بعضهم بعضا ، و يغير بعضهم على بعض ، وفى كل حى منهم صياح .

(٣) يريد بالسعف النخل ، والحساء : جمع حسى ، وهو الرمل يكون الماء تحته قريبا ، أى هــل علمتم إذ ركبنا الجمال من نخل البحرين حتى انتهينا الى الحساء .

(٤) فأحرمنا : أى دخلنا فى الأشهر الحرم فامتنعنا عن قتالهم وفينا بناتهم سبايا . ومرّ : أبو قبيلة تميم .

(٥ و ٦) النجاء : الإسراع والفــرار، والموائل : الذى يطلب موئلا أى ملجأ ، والطود : الجبل . والحرة : الأرض ذات الحجارة السوداء . والرجلاء : الغليظة . (المعنى) أن الشــدة كانت عامة فلم يقم العزيز فى البلد السهل لمـا فيه الناس من الخوف . ولم ينفع الذليل فراره ولو التجأ الى رأس جبل أو تحصن فى حرّة غليظة .

عصر صدر الإسلام وبنى أمية

(١) آيات من القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم

يٰأَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا ربَّكم الَّذِى خَلَقكم والَّذِينَ(١) مِن قَبْلِكم لعلكم تَتَّقُونَ(٢) . الَّذِى جعَلَ لكم الأرضَ فِرٰشًا(٣) والسماءَ بناءً(٤) وأَنزَلَ مِنَ السَّماءِ ماءً فأَخرجَ بِهِ مِنَ الثَّمرٰتِ رِزْقًا لكُمْ فلا تَجْعلوا للهِ أَنْدادًا(٥) وأَنْتُمْ تعلَمُون(٦) .

تلكَ أُمَّةٌ(٧) قد خَلَتْ لها ما كسبَتْ ولكم ما كسبْتُمْ ولا تُسأَلُون عما كانوا يعمَلُون .

إِنَّ فِى خَلْقِ السمٰوٰتِ والأرضِ واخْتِلٰفِ(٨) اللَّيلِ والنهارِ والفُلْكِ(٩) التى تَجرِى فى البحرِ

---

(١) معطوف على الضمير المنصوب فى خلقكم

(٢) الجملة حال من الضمير فى اعبدوا أى اعبدوا ربكم راجين أن تنخرطوا فى سلك المتقين .

(٣) كالفراش المبسوط .

(٤) كالقبة المضروبة عليكم .

(٥) الأنداد : جمع ند بكسر النون : المثل .

(٦) أى والحال أنكم من أهل العقل والمعرفة الذين لا يصدقون صحة الشرك .

(٧) الأمة : الجماعة . والمراد هنا الأنبياء الماضون وأتباعهم الذين ينتسب إليهم المجادلون من الكفار ، خلت : مضت — المعنى أن هؤلاء قوم لهم أعمالهم لا تفيدكم شيئا كما أنكم لا تسألون عن سيئاتهم .

(٨) الاختلاف : التعاقب .

(٩) الفلك : السفينة للواحد والجمع .

بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء (١) من ماء فأحيا به الارض بعد موتها وبث (٢) فيها من كل دابة وتصريف الريح (٣) والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون . ومن الناس من يتخذ من دون الله أندادا يحبونهم كحب الله والذين آمنوا أشد حبا (٤) لله ولو يرى الذين ظلموا إذ يرون العذاب (٥) أن القوة لله جميعا وأن الله شديد العذاب . إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب (٦) . وقال الذين اتبعوا لو أن لنا كرة (٧) فنتبرأ منهم كما تبرءوا منا كذلك يريهم الله أعمالهم حسرات (٨) عليهم وما هم بخارجين من النار .

ليس البر (٩) أن تولوا (١٠) وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملئكة والكتب (١١) والنبيين وآتى المال على حبه (١٢) ذوى القربى واليتمى (١٣)

(١) السماء : جهة العلو .

(٢) البث : النشر والتفريق .

(٣) تصريف الرياح : تدبير مهابها وأحوالها .

(٤) أشد حبا : لأنه لا تنقطع محبتهم لله بخلاف غيرهم المترددين بين الأصنام ، أو اللاجئين الى الله حين الشدة فقط .

(٥) جواب لو محذوف أى لندموا إذ يرون العذاب يوم القيامة ، وأجرى مجرى الماضى لتحقق الوقوع كقوله تعالى « ونادى أصحاب الجنة » . ومعنى ظلموا أنهم ظلموا أنفسهم باتخاذهم الأنداد .

(٦) الأسباب : الصلات التى كانت بين التابع والمتبوع .

(٧) كرة : أى عودة الى الحياة الدنيا .

(٨) حسرات : ندامات ، المفرد حسرة .

(٩) البر : كل فعل مرضى . والخطاب لأهل الكتاب الذين خاضوا فى أمر قبلة الصلاة حين حولت من بيت المقدس الى الكعبة بمكة ويصح أن يكون الخطاب عاما .

(١٠) أى أن البر الذى ينبغى أن يهتم به هو بر من آمن . (١١) المراد بالكتاب الكتب المنزلة .

(١٢) أى مع حب المال . (١٣) يريد المحاويج منهم .

والمساكينَ وابنَ السبيلِ(١) والسّائلينَ وفى الرِّقابِ(٢) وأقامَ الصلوٰةَ وءاتَى الزَّكاةَ والمُوفُونَ بِعَهْدِهِم إذَا عٰهَدوا والصّٰبرِينَ فى البأساءِ والضَّرّاءِ وحينَ البأسِ(٣) أولٰئكَ الذينَ صَدَقُوا وأولٰئك هُم المتّقُون(٤) .

ولا تأكُلُوا أموٰلَكُمْ بينَكُمْ بالبٰطلِ(٥) وتُدْلُوا بِها إلى الحُكّامِ لِتأْكُلُوا فريقًا مِن أموٰلِ الناسِ بالإثمِ وأنتم تعلمون(٦) .

ومِنَ الناسِ من يُعجبُكَ قولُه فى الحيٰوةِ الدنيا ويُشهِدُ اللهَ على ما فى قلبِهِ(٧) وهو ألَدُّ الخِصامِ . وإذا تولّٰى(٨) سعٰى فى الأرضِ لِيُفسِدَ فيها ويُهلِكَ الحَرْثَ والنسلَ واللهُ لا يُحبُّ الفسادَ . وإذا قِيلَ له اتّقِ اللهَ أخذَتْهُ العِزّةُ بالإثمِ(٩) فحسبُهُ جهنّمُ ولبِئسَ المِهادُ . ومِنَ الناسِ من يَشرى(١٠) نفسَهُ ابتغاءَ مرضاتِ اللهِ واللهُ

(١) ابن السبيل : المسافر .

(٢) أى فى تخليص الرقاب بفك الأسرى وعون المكاتبين .

(٣) البأساء : المصيبة فى المال . والضراء : المصيبة فى النفس . البأس : مجاهدة العدو .

(٤) صدقوا : أخلصوا للدين واتباع الحق وطلب البر . المتقون : المبتعدون عن الكفر وسائر الرذائل .

(٥) أى لا يأكل بعضكم مال بعض بوجه غير مباح .

(٦) تدلوا : تلقوا . بالإثم : أى بما يوجب إثما كشهادة الزور واليمين الكاذبة . وأنتم تعلمون جملة حالية . وذلك أن عمل الذنب مع العلم به أقبح .

(٧) أى يحلف على إخلاصه . ألد الخصام : شديد العداوة والجدال للسلمين .

(٨) تولى : أدبر وانصرف عنك أو اذا غلب وصار واليا . الحرث : الزرع . والنسل : الماشية .

(٩) أخذته بكذا : حملته عليه وألزمته إياه : والمعنى على ذلك أن الأنفة وحمية الجاهلية حملته على الإثم الذى يؤمر باتقائه . فحسبه جهنم أى كفته جزاء وعذابا . ولبئس المهاد : جواب قسم مقدر والمخصوص بالذم محذوف للعلم به . والمهاد : الفراش ، أى بئس المهاد مهاده .

(١٠) يشرى نفسه : يبيعها ويبذلها فى الجهاد مثلا . ابتغاء مرضاة الله : أى طلبا لرضاه . والله رءوف بالعباد لإرشادهم الى مثل هذا الشراء ليكونوا مقربين فائزين .

رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ . يٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءامَنُوا ادْخُلُوا فِى السِّلْمِ (١) كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوٰتِ الشَّيطٰانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ (٢) . فَإِنْ زَلَلْتُمْ (٣) مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمُ الْبَيِّنٰتُ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ (٤) .

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَكُمْ (٥) وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ .

مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ كَمَثَلِ (٦) حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللهُ يُضٰعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ ، وَاللهُ وٰسِعٌ عَلِيمٌ . الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِى سَبِيلِ اللهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَا أَنْفَقُوا مَنًّا (٧) وَلَا أَذًى لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ .

قُلِ اللّٰهُمَّ مٰلِكَ الْمُلْكِ (٨) تُؤْتِى الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ . تُولِجُ اللَّيْلَ فِى النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِى اللَّيْلِ (٩) وَتُخْرِجُ الْحَىَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَىِّ (١٠) وَتَرْزُقُ مَنْ تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ .

---

(١) السلم بفتح السين وكسرها : الاستسلام والطاعة . (٢) مبين : ظاهر العداوة .

(٣) زللتم : حدتم عن الدخول فى السلم . والبينات : الآيات والحجج الشاهدة على أنه الحق .

(٤) عزيز : لا يعجزه الانتقام . حكيم : عادل لا ينتقم إلا بحق .

(٥) كره لكم : شاق عليكم مكروه طبعا .

(٦) أى مثل نفقتهم كمثل حبة الخ . والمراد أن الله يضاعف لهم الثواب على هذا الإنفاق . واسع : لا يضيق فضله . عليم : بنية المنفق وقيمة إنفاقه .

(٧) المنّ : أن يعتد الانسان بإحسانه على من أحسن اليه .

(٨) الملك هنا : كل شىء فمعناه عام وما بعده خاص .

(٩) إيلاج الليل والنهار : إدخال أحدهما فى الآخر بالتعقيب أو الزيادة والنقص .

(١٠) المراد بإخراج الحى من الميت وبالعكس إنشاء الحيوان من مواده وإماتته .

إنَّ الذينَ يَشتَرُونَ بعَهْدِ اللهِ وأيْمٰنِهم ثمنًا قليلًا(١) أولٰئك لا خَلاقَ(٢) لهم فى الآخرة وَلا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ ولا ينظُرُ إليهم يومَ القيٰمة ولا يُزَكِّيهِمْ ولهم عذابٌ أليم .

واعتصِمُوا بحبلِ اللهِ جميعاً(٣) ولا تفرَّقوا واذكُرُوا نِعمتَ اللهِ عليكم إذ كُنتم أعداءً(٤) فألَّف بين قُلوبِكم فأصبحتُم بنعمتِه إخوٰنًا وكُنتمُ على شَفَا حُفرةٍ من النارِ(٥) فأنقذَكم منها كذٰلك يبيِّنُ اللهُ لكم ءايٰتِه لعلكم تهتدون . ولْتكنْ منكم أمةٌ يدْعُون إلى الخيْرِ ويأمُرونَ بالمعروفِ وَينهَوْن عن المُنكَرِ وأُولٰئكَ هم المفلِحون . ولا تكونوا كالَّذينَ تفرَّقُوا واختلَفُوا من بعدِ ما جاءَهم البيٰنتُ وأولٰئكَ لهم عذابٌ عظيم .

فَبِمَا رَحمةٍ من اللهِ لِنتَ لهم(٦) ولو كُنتَ فظًّا غَليظَ القلْبِ لانفَضُّوا من حَولك فاعْفُ عنهم واستغفرْ لهم وشاوِرْهُم فى الأمْرِ فإذا عزمتَ(٧) فتوكَّلْ على الله إنّ اللهَ يُحب المتوكِّلين . إن ينْصُرْكمُ اللهُ فلا غالبَ لكم وإن يخْذُلْكم فمَن ذا الذى ينْصُرُكم مِّن بعده وعلى اللهِ فلْيتوكَّلِ المُؤمنون .

---

(١) يشترون : يستبدلون . عهد الله : الأيمان . أيمانهم : ما حلفوا به كقولهم لنؤمنن بالله ولننصرنه . الثمن القليل : هو متاع الدنيا .

(٢) لا خلاق لهم : لا نصيب لهم من الخير والثواب . لا يزكيهم : لا يثنى عليهم .

(٣) اعتصموا : تمسكوا . حبل الله : دين الإسلام أو القرآن .

(٤) أى فى الجاهلية إذ كنتم تتقاتلون .

(٥) الشفا : الحرف . والمعنى : كنتم مشفين على الوقوع فى النار لكفركم فأنقذكم بالإسلام .

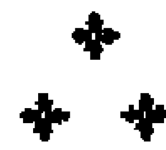
(٦) فبما رحمة : أى فبرحمة وما زائدة للتأكيد . الفظ : سيئ الخلق الجافى : غليظ القلب ، قاسيه . انفضوا من حولك : تفرقوا عنك .

(٧) عزمت : وطنت نفسك على شىء بعد الشورى .

وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكُوا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (١) . إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ الْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا (٢) .

وَإِذَا حُيِّيتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا (٣) .

وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ الَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ (٤) إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا . يَسْتَخْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ (٥) مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا . هَٰأَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا (٦) . وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ (٧) نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا .



يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنصَابُ وَالْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ (٨) مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَٰنِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِى الْخَمْرِ

(١) هذا أمر للأوصياء بمخافة الله فى أمر اليتامى وأن يفعلوا بهم ما يحبون أن يفعل بذراريهم الضعاف بعد وفاتهم . والقول السديد يظهر فى الإنصاف وحسن العشرة .

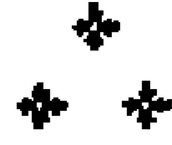
(٢) أى ما يجرّ الى النار . يصلون سعيرا : يدخلون نارا شديدة . (٣) يحاسبكم على التحية أيضا كما يحاسبكم على غيرها . (٤) يختان نفسه : يخونها بالمعاصى . الأثيم : المنهمك فى المعاصى .

(٥) يستخفون : يستترون . يبيتون : يدبرون زورا .

(٦) الوكيل : المحامى الدافع عنهم عذاب الله . (٧) يظلم نفسه بالشرك أو بذنب لا يتعدّاه ضرره .

(٨) الميسر : القمار مطلقا . الأنصاب : الأصنام نصبت للعبادة . الأزلام : جمع زلم وهو القدح . وذلك أن العرب كانوا اذا قصدوا فعلا ضربوا ثلاثة أقداح مكتوب على أحدها أمرنى ربى . وعلى الآخر نهانى ربى . والثالث غفل . فان خرج الآمر مضوا ، وان خرج الناهى تجنبوا ، وان خرج الغفل أجالوها ثانية . رجس : قذر تعافه العقول .

والمَيْسِر ويَصُدَّكُم عن ذِكرِ اللّٰهِ وعن الصَّلوٰة فهل أنتم مُنتَهُون (١) وأطيعوا اللهَ وأطيعوا الرَّسولَ واحْذَرُوا فإن تولَّيتُم فاعلَموا أنَّما على رسولنا البلٰغُ المُبين (٢) .



ولقد أرسلْنا إلى أُمَمٍ من قبلِكَ فأخذْنٰهم بالبَأساءِ والضرَّاءِ لعلَّهُم يتضرَّعون (٣) ، فلولا إذ جاءَهم بأسُنا تضرَّعوا (٤) ولكن قَسَتْ قُلوبُهم وزيَّن لهم الشيطٰنُ ما كانوا يعمَلون ، فلما نَسُوا ما ذُكِّروا به فتحنَا عليهم أبوٰبَ كلِّ شىْءٍ (٥) حتّى إذا فرِحُوا بِما أُوتوا أخذْنٰهم بَغْتَةً فاذا هم مُبْلِسون (٦) ، فقُطِعَ دابِرُ القومِ الذينَ ظَلَموا والحمدُ للهِ ربِّ العٰلَمين (٧) .

وإذْ قال إبرٰهيمُ لأبيهِ ءازرَ (٨) أتتخِذُ أصنامًا ءالهةً إنى أرٰك وقومَك فى ضَلٰلٍ مُّبينٍ ، وكذلك نُرِى إبرٰهيمَ ملَكُوتَ السمٰوٰتِ والأرضِ (٩) وليكونَ من المُوقنينَ ، فلما جَنَّ (١٠)

(١) هذا الاستفهام إيذان بأن أمر المنع والتحذير بلغ الغاية ، وأن الأعذار قد انقطعت .

(٢) أى فان أعرضتم فلن تضروا الرسول بإعراضكم لأن عليه البلاغ وقد أداه .

(٣) أى فكفروا فأخذناهم الخ . البأساء : الشدة والفقر . الضراء : الضر والآفات . يتضرعون : يتذللون ويتوبون .

(٤) معناه نفى تضرعهم فى ذلك الوقت مع قيام ما يدعوهم اليه .

(٥) أى لما نسوا ما ذكروا به من البأساء والضراء فتحنا عليهم أبواب النعم امتحانا لهم بالشدة والرخاء .

(٦) مبلسون : متحسرون آيسون .

(٧) دابرهم : آخرهم بحيث لم يبق منهم أحد ، (والحمد لله) على هلاكهم إذ هو نعمة للناس .

(٨) آزر : عطف بيان لأبيه .

(٩) ملكوت السموات : عجائبها وبدائعها . ليكون من الموقنين أى ليستدل ويستيقن .

(١٠) جن عليه الليل : ستره بظلامه . وهنا أراد سيدنا إبراهيم هداية قومه من طريق النظر والاستدلال .

عليه الَّيلُ رءَا كوكبا قال هذا ربِّى فلمَّا أفَلَ(١) قال لا أُحِبُّ الآفِلين . فلما رءَا القمرَ بازغًا(٢) قال هذا ربِّى فلما أفلَ قالَ لئِن لَّم يهدنِى ربِّى لأَكونَنَّ من القَوْم الضالِّين . فلما رءا الشمسَ بازِغةً قال هٰذا ربِّى هذا أكبرُ فلمّا أفلتْ قال يٰقَوْمِ إنِّى برِىءٌ مما تُشركون(٣) . إنى وجَّهتُ وجْهِىَ للذى فَطَر السمٰواتِ والأرضَ حَنيفًا(٤) وما أنا من المشركين .

إن اللّٰه فالِقُ الحبِّ والنَّوى(٥) يُخرِجُ الحىَّ من الميِّتِ ومُخْرِجُ الميِّتِ من الحىِّ، ذلكُمُ اللّٰهُ فأَنَّى تُؤفَكُون(٦) . فَالِقُ الإِصْباحِ وجَعَلَ الَّيلَ سَكَنًا والشمسَ والقمرَ حُسْبانًا ذَلك تقديرُ العَزيزِ العليمِ(٧) . وهو الَّذى جعلَ لكم النجومَ لِتَهْتَدُوا بها فى ظُلُمٰتِ البرِّ والبَحرِ قد فصَّلْنا(٨) الأيٰتِ لِقوم يعلَمون . وهو الذى أنشأَكم مِن نَفْسٍ واحدةٍ فمستقَرٌّ ومُسْتَوْدَعٌ قد فصَّلْنا الأيٰتِ لِقَوْمٍ يفقهون(٩) ، وهو الذى أَنزَلَ من السماءِ ماءً فأخرجْنَا به نَبَاتَ كُلِّ شىءٍ(١٠)

(١) أفل النجم : غاب .

(٢) بازغا : مبتدئا فى الطلوع .

(٣) أى من الأجرام السماوية المحدثة المحتاجة الى من يصرفها .

(٤) وجهت : توجهت بالإيمان والعبادة . فطر : خلق . حنيفا : حال من التاء فى وجهت . والحنيف : المسلم .

(٥) فالقه بالنبات والشجر الذى ينبت منه .

(٦) تؤفكون : تنصرفون عنه الى غيره .

(٧) فالق الإصباح : شاق عمود الصباح عن ظلمة الليل . سكنا : يسكن اليه التعب نهارا مطمئنا اليه . حسبانا : أى على أدوار يحسب بها الوقت . وهو مصدر حسب بالفتح . وقيل : جمع حساب كشهاب وشهبان . العزيز العليم : القادر والخبير بتدبيرهما حسب الأصلح .

(٨) فصلنا الآيات : بيناها فصلا فصلا .

(٩) نفس واحدة هى آدم عليه السلام . مستقر : فى الأصلاب أو فوق الأرض . مستودع : فى الأرحام أو تحت الأرض .

(١٠) أى نبت كل صنف من النبات .

فأخرجنا منه خضرًا(١) نخرج منه حبًّا متراكبًا ومن النخل من طلعها قنوان دانية(٢) وجنّت من أعناب والزيتون والرمان مشتبهًا وغير متشبه، انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن فى ذلكم لأيت لقوم يؤمنون .

قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألّا تشركوا به شيئًا وبالولدين إحسنًا(٣) ولا تقتلوا أولدكم من إملق(٤) نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفوحش(٥) ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق ذلكم وصكم به لعلكم تعقلون . ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن(٦) حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط(٧) لا نكلف نفسًا إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا(٨) ولو كان ذا قربى، وبعهد الله أوفوا ذلكم وصكم به لعلكم تذكرون، وأن هذا صرطى(٩) مستقيمًا فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصكم به لعلكم تتقون .

(١) الخضر : شىء أخضر يخرج من الحبة متشعبا . الحب المتراكب : هو السنبل .

(٢) أى وأخرجنا من النخل نخلا من طلعها قنوان، وهى الأعذاق : جمع قنو كصنوان جمع صنو . دانية : قريبة التناول أو ملتفة متقاربة . وجنات : عطف على نبات كل شىء . ينعه : نضجه . الآيات : العلامات والأدلة على وجود الخالق الحكيم .

(٣) أى وأحسنوا بهما إحسانا .

(٤) الإملاق : الفقر . ومن : للسببية .

(٥) الفواحش : كبار الذنوب .

(٦) أى بالطريقة النافعة محافظة واستثمارا . الأشد : جمع شدة كنعمة وأنعم . والمراد حتى يصير بالغا .

(٧) القسط : العدل والتسوية .

(٨) اعدلوا : قولوا الحق والعدل ولو على القريب .

(٩) صراط الله : شريعته . والمراد بالسبل : الأديان المختلفة أو الأهواء الضالة .

واتّقوا فتنةً لا تُصيبنّ الّذين ظلموا منكم خاصّةً(١) واعلموا أنّ الله شديدُ العقاب.
واذكروا إذ أنتم قليلٌ مستضعفون فى الأرض تخافون أن يتخطّفكم الناس فآواكم
وأيّدكم بنصره ورزقكم من الطّيّبات لعلكم تشكرون(٢).

آيات من القرآن الكريم جارية مجرى الأمثال

لن تنالوا البرّ حتى تنفقوا مما تحبّون(٣). الآن حصحص الحقّ(٤). وضرب لنا مثلاً
ونسى خلقه(٥). ذلك بما قدّمت يداك(٦). قُضى الأمر الذى فيه تستفتيان(٧). إنّ موعدهم
الصّبح أليس الصّبح بقريب(٨). وحيل بينهم وبين ما يشتهون(٩). لكلّ نبإٍ مستقرّ(١٠).
ولا يحيق المكرُ السيئ إلا بأهله(١١). قل كلٌّ يعمل على شاكلته(١٢). وعسى أن تكرهوا

---

(١) أى اتقوا ذنبا يعمكم أثره : كإقرار الأشرار، وترك التناهى عن المنكرات، ومن أوجه إعراب لا تصيبن أنها جواب الأمر على معنى ان أصابتكم .

(٢) يمتن الله عليهم بما يتهم ونصرتهم حينا كانوا ضعافا أول الإسلام .

(٣) تستعمل فى الحث على بذل النفيس المحبوب .

(٤) حصحص : بان وظهر . تستعمل لظهور الأمر بعد خفائه أو الشك فيه .

(٥) تقال للشخص ينظر الى وجه ضعيف دون القوى الهام . وأصلها أن الإنسان يعجب من البعث ناسيا أن الله الذى خلقه من التراب قادر على بعثه .

(٦) يجابه بها من فرط فوقع فى مغبة عمله .

(٧) تستعمل فى اليأس من الرجوع فى الحكم أو العمل .

(٨) فى قرب المنتظر .

(٩) فى الحرمان .

(١٠) للنص على أن لكل شىء غاية .

(١١) مدبر الشر يقع فيه .

(١٢) تستعمل فى دلالة العمل على طبيعة صاحبه

شيئًا وهو خَيرٌ لكم (١) . كلُّ نفسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينةٌ (٢) . ما عَلَى الرسولِ إلاّ البلْغ (٣) . ما على المُحسنينَ من سَبيل (٤) . هَلْ جزاءُ الإِحسانِ إلّا الإحْسَانُ (٥) . كم مِن فِئةٍ قليلةٍ غَلَبَتْ فِئةً كثيرةً بإذن الله (٦) . ءآلـئن وقـد عَصَيْتَ قَبْلُ (٧) . تَحسَبُهم جَميعًا وقُلوبُهم شَتَّىٰ (٨) . ولا يُنَبِّئُكَ مثلُ خَبِيرٍ (٩) . كُلُّ حزبٍ بما لَدَيهِمْ فَرِحُونَ (١٠) . ولو عَلِمَ اللهُ فيهمْ خَيرًا لأسمَعَهم (١١) . وقليلٌ من عِبَادِيَ الشَّكُور (١٢) . لا يُكلِّفُ اللهُ نفسًا إلا وُسْعَها (١٣) . لا يَستوِى الخَبيثُ والطيِّبُ (١٤) . ظَهَـر الفسادُ فى البرِّ والبحرِ (١٥) . ضَعُفَ الطَّالِبُ والمطلوبُ (١٦) . لِمِثْلِ هـذا فَلْيعمَلِ العَامِلُون (١٧) . وقليلٌ مّا هُم (١٨) . فاعتَبِرُوا يأُولِي الأبْصر (١٩) .

(١) فى ظهور الخير من غير مظانه .

(٢) تستعمل فى تحمل الإنسان نتيجة عمله .

(٣) فى الرجل يقوم بواجبه لا يعنيه المهمل .

(٤) للحسن : يجود بما يشاء .

(٥) فى الخير : جزاؤه الخير .

(٦) الضعيف : يفوز بالقوى .

(٧) عدم فائدة التوبة بعد فوات الفرصة . والأصل تطيع الآن الخ .

(٨) تستعمل للجماعة كالمتفقين وأهواؤهم مختلفة .

(٩) يضرب للرجل يعرف الشيء أكثر من غيره .

(١٠) تعصب الإنسان لما عنده .

(١١) تضرب للقوم يفقدون خيرا لا يستحقونه .

(١٢) إنكار الجميل . (١٣) الاكتفاء بغاية الجهد .

(١٤) للفرق بين المتباينات . (١٥) للشر يعم .

(١٦) يضرب لاستضعاف المتكبر المتجاهل .

(١٧) استكبار الشيء وتبجيله .

(١٨) للأشياء النادرة .

(١٩) تستعمل فى لفت النظر إلى مواطن العبرة والتبصر .

(ب) الشِّـــعر

(١) قال كعب بن زهير[١] :

بانتْ سُعادُ فقلبي اليومَ مَتْبولُ ... مُتَيَّمٌ عندَها لم يُجْزَ مكبولُ (٢)

وما سُعادُ غداةَ البين إذ برزَتْ ... إلا أَغَنُّ غضيضُ الطرْف مكحول (٣)

تجلو عوارضَ ذي ظَلْمٍ إذا ابتسمتْ ... كأنه مُنْهَلٌ بالراحِ معلول (٤)

شُجَّتْ بذي شَبَمٍ من ماءِ مَحْنِيَةٍ ... صافٍ بأبطحَ أضحى وهو مشمول (٥)

تنفي الرياحُ القذَى عنه وأفرطَه ... من صَوْبِ غاديةٍ بيضٌ يعاليل (٦)

ويلُ امِّها خُلَّةً لو أنها صدقَتْ ... بوعدها ولو انّ النصحَ مقبول (٧)

---

(١) هو كعب بن زهير بن أبي سلمى الشاعر الجاهلي . وقد نشأ كعب فى أسرة شاعرة ذات خواص فنية متشابهة . وأسلم ومدح الرسول بهذه القصيدة التى نشرحها . ويعدّ شعره من النوع القوى الجزل مع غرابة لفظ ، وجودة وصف ، ويقال إنه توفى سنة ٢٤ هـ .

(٢) بانت : فارقت . والمتبول : الذى أسقمه الحب . ومكبول : مقيد .

(٣) الأغنّ : الذى فى صوته غنة ، وهى صوت محبوب . غضيض الطرف : أى فى طرفها كسر وفتور .

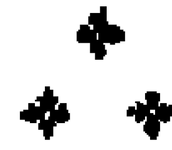
(٤) تجلو : تكشف . والمراد بالعوارض هنا الأسنان . ذى ظلم : أى ثغر ذى ظلم . والظلم : ماء الأسنان وبريقها . معلول : أى مسقىّ بالخمر مرة بعد أخرى .

(٥) شجت : أى مزجت بالماء لتذهب سورتها . وبذى شبم أى بماء ذى شبم . والشبم : البرد . والمحنية : منعطف الوادى لأن ماءها يكون أصفى وأرق . والأبطح : مسيل فيه دقاق الحصى . والمشمول : الذى ضربته ريح الشمال حتى برد .

(٦) القذى : ما يسقط فى الماء . وأفرطه : أى ملأه . والصوب : المطر . والغادية : الغمامة تأتى صباحا . واليعاليل : الجبال ، أى وملأ هذا الأبطح سيل آت من جبال بيض .

(٧) ويل امها فى رواية ابن هشام أكرم بها . والخلة هنا : الصديقة .

لكنها خُلّةٌ قد سِيطَ من دمِهـا بَجْـعٌ ووَلْعٌ و إخلافٌ وتبـديل (١)
فـا تقـومُ على حالٍ تكون بهـا كما تَلَوَّنُ فى أثوابهـا الغُــول (٢)
ولا تَمَسَّكُ بالعَهدِ الذى زَعَمَتْ إلا كما يُمْسِـكُ المـاءَ الغرابيـل
كانت مواعيدُ عُرْقوب لها مثلا وما مواعيـــدُه إلا الأباطيـل (٣)
أرجو وآمُـــلُ أن تدنو مودّتُهـا وما إِخالُ لدينـا منـكِ تنـويل
فلا يَغُــرَّنْك ما منّتْ وما وَعَدتْ إن الأمانىَّ والأحلامَ تضليـــل
أمست سُـعادُ بأرضٍ لا يُبَلِّغُهـا إلا العِتـاقُ النَّجِيّاتُ المراسـيل (٤)



نُبِّئْتُ أنّ رسـولَ اللهِ أوعدنى والعفوُ عنـــد رسولِ الله مأمول (٥)
مهلًا هداكَ الذى أعطاكَ نافلَةَ الْـ قُرآنِ فيهـا مواعيظٌ وتفصـيل (٦)
لا تأخُذَنِّى بأقوالِ الوُشـاةِ، ولم أُذْنِبْ ، ولو كثُرت فىَّ الأقاويل

---

(١) سيط : من ساط المـاء ونحوه يسـوطه : خلطه بغيره . والفجع : الإصابة بالمكروه . والولع : الكذب .

(٢) الغول : من خرافات العرب يزعمون أنها تتراءى لهم فى الفلوات وتتلوّن لهم وتضلهم عن الطريق .

(٣) عرقوب : يضرب به المثل فى خلف الوعد ، قيـل إنه وعد أخا له ثمر نخلة ، وقال : ائتنى إذا أطلع النخل ، فلمـا أطلع قال : إذا أبلح . فلمـا أبلح قال : إذا أزهى . فلمـا أزهى قال : إذا أرطب . فلمـا أرطب قال : إذا صار تمرا . فلمـا صار تمرا جدّه من الليل ولم يعطه شيئا .

(٤) العتاق : الإبل أو الخيـل الكريمة . والنجيات : السريعات . والمراسيل : جمع مرسال ، وهو السريع .

(٥) أوعد : هدّد .

(٦) نافلة القرآن : عطية القرآن . والتفصيل : التبيين .

لقــــد أقومُ مَقامًا لو يَقـــومُ به يرى ويَسمَعُ ما قد أسمعُ الفيـــلُ (١)
لظلَّ تُرْعَدُ من وَجْدٍ بوادرُه إن لم يكن من رســول الله تنويل (٢)
ما زلتُ أقتطعُ البَيْـــداءَ مُدَّرِعًا جُنْحَ الظلامِ، وثوبُ الليلِ مسبول (٣)
حتى وضَعتُ يمينى ما أنازِعُها فى كفِّ ذى نَقِماتٍ قولُه القِيـــلُ (٤)
فَلَهوَ أَخْوفُ عنــدِى إذ أكلِّمُه وقيـــل : إنك منسوبٌ ومسئول (٥)
من ضَيْغَمٍ بضَراءِ الأرضِ مُخْـدَرُه فى بطن عَثَّرَ غِيـــلٌ دونه غيـــل (٦)
يغــدو فَيَلْحَمُ ضِرغامَين عَيْشُهما لحمٌ من النـاس معفورٌ خراديل (٧)
إذا يُساوِرُ قِرْنًا لا يحِــلُّ له أنْ يترُكَ القِـرنَ إلا وهــو مغلول (٨)
منـــه تظلُّ حَمـيرُ الجـــوِّ نافرةً ولا تَمَشَّى بوادِيه الأراجيـــلُ (٩)

---

(١) أى لقد شهدت برؤية الرسول مشهدا عظيم الهيبــة لو شهده الفيل أو سمع الفيل ما يدور به من الحديث لظل يرعد .

(٢) ظل ترعد، جواب لو فى البيت السابق . والبوادر : جمع بادرة، وهى هنا بين المنكب والعنق .

(٣) ادّرع الظلام أى لبسه كأنه درع .

(٤) ما أنازعها : أى لا أجذبها . والقيل : أى القول الحق .

(٥) أخوف : أى أعظم مسبب للخوف . ومنسوب : أى مسئول عن نسبك .

(٦) من ضيغم : متعلق بأخوف فى البيت السابق . وضراء الأرض أى الأرض المستوية التى تأوى بها السباع و بها نبذ من الشــجر . والمخدر : مكان إقامة الأســد . و بطن عثر مأسدة . أى مخدره غيل من بطن عثر دونه غيل . والغيل : الأجمة — يصفه بالمنعة والتوحش .

(٧) يلحم : أى يطعم اللحم . معفور : أى ملق فى التراب . والخراديل : القطع، والمعنى يصبح الأسد فيطلب صيدا لولدين أكلهما من لحوم الناس المعفورة المقطعة .

(٨) يساور : يواثب . والقرن : المماثل . ولا يحل : لا يسوغ . والمغلول : المقيد . و يراد به هنا الذى لا يستطيع المشى . وفى رواية مجدول .

(٩) الجو : البر الواسع . والأراجيل : جمع رجيل وهو الراجل غير الراكب .

ولا يزالُ بِوَادِيهِ أخو ثِقَـــةٍ مضرَّجُ البَزِّ والدرسَيْنِ مأكول (١)
إنّ الرسولَ لَنـــورٌ يُستَضاءُ به مهنّـــدٌ من ســيوفِ اللهِ مسلول
فى عُصبةٍ من قريش قال قائلُهم ببطن مكّةَ لما أسلموا : زُولوا (٢)
زالوا، فمازال أنْكاسٌ ولا كُشُفٌ عنـد اللقاءِ ولا مِيــلٌ معازيل (٣)
يمشُونَ مَشيَ الجِمالِ الزُّهْرِ يَعصِمُهُمْ ضربٌ إذا عَرَّدَ السـودُ التنابيل (٤)
شُمُّ العـرانِينِ أبطالٌ لَبُــوسهُمُ من نسجِ داودَ فى الهَيْجا سرابيل (٥)
بيضٌ سوابغُ قد شُكَّتْ لها حَلَقٌ كأنهـا حَلَقُ القَفْعاءِ مجـدول (٦)
ليســوا مفاريحَ إن نالتْ رِماحُهُم قومًا، وليســوا مَجازيعًا إذا نيلوا (٧)
لا يقـعُ الطعنُ إلا فى نُحورِهِـمُ ليس لهم عن حِياضِ الموت تهليل (٨)

---

(١) البز : الثياب . والدرس : الثوب الخلق ؛ أى أن بوادى هذا الأسد تجد شجاعا كان يثق بنفسه فافترسه وأصبحت ثيابه خلقا ممزقة .

(٢) زولوا : أى انتقلوا من مكة إلى المدينة .

(٣) النكس : الضعيف . والكشف : جمع أكشف وهو من لا ترس له . والميل : جمع أميل وهو من لا سيف له أو من لا يحسن الركوب . والمعازيل : جمع معزول وهو من لا سلاح له .

(٤) الزهر : البيض . وعرد : فر وأعرض . والتنابيل : القصار .

(٥) شم العرانين : شم الأنوف ، أى أعزة . واللبوس : اللباس . والسرابيل : الدروع ، أى لباسهم دروع من نسج داود .

(٦) بيض : صفة للسرابيل . والسوابغ الطوال . والقفعاء : نبات ينبسط على الأرض يشبه حلق الدروع .

(٧) المفاريح : جمع مفراح . والمجازيع : جمع مجزاع .

(٨) التهليل : الجبن والفرار .

(٢) قالت قُتيلةُ(١) بنت النَّضْر بن الحارث تبكى أخاها

يا راكبًا إنّ الأُثَيْلَ مَظِنَّةٌ ... من صُبْحِ خامسةٍ ، وأنت موفَّقُ (٢)
أَبْلِغْ بها مَيْتًا بأنّ تحيّةً ... ما إن تزالُ بها النجائبُ تخفِقُ (٣)
منّى اليك ، وعَبْرةً مسفوحةً ... جادتْ بواكِفِها ، وأخرى تَخْنُقُ (٤)
هل يَسْمَعِنّى النَّضْرُ إن ناديتُه ... أم كيف يسمعُ ميّتٌ لا يَنطِق (٥)
أمحمّدٌ يا خيرَ ضِنْءِ كريمةٍ ... فى قومها ، والفَحْلُ فحلٌ مُعْرِق (٦)
ما كان ضَرَّكَ لو مَنَنْتَ؟ وربّما ... مَنَّ الفتى وهو المَغِيظُ المُحْنَق (٧)
أو كنت قابِلَ فِدْيةٍ فلْيُنْفَقَنْ ... بأعزِّ ما يغلو به ما يُنْفَقُ (٨)

(١) قتيلة بنت النضر وقيل أخته نشأت فى قومها بنى عبد الدار بن قصى من قريش . وكان أخوها أ و أبوها النضر مع قريش على الرسول فى غزوة بدر فأمر الرسول عليه السلام بقتله . وترى أن شعرها على قوّته أكرم شعر موتور وأعفه وأكفه وأحلمه .

(٢) الأثيل : موضع فيه قبر النضر ، تقول إن الأثيل يظن أن تبلغه فى صبح الليلة الخامسة ، إذا وفقت ولم يعقك عائق .

(٣) النجائب : جمع نجيبة . وهى جياد الإبل . وخفقان النجائب : شدّة اهتزازها ، و إن زائدة .

(٤) منى متعلق بأبلغ ، والمسفوحة : المصبوبة ، أى بلغه منى رسالة ، واذكر له عبرة على فقده سالت ، وعبرة أخرى جمدت ، وأخذ حزنها بالحلق فخنقه .

(٥) أم هنا للإضراب : أى بل كيف يسمع الخ .

(٦) الضنء : الولد . والنجيبة : الكريمة . والمعرق : من له أصول راسخة فى الكرم . والمعنى أن أمك شريفة وأباك عريق فى المجد .

(٧) المعنى اذا كنت كذلك فما كان ضرك لو مننت على أخى وأطلقته فقد يعفو الكريم ، وهو منطو على الغيظ والحنق .

(٨) أى وما ضرك لو قبلت فدية ، فانك ان فعلت أنفقنا لفديته أعز وأغلى ما نملك .

فالنضر أقـربُ مَن أَسْرتَ قَرابَةً وأحقُّهم إن كان عِتقٌ يُعتَقُ (١)
ظلّتْ سـيوفُ بنى أبيـه تَنُوشُه لله أرحامٌ هنـاك تُشَـقَّقُ! (٢)
صـبْرًا يقادُ إلى المنيـة مُتْعَبًا رَسْفَ المقيدِ، وهـو عانٍ مُوثَقُ (٣)

(٣) قال المثقِّب العَبْدِىّ (٤)

أفاطِمَ قبـل بَيْنِـكِ مَتِّعيـنى ومَنْعُكِ ما سألتُ كأَنْ تَبِينى! (٥)
فـلا تَعِـدِى مواعدَ كاذباتٍ تَمُـرُّ بهـا رِياحُ الصيفِ دُونى (٦)
فإنى لـو تُخـالِفُـنِى شِمـالى خِلافَكِ ما وصلتُ بهـا يَمِيـنى (٧)
إذًا لَقطعتُها، ولَقُلتُ: بِيـنِى كذلكَ أَجْتَـوِى من يَجْتَوِينى (٨)
لِمَن ظُعُنٌ تُطالِـعُ مِن خُبيبٍ؟ فما خرجتْ مِنَ الوادِى لِحِين (٩)

(١) كان تامة: أى وأحقهم بأن يعتق إن حصل منك عتق وفكاك.

(٢) تنوشه: تتناوله، ولله أرحام: تعجب أى لم يقتله أحد غير بنى أبيه فعجبا من أرحام يقطعها أصحابها.

(٣) صبرا أى صابرا على القتل، والمعنى أنه يقاد ليموت صـبرا وهو متعب يرسف رسف المقيد وهو أسير موثق.

(٤) هو العائذ بن محصن بن ثعلبة من ربيعة نشأ فى الجاهلية يمدح عمرو بن هند وكان هو سيدا مقدما ذا مآثر جمة. ويعد من أصحاب المشوبات له شعر جيد فى أغراض شتى منها مشوبته هذه فى مدح عمرو بن هند.

(٥) ومنعك ما سألت الخ: أى ومنعك ما أسأله هو وفراقك سواء.

(٦) تمر بها الخ: أى تذهب مع الرياح، وخص رياح الصيف لأنها رياح لا خير فيها تأتى بالغبار فقط.

(٧) خلافك: أى مثل خلافك، ما وصلت بها يمينى: أى لقطعتها.

(٨) أجتوى: أكره.

(٩) خبيب: ماء فى طريق مكة، فما خرجت من الوادى الخ أى استمرت سائرة فى الوادى مدة. ومعنى لحين، بعد حين قصير.

مَرَرن على شَرافِ فذاتِ رِجْلٍ ونَكَّبْنَ الذرائحَ باليمينِ (١)

وهُنَّ كذاكَ حين قطعْنَ فَلْجا كأنّ حُمولَهن على سَفينِ (٢)

يُشَبَّهنَ السفينَ وهن بُخْتٌ عُراضاتُ الأباهرِ والشئونِ (٣)

وهُنَّ على الرجائزِ واكِناتٌ قواتلُ كلِّ أشجعَ مُستكينِ (٤)

كغِزلانٍ خَذَلْنَ بذاتِ ضالٍ تَنوشُ الدانياتِ من الغُصونِ (٥)

ظَهَرْنَ بكِلّةٍ وسَدَلْنَ أُخرى وثَقَّبْنَ الوصاوِصَ للعيونِ (٦)

وهُنَّ على الظِّلامِ مُطَلَّباتٌ طويلاتُ الذوائبِ والقُرونِ (٧)

ومن ذَهَبٍ يلوحُ على تَريبٍ كلونِ العاجِ ليس بذي غُضُونِ (٨)

إذا ما فُتْنَه يومًا بِرَهْنٍ يَعِزُّ عليه لم يَرجعْ بحِينِ (٩)

(١) شراف : ماء لبنى أسد . وذات رجل : موضع . ونكبن : أى عدلن . والذرائح : موضع .

(٢) فلج : موضع .

(٣) يشبهن : يمثلن . البخت : الإبل الخراسانية . والعراضة : العريضة . والأباهر : الظهور . والشئون : جمع شأن وهو مجتمع قبائل الرأس .

(٤) الرجائز : مراكب للنساء تشبه الهوادج . واكنات : جالسات . والأشجع : الطويل أو ذو الشجاعة . ومستكين : أى خاضع لهن .

(٥) خذلن : أى نفرن من القطيع . وذات ضال : موضع . تنوش : تتناول .

(٦) الكلة : الستر الرقيق . وثقبن : أى فتحن . والوصاوص : خروق فى الستر بقدر العين ، وقيل لهذا البيت سمى الشاعر بالمثقب .

(٧) الظلام : الظلم . مطلبات : مرغوب فيهن .

(٨) من ذهب متعلق بمحذوف تقديره وأعجب مثلا ، والتريب المراد به الصدر ، وليس بذى غضون صفة للتريب . والغضون : التجاعيد .

(٩) أى إذا ما تركن هذا الذهب مرهونا عند أحد الناس عز على هذا الذهب أن يبقى بعيدا عن صدورهن لشغفه بها .

بتلهيـــةٍ أريشُ بهـا سِهَـامى   تَبُذُّ المُرشِـقات من القَطِين (١)
علونَ رَباوة وهبطن غَيْبًا   فـلم يرجعنَ قائـلةً لحينِ (٢)
فقلت لبعضِهن وشُــدَّ رَحْـلِي   لِهَاجِرة نَصبْتُ لهـا جَبِيني :
لَعـلَّكِ ان صَرَمتِ الحبَـلَ مِنِّي   كذاك أكونُ مُصحَبتِي قَرُوني (٣)
فَسَرِّ الهمَّ عنـكَ بذاتِ لَـوثٍ   عُـذافِرةٍ كِمطرَقَـة القُيُونِ (٤)
بِصادِقَـةِ الوجيف كأنَّ هِرًّا   يُبارِيهـا ويأخُـذُ بالوَضِين (٥)
كساها تامِكًا قَـرِدًا عليها   سَـوَادِيُّ الرضيخ مع اللَّجِين (٦)
إذا قَلِقَتْ أشُـدُّ لها سِـنَافًا   أمامَ الزَّورِ من قَلَقِ الوَضِـينِ (٧)
كأنَّ مواقـعَ الثَّفِنَاتِ مِنهَـا   مُعَرَّسُ باكِراتِ الـوِرْدِ جُونِ (٨)

(١) التلهية : التسلية واللهو. وراش السهم ، ألصق به الريش ليرمى به . والمرشقات : اللاتى يرشقن القلوب بنظراتهن . تبذ : تغلب . والقطين : أهل الدار للفرد والجمع . يقول تبذ هذه المرأة غيرها بالحسن .

(٢) الرباوة : ما ارتفع من الأرض. والغيب : ماهبط منها . والقائلة : نصف النهار . ومعنى الشطر الثانى أنهن لم يكدن يقلن .

(٣) الصرم : القطع ، وجواب الشرط محذوف . ومصحبتى : أى مصاحبتى . والقرون : النفس أى أنك إن قطعت حبل مودتى قطعتك ، وكذلك أكون فى كل حال لا أقبل ضيما ولا أصاحب إلا نفسى .

(٤) ذات لوث : ناقة قوية . عذافرة : شديدة . القيون : الحدادون .

(٥) الوجيف : السير السريع ، والوضين : حزام الرحل . يقول كأن هرا شد إلى الحزام فهى تفزع منه .

(٦) التامك : السنام المرتفع . والقرد : المتلبد . وسوادى الرضيخ : أى القت والنوى المدقوق . واللجين : اللزج من العلف .

(٧) السناف : حبل يشد على الصدر ويربط بحزام الرحل من جانبيه . والزور : الصدر .

(٨) الثفنات : ما مس الأرض من الناقة عند مبركها . والمعرس : المكان الذى ينزل فيه آخر الليل للراحة . ومعرس القطا : خفى جدا . باكرات الورد : مسرعات إلى ورود الماء ، يريد بها القطا . الجون : المائلة الى السواد ، يقول إنها تتجافى فى مبركها فآثارها فى مباركها كآثار القطا .

يجذّ تنفُّسُ الصُّعَداءِ منها قُوى النِّسعِ المُحرَّمِ ذي المتون (١)
تَصُكُّ الحالِبَينِ بمُشفتِرٍّ له صَوتٌ أبَحُّ من الرَّنين (٢)
كأنَّ نَفِيَّ ما تَنفِي يداها قِذافُ غَريبةٍ بيَدَي مُعِين (٣)
وتَسمَعُ للذُّبابِ إذا تغنَّى كتَغرِيدِ الحمامِ على الوُكُون (٤)
فألقيتُ الزِّمامَ لها فنامَت لِعادَتِها من السَّدَفِ المُبين (٥)
كأنَّ مُناخَها مُلقَى لِجامٍ على مَعزائِها وعلى الوَجين (٦)
كأنَّ الكُورَ والأنساعَ منها على قَرْواءَ ماهرةٍ دَهين (٧)
يشُقُّ الماءَ جُؤجُؤُها ويعلو غواربَ كلِّ ذي حَدَبٍ بَطين (٨)

---

(١) يجذ : يقطع ، والنسع المحرم : السير من الجلد المدبوغ دون تليين . والمتون : القوى . والمعنى أنها اذا زفرت قطعت النسع بتنفسها . والصعداء : النفس المردود الى الجوف .

(٢) تصك : ترج . والمشفتر : المتفرق يريد الحصى المتطاير . والحالبان : عرقان يكتنفان السرة .

(٣) الغريبة : الناقة الغريبة . والمعين : الأجير ، أى كأن ما تنفيه يداها من الحصى ما يرمى به الأجير الناقة الغريبة إذا حاولت ورود الماء .

(٤) قال الأصمعى : الذباب هنا حد نابها إذا صرفت به . ويصح أن يراد به الذباب المعروف . والوكون : عشاش الطير .

(٥) السدف : ظهور الصبح ، أى أنها سارت طول الليل وبركت كعادتها وقت الصبح .

(٦) المناخ : مكان الإناخة . والمعزاء : الأرض الكثيرة الحصى . والوجين : ما غلظ من الأرض . يشبه ما يمس الأرض بموقع اللجام أى أنها تتجافى فى المبرك لكرمها .

(٧) الكور : الرحل . والأنساع : السيور . والقرواء : السفينة . ماهرة : سابحة مجيدة . دهين : مدهونة .

(٨) الجؤجؤ : الصدر . والغوارب : الأمواج . والحدب : تلاطم الماء بعضه ببعض عند جريانه . والبطين : الواسع البعيد الغور .

غدتْ قَوْدَاءَ مُنْشَقًّا نَساها تَجَاسَرُ بالنُّـخاعِ وبالوَتينِ (١)
إذا ما قمتُ أرحَلُها بلَيلٍ تأوَّهُ آهَـةَ الرجلِ الحزينِ (٢)
تقُولُ إذا دَرأتُ لها وَضِيني : أهــذا دِينُـه أبدًا ودِيني ؟ (٣)
أَكلَّ الدهرِ حَلٌّ وارتحـالٌ ؟ أما يُبْـقِى علىَّ وما يقيـنى
فأبقَى باطلِى والجِـدُّ منهـا كدُكَّانِ الدَّرَابِنَـةِ المَطِينِ (٤)
ثنيْتُ زِمَامَها ، ووضعتُ رحلى ونُمْرُقَةً رفـدتُ بها يَميِنى (٥)
فرحتُ بهـا تُعَارِضُ مُسْبَطِرًّا على صَحْصَاحِه وعلى المُتُـونِ (٦)
إلى عمرو ، ومِن عمرو أتتنى أخى النَّجَدَاتِ والحِلْمِ الرصينِ (٧)
فإمَّا أن تكونَ أخى بحق فأعرِفَ منـك غَثِّى أو سمينى ،
وإلَّا فاطَّرِحْـنى ، واتَّخِذْنى عـدوًّا أتقيـك وتتقيـنى
وما أدرى إذا يَمَّمتُ أمرًا أريدُ الخـيرَ أيُّهما يليـنى (٨)
أألخـيرُ الذى أنا أبتغيــه أم الشرُّ الذى هو يبتغيـنى

(١) القـوداء : الذلول . والنسا : عرق فى الفخذ . وتجاسر : أى تتجاسر أى تمضى فى عزم . والوتين : عرق فى القلب .
(٢) تأوه : أى تتأوه .
(٣) درأته : دفعته وأزالته عن موضعه . الوضين : حزام الرحل . والدين : العادة والدأب .
(٤) الدكان : المصطبة . والدرابنـة : البوابون . والمطين : المطلى بالطين . والباطل هنا : الركوب للهو .
(٥) النمرقة : الوسادة . رفدت الخ : منحتها يمينى .
(٦) المسبطر : الطريق الممتدة ؛ والصحصاح : المستوى . ومتون : جمع متن ، وهو ماصلب من الأرض .
(٧) يريد عمرو بن هند ملك الحيرة ، ومن عمرو أتتنى أى هذه الناقة من عطاياه .
(٨) يلينى : أى يقرب منى .

(٤) قال مالكُ بنُ الرَّيْبِ التميمى[(١)]

ألا ليتَ شِعْرِى هل أَبيتنَّ ليلةً بجَنْبِ الغضى أُزجى القِلاصَ النواجيا
فليتَ الغَضَى لم يقطع الركبُ عَرضَهُ وليتَ الغَضى ماشَى الركابَ لياليا
لقد كانَ فى أهلِ الغَضى لو دَنا الغضَى مَزارٌ ولكنَّ الغضَى ليسَ دانيا
ألم تَرَنِى بِعتُ الضلالةَ بالهدى وأصبحتُ فى جيشِ ابنِ عَفَّانَ غازيا[(٢)]
دعانى الهوى من أهل أُودَ وصُحبتِى بِذِى الطَّبَسَيْنِ فالتفتُّ وَرائيا[(٣)]
أجبتُ الهوى لما دَعانى بِزَفْرةٍ تَقَنَّعتُ منها أن أُلامَ رِدَائيا[(٤)]
لعمرى لئن غَالَتْ خُراسانُ هامَتِى لقد كنتُ عن بَابَىْ خُراسانَ نائيا[(٥)]
فَلِلّهِ دَرِّى يومَ أَتْرُكُ طائعا بَنِىَّ بأعلى الرَّقْمَتَينِ ومَاليا[(٦)]

(١) مالك بن الريب المازنى التميمى شاعر فاتك لص نشأ فى بادية بنى تميم عند البصرة يقول الشعر الرقيق الجيد وينال الناس بالشر فيطلبه الولاة فيفر حتى اتخذه معه سعيد بن عثمان بن عفان والى خراسان من قبل معاوية وعند قفولها من خراسان مرض مالك هذا فقال يذكر مرضه وغربته بهذه القصيدة . وشعر مالك كما ترى جيد متين حسن التعبير .

(٢) فى جيش ابن عفان : هو سعيد بن عثمان بن عفان كان خرج معه لما ولى خراسان فلما كان ببعض الطريق أراد أن يلبس خفه فلدغته حية فى داخله .

(٣) أود : موضع بالبادية . الطبسان : كورتان بخراسان ، أى دعانى الهوى وأنا فى المكان ذى الطبسين .

(٤) أن ألام : أى مخافة أن ألام . ورداثيا : مفعول تقنعت .

(٥) الهامة : الرأس .

(٦) لله درى : تركيب يقال فى المدح والدعاء ، أى ما أنا فيه من الخير إنما هو من الله ، وأراد بهذا التركيب هنا التعجب من نفسه . والرقمتان : قريتان قرب البصرة .

ودرُّ الظبــاءِ الســانحاتِ عَشــيّةً ... يُخَــبِّرنَ أنى هالك مَنْ ورائيــا(١)

ودرُّ كَبِيرَىَّ اللّـــذَينِ كلاهمــا ... عَــلَىَّ شَــفِيقٌ ناصح لو نَهانيــا(٢)

ودَرُّ الهوى من حيثُ يدعو صِحَـابَه ... ودَرُّ لجَــاجاتى ودرّ انتهــائيــا(٣)

تذكرتُ مَن يبكى علَىَّ فلم أجِدْ ... سِـــوى السيفِ والرمحِ الرُّدَينِيِّ باكِيا(٤)

وأشـــقَرَ خنْـــذِيذٍ يجُــرُّ عِنـانه ... الى المــاء لم يترك لهُ الدهرُ ساقيــا(٥)

* * *

ولكنْ بأطراف السُّــمَيْنة نِســوةٌ ... عــزيزٌ عليهنّ العَشــيّةَ ما بِيــا(٦)

صريعٌ عــلى أيدى الرجال بقَــفْرة ... يسَــوُّونَ قبرى حيثُ حُمَّ قَضائيــا

ولمّــا تراءَتْ عنـــد مَرْوَ منيّـــتى ... وخَلَّ بهــا جِســمِى وحانتْ وَفاتيــا(٧)

أقولُ لأصحــابى : ٱرفَعُــونى لأنَّنى ... يقَــرُّ لعينى أن سُهَيلٌ بدا ليــا(٨)

فيا صاحِبَىْ رَحــلِي دنا المــوتُ فانزلا ... برابيـــة ؛ إنى مقـــيم لياليــا

(١) إما أنه يقصــد بالظباء النساء من أهله ، وأنهن كن يتشاءمن من سفرته : و إما أنه يقصد الظباء الحقيقية وأنها وإن سنحت وجاءت من المياسر الى الميامن وهو ما كانت تيمن به العرب كانت خداعة فى هذا وأنها فى الحقيقة كانت نذير الشؤم والهلاك .

(٢) لو نهانيا : لو للتمنى . والضمير يعود للشفيق .

(٣) ودر لجاجاتى يتهكم بأن مطامعه دفعته الى الهلاك وأن الموت كان انتهاء مطامعه .

(٤) الرديني منسوب الى ردينــة ، وهى امرأة كانت تقوم الرماح ، أى لا أجد من يبكى على فى دار الغربة إلا سيفى ورمحى .

(٥) وأشقر : أى وفرس أشقر . خنذيذ : أى طويل صلب .

(٦) السمينة : موضع .

(٧) خل بها جسمى : اختل .

(٨) سهيل : نجم يكون فى سمت بلاد اليمن .

أقيما علىّ اليوم أو بعض ليلة ... ولا تُعجلانى ، قد تبيّن ما بيا

وقوما اذا ما اسْتُلَّ رُوحى وهيئا ... لى السِّدْر والأكفان ثم ابْكيا ليا(١)

وخُطَّا باطراف الأسنّة مَضْجَعى ... ورُدَّا على عينىّ فضلَ ردائيا

ولا تَحسُدانى — بارك الله فيكما — ... من الأرض ذاتِ العَرْض أن تُوسعا ليا

خُذانى فجُرّانى ببُردى إليكما ... فقد كنتُ قبلَ اليوم صَعْبًا قِياديا

وقد كنتُ عطّافا إذا الخيل أدبرت ... سَريعًا الى الهَيْجا إلى مَن دَعانيا

وقد كنتُ محمودًا لدى الزادِ والْقِرى ... وعن شتمى ابْنَ العم والجارَ وانيا

وقد كنت صبّارًا على الْقِرْن فى الوغى ... ثقيلًا على الأعداء عَضْبًا لسانيا(٢)

وطورًا ترانى فى ظلال ومَجْمَعٍ ... وطورًا ترانى والعِتاقُ ركابيا(٣)

وطورًا ترانى فى رَحًى مستديرة ... تُخَرِّقُ أطرافُ الرماح ثِيابيا(٤)

وقوما على بئر الشُّبَيْك فأسْمِعا ... بها الوحشَ والبيضَ الحسانَ الروانيا(٥)

بأنكما خَلَّفْتُمانِى بِقَفْرةٍ ... تهيل علىّ الريحُ فيها السوافيا(٦)

ولا تنسيا عهدى خليلىَّ إننى ... تَقَطَّعُ أوصالى وتبلَى عظاميا(٧)

(١) السدر : شجر النبق . والمراد هنا ورقه لأنه يغسل به الميت .

(٢) القرن : المثيل فى الحرب . والعضب : السيف القاطع .

(٣) يصف نفسه فى السلم بأنه كان متمتعا بلذات العيش فى ظلال نعيم ، وأنه كان صاحب رأى إذا التفت المجامع ، ويصف نفسه فى الحرب بأن مكانه متون الخيل . والعتاق : جمع عتيق ، وهو الفرس الكريم .

(٤) أى فى الحرب التى تدور رحاها .

(٥) الشبيك : موضع . والروانى : النواظر .

(٦) السوافى : جمع سافيا ، وهو الغبار .

(٧) الأوصال : المفاصل .

فلن يعـــدَم الوالون بيتـا يُجنُّنى ولن يعدَمَ الميراثُ منّى المَواليـا (١)
يقولون : لا تَبْعَدْ ! وهم يدفنوننى وأين مكانُ البعـــدِ إلا مكانيـا (٢)
غـداة غدٍ ياهفَ نفسى على غـد إذا أدلجـوا عنى وخُلِّفْتُ ثاويا (٣)
وأصبح مالى من طَريف وتالد لغيرى وكان المـال بالأمس ماليا (٤)
فياليت شِعْرِى هل تغيرت الرحى رحى المُثل أو أضحت بفَلْج كما هيا (٥)
اذا القـوم حَلُّوها جميعًـا وأنزلوا بهـا بقَـرًا حُمَّ العيُـون سواجيا (٦)
رعَيْنَ وقد كان الظلامُ يُجِنُّها يَسُـفْنَ الخُزامَى نَوْرَها والأقاحيا (٧)
وهل ترك العيسُ المراقيلُ بالضُّحا تعاليَها ، تعـــلو المتونَ القياقيـا (٨)
اذا عُصَبُ الرُّكبان بين عُنيْزَةٍ وبَوْلانَ عاجوا المُبْقِياتِ المَهاديا (٩)
وياليتَ شِعرى هل بكتْ أُمُّ مالك ، كما كُنتُ لو عَالَوا نَعِيَّك باكيا (١٠)

(١) بيتا يجننى : قبرا يوارينى . والموالى : الأقارب .

(٢) بعد يبعد من باب فرح هلك ، وكان من عادة العرب عند دفن الميت أن يقولوا لاتبعد .

(٣) غداة الظرف متعلق بيقولون ، أدلجوا : ساروا ليلا . وثاو : مقيم .

(٤) الطريف : المال المكتسب . والتالد : المال الموروث .

(٥) رحى المثل بضم الميم . والمثل : موضع . وفلج : موضع .

(٦) حلوها : أى نزلوا بها . حم : جمع حماء وهى السوداء . والسواجى : جمع ساجية وهى العين الساكنة ، وهى صفة حسن والظاهر أنه يقصد بالبقر هنا النساء الحسان وما فى البيت بعده ترشيح .

(٧) يجنها : يخفيها ، وساف يسوف : شم . والخزامى : نبت طيب الرائحة . والأقاحى : جمع أقحوان هو نبت زهره أبيض مفلج .

(٨) العيس : الإبل . والمراقيل : جمع مرقال وهى المسريعة . والتعالى : الارتفاع فى السير . والمتون : الجهات المرتفعة . والقياقى : جمع قيقاءة وهى الأرض الغليظة .

(٩) عنيزة : مكان فى وادى بطن فلج . المبقيات : التى يبقى جريها بعد انقطاع جرى غيرها وكلالها .

(١٠) عالوا : رفعوا أى بلغوا . أى كما كنت باكيا عليك يا أم مالك لو بلغونى نعيك .

اذا متُّ فاعتادِى القبورَ فسلِّمى ... على الرَّيْمِ أُسقيتِ الغمامَ الغواديا (١)

تَرَى جَدَثًا قد جَرَّت الريح فوقه ... غُبارًا كلون القَسْطَلَانيِّ هابيا (٢)

رهينةَ أحجار وتُرْبٍ تضمَّنت ... قرارتُها منِّى العظامَ البواليا

* * *

أُقلِّبُ طَرْفى فوقَ رحلى فلا أرَى ... به من عيون المؤنسات مُراعيا

وبالرَّمل مِنَّا نِسْوةٌ لو شَهِدْنَنى ... بَكَيْنَ وفَدَّيْنَ الطبيبَ المداويا

فِمنهُنَّ أمِّى وابنتاها وخالتى ... وباكية أخرى تَهيج البواكيا (٣)

وما كان عهدُ الرَّملِ منِّى وأهلِه ... ذميمًا ، ولا بالرمل ودَّعْتُ قاليا

(٥) وقال أَعْشَى باهلَة (٤)

إِنِّى أَتَتْنِى لسانٌ ما أُسَرُّ بها ... من عَلْوُ لا عَجَبٌ فيها ولا سَخَرُ (٥)

جاءت مُرَجَّمَةً قد كنت أحْذَرُها ... لو كان يَنفعنِى الإشفاقُ والحَذَرُ (٦)

---

(١) الريم : القبر . الغوادى : جمع غادية . السحابة الباكرة المطر .

(٢) القسطلانى : نسبة إلى القسطلان وهو غبار الحرب . هاب من هبا الغبار إذا سطع أو اختلط بالتراب .

(٣) يريد زوجته .

(٤) هو عامر بن الحارث بن عوف بن معن شاعر مشهور كان له أخ من أمه يدعى المنتشر بن وهب قتله بنو الحارث بن كعب فى رجل منهم فرثاه الأعشى بهذه الرائية .

(٥) لسان : أى رسالة . وعلو الشىء : أعلاه . ويريد هنا من بعد وهو هنا مبنى على الضم لأنه ظرف مبهم قطع عن الإضافة . والسخر : الاستهزاء ، أى أن الخبر الذى وصل اليه من مكان بعيد خبر لا عجب فيه ، لأنه كان ينتظر ، ولا استهزاء بصحته .

(٦) مرجمة : الحديث المرجم : ما لا يوقف على حقيقته . والإشفاق : الخوف .

تَأْتِى على الناسِ لا تَلْوِى على أَحدٍ حتى أَتَتْنا ، وكانت دونَنـا مُضَرُ (١)
إذا يُقـادُ لهـا ذِكـرٌ أُكذِّبُه حتى أَتَتْنِى بهـا الأنبـاءُ والخَـبرُ (٢)
فَبِتُّ مكتئبًا حَيرانَ أَندُبُــهُ ولستُ أدفع ما يأتى به القَــدَرُ
بجاشتِ النَّفسُ لمـا جاء جَمْعُهـم وراكبٌ جاءَ من تَثْلِيثَ مُعتَمِرُ (٣)
إن الذى جئتَ من تَثْليثَ تَندُبُه منه السَّماحُ ومنـه الجُودُ والغِـيَرُ (٤)
تَنْعَى امرأً لا تُغِبُّ الحىَّ جَفْنَتُه إذا الكواكبُ خَوَّى نَوْءَها المطَرُ (٥)
وراحت الشَّـوْلُ مُغـبَّرًا مناكِبُها شُـعْثًا تَغَـيَّرَ منهـا النَّىُّ والوَبَرُ (٦)
وأَجْحَرَ الكلبَ مُبيضُّ الصَّقيعِ به وَضَمَّتِ الحىَّ من صُرَّاده الحُجَـرُ (٧)
عليـه أَوَّلُ زادِ القومِ قد علِموا ثم المطىُّ إذا ما أَرْمَلُوا جُـزُرُ (٨)

(١) لا تلوى على أحد : أى لا تتوقف ولا تنتظر . أى أن هذه الرسالة كانت تمرّ على الناس سريعا حتى وصلت الىّ وكان بينى وبينها قبائل مضر .

(٢) الأنباء : الأخبار . يريد كنت أكذبها حتى تواترت الانباء والأخبار .

(٣) جاشت : غلت واضطربت من الحزن . وتثليث : موضع . ومعتمر : معتم .

(٤) الغير : جمع غيرة ، وهى النخوة .

(٥) نعى الميت ينعاه : أخبر بموته . أغبتهم : جاءتهم يوما وتركت يوما . والجفنـة : القصعة . وخوى الكوكب : لم يمطر . والنوء : مظهر خاص فى الكواكب ينذر بالمطر . والمعنى أنه كان كريما يرسل الجفان الى الحى حتى فى أوقات الشدائد والجدب حينما يخلف المطر ما كانت تنذر به علامات سقوطه .

(٦) الشول : جمع شائلة . وهى الناقة جف لبنها . والشعث : جمع شعثاء وهى المغبرة الرأس المتلبدة الوبر . والنى : الشحم والسمن .

(٧) أجحر الكلب : ألزمه جحره . والصقيع : ما يسقط بالليل كأنه ثلج . والصراد : النحاب شديد البرد ولا مطر فيه .

(٨) أرملوا : قل زادهم ، والتصقت أيديهـم بالرمل . والجزر : جمع جزور ، وهى الناقة التى تنحـر . هو خبر المطى .

لا تأمَنُ البازِلُ الكَوْماءُ ضَربتَـهُ ... بالمَشْرَفِيِّ إذا ما اخروَّطَ السَّـفَرُ (١)
قد تَكْظِمُ البزل منه حين يفجؤها ... حتى تقطَّع فى أعناقها الجِـرَرُ (٢)
أخـو رغائبَ يُعطيهـا ويُسألها ... يَخشَى الظُّلامةَ منـه النوفَلُ الزُّفَرُ (٣)
مَنْ ليس فى خيره مَنٌّ يُكدّره ... على الصديق ولا فى صفوه كَدَرُ
يمشى ببيـداءَ لا يمشى بها أحـدٌ ... ولا يُحَسُّ خلا الخَـافى بهـا أثَرُ (٤)
كأنه بعـد صَدْق القوم أنفسَهم ... بالبأس يلمعُ من أقدامه الشَّـررُ (٥)
وليس فيـه إذا استنظَرته عَجَـلٌ ... وليسَ فيـه إذا ياسرتَه عَسَـرُ (٦)
إمَّا يُصِبْـه عدوٌّ فى مُنـاوأةٍ ... يومًا فقد كانَ يَستعْلِى ويَنتصِرُ (٧)
أخو حروبٍ ومكسابٌ إذا عدِموا ... وفى المخـافة منـه الجِدُّ والحَـذَرُ (٨)

---

(١) البازل : مابزل نابه من جمل أو ناقة ، وتكون سنه إذا نحو تسع سنين . الكوماء : الناقة الضخمة السنام . واخروط السفر : أى طالت مدّته ، وبعدت طريقته .

(٢) تكظم : أى تحبس غيظها على مضض . و يفجؤها : يجيئها بفجاءة وبغتة . والجرر : جمع جرة ، وهى الكرش التى يضع فيها البعير طعامه ليأكله ثانيـة . يعنى أنه لكثرة عادته بعقر الإبل إذا رأته كظمت وحبست جررها خوفا وهيبة حتى تكاد تقطع أعناقها .

(٣) الرغائب : العطايا يعطيها و يسألهـا : أى مرة يعطى بلا سؤال ومرة بعد سؤال . والظلامة : ما يتظلم منه . والنوفل : الكثير العطاء . والزفر : السيد .

(٤) البيداء : الفلاة . والخافى : الجنى ، يصفه بالجرأة وقوة القلب والعزيمة .

(٥) صدق القوم أنفسهم : أى إجهادهم أنفسهم . والبأس : القوة ، يعنى إذا جاراه وسابقه قوم فانك تراهم بعد أن أجهدوا أنفسهم ليبلغوا مداه قد خابوا ، وتراه وقد لمع الشرر من أقدامه لقوة عدوه .

(٦) استنظرته : طلبت منه الانتظار . و ياسرته : لاينته ولاطفته . والعسر : قلة السماحة وضيق الخلق .

(٧) إما : هى إن الشرطية المدغمة فى ما . والمناوأة : المعاداة .

(٨) الجد : الاجتهاد فى الأمر .

مِرْدَى حُرُوبٍ شِهابٌ يستضاء به كما أضاء سـوادَ الطُّخْيَـةِ القَمَرُ (١)
مُهَفْهَفٌ أهضمُ الكَشْحَيْنِ مُنْخَرِقٌ عنـه القميصُ، لسيرِ الليل مُحْتَقِرُ (٢)
ضَخْمُ الدسيعَةِ مِتْلافٌ أخو ثِقَـةٍ حامى الحقيقة منه الجودُ والفَخَرُ (٣)
طَاوِى المَصِيرِ على العَـزَّاءِ مُنْجَرِدٌ بالقوم ليـلةَ لا ماءٌ ولا شجـرُ (٤)
لا يتَأَرَّى لمـا فى القِـدْرِ يرقُبُـهُ ولا يَعَضُّ على شُرْسُوفِهِ الصَّـفَرُ (٥)
تكفيه فِلْذَةُ لحمٍ إنْ أَلَمَّ بهـا من الشِّواء، ويروى شُرْبَهُ الغُمَرُ (٦)
لا يأمَنُ النـاسُ مُمْسَاهُ ومُصْبَحَهُ فى كل فَجٍّ، وإن لم يَغْزُ يُنْتَظَرُ (٧)
المعجِلُ القومِ ان تَغْـلِي مَراجِلُهُمْ قبلَ الصباحِ، ولمّـا يُمْسَحِ البصرُ (٨)
لا يَغْمِزُ الساقَ من أَيْنٍ ولا نَصَبٍ ولا يزالُ أمامَ القـومِ يقتَفِـرُ (٩)

(١) المردى : الحجر الذى يرمى به أو الذى تكسر به الصخور. والشهاب : شعلة من النار. والطخية : الظلمة.

(٢) المهفهف : الخفيف اللحم. أهضم الكشحين. أى ضامر الخصر. منخرق عنـه القميص : هذا كناية عن طول أسفاره.

(٣) الدسيعة : العطية. والحقيقة : ما يحق على الرجل أن يمنعه ويدافع عنه كالشرف والعرض وغيرهما.

(٤) المصير : المعى، وجمعه مصران. والعزاء : السنة الشديدة المجدبة، والمنجرد هنا : المسرع بالسير يعنى أنه فى السنة المجدبة يطوى أحشاءه على الجوع، ويسير بالقوم لمواطن القوت فى ليلة لا ماء فيها ولا نبات.

(٥) يتأرى : يتحبس وينتظر. والشرسوف : غضروف الضلع المشرفة على البطن. والصفر والصفار : دويبة تزعم العرب أنها فى البطن تعض الضلوع عند الجوع.

(٦) الفلذة : القطعة الصـغيرة. والشرب : أصله الشرب وسكنت الراء. وهو مصدر شرب بمعنى عطش. والغمر : قدح صغير أو أصغر الأقداح.

(٧) أى أنه يخوف فى كل الأوقات وأنه إذا لم يغز قوما انتظروا حمله فى خوف.

(٨) أى أنه يدعو القوم إلى العجلة والإسراع إلى الغارة دون أن ينتظروا غليـان قدورهم وذلك قبل الفجر وقبل أن يمسح القوم أعينهم من آثار النوم.

(٩) يغمز الساق : يجسها. والأين والنصب : التعب. ويقتفر : يتبع ويجرى على أثره

عِشْنَا به بُرْهةً دهرًا فودَّعَنا ... كذلك الرُّمْحُ ذو النَّصلين منكسر

فنِعمَ ما أنتَ عند الخَيْر تسألُه ... ونعمَ ما أنتَ عند البأس تُحتضَرُ (١)

أَصَبْتَ فى حَرَمٍ مِنَّا أخا ثِقةٍ ... هِنْدَ بنَ سَلْمَى، فلا يَهْنأْ لكَ الظَّفَرُ!

فإنْ جَزِعنَا فإنّ الشرَّ أَجْزَعَنا ... وإن صَبَرْنَا فإنا مَعْشرٌ صُبُرُ (٢)

(٦) قالت الخنساء (٣) ترثى أخاها صخرا

ما هاج حُزْنَكَ؟ أم بالعين عُوَّارُ ... أم ذَرَّفَتْ أَنْ خَلَتْ من أهلها الدارُ (٤)

كأَنَّ عيني لِذِكْرَاهُ إذا خطَرتْ ... فَيْضٌ يَسيلُ على الخدين مِدْرارُ (٥)

تبكى لصخرٍ هى العَبْرَى وقد وَلِهتْ ... ودونَهُ من جديد التُّرْبِ أَستارُ (٦)

تبكى خُنَاسُ فما تَنْفَكُّ ما عَمَرتْ ... لها عليه رَنِينٌ، وهى مِقْتارُ (٧)

(١) البأس: الشدّة، وتحتضر أى يطلب حضورك.

(٢) صبر: جمع صبور.

(٣) هى السيدة تماضر بنت عمرو بن الشريد السلمى. نشأت فى بيت مجد وسيادة تقول المقطوعات من الشعر. فلما قتل أخواها صخر ومعاوية اشتد جزعها عليهما حتى نبغت فى الرثاء لذلك. وتعدّ الخنساء على رأس الشواعر العربيات لقوة شعرها وصدق شعورها مع جمال الأسلوب وسلاسته. وكانت وفاتها بالبادية فى خلافة معاوية قبل سنة ٤٦ هـ

(٤) ما: استفهامية. والعوار: رمد العين: وذرفت: قطرت قطرا متتابعا. تقول أى شىء هاج حزنك أبك رمد؟ أم سكبت الدموع لخلو الدار من أهلها؟

(٥) كأن عينى أى دموع عينى. والفيض: الماء الكثير. والمدرار الغزير.

(٦) الضمير فى تبكى يعود على الخنساء. والعبرى: التى لا تجف دموعها وعبراتها. والوله: شدة الجزع والأستار هنا: الأحجار والتراب يهال على الميت. وقولها من جديد الترب يدل على قرب موته وهذا يستلزم شدة الجزع.

(٧) ما عمرت: أى مدة عمرها. والمقتار: التى أصابتها فترة أى ضعف.

تبكى خناسُ على صخرٍ ، وحَقّ لها إذْ رابَها الدهرُ ، إنَّ الدهرَ ضَرّار (١)
لا بُدَّ من ميتـــةٍ فى صَرْفها غِيَرٌ والدهرُ فى صَرفِهِ حَوْلٌ وأطوار (٢)
ياصخــرُ وَرّادَ ماءٍ قـــد تَنَاذَرَهُ أهـــلُ الموارد ما فى وِرْدِهِ عار (٣)
مَشْىَ السَّبَنْتَى إلى هَيْجَاءَ مُضْلِعَةٍ له ســـلاحانِ أنيــابٌ وأظفار (٤)
فما عجــولٌ على بَوٍّ تُطيفُ به لهــا حنينانِ إصــغار وإكبار (٥)
ترتَعُ ما رَتَعَتْ حتى إذا ادّكَرَتْ فانمــا هى إقبــالٌ وإدبار (٦)
لاتَسمَنُ الدهرَ فى أرضٍ وانْ رُبِعَتْ فإنمــا هى تَحْنانٌ وتَسْـــجار (٧)
يوما بأوجدَ مــنى يومَ فارقــنى صخــرٌ، وللدهرِ إحلاءٌ وإمرار (٨)
وإنَّ صخــرًا لكافينا وســيدُنا وإنّ صخرًا إذا نشـــتو لَنَحّارُ (٩)

---

(١) رابها الدهر : أى رأت منه ما تكرهه .

(٢) فى صرفها : أى فى حدوثها وتصرفها . وغير الدهر : أحداثه وأحواله . والحول : التحول والتقلب . والأطوار : الأحوال .

(٣) تناذره أهل الموارد : أنذر بعضهم بعضا ، وخوف بعضهم بعضا عاقبة وروده . تقول : وردت حوض المنية وقد خافه كل وارد ، على أنه ليس فى وروده من عار لأنه لا مفرّ منه .

(٤) السبنتى : الجرىء والنمر . والهيجاء : الحرب . والمضلعة : الشديدة .

(٥) العجول من الإبل والنساء : التى يموت ولدها وهو صــغير . والبو : جلد ولد الناقة محشوا يدنى منها فتر أمه والإصغار فى الحنين : خفض الصوت به . والا كبار : رفعه .

(٦) رتعت الناقة رعت : أى أنها ترعى مادامت ناسية ما أصاب ولدها حتى اذا ذكرته لم يقرّ لها قرار من شدة الحزن .

(٧) ربعت : أصابها مطر الربيع ، أى تبقى هزيلة على مدى الأيام حتى لو كانت فى أرض معشبة أصابها مطر الربيع لأنها دائما فى حنين . والتسجار : مدّ الصوت بالحنين من سجر يسجر

(٨) بأوجد : خبر ما عجول قبل هذا البيت ببيتين

(٩) نشتو أى ندخل فى الشتاء . وخصصته لأنه زمن الجدب والشدّة .

وان صخرا لمقدام إذا ركبوا وإنّ صخرا اذا جاعوا لعقار (١)
أغرّ أبلج تأتمّ الهداة به كأنه علمٌ فى رأسه نارُ (٢)
جلدٌ جميلُ المحيا كاملٌ ورعٌ وللحروب غداة الرّوع مسعار (٣)
حمّالُ ألويةٍ هبّاطُ أوديةٍ شهّادُ أنديةٍ للجيش جرّار (٤)
فبتُّ ساهرةً للنجم أرقبُه حتى أتى دونَ غوْرِ النجمِ أستار (٥)
ليبكه مُقْترٌ أفنى حريبته دهرٌ، وحالفه بؤسٌ وإقتار (٦)
ورُفقةٌ حارَ هاديهم بمَهْلكةٍ كأنّ ظُلمتها فى الطِّخْيَةِ القار (٧)
لا يمنع القومَ إن سالوه خِلْعتَه ولا يجاوزُه بالليلِ مُرّار (٨)

(١) عقر الإبل : نحرها .

(٢) الأغر : الكريم الفعال والشريف : والأبلج : البعيد ما بين الحاجبين . وهذا مما يمدح به الرجل . والعلم : الجبل . تصفه بأنه هادى الهداة وأنه فى الشهرة والظهور أو فى هداية الناس إلى الشرف والمجد كالجبل فى قنته نار .

(٣) الجلد : الشديد القوى . والورع : المجتنب لما لا يعنيه وفى رواية ذرع والذرع الحسن العشرة . والروع : الخوف والحرب ومسعار : أى موقد نار الحرب .

(٤) تصفه بالشجاعة والسيادة ؛ فهو حامل اللواء فى الحرب ، وهو لا يعتصم بالجبال خوفا ، بل يهبط الوديان للقتال ، ثم انه حكيم راجح الرأى يشهد أندية عقلاء القبيلة وأهل الرأى فيها .

(٥) الغور : غروب النجم وسقوطه ؛ تريد بالنجم الثانى صخرا أى حتى تحملت ظلمات القبور ، فغيبت صخرا دون أن يبلغ من الحياة أمد أمثاله .

(٦) المقتر : الفقير . والحريبة : ما يعيش الإنسان به من المال .

(٧) المهلكة : مكان الهلاك . والطخية : الظلمة الشديدة .

(٨) المرّار : جمع مار ، أى لو سئل ثوبه ما منعه ، ولا يمر بداره إنسان إلا أضافه .

(٧) قال حسان بن ثابت(١) يذكر الحارث بن هشام وهزيمته يوم بدر . وقد حسن إسلامه بعد ذلك واستشهد بأجنادين :

تَبَلَتْ فُؤادَكَ فى المنَامِ خَرِيدةٌ ... تَسْــقِى الضَّجيعَ ببَــاردٍ بسَّامِ (٢)

* * *

يامَنْ لِعَاذلةٍ تلومُ سَــفَاهَةً ... ولقد عَصَيْتُ على الهــوى لُوّامى (٣)

بكَرَتْ علىَّ بُسـحْرَةٍ بعـد الكَرَى ... وتَقَــارُبٍ من حادث الأَيام (٤)

زعمت بأن المــرءَ يُكْرِبُ يومَـهُ ... عُــدْمٌ لمعتكِرٍ من الأَصرام (٥)

إن كنتِ كاذبةَ الذى حـدَّثتِنِى ... فنجَوتِ منْجَى الحارثِ بنِ هشام

ترَكَ الأحبــةَ أن يقاتِلَ عنهــمُ ... ونجــا برأس طِمِــرَّةٍ ولِجام (٦)

(١) هو أبو الوليد حسان بن ثابت الأنصارى . نشأ جاهليا نابها فى الشعر يمدح المناذرة والغساسنة ، وقد أسلم مع الأنصار بعد الهجرة ، وصار شاعر الرسول ، محبيا اليه والى خلفائه حتى مات فى خلافة معاوية سنة ٥٤ هـ . ويتناول شعره المدح والهجاء والفخر بنفسه وبقومه . ويختلف أسلوبه الإسلامى عن الجاهلى بتأثير البيئة الجديدة فصار سهلا مألوفا بعد أن كان وعرا غريب الألفاظ

(٢) تبله الحب : ذهب بعقله وأسقمه . والخريدة : المرأة الحيية الطويلة السكوت ، الخافضة الصوت المستترة . والضجيع : المضاجع . والبارد . البسام : الفم العذب كثير الابتسام .

(٣) أى من يسعدنى لدفع عاذلة . والسفاهة : الجهل ، مصدر سفه .

(٤) بكر يبكر الى الشىء : عجل . والسحرة : قبيل الصبح . ويريد بالتقارب من حادث الأيام : الكبر والقرب من الموت .

(٥) يكرب : يدنى . والمعتكر : الجيش اذا اختلط رجاله . والأصرام : جمع صرم ، وهو : الصف والجماعة . يقول : إن العاذلة تدعى أن فناء قوم الرجل وأهله يدنى أجله ؛ فهى تنفره من الحرب وخوض غمارها .

(٦) الطمرة : الفرس الجواد المستعد للوثب ، أى نجا مسرعا بفرسه متشبثا برأسها وبلجامها فرارا من هول الحرب .

تـذرُ العناجيجَ الجيادَ بقفرةٍ مرَّ الدموكِ بمحصدٍ ورجام (١)
ملأتْ به الفرجين فارمدَّتْ به وثوى أحبَّته بشرِّ مقام (٢)
وبنو أبيه ورهطه فى معركٍ نصر الإلهُ به ذوى الإسلام
طحنتهم — والله ينفذُ أمره — حربٌ يشبُّ سعيرها بضرام
لولا الإله وجريُها لتركنه جزر السباعِ ودسْنَه بحوامى (٣)
من كلِّ مأسورٍ يشدُّ صفادَه صقرٌ إذا لاقى الكتيبةَ حامى (٤)
ومجدَّلٍ لا يستجيبُ لدعوةٍ حتى تزولَ شوامخُ الأعلام (٥)
بالعارِ والذلِّ المبينِ إذا رأوْا بيضَ السيوف تسوق كلَّ همام (٦)
بيدَىْ أغرَّ إذا انتمى لم يُخزِه نسبُ القصارِ سميذعٍ مقدامِ (٧)
بيضٌ إذا لاقتْ حديدًا أصمتتْ كالبرقِ تحتَ ظلالِ كلِّ غمام (٨)

(١) العناجيج : جياد الخيل . الدموك : الأرنب السريعة . وفى رواية (الذمول) وهى الناقة تسير الذميل ، والمحصد : من أحصد الزرع اذا جف وقرب حصاده . والرجام : جمع رجمة ، وهى حجارة تنصب على القبر .

(٢) ملأت ... الخ : المراد بالفرجين الفضاء بين يديها ورجليها . وأرمدت : صارت بلون الرماد لكثرة ما أصابها من غبار . ثوى : أقام .

(٣) الضمير فى تركنه للخيل ، وجزر السباع : أى طعمتها ويريد بالحوامى سنابك الخيل .

(٤) صقر : فاعل يشد ، وفيه تشبيه الرجل الشجاع بالصقر . والصفاد : ما يوثق به الأسير .

(٥) جدّله صرعه على الجدالة : وهى الأرض ذات الرمل الرقيق أو عام . يقول إن هذا المجدل فارق الحياة ، فلا يستجيب لمن يدعوه حتى تزول الجبال .

(٦) بالعار : متعلق بمحذوف أى يشعرون .

(٧) الأغر : الكريم الفعال والشريف . ونسب القصار أى نسب قصار النسب ، يقولون فلان قصير النسب أى أبوه معروف إذا ذكره الابن كفاه عن ذكر الجد . والسميذع : السيد الكريم الشريف السخىّ الموطأ الأكناف والشجاع والرجل الخفيف فى حاجته . بيدى متعلق بمحذوف حال من بيض .

(٨) بيض : خبر لمبتدأ محذوف أى سلاحه بيض ، وأصمتت بمعنى أسكتت لشدة هولها . ثم شبهها فى لمعانها بالبرق فى ظلمة الغمام .

وقال حسان يمدح عمرو بن الحارث الغسانى وقومه :

أسألتَ رَسْـــمَ الدار أَمْ لم تسألِ بين الجَـــوابِى فالبُضَيع فحَوْمَلِ (١)
فالمرجِ مَرْجِ الصُّفَّرَيْنِ فجاســـمٍ فديار ســـلمى دُرَّسًا ، لَمْ تُحْلَـــلِ (٢)
دِمَنٌ تَعاقبهـــا الرِّيَاح دوارسٌ والمُدْجِنَات من السِّماكِ الأَعْزَلِ (٣)
دارٌ لقومٍ قـــد أراهـــم مرَّة فـــوق الأعزة عِزُّهم لم يُنْقَـــلِ
لله درُّ عصـــابةٍ نادمتُهـــم يـــوما بجِـــلَّقَ فى الزمانِ الأوّلِ (٤)
يَمْشُون فى الحُلَلِ المضاعِف نسجُها مَشْىَ الجِمَـــال إلى الجِمَـــال البُزَّلِ (٥)
الضاربون الكبشَ يَبْرُق بَيْضُـــهُ ضَرْبا يَطيحُ له بَنَـــانُ المَفْصِـــلِ (٦)
والخالطون فقـــيرَهُم بغنيِّهـــمْ والمنعِمون على الضعيف المُرْمل (٧)
أولادُ جَفْنَـــةَ حولَ قبرِ أبيهـــم قبرِ ابن ماريةَ الكريم المُفْضِـــلِ

(١) رسم الدار : بقية آثارها . والجوابى والبضيع وحومل : مواضع .

(٢) مرج صفر وجاسم : موضعان بالشام . ودرسا : جمع دارسة ، وهى البالية . لم تحلل أى لم ينزل أحد بها .

(٣) الدمن : جمع دمنة ، وهى آثار الدار . وتعاقبها الرياح أى تهب عليها آنا فآنا . ودوارس : جمع دارسة . والمدجنات : السحب الكثيرة الأمطار .

(٤) جلق : دمشق .

(٥) الحلل : الدروع ، والمضاعف نسجها : التى نسجت حلقتين حلقتين . والبزل : جمع بازل ، وهو ما برزت نابه من الإبل ، وذلك عند ما يبلغ التاسعة .

(٦) الكبش : سـيد القوم وقائدهم . والبيض : جمع بيضـة ، وهى الخوذة تلبس على الرأس . وقصد بقوله (ضربا يطيح له بنـان المفصـل) أن الضرب سريع والسيف حاد حتى أنه يقطع أجزاء الجسم الصغيرة فى سرعة .

(٧) المرمل : الذى فنى زاده والتصق بالرمل . يصفهم بالجود والرفق والتواضع .

يَسْقُون مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عليهمُ بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرحيق السَّلْسَلِ (١)
يَسقُون دِرْياقَ الرحيق ، ولم تكن تُدْعَى ولائدُهم لنَقْفِ الحَنْظَلِ (٢)
بيضُ الوجوهِ كريمةٌ أحسابُهم شُمُّ الأُنوفِ من الطِرازِ الأوَّلِ
فَلَبِثْتُ أزْمَانًا طويلًا فيهمُ ثم ادَّرَكْتُ كأنني لم أفعلِ (٣)
إمَّا تَرَىْ رَأسى تَغَيَّرَ لونُه شَمَطًا ، فأصبح كالثُّغامِ المُحْوِلِ (٤)
ولقد يرانى مُوعِدِىَّ كأنني فى قصر دُومَةَ أو سَواءِ الهَيْكَلِ (٥)
ولقد شرِبْتُ الخمرَ فى حانوتها صَهْبَاءَ صافيةً كطعم الفُلْفُلِ (٦)
يسعى علىَّ بِكَأْسِها مُتَنَطِّفٌ فيُعِلُّنِى منها ، ولو لم أُنْهَلِ (٧)

(١) البريص : موضع بدمشق . وبردى : نهر دمشق الأعظم . وصفق الرجل الشراب : حوّله ممزوجا من إناء الى إناء ليصفو . والرحيق : الخمر أو أطيبها . والسلسل : العذب البارد ، أى أنهم يسقون من وفد عليهم ماء من النهر ممزوجا بالخمر العذب البارد المصفى .

(٢) الدرياق : لغة فى الترياق وهو الخمر . والولائد : جمع وليدة ، وهى الصبية أو الأمة . نقف الحنظل : شقه . ويكنى بأن إماءهم لا تشق الحنظل عن يسارهم .

(٣) طويلا : صفة لمفعول مطلق أى لبثا طويلا . وأدركت : أى امتنعت عن اللهو بتاتا .

(٤) إما : إن الشرطية المدغمة فى ما . والشمط : بياض الشعر يخالط سواده . والثغام : نبت يبيض ورقه إذا يبس وجواب الشرط محذوف أى فلا تجزعى .

(٥) أوعده : أنذره بالشر . وأصل موعدى موعدوى ، فقلبت الواو ياء وأدغمت الياء فى الياء . وقصر دومة : حصن . والهيكل : بيت لعبادة النصارى . يقصد أن أعداءه يرونه بعيدا عن أن ينالوه حتى كأنه فى الحصن .

(٦) الحانوت : الحانة .

(٧) المتنطف : لابس القرط . وأعله : سقاه ثانية . والنهل : من الأضداد يقع على الرى والعطش ، أى يسقينى ثانية ، ولو لم أظمأ .

إن التى ناولتنى فـــرددتها قُتِلَتْ ـ قُتِلْتَ ـ فهاتها لم تُقتَل (١)
كلتاهما حَلَبُ العصير فعاطنى بزجاجةٍ أرخاهما للمَفْصِل (٢)
بزجاجةٍ رقصت بما فى قعرها رقْصَ القلوصِ براكبٍ مستعجل (٣)
نَسبى أصيلٌ فى الكرام ومِذْوَدى تَكْوِى مواسمُه جُنُوبَ المُصطَلى (٤)
ولقد تُقَلِّدُنا العشيرةُ أمرَها ونسودُ يومَ النائباتِ ونَعْتَلى
ويسودُ سيِّدُنا جَحاجِحَ سادةً ويُصيبُ قائلُنا سواءَ المَفْصِل (٥)
ونحاولُ الأمرَ المهمَّ خَطابة فيهم، ونفصِل كلَّ أمرٍ مُعْضِل (٦)
وتزورُ أبوابَ الملوكِ ركابُنا ومتى نُحَكَّمْ فى البريَّة نعدل

(٨) وللحُطَيئة (٧) يمدح بَغيضَ بن عامر

ألا طَرَقَتْنا بعد ما هجعوا هِنْدُ وقد سِرْنَ خَمْسًا واتْلأَبَّ بنا نَجْدُ (٨)
ألا حبذا هندٌ وأرضٌ بها هِنْدُ وهندٌ أتى من دونها النَّأْىُ والبُعْدُ

(١) قتل الشراب : مزجه بالماء، وقتلت دعاء على الساقى بحسب الأصل ولم يقصد به الشر هنا .
(٢) كلتاهما : أى الخمر الصرف والممزوجة . فاسقنى أشدهما إرخاء للفاصل، وهى الخمر الصرف .
(٣) معنى رقص الكأس بما فى قعرها : صعود الفقاقيع من أسفل الى أعلى لشدة ثوران الخمر فيها . والقلوص : الناقة .
(٤) المذود : اللسان . والمواسم : جمع ميسم، وهو آلة يكوى بها . والمصطلى : المستدفئ . والكلام على التشبيه أى أن لسانه يشبه المكواة التى تكوى من تصيبه .
(٥) سيد جحجاح : مسارع فى المكارم . سواء : وسط . المفصل كمسجد : كل ملتقى عظمين فى الجسد . يريد أنه يصيب شاكلة الصواب .
(٦) المهم : المشكل .
(٧) هو أبو مليكة جرول الحطيئة العبسى، نشأ معلول النسب حاقدا على أهله، متبرما بالناس يهجوهم جميعا على قبح صورته ورثاثته وفساد إسلامه الى أن مات سنة ٥٩ هـ — وهو من مدرسة زهير جيد الشعر مستوى الأسلوب قوى التأثير يعد من الناحية الفنية سيد المخضرمين .
(٨) يقول : ألا زارنا طيف خيال هند بعد أن هجعت الأعين، وبعد أن سارت الإبل خمس ليال وظهر لنا نجد .

وهندٌ أَتى من دونها ذو غَواربٍ ... يُقَمِّصُ بالبُوصِيِّ مُعرورِفٌ وَرد (١)

وإنَّ التي نَكَّبْتُهَا عن مَعاشرٍ ... غِضابٍ عليَّ أن صددتُ كما صدُّوا (٢)

أتت آلَ شَمَّاسِ بن لأْيٍ وإنما ... أتاهم بها الأحلامُ والحَسَبُ العَدُّ (٣)

فإنّ الشَّقِيَّ من تُعَادِي صدورُهم ... وذو الجَدِّ من لانُوا إليه ومن وَدُّوا (٤)

يسوسون أحلامًا بعيدًا أناتُها ... وإن غضبوا جاء الحفيظةُ والجِدّ (٥)

أَقِلُّوا عليهم لا أبا لأبيكُمُ ... من اللومِ أو سُدُّوا المكانَ الذي سدُّوا (٦)

أولئك قومٌ إن بَنَوا أحسنُوا البُنَى ... وإن عاهدوا أوفَوْا وإن عقَدوا اشدّوا (٧)

وإن كانت النُّعْمَى عليهم جَزَوْا بها ... وإن أَنْعَمُوا لا كَدَّروها ولا كَدُّوا (٨)

---

(١) من معانى الغارب أنه أعلى كل شيء، وذو الغوارب: البحر، لأن أمواجه عالية. وقمص البحر بالسفينة: حركها بموجه. والبوصى: ضرب من السفن. والمعرورف: المتراكم الأمواج. والورد: الجرىء أو الأحمر الضارب الى الصفرة. يقول: إن بينى وبين هند بحرا يقذف بالسفن، متراكم الأمواج.

(٢) نكبتها أى نحيتها وأبعدتها. والضمير للدحة والمعاشر آل الزبرقان بن بدر أى أن المدحة التى عدلت بها عن قوم غضبوا على لأنى صددت عنهم كما صدّوا عنى.

(٣) جملة أتت خبر إن فى البيت قبله والأحلام: العقول. والحسب: الشرف. والعدّ: القديم أو الكثير. أى جاء فى هذه المدحة الإشادة بأحلامهم وحسبهم

(٤) نسب العداوة الى الصدور لأنها مكان الغيظ والعداوة. والجدّ: الحظ.

(٥) أى يحكمون الناس اذا رضوا بأحلام بعيدة النظر طويلة التأنى. واذا غضبوا كانوا أهل حفيظة أى غيظ. وجد أى اجتهاد أو عجلة.

(٦) لا أبا لأبيكم: شتم. والأصل أنهم لا يعرفون لهم آباء ينتسبون اليها عند المفاخرة.

(٧) البنى أو البنى بكسر الباء وضمها والأول جمع بنية بكسر الباء. والثانى جمع بنية بضمها، والمراد أنهم يحسنون عمل المكارم. وإن عقدوا شدّوا أى وإن عقدوا العزيمة أوثقوها أو إن عقدوا على الحرب حملوا.

(٨) أى كدوا من أعطوه بطلب الجزاء على النعمة.

وإن قال مولاهم على جُلِّ حادثٍ من الدهر رُدُّوا بعضَ أحلامكم رَدُّوا (١)
وإن غاب عن لأيٍ بَغيضٍ كفتهمُ نواشئُ لم تَطْـرُرْ شواربهـم مُرْدُ (٢)
وكيف ولم أعلمهـمُ خذلوكمُ على مُفْظِعٍ، ولا أديمَكم قَـدُّوا (٣)
مطاعينُ فى الهيجا مكاشيفُ للدجى بنى لهـمُ آباؤهم، وبنى الجَـدُّ (٤)
فمن مبلغٌ لأْيًا بأن قد سـعى لكم إلى السَّـورةِ العَليا أخٌ لكمُ جَلْد (٥)
جَرى حين جارَى لا يُسارِى عِنانه عِنانٌ ولا يَثْنِى أجارِيَّهُ الجَهْـد (٦)
رأى مجـدَ أقوامٍ أُضيعَ فحثَّهـمْ على مجـدهم لمـا رأى أنه الجِـدّ (٧)
وقد لامنى أفنَـاءُ سـعد عليهمُ وما قلتُ إلّا بالذى علمتْ سعد (٨)

(١) المولى : ابن العم أو الجار أو الحليف . على جل حادث أى عند الخطب العظيم أى إن استغاث بهم المولى فى شأن أضربه واستشارهم أمدوه بالرأى السديد .

(٢) لأى : عشـيرة بغيض بن عامر . ونواشئ : جمع ناشئة يريد بهـم فتيان القبيـلة . ولم تطرر شواربهم : لم تظهر .

(٣) المفظع : الأمر تجاوز الحد فى الشـناعة . والأديم هنا : العـرض . أى وكيف تعادونهم ولم يخذلوكم فى خطب ملم، ولم ينالوا من عرضكم .

(٤) مطاعين ومكاشيف : جمع مطعان ومكشاف . والدجى : الليـل يريد به ظلمة الخطوب . أى أنهم يكشفون ظلمة الليل بنار قراهم أو يبددون ظلمة الخطوب بشجاعتهم وحسن رأيهم .

(٥) سورة المجد : أثره وعلامته وارتفاعه . والجلد : القوى، يمنى أن يبلغ إنسان لأيا أن أخاهم سعى للمجد حتى وصل قمته العليا .

(٦) لا يسارى عنانه عنان : أى لا يجاريه . والأجارى : جمـع إجرية، وهى : الجرى والجهـد والطبيعة، والكلام على التمثيل أى أنه إذا سابق أحدا فى طريق المجـد لم يسبقه أحد، ولم يقعد به تعب أو لا يترك طبعه مهما يجده .

(٧) أى لمـا رأى أن المجد انمـا هو فى الجد والاجتهاد فى الأمور .

(٨) يقال : هو من أفناء الناس : أى لا يعلم ممن هو .

وقال يهجو الزِّبْرِقانَ بن بدر :

والله ما معشرٌ لاموا امرءًا جُنُبًا ... فى آلِ لأْيِ بن شَمَّاسٍ بأكياسِ (١)

لقد مَرَيْتُكُمُ لو أنَّ دِرَّتَكُمْ ... يومًا يجيء بها مَسْحِى وإبساسى (٢)

وقد مدحتكُم عمدًا لأُرشِدَكُمْ ... كيما يكونُ لكم مَتْحى وإمْراسى (٣)

وقد نظرتكُمُ إيناءَ صادرةٍ ... لِخِمْسٍ طال بها حَوْذى وتَنْساسى (٤)

لما بدا لىَ منكم عيبُ أنفسِكُمْ ... ولم يكن لجراحى منكُمُ آسى (٥)

أجمعتُ يأسًا مبينًا من نوالِكُمُ ... ولا ترى طاردًا للحُرِّ كالياسِ

ما كان ذنبُ بغيضٍ أن رأى رجلًا ... ذا فاقة حل فى مستوعِرٍ شاسى (٦)

جارًا لِقوم أطالوا هُونَ منزله ... وغادروه مقيمًا بين أرماسِ (٧)

(١) الجنب هنا : القريب . فى آل لأى أى فى مديح آل لأى . وأكياس : جمع كيس ، وهو اللبيب الفطن والمراد بالمعشر الزبرقان ورهطه .

(٢) أصل المرى : المسح على ضرع الناقة لتدرّ . والإبساس : أن تدعو الناقة باسمها أو تلاطفها لتدرّ . يريد أنه حاول تملقهم كثيرا فلم ينل منهم شيئا .

(٣) المتح : أن يقف الرجل فوق البئر ليجذب الدلو ، والإمراس : وضع حبل البئر فى البكرة بعد أن انزلق منها . يريد أنه تعمد أن يقصر عليهم جهوده ، ويختصهم بمدحه ليرشدهم إلى ما غاب عنهم من أسباب المجد .

(٤) الإيناء : مصدر أونى بمعنى أتعب ، والصادرة : الآتية من الماء . والخمس من أظماء الإبل وهو أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، والحوذ مصدر حاذ الدابة ساقها سريعا . والتنساس : مصدر نس الناقة من باب نصر وضرب : ساقها وزجرها . يقول انتظرت عطاءكم مجهدا إجهاد ناقة أعياها التعب فهى تساق وتزجر .

(٥) الآسى : الطبيب . وفى رواية غيب أنفسكم أى ما كان مستورا من بخلكم .

(٦) المستوعر : المكان الوعر . والشاسئ بالهمز وسهل المكان الغليظ المرتفع . أى لم يكن ذنب بغيض عند الزبرقان إلا أنه رأى رجلا فى مكان وعر فاحل فأعانه .

(٧) الهون : المذلة . والأرماس : القبور أى وتركوه كالميت بين أموات القبور .

مَلُّوا قِـراه ، وهَرَّتهُ كِلابُهُـــمُ وجَرَّحُـــوه بأنيـابٍ وأضراس (١)

لا ذنبَ لى اليوم إن كانت نفوسُكُمُ كفارِكٍ كَرِهتْ ثو بِي وإلباسى (٢)

من يفعلِ الخيرَ لا يعدَمْ جوازيَهُ لا يذهبُ العُرْفُ بين الله والناس

دع المكارمَ لا تَرْحَــلْ لبُغْيَتِها واقعُدْ فإنك أنت الطاعمُ الكاسى (٣)

وٱبعثْ يسـارًا إلى وَفْرٍ مُذَمَّمَـةٍ واحدِجْ إليها بذى عَرْكين أنكاس (٤)

ما كان ذنبِيَ أنْ فَلَّتْ معاولَكُم من آل لأى صفاةٌ أصلُها راسى

(٩) قال الأخطل[٥] يفضل الفرزدق على جرير :

بَكَرَ العـواذِلُ يَبْتَـدِرْنَ مَلامَـتِي والعاذِلُون فَكُلُّهُـمْ يلحانى (٦)

فِي أنْ سُقيتُ بشَرْبَةٍ مَقْـذِيَّةٍ صِرفٍ مشعشَعةٍ بمـاء شُـنانِ (٧)

---

(١) هرته الكلاب : نبحته . وهذا كناية عن أنه كان غريبا مضطهدا بينهم . وقوله (جرحوه) يريد أن آل الزبرقان سبوه ونهشوا عرضه .

(٢) الفارك : المرأة تبغض زوجها . أى ليس الذنب ذنبي إذا كنتم تبغضون شعرى أو مقامى فيكم بخلا كما تبغض المرأة زوجها ، وتكره أن ترى ثوبه وأن تلبسه إياه .

(٣) الطاعم : المطعوم . والكاسى : المكسوّ ، وهذا من أقذع الهجاء .

(٤) يسار : اسم عبد للزبرقان . والوفر : السقاء الكامل لم ينقص من أديمه شيء . والمذممة : يريد بها هنا المملوءة يقال : بئر ذمة أى قليلة الماء أو غزيرته : ضد . وحدج البعير يحدجه : شدّ عليه الرحل والعرك : انفتاق فى إبط البعير ، والمراد أن هذا هو عملكم دون المكارم .

(٥) هو أبو مالك غياث الأخطل التغلبي نشأ فى قومه تغلب بأرض الجزيرة ينتصر لهم على مضر عامة وقيس خاصة . ولما كان متصلا بالخلفاء وبحروب قومه مع قيس صار يجيد مدح الملوك ووصف المعارك وكذا الخمر لمعاقرته إياها . وكان الأخطل أحظى الشعراء لدى الأمويين ، اتخذوه شاعرهم يناضل عنهم أعداءهم . وقد دخل بين الفرزدق وجرير فى التهاجى منتصرا للأوّل فعدّ بذلك من أصحاب النقائض — ويمتاز شعره بجزالة الأسلوب ، وترك الإقذاع فى الهجو . مات فى أوّل خلافة الوليد سنة ٨٥ هـ ، على المشهور .

(٦) العواذل : جمع عاذلة ، اللائمة . يبتدرن ملامتى : يسرعن الى لومى . يلحانى : يعيبنى .

(٧) مقذية : نظيفة ليس فيها قذى . صرف : نقية جيدة . مشعشعة : ممزوجة . شنان : ماء بارد ، وواد بالشام .

فظَلِلْتُ أسْقِي صَاحِبي من بردِهَا عَمْدًا لأرويَه كما أروانِي
وذَكَرْتُ إذْ جَرَتِ الشمالُ فهيّجتْ شوقًا لنا - ريَّا وأمَّ أبَانِ (١)
والحارثيّةَ؛ إننى مُهْدٍ لها مِدَحًا يُشَبُّ بِهِنَّ كلَّ مكانِ (٢)
لاقيتهُنَّ بمجمَعٍ فأرينَنِي صُوَرَ المَها بزخارفِ البُنْيَانِ (٣)
ونحورهنَّ دَيَاسِقٌ من فضّةٍ ونواهِدٌ كنواعِمِ الرُّمَّانِ (٤)
ومُرَمَّلُ الحِنَّاءِ يُصْبِحُ قانِئًا كدمِ الذبيحِ بأروُحٍ وبَنَانِ (٥)
ينظُرْنَ من خَلَلِ السُّتُورِ بأعيُنٍ نُجْلٍ يُمِتْنَ العاشقين حِسَانِ (٦)
نظرًا مُخالَسَةً وهنَّ صَوائدٌ بخدورهن وأحسن الألوانِ (٧)
وإذا رأينَ الشَّيْبَ لم يقربْنَهُ والغانياتُ عن الكبير غوانِي
يقطعن منه حبلَ كلِّ مودّةٍ جهلًا، وهن إلى الشَّبابِ رَوَانِي (٨)

---

(١) ذكرت : تذكرت . الشمال : ريح تهب بين الشرق و بنات نعش . ريا وأم أبان : علمان لامرأتين أى ذكرت هؤلاء النسوة حين هبت الشمال .

(٢) يشب الخ : يذكرن فى كل مكان .

(٣) المها : جمع مهاة البقرة الوحشية، تشبه بها المرأة فى جمال العينين . الصورة : الشكل يعنى أنهن يشبهن الصور التى تزين بها الأبنية .

(٤) نحور : جمع نحر : أعلى الصدر . دياسق : جمع ديسق، وهو الصحن من الفضة يشبه نحورهن بالفضة صفاء وصقلا .

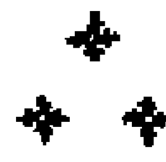
(٥) مرمل الحناء : يقصد الحناء المرمل أى المزينة به المرأة يديها ورجليها . قانئا : شديد الحمرة . أروح : جمع راحة وهى باطن الكف دون الأصابع . البنان : أطراف الأصابع . المفرد بنانة . والمراد : أروحهن و بنانهن .

(٦) خلل : جمع خلة الثقبة . نجل : جمع نجلاء الواسعة العين الحسنة .

(٧) مخالسة : مسروقا بسرعة وختل . الخدور : جمع خدر الستر أو البيت .

(٨) الجهل هنا : الجفاء . روانى : دائمات النظر، المفرد رانية .

إنى أُدِيمُ لذى الصـفاءِ مودّتى ... وإذا تغـيّرَ كنتُ ذا أَلْوَانِ (١)
وأصُدُّ عن صَرْمِ الصديق تكرُّمًا ... حِينًـا ، وما دهرى له بِهَوانِ (٢)
وأفارقُ الخُـلّانَ عن غَيرِ القِـلَى ... وأُميتُ عنـدى السِّرَّ بالكِتْمانِ (٣)
ولقد غَدَوتُ على القَنيص بنَهْدَةٍ ... عِنْدَ البَدِيهـةِ سَهْوَةِ القَـذَفَانِ (٤)
تَنْقَضُّ فى أَثَرِ الأَوابدِ مِثْـلَ ما ... تَنْقَضُّ كاسِرةٌ مِن العِقبانِ (٥)



مَا بَالُ قـومٍ لا تَغِبُّ أَذَاتُهـمْ ... قُعْسِ الظُّهور مِنَ الحَبِين بِطانِ (٦)
هُمْ هَيَّجوا حَرْبِى ومَا لَهُمُ بِهـا ... لو وَاجَهَتْهُـمْ باللقاء يَـدَانِ (٧)
حَرْبَ امرئٍ ما إن تَرِثُّ سِلاحُه ... أبدًا ولا يَغْـتَرُّ بالحَـدَثَانِ (٨)
قَبَّـحَ الإلهُ بَنِى كُلَيْبٍ إنّهُـمْ ... لا يحفظُون محارِمَ الجيرانِ (٩)

(١) كنت ذا ألوان : أى تغيرت له كما تغير .

(٢) صرم : قطيعة وهجر . يقول : ماهجرى هوانه .

(٣) الخلان : جمع خليل الصديق . القلى : البغض . أميت السر لا أبديه فكأنه ميت .

(٤) غدوت : بكرت . القنيص : المصيد . نهدة : فرس حسن جسيم . عند البديهة أى مستعدّة للجرى حين تفجؤها به . السهوة : المواتية . القذفان : سرعة الركض . يصف فرس الصيد .

(٥) الأوابد : جمع آبدة وهى الوحش . كاسرة : منقضة . العقبان : جمع عقاب بضم العين طائر من الجوارح .

(٦) ما بالهم : أى ما حالهم وما حصل لهم . لاتغب : لا تنقطع . قعس الظهور : مفرده أقعس ، وهو من خرج صدره ودخل ظهره ، ضدّ الأحدب . الحبين : وجع فى البطن . بطان : عظام البطون ، المفرد بطن و بطين . بطان صفة لقوم (جرير) .

(٧) ما لهم بها يدان : أى ليست لهم عليها قدرة . اللقاء : الحرب .

(٨) ترث : تبلى . الحدثان : النوائب . لا يغتر بالحدثان : لا تأخذه النوائب على غرة لاستعداده لها دائمًا .

(٩) بنو كليب : رهط جرير . محارم : جمع محرمة ما لا يحل انتهاكه .

وإذا تُنُودِبَ للمكارم والعُلا لم يُنْدَبوا لترادف الأعوان (١)
أجرير إنك والذى تسموله كأَسيفَةٍ فخرت بِحِدْجِ حَصان (٢)
حملت لربّتها فلمّا عُولِيَتْ نسلت تعارضها مع الأظعان (٣)
أتَعُدُّ مأثُرةً لغيرك فخرها وسناؤها فى سالف الأزمان (٤)
تاجُ الملوك وفخرُهم فى دارمٍ أيامَ يَربوعٌ مع الرُّعيان (٥)
متلفِّفٌ فى بُردة حَبَقيَّةٍ بفناء بيتِ مذَلّةٍ وهَوان (٦)
يَغذُو بنيه بثَلّةٍ مذمومةٍ ويكون أكبرَ همّه رِبقَان (٧)
سبقوا أبَاكَ بكُلِّ مجْمَع تَلْعَةٍ بالمجد عندَ مواقف الركبان (٨)
إخسأ كُليبُ، إليك، إنّ مُجاشعًا وأبا الفوارس نَهشَلًا أخوان (٩)
قومٌ إذا خَطَرتْ عليكَ قُرومُهمْ طرحوك بين كَلاكل وجِران (١٠)

(١) تنودب : ندب الناس ودعوا . الترادف هنا : التعاون . يقول : لا يصلحون للكارم والمعالى .
(٢) تسموله : تتعلق به من مفاخر ليست لك . الأسيفة : الأمة . الحدج : مركب النساء على البعير كالهودج . الحصان هنا : الحرّة ضدّ الأمة يقول ان فخرك بما ليس لك كفخر الأمة بحدج سيدتها .
(٣) أى حملت حدج سيدتها . عوليت : علت الحدج . نسلت : أسرعت . تعارضها أى تعدو حيالها الأظعان : النساء فى الهودج .
(٤) مأثرة : محمدة ومفخرة . السناء : الشرف . سالف الأزمان : ماضيها . يقول له : تفخر بمآثر مضر وأنت من فخذ حقير هو يربوع لا مجد له .
(٥) دارم : رهط الفرزدق ، ويريد الأخطل تفضيله على جرير بهذا الشعر . الرعيان جمع راع : من يقوم على الماشية يخدمها .
(٦) حبقية : نسبة الى صانع أو الى نوع من الغنم .
(٧) الثلة : الصوف أو جماعة الغنم . الربقان مثنى ربق : حبل يشدّ فى عنق البهم .
(٨) التلعة : ما علا من الأرض . عند مواقف الركبان أى عند المفاخرة والتحاكم .
(٩) إخسأ : ابتعد محتقرا . اليك : تنح وابعد . مجاشع : قبيلة الفرزدق . نهشل : قبيلة من تميم كمجاشع .
(١٠) خطر الجمل بذنبه : رفعه مرة بعد أخرى . القروم : الفحول والأماجد جمع قرم . والكلاكل : جمع كلكل وهو الصدر . والجران : صفحة العنق . يقول : إن رجالهم يعلون عليك مفاخرة .

(١٠) وقال الفرزدق(١) يذكر تفضيلَ الاخطل إياه على الشعراء ويمدح بنى تغلب ويهجو جريرا

يابنَ المـراغَةِ والهجاءُ إذا التَقَتْ ... أعنـاقُهُ وتمـاحَك الخَصْمان (٢)
يا بن المَراغَةِ انَّ تَغلِبَ وَائِلٍ ... رفعوا عَنَانى فوق كُلِّ عَنانِ (٣)
كانِ الهُـــذَيلُ يقود كُلَّ طِمِرَّةٍ ... دهمـاءَ مُقـربَةٍ وكلَّ حِصـانِ (٤)
يَصْهَلْنَ بالنظـرَ البعيـدِ كأنَّمـا ... إرْنَانُهـا ببوائن الأشـطان (٥)
يَقْطَعْن كُلَّ مدًى بَعيـدٍ غَوْلُه ... خَبَبَ السِّباعِ يُقَـدْنَ بِالأرسَانِ (٦)

(١) الفرزدق هو أبو فراس همام بن غالب التميمى الدارمى أحد فحول الشعراء الأمويين. نشأ بالبصرة والبادية يروى الشعر ويعالجه حتى نبغ فيه، واتصل بولاة العراق يمدحهم ويهجوهم، ورحل الى دمشق يمدح الخلفاء وينال جوائزهم. وله مع جرير نقائض تعد وثيقة تاريخية لعصرهما ولكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام. ويمتاز شعر الفرزدق بخشونة الألفاظ ووعورة المعانى والميل الى الفخر فى هجائه والفحش فى غزله وقد مات سنة ١١٤ ﻫ.

(٢) ابن المراغة: جرير. خير الهجاء: متعلق إذا. أى حاصل وذائع إذا ... الخ أعناقه: جماعته أى يكون إذا تناشده القوم بعضهم على بعض. تماحك: تخاصم وتمارى.

(٣) تغلب من ربيعة: قوم الأخطل. العنان بالكسر: سير اللجام، وبالفتح: الجانب وهو الأنسب هنا.

(٤) أى الهذيل بن هبيرة. الطمرة: الفرس الطويلة السريعة. الدهماء: السوداء. مقربة أى قريبة اليهم لكرمها وسرعتها يعمدون اليها حين الفزع.

(٥) الصهيل: صوت الخيل. الإرنان: التصويت. البوائن: الآبار المفرد بيون وهى البئر التى يصيب حبلها نواحيها. الأشطان جمع شطن: الحبل. يقول: كأنها تصهل من آبار بوائن لسعة أجوافها ومعنى يصهلن بالنظر البعيد أنها تصهل إذا رأت شبحا من بعد لحدة نظرها ونشاطها.

(٦) كل مدى: كل غاية بعيدة. غوله: بعده. الخبب للفرس: عدو فيه يقوم على رجليه تارة وعلى يديه أخرى. الأرسان جمع رسن: الحبل، يشبه الخيل بالسباع فى العدو.

وكأنَّ راياتِ الهُـذيْلِ إذا بَدَتْ فوقَ الخَميس كواسِرُ العِقبانِ (١)
وَرَدُوا إرابَ بجحفلٍ من وائل لَجِبِ العشيِّ ضُبارِمِ الأركانِ (٢)
وَيبيتُ فيـه منَ المخافةِ عائذاً ألْفٌ عليـهِ قوانسُ الأبدانِ (٣)
تَرَكُوا لِتَغْلِبَ إذ رأوا أرماحَهُـمْ بإرَابَ كُلَّ لئيمةٍ مِدرانِ (٤)
تُدْمِي — وتَغْلِب يمنعونَ بَنَاتِهِم — أقدامَهُنَّ حجارةُ الصَّوَّانِ (٥)
يَمْشِينَ فى أَثَرِ الهُذَيْلِ وتارةً يُرْدَفْنَ خلفَ أواخرِ الرُّكبانِ (٦)
لولا أناتُهُـمُ وَفَضْـلُ حُلُومِهِمْ بَاعُوا أباكَ بأوْكَسِ الأثمانِ (٧)
وَالحوفَزَانُ أميرُهُمْ مُتَضَائِلٌ فى جَمْعِ تَغْلِبَ ضَاربٌ بِجِرَانِ (٨)

---

(١) الخميس : الجيش الضخم . كواسر العقبان : أى المنقضة من العقبان : جمع عقاب ، طائر من الجوارح وهذا وصف لاسراع الخيل .

(٢) إراب : موضع ، وهو يوم بين بنى يربوع وبكر بن وائل يقودهم الهذيل هـذا . الجحفل : الجيش الكثير الخيل . لجب العشى : كثير الأصوات بالعشى وقت النزول للعلف فالأصوات كثيرة . الضبارم : الغليظ . الأركان : النواحى ، فأركان هذا الجيش شديدة ضخمة .

(٣) عائذا : محتميا . القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد : قونس . الأبدان : الدروع غير السوابغ يقول : يعتاذ بهذا الجيش جيش فيه ألف مسلحون .

(٤) مدران : كثيرة الوسخ . أى خلوا نساءهم وهربوا .

(٥) تدمى : تسيل دمها ، والفاعل حجارة ، وأقدامهن مفعوله . وذلك لأنهن يسقن حفاة .

(٦) يردفن : الردف الراكب خلف الراكب .

(٧) أوكس : أبخس .

(٨) يظهر معنى هذا البيت من أن الهذيل غزا بلاد سعد فى تغلب وكذلك غزاها الحوفزان فى بكر ابن وائل فلما التقى الجيشان سار الحوفزان تحت لواء الهذيل . متضائل : متصاغر . الجران : مقدم عنق البعير ، وضرب بجرانه : برك .

أَحبِبْنَ تَغلِبَ إذْ هَبطْنَ بِلادَهُمْ ... لمَّـا سَمِنَّ وكُنَّ غيرَ سِمَـانِ
يَمْشِينَ بِالفَضلاتِ وسْطَ شُرُوبِهِمْ ... يَتْبَعْنَ كُلَّ عَقِـيرَةٍ وَدُخَانِ (١)
يَتَبَايَعُونَ إذَا انْتَشَوْا بِبَنَاتِكُمْ ... عِنْـدَ الإيابِ بأوْكَسِ الأثْمَـانِ (٢)
واسْأَلْ بِتَغْلِبَ كيفَ كَانَ قَدِيمُها ... وَقَـدِيمُ قَـومِكَ أولَ الأَزْمَانِ
قَومٌ هُمُو قَتَـلُوا ابنَ هِنْـدٍ عَنْوَةً ... عَمْـرًا، وَهُمْ قَسَـطُوا على النُّعْمَانِ (٣)
قَتَلُوا الصنَائِـعَ والملوكَ، وَأَوْقَدُوا ... نَارَيْنِ قـد عَلَتَـا على النـيرَانِ (٤)
لَوْلَا فَوَارِسُ تَغْلِبَ ابنـةِ وَائِلٍ ... نَزَلَ العـدُوُّ عَلَيْـكَ كُلَّ مَكَانِ
حَبَسُوا ابنَ قَيْصَرَ وابْتَنَوْا بِرِمَاحِهِمْ ... يَوْمَ الكُلاب كَكَرمِ البُنْيَانِ (٥)
إنَّ الأَرَاقِمَ لَنْ يَنَالَ قَـدِيمَها ... كَلْبٌ عَوَى مُتَهَـتِّمُ الأسْـنَانِ (٦)
قـومٌ اذا وُزِنُوا بقومٍ فُضِّـلوا ... مِثْلَىْ موازِنِهِـم على الميزانِ

---

(١) الفضلات : الخور أى يسقين الرجال و يخدمنهم . الشروب : القوم يشربون الخمر . يتبعن كل عقيرة : يتسمعن الغناء . دخان أى موضع الطبخ والشواء .

(٢) انتشوا : سكروا .

(٣) ابن هند عمرو بن هند : ملك الحيرة . يروون أن عمرو بن كلثوم التغلبي قتله فى قصة مشهورة . قسطوا : جاروا . النعمان بن المنذر من ملوك الحيرة أيضا .

(٤) صنائع الملوك : أنصارهم ، المفرد صنيعة . أوقدوا نارين : اشارة الى يوم خزازى لتغلب على كندة وعلى بكر بن وائل .

(٥) يوم الكلاب الأول حيث قتلوا شرحبيل بن الحرث الكندى عم امرئ القيس .

(٦) الأراقم : حى من تغلب . متهتم متكسر والمراد بالكلب جرير الذى يهجوهم .

وقال يمدح سعيد بن العاص بالمدينة وقد فر اليه لما طلبه زياد بالعراق بسبب هجوه الشائع :

وَكُومٍ تُنعِمُ الأَضْيَافَ عَيْنًا وتُصبِحُ فى مَبَارِكِهَا ثِقَالًا (١)
حُوَاسَاتِ العَشَاءِ خُبَعْثِنَاتٍ إذَا النكبَاءُ رَاوَحَتِ الشَّمالا (٢)
كَأَنَّ فِصَالَهَا حَبَشٌ جِعَادٌ تَخَالُ على مَبَارِكِهَا جُفَالَا (٣)
لِأَكْلَفَ أُمُّهُ دَهْمَاءُ مِنْهَا كَأَنَّ عَلَيْهِ مِنْ جَلَدٍ جِلَالا (٤)
أَرِقْتُ فَلَمْ أَنَمْ لَيْلًا طَوِيلًا أُرَاقِبُ هَلْ أرى النَّسْرَيْنِ زَالَا (٥)
فَأَرَّقَنِى نوائبُ مِنْ هُمُومٍ عَلَىَّ، ولم يَكُنْ أمرِى عِيَالا (٦)
وكان قِرَى الهُمُومِ اذا اعترَتْنِى زَمَاعًا لا أُرِيدُ بِهِ بِدالا (٧)

(١) الكوم : الجمال ذات السنام الضخم، الواحد أكوم . تنعم : تقر وتسر . المبارك : جمع مبرك موضع البروك . ثقالا : ضخاما . كوم مبتدا بعد واو رب، خبره تنعم .

(٢) الحواسات بضم الحاء : الإبل المجتمعة والكثيرة الأكل . خبعثنات : ضخام شديدات، المفرد خبعثنة . النكباء : ريح انحرفت عن مهاب الرياح راوحت : عارضت . الشمال : ريح تهب ما بين مطلع الشمس و بنات نعش .

(٣) الفصال، جمع فصيل : ولد الناقة اذا فصل عنها . الجعاد جمع جعد : عكس المسترسل جفال : صوف كثير . يشبه الفصال بالحبش ذوى الشعر الجعد حتى لتظنها صوفا

(٤) الأكلف : الفحل المائل الى السواد . دهماء : سوداء الجلد : جلد البو . الجلال جمع جل : وهو للدابة كالثوب للإنسان .

(٥) أرقت : سهرت . النسران : كوكبان . يقال لأحدهما النسر الطائر، وللآخر النسر الواقع يقول : أرى هل زالا فيطلع الصباح، وذلك بسبب همه .

(٦) أرقنى : أسهرنى . النوائب المصائب المفرد نائبة . عيالا جمع عيل الفرد، أى ليس همى بسبب أبنائى الذين أعولهم .

(٧) قرى : اكرام . الزماع : المضاء والعزم . بدال : عوض .

فعادلْتُ المَسَالِكَ نصفَ حَوْلٍ وحَوْلا بعـــدَهُ حتَّى أحَالا (١)
فَقَالَ لِيَ الَّذى يَعْنِيــهِ شَأْنِي نَصِيحَةَ قَـــوْلِهِ سِرًّا وقالا : (٢)
عَلَيْكَ بَنِي أُمَيَّـــةَ ، فَاستَجِرْهُمْ وخُذْ مِنهـمْ لِمَا تَخْشَى حِبَالا (٣)
فَإنَّ بَنِي أُمَيَّـــةَ فِي قُرَيْشٍ بَنَوْا لِبُيوتِهِـمْ عَمَـــدًا طِوَالا (٤)
فَرَوَّحْتُ القَلوصَ إلى سَـعِيدٍ إذَا مَا الشَّاةُ فى الأَرْطَاةِ قَالَا (٥)
تَخَطَّى الحَــرَّةَ الرَّجْلاءَ لَيْـــلاً وتَقْطَـعُ فى مَخَارِمِهـا نِعَالا (٦)
حَلَفْتُ بِمَنْ أَتَى كَــنَفَيْ حِرَاءٍ ومَــنْ وَافَى بِحِجَّتِـــهِ إلَالَا (٧)
اذا رَفَعُوا سَمِعْتَ لهــم عَجِيجًا عَجِيـجَ مُحَــلِّئٍ نَعَـــمًا نِهَــالَا (٨)
ومَن سَمَــكَ السماءَ له فقامَتْ وسَخَّــر لابنِ دَاودَ الشَّمَالَا (٩)

(١) عادلت الخ : وازنت بين المسالك لا أدرى لأيها أصير . أحال : انقضى الحول .

(٢) يعنيه : يهمه . شأنى : أمرى وحالى .

(٣) عليك بنى أميـة : اقصدهم ، وسعيد بن العاص أموى . استجرهم : أستغث بهم . حبال جمع حبل : العهد والذمة .

(٤) العمد : جمع عمود مايقوم عليه البيت ، والمراد أنهم بنوا مجدا وشرفا .

(٥) روحت : سقت . القلوص من الإبل : الطويلة القوائم . الأرطاة : شجرة مرة تأكلها الإبل غضة . قال : نام فى منتصف النهار . يعنى شدّة الحر .

(٦) الحرة : الأرض ذات حجارة نخرة كأنها أحرقت بالنار . الرجلاء الخشنة يترجل فيها أو الكثيرة الحجارة . المخارم : الطرق ، المفرد مخرم . النعل هنا : طبق من جلد يوقى به الخف ، يصف وعورة الطريق .

(٧) الكنف : الظل أو الجانب . حراء : غار خارج مكة آوى اليه الرسول حين الهجرة اختفاء من أعدائه . إلال : جبل بعرفات حيث يقف الحاج والمعنى أنه أظهر دينه فى مكة .

(٨) أى رفعوا أيديهم وأصواتهم بالتلبية . العجيج : رفع الصوت والصياح المحلىء هنا : مانع الإبل عن الماء . النعم : الابل . نهالا شاربة يشبه صوت الحاج بصوت المحلى ... الخ .

(٩) سمك : رفع . ابن داود : هو سيدنا سليمان . الشمال : الريح . يشير الى معجزة سليمان وتسخير الريح له . والشاعر يقسم بالله كما أقسم قبل بالرسول .

وَمَنْ نَجَّى مِنَ الغَمَرَاتِ نُوحًا   وأَرْسَى فى مَوَاضِعِها الجِبَالا (١)
لَئِنْ عَافَيْتَنِي وَنَظَرتَ حِلْمِي   لَأَعْتَتِنَنْ إِنِ الحدثانُ آلا (٢)
إِلَيْكَ فَرَرْتُ مِنكَ ومِن زِيادٍ   ولم أَحسبْ دَمِي لَكُمَا حَلَالَا (٣)
ولكنِّي هجوتُ ، وقد هَجَتْنِي   مَعَاشِرُ قد رَضَخْتُ لهم سِجَالا (٤)
فإنْ يكنِ الهجاءُ أَحَلَّ قَتْلِي   فقد قُلْنَا لِشَاعِرِهِمْ وقَالَا (٥)
وإن تكُ فى الهجاءِ تُرِيدُ قَتْلِي   فَلَمْ تُدْرِكْ لِمُنْتَصِرٍ مَقَالَا (٦)
تَرَى الشُّمَّ الجَحَاجِحَ من قُرَيْشٍ   إذا مَا الأَمرُ فى الحَدَثانِ عَالَا (٧)
بَنِي عَمِّ النَّبِي ورَهْطَ عَمْرٍو   وعُثمانَ الذينَ عَلَوْا فَعَالَا (٨)
قِيامًا يَنْظُرونَ إلى سَعِيدٍ   كأَنَّهُمُ يَرَوْنَ بِهِ هِلَالَا (٩)
ضَرُوبٌ لِلقَوانِسِ غيرُ هَدٍّ   إذا خَطَرَتْ مُسَوَّمَةٌ رِعَالَا (١٠)

(١) الغمرات : جمع غمرة معظم البحر . نوح الرسول فى عهده كان الطوفان .

(٢) عافيتنى : دفعت عنى البلاء والدوء وكان الشاعر فارا من زياد حاكم العراق . نظرت حلمى : راعيت عقلى وأناتى . اعتتن : اشتد وقوى . الحدثان النوائب . آل رجع .

(٣) زياد آبن أبيه : والى العراق ، وقد طلب الفرزدق حين رفع أمره اليه لشدة هجائه ، ولكن الشاعر فر الى سعيد هذا .

(٤) رضخت لهم : أعطيتهم قليلا من هجائى . السجال جمع سجل : الدلو العظيمة . ويقال الحرب بينهم سجال أى تارة لهم وتارة عليهم .

(٥) قلنا لشاعرهم وقال أى تهاجينا ، فلم أقتل أنا دونه ؟

(٦) فى الهجاء أى بسببه . ومعنى الشطر الثانى : فلم تسمع مقال المستجير . المنتصر : المستظهر على عدوه .

(٧) الشم جمع أشم وهو السيد العزيز . الجحاجح جمع جحجح : السيد . عال اشتد وتفاقم .

(٨) الرهط : قوم الرجل . الفعال : الفعل الحسن .

(٩) قياما : حال من مفعول ترى فى البيت الذى قبل السابق ومعنى يرون به يرونه فالباء للتجريد .

(١٠) القوانس : أعالى البيض من الحديد ، المفرد قونس . الهد : الرجل الضعيف . المسومة : الخيل المعلمة لكرمها . الرعال : جمع رعلة : القطعة من الخيل . يصفه بالشجاعة والإقدام .

(١١) وقال جرير(١) يمدح عبد الملك بن مروان

أتَصْحُو ، أمْ فُؤَادُكَ غيرُ صَاحِ ... عَشِيَّةَ هَمَّ صحبُكَ بالرَّواحِ (٢)
تَقولُ العَاذِلاتُ : عَلاكَ شَيْبٌ ! ... أهَذا الشيبُ يمنعنى مِراحِى ؟ (٣)
يُكَلِّفنى فؤادى من هَواهُ ... ظعائنَ يجترعنَ على رِماحِ (٤)
ظعائنَ لم يَدِنَّ مع النَّصارى ... ولا يدرينَ ما سَمَكُ القُراحِ (٥)
فبعضُ الماء ماءُ ربابِ مُزْنٍ ... وبعضُ الماءِ من سَبَخٍ مِلاحِ (٦)
سَيَكفيكَ العواذلَ أرْحَبِىٌّ ... هِجانُ اللونِ كالفَرَدِ اللِّياحِ (٧)
يَعزُّ على الطريقِ بِمَنْكِبَيهِ ... كما ابترك الخليعُ على القِداحِ (٨)

---

(١) ينتسب أبو حزرة جرير بن عطية بن الخطفى الى يربوع من تميم كما ينتسب الفرزدق الى دارم من تميم كذلك وقد ولد باليمامة ونشأ فى البادية يأخذ الشعر عن أسرته وغيرها ويتكسب به لدى الولاة والخلفاء حتى اشتبك مع الفرزدق فى التهاجى والتساب لعوامل سياسية واجتماعية ومات بعد الفرزدق بقليل سنة ١١٤ هـ ويدل شعر جرير على عفة ودين وخلق حسن ورقة طبع ويمتاز بجمال الأسلوب ورقة النسيب وحسن التصرف فى فنون الشعر ولاذع الهجاء ، ونقائضه مع الفرزدق سجل لكثير من أيام العرب وأحوالهم فى الجاهلية والإسلام .

(٢) تصحو : تترك الباطل . الرواح : الذهاب عشية . ويصح أن تكون أم بمعنى بل أى الإضراب .

(٣) المراح : الاختيال والتبختر .

(٤) الظعائن جمع ظعينة : المرأة فى الهودج . يجترعن : يتمايلن أى يجترعن بقدود كالرماح .

(٥) القراح : قرية بين النهرين ، وربما كانت للنصارى .

(٦) الرباب جمع ربابة : السحابة البيضاء . المزن البرد أو السحاب ذو الماء . السبخ مفرده سبخة : أرض ذات نز وملح . ملاح : مالحة .

(٧) يكفيك : يكف عنك . أرحبي : جمل منسوب الى أرحب بطن من همدان . هجان : أبيض كريم . اللياح : الثور الوحشى أو الأبيض الناصع . الفرد : السيف لا نظير له أى سأستريح من العواذل بهذا الجمل أركبه الى الخليفة . وهذا الجمل كالسيف فى مضاء سيره .

(٨) يعز : يشتد . ابترك : حنا للركب . الخليع : المقامر . القداح جمع قدح : سهم الميسر .

تعــزّت أمُّ حَزْرَةَ ثم قالتْ : رأيتُ الواردينَ ذوى امتناح (١)
تُعـلِّلُ وهى سـاغبةٌ بَنيها بأنفاسٍ من الشَّبِمِ القَـراح (٢)
سَأَمْتاحُ البحورَ فجنِّبيني أذاةَ اللومِ وانتظرى امتياحى (٣)
ثِقِى بِاللهِ ليسَ لـهُ شَريك ومن عندِ الخَليفةِ بِالنجاح
أغثنِى — يا فِداكَ أبى وأُمى — بِسَيْبٍ مِنكَ ، إنكَ ذُو ارتِياح (٤)
فإنِّى قد رأيتُ علىَّ حَقًّا زِيارَتِىَ الخليفةَ وامتِداحى
سَأشكُرُ ان رَددتَ علىَّ رِيشى وأنبَتَّ القوادِمَ فى جَناحى (٥)
أَلستُم خيرَ منْ ركبَ المَطَايا وأندى العالَمينَ بُطونَ راحِ (٦)
وقومٍ قد سَموتَ لهم فدانُوا بِدُهْمٍ فى مُلَملَمةٍ رَداح (٧)
أَبحْتَ حِمى تِهامةَ بعد نجدٍ وما شيءٌ حَميتَ بِمُستَباح (٨)

(١) أم حزرة : زوج جرير . امتناح : عطاء .
(٢) تعلل : تشغل وتلهى . ساغبة : جائعة . الشبم : البارد من الماء . القراح الصافى .
(٣) متح الماء : استقاه واستخرجه من البئر والمراد العطاء الذى يناله من عبد الملك بن مروان المشبه بالبحر عطاء .
(٤) السيب : العطاء . ذو ارتياح أى الى الكرم .
(٥) القوادم جمع قادمة : الريش فى مقدم الجناح وهى كبار الريش وضدها الخوافى . والمراد إن أعززتنى .
(٦) المطايا : جمع مطية . الراح جمع راحة : بطن الكف .
(٧) سموت لهم : خرجت اليهم محاربا . دانوا : خضعوا . دهم : خيل سود ، الواحد أدهم . الململمة : الكثيرة المجتمعة . رداح : كتيبة ثقيلة .
(٨) أبحت : حللت . الحمى : ما يحميه الإنسان ويمنعه إشارة الى حروبه فى بلاد العرب .

لَكُمْ شُمُّ الجبـالِ من الرواسِى وأعظمُ سَـــيلٍ مُعْتَلِجِ البِطـاحِ (١)
دعوتَ الملحدين أبَا خُبَيب جِمـاحًا هل شَفيتَ من الجِمـاحِ؟ (٢)
فقــد وَجَدوا الخليفــةَ هِبرِزِيًّا أَلَفَّ العِيصِ ليسَ من النـواحِى (٣)
فمـا شَجَراتُ عِيصِـكَ فى قُرَيشٍ بِعَشَّاتِ الفُـروعِ ولا ضَـواحِى (٤)
رأى النـاسُ البَصيرة فاستقامُوا وبيَّنْتَ المِـراضَ من الصِحاحِ (٥)

وقال جرير يجيب الفرزدق عن قصيدته التى مطلعها — يابن المراغة — ويهجو الأخطل ومحمد بن عُمير بن عُطارد :

لِمن الديارُ بِـبُرْقَةِ الرَّوْحَانِ إذْ لَا نَبِيــعُ زمانَنـا بِزَمانِ (٦)
إن زُرتُ أهلَكِ لم يُبالوا حَاجَتِى وإذا هَجَــرتُكِ شَـفَّنِى هِجرانى (٧)
هَــلْ رَامَ جَوُّ سُوَيقَتَينِ مَكانَه أو حُلَّ بعــد مَحلِّنَـا الـبُرْدَانِ (٨)

(١) شم الجبال : أعاليها . اعتلجت الأرض : طال نبتها ، والأمواج : التطمت . البطاح : جمع بطحاء مسيل واسع فيه حصى دقيق . يشير الى عظم سلطانه .

(٢) الملحد : المائل عن الدين الطاعن فيه . أبو خبيب عبد الله بن الزبير الخارج على بنى أمية . جماحا : نافرين . والاستفهام تقريرى .

(٣) هبرزيا : أسدا . والهبرزى : الأسوار من أساورة الفرس . ألف : كثير ملتف . العيص : الشجر الكثير أو الأصل . النواحى : البعداء . والمعنى أنهم وجدوك ذا بأس كريم الأصل .

(٤) عشات الفروع : لثيات أصول نبتها . ضواح : بمات ظلها لعدم الورق .

(٥) البصيرة أيضا : العبرة والفطنة . المراض جمع مريض : الباطل والمعوج وضده الصحيح .

(٦) البرقة : الأرض الغليظة ، وبرق بلاد العرب كثيرة منها برقة الروحان . يقول : لمن هذه الديار بتلك البرقة حيث قضينا زمنا لا نبغى به سواه . والاستفهام للتعظيم أى هى لمحبوبة كريمة علىّ .

(٧) شفنى : أحزننى وهزلنى .

(٨) رام : فارق مضارعه يريم . السويقتان واحده سويقة : اسم لعدة مواضع بالحجاز وغيره . ولعل موضعهما هنا نجد .

البردان مثنى برد بضم فسكون : غديران بنجد . والاستفهام معناه الحسرة والتلهف على أماكن طربه المزعومة .

وَرَجَعْتُ بَعْدَ سُلُوِّهِنَّ صَبَابَةً ... وَعَرَفْتُ رَسْمَ مَنَازِلٍ أَبْكَانِي (١)

أَصْبَحْنَ بَعْدَ نَعِيمِ عَيْشٍ مُؤْنِقٍ ... قَفْرًا وبَعْدَ نَوَاعِمٍ أَخْدَانِ (٢)

قَدْ رَابَنِي نَزَعٌ وَشَيْبٌ شَائِعٌ ... بَعْدَ الشَّبَابِ وعَصْرِهِ الفَيْنَانِ (٣)

شَعَفَ القُلُوبَ وما تُقَضَّى حَاجَةٌ ... مِثْلُ المَهَا بِصَرِيمَةِ الحَوْمَانِ (٤)

نَزَلَ المَشِيبُ على الشَّبَابِ فَرَاعَنِي ... وعَرَفْتُ مَنْزِلَهُ عَلَى أَخْدَانِي (٥)

حُورُ العُيُونِ يَمِسْنَ غَيْرَ جَوَادِفٍ ... هَزَّ الجَنُوبِ نَوَاعِمَ العَيْدَانِ (٦)

وإذا وَعَدْنَكَ نَائِلًا أَخْلَفْنَهُ ... وإذا غَنِيتَ فَهُنَّ عنكَ غَوَانِ (٧)

أَصَحَا فُؤَادُكَ أَيَّ حِينِ أَوَانِ ... أَمْ لَمْ يَرُعْكَ تَفَرُّقُ الجِيرَانِ (٨)

أَخْطَا الرَّبِيعُ بِلَادَهُمْ فَتَيَمَّمُوا ... ولِحُبِّهِمْ أَحْبَبْتُ كُلَّ يَمَانِي (٩)

---

(١) الصبابة : الشوق والولع الشديد . رسم الدار : آثارها . يقول : لما رأيت خراب المنازل ودروسها أبكاني ذلك .

(٢) مؤنق : حسن معجب ، أخدان جمع خدن : الصاحب .

(٣) النزع : انحسار الشعر من جانبي الجبهة . الفينان : الحسن الشعر الطويله .

(٤) شعف : غلب . المها مفرده مهاة : البقرة الوحشية . الصريمة : القطعة من معظم الرمل . الحومان جمع حومانة : المكان الغليظ . يقول : ان النساء الجميلات يتعبن قلبي دون فائدة أحظى بها .

(٥) راعني : أفزعني . عرفت : تبينت .

(٦) حور جمع حوراء : شديدة سواد العين مع شدة بياضها . يمسن يختلن و يتبخترن . جوادف : قصيرات . الجنوب : ريح تخالف الشمال : العيدان : النخل الطويل المفرد عيدانة ، يشبه النساء متبخترات بالنخيل تهزها الريح .

(٧) نائلا : وصلا . غوان : مستغنيات لا يبالين من ينصرف عنهن .

(٨) أى هل ترك قلبك العشق ، وقدحان وقت ذلك . يروع : يفزع .

(٩) أخطأ الربيع : لم ينزل المطر . تيمموا : قصدوا اليمن .

بَكَرَتْ حَمَامَةُ أَيْكَةٍ مَحْزُونَةٌ ... تَدْعُو الهَدِيلَ فَهَيَّجَتْ أَحزانِى (١)

لَا زِلت فى غَلَلٍ يَسُرُّكِ ناقِع ... وظِلالِ أخضرَ ناعِمِ الأغصَانِ (٢)

وَلَقَدْ أَبِيتُ ضَجِيعَ كُلِّ مُخَضَّبٍ ... رَخْصِ الأنامِلِ طَيِّبِ الأرْدَانِ (٣)

عَطِرِ الثِّيَابِ مِنْ العَبِيرِ مُذَيَّلٍ ... يَمشِى الهُوَيْنَى مِشيةَ السَّكْرَانِ (٤)

صَدَعَ الظعائنُ يومَ بِنَّ فؤادَه ... صَدْعَ الزُّجاجةِ مَا لِذاكَ تَدَانِ (٥)

هَلْ تُؤنِسانِ ودَيرُ أَرْوَى بينَنا ، ... بالأعْزَلَيْنِ بَوَاكِرَ الأظعَانِ (٦)

رَفَّعْتُ مائرةَ الدُّفُوفِ أَمَلَّهَا ... طولُ الوَجِيفِ على وَجَى الأَمْرَانِ (٧)

حَرْفًا أَضَرَّ بِهَا السِّفَارُ كأنَّهَا ... جَفْنٌ طَوَيْتَ بِهِ نِجَادَ يَمَانِ (٨)

---

(١) بكرت : قامت مبكرة صباحا . الأيكة : الشجرة العظيمة . الهديل : صوت الحمام أى تغرد .

(٢) غلل : ماء يجرى بين الأشجار . أخضر أى روض خصب ناضر .

(٣) رخص : ناعم . الأردان جمع ردن : أصل الكم . طيب : عطر .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب . الهوينى : التؤدة والرفق تصغير هونى مؤنث أهون . يشبه تمايل المرأة وهى ماشية بمشية السكران .

(٥) صدع : شق . تدان : التئام .

(٦) تؤنسان : تبصران والخطاب لصاحبيه المفروضين على عادة العرب فى ذلك . دير أروى : بالشام . الأعزلان : واديان ، الريان والظمآن ، لبنى حنظلة .

(٧) رفع البعير : حمله على الإسراع . مائرة : ناقة سهلة السير سريعة . الدفوف جمع دف : الجنب . أملها : أسأمها . الوجيف : ضرب من سير الإبل والخيل . الوجى : الحفا . الأمران ما يلين به الخف اذا حفى .

(٨) حرفا : ناقة ضامرة أو مهزولة . الجفن : الغمد . نجاد السيف : حمائله . يمان : منسوب الى اليمن : أصلها يمنى بياء النسب أتى بالألف بدل إحدى الياءين ، وحذفت هنا الأخرى على قاعدة المنقوص كقاض . يشبه ناقته فى الضمور بغمد السيف .

وإذا لَقِيتَ عَلَى زَرُودَ مُجَاشِعاً ... تَرَكُوا زَرُودَ خَبِيثَةَ الأعطانِ (١)
قَتَلوا الزُّبيرَ وَقِيلَ إن مُجَاشِعاً ... شَهِدُوا بِجَمعِ ضَيَاطِرٍ عُزْلَانِ (٢)
مِنْ كُلِّ مُنتَفِخِ الوَرِيدِ كأنَّهُ ... بَغْلٌ تقاعَسَ ، فَوقَهُ خُرْجَانِ (٣)
يَا مُسْتَجِيرِ مُجَاشِعٍ يَخْشَى الرَّدَى ... لَا تَأْمَنَنَّ مُجَاشِعاً بِأمَانِ (٤)
إنَّ ابنَ شعرةَ والقرينَ وضوطَرى ... بئسَ الفوارسُ لَيلةَ الحِدْثانِ (٥)
أَبَنِيَّ شعرةَ إن سَعْدًا لم تَلِدْ ... قَيْنًا بِلِيتَيْهِ عَصِيمُ دُخَانِ (٦)
أَبِنَا عَدَلْتَ بنِي خَضَافِ مُجَاشِعاً ... وعَدَلْتَ خالَكَ بالأَشَدِّ سِنَانِ (٧)
شهِدَت عشيةَ رَحرَحانَ مُجاشعٌ ... بِمَجَارِفٍ بُجُفِ الخَزِيرِ بِطَانِ (٨)
وطِئَت سَنابِكُ خَيلِ قيسٍ مِنكُمُ ... قَتْلَى مُصَرَّعَةً على الأعطانِ (٩)

(١) زرود : مكان فيه يوم بين تغلب ويربوع ، وماء لبنى مجاشع على طريق مكة . الأعطان جمع عطن : موطن الابل ومبركها حول الحوض .

(٢) كان الزبير بن العوّام جارا لمجاشعيّ فلم يجره وذلك بعد وقعة الجمل . ضياطر جمع ضيطر : الضخم اللئيم . عزلان جمع أعزل .

(٣) الوريد : أحد عرقين عظيمين فى العنق . تقاعس : تأخر .

(٤) الردى : الهلاك . ومجاشع قبيلة الفرزدق كما سبق .

(٥) حدثان الدهر : نوبه . ابن شعرة محمد بن عمير . القرين : حكيم بن زياد المجاشعي . وضوطرى من مجاشع كذلك .

(٦) القين : الحداد . الليتان مثنى ليت (بكسر اللام) : صفحة العنق . عصيم أثر . أى ليس فينا حدادون .

(٧) عدلت : سويت . سنان بن خالد : خال جرير ، وخال الفرزدق العلاء الضبي . أى كيف تسوى بين قومى وقومك أو بين خالى وخالك مع بعد ما بينهما فى المجد والشرف ؟

(٨) رحرحان : جبل قرب عكاظ فيه يوم لعامر على دارم . مجارف ، جمع مجرفة مبالغة فى شدّة شرههم والمعنى أنهم يلتهمون الطعام . بجف : مرضى البطون من الجفاف ، وهو مشيها . الخزير : طعام شبه عصيدة . بطان : عظام البطون .

(٩) سنابك : أطراف الحوافر ، المفرد سنبك كقنفذ . قيس : أصل بنى عامر قرينة تغلب . مصرعة : مطروحة .

أَنَسيتَ ـ وَيْلَ أَبِيكَ ! غَدْرَ مُجَاشِع وَمَجَرَّ جِعْثِنَ لَيْلَةَ السِّيدَانِ (1)
وَنَسِيتَ أَعْيُنَ والرِّبَابِ وَجَارَكُمْ وَنَوَارَ حَيْثُ تَصَلْصَلَ الجُلْجُلَانِ (2)

* * *

لِلَّهِ دَرُّ يَزِيدَ يَوْمَ دَعَاكُمُ والخَيْلُ مُجْلِبَةٌ على حَلَبَانِ (3)
لَاقَوْا فَوَارِسَ يَطْعَنُونَ ظُهُورَهُمْ نَشْطَ البُزَاةِ عَوَاتِقَ الخِرْبَانِ (4)
لَا يَخْفَيَنَّ عَلَيْكَ أَنَّ مُحَمَّداً مِنْ نَسْلِ كُلِّ صِفِنَّةٍ مِبْطَانِ (5)
إن رُمْتَ عَبْدَ بَنِى أُسَيْدَةَ عِزَّنَا فَانْقُلْ مَنَاكِبَ يَذْبُلٍ وَذَقَانِ (6)
إِنَّا لَنَعْرِفُ ما أَبُوكَ بِحَاجِبٍ فَالْحَقْ بِأَصْلِكَ مِنْ بَنِى دُهْمَانِ (7)

(1 و 2) ويل أبيك : كلمة دعاء ، أى شرّ وهلاك له . غدر مجاشع أى بالزبير . جعثن : بنت غالب أخت الفرزدق ، وقصتها أن غالبا جاور طلبة بن قيس بن عاصم بالسيدان ، فكانت ظمياء بنت طلبة تتحدث الى جعثن فاشتهى الفرزدق حديثها وشغلت أخته ليلة فأخذ الفرزدق الجلجل الذى كانت جعثن تصفق به لظمياء لتجىء ثم حرك الجلجل فجاءت ظمياء للعادة فارتابت بالفرزدق وهتفت وعادت الى رحلها فلما سمع بأمرها تجمع فتيان من مقاعس فاستخرجوا جعثن من خبائها ثم سحبوها ليشهروا بها ، فعيره بذلك جرير وبالغ فيه .

(3) مجلبة : مجتمعة . حلبان : موضع باليمن قرب نجران . يذكر الشاعر وقعة لهم .

(4) نشط : جذب خفيف . البزاة : الصقور جمع باز . عواتق جمع عاتق : فرخ الطائر أول ما يطير . الخربان ، جمع خرب : الحبارى الذكر . يقول انهم هزموا فولوا ظهورهم حيث طعنوا طعنا عنيفا سريعا كما تفعل البزاة بالخربان .

(5) محمد بن عمير بن عطارد . الصفنة من النساء الضخمة المسترخية . يعيره بذلك . المبطان : من همه بطنه .

(6) عبد أسيدة : محمد بن عمير . أسيدة : أم مالك القشيرى يذبل ، وذقان : جبلان . يقول له : ان أحسابنا كالجبال الراسية ؛ فهل تستطيع نقلها حتى تفاخرنا .

(7) أبوك : يعنى عمير بن عطارد . بنو دهمان من بنى نصر بن معاوية .

لَمَّا انْهزمتَ كفى الثغورَ مُشيَّعٌ ... منا غداةَ جَبُنْتَ، غيرُ جَبَانِ (١)
شَبَثٌ نَخوتُ به عليكَ ومعقلٌ ... وبمالكٍ وبفارسِ العَلْهانِ (٢)
هَلَّا طَعَنْتَ الخيلَ يومَ لقيتَها ... طَعْنَ الفوارسِ مِنْ بَنِي عُقْفانِ (٣)
ألقَوا السلاحَ الى آلِ عُطارِدٍ ... وتعاظَمُوا ضرطًا على الدُّكَّانِ (٤)
يا ذَا العَبَاءَةِ إنَّ بِشْرًا قد قضى ... ألَّا تجوزَ حُكُومةُ النَّشْوانِ (٥)
فَدَعُوا الحكومةَ لستمُ من أهلِها ... إنَّ الحُكُومةَ في بَنِي شَيْبَانِ (٦)
بَكْرٌ أحقُّ بأن يكونُوا مَقْنَعًا ... أوْ أن يَفُوا بحقيقةِ الجيرانِ (٧)
قَتَلُوا كُلَيبَكُمُ بِلَقْحَةِ جارِهِمْ ... يا خُزْرَ تَغْلِبَ لستُمُ بِهِجَانِ (٨)

(١) انهزمت : يعني أن محمد بن عمير كان على أذربيجان فأغار على أهل موقان فهزموه وأخذوا لواءه فثار اليهم عتاب بن ورقاء الرياحي فاسترد لواء محمد . كفى الثغور : حمى الحدود . مشيع : شجاع وغير صفته .

(٢) شبث ومعقل الرياحيان : العلهان : عبد الله بن الحارث اليربوعي . لأنه في يوم (بنى غيرجلهم) قال لأخيه بناس كثير وأصل العاهان الذى لا يعقل .

(٣) بنو عقفان بن يربوع : حى من خزاعة دفعوا الخوارج عن الكوفة أيام الحجاج ، ففرض لهم ألفى درهم فى السنة وهى درجة الشرف وهذا يسمى يوم البطين الخارجى .

(٤) آل عطارد من تميم رهط الفرزدق . الدكان : الحانوت جمعه دكاكين .

(٥) ذو العباءة الأخطل والعباءة مسح نصرانى (كساء) . بشر بن مروان بن الحكم . النشوان : السكران . يعيره بما رشاه به محمد بن عطارد من زق خمر وحلة ليفضل الفرزدق على جرير .

(٦) بنو شيبان من بكر . والأخطل تغلبي وكانت بين بكر وتغلب عداوة ومنافسة .

(٧) مقنع إقناع وكفاية . حقيقة : حق وحمى .

(٨) كليب : فارس وشاعر جاهلي . وهو خال امرئ القيس . وكان تغلبيا قتل فى حرب البسوس . لقحة : ناقة . خزر : ضيقو العيون أى لئام . الهجان : الخيار .

كَذَبَ الأُخَيْطِلُ إن قَومِى فِيهِمُ ... تَاجُ المـــلوكِ ورَايةُ النُّعْـمَانِ (١)
مِنْهم عُتَيْبَــةُ والمُحِــلُّ وقَعْنَبٌ ... والحَنْتَفَان ومِنْهُــم الرِّدْفَانِ (٢)
إنِّى لَيُعرَفُ فى السُّرادِقِ مَنزِلِى ... عِنْدَ المُلوكِ وعِنْدَ كُلِّ رِهَانِ (٣)
مَا زَالَ عِيصُ بَنِى كُلَيبٍ فِى حِمًى ... أَشِبٍ أَلَفَّ مَنَابِتِ العِيصَـانِ (٤)
الضَّارِبِينَ إذا الكُمَاةُ تَنَازلُوا ... ضَرْبًا يَقُــدُّ عَــوَاتِقَ الأَبْدَانِ (٥)
وَحَمَى الفَوارِسُ من غُدَانَةَ إنَّهُمْ ... نِعْــمَ الحُمَـاةُ عَشِــيَّةَ الإرْنَانِ (٦)
إنَّا لَنستَلِبُ الجَبَابِرَ تَاجَهُــمْ ... قَابُوسُ يَعــلَمُ ذاكَ والجـونَانِ (٧)
وَلَقد شَفَوْكَ مِنَ المُكَوَّى جَنبُهُ ... واللهُ أَنْزَلَهُ بِــدَارِ هَــوَانِ (٨)
جَارَيْتَ مُطَّلِعَ الجِــرَاءِ بِنَـابِهِ ... رَوْقُ شَبِيبَتِــهُ وَعُمـــرُكَ فَانِى (٩)

(١) تاج الملوك . يشير الى أن الخلافة فى قومه مضر إذذاك . راية النعمان : أى قديما لأنهم أسروا قابوس بن المنذر .

(٢) هؤلاء المذكورون من يربوع رهط جرير يفخر بمحامدهم .

(٣) السرادق : ما يمد فوق صحن البيت . ويريد المجتمع أو النادى .

(٤) العيص : الأصل . أشب : شجر متكاثف . العيصان : جمع عيص . بنو كليب : قبيلة جرير من تميم . يقول إن أصلنا عزيز منيع لا يرام .

(٥) يقـد : يقطع . عواتق جمع عاتق : ما بين المنكب والعتق . الكماة : الأبطال المفرد كمى . الأبدان : الدروع المفرد بدن .

(٦) الفوارس : هم وكيع بن حسان ومن شهده من بنى غدانة حين قتل قتيبة بن مسلم وغلب على منابر خراسان . عشية الارنان : يريد عشية تكثر فيها الأصوات .

(٧) نستلب الخ : نغتصب الملوك نفوسهم يشير إلى حادثة قابوس . الجونان : حسان ومعاوية من كندة . (راجع كتاب النقائض بين جرير والفرزدق صفحة ٤٠٥ طبع أوربا) .

(٨) المكوى جنبه : رجل يسمى الشمرذى من بكر حرق جنبه ثم قتله قيس بالبليخ .

(٩) المطلع : الضابط الأمر القوى عليه . الجراء : المفاخرة . روق الشباب أوله . أى فاجريت من هو أقوى منك .

مَا زِلتُ مُذْ عَظُمَ الخِطَارُ مُعَاوِدًا ضَبْرَ المِئِينَ وسَبَقَ كُلِّ رِهَانِ (١)
مَا زَالَ مَنْزِلُنَا لِتَغْلِبَ غَالِبًا وَاللهُ شَرَّفَ فوقَهُمْ بُنْيَانِي (٢)
فَاقْبِضْ يَدَيْكَ فإنَّنِي فِي مُشْرِفٍ صَعْبِ الذُّرَا مُتَمَنِّعِ الأرْكَانِ (٣)
ولَقَدْ سبقْتُ فَمَا وَرَائِي لَاحِقٌ بَدْءًا وَخُلِّيَ فى الجِرَاءِ عِنَانِي (٤)
نَزَعَ الأُخَيْطِلُ حِينَ جَدَّ جِرَاؤُنَا حَطِمَ الشَّوَى مُتَكَسِّرَ الأسْنَانِ (٥)
قُلْ لِلْمُعَرِّضِ والمُشَوِّرِ نفْسَهُ مَنْ شَاءَ قَاسَ عِنَانَهُ بِعِنَانِي (٦)

(١٢) قال القطامى يمدح زفر القيسى وكان قد أسره فى معركة ثم عفا عنه (٧)

ما اعتادَ حبُّ سُلَيْمَى حِينَ مُعْتَادِ وَمَا تَقَضَّى بَوَاقِي دَيْنِهَا الطَّادِي (٨)
إلَّا كَمَا كُنتَ تَلْقَى مِنْ صَوَاحِبِهَا وَلَا كَيَومِكَ مِن غَرَّاءَ وَرَّادِ (٩)

---

(١) الخطار: جمع خطر: السبق يتراهن عليه. الضبر: الوثب. المئين أراد المئين من الغلاء جمع غلوة: ومية السهم. والمعنى أنى ما زلت غالبا مذ قامت المهاجاة والمفاخرة بيننا.

(٢) أى أعلى منزلتنا وشرفنا عليهم. (٣) المشرف العالى: يريد نسبه. صعب الذرا لا يرام لصعوبته والذرا جمع ذروة أعلى الشيء. متمنع الأركان: صعب الجوانب لا يرتقى.

(٤) بدء: أول الأمر: أى منذ بدأ التسابق. العنان: سير اللجام، وترك العنان يكون للفرس غير الصعب معتاد السباق، وإنما يصف الشاعر نفسه باعتياده المفاخرة والفوز فيها.

(٥) نزع: كف لما علم أنه مسبوق بالشرف. حطم: متكسر. الشوى: القوائم. يشبه الأخطل فى تخلفه بالكلب الذى تكسرت قوائمه وأسنانه فى العراك ففر هاربا.

(٦) المشور: المجمل أو المروض المختبر. يريد من شاء مفاخرتى بالمجد تقدم ليرى مكانتى.

(٧) عمير بن شييم القطامى من تغلب نشأ كالأخطل واتصلت حياته بحروب قومه مع بنى تغلب يصف حروبها وينتصر لقومه وأكثر مدحه فى زفر القيسى وأسماء الزارى. والقطامى ذو شعر مستوى الأسلوب والقوة رائع جيد يتناول الفخر والحماسة والنسيب والوصف والمديح ويدل على خلق نبيل وشخصية ممتازة.

(٨) معتاد: اعتياد. تقضى: تأدى. الطادى: الثابت. أى لم يأت حبها فى معاده ولم تؤد ما عليها من ديون الوصل والرضا. (٩) الغراء: الحسناء. وراد: أبوها أو قيمها. أى أن شأنها شأن صواحبها فى المطل. ولكن يومها فى التجنى والدل لا يشبهه يوم.

بَيْضاءُ مخطُوطَة المَتنَيْن بَهْكَنَةٌ رِيًّا الروادِفِ لم تُمغِــل بأولادِ (١)
ما لِلكواعِبِ ! وَدّعن الحياةَ كَما ودَّعنَنِي واتخذْنَ الشيْبَ ميعادِي (٢)
أبصارُهُنَّ الى الشبان مائلةٌ وقــد أُراهنّ عنى غيرَ صُــدّاد (٣)
إذ باطِلى لم تقشَّعْ جاهليتُــهُ عنِّى ، ولم يَترُك الخُلَّان تَقوادِي (٤)
كَنِيَّةِ الحيِّ من ذى الغَضبة احتَملُوا مستحقبين أسيرًا مَالَهُ فَادِي (٥)
بَانُوا ، وكانتْ حَيَاتِى فى اجتِماعِهِمُ وفى تفرقهم قتـلى وإقصـادى (٦)
أَرمى قصيدَهمُ طَرفى ، وقد سلكوا بطنَ الجُبَيْمرِ فالروحاء فالوادِى (٧)
مُحَدِّدينَ لبَرقٍ صاب فِى خِيَمٍ وبالقُـرَيَّة رادُوهُ بِـرُوّادِ (٨)

(١) مخطوطة : لطيفة . المتنان : مثنى متن وهما مكتنفا الصلب . بهكنة : شابة غضة ممتلئة الجسم . ريا : نامية . الروادف جمع ردف وهو العجز . تمغل : تلد كل سنة .

(٢) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الفتاة الناهدة . ميعادى ، وقت قطيعتى . يدعو عليهن بالموت لما هجرنه لحلول شيبه . اتخذن معطوف على ودعننى .

(٣) صداد : جمع صادة : المعرضة .

(٤) الباطل : الضلال : تقشع : تذهب . جاهليته : سفاهته . الخلان جمع خليل وهو الصديق تقوادى : قيادتى الى اللهو .

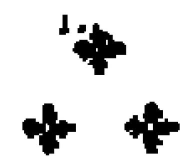
(٥) كنية الحى متعلق بودعننى : أى كما ودعنى حى كنت به كلفا ، النية : البعد والقصد . استحقب : ادخر . الأسير هو أو فؤاده . ذو الغضبة مكان .

(٦) بانوا : رحلوا . اقصادى : اهلاكى

(٧) القصيد : الناحية . الطرف : النظر . الجبيمر : أرض لفزارة . الروحاء : موضع بين الحرمين على ثلاثين أو أربعين ميلا من المدينــة . الوادى : منعرج ما بين جبال أو تلال أو آكام وهو اسم لعدة أماكن كوادى القرى وغيره .

(٨) محددين : ناظرين بحدّة . صاب : انصب مطره . خيم : جمع خيمة . القرية بضم القاف وفتح الراء وتشــديد الياء : موضع لطى . رادوه طلبوه . الرواد : جمع رائد وهو الرســول يبعثه القوم لينظر لهم مكانا ينزلون فيه .

يَخْفَوْنَ طورًا وأطوارا اذا طلَعُوا نجداً، بدالَىَ من أجمالِهم بادِى (١)
وفى الخُدورِ غماماتٌ برقْنَ لَنَا حتى تَصيدنَنَا من كُلِّ مُصطَاد (٢)
يقتُلننَا بحديثٍ لَيسَ يعلَمُه من يتَّقِينَ ولا مكتُومه بَادي (٣)
فهنّ ينبِذنَ من قولٍ يُصبنَ بِهِ مواقِعَ المَاءِ مِنْ ذِى الغُلّةِ الصادى (٤)



مَن مُبلغ زُفَرَ القيسيّ مِدْحَتَه مِنَ القطَامِي قولًا غيرَ إفْنَاد (٥)
أَنِّى وان كَانَ قومِى لَيسَ بينَهم وبينَ قومِك الا ضَربةُ الهَادِى (٦)
مُثنٍ عَلَيك بمَا استبقَيْتَ معرِفتى وقد تعرّضَ مِنِّى مَقْتَلٌ بادِى (٧)
فَلَنْ أُثيبَكَ بالنّعماءِ مَشتَمةً ولَنْ أبدِّلَ إحسانًا بإفسادِ
فإن هجوتُك ما تمّتْ مُكارمتى وان مدحتُ لقد أحسنتَ إصفادي (٨)

---

(١) طورا : مرة . النجد : المرتفع من الأرض . بدا : ظهر . أجمال : جمع جمل .

(٢) الخدور جمع خدر : الهودج أو مسكن الجارية . غمامات : جمع غمامة السحابة البيضاء ، والمراد المرأة الجميلة . برقن لنا : أطمعننا . مصطاد : مصيد اسم مفعول أو مكان .

(٣) يتقين : يخفنه . باد : ظاهر .

(٤) ينبذن : يرمين و يتكلمن . الغلة : حرارة العطش ، الصادى : العطشان — أى يقع كلامهن منا كوقع الماء من شديد العطش . وكلاهما أحسن ما يكون وقعا .

(٥) زفر القيسى رئيس قيس عدوة تغلب قبيلة الشاعر . وكان قد عفا عن القطامى وفك أسره لما هزم مع قومه فى احدى الوقائع فمدحه بهذه القصيدة . الإفناد : الكذب .

(٦) الهادى : النصل .

(٧) مثن عليك : مادحك . بما استبقيت أى بإبقائك علىّ لمعرفتك إياى . تعرّض : ظهر وانكشف . مقتل : موضع أقتل منه .

(٨) مكارمتى : مفاخرتى لك بالكرم . إصفادى : إعطائى .

قتلتَ بكرًا وكلبـا واشتليتَ بنـا … وقد أردْتَ بأن يَستجمعَ الوادى (١)
لولا كتائبُ من عَمْرٍو تَصُول بها … أرديتُ يا خيرَ مَن يندو له النادى (٢)
إذْ لا ترى العينُ الا كلَّ سَلْهَبَةٍ … وسابحٍ مثلِ سِـيدِ الرَّدْهَةِ العادى (٣)
إذ الفوارسُ من قَيسٍ بشِكَّتهـم … حـولى شُهودٌ وما قـومى بِشُهَّاد (٤)
إذ يَعـتَرِيكَ رِجالٌ يسألونَ دَمِى … ولو أطعتَهُـــمُ أبكيتَ عُـوَّادى (٥)
فقـد عَصَيتَهمُ والحـرب مُقبِـلةٌ … لا، بلْ قَدحْتَ زِنَادا غيرَ صَـلَّاد (٦)
والصِـيد آل نُفَيلٍ خيرُ قومِهِـم … عنـدَ الشـتاءِ اذا مَاضُنَّ بالزاد (٧)
المـانِعونَ غَـداةَ الروعِ جارَهمُ … بالمشرفيَّــةِ مِنْ ماضٍ ومُنآد (٨)

(١) بكر وكلب : قبيلتان من عدنان . اشتليت : تداركت وأنقـذت . يستجمع الوادى : يتم لك كل ما يسرك قبلنا .

(٢) الكتائب : جمع كتيبة : القطعة من الجيش . تصول : تسطو. أرديت : هلكت . ينـدو : يجتمع اليه للحديث والاستشارة . النادى : مجلس القوم .

(٣) سلهبة : فرس طويلة . السيد : الذئب . الردهة : الأكمة الخشنة . العادى : الهاجم. يشبه الفرس بالذئب المعتدى فى السرعة .

(٤) الشكة : السلاح . قيس : قبيلة الممدوح وتغلب قبيلة الشاعر . شهود وشهاد : حضور .

(٥) يعتريك : يغشاك . يسألون دمى : يطلبون قتلى . عوادى جمع عائد : الزائر .

(٦) قدح الزند : حاول إخراج النار منـه . الزناد : جمع زند وهو العود يقتدح به النار . صلاد لا يورى . والمعنى لقد أكرمت رجلا يحسن تقدير الجميل .

(٧) الصيد جمع أصيد : الملك أو الرافع رأسـه كبرا . آل نفيل : آل الممدوح . ضنّ بالزاد بخل به . فهم كرام وقت الشتاء حين يبخل الناس .

(٨) المـانعون : الحامون ، الروع : الفزع . الجار : المجاور أو المستجير . المشرفية : السيوف المنسوبة الى مشارف الشام ، وهى قرى عربيـة تدنو من ريفه . المـاضى : السيف المستقيم القاطع . المنآد : المعوج .

أيّامَ قَومِي، مكَانِي مُنصِبٌ لهــمُ ولا يظُنُّــونَ الا أنّنِي رَادِي (١)

فانْتَــاشَنِي لكَ من غَبراءَ مُظلمــةٍ حَبلٌ تضمّنَ إصــدارِي وإيرادِي (٢)

ولا كَرَدِّكَ عَـــنِّي بعــدَ ما كَرَبَت تُبــدِي الشَّنَاءَةَ أعدائي وحُسَّادِي (٣)

فإن قــدَرتُ على يوم جَزَيْتُ به واللهُ يَجعَـــلُ أقـــواماً بمرصَادِ (٤)

نفْسِي فــداءُ بَنِي أُمٍّ همُ خَلَطــوا يــومَ العَــروبَةِ أورادا بأوراد (٥)

بِيضًا صَــوارمَ كالشُّهبانِ نَعسِفُها فِي البِيضِ من مستقِيَاتٍ ومنآدِ (٦)

نُبيتُ قيسًا على الحَشَّاكِ قد نزلوا منّــا بحَيٍّ على الأضــياف حشّاد (٧)

فِي المجدِ والكَرَمِ العالِي ذَوِي أَمَلٍ وفي الحَيــاةِ وفي الأمــوَالِ زُهّاد

الضَّارِبِينَ عُمَــيرًا عن بيُــوتهم بِالتَّـــلِّ يومَ عمَــيرٌ ظالمٌ عادِي (٨)

(١) منصب : متعب يشق عليهم بلوغه . راد : هالك .

(٢) انتاشني : تداركني . الغبراء : الداهية . حبل : عهد وذمة . الإصدار : الإرجاع عن الماء . الإيراد : إحضاره المورد . والمعنى أن عهدك قام بحفظي وحراستي .

(٣) كربت : دنت . الشناءة : البغض والشماتة . أي ليس من الفعال ما يشــبه ردّك الشرعي وقد كاد يشمت بي الأعداء لقرب ضياعي .

(٤) قدرت على يوم : أي اذا قدرت عليــك يوما عفوت عنك وقالوا : لما سمع زفر هــذا قال : لا أقدرك الله . المرصاد : الطريق ومكان الرصد .

(٥) يوم العروبة : يوم لتغلب على قيس . أورادا جمع ورد : الجيش أو الجماعة أو السيف .

(٦) بيضا صوارم : سيوفا قاطعة . الشهبان جمع شهاب : الكوكب أو المنقض منــه . نعسف : فضرب على غير هدى .

(٧) الحشاك : نهر بأرض الجزيرة بين دجلة والفرات . حشاد جمع حاشــد : المستعد المتأهب . أي نزلت قيس علينا للحرب فوجدتنا مستعدّين للقائها وشبه الاحتشاد للحرب بالاجتماع لإكرام الضيف بتنزيل التضاد منزلة التناسب .

(٨) عمير بن الحباب القيسي ، قتــل يوم العروبة ، وهو يوم لتغلب على قيس . ضربه عن بيته : صدّه عنه .

ثابتْ له عُصَبٌ من مالكٍ رُجُحٌ ... عنـد اللّقاءِ مَساريعٌ إلى النـادى (١)

ليست تجرَّحُ فُرّارًا ظُهـــورُهُمُ ... وفى النُّحـورِ كُلـومٌ ذاتُ أبْلادِ (٢)

لا يُغمِدونَ لهمْ سـيفا وقد عَلِموا ... أنْ لم تكنْ لَهُمْ أيامُ إغمـادِ (٣)

لا يُبعِـد اللهُ قومًا مِن عَشيرتِنـا ... لم يخذُلونَا علَى الجُلّى ولا العَـادِى (٤)

مَحْمِيَـةً وحِفَاظًا إنَّهـا شِيَمٌ ... كانتْ لِقومِىَ عاداتٍ من العَـادِ (٥)

لم تَرَ قَــوْمًا هُمُ شَرٌّ لإخوتِهـــم ... مِنّا عَشـيةَ يَجـرى بالدمِ الوادى (٦)

حَالَ الحوادِثُ والأيامُ دُونَهُـــمُ ... ونحنُ مِنْ بَعْـدِهِمْ لسنا بخُـلادِ (٧)

---

(١) ثابت : اجتمعت . عصب جمع عصبة : الجماعة من الرجال أو الخيل . رجح : جرارة ثقيلة . مساريع : مسرعون . اللقاء : القتال . النادى : مجتمع القوم للحديث أو الكرم . يصف قومه بالشجاعة والمجـــد .

(٢) فرارا جمع فار : الهارب المنهزم . النحور جمع نحر : أعلى الصدر . كلوم جمع كلم : الجرح . أبلاد : آثار المفرد بلد . أى يثبتون فى القتال ، فتجرح صدورهم . ولا يفرون حتى يطعنوا فى ظهورهم .

(٣) أغمد السيف : وضعه فى الغمد ، سيوفهم مسلولة دائما لكثرة الحروب والاستعداد لها .

(٤) أبعده الله : نحاه عن الخير ولعنه . العشيرة : القبيلة أو بنو الأب الأقربون . الجلى : الأمر العظيم . العادى : الجائر المعتدى . والجملة الأولى دعائية .

(٥) محمية : حماية ومنعا . حفاظا : دفعا عن المحارم . شيم جمع شيمة : الخلق والعادة والطبيعة . العاد : جمع عادة .

(٦) شر لاخوتهم أى نقاتلهم ؛ ويريد قيسا . العشية : أوّل الظلام ، والمراد هنا وقت القتال .

(٧) فرقت بين الأخوة الحروب التى قتلتهم والدهر الذى أفناهم ، ونحن سنلحقهم ، ويريد بالاخوة بنى قيس وتغلب فكلاهما نزارى .

(١٣) قال ذو الرُّمّة يمدحُ بلالَ بن أبي بُرْدَة ابن أبي موسى الأشعرى والى البصرة : (١)

أَرَاحَ فَرِيقُ جِيرَتِكَ الجِمَالَا ... كَأَنَّهُمُ يُرِيدُونَ احْتِمَالَا (٢)
فَبِتُّ كَأَنَّنِي رَجُلٌ مَرِيضٌ ... أَظُنُّ الحيَّ قد عزَمُوا الزِّيالَا (٣)
وباتُوا يُبرِمُون نَوًى أَرَادَتْ ... بهم لِسوَاءِ طِيَّتِكَ انفتالا (٤)
وَذِكْرُ البَيْنِ يَصْدَعُ فى فُؤَادِي ... ويُعقِبُ فى مَفَاصِلِيَ امْذِلَالَا (٥)
فَأَرْغَوْا بالسَّوادِ فَذَرَّ قَرْنٌ ... وَقَدْ قَطَعُوا الزِّيَارَةَ والوِصَالَا (٦)
فَكِدْتُ أَمُوتُ من شَوْقٍ عَلَيْهِم ... وَلَمْ أَرَ نَاوِيَ الأَظْعَانِ بَالَى (٧)
فأشرفْتُ الغَزَالَةَ رأسَ حوْضَى ... أُرَاقِبُهُمْ ، ومَا أغْنَى قِبَالا (٨)
كأنى أَشْهَلُ العَيْنَيْنِ بَازٍ ... عَلَى عَلْيَاءَ شَبَّهَ فَاسْتَحَالَا (٩)

---

(١) هو غيلان بن عقبة صاحب مية وخرقاء . نشأ فى بيت أهله شعراء فكان أنبههم ذكرا وأبعدهم صيتا . وكان هواه مع الفرزدق على جرير لعصبية نسبية . وعلى شعره مسحة البادية وصدق العشق فى أسلوب جزل ولفظ غريب ، يتناول النسيب ووصف الإبل والبادية والمديح ، وكانت وفاته بالبادية سنة ١١٧ هـ .

(٢) الاحتمال : الرحيل . (٣) الزيال : الفرقة .

(٤) يبرمون : يدبرون ويحكمون . سواء : غير طيتك : نيتك ووجهك . انفتال : انصراف . أى عزموا على سفر لا أريده . (٥) يصدع : يشق . امذلالا : خدر وفتور .

(٦) أرغوا جمالهم : حركوها ليجعلوا عليها أكوارها استعدادا للسير فصوّتت . السواد : القرى أو العدد الكثير . ذر قرن : يعنى قرن الشمس ، وقرنها : أولها . وذر : بدا وظهر .

(٧) الأظعان : النساء فى الهوادج . بالى : اهتم بى .

(٨) الغزالة : ارتفاع الضحا . أشرفت : علوت . القبال : زمام النعل . أى علوت رأس حوضى وقت الضحا لأراقبهم ولكن لم يفد نظرى شيئا . (٩) البـاز : ضرب من الصقور . أشهل العينين : فى سوادهما زرقة . علياء : مكان مرتفع مشرف . شبه : خيل اليه أنه رأى شيئا . استحال : نظر .

رَأَيْتهمُ ، وقَدْ جعلُوا فِتَـاخًا وأَجرَعَــه المقَـابِلةَ الشِّمَالَا (١)
وقـد جعلوا السبِيَّةَ عن يَمين مقاد المُهرِ، واعتَسَفُوا الرِمالا (٢)
كأن الآلَ يرفَعُ بين حُزْوى ورَابيــةِ الخُوَىّ بِهِمْ سَيَالا (٣)
وفى الأظْعَان مثْلُ مَهَا رُمَاحٍ عَلَتْهُ الشَّمسُ فادَّرَع الظِّلَالَا (٤)
تَجَوّف كلَّ أرطاةٍ رَبُوضٍ مِنَ الدَّهْنَا تَفَرَّعَت الحِبَالا (٥)
أُولَاكَ كأنَّهنَّ أُولَاكَ إلَّا شَوَى لِصَواحِبِ الأرْطَى ضِئَالَا (٦)
وَأَنَّ صَوَاحِبَ الأَظْعانِ جُمٌّ وأَنَّ لَهُنَّ أَعْجَازًا ثِقَالَا (٧)
وأعْنَاقَ الظِّبَاء رَأَيْنَ شَخْصًا تَصَبْنَ له السَّوَالِفَ أَوْ خَيَالَا (٨)

---

(١) فتاخ : أرض بالدهناء ذات رمال . الأجرع : رملة مستوية لا نبت فيها . أى كان هـذان الموضعان عن يسارهم .

(٢) السبية : رملة بالدهناء . اعتسفوا الرمال : عدلوا عنها فى سيرهم .

(٣) الآل : السراب . حزوى : جبـل بالدهناء . الخوى : بطن واد . السيال : نبات له شوك أبيض طويل يشبه الشاعر به الأظعان . يقول إن الآل يرفع هذه الظعائن كأنه يرفع سيالا .

(٤) المهاة : البقرة الوحشية . رماح : موضع بالدهناء . ادّرع الظلال : استتربها . يشبه النساء الظاعنات بالمها فى جمال العيون .

(٥) تجوف : تدخل وتستتر . الأرطاة : شجرة ثمرها كالعناب . ربوض : عظيمة . تفرعت : علت . الحبال جمع حبل : الرمل المستطيل .

(٦) أولاك : الأولى للنسوة ، والثانيـة للبقر . الشوى : اليدان والرجلان . ضئال : دقاق . أى انهما متشابهان الا أن أطراف النسوة بدان سمينة .

(٧) جم جمع جماء : المرأة الملساء . الأظعان هنا : الهوادج المفرد ظعينة .

(٨) السوالف جمع سالفة : صفحة العنق عند معلق القرط . يقول رأين شخصا أو خيالا فنصبن له السوالف . وأعناق معطوفة على (أعجازا) قبله . يشبه أعناقهن بأعناق الظباء طولا .

رَخِيمَاتُ الكَلَامِ مُبَطَّنَاتٌ جَوَاعِلُ فِي البُرَى قَصَبًا خِدَالَا (١)
جَمَعْنَ نَخَامَةً وخُلُوصَ عِتْقٍ وحُسْنًا بَعْدَ ذَلِكَ واعْتِدَالَا (٢)
كَأَنَّ جُلُودَهُنَّ مُمَوَّهَاتٌ عَلَى أَبْشَارِهَا ذَهَبًا زُلَالَا (٣)
ومَيَّةُ فِي الظَّعَائِنِ وهْيَ شَكَّتْ سَوَادَ القَلْبِ فَاقْتَتَلَ اقْتِتَالَا (٤)
عَشِيَّةَ طَالَعَتْ لِتَكُونَ دَاءً جَوًى بَيْنَ الجَوَانِحِ أَوْ سُلَالَا (٥)
تُرِيكَ بَيَاضَ لَبَّتِهَا ووَجْهًا كَقَرْنِ الشَّمْسِ أَفْتَقَ ثُمَّ زَالَا (٦)
أَصَابَ خَصَاصَةً فَبَدَا كَلِيلًا كَلَا وانْغَلَّ سَائِرُهُ انْغِلَالَا (٧)
وأَشْنَبَ وَاضِحًا حَسَنَ الثَّنَايَا تَرَى مِنْ بَيْنِ ثِنْيَتِهِ خِلَالَا (٨)
كَأَنَّ رُضَابَهُ مِنْ مَاءِ كَرْمٍ تَرَقْرَقَ فِي الزُّجَاجِ وقَدْ أَحَالَا (٩)

---

(١) رخيمات : رقيقات . مبطنات : ضوامر البطون . البرى جمع برة وهى هنا الخلخال والسوار . القصب : الأذرع والسيقان . خدال : ضخمة مستديرة ، يشبه سيقانهن بالقصب الضخم المستدير .

(٢) الفخامة : عظم القدر والضخامة . العتق : الأصل والشرف .

(٣) أبشار جمع بشر : ظاهر الجلد . زلالا : صافيا أى كأن جلودهن مطليات ذهبا .

(٤) مية : صاحبة الشاعر . شكت : طعنت . سواد القلب : حبته . اقتتل : لوى وأسر .

(٥) طالعت : نظرت . الجوى : حرقة العشق . الجوانح : الأضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر واحدتها جانحة . السلال : داء فى الرئة ، هو السل أو الهزال .

(٦) اللبة : موضع القلادة . قرن الشمس : أول ما يبدو منها . أفتق : بدا من بين السحاب . زال : اختفى .

(٧) الخصاصة : فتق السحاب . كليلا : ضعيفا . كلا كقولك لا فى القلة . انغل : دخل السحاب . السائر : الباقى .

(٨) الأشنب : الفم البارد العذب . الواضح : الأبيض . الثنية : احدى مقدم الأسنان ، خلالا : فروجا أى أنها مفلجة الأسنان . وأشنب معطوف على كلمة (بياض) السابقة .

(٩) الرضاب : الريق . ماء كرم : خمر . ترقرق : تحرك . أحال : أتى عليه حول فصار عتيقا .

يُشَجُّ بِمَاءِ سَارِيَةٍ سُقَتْهُ ... عَلَى صَمَّانَةٍ رَصَفًا فَسَالَا (١)
وأسْحَمَ كالأَسَاوِدِ مُسْبَكِرًّا ... على المَتْنَيْنِ مُنْسَدِلًا جُفَالَا (٢)
وَمَيَّةُ أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا ... وَسَالِفَةً وأَحْسَنُه قَذَالَا (٣)
ولَم أَرَ مثلَها نَظَرًا وعَيْنًا ... ولا أُمَّ الغَزَالِ ولا الغَزَالَا (٤)
هِيَ السُّقْمُ الذى لا بُرْءَ مِنْهُ ... وبرءُ السُّقْمِ لو رَضَخَت نَوَالَا (٥)
كَذاكَ الغَانِيَاتُ فَرَغْنَ مِنَّا ... على الغَفلات رَمْيًا واحتِيالَا (٦)
فَعَدِّ عَنِ الصِّبَا، وعليك هَمًّا ... تَوَقَّشَ فى فُؤادِكَ، واختيالَا (٧)
فَبِتُّ أَرُوضُ صَعْبَ الهَمِّ حَتَّى ... أَجَلْتُ جَمِيعَ مِرَّتِهِ مَجَالَا (٨)

(١) يشج : يمزج . السارية : السحابة — تأتى ليلا . صمانة : حجارة صلبة . ماء الرصف : المنحدر على الصخور يكون صافيا . يشبه ريق فمها فى اللذة والإسكار بالخمر المعتق الممزوج بالماء الصافى .

(٢) أسحم : أسود . يصف الشعر . الأساود جمع أسود : العظيم من الحيات وفيه سواد . مسبكر : مسترسل . المتنان : جانبا الظهر وناحيتاه مما يجاور الصلب . الجفال : الكثير .

(٣) الثقلان : الانس والجن . القذال : ما بين الأذنين من مؤخر الرأس .

(٤) نظرا : التفاتا .

(٥) رضخت : بذلت قليلا . ولو شرطية أو للتمنى .

(٦) الغانيات : الجميلات . فرغن منا : قتلننا . رميا واحتيالا : أى كالصائد الذى يحتال على الصيد ليدركه .

(٧) عدّ عن الصبا : انصرف عنه . عليك هما أى الزم هما . توقش : تحرك . الاختيال : الاضطراب وفساد العقل . انتقل من التشبيب إلى وصف همه الذى رحل به الى الممدوح .

(٨) أروض الهم : أعالجه لأصرفه عنى . أجلت الهم مجاله ، وجهت وجهه الى الممدوح . المرة العقل والإحكام .

الى ابنِ العامرىِّ الى بِلَالٍ قَطَعْتُ بِنَعْفِ مَعْقُلَةَ العِدَالَا (١)
قَرَوْتُ بِهَا الصَّرِيمةَ لَا شِخَاتَا غَداةَ رَحِيلِهِنَّ ولاَ حِيَالاَ (٢)

* * *

وَرُبَّ مَفَازةٍ قَذَفٍ جَمُوحٍ تَغُولُ مُنَحِّبَ القَرَبِ اغْتِيَالَا (٣)
قَطَعْتُ إِذَا تَجَوَّفَتِ العَوَاطِى ضُرُوبَ السِّدرِ عُبْرِيًّا وضَالَا (٤)
عَلَى خَوْصَاءَ تَذْرِفُ مَأْقِيَاهَا مِنَ العِيدِىِّ قَدْ لَقِيَتْ كَلَالَا (٥)
إِذَا بَرَكَتْ طَرَحْتُ لَهَا زِمَامًا وَلَمْ أَعْقِلْ بِرُكْبَتِهَا عِقَالَا (٦)
وَشِعْرٍ قَدْ أَرِقْتُ لَهُ غَرِيبٍ أُجَنِّبُهُ المُسَانَدَ وَالمُحَالَا (٧)
فَبِتُّ أُقِيمُهُ وأُقِدُّ مِنْهُ قَوَافِىَ لَا أُعِدُّ لَهَا مِثَالَا (٨)

(١) بلال بن أبي بردة : الممدوح . قطعت العدال : قطعت الشك فى قصدى اليه . والعدال : المعادلة بين شيئين أيهما يفعل . نعف معقلة : مكان . النعف : ما سفل من الجبل .

(٢) قروت : سقت . بها أى بالإبل . الصريمة هنا : العزيمة على الأمر . لاشخاتا : لادقاقا والشخت الرقيق . الحيال التى لم يحملن .

(٣) المفازة : الفلاة . قذف : بعيدة . جموح : تجمح براكبها فتذهب به على غير قصد . تغول : تهلك . المنحب : الناذر . يقال قضى نحبه أى نذره . القرب : سير الليل الى الماء لبلوغه من الغد . وخبر مفازة البيت التالى .

(٤) تجوفت السدر : دخلت فى جوفه من شدة الحر . العواطى : الظباء تعطو أى تتناول الورق لتأكله . والسدر : نوعان عبرى هو العظيم وضال وهو الصغير . والمعنى قطعت هذه المفازة فى وقت الهاجرة .

(٥) خوصاء : ناقة غائرة العينين . تذرف مأقياها أى من الإعياء والكلال . العيدى : قوم من مهرة معروفون بكرائم النوق ينسب ناقته اليهم .

(٦) العقال : حبل يشدّ به البعير فى وسط ذراعه يقول أتركها بلا قيد لكرمها .

(٧) أرقت : سهرت . المساند الشعر فيه سناد وهو اختلاف ما يراعى فى القافية من الحروف والحركات وهو عيب فى الشعر .

(٨) أقيمه : أصلحه . أقد : أنظم . لا أعد الخ أى ارتجلتها دون تقليد مثال .

غَرَائِبَ قَدْ عُرِفْنَ بِكُلِّ أُفْقٍ مِنَ الآفَاقِ تُفْتَعَـلُ افْتِعَالَا (١)
فَـلَمْ أَقْذِفْ لِمُؤمِنَـةٍ حَصَانٍ بِحَمْـدِ اللهِ مُوجِبَـةً عُضَالَا (٢)
وَلَمْ أَمْدَحْ لِأُرْضِيَـهُ بِشِعْرِى لَئِيمًا أَنْ يَكُونَ أَصَـابَ مَالَا (٣)
وَلَكِنَّ الكِرَامَ لَهُمْ ثَنَـائِى فَلَا أُخْزَى إِذَا مَاقِيـلَ : قَالَا (٤)
سَمِعْتُ النَـاسَ يَنْتَجِعُونَ غَيْثًا فَقُلْتُ لِصَيْدَحَ : انْتَجِعِى بِلَالَا (٥)

(١٤) وقال عُبيد الله بن قَيس الرُّقَيَّات (٦) يمدح عبد العزيز بن مروان :

لم يَصْحُ هذا الفؤادُ من طَرَبِهْ وميـلِهِ فى الهـوى وفى لَعِبِـهْ (٧)
أهلًا وسهلًا بمن أتاكَ من الرَّ قةِ يسرى اليـــك فى سُخُبِـــه (٨)

---

(١) الأفق : الناحية من نواحى الأرض والسماء . تفتعل : تختلق .

(٢) حصان : عفيفة . موجبة : توجب النار والحد العضال : الداهية .

(٣) أى لم أمدح لئيا لغناه . (٤) يريد بذلك اذا قال النـاس قال ذو الرمة كذا لا يقال أخزاه الله وهـذا بضم الألف فى أخزى واذا فتحت فالمعنى لا أستحى ولا أخجل .

(٥) ينتجعون يطلبون . الغيث المطر . صيدح : ناقة الشاعر . بلال هو الممـدوح . أى اذا طلب الناس الغيث لأنه سبب الخصب والحياة فإنى أطلب بلالا اذ هو عندى خير من الغيث بكرمه .

(٦) عبيد الله بن قيس الرقيات القرشى من شعراء الغزل والسياسة نشأ فى قريش حريصا على سيادتهم ناقما على بنى أمية اعتزازهم باليمن متنصرا لابن الزبير، حتى اذا قتل واستقر الحكم للأمويين اطمأن اليهم وكان أول أمره مطاردا من الخلفاء يتنقل مختفيا بين الكوفة والمدينـة حتى نال الأمان ولزم عبـد العزيز ابن مروان والى مصر إلى أن مات سنة ٧٥ هـ . وابن الرقيات سهل الشعر رقيق المعانى ولا سيما فى الغزل والرثاء وقد يرجع ذلك الى مزاجه الصافى والى الموضوعات التى يعالجها .

(٧) يصحو : يفيق . الطرب : الاهتزاز فرحا . يصف فؤاده بالعشق والهيام .

(٨) الرقة : بلدة على الفرات . وأخرى غربى بغداد وغيرهما . السخب : جمع سخاب قلادة من قرنفل وغيره . والخطاب فى البيت لنفسه او لفؤاده ملتفتا إليـه . ومن أتاه من الرقة هو طيف الحبيب .

بَاتَتْ بِحُلوانَ تَبْتَغِيكَ كما — أرسل أهلُ الوليدِ في طَلَبه (١)
فَدَلَّها الحُبُّ فاشتَفيتُ كما — تَشفِي دماءُ الملوكِ من كَلَبِه (٢)
سَقْيًا لِحُلوانَ ذي الكُروم وما — صُنِّفَ من تِينه ومن عِنَبِه
نخلٍ مواقيرُ بالفِناءِ من الـ — بَرْنِيّ غُلْبٌ يهتَزُّ في شَرَبِه (٣)
أسْوَدُ سُكّانه الحَمامُ فما — تَنْفَكُّ غِربانُه على رُطَبِه
لِتَهْنِه مصرُ والعراقُ وما — بالشأم من بَزِّهِ ومن ذَهَبِه (٤)
فيهِمْ بَهاءٌ اذا أتَيْتَهُمُ — ونائلٌ لا يَغِيضُ من حَلَبِه (٥)
أثْنِ على الطيِّبِ ابنِ ليلى اذا — أثْنَيْتَ في دينه وفي حَسَبِه (٦)
من يَصدقُ الوعدَ والقتالَ ويخـ — شى اللهَ في حِلْمِه وفي غَضَبِه (٧)
ومَن تُفيضُ الندى يداه ومَن — يَنْتَهِبُ الحمدَ عند مُنتَهَبِه (٨)
أُمُّكَ بيضاءُ من قُضاعةَ في الـ — بيتِ الذي يُستَظَلُّ في طُنُبِه (٩)

---

(١) حلوان مصر هي المرادة هنا . تبتغيك : تطلبك . الوليد : الصبي .

(٢) الكلب : داء عضة الكلب يشفى بدماء الملوك في زعمهم .

(٣) مواقير : جمع موقر . النخلة الثقيلة الحمل . البرنى : التمر . غلب جمع غلباء : الحديقة المتكاثفة . الشرب حوض صغير حول النخلة يسع ريها .

(٤) تهنه : تسره . البز : الثياب ؛ من الكتان والقطن .

(٥) بهاء : حسن وظرف . نائل : عطاء . يغيض : ينقص . حلب : لبن محلوب أو استخراج ما في الضرع . والمراد العطاء الدائم .

(٦) ابن ليلى : الممدوح . الحسب : الشرف .

(٧) يصدق القتال : يظهر بسالة فيه . (٨) ينتهب الحمد : يسبق اليه .

(٩) قبيلة عظيمة تنسب الى قحطان أحيانا والى عدنان أخرى . الطنب : حبل يشدّ به سرادق البيت والمراد يحتمى به .

وأنتَ فى الجوهرِ المهَذَّب من عَبـدِ منافٍ، يداك فى سَبَبه (١)
يَخْلُفُكَ البيضُ من بَنِيـكَ كما يُخلَف عودُ النُّضارِ فى شُـعَبِه (٢)
لَيسُوا من الخِروعِ الضَّعيفِ كما جَلّت صُقُورُ الصُّلَيبِ من حَدَبِه (٣)
نحنُ على بيعــةِ الرسولِ وَمَا أُعطِى مِن عُجمِـه ومن عَرَبِه (٤)
بِهـا نُصرنَا على العـدُو ونَرْ عَى الغَيبَ فى نأيِه وفى قُربِه (٥)
نأتِى اذا ما دَعوتَ فى الحَلَقِ الـ ـمَاذِى أبـدانه وفى جُبَبِـه (٦)
نُهدى رِعالًا أمامَ أرعَنَ لا يُعرف وجهُ البَلْقاءِ فى لَجَبِـه (٧)
فيهـم كُرَيبٌ يقـود حـيرًلا يَعدِل أهلُ القضاء عن خُطَبِه (٨)
وعارضٌ كالجبال من مُضرِ الـ ـحمراء يَشفِى ذَا العُرِّ من جَرَبِه (٩)
وابنـا نِزارٍ اذا هُمـا اجتمعا لم يَتركـا هاربًا على هَرَبِه (١٠)

(١) الجوهر : الطبيعة والجبلة . عبد مناف أصل بنى أمية . السبب : الحبل .

(٢) النضار : الأثل أو الطويل المستقيم الغصون . الشعب : الغصون .

(٣) الخروع : نبت معروف يعظم قرب المياه . الصليب : جبل . حدبه : أعلاه . جلت : نظرت . أى ليسوا مستضعفين فيستذلهم قوى . بل هم كالجبل تنفر من قمته الطيور .

(٤) ما أعطى : أى على العهد الذى عاهده جميع الناس عليه .

(٥) نرعى الغيب : نحفظ العهد .

(٦) الحلق : جمع حلقة وهى الدرع . الماذى : الدرع اللينة أو السلاح كله . الجبب جمع جبة : وهى من السنان ما دخل فيه الرمح .

(٧) رعال جمع رعلة : القطعة من الخيل أو البقر . الأرعن : الجيش الكثيف . البلقاء : بلد بالشام . والمراد أننا نجيب دعوتك لنا بجيش ضخم يساعدك .

(٨) كريب : يطلق على جماعة من الأشراف والعلماء والمقصود واحد بعينه .

(٩) العارض : الجيش . مضر الحمراء : هو مضر بن نزار أبو قبيلة عدنانية تعرف به . العر : الجرب والمراد الزيغ .

(١٠) ابنا نزار ربيعة ومضر .

وقال عبيد الله بن قيس الرقيات يمدح مُصعبَ بن الزبير ويفتخر بقريش :

أَقفرت بعدَ عبـدِ شمسٍ كَداءُ ... فَكُدَىٌّ فالركـنُ فالبَطحاءُ (١)

فمِنًى، فالجمـارُ مِن عبدِ شمسٍ ... مقفـراتٌ فبَـلْدَحٌ فحِـراءُ (٢)

فالخيامُ التى بعُسفانَ فالجُحْـ ... ـفَةُ مِنهـمْ ، فالقـاعُ فالأبواءُ (٣)

مُوحِشاتٌ الى تعـاهِنَ فالسقـ ... ـيا قِفارٌ من عبد شمس خَلاءُ (٤)

قـد أراهم وفى المواسِمِ إذ يَغـ ... ـدُونَ حِلمٌ ونائل وبَهـاءُ (٥)

وحِسانٌ مثـل الدُّمى عَبشَمِيَّا ... تٌ عليهنَّ بهـجةٌ وحَيـاءُ (٦)

لا يَبِعنَ العِيابَ فى موسم النـا ... سِ إذا طاف بالعياب النساءُ (٧)

ظاهراتُ الجمالِ والسَّروِ، ينظُر ... نَ كما ينظُرُ الأَرَاكَ الظِباءُ (٨)

حبَّذا العيشُ حينَ قومى جميع ... لم تُفـرّق أمورَها الأهـواءُ (٩)

(١) عبد شمس بن عبد مناف : جد الأمويين . كداء : جبل بأعلى مكة ، وكدى جبل بأسفلها . الركن : جانب الكعبة . البطحاء : مسيل واسع فيه حصى دقيق يقال قريش البطحاء نسبة الى بطحاء مكة .

(٢) الجمار : موضع بمنى . بلدح : واد قبل مكة أو جبل بطريق جدة . حراء : جبل بمكة فيه غار .

(٣) عسفان : موضع على مرحلتين من مكة . الجحفة : قرية على ٨٢ ميلا من مكة جهة الشام . القاع : موضع عند المدينة . الأبواء : مكان عند ودان .

(٤) تعاهن : موضع بالحجاز . السقيا : بالمدينة .

(٥) نائل : كرم . بهاء : حسن وظرف .

(٦) الدمى جمع دمية : الصورة من العاج . عبشميات : منسوبات الى عبد شمس أبى أمية .

(٧) العياب : جمع عيبة ما تجعل فيه الثياب . والمراد أن النساء كريمات مخدرات .

(٨) السرو : المروءة فى شرف . فالنساء ينظرن كالظباء حين تتطاول الى الشجر لتتناول ورقه ، وهذه النظرة بديعة تشعر بدلال وعزة .

(٩) وجميع مؤتلفون . الأهواء جمع هوى : الميل عن الصواب . يأسف على تفرق قريش شيعا تتحارب على الملك .

قبل أن تطمع القبائل فى ملـ ـك قُرِيشٍ وتَشمَتَ الأعداء
أيهـا المشتهِى فَنـاءَ قُـريشٍ بِيَـــد الله عُمـرُها والفَنـاءُ
إن تُوَدِّ ع من البِـلادِ قُريشٌ لا يَكُنْ بعـدَهمْ لِحَىٍّ بقَاء (١)
لو تقفّى وتَتْركُ النـاسَ كانوا غنمَ الذئبِ غَابَ عنهـا الرِّعاء (٢)
هـل تَرى مِن مُخَلَّدٍ غيرَ أن الـ ـلهَ يَبقَى وتذهبُ الأشـــياء
يأمُلُ الناسُ فى غدٍ رُغَبَ الدهـ ـر، ألا فى غَدٍ يكون القضاء (٣)
لم نَزَلْ آمنينَ يحسُدنا النـا سُ ويجرى لنـا بذاك الثَّراءُ (٤)
فَرضِينا بـ قُمْتَ بِذَاتك غَمَّـا لا تُميتَنّ غـــيرَكَ الأدواءُ
لَو بَكتْ هــذه السماءُ على قو مٍ كِرامٍ بكت علينـا السماء

* * *

إنمـا مُصعبٌ شهاب من الله به تجلَّتْ عن وجهِهِ الظَّلْمـاء (٥)
مُلكه مُلكُ قُوة ليس فيـــه جَــبَروتٌ ولَا بِهِ كِبرِياء
يتَّقِى اللهَ فى الأمور وقــد أفـ ـلَح من كان هَمَّه الاتِّقاء

* * *

عينُ فابكى على قريش وهل يُر جعُ ما فات إن بكيتِ البكاءُ

---

(١) تودع : تهلك . البلاء : الغم والوهن .

(٢) تقفى : تذهب . الرعاء : جمع راع . يقول لو ذهبت قريش كان الناس كالغنم تكون طعمة الذئاب اذا تركها الرعاة .

(٣) رغب الدهر : رغائبه .

(٤) الثراء : الخير .

(٥) الشهاب : الكوكب . تجلت : انكشفت .

مَعْشَرٌ حَتْفُهم سيوفُ بَنِي العَـ ـلَّاتِ يخشَون أن يضيعَ اللِّواء (١)
تركَ الرأسَ كالثَّغامة مِنِّى نَكَباتٌ تَسرِى بها الأَنْباء (٢)
مِثلُ وقع القَدُوم حلَّ بِنَا فالنـ ـاسُ مما أصابنا أَخْلاءُ (٣)
ليس لِلّهِ حُرمةٌ مثلُ بيتٍ نحن حُجّابُه عليه المُلاء (٤)
خَصَّهُ اللهُ بالكرامة فالبا دُون والعاكفونَ فيه سواءُ (٥)
حَرَقتْهُ رجالُ لَخْمٍ وعَكٌّ وجُذامٌ وحِمْيرٌ وصُداءُ (٦)
فبنيناه بعد ما حرّقوه فاستوى السَّمك واستقلَّ البناء (٧)
كيف نومي على الفراش ولمّا يَشْمل الشامَ غارةٌ شَعْواءُ (٨)
تُذهِلُ الشيخَ عن بَنيه وتُبدِى عن بُراها العقيلةُ العَذْراء (٩)

(١) الحتف : الموت . بنو العلات : الأقارب . والأصل فيهم بنو أمهات شتى من أب واحد . يقول : إن قريشا منقسمة على أنفسها فى سبيل الملك ، فمن هلك منها فبيد بنيها .

(٢) الثغامة : شجرة بيضاء الزهر ، أى أشيب . تسرى : تسير ليلا .

(٣) أخلاء جمع خلو : أى خال أى ليس عليهم وزر فيما نحن فيه من شقاق .

(٤) الحرمة : المهابة . والذمة وما لا يحل انتهاكه . الملاء جمع ملاءة : الريطة والثوب يلبس على الأنفاذ .

(٥) العاكف : المقيم فى المسجد . البادى : من هو خارجه ، والمراد من فى مكة وخارجها .

(٦) لخم وجذام وصداء وحمير من اليمن وعك من نزار .

(٧) السمك : السقف والقامة من كل شىء طويل ممتد . استقل : ارتفع .

(٨) غارة شعواء : حملة متفرقة ، يقصد حرب الأمويين وكانت دمشق الشام حاضرتهم .

(٩) تذهل : تنسى . البرى : حلقات السوار والقرط والخلخال ، المفرد برة . العقيلة : الكريمة المخدرة من النساء . العذراء : البكر . ولا تسفر البكر إلا وقت الهول والفزع .

أَنَا عنـكمْ بَنِي أُمَيّـــةَ مُزْوَرٌ ، وَأَنتمْ فى نفسِيَ الأعـــداء (١)
إنّ قَتْلَى بالطَّفِ قــد أوجَعَتْنِي كانَ منكمْ لئن قُتِلْتُمْ شِفاء (٢)

(١٥) قال قَطَرِىٌّ بن الفجاءة فى يوم "دُولَاب" بين الخوارج وأهل البصرة : (٣)

لعمـــرُكَ إنّى فى الحياةِ لَزاهِـــدٌ وفى العيش ، مالم أَلْقَ أمَّ حَكيم (٤)
منَ الخَفِراتِ البِيضِ لم يُرَ مِثْلُهـا شِـــفاءً لِذى بَثٍّ ولا لِســـقيمِ (٥)
لعمـــرُكَ إنى يَـــومَ أَلطِمُ وجهَها على نَائبـاتِ الدهــــرِ جِدُّ لَئـــيمِ (٦)
ولو شَهِدَتْنِي يومَ دُولابَ أَبْصَرت طِعانَ فَتًى فى الحـــربِ غيرَ ذَمـــيمِ (٧)

(١) مزور : مائل وكاره .

(٢) الطف : موضع قرب مكة دار فيه القتال بين بنى أمية والزبيريين . وترى فى الأبيات حدبه على قريش عامة وكرهه بنى أمية وذلك قبل استقرار الحكومة فيهم .

(٣) يعد قطرى بن الفجاءة المازنى المالكى من زعماء الخوارج الأشداء وقادتهم الأكفاء نشأ متأدبا بآداب الإسلام مخلصا لتعاليمه ورعا تقيا خرج أيام عبد الله بن الزبير يقاتل جند السلطان ، وينكل بجيوش الدولة ، ويسلم عليه اتباعه بالخلافة عشرين سنة حتى قتل بطبرستان سنة ٧٩ هـ . وكان قطرى خطيبا شأن الزعماء. وكان شاعرا تحس فى شعره نغمة الإخلاص والفناء فى العقيدة مع حماسة ورقة نفس وإباء فى أسلوب قوىٍّ جميل .

(٤) لعمرك : وحياتك قسمى . أم حكيم : زوجه .

(٥) الخفرات جمع خفرة : المرأة الحيية . البث : أشد الحزن .

(٦) جد لئيم : شديد اللؤم ، لئيم جدا . نائبات جمع نائبة : المصيبة .

(٧) دولاب : بلدة بالأهواز التى عندها الخوارج بزعامة نافع الأزرق مع البصريين وقتل نافع هـذا اليوم . طعان : طعن .

غَداةَ طَفَت عَلْمَاءِ بَكْرُبن وائلٍ وَعُجنا صُدورَ الخيلِ نحوَ تميمِ (١)
وكان لعبدِ القيسِ أولُ جَدِّها وأحلافِها من يَحْصُبٍ وسَلِيمِ (٢)
وظلّت شيوخُ الأزد فى حَوْمَةِ الوغى تَعومُ وظِلنا فى الجِلادِ نَعُومُ (٣)
فَلم أرَ يوماً كانَ أكثرَ مَقْعَصاً يَمُجُ دماً من فائظٍ وكَليمِ (٤)
وضاربةٍ خداً كريماً على فتىً أغرَّ نجيبِ الأمّهاتِ كَريمِ (٥)
أُصيبَ بدُولابٍ ولم تَكُ مَوطِناً لـه أرضُ دولاب ودَيرُ حَميمِ (٦)
فلو شهِدَتْنا يومَ ذاك وخيلُنا تُبيحُ من الكُفّارِ كلَّ حَريمِ (٧)
رَأت فِتيةً باعوا الإلهَ نفوسَهم بجنّاتِ عَدْنٍ عندَه ونَعيمِ (٨)

(١) طفت : قتلت والقيت فى الماء فظهرت عليه . علماء أصله على الماء تحذف إحدى اللامين تخفيفاً . عجنا صدور الخيل . عطفناها باللجم . بكر بن وائل وتميم من إعدائهم .

(٢) جدها : جهاد الخيل . الأحلاف : جمع حلف : الصديق يحلف على عدم الغدر يحصب وسليم : حيان من حلفاء عبد القيس .

(٣) حومة الوغى : معظمها . الجلاد : المقاتلة . وفى البيت إقواء بتغيير حركة الروى من الكسرة الى الضمة وهو عيب فى القافية .

(٤) مقعصا : قتلا . فائظ : ميت . كليم : جريح . لم أر يوما كان أكثر من هذا اليوم قتلا وطعنا يسيلان الدماء .

(٥) وضاربة : رب امرأة لاطمة . أغر : سيد شريف . نجيب الأمهات : أى من نساء يلدن أنبه الأبناء . يقصد نافع بن الأرزق .

(٦) دير حميم : موضع بالأهواز . ودولاب : قرية هناك .

(٧) يقصد بالكفار هنا أعداء الخوارج من المسلمين . الحريم للرجل ما يدفع عنه و به سميت النساء .

(٨) باعوا الإله نفوسهم : أرخصوا نفوسهم فى الجهاد طمعا فى الجنات والنعيم فى الآخرة .

(١٦) وقال عِمران بن حِطّان[١] يخاطب رَوح بن زِنباع لمـا دعاه لمقاتلة عبد الملك بن مروان، فارتحل وقد ترك له هذه الأبيات :

يا رَوحُ كم مِن أخى مَثوًى نزلتُ به ... قد ظَن ظَنَّك من لَخمٍ وغَسَّانِ[٢]
حتى إذا خِفتُـه فارقتُ منزلَه ... من بعدِ ما قِيلَ : عِمرانُ بن حِطَّان ![٣]
قد كنتُ جارَك حولًا ما تُروِّعُـنِى ... فيـه روائعُ من إنسٍ ومِن جانِ[٤]
حتى أردتَ بِىَ العُظمى فأدركنِى ... ما أدركَ الناسَ من خَوفِ ابنِ مَرْوان[٥]
فاعذِر أخاكَ (ابنَ زِنبـاع) فإنّ له ... فى النَّائبـات خُطــوبا ذاتَ ألوانِ[٦]
يومًا يَمـانٍ إذا لاقيتُ ذا يَمَنٍ ... وإن لَقيتُ مَعَــدِّيًّا فَعَـدْنانى[٧]
لو كنتُ مستغفِرًا يوما لطَاغِيـةٍ ... كنتَ المقَدّمَ فى سِرّى وإعلانى[٨]
لكنْ أبتْ لِىَ آياتٌ مُطَهَّــرةٌ ... عنـدَ الوِلاية فى طـهَ وعِمرانِ[٩]

---

(١) نشأ عمران بن حطان السدوسى بالبصرة حيث تعلم وتأدب، وأصبح شاعرا مجيـدا صادقا فى شعره دينا وورعا . ثم اعتنق مذهب الشراة من الخوارج فطارده الحكام . وأخذ يتنقل بين العراق والشام وعمان متخفيا حتى مات بالكوفة سنة ٨٩ هـ . ولشعره منزلة سامية لصدق الشعور وحسن الأداء وقوة العقيدة .

(٢) المثوى : منزل الضيافة . أخو : صاحب . ظن ظنك : رأى فى رأيك من أنى رجل هين . لخم وغسان من اليمن من كهلان .

(٣) أى من بعد ما عرفته حقيقتى تركته . (٤) تروعنى : تفزعنى .

(٥) العظمى : لقاء عبد الملك بن مروان الخليفة الأموى . وكان حربا على الخوارج .

(٦) الخطوب : جمع خطب الأمر العظيم .

(٧) يمـان : أى أنا يمـان أنتسب الى اليمن . وكان عمران أثناء هربه ينتسب لمن ينزل به بما يلائمه فهو عند ابن زنباع أزدى، وعند زفر بن الحارث أوزاعى . (٨) الطاغية : الجبار .

(٩) أبت : منعتنى الاستغفار لك . الولاية : السياسة . طه وعمران : سورتان فى القرآن وكان يعتقدون أن غيرهم على ضلال .

وقال يخاطب زُفَر بن الحارث الكلابي، وكان قد نزل به بعد روح بن زِنباع مُخفيا نسبه؛ فلما حاول زفر معرفته هرب وخلّف له رُقعة فيها :

إن التى أصبحتْ يَعيَا بها زُفَرُ ... أعيَتْ عَياءً على رَوحِ بنِ زِنباعِ (١)
ما زالَ يَسألُنى حَولًا لِأُخبرَه ... والناسُ من بَينِ مخدُوعٍ وخَدّاعِ (٢)
حتى إذا انقَطعَتْ عَنّى وسائلُه ... كَفَّ السؤالَ ولم يُولَع بإهلاعِ (٣)
فاكفُف كما كفَّ عنى إنّنى رَجُل : ... إمّا صَميمٌ، وإما فَقْعَةُ القاعِ (٤)
واكفُف لسانَك عَنْ لَومى ومسألتى ... ماذا تُريد إلى شيخ لأَوْزاعِ! (٥)
أما الصلاةُ فإنى غيرُ تارِكها ... كُلُّ امرئ للذى يُعنَى به ساعِ (٦)
أكرِم برَوح بن زِنباعٍ وأُسرتهِ ... قومٌ دعا أَوّليهم للعُلا داعِ (٧)
جَاوَرتُهم سَنةً فيما أُسَرُّ به ... عِرضى صحيحٌ ونَومى غيرُ تَهْجَاعِ (٨)
فاعمَل؛ فإنك مَنْعِيٌّ بِواحدةٍ ... حَسبُ اللبيبِ بهذا الشيبِ من ناعِ (٩)

---

(١) يعيا بها : يعجز عنها . أعيت عليه : أعجزته . والمراد معرفة ذاته .

(٢) مخدوع : مصدق ما أقول . خداع : ماكر محتال .

(٣) الوسائل جمع وسيلة : السبب . يولع بالشىء : يحبه ويتعلق به جدا . إهلاعى : إفزاعى .

(٤) صميم : خالص النسب الى قومه . الفقعة : الكمأة البيضاء لاعروق لها ولا أغصان . القاع : أرض سهلة . فقعة القاع : لا أصل له .

(٥) الأوزاع : الجماعات . وبطن من همدان .

(٦) يعنى به : يهتم به .

(٧) أوليهم جمع أول : أى آباءهم، فهم أمجاد .

(٨) فيما أسر به : من الأنس والكرم . تهجاع : نوم خفيف .

(٩) منعى : مخبر بوفاتك . حسب : يكفى . ناع : تمييز . هذا فاعل . الشيب بدل .

(١٧) قال الكُمَيت فى بَنِى هَاشم : (١)

طَرِبتُ وما شوقًا الى البيض أطرَبُ ... ولا لَعِبًا مِنّى وذو الشَّيب يَلعَبُ (٢)

ولم يُلهِنِى دارٌ ولا رَسمُ مَنزلٍ ... ولم يَتَطرَّبْنِى بنَانٌ مُخَضَّبُ (٣)

ولا أنا مِمَّن يَزجُرُ الطيرَ هَمُّه : ... أصاحَ غُرابٌ أم تَعَرّض ثَعلب (٤)

ولا السانِحاتُ البارِحاتُ عَشِيّةً ... أمَرَّ سَليمُ القَرنِ أم مرّ أَعْضَبُ (٥)

ولكن إلى أهل الفَضائل والنُّهى ... وخير بَنِى حَوّاءَ، والخيرُ يُطلَبُ (٦)

إلى النَّفَرِ البيض الذين بِحُبِّهم ... إلى اللهِ فيما نَالَنِى أتَقَرَّبُ (٧)

بَنِى هَاشِم رهطِ النبى ؛ فإنَّنى ... بِهِم وَلَهُم أرضَى مِرارًا وأغضَبُ (٨)

---

(١) كان الكميت بن زيد الأسدى شاعرا خطيبا نشأ فى الكوفة وتأدّب على علمائها وأخذ عن الأعراب وعالج الشعر حتى نبه شأنه واتصل بالولاة والهاشميين يمدحهم وينال جوائزهم . وقد لقى فى سبيل مذهبه الشيعى والعدنانى بلاء كثيرا وتوفى سنة ١٢٦ هـ . وتلمح فى شعر الكميت آثار الحفظ الكثير لأشعار سابقيه مع سبك حسن وإخلاص لرأيه حتى أثار الفتنة بين عدنان وقحطان وفتح للشيعة طريق مناظرة خصومهم بالشعر كما ترى ذلك فى هذه القصيدة التى نشرحها .

(٢) البيض : جمع بيضاء يريد النساء . اللعب : العبث .

(٣) رسم : أثر . يتطربنى : يحملنى على الطرب .

(٤) الزجر : الاستدلال بأصوات الحيوان وحركاته وأحواله على الحوادث المستقبلة .

(٥) السانحات جمع سانح : الطير يمر من اليسار الى اليمين وهذا فأل حسن عند العرب . البارحات : عكس السانحات . الأعضب : المكسور القرن . يقول : ليست تعنينى هـذه الأمور التى تشغل الناس والشعراء وانما همى أهل الفضائل الخ .

(٦) النهى جمع نهية : العقل .

(٧) البيض : المشهورون من الأشراف .

(٨) الرهط : القوم والقبيلة .

خَفضتُ لهـــم مِنّى جَناحَى مَودَّةٍ ... إلى كَنَفٍ عِطفاهُ أهـلٌ ومرحبُ(١)

وكنتُ لهـمْ مِن هؤلاءِ وهؤلا ... مِجَنًّا عـلى أنّى أُذَمُّ وأُقصَبُ(٢)

وأُرْمَى وأَرْمِى بِالعَـداوةِ أهلَهـا ... وإنى لأُوذَى فِيهـمُ وأُؤَنَّبُ

فما ساءنى قول آمرئٍ ذِى عَداوةٍ ... بِعَوراءَ فِيهمْ يَجتَـدِينى فأُجذَبُ(٣)

فقُـل للذى فى ظِل عمياءَ جَونةٍ: ... تَرَى الجَورَ عدلا أين (لا أين) تَذهَبُ!(٤)

بأىِّ كتاب أم بِأية سُـنّةٍ ... تَرَى حُبَّهـمْ عاراً علىّ وتحسب؟(٥)

* * *

يُشـيرون بالأيدى إلىّ وقولُهـم ... ألا خابَ هذا، والمشيرون أخيَبُ

فطائفـةٌ قد كفّرتْنى بِحُبِّكمْ ... وطَائفـةٌ قالوا: مُسِىءٌ ومُذنب

فما ساءَنِى تكفير هاتيكَ مِنهـم ... ولا عيبُ هاتِيـك التى هىَ أعيَبُ

يَعيبونَنى مِن خِبهم وضـلالِهم ... على حُبِّكمْ بل يَسخَرون وأَعجَبُ(٦)

وقالوا: تُرَابِىٌّ هَـواهُ ورأيه، ... بِذلِك أُدعى فِيهـمُ وأُلَقَّبُ(٧)

على ذَاك إجرِيّاىَ، فيكم ضَرِيبَتى ... ولو جَمعوا طُـرًّا علىّ وأجلَبُـوا(٨)

---

(١) الكنف: الجانب والظل. عطفاه: جانباه، أى أهل لى مرحبون بى.

(٢) المجن: الترس وما يتق به. أقصب: أشتم.

(٣) العوراء: الكلمة أو الفعلة القبيحة. يجتدينى: يطلب منى اتباعه.

(٤) عمياء: ضلالة. جونة: سوداء.

(٥) كتاب: قرآن. سنة: كلام الرسول، والمراد بأى حق.

(٦) الخب: الخبث.

(٧) ترابى نسبه الى على بن أبى طالب الملقب بأبى تراب.

(٨) إجرياى: خلق. ضريبتى: طبيعتى. أجلبوا: جمعوا الجموع أو توعدوا بالشر.

وأحمـلُ أحقادَ الأقارب فيكمُ ... ويُنْصَبُ لِى فى الأَبعدين فأنصَبُ(١)
بِخاتَمِكم غصبًا تجوزُ أمورُهم ... فلم أر غصبًا مثلَه يُتَغَصَّبُ(٢)
بِحَقكُمُ أمست قُريشٌ تقودنا ... وبالفَذِّ منها والرديفَين تَركَبُ(٣)
إذا اتَّضَعونا كارهينَ لبيعةٍ ... أناخُوا لأخرى والأَزِمَّةُ تُجذَبُ(٤)
رِدافًا علينا لم يُسيمُوا رَعيّةً ... وهَمُّهمُ أن يمترُوها فيَحلُبوا(٥)
لِيَنْتِجوها فِتنةً بعد فِتنةٍ ... فيَفْتَعِلُوا أفلاءَها ثم يَركبوا(٦)
أقارِبُنا الأدنونَ منكم لِعلّةٍ ... وساسَتُنا منهم ضِباعٌ وأذْؤُبُ(٧)
لنا قائدٌ منهم عَنيفٌ وسائقٌ ... يُقَحِّمُنا تلكَ الجرائمَ مُتعِبُ(٨)

---

(١) نصب له : عاداه وحاربه .

(٢) الخاتم : مايختم به الملك أو سواه . تجوز : تسير وتنفذ . يتغصب : يغتصب . يقول : إنهم يحكمون الناس بحكم الذى استلبوه .

(٣) الفذ : الفرد وأول سهام الميسر . الرديفان : مثنى رديف وهو كل ما تبع شيئا أو الراكب خلف الراكب . والمعنى أنها تحكم مطمئنة وإن كانت دخيلة فى الحكم بلا حق .

(٤) اتضعونا : حكمونا وأصله اتضع البعير خفض رأسه ليضع قدمه على عنقه فيركب. أناخوا لأخرى : دبروا لمسألة أخرى . الأزمة : جمع زمام . والمعنى والأمور تسير .

(٥) ردافا : متتابعين . يسيم الماشية : يخرجها إلى المرعى . يمترى الناقة : يمسح ضرعها لتدر . والمعنى أنهم (بنى أمية) يحكمون الناس لينموا بخيرات الملك دون أن يعنوا بصالح الرعية .

(٦) نتج الفرس : عنى بها حتى تضع . افلاء جمع فلو : الجحش أو المهر الصغير . افتعل : اختلق . والمعنى أنهم يدبرون الفتن ليحكموا .

(٧) أذؤب جمع ذئب .

(٨) يقحم الفرس راكبه : يرميه على وجهه . وقحمه فى الأمر : أدخله فيه من غير روية . الجرائم جمع جرثومة : وهى الأصل أو قرية النمل . متعب : صفة سائق (الخليفة) .

وقالوا : ورِثنَاها أبانا وأمّنا ، وَمَا ورّثتْهم ذاك أُمٌّ ولا أبُ ! (١)
يَرون لهمْ حَقًّا على النّاس واجبا سَفاهًا ، وحقُّ الهاشميّين أوجَبُ (٢)

(١٨) قال جَميل بْنُ مَعْمَر (٣)

ألا ليت أيامَ الصفاءِ جَديدُ ودَهْرًا تولى يا بُثينَ يعود
فنغنَى كما كُنّا نكونُ وأنتمُ صديقٌ وإذ ما تبذُلين زهيدُ (٤)
وما أنْسَ مِلأَشياءِ لا أنْسَ قَوْلَهَا وقد قرّبتْ نِضْوِى أمِصْرَ تُرِيدُ؟ (٥)
ولا قولَها : لولا العُيونُ التى تَرَى أتيتُك ، فاعذِرْنى . فَدَتْك جُدُودُ ! (٦)
خليلَيّ ما أُخْفِي من الوجْدِ ظاهِرٌ ودَمعى بما أُخفِى الغَداةَ شَهِيدُ (٧)
ألا قد أرَى واللهِ أنْ رُبَّ عَبرةٍ إذَا الدّارُ شَطّتْ بيْنَنَا ستَزِيدُ (٨)

---

(١) ورثناها : أى الخلافة . (٢) سفاها : جهلا وباطلا

(٣) يعد جميل بن عبد الله بن معمر العذرى مثال الغزل البدوى العفيف ، نشأ فى البادية وأحب ابنة عمه بثينة ، وعرف بها ، وقال فيها شعرا كثيرا يدل على شعور صادق وحب عفيف طاهر . وقد لقى فى سبيل حبه العنت والنفى حتى لجأ الى مصر أيام ولاية عبد العزيز بن مروان حيث مات سنة ٨٢ هـ وشعر جميل حسن الأسلوب يجمع بين السهولة والرصانة ويعده النقاد فى البادية نظير عمر بن أبى ربيعة فى الحاضرة وكلاهما حجازى خضعا لعوامل متقاربة .

(٤) نغنى : نقيم . نكون : نوجد . ما تبذلين : أى ما تنيلين من الوصل .

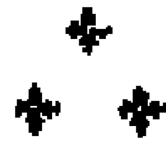
(٥) ملأشياء : من الأشياء . النضو : المهزول من الحيوان : يريد ناقته . يقول مهما أنس من شىء فلست أنسى قولها لى وقد قربت ناقتى أتريد مصر .

(٦) الجدود جمع جد بالفتح : وهو أبو الأب تدعو له بالسلامة وتفتديه بالأهل .

(٧) الوجد : الحب الشديد . الغداة : ما بين الفجر وطلوع الشمس .

(٨) العبرة : الدمعة أو الحزن من غير بكاء . شطت : بعدت . أى سيكثر بكائى إذا افترقنا . ستزيد خبر عبرة والجملة خبر أن المخففة .

إذا قُلتُ : مَابِي يا بُثَينَــةُ قاتِلِي ... من الحُبِّ! قالتْ : ثابِتٌ ويَزِيدُ! (١)
وإنْ قُلْتُ : رُدِّي بعضَ عقلِي أَعِشْ بِه ... مع الناسِ، قالت : ذاكَ منك بَعِيدُ
فلا أنا مرْدُودٌ بمـا جئتُ طالِبًا ... ولا حُبُّهـا فِيمَا يَبِيـدُ يَبِيـدُ (٢)
جزَتْكِ الجَوازِي يا بُثَينَ مَلامَةً ... إذا ما خليـلٌ بَانَ وهُوَ حَمِيـدُ! (٣)
وقُلتُ لهـا : بَيْنِي و بيْنَكِ فاعلَمِي ... من الله ميثاق لَهُ وعُهُـودُ
وقـد كان حُبِّيكُمْ طَرِيفًـا وتالِدًا ... وما الحُبُّ إلا طارِف وتليدُ (٤)
و إنَّ عَروضَ الوصل بيني و بيْنَها ... و إنْ سهَّلَتْـه بالمُنَى لصَعُودُ (٥)
فأَفْنيتُ عَيْشِي بانتظاري نَوالَهـا ... وأَبلَيْتُ ذاكَ الدَّهرَ وهْوَ جَدِيدُ



أَلَا لَيْتَ شِـعْرِى هل أَبِيتَنَّ ليلة ... بوَادى القُـرَى إِنِّى إذًا لَسَـعِيدُ (٦)
وهل أَهْبِطَنْ أرْضًا تَظَلُّ رِياحُهَا ... لهـا بالثَّنَايا القَاوِيات وئيـد (٧)

(١) أى إذا قلت لها إن الحب سيقتلنى قالت : إنه باق ، وسيزيد أيضا
(٢) أى فلم أنل ما طلبت من بعض عقلى ولا الحب يفنى لأستريح .
(٣) الجوازى : جمع جازية وهى المكافئة . يقول : أذا جوزى الأحبة بالثناء عليهم وقت الفراق فليس لك فى نفسى الا العتب واللوم . والبيت فى الأصل جملة دعائية
(٤) الطريف : الجديد ، وضده التليد .
(٥) العروض : الطريق فى عرض الجبل . صعود : مرتفع . والمعنى أن الوصل صعب المنال مهما تسهله بالوعود .
(٦) وادى القرى : بالحجاز شمالى المدينة . ليت شعرى : أى ليتنى أعرف ، جواب هذا الاستفهام المذكور بعد . يتمنى المبيت بهذا الوادى حيث كان يقيم الأحبة .
(٧) الثنايا جمع ثنية : وهى طـريق فى الجبل أو الجبل نفسه . القاويات : الخاليات . وئيـد : صوت شديد . أى هل أحيا ثانية فى تلك الأرض الخالية التى تعزف فيها الرياح حيث كنت أعيش ناعما بالهوى العذرى .

وهل أَلْقَيَنْ سُعْدَى من الدهرِ مرَّةً ... وما رَثَّ من حبل الصَّفاءِ جَديد (١)
وقد تَلْتَقِي الأهواءُ من بعـد يأسة ... وقد تُطْلَبُ الحاجاتُ وهيَ بعيدُ
وهـل أزجُرَنْ حَرْفًا عَلاةً شِمِـلَّةً ... بخَـرْقٍ تُبارِيها سَـوَاهِمُ سُـودُ (٢)
على ظهر مرهوبٍ كأن نُشُـوزَهُ ... إذا جازَ هُـلَّاكُ الطريق رُقُـودُ (٣)
سَبَتْنِي بِعينَيْ جُؤْذُرٍ وسْطَ رَبْرَبٍ ... وَصَـدْرٍ كفاثُور اللُّجَيْنِ وَجِيـدُ (٤)
فمن يُعْطَ في الدُّنيا قرينا كمثلها ... فذلك في عَيْش الحياةِ رَشِـيدُ (٥)
يموت الهَوَى مِنِّي إذا ما لَقِيتها ... ويحيـا إذا فارقتُهـا فيعـودُ
يقولون : جاهِـدْ يا جميلُ بِغزوةٍ ... وأيَّ جهـادٍ غيرهُنَّ أُرِيدُ؟
لِكُل حديثٍ بينهنّ بَشاشَـةٌ ... وكلُّ قتيـلٍ بينهنّ شَهِيـدُ (٦)
ومن كان في حُبِّي بُثَينةَ يَمْتَرِي ... فبرقاءُ ذِي ضَـالٍ عليَّ شَهيدُ (٧)
ألم تعلَمِي يا أُمَّ ذِي الوَدْعِ أنَّنِي ... أُضاحِكُ ذِكراكُمْ وأنتِ صَـلُودُ (٨)

(١) رث : بلى . ما مبتدأ خبره جديد .

(٢) أزجر الناقة : أصيح بها لتسرع . الحرف : الناقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة . العلاة : الناقة الطويلة . والشملة : السريعة . الخرق : القفر والأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح . تباريها : تسابقها . سواهم : جمع ساهمة وهى الناقة الضامرة .

(٣) مرهوب : طريق مخوف . نشوز جمع نشز : المكان المرتفع . رقود : نيام . هلاك الطريق : الذين ضلوه . رقود خبر كأن . (٤) سبتنى : أسرتنى . الجؤذر : ولد البقرة الوحشية . الربرب : القطيع من بقر الوحش . الفاثور : الطست والجفنة . اللجين : الفضة . الجيد : العنق وهو بالرفع على أنه مبتدأ خبره (لها) محذوف .

(٥) القرين : الصاحب ، والزوج . رشيد : موفق . (٦) بشاشة : سرور وبهجة .

(٧) يمترى ، يشك . البرقاء : أرض غليظة ذات حجارة ورمل وطين أو كل شيء فيه سواد وبياض ؛ وبرقاء ذى ضال إحدى برق بلاد العرب ، يتخذ من موافقه فيها شاهدا على حبه الشديد .

(٨) ذو الودع : طفلها يعلق عليه الودع وقاية وهو محار صغير أبيض معروف . صلود : بخيلة .

(١٩) وقال عمر بن أبى ربيعة : (١)

قال لى صاحبى ليعلم مابى: أتحب القتول أخت الرباب؟ (٢)
قلت: وجدى بها كوجدك بالعذ ب إذا ما منعت طعم الشراب (٣)
من رسولى الى الثريا بأنى ضقت ذرعا بهجرها؟ والكتاب! (٤)
أزهقت أم نوفل إذ دعتها مهجتى، ما لقاتلى من متاب (٥)
حين قالت لها: أجيبى! فقالت: من دعانى؟ قالت: أبو الخطاب (٦)
فأجابت عند الدعاء كما لبـ ى رجال يرجون حسن الثواب (٧)
أبرزوها مثل المهاة تهادى بين خمس كواعب أتراب (٨)

(١) ولد أبو الخطاب عمر بن أبى ربيعة القرشى بالمدينة فى بيت ترف ومجد متأثرا بالطبيعة الحجازية الرقيقة وبعوامل سياسية واقتصادية أنضجت الغزل والغناء بالحجاز . فكان عمر غزلا زعيم الغزلين جميعا . يمتاز شعره بسلاسة الأسلوب والافتنان فى الغزل ولا سيما نوعه القصصى الذى تناول به نساء الأشراف فى مواسم الحج وغيره حتى تأذى به الناس ونفاه عمر بن عبد العزيز لذلك وكانت وفاته سنة ٩٣ هـ .

(٢) القتول : القاتلة . الرباب : اسم امرأة .

(٣) كوجدك بالعذب الخ : أى كشوقك الى الماء العذب حين تعطش جدا .

(٤) الثريا بنت على : إحدى صواحبات الشاعر . ضقت ذرعا بهجرها : لا احتمله . والكتاب : القرآن يقسم به .

(٥) أزهقت : أهلكت . مهجتى : روحى . أم نوفل رسول عمر إلى الثريا ، والمتاب التوبة يريد أن قاتله لا يرى قتله ذنبا يستغفر أو يتوب منه .

(٦) أبو الخطاب : كنية الشاعر .

(٧) أى أجابت اجابة الحاج يبغى الجزاء الجميل .

(٨) المهاة : البقرة الوحشية . تهادى : تمشى متمايلة . الكواعب جمع كاعب : وهى الفتاة الناهدة الثدى . أتراب : جمع ترب ، وهو من ولد معك ، ومن فى سنك .

وهي مَكْنونةٌ تَحيَّرَ منها ... في أديم الخدَّين ماءُ الشباب (١)
دُميةٌ عندَ راهبٍ ذي اجتهادٍ ... صَوَّرُوها في جانبِ المحراب (٢)
ثم قالُوا : تُحبُّها؟ قلتُ بَهْرًا ! ... عددَ النجمِ والحَصَى والتُّراب ! (٣)
حين شَبَّ القتولَ والجيد منها ... حُسنُ لونٍ يَرِفُّ كالزِّرْيَاب (٤)
أذكرَتْني من بَهجةِ الشَّمسِ لما ... طَلَعتْ من دُجُنَّةٍ وسَحاب (٥)
فَارْجَحَنَّتْ في حُسنِ خَلقٍ عَميمٍ ... تَتَهادى في مَشيِها كالحُباب (٦)
غَصَبتْني مُجاجةُ المسكِ عقلي ... فسلُوها مَاذا أحلَّ اغتصابي (٧)
قلَّدُوها من القَرَنفُل والدر ... رِ سِخاباً واهاً له من سِخَاب (٨)

وقال عمر بن أبي ربيعة :

أَلم تَسأل الأطلالَ والمُتَرَبَّعا ... ببَطنِ حُلَيَّاتٍ دَوارِسَ بَلقَعا (٩)
إلى الشَّرْيِ من وادِي المغمَّس بُدِّلَتْ ... معالمُه وَبْلًا ونكباءَ زعزعا (١٠)

(١) مكنونة : مصونة مستورة . تحير : اجتمع وتردّد . أديم الخدين : بياضهما أو صفحتهما . ماء الشباب : رونقه وبهجته . (٢) الدمية : الصورة من العاج أو الرخام . الراهب : المنقطع للعبادة . المحراب : القبلة أو صدر البيت . (٣) بهرا : حبا قويا . (٤) شب : زاد في الحسن . يرف : يلمع . الزرياب : الذهب . (٥) البهجة : الحسن . الدجنة : الظلمة .

(٦) ارجحنت : مالت واهتزت . عميم : تام . الحباب : الحية . تهادى : تمايل .

(٧) مجاجة المسك : ينتشر منها أريجه . (٨) السخاب : قلادة من قرنفل وغيره . القرنفل : من النبات الطيب الرائحة . واها له : عجبا من حسنه على جيدها .

(٩) الاطلال جمع طلل : وهو الشاخص من آثار الديار . المتربع : مكان إقامة الربيع . بطن حليات : موضع يظهر أنه قرب مكة . دوارس جمع دارس : أي زائل . بلقعا : قفرا . دوارس بلقعا حالان من الأطلال والمتربع . (١٠) الشرى : النخيل . المغمس : موضع بطريق الطائف . معالمه : معاهده جمع معلم . الوبل : المطر الشديد . النكباء : ريح انحرفت عن مهب الرياح . زعزعا : شديدة . يقول : تلك الأطلال بناحية هذا الوادي الذي بدلت بمعالمه أمطار ورياح .

فيبخلْن أو يُخبِرنَ بالعلمِ بعد ما نكأْنَ فؤادًا كانَ قِدمًا مُفجَّعا(١)
بهند وأتراب لهند إذِ الهوَى جَميعٌ وإذ لم نخشَ أن يتصدّعا(٢)
وإذ نحن مثلُ الماءِ كانَ مزاجُه كما صفّق الساقى الرحيقَ المشعشَعا(٣)
وإذ لا نُطيعُ العاذلينَ ولا نَرى لواشٍ لدينا يطلبُ الصَّرمَ مَطمعا(٤)
تنوعتن حتى عاودَ القلبَ سُقمُه وحتّى تذكرتُ الحديثَ المودَّعا(٥)
فقلتُ لمطرِيهنَّ بالحُسنِ : إنما ضَرَرْتَ ، فهلْ تَسْطيعُ نَفْعًا فَتَنفَعا؟(٦)
وأشريتَ فاستشرَى وان كانَ قد صحا فُؤادٌ بامثالِ المهَا كانَ مُوزَعا(٧)
وهيّجتَ قلبًا كانَ قد ودّعَ الصِّبا وأشياعَهُ ، فاشفعْ عسَى أن تُشَفَّعا(٨)
لئن كانَ ماحدّثت حقًّا فما أرى كمثلِ الأُلَى أطريتَ فى الناسِ أربعًا(٩)
فقالَ : تعالَ انظر . فقلتُ : وكيفَ بى أخافُ مُقاما أنْ يَشيعَ فَيشْنَعا؟(١٠)

(١) نكأ الجرح : قشره قبل برئه . مفجعا : موجعا بهند وأترابها .

(٢) جميع : مجتمع . يتصدّع : يتفرق .

(٣) مزاجه : ما يمزج به . صفق : حول الشراب ممزوجا من إناء الى آخر ليصفو . الرحيق : الخمر أو أفضلها . المشعشع : الممزوج . يقول : كنا ممتزجين امتزاج الماء بالخمر فى الشدّة والصفاء .

(٤) العاذلون جمع عاذل : وهو اللائم . الواشى : النمام . الصرم : القطيعة .

(٥) تنوعتن : توصفن . أى أن كلا وصفت لصاحبتها ما تراه فيها من المحاسن . سقم القلب : مرضه من الحب . المودّع : الماضى .

(٦) المطرى : المادح المبالغ . ضررت : باذكاء الغرام فى نفسى . النفع هنا : صلته بهنّ .

(٧) أشريت فؤادى : حركته الى الهوى فتحرك . صحا : ترك الباطل . موزعا : مولعا .

(٨) الصبا : جهلة الفتوة . الأشياع : جمع شيعة بالكسر وهى الفرقة . تشفع : تقبل شفاعتك فيصلنى .

(٩) أربع نسوة : أى لا أجد فى الناس أربع نسوة كاللواتى وصفت جمالا .

(١٠) مقاما : إقامة معهن . يشنع : يقبح .

فقالَ : اكتفِلْ، ثم التثِم، فأْتِ باغيا ... فسلِّم، ولا تُكثر بأن تتورّعا(١)
فإنى سأُخفِى العينَ عنكَ فلا تُرَى ... مخافةَ أن يَفْشُو الحديثُ فيُسمَعا
فأقبلْتُ أهوِى مثلَ ما قالَ صاحبِى ... لِموعده أُزْجِى قَعُودًا مُوَقّعا(٢)
فلمّا تواقفْنا، وسلَّمتُ أشرقَتْ ... وُجوهٌ زهاهَا الحسنُ أن تتقنّعا(٣)
تبالَهْنَ بالعِرفانِ لمّا عرفنَنِي ... وقُلنَ : امرُؤٌ باغٍ أكَلَّ وأوضَعا(٤)
وقرّبْنَ أسبابَ الهَوى لمُتَيَّمٍ ... يَقيس ذِراعا كُلّما قِسنَ إصبعَا(٥)
فلمّا تنازعْنَا الأحاديثَ قُلن لِي : ... أخِفتَ علينا أن نُغَرّ ونُخدعا؟(٦)
فبالأمسِ أرسلنا بذلك خالدًا ... إليكَ، وبيّنّا لهُ الشأنَ أجمعَا(٧)
فما جئتَنا إلا على وَفقِ مَوعدٍ ... علَى ملإٍ منّا خرجْنَا له معَا(٨)

---

(١) اكتفل : استتر بالكفل وهو فى الأصل كساء يدار حول سنام البعير . التثم : اتخذ اللثام : وهو ما كان على الأنف وما حوله من ثوب أو نقاب . باغيا : طالبا . تتورّع : تحتشم .

(٢) أهوى : أسرع . أزجى : أسوق . القعود من الإبل : ما يقتعـده الراعى فى كل حاجة . الموقع : الذى ظهرت به آثار الدبر لكثرة ما حمل عليه .

(٣) توافقنا : تقابلنا . زهاها الحسن : استخفها الجمال . أن تتقنع : عن أن تلبس القناع فأسفرت معجبة بجمالها .

(٤) تبالهن : ادّعين البله، وهو الغفلة . العرفان : المعرفة . باغ : طالب . أكل : أعيا وتعب . أوضع : حمل ناقته على السير السريع .

(٥) المتيم : الذى دلّهه الحب .

(٦) تنازعنا : تبادلنا .

(٧) الشأن اجمعا : الأمر جميعه أى رسمنا له الخطة .

(٨) الوفق : المطابقة . الملأ : الجماعة .

رأينـا خَلاء من عُيـونٍ ومجلسًا ... دَميث الرُّبا سهلَ المَحَـلَّةِ مُمْـرِعا[1]
وقُلنَ : كريمٌ نالَ وصـلَ كرائمٍ ... فَحُقَّ لهُ فى اليومِ أن يتمتّعـا

(٢٠) قال كُثيِّر عزة : [2]

خليلَىَّ هـذا رَبعُ عَزةَ فاعقِـلا ... قَلوصيكما ثم ابكيا حيثُ حَلَّتِ[3]
وما كنتُ أدرى قبلَ عزَّةَ ما الهوى ... ولا مُوجِعاتِ الحزنِ حتى تولَّتِ
فقد حلفتْ جَهدا بما نحرتْ لهُ ... قُرَيشٌ غَداةَ المأزمَيـنِ وصَلّت[4]
أُناديكَ ما حجَّ الحجيـجُ وكبّرت ... بِفَيْفَا غَـزالٍ رُفقـةٌ وأهلّت[5]
وكانَتْ بقطعِ الحَبلِ بينى و بينهـا ... كَناذرةٍ نَـذْرا فأوفت وحَلّت[6]

---

(١) الدميث : اللين ذو الرمل . الربا : جمع ربوة ، وهى ما ارتفع من الأرض . ممرع : مخصب .

(٢) لم يكن لكثير بن عبد الرحمن من المكانة فى الشرف والشعر الغزلى ما كان لجميل أو عمر أو سواهما من الغزلين ؛ فقد كان فيما يظهر دعيا فى الحب غير مرغوب فيه لقبح صورته وهوان شخصيته فوق نفاقه السياسى وتردده بين الشيعة و بنى أمية ، أخذ يشهر بعزة بنت حميد الضمرى حتى عرف بها وكانت وفاته سنة ١٠٥ هـ . وما بقى من شعر كثير يدل على أسلوب جيد وصنعة حسنة وإن كان لا يبلغ فى صدق الشعور مبلغ أضرابه الغزلين .

(٣) الربع : الدار . عقل البعير : شدّ وظيفه الى ذراعه (قيده) . القلوص : الناقة الشابة أو الطويلة القوائم . يدعو صاحبيه المزعومين الى المكث عند ربع صاحبته والبكاء عنده وفاء لها .

(٤) الجهد : الطاقة . حلفت جهدا : بالغت فى اليمين . نحرت : ذبحت الضحايا . المأزم ، و يقال المأزمان : مضيق بين جمع وعرفة وآخر بين مكة ومنى . والمعنى أقسمت بالله لتقطعنى .

(٥) أناديك : أجالسك من النادى والندىّ وهما المجلس كما فى الأمالى . الحجيج : جمع حاج وهو قاصد مكة للنسك . فيفاء الغزال : مكان بمكة لا ماء فيه . الرفقة : مثلثة الراء : الأصحاب . أهلت : رفعت أصواتها بالتلبية والدعاء .

(٦) الحبل : الوصل . أوفت النذر : أدّته ولم تغدر . حلت : خرجت من عهدته لما أوفته .

فَقُلْتُ لها : يا عَزُّ كلُّ مُصيبةٍ اذا وُطِّنتْ يومًا لها النفسُ ذَلّت (١)
ولم يَلقَ انسان من الحُب مَيْعةً تَعُم ولا غَمّاءَ إلا تَجلَّت (٢)
كأنى أنادِى صَخْرةً حين أعرضَت من الصُّمّ لو تَمشى بها العُصم زَلّت (٣)
صَفوحًا فما تلقاكَ الا بَخيلةً فمن مَلّ منها ذلكَ الوصلَ ملّت (٤)
أباحَتْ حِمًى لم يَرْعَهُ الناسُ قبلَها وحَلَّتْ تِلاعًا لم تكنْ قَبلُ حُلَّت (٥)
فليتَ قَلوصِى عندَ عَزةَ قُيِّدت بحبلٍ ضعيفٍ غُرَّ منها فَضَلَّت (٦)
وغُودِرَ فى الحىِّ المقيمينَ رَحلُها وكانَ لها باغٍ سِوَاى فبَلَّت (٧)
وكنتُ كذى رِجلَين رجلٍ صَحيحةٍ ورجلٍ رَمَى فيها الزمان فَشَلَّت (٨)
وكنتُ كذاتِ الظَّلع لما تحامَلت على ظَلعِها بعد العثار اسْتَقَلَّت (٩)

(١) وطنت : مهدت وأعدّت . ذلت : سهلت ولانت .

(٢) الميعة : الشدّة وأوّل الشيء وأصله . الغماء : الكرب . تجلت : انكشفت وزالت .

(٣) الصم : جمع أصم : الصلب . العصم : جمع أعصم وهو الوعل فى ذراعيه أو إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . زلت : زلقت يقول : لما أعرضت عنى لا تجيب ندائى كأنى أدعو صخرة صلبة عظيمة ملساء لا تستقر عليها الوعول .

(٤) الصفوح : المرأة المعرضة الهاجرة . بخيلة بالوصل : لا تبذله .

(٥) الحمى : ما يحمى ويدفع عنه والمراد قلب الشاعر الذى احتلته يرعاه الناس يدخلون اليه . التلاع . جمع تلعة وهى الأرض المرتفعة أو المنخفضة ، ويريد أنها ملكت عليه نفسه بالحب حين لم يستطع ذلك سواها

(٦) غر منها : قطع .

(٧) رحل الناقة : ما يوضع على ظهرها كالسرج . باغ : طالب . بلت : نجت وذهبت .

(٨) رمى فيها الزمان : أصابها بالتلف . شلت : قطعت أو يبست

(٩) الظلع : العيب والغمز فى المشى . تحاملت على ظلعها . تكلفت الناقة السير على رغمها . استقلت : استقام مشيها . يتمنى لو أتيح له ما يعطل سفره فيبقى مع عزة .

أُريدُ الثواءَ عِنـــدها ، وأظنُّهـا إذا ما أطلْنا عِندها المكْثَ مَلَّت (١)
فمـا أنصفتْ : أما النساء فَبَغَّضت إلَيَّ ، وأمّا بِالنـــوالِ فَضَنَّت (٢)
فإن تَكن العُتْبَى فأهلًا ومرحبًـا ! وحَقَّت لهـا العُتبَى لدينـا وقلّت (٣)
وان تكُن الأخرى فإنَّ وراءَنا مَنادِحَ لو سَارت بها العيسُ كَلَّت (٤)
خليليّ إنّ الحاجِبيّةَ طَلَّحت قَلوصـيكما ونَاقتِي قـــد أكلّت (٥)
فوالله ثم اللهِ ما حَـــلَّ قبلَهـا ولا بعدَها مِن خُلةٍ حيث حَلَّتِ
وما مَرّ مِن يومٍ علَيَّ كيومِها وان عظُمت أيامُ أخرَى وجَلَّت
وأضحتْ بأعلَى شاهقٍ من فؤادِه فلا القلب يسلاها ولا العينُ ملَّتِ (٦)
فيَاعجبًا للقلبِ كيفَ اعترافُه وللنفس لمّـا وُطِّنت كيفَ ذلَّت (٧)
وإنى وتَهيامِى بِعـــزةَ بعـــد مَا تخلّيتُ ممـــا بينَنـا وتخلَّت (٨)
لكا لمرتجِى ظِـــلَّ الغَمامَةِ كلّمـا تبــوّأ منهـا للمَقيـــل اضمحلّتِ (٩)

---

(١) الثواء : الاقامة . (٢) ضنت : بخلت .

(٣) العتبى : الإعتاب ، يقال عاتبنى فلان فأعتبته إذا نزعت عمـا عاتبنى عليه . أى إذا عدلت عن القطيعة والصد سررنا وأعتبناها كذلك . قلت : أى هى شىء قليل محتمل .

(٤) الأخرى : يقصد القطيعة والهجر . المنادح : الواسعة البعيدة من الأرض . العيس : الإبل البيض يخالط بياضها شقرة . كلت : أعيت من السير .

(٥) طلحت : أكلت وأتعبت . والحاجبية : لعله لقب عزة .

(٦) الشاهق : المرتفع من الجبال والأبنية وغيرها .

(٧) اعترافه : صبره . يريد قوة صبره على أهوال الحب . وخضوع نفسه لو يلاته .

(٨) التهيام : كالجنون من العشق . تخلى من الشىء : تركه .

(٩) الغمامة : السحابة أو البيضاء خاصة . تبوّأ المكان : نزل فيه . المقيل : النوم نصف النهار . اضمحلت : انقشعت . يشبه تعلقه بعزة بعد القطيعة باللاجئ الى ظل سحابة ، ووجه الشبه الطمع فى غير مطمع .

كأنّى وإياها سحابةُ مُمحِلٍ رجاها فلمّا جاوزته استهلّت (١)
فإن سأل الواشون : فيم هجرتها فقل : نفسُ حرٍّ سُلّيت فتسلّت!

(ج) النثر

(١) من آثار رسول الله صلى الله عليه وسلم

كتب الى هرقل ملك الروم :

من محمد رسولِ اللهِ الى هِرَقْل عظيمِ الروم ، سلام على مَن اتّبعَ الهُدى . أما بعدُ فإنّى أَدعوك بدِعايةِ الإسلامِ ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤتِك اللهُ أَجرَك مرّتين . فإنْ تولَّيتَ فإنّ عليك إثمَ الأَرِيسِيِّين (٢) . ويأهلَ الكتابِ تعالَوْا إلى كلمةٍ سواءٍ بيْننَا وبينكم ألّا نعبُدَ إلا اللّهَ ولا نُشرِكَ به شيئًا ولا يَتّخِذَ بعضُنا بعضًا أرْبابًا مِن دُونِ اللهِ فإنْ تَوَلَّوْا فقُولُوا آشهدُوا بأَنَّا مُسلِمُون .

وكُتِبَ فى صلح الحُدَيْبِيَةِ (٣) بينه وبين قريش :

بِاسمِكَ اللّهُمّ ، هذا ما صالح عليه محمدُ بنُ عبدالله ، سُهَيلَ بْنَ عمرو ، اصطلحا على وَضْعِ الحرب عَنِ الناسِ عَشْرَ سِنِينَ ، يَأمَنُ فيهنّ النّاسُ ويَكُفُّ بعضُهم عن بعض على أنّ مَنْ أَتَى محمدًا مِن قُريش بغيرِ إذْنِ وَلِيّه رَدّهُ عَلَيهِمْ ، ومن جاء قريشًا مِمّن مع

(١) الممحل : المجدب يعوزه المطر . جاوزته : بعدت عنه . استهلت : أمطرت .

(٢) الأريسيون : الفلاحون والعمال لأنهم تبع لساداتهم وكبرائهم .

(٣) الحديبية : قرية صغيرة بينها و بين مكة مرحلة نزل بها النبي عليه السلام سنة ست للهجرة قاصدا مكة لزيارة الكعبة معتمرا فأرادت قريش منعه الدخول مخافة العار و بعد تراسل بينهما تصالحا على ما فى هذه الصحيفة .

محمد لم يردوه عليه، وأن بيننا عَيْبةً مكفوفة[١]، وأنه لا إسْلَالَ ولا إغْلَالَ[٢]، وأنه مَن أحب أن يدخل فى عَقْد محمد وعَهْدِه دخل فيه، ومن أحَبَّ أن يدخل فى عَقْد قُريش وعهدِهم دخل فيه، وأنك تَرْجِعُ عنَّا عامَكَ هذا فلا تَدخُلْ علينا مكة، فإذا كان عام قابل خَرَجْنا عنها فَدَخَلْتَها بأصحابك، فأقمتَ بها ثلاثاً، وإنَّ مَعكَ سلاحَ الرَّاكب والسُّيوفَ فى الرُّكب؛ فلا تَدْخُلْها بِغيرِ هذا.

خطبته يوم فتح مكة

وقَفَ على بَاب الكعبة ثم قال:

لَا إِلَهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ لَهُ، صدق اللهُ وَعْدَه[٣]، ونَصَرَ عبْدَه وهزَمَ الأحزَابَ وحدَه، أَلَا كُلُّ مأْثَرَةٍ[٤] أو دَمٍ أو مالٍ يُدَّعَى فهو تحتَ قَدَمَيَّ هاتين، إلَّا سِدَانَةَ البَيت وسِقَايَةَ الْحَاجِّ[٥]، أَلَا وقَتِيلُ الخَطَأ الْعَمْدِ بالسَّوْط والْعَصَا فيه الديةُ مُغَلَّظَةً فيها أربعون خَلِفَةً[٦]، فى بطونها أولادُهَا. يَا معْشَر قُريش إنَّ اللهَ قد أذهب عنكم نَخْوَةَ[٧] الجاهلية وتَعظُّمَهَا بالآباء. الناس من آدمَ وآدمُ خُلِق من تُرابٍ. ثم تَلا هذه الآية: ﴿ يأيها النَّاسُ إنَّا خلقناكم من ذَكرٍ وأُنثَى وجعلناكُمْ شُعُوبا وقبائلَ لتَعارَفُوا إن أكرمكم عندَ الله أتقاكم إنَّ اللهَ عليمٌ خبيرٌ ﴾.

(١) العيبة: موضع السر أو الخريطة للملابس والمراد الأمن.
(٢) الإسلال: السرقة الخفية والرشوة. الإغلال: الخيانة.
(٣) ماوعدهم به من فتح مكة وهزيمة الأحزاب أعدائه.
(٤) المأثرة: الجميل. الدم: القتل.
(٥) سدانة الكعبة: خدمتها. سقاية الحاج وسدانة الكعبة: كانا من عمل الهاشميين منذ الجاهلية.
(٦) الخلفة: الناقة الحامل. (٧) نخوة الجاهلية: جهالتها وسفهها.

يا معشرَ قريش ! ما تَرَوْن أني فاعلٌ بكم ؟

قالوا : خيراً ، أَخٌ كريمٌ وابنُ أخ .

قال : اذهَبُوا فانتم الطُّلَقاءُ (١) .

ومن خطبته فى حَجة الوداع (٢)

الحمدُ للهِ نحمَدُه ونستعينُه ونستغفرُه ، ونتوبُ إليه ، ونعوذُ بالله من شُرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا . من يَهدِ الله فلا مُضلَّ له ، ومن يُضلل فلا هادىَ له . وأشهدُ أن لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه لا شريك له ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، أوصيكم عبادَ الله بتقوى اللهِ ، وأَحُثُّكُمْ على طاعَتِه ، وأَسْتَفتِحُ بالذى هو خيرٌ « أما بعدُ » أيها النّاس اسمعوا مِنِّى أُبيِّنْ لَكُمْ ، فإنِّى لَا أَدْرِى لَعلِّى لَا أَلْقاكُمْ بعدَ عَامِى هذا ، فى موقِفِى هذا . أَيُّهَا النَّاسُ إنَّ دماءَكم وأموالَكم حَرَامٌ (٣) عليكُم الى أن تلقَوا رَبَّكم ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هذا فى شَهرِكُمْ هذا فى بَلَدِكم هذا ، أَلَا هلْ بَلَّغْتُ ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ ! فمن كانتْ عندَهُ أمانةٌ فلْيُؤَدِّها إلى من ائْتَمَنَهُ عليها . وإن رِبَا الجاهلِية مَوضُوعٌ (٤) ، وإن أوّل رِبًا أبدأ به ربا عَمِّى العباسِ بن عبد المطلب . وإن دماءَ الجاهِلِيَّة موضوعة ؛ وإن أولَ دمٍ أَبدأُ به دمُ عامر بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب ، وإن مآثرَ الجاهلية موضُوعةٌ

(١) الطلقاء : جمع طليق ، وهو الرجل الذى يؤسر ثم يخلى عنه .

(٢) آخر حجة له .

(٣) حرام سفك الدماء واغتصاب الأموال .

(٤) موضوع : ساقط لا حساب عليه .

غير السِّدَانَةِ والسِّقَايَة . والعَمْدُ قَوَدٌ(١)، وشِبْهُ العمد ما قُتِلَ بالعصا والحجَر، وفيه مائةُ بَعير، فمن زادَ فهو مِنْ أهل الجاهليَّة . أيها الناسُ : إن الشيطان قد يَئِسَ أن يُعْبَدَ فى أرضِكُم هذه، ولكنَّهُ قد رَضى أن يُطَاعَ فيما سِوَى ذلك مما تَحْقِرُون من أعمالكم.

أيهـا الناس إن لِنِسائكم عليكم حَقًّا ولكم عليهن حقٌّ . لكم عليهن ألا يُوطِئْنَ فُرُشَكُمْ غيرَكُمْ ، ولا يُدْخِلْن أحدًا تَكْرَهونَه بيُوتَكُمْ إلا بإذنكم، ولا يَأْتِينَ بِفاحِشَةٍ، فإن فَعَلْنَ فإن اللهَ قد أذِنَ لكم أن تَعْضُلُوهُنَّ(٢) وتَهْجُرُوهُنَّ فى المضاجع وتَضرِبُوهُنَّ ضَرْبًا غيرَ مُبَرِّحٍ(٣)، فإن انتهين وأطعنكُمْ فعليكم رِزْقُهُنَّ وكسوتُهُنَّ بالمعروف، فاتَّقُوا اللهَ فى النساء، واستَوْصُوا بهِنَّ خيرا ، ألَا هل بلَّغتُ؟ اللهُمَّ اشهد ! أيهـا الناسُ إنمـا المؤمنون إخوة ، فلا يَحِـلُّ لامرئٍ مالُ أخيه إلا عَنْ طِيبِ نفس مِنـه ، ألا هل بلَّغتُ ؟ اللهمَّ اشهَد ! فلا تَرْجِعُنَّ بعدِى كُفَّارًا يَضرِبُ بعضُكم رِقَابَ بعض، فإنى قد تركتُ فيكم ما إِنْ أخذتُمْ به لم تَضِلُّوا بعده : كتابَ الله . ألا هل بلغت؟ اللهم اشهد!

أيهـا الناس إن ربكم وَاحد وإن أباكم واحد، كلكم لآدم، وآدم من تراب، أكرمُكم عند الله أتْقَاكُمْ، وليس لعربى على عجمى فضلٌ إلا بالتقوى . ألا هل بلغتُ؟ اللهم اشهد! قالوا : نعم! قال فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الغائبَ . والسلام عليكم ورحمة الله !

---

(١) القود : القصاص . والمراد بالعمد : القتل عمدا .

(٢) العضل : التضييق .

(٣) الضرب المبرح : الشديد الأذى .

ومن أحاديثه عليه الصلاة والسلام :

إن مَثَلَ ما بَعَثَنِي الله به من الهُـدَى والعِلم كَمَثَلِ غَيْث أصابَ أرضًا فكان مِنْهَا طائفةٌ طيِّبـةٌ قَبِلَتِ المَـاءَ ، فَأَنْبَتَت الْكَلَأَ والعُشْبَ الكثيرَ ، وكان منهـا أَجَادِبُ (١) أمسكتِ المَـاءَ ، فنفع الله تعالى بها النَّاسَ فشرِبُوا منها وسَقَوْا وزَرَعُوا ، وأصاب طائفةً منها أخرى إنمـا هي قِيعانٌ (٢) لا تُمْسِكُ ماءً ولا تُنْبِتُ كَلَأً ، فذلك (٣) مثل من فَقِهَ في دِينِ الله تعالى ونَفَعه ما بَعَثَنِي الله تعالى به فَعَلِم وعَلَّم ، ومَثَلُ (٤) من لم يَرْفَعْ بذلك رأسًا ، ولم يَقْبَلْ هُدَى الله الذى أُرْسِلْتُ به .

إنمـا مَثَلِي ومَثَلُكُمْ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ (٥) نارًا ، فلما أضاءَتْ ماحَوْلَهُ جعل الفَرَاشُ وهذه الدَّوابُّ التي تَقَعُ في النَّارِ تَقَعُ فيهـا ، فجَعَلَ يَنْزِعهنّ و يَغْلِبْنَه فَيَقْتَحِمْنَ (٦) فيهـا ؛ فأَنا آخُذُ بحُجَزِكُمْ (٧) عن النَّارِ ، وأنتم تَقْتَحِمُونَ فيها .

أَدِّ الأَمَانَةَ إلى من ائْتَمَنَك ؛ ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ .

إن النـاسَ إذا رَأَوْا الظَّالِمَ فَلَمْ يأخُذُوا على يَدِهِ أَوْشَـكَ أن يَعُمَّهُم الله تعالى بعقـاب (٨) .

مَثَلُ المُؤْمنينَ في تَوَادِّهِمْ وتَرَاحُمِهِمْ وتَعَاطُفِهِمْ مثلُ الجسد اذا اشتكى مِنهُ عُضْوٌ تَدَاعَى (٩) له سائرالجسد بالسَّهرِ والحُمَّى .

(١) أجادب : قيل جمع أجدب ، جمع جدب . (٢) القيعان جمع قاع : أرض سهلة مطمئنة انفرجت عنها الجبال . (٣) ذلك اشارة الى المثل الاول : الطائفة العليبة . (٤) اشارة الى المثل الأخير . (٥) استوقد : أشعل . (٦) اقتحم فى الشىء : دخل فيه من غير روية . (٧) الحجز : جمع حجزة : معقد الازار . (٨) يدل هذا الحديث على قيمة التناهى عن الشر فى الجماعات والشعوب . (٩) دعى بعضها بعضا لمشاركته فى الألم .

انْصُر أخاك ظَالِمًا أو مَظْلُومًا : قيل : أَنْصُرُه إذا كان مظلومًا ، فكيف أَنْصُرُه ظالمًا ؟ قال : تَحْجِزُهُ عن الظُّلم ، فان ذلك نَصْرُه .

ما أَكْرَمَ شابٌّ شيخًا لِسِنّه الا قَيَّض الله تعالى له مَنْ يُكْرِمُهُ عِنْدَ سِنِّهِ .

مَنْ يُرِدِ اللهُ به خيرا يُفَقِّهْهُ في الدين .

نَضَّرَ اللهُ امرأً سمع مِنَّا شيئًا فَبَلَّغَهُ كما سمعه ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أوعى من سَامع .

وَيْلٌ(١) للَّذي يُحَدِّثُ بالحديث لِيُضْحِكَ منه القوم فيكذبَ ويلٌ له ، ويلٌ له !

لا يكن أحدكُمْ إِمَّعَةً(٢) : يَقُولُ : أنَا مع الناس ، إن أحسن الناسُ أحسنتُ ، وإن أَساءوا أَسأتُ ، ولكنْ وَطِّنُوا أنفُسَكُمْ إنْ أحسن النَّاسُ أن تُحْسِنُوا ، وإن أساءوا أن تَجْتَنِبُوا إِسَاءَتَهُمْ .

(٢) لأبي بكر الصديق(٣)

خطبتُه يوم السَّقيفَة(٤)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أَيُّها الناسُ نحن المُهاجِرُونَ أَوَّلُ الناسِ إسلامًا ، وأكرمُهم أَحْسَابًا(٥) ، وأوسَطُهم دارًا ، وأحسنهم وُجُوهًا ، وأكثرُ الناسِ وِلَادةً في العرب ، وأمسُّهم رحِمًا برسول الله

(١) ويل له : أي شر أو هلاك يحل به تستعمل في التهويل والإنذار .

(٢) الإمعة : المتردد لا يثبت على رأي كما يفسر ذلك سائر الحديث .

(٣) هو عبد الله عتيق بن أبي قحافة القرشي ولد في الجاهلية ثم كان أسبق الرجال اسلاما وألزمهم للرسول وأكثرهم بلاء في خدمة الدين ، ولما توفي الرسول عليه السلام خلفه على سياسة الدولة الناشئة فكان مثال الحكمة والتضحية ، حتى توفي سنة ١٣ هـ وكان لعلمه ونشأته القرشية وتأدبه بالأدب الاسلامي أثر كبير في بلاغته التي تلمس في آثاره .

(٤) يوم السقيفة : يوم اجتماع العرب في سقيفة بني ساعدة عقب وفاة الرسول عليه السلام للنظر فيمن يخلفه وتنافس في ذلك المهاجرون والأنصار .

(٥) الحسب : مفاخر الآباء .

صلى الله عليه وسلّمَ . أَسْلَمْنَا قبلكم ، وقُدِّمْنا فى القرآن عليكُمْ ، فقال تبارك وتعالى (والسابقُون الأولونَ من المهاجرين والأنصارِ والذين اتّبعوهُم بإحسانٍ) فنحنُ المهاجرُون، وأنتم الأنصارُ، إخوانُنا فى الدِّينِ وشُركاؤنا فى الفَيْءِ (١) وأنصارُنا على العَدُوِّ. آويْتُمْ وواسَيْتُمْ . فجزاكم اللهُ خيرا ! فنحنُ الأمراءُ وأنتُم الوزراءُ . لاتَدِينُ العربُ إلا لهـذا الحَىِّ من قريش ؛ فلا تَنْفَسُوا (٢) على إخوانِكُمْ المهاجرينَ ما منَحهم اللهُ من فضله .

وصيته عند وفاته لعمر بن الخطاب

إنى مُسْتَخْلِفُكَ مِنْ بعدِى ومُوصِيكَ بتَقْوى الله . إن لِلّهِ عملا بالليل لا يقبله بالنهار، وعملا بالنهار لا يقبلُه بالليل . وإنّهُ لا تُقْبَلُ نافلةٌ (٣) حتى تُؤَدَّى الفريضةُ ؛ فإنما ثَقُلَت موازينُ من ثَقُلَتْ موازينه يوم القيامة باتِّباعِهِمْ الحق فى الدُّنيا وثِقلِهِ عليهِمْ، وحُقَّ لِميزَانٍ لا يُوضَع فيه إلا الحقُّ أن يكون ثقيلًا ، وإنما خَفَّتْ موازينُ مَنْ خَفَّتْ موازينه يومَ القِيَامَةِ باتباعهم الباطلَ وخِفّتِهِ عليهم، وحُقَّ لميزانٍ لا يوضع فيه إلا الباطلُ أن يكون خفيفا . إن الله ذَكَرَ أهلَ الجنة فذكرهم بأحسن أعمالهم وتجاوزَ عن سيئاتهم؛ فإذا ذكرتهم قُلْتَ : إنى أخاف ألَّا أكونَ من هؤلاءِ، وذَكَرَ أهل النار فذكَرَهُمْ بأسوإِ أعمالهم ولم يذكر حَسَنَاتِهِمْ، فإذا ذَكَرْتَهُمْ قلت: إنى لأرجو ألا أكون من هؤلاء، وذَكَرَ آيةَ الرحمة مع آية العذاب ليكون العبد راغبا راهبا ،

(١) الفىء : الغنيمة والخراج .

(٢) لا تنفسوا عليهم : لا تحسدوهم .

(٣) النافلة : السنة التى لا يجب أداؤها بل يستحب . والفريضة : ما يجب أداؤه من أمور الدين .

ولا يتمنى على الله غير الحق ، ولا يُلقى بيـده إلى التَّهْلُكَة[١] ، فإذا حفظت وصيتى فلا يَكُنْ غائبٌ أَحبَّ اليكَ من الموت وهو آتيكَ[٢] ، وإن ضيَّعْتَ وَصيتى فلا يكن غائب أبغض إليك من الموتِ ولست بمُعجز الله .

ودخل عليه عبـد الرحمن بن عوف فى علته التى مات فيها فقال له أراك بارئا ياخليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال :

أَمَا إنِّى على ذلِكَ[٣] لَشديدُ الوجَع ، ولَمَا[٤] لَقيتُ منكم يا معشر المهاجرينَ أَشَدُّ عَلَىَّ من وجَعى . إنى ولَّيتُ أموركُم خيرَكُم فى نفسى ، فكُلُّكُم وَرِمَ أنفُـه[٥] أن يكونَ له الأمرُ من دُونه . والله لتتخذُنَّ نَضائِدَ الديباج[٦] وستُورَ الحرير ، ولتألَمُنَّ النومَ على الصُّوفِ الأَذْرَبِى[٧] كما يأْلَمُ أحدُكم النومَ على حَسَكِ السَّعْدانِ[٨] . والذى نفسى بيده لأن يُقَـدَّمَ أحدُكم فتُضْرَبَ عنقُـه فى غير حدٍّ خيرٌ له من أن يَخُوضَ غمراتِ الدنيـا[٩] . يا هادِىَ الطريقِ جُرْتَ[١٠] . إنما هو والله الفَجْرُ أو البجْرُ[١١] .

---

(١) التهلكة : الهلاك .

(٢) يريد أن العمل بالوصية يجعل الموت أحب اليه كما أن تضييعها يبغضه فى الموت مع أنه حتم .

(٣) ذلك اشارة الى البرء من المرض . (٤) اللام للتوكيد وما موصولة مبتدأ خبره أشد .

(٥) ورم أنفـه : أى امتلأ غيظا ، وذكر الأنف - لتأثره بالغضب ، كما يقال شمخ بأنفه للتكبر ، أى رفع رأسه . (٦) النضائد : الوسائد ، المفرد نضيدة ، والمراد ما نضد فى البيت من أثاث . الديباج : الثوب : سداه ولحمته من حرير ، والمراد الحرير . (٧) الأذربى : نسبة الى أذربيجان .

(٨) الحسك : الشوك . السعدان : نبت كثير الحسك . (٩) غمرات الدنيا : شئونها التى تحير الناس . (١٠) جرت : حدت عن جادة الصواب .

(١١) يقول : ان انتظرت حتى يضىء لك الفجر الطريق أبصرت قصدك ، وان سلكت الظلماء وقعت فى المكروه . وضرب ذلك مثلا لغمرات الدنيا . البجر : الشر والداهية .

(٣) نبذة من كلام عائشة [١]

قالت على قبر أبيها :

نَضَّر اللهُ يا أبتِ وَجْهَكَ [٢] وشكرَ لكَ صالحَ سعيِكَ ، فلقد كنتَ للدنيا مُذِلا بإدْبارِك عنها ، وللآخرةِ مُعِزًّا بإقبالك عليها ، ولئن [٣] كان أعظمَ المصائبِ بعدَ رسول الله صلى اللهُ عليه وسلّمَ رزؤُك ، وأكبرَ الأحداث بعدهُ فقدُك — فإنّ كتابَ اللهِ عزّ وجلَّ لَيَعِدُنا بالصّبرِ عنْكَ حُسْنَ العِوَضِ منكَ ، وأنا مُسْتَنجزةٌ [٤] منَ اللهِ موْعدَه منكَ بالصبرِ عنْكَ ، ومستَعينةٌ كثرةَ الاستغفارِ لكَ . فَسَلامُ اللهُ عليكَ توديعَ غيْرِ قاليةٍ [٥] لِحَياتِكَ ، ولا زاريةٍ على القضاءِ فيك .

(٤) من آثار عمر بن الخطاب [٦]

رسالته فى القضاء الى أبى موسى الأشعرى [٧]

بسم الله الرحمن الرحيم

مِنْ عبدِ اللهِ عُمَرَ بنِ الخطّاب أمير المؤمنين الى عبد الله بن قيس : سلام عليك ، أما بعدُ فإنَّ القضاءَ فَرِيضةٌ مُحكَمَةٌ وسُنّةٌ متّبعةٌ . فافهمْ اذا أُدْلِيَ [٨] اليكَ ، فإنَّهُ

(١) هى السيدة عائشة بنت أبى بكر وزوج الرسول عليه السلام تزوجها صغيرة ، فنشأت راوية للحديث عالمة بالدين متأدّبة بالأدب العالى . وقد كان لها فى الأحداث السياسية بعد وفاة الرسول مواقف مشهورة . (٢) نضر وجهك . جعله ناضرا ، أى حسنا جميلا ، كناية عن حسن المثوبة .

(٣) إن : شرطية . أى إن عظم رزؤك وفقدك فان كتاب الله الخ .

(٤) مستنجزة : طالبة الانجاز والوفاء . (٥) قالية : كارهة . زارية : عاتبة أو عائبة .

(٦) هو أمير المؤمنين عمر بن الخطاب القرشى ولد فى الجاهلية وربى فيها وعرف بالشجاعة والحزم والسيادة وقد هداه الله الى الاسلام بعد عداوة قوية ، فكان من أعظم أنصاره . فلما ولى الخلافة بعد أبى بكر قام بأعبائها خير قيام حتى قتل غيلة سنة ٢٣هـ . و يعدّ عمر بن الخطاب من أبلغ الناس وأقواهم أسلوبا وأنقدهم للشعر وأرواهم له .

(٧) من رجال المسلمين الأعلام ، ولى قضاء البصرة حين بعث إليه عمر بهذه الرسالة . وله موقف معروف فى مسألة التحكيم بين على ومعاوية . (٨) أى تقدم اليه المتقاضون بحججهم .

لا يَنفع تكلُّمٌ بحقٍ لا نَفاذَ له . آسِ بَيْنَ الناسِ (١) فى وَجهِـكَ وعدلِكَ ومجلِسك ، حتى لا يَطْمَعَ شَرِيفٌ فى حَيْفك (٢) ، ولا ييئَس ضعيفٌ من عدلك . البيِّنةُ على مَن ادَّعى ، واليَمِينُ على من أنكَرَ . والصُّلحُ جائزٌ بين المسلمينَ إلّا صلحًا أحلَّ حرامًا أو حرّم حلالًا . لَا يَمنعنَّك قضاءٌ قَضيْتَهُ اليومَ ، فراجَعْتَ فيه عَقْلَكَ ، وهُدِيتَ فيه لِرُشْدِك أَنْ ترجع الى الحقّ ، فإن الحقّ قَديمٌ ، ومراجَعةُ الحق خيرٌ من التَّمادِى فى الباطِلِ . الفهمَ الفهمَ فيما تَلَجْلج (٣) فى صدرِكَ مِمَّا ليسَ فى كِتَابٍ (٤) ولا سُنة . ثم آعرِف الأَشْبَاهَ والأمثالَ ، فَقِس الأمورَ عندَ ذلك ، واعْمِدْ الى أقربِها الى الله ، وأشبهِها بالحقّ . واجْعل لمن ادّعى حقًا غائبًا أو بَيِّنَةً أمدًا ينتهى اليـه ، فاذا أحضر بيِّنَته أَخَذْتَ له بحقِّه ، وإلا اسْتَحْلَلْتَ عليه القَضية ، فإنه أنْفَى لِلشَّك وأَجْلَى للعَمى . المسْلمونَ عُدُولٌ بعضهمْ على بَعضٍ إلا مجلُودًا فى حَدٍّ أو مُجرَّبًا عليـه شهادةُ زُورٍ أو ظَنينًا (٥) فى وَلَاءٍ أو نَسَبٍ ، فانَّ الله تولّى منكم السَّرائِرَ ودرأ (٦) بالبيِّنَات والأَيمانِ . وإياك والقَلَقَ والضجرَ (٧) والتَّأذِّىَ بالخُصُوم والتنكُّر عنـد الخصومات ، فان الحقَّ فى مواطن الحق يُعْظِمُ الله به الأجرَ ويُحْسِنُ به الذُخرَ ، فن صَحَّت نيته وأَقْبَلَ على نفسه كفاهُ اللهُ ما بينه

(١) آس بين الناس : سو بينهم .
(٢) الحيف : الميل أى ميلك معه لشرفه .
(٣) تلجلج : تردّد حتى كان موضع حيرة .
(٤) الكتاب : القرآن الكريم والسنة ما أثر عن النبي من قول أو فعل أو تقرير .
(٥) ظنين : متّهم أى ينتسب الى غير أبيه أو يدعى الى غير مواليه ، فليس أهلا للشهادة .
(٦) درأ : دفع يريد منع الحدود .
(٧) القلق والضجر : ضيق الصدر وقلة الصبر .

وبينَ الناسِ . ومن تَخَلَّق (١) للناس بما يعلم الله أنه ليسَ من نفسه شَانَهُ (٢) الله ، فما ظنُّكَ بثوابِ غَيْرِ الله عزّ وجلّ فى عَاجِلِ رِزْقِه وخزائن رحمته (٣) ، والسلام .

وكتب الى أبى عبيدة ومعاذ بن جبل جوابا عن رسالتهما اليه ينصحانه :

بسم الله الرّحمن الرّحيم

من عُمر بنِ الخطاب الى أبى عُبيدَة عامر بن الجراح ومُعاذِ بن جَبل ، سلام عليكما فانى أحمد الله الذى لا إلهَ إلاّ هُوَ (أما بعد) فقد جَاءنى كتابكما تزعُمانِ أنه بَلَغكما أنى وَلِيتُ أمرَ هذه الأمة أحمرِها وأسودِها (٤) يجلِسُ بين يَدَىَّ الصديقُ والعدُو والشريفُ والوضيعُ ، وكتبتُما أنِ انظُرْ كيفَ أنت يا عُمرُ عند ذلكَ ، وإنّهُ لا حول ولا قُوّةَ لِعُمر عندَ ذلك إلا بالله . وكتبتُما تُحَذِّرَانى ما حُذِّرَتْ به الأمَمُ قبلَنا ، وقديما كان اختلافُ الليلِ والنهار بآجالِ الناس (٥) يُقرِّبَانِ كُلَّ بعيد ويُبْلِيان كُلَّ جديد ، ويأتيان بكل مَوعُود ، حتى يصير الناسُ الى منازِلهم من الجنةِ أو النار ، ثم تُوَفَّى كلُّ نفس بما كسَبت إن الله سريع الحساب . كتبتُما تزعُمان أن أمْرَ هذِه الأمة ، يرجع فى آخر زمانها أن يكونَ إخوانُ العَلَانيــة أعْدَاءَ السريرة ولستم بذلك . وليس هــذا ذَلِك الزمان ، ولكنّ زَمَان ذلك حينَ تظهر الرغبــة والرهبة ، فتكون رغبةُ بعض الناس الى بعض

(١) أى أظهر للناس فى خلقه خلاف نيته .

(٢) شانه : ضد زانه والمراد قبحه وأظهر نفاقه .

(٣) يريد ماذا يكون ثواب الناس بجانب رزق الله فى الدنيا و رحمته فى الآخرة .

(٤) الأحمر كناية عن العجم ، والأسود كناية عن العرب والمراد جميع المسلمين .

(٥) اختلافهما بآجال الناس الخ : تعاقبهما على قضاء الأعمار .

إصلاح دينهم ورَهبةُ بعض الناسِ إصلاح دُنياهم . وكَتَبْتُما تُعوِّذانى بالله أن أُنْزِل كتابكما مِنّى سِوَى المنزل الذى نَزَل من قُلُوبكما . وانما كتبتما نصيحةً لى . وقد صدقتما . فَتعهّدانى منكما بكتاب؛ فلا غِنًى بى عنكما . والسلام عليكما !

(٥) من خطب عثمان بن عفّان(١) :

إنَّ لكل شيء آفة . وإن لكلّ نعمة عاهةً . وإن آفة هــذه الأمة وعاهة هذه النعمة عَيّابُون طَعّانُون؛ يظهرون لكم ما تحبون، ويُسِرُّون ما تَكْرهُونَ، يقولون لكُمْ وتَقُولون، طَغَامٌ(٢) مثلُ النَّعامَ، يتّبعُون أوّلَ ناعق، أحبُّ مواردهم اليهم النازح(٣). لقد أقررتم لابنِ الخطّاب بأكثرَ ممّا نَقَمْتُم علىَّ، ولكنه وقَمَكُمْ(٤) وقَمَعَكُمْ وزجركم زجر النَعَامِ المُخَزَّمةِ؛ واللهِ إنى لأقربُ ناصرا وأعز نفرا، وأقْمَنُ إن قلتُ هَلُمَّ! أن تجاب دَعوتِى من عُمَر. هل تَفْقِدُون من حُقوقكم شيئا؟ فما لى لا أفعلُ فى الحق ما أشاء؟ إذًا فَلِمَ كنتُ إماما؟

---

(١) هو أمير المؤمنين عثمان بن عفان الأموى القرشى . ولد فى الجاهلية وسبق الى الاســلام، وأبلى فى نصرته . ثم ولى الخلافة بعد عمر بطريق الانتخاب الشورى . و بعد مدّة ثار عليه أعراب من مصر والعراق بحجة إيثاره أقاربه . وحاصروه فى داره بالمدينة وقتلوه سنة ٣٥ هـ . وكان من أبلغ الناس وأوجزهم لفظا وأسلسهم أسلوبا بحكم نشأته القرشية ودراسته القرآن الكريم .

(٢) الطغام : أراذل الناس للواحد والجمع .

(٣) النازح : الناضب من نزحت البئر قل ماؤها أو نفد ومن معانيها البعيد جدا .

(٤) وقمكم : قهركم .

كتابُه الى عليّ يستنجده حين أحيط به :

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ فقد بلغ السيلُ الزُّبى[1]، وجاوز الحزامُ الطُّبيين[2]، وطمع فيّ من لا يدفعُ عن نفسه، ولم يغلبْكَ مثلُ مُغلَّب[3]. فأقبلْ إليَّ صَديقًا كنتَ أو عدُوا .

فان كُنْتُ مأكُولًا فكُنْ خيرَ آكلٍ وإلَّا فأدرِكْنِي ولمَّا أُمزَّقِ

(٦) بلغ عليَّ بن أبي طالبٍ[4] أن خَيلا لمعاوية وردت الأنبار، فقتلوا عاملا له يقال له حسان بن حسان، فخرج مُغضَبا وخطب الناس

أما بعدُ، فإن الجهادَ بابٌ من أبوابِ الجنة، فتحه اللهُ لخاصَّةِ أوليائه وهو لباسُ التقوى ودِرْعُ اللهِ الحَصينةُ وجُنَّتُه[5] الوثيقةُ ؛ فمن تركَهُ رغبةً عنه ألْبَسه اللهُ ثوبَ الذُّلِّ، وشَمِلَهُ البلاءُ، ودُيِّثَ[6] بالصَّغار والقَماءة، وضُرِبَ على قلبِه بالأسداد ، وأديلَ

---

(١) الزبى : جمع زبيـة : مصيدة الأسد وتكون فى قلة أو رابية أو هضبة : والتركيب : كناية عن بلوغ الشدة أقصاها كما يصل السيل الزبية .

(٢) الطبيان مثنى طبي والجمع أطباء : مواضع الاخلاف (حلمات الضرع) ومجاوزة الحزام الطبيين كناية عن الإشراف على الهلاك .

(٣) المغلب : الضعيف الذى يغلب كثيرا ، فاذا قدر عليك لا يرجع عنك . وهـذا معنى ولم يغلبك مثل مغلب .

(٤) ولد على بن أبي طالب قبيل الاسـلام ونشأ فى بيت مجد وشرف وكان أول من أسلم من الصبيان ثم صاحب الدولة الاسلامية فى أوليتها مجاهدا وناصرها بعـد وفاة الرسول حتى اذا قتل عثمان و بايعه أهل الحجاز قام فى وجهه معاوية ينازعه الخلافة وكانت بينهما فتن وحروب ومكاتبات الى أن قتل على غيلة سنة ٤٠ هـ بمسجد الكوفة وكانت هذه الحياة العنيفة سبب نبوغه فى الخطابة وتملكه زمام البلاغة التى تنطق بها آثاره الصحيحة .

(٥) الجنة : الوقاية .

(٦) ديث : ذلل . والقماءة : الذل والمهانة .

الحقُّ مِنهُ بتضييع الجهاد، (١) وسيمَ الخسفَ، ومُنِـعَ النَّصَفَ (٢) . ألا وَإنِّى قد دعوتُكم إلى قتـالِ هؤلاءِ القومِ ليـلاً ونهارا ، وسِرا وإعلانا ، وقلتُ لكم : اغزُوهُمْ قبـل أنْ يَغْزُوكُمْ ؛ فوالله ماغُزِىَ قومٌ قط فى عُقْرِ (٣) دارهم إلا ذَلُّوا . فتواكلتم وتخاذلتم (٤) حتى شُنَّتْ الغَارَاتُ عَليكُم، ومُلِكَتْ عَلَيكُمُ الاوطانُ . وهذا أخو غَامِد (٥) قـد وردت خيلُه الأَنْبَـار (٦) وقد قَتَـل حَسَّانَ بن حَسَّانِ البَكرِىِّ، وأزال خَيْلَكُمْ عن مَسَالِحِها (٧) . ولقد بَلَغنى أنَّ الرجلَ منهم كان يَدخُل على المرأةِ المسلمةِ والأخرى المُعَاهِـدَة ، فَينْتَزِعُ حِجْلَهَا (٨) وقُلُبَهَـا (٩) وقلائدَهَا ورِعَاثَهَا (١٠) ، ما تَمْنَعُ عنـه إلا بالاسْتِرْجَاعِ (١١) والاسـترْحَامِ . ثم انصرَفوا وافرين (١٢) ، ما نال رجُلا منهـم كَلْمٌ (١٣) ، ولا أُرِيقَ لهم دم، فلو أنّ امرءًا مُسْلِمًا ماتَ من بعدِ هذا أسَفًا ما كانَ به مَلُومًا ، بل كان به عندى

(١) أى صارت الدولة للحق بدله .

(٢) النصف : العدل .

(٣) عقر الدار : وسطها وأصلها .

(٤) تواكلتم : اتكل كل على الآخر . وتخاذلتم : خذل كل صاحبه .

(٥) هو سفيان بن عوف بعثه معاوية مغيرا على العراق .

(٦) الأنبار : بلدة على الشاطئ الشرقى للفرات .

(٧) المسالح : جمع مسلحة وهى الثغر حيث طروق الأعداء .

(٨) الحجل : الخلخال .

(٩) القلب : السوار .

(١٠) الرعاث : جمع رعثة بالفتح وتحرك : القرط .

(١١) الاسترجاع : قول (إنا لله وإنا اليه راجعون)

(١٢) أى لم ينل أحد منهم فى مال أو بدن .

(١٣) الكلم : الجرح .

جَديرا ! فياعَجبا والله يُميت القلبَ ويَجْلِبُ الهم : اجتماعُ هؤلاء القوم على باطلهم وتفرّقُكُم عن حقّكم ، فقُبحا لكم وتَرَحا (١) حين صرتم غَرضًا يُرْمى ، يُغَار عليكم ولا تُغيرون ، وتُغزَوْنَ ولا تَغزُون ، ويُعصَى اللهُ وتَرْضَوْن ، فإذا أمرتكم بالسير إليهم فى أيام الحرّ قلتم : هذه حَمارّةُ القيظ (٢) ، أَمهِلنا ينسلخ (٣) عنا الحَرُّ . وإذا أمرتكم بالسير إليهم فى الشتاء قُلتم : هذه صَبارّةُ القُرِّ (٤) ، أمهِلْنا يَنْسَلِخْ عنا البردُ . كلُّ هذا فرارًا من الحر والقُرّ فأنتم والله من السيف أفرُّ . يا أشباهَ الرجالِ ، ولا رِجال ! حُلومُ الأطفال ، وعُقُولُ رَبّاتِ الحِجَالِ (٥) . لوددت أنّى لم أركُمْ ولم أعرفْكم معرفةً والله جَرّتْ نَدَمًا ، وأعقَبَتْ سَدَمًا (٦) . قاتلكم الله ! لقد ملأتُم قلبي قَيْحًا ، وشَحَنْتُمْ صدرى غَيْظًا ، وجرعتمونى نُغَبَ التَّهْمام (٧) أنفاسًا ، وأفسدتُم علىَّ رأيِى بالعصيان والخذْلان ، حتى لقد قالتْ قُريش : إن ابنَ أبى طالب رجل شجاع ، ولكن لا علْمَ له بالحرب ، لله أبوهم ! وهل أحدٌ منهم أشدُّ لها مِراسًا وأَقْدمُ فيها مَقامًا منّى ؟ لقد نَهَضتُ فيها وما بَلَغْتُ العِشْرين وهأنذا قد ذَرَّفْتُ (٨) على الستين ، ولكن لا رَأْيَ لمن لا يطاع (٩) .

---

(١) الترح بالتحريك : الهم أو الفقر .

(٢) حمارة القيظ : شدّة الحرّ .

(٣) ينسلخ : يخف ويسكن .

(٤) أى شدّة البرد .

(٥) ربات الحجال : النساء . والحجال جمع حجلة : القبة ، وموضع يزين بالستور للعروس .

(٦) السدم : الهم أو مع أسف وغيظ .

(٧) النغب : جمع نغبة : الجرعة . التهمام : الهم .

(٨) ذرفت : زدت .

(٩) أى لا ينفع رأى للذى لا يسمع له .

وكتب الى مُعاوية جوابا عن كتاب منه (١) :

أمَّا طَلَبُكَ إلىّ الشامَ فإنى لم أكُنْ لأعطِيَكَ اليوم مامَنَعْتُكَ أَمسِ . وأما قولُكَ إنَّ الحربَ قد أكَلَتِ العربَ إلا حُشَاشَاتِ (٢) أنْفُسٍ بَقِيَت، ألَا وَمَنْ أكَلَهُ الحقُّ فإلى الجنة، ومن أكَلَهُ الباطلُ فإلى النار . وأما اسْتواؤُنا فى الحرب والرجال فلستَ بأمضى على الشكِّ مِنِّى على اليقين ، وليس أهْلُ الشام بأحرصَ على الدُّنيا من أهل العِراقِ على الآخرة . وأما قولُك إنّا بنو عبد مناف فكذلك نحن ولكن ليس أُمَيَّةُ كهاشم، ولا حَرْبٌ (٣) كعبد المطلب، ولا أبو سفيان كأبى طالب . ولا المهاجر كالطليق (٤)، ولا الصريح كاللَّصيقِ (٥) ، ولا المُحقّ كالمُبطِلِ، ولا المؤمن كالمُدْغِلِ (٦)، ولبئس الخَلَفُ يتبع سَلَفًا هَوَى فى نَارِ جهنَّم . وفى أيدينا بعدُ فَضْلُ النُّبوَّةِ التى أذللنا بها العزيز ونَعَشْنَا بها الذليلَ . ولمَّا أدخل الله العرب فى دينه أفْوَاجًا أسْلَمَتْ له هذه الأُمَّةُ طوعًا وكَرْهًا وكنتم مِمَّن دخل فى الدِّينِ إما رغبة و إما رهْبَةً (٧) على حين فازَ أهلُ السَّبقِ بسبقِهم وذهب المهاجرون الأوّلون بفضلهم ، فلا تَجْعَلْ للشيطان فيك نصيبًا ولا على نفسك سبيلا .

(١) كتب معاوية الى على يطلب منه أن يترك له الشام و يدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحروب و يخوّفه و يذكر له أنهما من شجرة واحدة فأجابه على بهذا الكتاب .

(٢) حشاشات : جمع حشاشة : بقية الروح .

(٣) حرب : جدّ معاوية، وعبد المطلب : جدّ على .

(٤) الطليق : من أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية . ومن ذلك معاوية وأبوه .

(٥) الصريح : صحيح النسب فى ذوى الحسب . واللصيق : من ينتمى اليهم وهو أجنبى .

(٦) المدغل : المفسد .

(٧) أى رغبة فى خير أو خوفا من شر أي غير مخلصين .

(٧) خطبة معاوية حين قدم المدينة عام الجماعة [١]

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أما بعد، فإني والله ما وَليتُها [٢] بمحبة علمتُها منكم، ولا مسرةٍ بولايتي؛ ولكن جالَدتُكم [٣] بسيفي هذا مُجالَدَةً . ولقد رُضْتُ [٤] لكم نفسي على عمل ابن أبي قُحَافة [٥] ، وأردتها على عمل عُمَــرَ فنفرت من ذلك نِفارًا شديدًا ، وأردتها على سُنَيَّات عثمان فأَبَتْ عليَّ . فسلكت بهــا طريقا لى ولكم فيه منفعةٌ ، مؤاكلةٌ حسنة ومشاربة جميلة . فإن لم تجدونى خيرَكم فإني خيرٌ لكم ولاية . والله لا أحمــل السيف على من لا سيف له . وإن لم يكن منكم إلا ما يَسْتَشفِي به القائل بلسانه فقــد جعلت ذلك له دَبْرَ أذنى [٦] وتحت قدمي . وإن لم تجدونى أقومُ بحقكم كلِّه فاقبلوا منى بعضَه . فإن أتاكم منى خيرٌ فاقبلوه؛ فإن السيل إذا جاء أثرى ، وإن قَلَّ أغنى [٧] . وإياكم والفتنَة فإنها تُفْسِدُ المعيشة وتكدِّر النعمة .

---

(١) هو معاوية بن أبي سفيان بن حرب الأموى القرشي ولد إبان ظهور الاسلام وورث عن أهله حصافة وحسن حيلة . كان يتطلع الى الملك فلما مات عثمان ، وكان هو على الشام نازع عليا الخلافة . وكانت بينهما أحداث وفتن استعان معاوية فيها بدهائه حتى اذا قتل علي وخلفه الحسن وشغب عليه جنده صالح الحسن ابن علي معاوية عام ٤١ هـ . وقد سمى عام الجماعة ، وبذلك قامت الدولة الأموية على يد معاوية وكانه معاوية بليغا وان كان لا يبلغ شأو علي ومات سنة ٦٠ هـ .

(٢) أى الخلافة .

(٣) جالدتكم : ضاربتكم .

(٤) ذللتها ومرنتها .

(٥) هو أبو بكر أول الخلفاء .

(٦) دبر أذنى : خلفها ، أى أتركه .

(٧) أثرى الناس : جعلهم أثرياء . وأغناهم جعلهم مكتفين لا يحتاجون .

(٨) خطبة زياد[١] البتراء بالبصرة حين قدم واليا عليها من قبل معاوية

أما بعدُ، فإن الجهالةَ الجَهْلاءَ[٢]. والضلالةَ العَمياء[٣]، والغيَّ المُوفِيَ بأهله على النار، ما فيه سُفهاؤكم ويشتملُ عليه حُلَماؤكم[٤]، من الأمور العظام، ينبُت فيها الصغيرُ، ولا يَتحاشى عنها الكبيرُ، كأنكم لم تقرءوا كتابَ الله، ولم تسمَعُوا ما أعد الله من الثّواب الكريم لأهلِ طاعتِه، والعذابِ العظيم لأهلِ معصيته، فى الزمن السَّرْمدى[٥] الذى لا يزول. أتكونون كمَن طرفَتْ عينَيْه الدنيا، وسدَّتْ مسامعه الشهواتُ[٦]، واختارَ الفانيةَ على الباقية، ولا تَذكرون أنكم أحدثْتُمْ فى الإسلام الحدَثَ الذى لم تُسبَقوا اليه، من تركِكم الضعيفَ يُقهر ويؤخذُ مالُه. ما هذه المواخيرُ[٧] المنصوبة، والضعيفةُ المسلوبة فى النهار المبصر، والعددُ غيرُ قليل؟ ألم يكن منكم نُهاةٌ تمنَعُ الغُواةَ عن

---

(١) ينتسب زياد ابن أبيه الى أبى سفيان. ولد فى السنة الأولى للهجرة. وكان منذ صغره ذكيا هماما سديد الرأى ولى بعض الأعمال فكان مثال الصرامة والكياسة. ثم استلحقه معاوية أخا له بعد مقتل على. وبقى من رجال الدولة المعدودين حتى مات سنة ٥٣ هـ. وتدل خطبة زياد على شخصية عنيفة صارمة فيها للدين وللسياسة، تعد حلقة الاتصال بين عمر بن الخطاب والحجاج ويعتمد فى تأثيره الخطابى على الارهاب والوعيد فى أسلوب جزل. وقالوا: انما سميت خطبته هذه البتراء لعدم بدئها بحمد الله وقيل غير ذلك.

(٢) جهالة جهلاء: شديدة مثل ليلة ليلاء

(٣) الضلالة العمياء: التى لا هدى معها.

(٤) السفيه: سيء الخلق وضدّه الحليم.

(٥) السرمدى: الدائم.

(٦) كناية عن تمكن الشهوات من نفوسهم وانصرافهم الى متاع الدنيا.

(٧) المواخير: جمع ماخور: بيت الريبة والفحش.

دَلَجِ الليل وغارةِ النهار(١)، قرّبتم القرابة، وباعدتُم الدينَ، تعتذِرون بغيرِ العُذر، وتَغضُّون على المختلس، كلُّ امرئ منكم يذُبّ عن سفيهه، صنيعَ مَن لا يخافُ عاقبةً، ولا يرجو معادًا، ما أنتم بالحلماء، ولقد اتّبعتم السفهاء فلم يزَلْ بكم ما ترَون من قيامكم دُونهم(٢) حتى انتهكوا حُرَم الإسلام، ثم أطرقُوا وراءكم كُنوسا فى مَكَانِس الرِّيَب(٣). حرامٌ علىَّ الطعامُ والشَّرابُ حتى أُسَـوِّيَها بالأرض هَدْمًا وإحراقًا. إنى رأيت آخر هذا الأمر لا يَصلُح إلا بما صَلَحَ به أوّلُه: لين فى غَيرِ ضعف، وشِدّةٌ فى غير عنف. وإنى أُقسِمُ بالله لآخُذَنَّ الولِيَّ بالمَوْلَى(٤)، والمُقيمَ بالظّاعِن، والمُقبِل بالمُدبِر، والمطيعَ بالعاصى، والصحيحَ بالسقيم، حتى يلقى الرجلُ منكم أخاه فيقول: انْجُ سَعْدُ فقد هلك سُعَيدُ(٥) أو تستقيمَ قَناتُكم(٦)! إنّ كِذْبَةَ الأميرِ بلقاءُ مشهورة، فاذا تعلّقتم علىَّ بِكذبةٍ فقد حلّتْ لكم معصيتى، فاذا سمِعْتُموها منى فاغتمزوها فِىَّ(٧)، واعلموا أنّ عندى أمثالَها. مَن نُقِبَ منكم عليه فأنا ضَامِنٌ لمـا ذهب من مَالِه. فإيّاىَ ودَلَجَ الليلِ، فإنى لا أُوتَى بمُدلِـجٍ إلا سَفَكْتُ دمه، وقد أجّلتُكُم فى ذلك بمقدار مايأتى الخبرُ الكوفةَ ويرجع اليكم. وإياى ودَعْوَى الجاهلية(٨)، فإنى لا أجد أحَدًا دعا بها إلا قَطَعْتُ لسَانَهُ. وقد أحدثتم أحداثًا لم تكن،

(١) دلج الليل: السير فيه. والمراد التلصص والفتك.

(٢) قيامكم دونهم: دفاعكم عنهم.

(٣) الكنوس: جمع كانس، وهو الظبى يدخل فى كناسه أى مأواه. والمراد أنهم عكفوا على المعاصى.

(٤) الولى: السيد. والمولى: العبد. والمراد أنه يأخذ السيد بذنب عبده. وكذا الباقى.

(٥) مثل يضرب لتتابع الشر. وأصله أن أخوين خرجا فى طلب إبل لهما فرجع سعد ولم يرجع سعيد.

(٦) المراد حتى تستقيموا. وشبههم بالقناة وهى عود الرمح.

(٧) اغتمزوها فى: عدوّها من عيوبى.

(٨) دعوى الجاهلية: كناية عن التناصر بتأثير العصبية سفها وجهالة، وأصلها يا لفلان استغاثة.

وقد أحدثنا لكلِ ذنب عقوبةً ؛ فمن غرَّق قومًا أغرقناه، ومن أحرق قومًا أحرقناه، ومَن نَقَبَ بيتاً نقّبنا عن قلبه، ومَن نبش قبراً دفنّاه فيــه حياً . فكُفّوا عنّى أيديكم وألسنتكم أكْفُفْ عنكم يدى ولسانى . ولا تظهرْ من أحدكم ريبةٌ بخلاف ما عليــه عامّتكم إلا ضربتُ عنقَه . وقد كانت بَينِى وبين أقوامٍ إحَنٌ (١)، فجعلتُ ذلك دَبْرَ أذُنى (٢) وتحت قدمى . فمن كان منكم محسنًا فليزددْ إحساناً، ومن كان منكم مُسيئا فلينزعْ عن إساءته . إنّى لو علمتُ أنّ أحدكم قد قتلَه السُّل من بُغْضى لم أكشف له قِناعا، ولم أهتِك له سِتْرًا حتى يبْــدِىَ لى صفحته (٣)، فإذا فعَلَ ذلك لم أُناظِرْه . فاستأنفوا أموركم، وأعِينُوا على أنفسكم، فربَّ مُبتئِس بقدومِنا سيُسَرُّ ومسرورٍ بقدومنا سيبتئس . أيُّها الناس! أنَّا أصبحنا لكم ساسةً، وعنكم ذادةً (٤) : نَسُوسُكم بسلطان الله الذى أعطانا، ونذود عنكم بفَىْء الله (٥) الذى خوّلنا، فلنا عليكم السمعُ والطاعةُ فيما أحْبَبْنا، ولكم علينا العدلُ فيما وَلِينا، فاستوجِبوا عدلنا وفيأنا بمُناصَحتِكم لنــا . واعلموا أنى مهما قصّرت عنــه فلن أقصّر عن ثلاث : لستُ محتجِبًا عن طالِب حاجةٍ منكم، ولو أتانى طارقًا بليل، ولا حابِسًا عطاءً ولا رزقًا عن إبّانه (٦)، ولا مُجمِّرًا (٧) لكم بعثًا . فادعُوا الله بالصلاح لأئمّتكم، فإنهم ساسَتكم المؤدّبون لكم، وكَهْفُكم الذى اليــه تأوون، ومتى يصلُحوا

(١) الإحن : جمع إحنة : الحقد .

(٢) أى خلفها : والمراد أنى طرحت ذلك .

(٣) صفحة الرجل : عرض وجهه . والمراد حتى يجهر بالعداوة .

(٤) ذادة : حماة، جمع ذائد أى مدافع .

(٥) الفىء : مال الخراج أو الغنيمة و يطلق على الظل كناية عن الحمى .

(٦) إبان الشىء : أوانه .

(٧) تجمير الجند أو البعث حبسهم فى أرض العدوّ .

تَصلُحوا . ولا تُشرِبُوا قلوبَكم بُغْضَهم فيشتد لذلك غيظُكم، ويطُول له حُزْنُكم، ولا تُدرِكُوا حاجتكم، مع أنه لو استُجيبَ لكم فيهم لكان شرًّا لكم (١) . أسأل الله أن يُعين كُلًّا على كُلٍّ . واذا رأيتُمونى أُنفِذُ فيكم الأمر فأنفذوه على أَذْلالِه (٢) . وايمُ الله إن لى فيكم لَصَرعَى كثيرةً، فليحذَرْ كل امرئ منكم أن يكون من صَرْعاى .

(٩) خطبة عبد الله بن الزُّبير بعدَ أن قُتِل أخُوه مُصْعَب (٣)

الحمد لله الذى لَهُ الخَلْقُ والأمر ومُلْكُ الدنيا والآخرة يُعِزُّ مَن يشاء ويذلُّ من يشاء . ألا إنه لم يَذِلَّ والله مَنْ كانَ الحقُّ مَعَــهُ، وإن كان مُفْرَدًا ضَعيفًا، ولم يَعِزَّ مَن كانَ الباطلُ مَعَهُ، وإن كانَ فى العُدَّةِ والعَدد والكَثْرة . إنه قد أتانا خبرٌ مِنَ العِراق بلدِ الغَدْرِ والشِّقَاقِ، فساءنا وسرنا : أتانا أنَّ مُصعبًا قُتِل، رحمةُ الله عليه ومغفرتُه، فأما الذى أحزننا من ذلك فإن لفِراق الحميم لَذْعَةً يجدها حَميمُه عند المصيبة، ثم يرعَوِى (٤) بعدُ ذُو الرأى والدين الى جَميل الصبر، وأما الذى سرَّنا منه فإنا قد علمنا أن قَتْلَهُ شهادةٌ لَهُ وأنه عز وجل جاعلٌ ذلك لنا وله ذخيرة إن شاء اللهُ تعالى . إن أهلَ

---

(١) أى لو دعوتم عليهم فهلكوا لا تجدون عوضا عنهم .

(٢) أى على طرقه ووجوهه .

(٣) هو عبد الله بن الزبير بن العوام يكنى أبا بكر وأبا خبيب . ولد بعد الهجرة بقليل، وكان شجاعا باسلا خرج على بنى أمية وطلب لنفسه الخلافة . واستمر تسع سنين استولى فيها على الحجاز والعراق واليمن ومصر واستمر يناجز جيوش الدولة حتى أرسل اليه عبد الملك بن مروان الحجاج فحاصره بمكة مدة حتى قتل ابن الزبير سنة ٧٤ هـ . وكان مصعب أخوه واليا على العراق من قبله حتى دهمته جيوش عبد الملك وقتلته نحو السنة الثانية والسبعين للهجرة .

(٤) يرعوى : يرجع .

العِراقِ أَسـلَمُوه ، وباعوه بأقل ثمن . لقد قُتِلَ أبوهُ وعَمُّـه وأخُوه وكانوا خِيار الصالحين . إنّا واللهِ ما نموت حَتْفَ أُنُوفِنَا (١) ، ما نَموتُ إلا قتلا ، قَعْصًا (٢) بالرِّماحِ وتحت ظِلالِ السُّيوف ، وليس كما يموت بنو مروان ، والله ما قُتِلَ منهم رجل فى جاهليـة ولا إسلامٍ قَطُّ . وإنمـا الدنيا عَارِيَةٌ (٣) من الملِكِ القهار الذى لا يزول سلطانه ، ولا يَبِيدُ مُلْكُه ، فإن تُقْبِلِ الدنيا علىّ لا آخُذهَا أخذ الأَشِر البَطِر (٤) ، وإن تُدْبِر عنّى لا أبْكِ عليها بكاءَ الخَرِفِ المهين (٥) .

(١٠) خطبة لِقَطَرِىّ بن الفُجَاءة (٦)

حمد الله وأثنى عليه ثم قال :

أمّا بعدُ ، فإنى أُحَذِّرُكُم الدُّنْيَا فإنها حُلْوةٌ خَضِرةٌ ، حُفَّتْ بالشهوات ، ورَاقَتْ بالقَليل (٧) وتَحَبَّبتْ بالعاجِلة ، وحَلِيتْ بالآمال ، وتَزَيَّنَتْ بالغرور . لا تَدُوم حَبْرتُها (٨) ، ولا تُؤْمَن فَجْعَتُها ، غَرَّارَةٌ ضَرَّارة ، خوّانة غَدّارة ، وحائلة (٩) زائلة ، ونافدةٌ بائدة ، أَكّالةٌ غوّالةٌ .

(١) مات حتف أنفه : على فراشه .

(٢) قعصه بالرمح : قتله فى مكانه .

(٣) أى شىء مستعار .

(٤) بطر بالنعمة : طغى بها . والأشر : المرح .

(٥) الخرف : فاسد العقل . والمهين : الذليل الوضيع .

(٦) قطرى بن الفجاءة المازنى خطيب شاعر من أبطال الخوارج وقادتهم وبلغائهـم . خرج زمن بنى أمية ، ودعا لنفسـه بالخلافة عشرين سـنة حتى قتل بطبرستان سـنة ٧٩ هـ . وقد ترجمنا له فى قسم شعراء السياسة .

(٧) راقت الأعين بقلة متاعها ، وتحببت الى النفوس بكونها عاجلة ليست آجلة كالأخرى .

(٨) حبرتها : نعمتها . (٩) حائلة : متغيرة .

لا تَعْدُو إذا هي تناهت إلى أُمنيّة أهل الرغبة فيها والرضا عنها أن تكونَ كما قال الله تعالى (١) ﴿ كماءٍ أنزلناهُ من السماءِ فاختلَطَ به نباتُ الأرضِ فأَصْبح هشيما (٢) تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وكان اللهُ على كُلِّ شيءٍ مقتدرا ﴾ مع أنَّ امرأً لم يكن منها في حَبْرةٍ إلَّا أَعْقَبَته بعدها عَبرة (٣)، ولم يلق من سرَّائها بطنًا إلَّا منحته من ضرَّائها ظهرا (٤)، ولم تَطُلَّه فيها غَيْثَةُ رخاء إلا هَطَلت عليه مُزْنَةُ بلاء (٥). وحرِيٌّ إذا أصبحتْ له مُنتصِرةً أن تُمسى له خاذِلةً متنكِّرةً، وإنْ جانبٌ منها اعْذَوْذَبَ (٦) واحْلَولى. أمَرَّ عليه جانب وأَوْبا (٧). وإن آتتْ امرأً من غضارتها (٨) ورفاهتها نِعمًا أرهقته من نوائبها نِقمًا. ولم يُمْسِ امرؤٌ منها في جناح أمن إلا أصبح منها على قوادِم (٩) خوفٍ. غرَّارةٌ، غَرورٌ ما فيها؛ فانٍ ما عليها، لا خير في شيء من زادها إلا التقوى. من أقلَّ منها استكثر مما يُؤَمِّنه؛ ومن استكثر منها استكثر مما يُوبِقُه (١٠) ويُطيل حُزنه، ويبكى عينيه. كم واثقٍ بها قد فجعتْه، وذى طُمأنينة إليها قد صرَعتْه، وذى احتيالٍ فيها قد خدعتْه، وكم مِنْ ذِى أُبَّهةٍ بها، قد صيرَّته حقيراً وذِى نَخْوةٍ قد ردَّته ذليلا.

---

(١) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تجاوز وصف الله تعالى لها بهذه الآية.

(٢) الهشيم: النبت اليابس المكسر.

(٣) العبرة: الدمعة قبل أن تفيض أى أحزنته.

(٤) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والإدبار.

(٥) طلت السماء الأرض: قطرت عليها الطل. والطل: المطر الضعيف. والمزنة: السحابة الممطرة.

(٦) أى عذب. (٧) أوبا: أصله أوبأ أى صار ذا وباء.

(٨) الغضارة: النعمة والسعة والخصب.

(٩) القوادم: الريش الكبير فى مقدّم الجناح، و يقابلها الخوافى.

(١٠) يوبقه: يهلكه.

(١١) خطبة للحجاج حين ولى العراق [١]

أنا ابن جَلَا وطلَّاعُ الثَّنَايا مَتَى أضَعِ الْعِمامَةَ تعرِفُونِى (٢)

يأهـل الكوفة ! إنى لأرى رءوسا قد أينعت (٣) وحان قطافها ، وإنى لصاحبها . وكأنى أنظر إلى الدماء بين العمائم واللحى .

ثم قال :

هذا أوان الشَّدّ فاشْتَدّى زِيَمْ قد لَفَّها اللَّيْـلُ بسَوَّاقٍ حُطَمْ (٤)
ليس براعى إبـلٍ ولا غـنم ولا بجـزَّارٍ على ظَهْـرِ وَضَمْ (٥)

ثم قال :

قد لَفَّهَا الليل بِعَصْلَبِيّ أَرْوَعَ خَرَّاجٍ من الدَّوِّيّ (٦)
مُهاجرٍ ليس بأعرابِيّ

---

(١) يعدّ الحجاج بن يوسف الثقفى ثالث ثلاثة طبعوا الخطابة الإسلامية طابعا خاصا فى عهـدها الأوّل ، أوّلهم على بن أبى طالب ، وثانيهم زياد . وقد شب الحجاج شجاعا داهية عنيفا . وحاكما مستبدا . خدم بنى أمية ولا سيما عبد الملك فى توطيد الملك وإسكان الثورات حتى مات سنة ٩٥ هـ . وتدل خطبته على خواصه النفسـية ومذهبه فى السياسة والحكم ، وأسلوبه الفنى الذى يعتمد على الإرهاب وعلى التفخيم اللفظى وبهذه الخاصة الأخيرة يمتاز عن زياد كما يمتاز بنفس جاهلية عنيفة .

(٢) ابن جلا : أى ابن رجل جلا الأمور وكشف الصـعاب . الثنايا جمع ثنيـة : وهى الطريق فى الجبل أو الجبل نفسه ، والمراد : القادر الشجاع .

(٣) أينعت : أدركت ونضجت .

(٤) زيم : اسم فرس أو ناقة . ولفها : جمعها . والحطم الذى لا يبقى من السير شيئا .

(٥) الوضم : ما يقطع عليه اللحم .

(٦) العصلبي : الشديد . والأروع : الذكى . والدوّى : الصحراء المتسعة . والمراد الخرّاج من كل غماء شديدة .

وقال :

قد شمّرتْ عن ساقِها فشُدُّوا ⁽¹⁾ وجدّتْ الحربُ بكم فجِدُّوا
والقوسُ فيها وترٌ عُرُدُّ ⁽²⁾ مثلُ ذِراعِ البَكْرِ أو أشدُّ
لا بُدَّ ممّا ليسَ منه بُدٌّ ⁽³⁾

إنّي واللهِ يأهلَ العراقِ ما يُقعقَعُ لي بالشِّنانِ ⁽⁴⁾ ، ولا يُغمزُ جانبي كتَغمازِ التِّين . ولقد فُرِرتُ عن ذكاءٍ ⁽⁵⁾ ، وفُتِّشتُ عن تجربة . وإن أميرَ المؤمنين — أطال الله بقاءه — نثرَ كِنانتَه بين يديه ، فعجمَ عيدانَها ⁽⁶⁾ ، فوجدني أمرَّها عُودًا ، وأصلبَها مَكسِرًا ⁽⁷⁾ ، فرماكم بي ؛ لأنّكم طالما أوضعتُم في الفتنة ⁽⁸⁾ ، واضطجعتُم في مراقد الضّلال . واللهِ لأحزِمَنّكم حَزمَ السَّلَمة ⁽⁹⁾ ، ولأضرِبنّكم ضربَ غرائبِ الإبلِ ⁽¹⁰⁾ ؛ فإنكم لكأهلِ قريةٍ كانت آمنةً مطمئنةً يأتيها رِزقُها رَغَدًا من كُلِّ مكانٍ فكفَرتْ بأنعُمِ الله فأذاقها الله لباسَ

---

(١) شمر عن ساقه : اهتم وجد ؛ كناية عن قيامها .

(٢) عرد : شديد . البكر : الفتى من الإبل .

(٣) أى لا بدّ من وقوع المحتم .

(٤) الشنان جمع شن : وهو الجلد اليابس إذا قعقع أى ضرب نفرت الابل منه ؛ يضرب ذلك مثلا لنفسه أى أنه لا يرهبه وعيد أو تخويف .

(٥) فرّ الدابة : كشف عن أسنانها لينظر ما سنها . وفرّ عن الأمر : بحث عنه . والمراد أن الخليفة اختاره حاكما لحدّة ذكائه وصحة تجاربه .

(٦) الكنانة : جعبة السهام . وعجم عيدانها : عضها لينظر أيها أصلب . وهذا وما بعده كناية عن أنه اختبر أعوانه فوجدنى أصلح لحكمكم .

(٧) أى أقواها .

(٨) أى أسرعتم فى الشر .

(٩) السلمة : نوع من الشجر تعصب أغصانه وتخبط بالعصى لسقوط الورق وهشم العيدان .

(١٠) وهى تضرب عند الهرب أو الخوض .

الجُوع والخوفِ بمـا كانوا يصنَعونَ . و إنى والله ما أقول إلا وفَيْتُ، ولا أهُمُّ إلا أَمضيتُ ، ولا أخلُق (١) إلا فَرَيْتُ (٢) . وإن أميرَ المؤمنين أمرنى بإعطائكم أَعْطياتِكُمْ ، وأن أوجهكُم لمحاربة عَدُوِّكم مع المُهلَّب بن أبى صُـفْرة (٣) . و إنى أقسمُ بالله لا أجِدُ رجلا تخَلَّف بعد أخذِ عطائه بثلاثة أيام إلّا ضربتُ عنقه .

(١٢) من رسالة عبد الحميد بن يحيى (٤) التى أوصى فيها الكتّاب

بِسم الله الرحمن الرحيم

أما بعدُ ـــ حَفِظكم اللهُ ياأهلَ صِناعَةِ الكتَابةِ وحَاطَكُم ووفّقكم وأرشدكم ـــ فإن اللهَ عزّ وجلّ جعلَ الناسَ بعد الأنبياء والمرسَلين صلوات الله وسلامُه عليهم أجمعين، ومِنْ بَعْدِ الملوك المكرَّمين أصنافا، و إن كانوا فى الحقيقة سواءً، وصَرَّفهم فى صُنُوف الصناعاتِ وضُرُوبِ المحاولات، الى أسبابِ مَعاشِهم ، وأبوابِ أرزاقهم، فجعلكم معشرَ الكُتَّاب فى أشرفِ الجهاتِ أهلَ الأدب والمُرُوءات والعِلم والرَّزانة، بكم تَنْتَظِم للخلافة مَحاسِنُها، وتَستقيم أمورُها ، وبنصائحِكم يُصْلِحُ الله للخلْقِ سُلْطَانَهم ، وتَعْمر

(١) خلق الأديم شقه . (٢) فريت : قطعت .

(٣) هو أبو سـعيد المهلب بن أبى صـفرة الأزدى البصرى قائد أموى ولد بالبصرة ونشأ فيها وظهر أمره بمقاتلة الخوارج . وقد ولاه الحجاج خراسان و بها مات سنة ٨٢ هـ .

(٤) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعيد العامرى نشأ بالأنبار من أرض العراق وشب معلم صبيان ثم صحب مروان بن محمد مدة ولايته أرمينية ثم مدة خلافته واستمر وفيا له فى محنته حتى قتلا سنة ١٣٢ هـ . ويعد عبد الحميد شيخ كتاب الرسائل فله الفضل فى تسليس أسلوبها وحسن تقسيمها ، وجعلها واضحة طبعية لايجاريه فى ذلك أحد وقد ذكرنا له فى الجزء الأول رسالة من قصار رسائله وله رسائل طوال منها رسالته الى الكتاب التى نورد هنا قسما منها .

بُلْدَانهم . لا يَسْتَغنِي المِلكُ عنكم، ولا يُوجَدُ كافٍ إلّا منكم؛ فموقعُكم من المُلوك موقعُ أسْمَاعِهم التي بها يَسْمعون، وأبصارِهم التي بها يُبصِرُون، وألسنتِهم التي بها ينطِقون، وأيديهم التي بها يبطِشُون (١) . فأمْتعكُمْ الله بمَا خصّكُمْ مِن فَضْلِ صِناعَتِكُمْ، ولا نَزَعَ عنكم، ما أَضْفَاهُ (٢) من النِّعْمَةِ عليكم . وليس أحد من أهل الصناعات كُلِّها أحْوَجَ الى اجتماع خِلال الخيرِ المحمودة وخِصال الفَضْل المذكورةِ المعدودة منكم، أيها الكُتّابُ : اذا كنتم على ما يأتى فى هذا الكتاب مِن صِفَتِكُمْ، فإن الكاتبَ يحتاجُ فى نفسِه ويحتاجُ منه صاحبُه الذى يثِقُ به فى مُهِمّاتِ أموره أن يكونَ حليماً فى موضِع الحِلم، فَهِيماً فى موضِع الحُكْم، مِقْدَاماً فى موضِع الإقدام، مِحْجَاماً فى مَوْضع الإِحجام، مُؤْثِراً للعَفَافِ والعَدلِ والإنْصَاف، كَتُوماً للأَسرارِ، وَفِيّاً عندَ الشدائد عالماً بمَا يأتِى من النَّوَازِل، يَضَعُ الْأمور فى مَوَاضِعِها والطَّوَارِقَ فى أماكِنها، قد نظر فى كُلِّ فَنٍّ من فُنونِ العِلْمِ فأحكَمَهُ، و إن لم يُحكِمه أخَذَ منهُ بمقدار ما يُكتَفَى به، يعرِفُ بغَرِيزَةِ عَقلِه وحُسْنِ أَدبِه وفضلِ تجربتِه ما يَرِدُ عليه قبل وُرُودِه، وعاقبة ما يَصْدُرُ عنه قَبْلَ صُدُوره؛ فيُعِدُّ لكلِّ أمرٍ عُدَّته وعَتَادَه، ويُهيِّئُ لكل وجه هيئَتَهُ وعادَتَه . فتَنافَسوا يا معشر الكُتّاب فى صُنُوفِ الآداب، وتفَهَّموا فى الدِّين وابدءُوا بعلم كتاب الله عزّ وجل والفرائض، ثم العربية؛ فإنها ثِقَافُ ألسنتِكم، ثم أجيدوا الخطَّ فإنه حِلْيةُ كُتُبِكُمْ وارْوُوا الأشعار، واعرفوا غَرِيبَها ومَعانيها وأَيَّامَ العَرَبِ والعجم وأحاديثَها وسِيَرَها؛ فإن ذلك مُعِينٌ لكم على ما تسمو اليه هِمَمُكُمْ . و لا تُضَيِّعُوا النَّظَر

(١) يبطش : يفتك و يعمل .
(٢) أضفاه : أسبغه .

فى الحِسَاب، فإنه قِوَام كُتَّاب الخَرَاج . وارغَبُوا بأنفُسِكم عن المطامِع سَنِيِّها ودَنِيِّها وسَفْسَافِ الأمور ومَحَاقِرِها ، فإنها مَذَلَّةٌ للرقاب مَفْسَدَةٌ للكُتَّاب . ونَزِّهُوا صناعَتَكم عن الدناءة وآرْبَئُوا بأنفسكم عن السِّعَاية والنميمة وما فيه أهل الجَهَالات . وإياكم والكِبْرَ والسُّخْفَ والعَظَمة ، فإنها عداوة مُجْتَلَبَةٌ من غير إِحْنَة . وتحابُّوا فى الله عز وجل فى صناعتِكم وتواصَوْا عليها بالذى هو أليقُ لأهلِ الفضلِ والعدلِ والنُّبْلِ من سَلَفِكم .

(د) طَائفةٌ منْ أمْثَال العَرَب

فى جاهليتها وإسلامها(١)

بَلَغ السَّيلُ الزُّبَى(٢) — بَيْنهم عِطْرُ مَنْشِمٍ(٣) — تَجُوعُ الحُرَّةُ ولا تَأْكُلُ بثَدْيَيْها(٤) — تُخْبِرُ عن مجهولِهِ مَرْآتُه(٥) — تَرَى الفِتْيَانَ كالنخلِ، وما يدريكَ ما الدَّخْلُ(٦) — ثار حَابِلُهم على

(١) المثل قول مأثور يمتاز بالايجاز و إصابة المعنى وحسن التشبيه وجودة الكناية ، وهو مثال الجملة العربية فى أسمى أشكالها ، وللمثل مورد قيل فيه أوّلا سواء أكان حقيقيا أم فرضيا ، ومضرب وهو ما يقال فيه بعد فالغرض منه تشبيه الحال الثانية بالأولى ليفيد الكلام قوة ووضوحا .

(٢) الزبى : جمع زبية ، وهى مصيدة الأسد تكون فى قلل الجبال اذا بلغها السيل كان مجحفا يضرب لبلوغ الأمر أشدّه .

(٣) يضرب فى الشر العظيم ، ومنشم عطارة كانت تطيب المحاربين من طيبها فيفنون فى الحرب . فكان يقال أشأم من عطر منشم .

(٤) أى لا تكون ظئرا ، وان آذاها الجوع . يضرب لمن يصون نفسه عن خسيس المكاسب .

(٥) أى منظره يخبر عن مخبره (حقيقته) .

(٦) يضرب لروعة المظهر مع سوء المخبر .

نابِلِهم(١) — جَعْجَعة ولا أرى طِحنا(٢) — جَرْىُ المُذْكِيَاتِ غِلاب(٣) — جَوِّعْ كَلْبَكَ يتْبَعْكَ(٤) — حَلَبَ الدَّهرَ أَشْطُرَه(٥) — حَذْوَ القُذَّة بالقذة(٦) — حَرِّكْ لَهَا حِوارَهَا تَحِنّ(٧) — صار الزَّجُّ قُدَّام السِّنَان(٨) — عند الصَّباح يَحْمَدُ القَومُ السُّرَى(٩) — عند النِّطاح يُغلَبُ الكَبْشُ الأَجَم(١٠) — عند جُهَيْنَةَ الخَبَرُ اليَقِين(١١) — فى بيته يؤتى الحَكَمُ(١٢) — قبلَ الرِّمَاءِ تُمْلأُ الكَنَائِنُ(١٣) — كان كُرَاعًا فصَارَ ذِراعًا(١٤) — كلَامٌ كالعَسَل وفِعْلٌ كالأَسَل(١٥) — كُلُّ الصَّيْدِ فى جَوْفِ الفَرا(١٦) — كُلُّ فتاةٍ بأبيها مُعجَبَةٌ(١٧) .

(١) الحابل : صاحب الحبالة . والنابل : صاحب النبل ، أى اختلط أمرهم . يضرب فى فساد ذات البين وتأريث الشر فى القوم .

(٢) يضرب لمن يعد ولا يفى ، أو للظهر الخلاب ليس وراءه نفع . والجعجعة : صوت الطحن .

(٣) المذكية من الخيل : التى مضت سنة أو سنتان على قروحها . والغلاب : المغالبة . يضرب لمن يفوز على أقرانه فى الفضل .

(٤) مثل يضرب فى اللئام وكيف يعاملون .

(٥) معناه : أنه اختبر الدهر شطرى خيره وشره ، فعرف ما فيه .

(٦) أى مثلا بمثل ، يضرب فى التسوية بين الشيئين .

(٧) الحوار : ولد الناقة . والمعنى ذكره بعض أشجانه يهج له . قاله عمرو بن العاص لمعاوية حين أراد أن يستفز أهل الشام ، أى أرهم دم عثمان على قميصه . ليفزعوا إلى الحرب .

(٨) الزج : الحديدة فى أسفل الرمح ، و يقابله السنان . يضرب فى سبق المتأخر المتقدم من غير أهلية لذلك .

(٩) يضرب لمن يحمل المشقة رجاء الراحة . والسرى : السير ليلا .

(١٠) الأجم : الذى لاقرن له . يضرب لمن غلبه صاحبه بما أعد له .

(١١) يضرب للرجل يعرف الشيء على حقيقته .

(١٢) يضرب للرجل تذهب اليه لحاجتك .

(١٣) أى تؤخذ أهبة الأمر قبل وقوعه : والكنائن . جمع كنانة : خريطة السهام .

(١٤) يضرب للذليل الضعيف صار عزيزا قويا . والكراع : مستدق الساق .

(١٥) يضرب فى اختلاف القول والعمل . والأسل : الرماح .

(١٦) الفرا : الحمار الوحشى . يضرب لمن يفضل أقرانه .

(١٧) يضرب فى إعجاب الرجل بما يخصه من عمل أو عشيرة .

أبيـات تجـرى مجرى الأمثـال

خَلِيـلَىَّ لا تَسْتَعْجِلَا وانظُـرَا غَدًا ... عَسَى ان يَكُونَ الرِّفْقُ فى الأمرِ أَرْشَدَا(١)

* * *

فهـل مِنْ خالدٍ إمَّا هَلَكْنَا ... وهَلْ بالمَـوْتِ يَا لَلنَّـاسِ عارُ؟(٢)

* * *

ومن يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَـدِ النـاسُ أمرَهُ ... ومن يَغْوَ لا يَعْـدَمْ على الغىِّ لائمـا(٣)

* * *

وما شَابَ رأْسِى مِنْ سنِينٍ تَتَابَعَتْ ... عَلَىَّ، ولَكِنْ شَيَّبَتْنِى الْوَقَائـع(٤)

* * *

كَنَاطِحِ صَخْـرَةً يَوْمًا لِيُوهِنَها ... فلم يَضِرْها وأَوهَى قَـرنَه الْوَعِلُ(٥)

---

(١) لتميم بن مقبل ، يريد . التريث خير من العجلة .

(٢) لعدى بن زيد فى الاطمئنان الى القضاء الحتم .

(٣) للمرقش الأصغر ، للرجل يلقى مغبة عمله .

(٤) قائلة عروة بن الورد ، يكون فى الشىء يأتى من غير مظانه .

(٥) يستعمل لمن يحاول مالا يستطيع فيذهب بمواهبه دون جدوى .

العصر العباسي الاول

(١) الشـــعر

(١) ابن هَرْمة (١)

قال يمدح ابراهيم بن طلحة :

أَرَّقَتْــنِي تَلُومُنِي أُمُّ بَـكْـرٍ بَعْــدَ هُدْءٍ واللَّوْمُ قد يُؤْذِينِي (٢)

حذَّرتْني الزَّمَانَ ثُمَّتَ قَالَتْ لَيْسَ هَــذَا الزَّمَانُ بالمـأْمُونِ (٣)

قُلْتُ لَمَّـا هَبَّتْ تُحَذِّرُنِي الدَّهْـ ـرَ: دَعِي اللَّوْمَ عَنْكِ واستبقِينِي (٤)

إِنَّ ذَا الجُــودِ وَالْمَكَارِمِ إِبْرَا هِــيمَ يَعْنِيــهِ كُلُّ ما يَعْنِينِي (٥)

---

(١) ابراهيم بن على بن هرمة المنتسب إلى قريش ، نشأ بالمدينــة وأخذ عن الرواة والمتأدبين كثيرا وقال الشــعر وأجاده ومدح به الولاة والخلفاء وأصاب مالا كثيرا إلا أنه كان متلافا عاكفا على النبيذ . وشعره جزل يغلب عليه المديح . وقد توفى سنة ١٥٠ هـ .

(٢) أرق الرجل يأرق من باب علم : ذهب عنــه النوم فى الليل . وأرقه بتشديد الراء : أذهب عنه النوم . والهدء بضم الهاء وفتحها : الهزيع من الليل .

(٣) المراد بالزمان هنا أهله .

(٤) هب الرجل يفعل كذا أى طفق يفعل .

(٥) يقول لها : إنك اذا حسبت أن البر والوفاء قد ذهبا عن الناس فان هذا المَمدوح يهمه من أمرى كل ما يهمنى . وليس بعد ذلك بر ووفاء .

قَدْ خَبَرْنَاهُ فِى القَدِيمِ فَأَلْفَيْـ ـنَا مَوَاعِيدَهُ كَعَيْنِ اليَقِينِ (١)
قُلْتُ مَا قُلْتُ لِلَّذِى هُوَ حَقٌّ مُسْتَبِينٌ لَا لِلَّذِى يُعْطِينِى (٢)
نَصَحَتْ أَرْضَنَا سَمَاؤُكَ بَعْدَ الْـ ـجَدْبِ مِنْهَا وَبَعْدَ سُوءِ الظُّنُونِ (٣)
فَرَعَيْنَا آثَارَ غَيْثٍ هَرَاقَتْـ ـهُ يَدَا مُحْكَمِ القُوَى مَيْمُونِ (٤)

وقال من قصيدة يمدح بها المنصور :

لَهُ لَحَظَاتٌ عن حِفَافَىْ سَرِيرِهِ إذا كَرَّهَا فِيهَا عِقَابٌ وَنَائِلُ (٥)
فَأُمُّ الذِى أَمَّنْتَ آمِنَةُ الرَّدَى وَأُمُّ الذِى خَوَّفْتَ بِالثُّكْلِ ثَاكِلُ (٦)

---

(١) خبر الشىء يخبره من باب نصر : علمه عن تجربة . وألفى مواعيده الخ وجدها جد صادقة لا يعتريها الخلف .

(٢) يريد أنه نعته بما نعته به لا من أجل عطاياه بل لأنه إنما يقرر الحق الواضح . والمستبين هنا : الواضح .

(٣) نصحت : أمطرت . والجدب بفتح الجيم وسكون الدال ضد الخصب بكسر الخاء . يقال أجدبت الأرض : انقطع عنها المطر فيبست . التفت الشاعر فى هذا البيت الى خطاب الممدوح فذكر أنه أغناه بعد الفقر و بعد إساءة الظن بالأيام والخوف من إلحاح الحاجة . كما يحيي المطر الارض بعد يبسها .

(٤) رعت الماشية الكلأ : سرحت فيه وأكلته . والغيث : المطر . وآثاره : ما تخرج الأرض به من الزرع . وهرق الماء وهراقه : صبه . والميمون : المبارك .

(٥) حفاف الشىء بكسر الحاء : جانبه . وكرها : أرجعها . والنائل : العطاء . يقول إن للخليفة من صدق النظر وعظم الهمة ما لا يكون لأحد ، فان له نظرات وهو جالس على سريره تقع على صميم الأمور ، فسرعان ما يثيب المحسن و يعاقب المسىء .

(٦) الردى : الموت . وثكلت المرأة ولدها : فهى ثاكل : أى فقدته . التفت الشاعر فى هذا البيت الى الممدوح فقال : ان من أمنته فقد اطمأنت عليه أمه ، ومن خوفته بالموت فأمه ثاكل أى فهو هالك .

وقال يمدح آل البيت :

وَمَهْمَا أُلَامُ عَلَى حُبِّهِـــمْ فَإِنِّى أُحِبُّ بَنِى فَاطِمَـــهْ (١)
بَنِى بِنْتِ مَنْ جَاءَ بِالْمُحْكَمَا تِ وَالدِّينِ والسُّنَنِ القَائِمَهْ (٢)

ومن قصيدة له يمدح فيها السَّرِىَّ بن عبد الله :

فَقُلْ لِلسَّرِىِّ الوَاصِلِ البِرِّ ذِى الندى مَدِيحًا إِذَا مَا بُثَّ صُـدِّقَ قَائِلُهْ (٣)
جَوَادٌ على العِـلَّاتِ يَهْتَزُّ للنَّـدى كَمَا اهْتَزَّ عَضْبٌ أَخْلَصَتْهُ صَيَاقِلُهْ (٤)
نَفَى الظُّلْمَ عن أَهْلِ اليَمَـامَةِ عَدْلُهُ فَعَاشُوا وَرَاحَ الظُّلْمُ عنهم وباطِلُهْ
وَنَامُوا بِأَمْنٍ بَعْـدَ خَوْفٍ وشِـدَّةٍ بِسِـيرَةِ عَدلٍ ما تُخَـافُ غَوَائِلُهْ (٥)
وَقَدْ عَلِمَ المَعْـرُوفُ أَنَّكَ خِدْنُهُ وَيَعْـلَمُ هَـذَا الجُوعُ أَنَّكَ قَاتِلُهْ (٦)

---

(١) فاطمة : هى فاطمة الزهراء بنت الرسول صلى الله عليه وسلم .

(٢) المحكمات : المتقنات . ويريد بها آيات الكتاب العزيز . ومن جاء بها هو النبي عليه السلام .

(٣) الواصل البر : الدائم الخير . والندى : الجود والعطاء . وبث الخبر : أذاعه ونشره .

(٤) العلات : جمع علة . وهى هنا الحدث يشغل صاحبه . والعضب : بسكون الضاد السيف القاطع . والصياقل : جمع صيقل ، وهو الذى يشحذ السيوف . يقول انه عظيم الكرم يجود برغم ما يشغله من أحداث الزمان . ويهتز للعطاء بما يدخل عليه من السرور وارتياح النفس للكرم ، كما يهتز فى يدى البطل السـيف قد جلاه شاحذوه .

(٥) يقال رجل عدل بفتح العين وسكون اللام : عظيم العدل . والغوائل : جمع غائلة ، وهى الشر والحقد الباطن . ويقال قتله غيلة بكسر الغين اذا خدعه فذهب به الى مكان فقتله . والمراد أنه ليست له غوائل حتى يخافها الناس .

(٦) المعروف : الاحسان . الخدن بكسر الخاء وفتحها مع سكون الدال فيهما : الحبيب والصاحب . يقول إنك لا يفارقك الاحسان أبدا حتى علم الاحسان أنك حبيبه وصاحبه ، وهذا على المبالغـة ، فان الاحسان ليس مما يعقل . كذلك فانك لكثرة عطائك وبرك بالناس قد دفعت الجوع عنهم حتى علم الجوع أنك قاتله ، وهذا على المبالغة أيضا .

(٢) بشار بن بُرْد (١)

قال فى الغــزلُ :

يا لَيلَــتِى تزدادُ نُكــرا ... مِن حُبِّ من أَحبَبْتُ بِكْرَا (٢)
حَــوْرَاءُ إنْ نَظَــرتْ إليـ ... ـكَ سَقَتْكَ بالعَيْنَيْنِ خَمْــرَا (٣)
وكَــأنَّ رَجْــعَ حَدِيثِهــا ... قِطَعُ الرِّيَاضِ كُسِــينَ زَهْرَا (٤)
وكَــأنَّ تحتَ لسانهــا ... هَارُوتَ يَنفُثُ فيـــهِ سِحرا (٥)
وتَخَــــالُ ما جَمَعَتْ عليـ ... ـهِ ثِيَابَهَــا ذَهَبًــا وعِطْــرَا (٦)
وكــأنَّهــا بَرْدُ الشــرا ... ب صَفَا وصادفَ مِنكَ فِطرا (٧)

(١) هو أبو معاذ بشار بن برد ، أصل آبائه من بلاد الفرس ، وقع عليهم سبى فآل ملك أبى بشار لبنى عقيل ، وفيهم ولد بشار . ولما كبر صار يختلف الى أعراب البصرة حتى أخذ عنهم العربية وتعلم الشــعر ونبغ فيه ، وقد ولد أعمى ثم أصابه الجدرى فصار قبيح المنظر ولكنه كان شديد الذكاء واسع الخيال ذا ملكة فى الشعر قوية يعدّ من أكبر شعراء عصره ، وفى مقدّمة المحدثين وأهل الافتنان ، ومن أصحاب المعانى المخترعة فى الشعر العربى . وكان كثير الهجاء للناس ، ماجنا ، متهما فى دينه بالزندقة لا يبالى ما يقول ، ولا ما يفعل ، ولا ما يرتكب من التهتك والكلام فى أعراض الناس . وقد تصرف بشار فى فنون الشــعر ومعانيه وذاع شعره فى زمانه ، وصار إماما بين الشعراء . وكان لأسلوبه قوّة معروفة وجمال ممتاز وقد مات مقتولا سنة ١٦٧ هـ .

(٢) النكر : الأمر الشديد القبح .

(٣) الحوراء : شديدة بياض العين وسوادها . يقول : انها اذ تنظر اليك يسكرك جمال عينيها .

(٤) رجع الحديث : ترديده . يشبه كلامها فى جماله بالرياض المزدهرة .

(٥) هاروت : كان يعلم الناس السحر بمدينة بابل . يريد الشاعر أن كلامها يسحر الناس بروعته وجماله .

(٦) ماجمعت عليها ثيابها : هو جسمها الصافى الذكى الرائحة .

(٧) برد الشراب : الشراب البارد . صادف منك فطرا : أى شربته على عطش ولهف .

جِنِّيَّـــــةٌ إِنسِـــــيَّةٌ ... أو بينَ ذاكَ أَجَلُّ أَمرًا (١)
وكَفاكَ أنى لم أُحِـط ... بِشَكاةِ من أحبَبْتُ خُـبرًا (٢)
إلَّا مَقَـــــالَةَ زَائـــرٍ ... نَثَرت لِىَ الأحزانَ نَـثرًا (٣)
مُتَخَشِّــعًا تَحتَ الهَـــوَى ... عَشرًا وتحت المـوتِ عَشرًا (٤)

وقال يرثى ولدا له :

أَجارَتَنَـا لا تجـزعى وأَنِيبى ... أَتَانِى مِنَ المَـوتِ المُطِلِّ نَصيبى (٥)
بُنَىَّ عَلَى رَغمِى وسُخْطِى رُزِئتُـهُ ... وبُدِّلَ أحجـارًا وجَالَ قَلِيبِ (٦)
وكَانَ كَرَيحانِ الغُصـونِ تَخَـالُه ... ذَوَى بَعْـدَ إشراقٍ يَسُرُّ وطيبِ (٧)
أُصيبَ بُنَىَّ حين أَورَق غُصـنُه ... وأَلقَى علىَّ الهمّ كُلُّ قريب
عَجِبْتُ لإسراع المنيَّــةِ نَحْوه ... ومَا كَانَ لو مُلِّيتُـه بعَجيبِ (٨)

ومن قوله يمدح عُمَرَ بن هُبَيرة حين وفد عليه بالعراق :

وجيشٍ كجُنحِ الليلِ يزحَفُ بالحَصَى ... وبالشـوكِ والخَطِّىُّ حُمرٌ ثَعَالِبُـهْ (٩)

(١) جنية : نسبة إلى الجن . أنسية : نسبة إلى الانس . أى جمعت بين محاسن هذين الجنسين وفاقتهما .
(٢) الشكاة : الشكوى وهى هنا الشكوى من ألم العلة . لم أحط خبرا : لم أخبر شكاتها ولم أعرف حقيقتها .
(٣) الزائر : الرسول الذى أرسله يعتذر بالمرض .
(٤) المتخشع : المتكلف الخشوع وهو الخضوع . والمتضرع أيضا فهو مقسم بين أهوال الحب والهلاك .
(٥) أنيبى : ارجعى الى هداك . المطل : المؤذى . يقول لجارته لتكن فى مصيبتى أسوة لك وعزاء .
(٦) رزئته : فقدته . الجال : الجانب . القليب : البئر . والمراد هنا القبر .
(٧) ذوى الغصن : يبس . الإشراق هنا : النضارة .
(٨) مليته : نعمت ببقائه .
(٩) جنح الليل : قسم منه . الخطى : الرمح نسبة إلى الخط مكان تباع فيه الرماح . ثعالب : جمع ثعلب وهو طرف الرمح الداخل فى السنان . وهى حمر من دماء الأعداء .

غَدَوْنَا لَهُ والشمسُ فى خِدر أُمِّها ... تُطالِعُنا والطَّلُّ لم يَجرِ ذَائِبُـــه (١)
بِضَرْب يذوقُ الموتَ من ذاق طَعمَه ... وتُدرِكُ مَن نَجَّى الفِرارُ مثالِبُهُ (٢)
كأَنَّ مُثَار النَّقع فَوْقَ رُءوسِـــنا ... وأسيافَنا ليلٌ تهاوَى كَـواكِبُهْ (٣)
بَعَثْنـا لهُمْ مَوتَ الفُجاءَةِ، إنّـا ... بَنُو الموتِ خَفَّـاقٌ علينا سَبَائِبُه (٤)
فَرَاحُوا فريقٌ فى الإِســـارِ ومثلُه ... قَتيـــلٌ ومِثلٌ لاذَ بالبحرِ هَارِبُه (٥)
إذَا الملِكُ الجَبَّـارُ صَعَّر خَدَّهُ ... مَشَيْنا إليـــهِ بالسُّـــيوفِ نُعَـاتِبه (٦)
إِذَا كُنتَ فى كُلِّ الأمورِ مُعاتِبًا ... صَدِيقَكَ لم تَلْقَ الذى لَا تُعَـاتِبه (٧)
فعِشْ واحِدًا أو صِلْ أخاك فإنَّهُ ... مُقَـارِفُ ذَنْبٍ مَرةً ومُجَـانِبُه (٨)
إذا أنْتَ لم تَشربْ مِرَارًا عَلَى القَذَى ... ظَمِئتَ وأىُّ الناس تصفو مَشَارِبُه (٩)

---

(١) غدونا : خرجنا أوّل النهار . الخدر الستر أو المنزل . تطالعنا : تطلع علينا حين شروقها . والطل هنا : الندى .

(٢) بضرب متعلق بغدونا فى البيت قبـله . مثالب جمع مثلبة : العيب وهى فاعل تدرك . ونجى : نجاه بحذف العائد يقول : ان عدوّنا بين رجلين ميت من ضربنا ، وفار لحقه العار والمسبة .

(٣) النقع : الغبار تثيره الحروب . تهاوى : تتساقط . يشـبه حركات السيوف وسـط الغبار بالليل تتساقط نجومه وهو تشبيه جيد .

(٤) الفجاءة : البغتة . السبائب : جمع سبيبة وهى الشقة الرقيقة من الكتان . والمراد هنا أعلام الجيش المحارب ، كناية عن أنهم رجال حرب شجعان .

(٥) الإسار : الأسر . يريد أن جيش العدو توزع بين الأسر والقتل والهرب .

(٦) صعر خدّه : أماله عن النظر الى الناس كبرا عليهم و زراية بهم . نعاتبه بالسيوف : نقاتله .

(٧) اذا حاسبت الناس على جميع هفواتهـم فانك لن تستصفى فى الناس صديقا اذ لا يسـلم أحد من الهفوات . (٨) مقارف الذنب : مخالطه وفاعله .

(٩) القذى : ما يقع فى العين أو الشراب من تبن ونحوه . أى اذا لم تحمل الحياة على ما بها من نقص تعبت وليس فى الدنيا انسان كامل الخلال .

وقال يمدح عقبة بن سلم :

يَا طَلَــلَ الحيِّ بِذات الصَّــمْدِ ... باللهِ خَبِّر كيفَ كنتَ بَعــدى (١)

أوحَشْتَ من دَعدٍ وتربِ دعْــد ... سَــقيًا لأسماءَ ابنةِ الأشَــدِّ (٢)

قامتْ تَراءى إذ رأتنِي وَحــدى ... كالشمسِ تحتَ الزِّبرِجِ المنقَــدِّ (٣)

صَدَّت بخَدٍّ، وَجلَت عن خَــدِّ ... ثُم انثنَتْ كالنفَسِ المــرتَدِّ (٤)

عَهدى بها ـ سَقيًا لَهُ مِن عَهْدِ ـ ... تُخلِفُ وعــدًا وتَفِي بِوَعــدِ (٥)

فَنحنُ مِن جَهْدِ الهوى فى جَهــد ... وزاهرٍ مِن سَبِط وجَعْــدِ (٦)

أهــدَى لَهُ الدهرُ ولم يَسْتَهْدِ ... أفوافَ نَــوْرِ الحِــبَرِ المُجَــدِّ (٧)

يَلقَ الضُّحَى رَيحانَه بِسَــجْدَ ... بُدِّلْتُ مِنْ ذَاكَ بُكًى لا يُجــدى (٨)

وافَق حَظًّــا مَنْ سَعَى بِجَــدِّ ... ما ضَرَّ أهــلَ النَّوْكِ ضَعفُ الجِدِّ (٩)

(١) ذات الصمد : موضع فى ديار بنى يربوع .

(٢) أوحشت : أقفرت وخلوت من ساكنك ، والترب للانسان : من ولد معه ومن فى سنه .

(٣) تراءى : تترامى وتتصدى . والزبرج : الزينة من وشى أو جوهر والسحاب الرقيق فيــه حمرة يشبه به ثوبها . والمنقد : المنقطع .

(٤) صدت : أعرضت . وجلت : كشفت ثم انثنت الخ ، أى رجعت بسرعة كالنفس المتردّد .

(٥) عهدى بها : أعهدها وأعرفها ، والجملة (سقيا الخ) دعائية اعتراضية .

(٦) جهد الهوى : آلامه . وقوله : فى جهــد أى فى عنت . وزاهر أى ورب شــعر أشيب . السبط : المرسل وضده الجعد .

(٧) الأفواف جمع فوفة : البياض فى أظفار الأحداث ، وثوب مفوف رقيق ذو خطوط بيض . والنور : الزهر الأبيض . والحــبر : برود اليمن المفرد حبرة . والمجــد : كما جدّه الحائك أى قطعه ، فهو جديد يصف بذلك مشيبه .

(٨) الريحان فى الأصل : كل نبات طيب الرائحة ، يشبه به الشعر .

(٩) النوك : الحمق . والجد بفتح الجيم : الحظ . وبكسرها : الاجتهاد .

الحُرُّ يُلحَى والعَصَا لِلعَبْدِ ... وليس لِلمُلحِفِ مثلُ الرَّدِّ (١)
والنُّصْفُ يكفيكَ من التَّعَدّى ... وصاحبٍ كالدُّمَّلِ المُمِدِّ (٢)
حملتُه فى رُقعةٍ من جِلدى ... أرقبُ منه مثلَ يوم الوِرْدِ (٣)
حتَّى مضَى غيرَ فقيدِ الفَقْدِ ... وما درَى ما رَغبتى مِن زُهدِى (٤)
اسلَمْ وحُيِّيتَ أبا المِلَدِّ ... مفتاحَ بابِ الحَدَثِ المُنْسَدِّ (٥)
مُشترَكَ النَّيلِ ورِىَّ الزَّندِ ... أغرَّ لَبَّاسَ ثيابِ الحَمْدِ (٦)
ما كان مِنّى لكَ غيرُ الوُدِّ ... ثم ثناءٌ مثلُ ريحِ الوَرْدِ
نَسجْتُه فى مَحكَماتِ النَّدِّ ... فَالبَسْ طِرازى غيرَ مُسْتَرَدِّ (٧)
لِلّهِ أيامُكَ فى مَعَدِّ ... وفى بنى قَحطانَ غيرَ عَدِّ (٨)

---

(١) يلحى : يلام و يعاب ، أى يكفيه اللوم فيرتدع ، وأما غيره فلا يرتدع إلا بالعنف . والملحف : المتشدد فى الطلب المبالغ فيه ، أى ليس له دواء كرَدّه وحرمانه .

(٢) النصف : الانصاف والعدل . وصاحب : أى ورب صاحب . الممد : ذو القيح (المدة) .

(٣) حملته الخ : أى حرصت عليه متوقعا أذاه وشره . والورد : من أسماء الحمى .

(٤) مضى غير فقيد الفقد الخ : أى ذهب ولم آس على ذهابه وقد صانعته فى قربه حتى لم يعرف أأكرهه أم أحبه .

(٥) الحدث : المصيبة ، والأمر المنكر أو الحادث ، ومعنى الشطر الثانى أنك مفرج الكروب .

(٦) النيل : العطاء ، يصفه بالكرم الشامل . ورى الزند : ناجح الأمر ، والزند : العود الأعلى تقتدح به النار . وورى الزند : خرجت ناره عند القدح . والأغر : السيد الشريف . ومعنى (لباس ثياب الحمد) أنه يكسب الثناء بحميد فعاله .

(٧) نسجته أى الثناء . والند : عود يتبخر به ، والمعنى ذكرته فى كلمات جيدة وأسلوب عال . والطراز : علم الثوب ويراد به هنا الثوب كله أى ثوب الثناء ، ومن معانى الطراز الموضع تنسج فيه الثياب الجيدة .

(٨) لله أيامك : أيامك مباركة . ومعد وقحطان : شعبا العرب الرئيسيان ، وقوله غير عد : أى كثيرة . والعد : بالفتح الاحصاء والحساب ، فهى لا تحصى .

يَومًا بِذِي طِخْفَــةَ عِندَ الحَــدّ ومثـــله اودَعْتَ أرضَ الهِنــد (١)
بِالمُرهَفَاتِ والحَـــدِيدِ السَّرْد والمُقْرَبَاتِ المبعـدات الجُــرْد (٢)
إذا الحَيَا أكْدى بِهـا لا تُكدِي تُلحِم أمرًا وأمـورا تُسْـدِي (٣)
وابنُ حَكِيمٍ إنْ أتاكَ يَرِدى أَصَمُّ لا يَسمعُ صـوتَ الرَّعدِ (٤)
حَيّتُــهُ بِمُحفَــةِ المعَـدّ فانهَدّ مثــلَ الجَبلِ المُنْهَــدّ (٥)
كلّ امرئٍ رهنٌ بمـا يُؤَدّى ورُبّ ذِي تَاجٍ كَرِيمِ الجَـدّ (٦)
كآلِ كِسرَى وكآلِ بُردِ أنكبَ جافٍ عن سَبيلِ القَصْدِ (٧)
فَصــلْتَهُ عن مَالِـه والــوُلْدِ (٨)

---

(١) طخفة : موضـع فى طريق البصرة إلى مكة ، ويوم طخفة لبنى يربوع على قابوس بن المنذر بن ماء السماء .

(٢) المرهفات : السيوف الرقيقـات الحدود ، والحديد السرد : الدروع ذات الحلقات المحكمة . والمقربات : الخيول الكريمة يقرب مربطها ومعلفها لكرمها . والمبعدات : التى تبعد راكبها فى الجرى . والجرد : قصار الشعر . المفرد : أجرد ، وهى جرداء وهذا من علامة كرم الخيل .

(٣) الحيا : المطر . وأكدى بخل ولم يمطر ، ومعنى (لا تكدى) لا تبخل فأنت كريم فى أوقات الشدة . ألحم الثوب : نسج لحمته وهى ما نسج عرضا ، وضده السدى وهوما نسج طولا ، والمعنى أنك تدبر الأمور كلا بما يلائمه .

(٤) ابن حكيم : شاعر . يردى : يعدو . و يردى على الخمسين (مثلا) من عمره : يزيد .

(٥) المعدّ : المستعد أو القرن .

(٦) رهن بما يؤدّى : مرتبط به ومحاسب عليه . و رب الخ : أى رب ملك عتيد .

(٧) آل كسرى : ملوك الفرس . وآل برد : أسرة بشار . أنكب : جائر يميل عن الحق ، وجاف مبتعد . والقصد : الاعتدال والانصاف .

(٨) أى قتلته ففارق أهله وماله ، وهذا خبر ما بعد رُبّ .

(٣) السيد الحِميرى (١)

كتب من الحبس إلى يزيد بن مذعور مولى أبى بُجير أمير الأهواز :

قِفْ بالديارِ وحيِّها يا مِرْبَعُ ... واسْأَلْ وكيفَ يُجيبُ مَنْ لا يَسْمَعُ (٢)

إنّ الديارَ خَلَتْ وليس بِجَوِّها ... إلّا الضَّوابِحُ والحَمَامُ الوُقَّعُ (٣)

ولقد تكونُ بها أوانِسُ كالدُّمَى ... جُمْلٌ وعَزَّةُ والرَّبابُ وبوزَعُ (٤)

حُورٌ نَواعِمُ لا تُرَى فى مِثْلِها ... أمثالُهُنَّ مِنَ الصِّيانَةِ أربَعُ (٥)

* * *

فاسْلَمْ فإنّكَ قد نَزَلْتَ بمَنْزِلٍ ... عِنْدَ الأميرِ تَضُرُّ فيه وتَنْفَعُ (٦)

تُؤتَى هواكَ إذا نطقْتَ بحاجةٍ ... فيه وتَشْفَعُ عِنْدَه فتُشَفَّعُ (٧)

---

(١) اسماعيل بن محمد المعروف بالسيد الحميرى (بكسر الحاء وفتح الياء) العربى اليمنى . علوى المذهب مخلص له غال فيه إلى درجة الخرف . وقد قضى حياته يمدح عليا وآله حتى توفى سنة ١٧٠ هـ .

وللسيد الحميرى شعر كثير سهل يلائم المذهب السياسى قصد فهمه وشيوعه و إن لم يحفظ منه إلا القليل .

(٢) مربع : اسم شخص . بعد أن سأل صاحبه الوقوف بالديار ، وتحيتها ، وسؤالها عن آلها السابقين ، عاد فأنكر ذلك السؤال إذ لا سبيل الى إجابة الديار التى ليس من شأنها السمع .

(٣) ضبحت الأرانب والثعالب : صوّتت . الضوابح : المصوّتة . الوقع : بضم الواو وتشديد القاف المفتوحة الساقطة على الشجر أو الأرض . يريد أن الديار خلت إلا من الحيوان المصوّت والحمام النازل بالأرض .

(٤) أوانس : جمع آنسة وهى الفتاة الطيبة النفس أو التى تؤنس صاحبها . والدمى : جمع دمية بضم الدال وسكون الميم وهى التمثال . والعرب يشبهون المرأة الجميلة بالدمية . وجمل بضم الجيم وما بعدها أسماء أعلام .

(٥) حور : جمع حوراء ، وهى الشديدة بياض العين والشديدة سوادها . ونواعم : جمع ناعمة ، يريد أن أربعتهن ليس لهن شبيه فى عفتهن .

(٦) المراد بالمنزل المكانة . فاسلم : جملة دعائية ، يرجو للممدوح السلامة من الشر .

(٧) هواك : سؤلك ومطلبك . تشفع بضم التاء : تقبل شفاعتك .

قلْ للأميرِ اذا ظَفِرْت بخَــلوَةٍ ... منــه ولم يكُ عِنْدَهُ مَنْ يَسْمعُ
هبْ لِي الذِى أحْبَبْتُهُ فى أحْمَـــدٍ ... وبَنيـــهِ إنَّك حَاصِـدٌ ما تَزْرَعُ (١)
يختص آلُ مُحَمَّـــدٍ بِمَحَبَّـــةٍ ... فى القلْب قَدْ طُوِيَتْ عَلَيْها الأَضْلُعُ

جلس المهــدى يوما يعطى قريشا صِلات لهم وهو ولى عهد، فبدأ ببنى هاشم ثم بسائر قريش، فجاء السيد الحميرى فرفع الى الربيع رقعة مختومة وقال إن فيها نصيحة للأمير فأَوْصِلْها اليه فأَوْصَلها فاذا فيها :

قُــلْ لابْنِ عَبَّاسٍ سَمِىِّ مُحَمَّدٍ ... لا تُعطِيَنَّ بَنِى عَدِىٍّ دِرْهَمَا (٢)
احرِمْ بَنى تَيْمِ بْن مُرَّةَ إنهم ... شَــرُّ البَلِيَّــةِ آخِرًا ومقَــدَّمَا
إنْ تُعْطِهِــمْ لَا يَشْكُرُوا لَكَ نِعْمَةً ... ويُكافئوك بأن تُذَمَّ وتُشْتَمَا
وإنْ ائْتَمَنْتَهُمُ أَوِ اسْتَعْمَلْتَهُمْ ... خَانُوكَ واتَّخَذُوا خَراجَك مَغْــنَمَا (٣)
ولئن منعتَهــمُ لقــد بدءوكُمُ ... بالمنع إذ ملكوا وكانوا أظلمــا
مَنَعُــوا تُراثَ محمــد أَعمــامَه ... وبَنِيــهِ وابنَتَــه عديــلةَ مَرْيمــا (٤)
وتأمّروا من غير أن يُسْتَخلَفُوا ... وكــفى بمــا فَعلوا هنالك مَأْثَمَـا (٥)
لَمْ يَشْكُــرُوا لِمُحَمَّــدٍ إنْعَــامَهُ ... أفيَشْكُرونَ لِغَــيْرِهِ إن أَنْعَــمَا

(١) هب لى فلانا : أى أطلقه .

(٢) يريد بابن عباس الخليفة المهدى .

(٣) استعملهم : اتخذهم عمالا، أى ولاهم المناصب . والخراج : الضريبة على الأرض والجزية .

(٤) التراث : ما يخلفه الميت لورثته . وعديلة مريم نظيرتها .

(٥) تأمروا : تسلطوا وتحكموا . ويستخلفوا : أى يكونوا خلفاء .

والله منّ عليهم بمحمّد وهداهم وكسا الجنوب وأطعما (١)
ثمّ انبروا لوصيّه ووليّه بالمنكرات فجرّعوه العلقما (٢)

(٤) مروان بن أبي حفصة (٣)

قال يمدح المهدى ويحتج لبني العباس :

طرقتك زائرة فحيِّ خيالها بيضاء تخلط بالجمال دلالها (٤)
قادت فؤادك فاستقاد ومثلها قاد القلوب الى الصِّبا فأمالها (٥)
فكأنما طرقت بنفحة روضة سحّت بها ديم الربيع طلالها (٦)
باتت تسائل في المنام معرّسا بالبيد أشعث لا يملّ سؤالها (٧)
في فتية هجعوا غرارا بعدما سئموا مراعشة السّرى ومطالها (٨)

---

(١) كسا الجنوب : أى كساهم من إطلاق الجزء وإرادة الكل .

(٢) انبرى له : اعترضه ، ويريد بوصيه ووليه على بن أبي طالب . جرعوه العلقم : سقوه المر .

(٣) هو مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة . كان جدّه فارسيا ومولى لعثمان بن عفان ثم وهبه عثمان لمروان بن الحكم . وقد نشأ مروان بن أبي حفصة في آخر دولة بني أمية ولكنه لم يشتهر إلا في دولة بني العباس بمدحه المهدى ومعن بن زائدة الشيباني وهارون الرشيد . وقد برع مروان في المدح براعة عظيمة ويحسبونه في ذلك من طبقة بشار ويعدّونه من فحول الشعراء وقد توفي سنة ١٨١ هـ .

(٤) يقال طرق فلان القوم : أتاهم ليلا . (٥) استقاد : انقاد . والصبا بكسر الصاد : الشوق .

(٦) سح الغمام المطر : صبه صبا متتابعا غزيرا . والديم جمع ديمة : وهي المطر الذى يدوم بلا رعد . ولعل المراد هنا بديم الربيع سحبه . والطلال : جمع طل وهو المطر الضعيف . يريد أنها عند زيارتها كان يفوح من طيب ريحها مثل مايفوح من الروضة رواها المطر في الربيع .

(٧) المعرّس بضم الميم وتشديد الراء المكسورة . يقال عرس القوم : نزلوا من السفر للاستراحة . والبيد : جمع بيداء وهي الفلاة . والأشعث : المغبر يريد نفسه .

(٨) يقال : نام غرارا أى نوما قليلا . والسرى : السير في الليل . ويقال للناقة التي تهتز في السير رعشها : رعشاء . ومطالها : مطلها وتسويفها في الوصول الى المقصد لطول الطريق . يقول : إنهم ناموا نوما خفيفا بعد أن سئموا طول السير والاهتزاز بسرعة النوق .

فكأنَّ حشوَ ثيـابهم هنـديةٌ نَحلتْ وأغفلت القُيُونُ صقالَها (١)
طَلَبَتْ أميرَ المؤمنينَ فواصلَتْ بَعــد السُّرى بغُدُوِّها آصالَهـا (٢)
نَزَعَتْ اليكَ صواديًا فتقاذفتْ تطْوى الفَلاةَ : حُزُونَها ورمالَها (٣)
أحْيَـا أمــيرُ المؤمنيــن محمَّدٌ سُــنَنَ النبي حرامَها وحلالَهـا (٤)
مَلِكٌ تفرّعَ نبعــةً من هاشمٍ مَدّ الإلهُ على الأنامِ ظِلالَهـا (٥)
ثَبْتٌ على زللِ الحوادثِ راكبٌ مِنْ صَرْفِهِنّ لِكلّ حال حالَها (٦)
كِلْتا يديْكَ جعلْتَ فضْلَ نَوالها للمُسلمين وللعَدُوِّ وبالَهـا (٧)
هَلْ تطْمِسُونَ مِنَ السَّماءِ نُجُومَهَا بأَكُفِّكُمْ أمْ تحجبونَ هِلالَهـا (٨)

(١) الهندية : السيوف المصنوعة فى الهند لأنها كانت تجيد صناعتها . ونحلت من باب علم : هزلت ورقت . والقيون : جمع قين وهو الحـداد . والصقال : الصقل يقال صقل السيف جلاه وكشف صدأه يريد أنهـم أمسوا من شدّة التعب وطول السـفر ناحلين مهزولين حتى كانوا فى رقة أجسامهم واغبرارها كالسيوف الهندية التى لم تجل ولم يكشف عنها صدؤها .

(٢) طلبته : قصـدت اليه . والغـدوّ أول النهار . والآصال : جمع أصيل وهو الوقت بين العصر والمغرب . يقول إنها بعد سير الليل كانت تسير النهار بطوله .

(٣) الصوادى : الشـديدة الظمأ . يقال : صدى يصدى من باب علم أى عطش عطشا شـديدا والحزون : جمع حزن بفتح الحاء، والحزن ضدّ السهل .

(٤) يريد باحيائه حلال السنن وحرامها إبانة ما أحلت السنن وما حرمت والعمل بذلك .

(٥) النبعة : واحدة شجر النبـع . ويقال : هو من نبعة كريمة أى من أصـل كريم . وتفرع فلان القوم : علاهم .

(٦) الثبت بفتح الثاء وسكون البـاء : هنا الثابت . وزلل الحوادث : انحرافها وصرف الدهر : نوازله . يقول : إنه مهما تضطرب حوادث الزمان فهو ثابت لا يتزلزل، وأنه يعالج كل حادثة بما يناسبها . وهذا هو الذى عبر عنه بقوله (راكب لكل حال حالها) .

(٧) النوال : العطاء . والوبال : الوخامة وسوء العاقبة .

(٨) التفت فى هذا البيت الى خطاب العلويين ليبطل دعواهم استحقاق الخـلافة دون بنى العباس .

أمْ تجحدُون مقـالَةً عن ربكُم ... جبْريلُ بلّغــها النبيَّ فقالَها (١)
شهِدَتْ من الأنفالِ آخرُ آيةٍ ... بتراثِهِــمْ فأردتمــو إبطالَها (٢)

وقال يمدح المهدى — عند ما عقد البيعة لابنه الهادى — ويحتج للعباسيين على الطالبيين :

يا بنَ الذى ورِثَ النبيَّ محمدًا ... دونَ الأقاربِ من ذوِى الأرْحامِ (٣)
الوحىُ بينَ بَنِى البنَـاتِ وبينكم ... قَطعَ الخصامَ فلاتَ حينَ خِصام (٤)
مَا للنّساءِ معَ الرجالِ فريضــةٌ ... نزَلَتْ بذَلِك سُــورةُ الأنعَامِ (٥)
خَلُّوا الطريقَ لمعشَــرٍ عاداتُهــم ... حَطْمُ المناكــب كُلَّ يومِ زِحَامِ (٦)
ارْضَوا بما قسمَ الإلهُ لكمْ بهِ ... ودعُوا وِراثَةَ كُلِّ أَصــيَدَ حَامِ (٧)
أنَّى يكــونُ وليسَ ذاكَ بكائنٍ ... لِبَنِى البنَــاتِ وِراثَةُ الأعمَــامِ (٨)

---

(١) تجحدون، الجحود : الإنكار مع العلم .

(٢) التراث : ما يتركه الميت لورثتــه . ويعنى بآخر آية من سورة الأنفال قول الله تعالى (وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله) .

(٣) الأرحام : جمع رحم : القرابة . ويريد وراثة أمر المسلمين .

(٤) الوحى : القرآن أو جبريل . وبنو البنات : أولاد على بن أبى طالب من نسل فاطمة بنت الرسول عليه السلام وهم العلويون .

(٥) الفريضة : القسم فى الميراث .

(٦) حطم المناكب : كسرها . ويوم زحام : يوم تنافس فى مجد، ويريد بالمعشر العباسيين .

(٧) الأصيد : الملك أو السيد . والحامى : من يحمى ذويه ومن يلوذ به .

(٨) بنو البنات : هم أولاد علىّ من فاطمة رضى الله عنهما . والأعمام : العباسيون لأن أباهم العباس عم الرسول، والعم أولى بوراثة ابن أخيه، وذلك حكم فقهى فى الميراث .

أَلْغَى سِهامَهم الكِتابُ فَحاولُوا أن يَشْرَعوا فيها بِغَيرِ سِهَامِ (١)
ظَفِرَت بنُو سَاقِي الحَجِيجِ بِحَقِّهم وغُرِرْتُم بتَوَهُّم الأَحْلامِ (٢)
عُقِدتْ لمُوسى بالرُّصَافَةِ بَيعَةٌ شَدَّ الإلهُ بِها عُرَا الإسلامِ (٣)
مُوسى الذى عَرفَتْ قُريشٌ فَضلَه ولَهَا فَضِيلتُها علَى الأَقوامِ

(٥) العَبَّاسُ بنُ الأَحْنَفِ (٤)

قال :

عَدْلٌ من اللهِ أَبْكانِي وأَضْحَكَها فَالحمدُ للهِ عَدْلٌ كُلُّ ما صنعا
اليومَ أَبكى على قَلْبِي وأَنْدُبُه قَلبٌ أَلَحَّ عليه الحُبُّ فانْصَدَعا (٥)

وقال: وقد اصطحبه الرشيد الى خراسان وطال مقامه بها ثم خرج الى أرمينية:

قالُوا خُراسَانُ أَقْصَى ما يُرادُ بنا ثم القُفُولُ فقَدْ جِئنا خُرَاسَانا (٦)

(١) يشرعوا فيها : ينالوا منها ، بغير سهام : بغير حق .

(٢) ساق الحجيج : العباس بن عبد المطلب لأنه كانت عليه سقاية الحاج حين يردون مكة ، وذلك فى الجاهليـــة .

(٣) الرصافة : محلة ببغداد، شدت بها الخ : قوى بها شأن الدين .

(٤) كان العباس بن الأحنف شاعرا ظريفا . نشأ فى بغـداد فى حال يسر و رخاء ، لم يصطنع المدح والتكسب بالشـعر، بل توفر على الغزل فى محبوبته فوز ، ولزم هذا الفن وحده مجيـدا موفقا حتى مات ســنة ١٩٢ هـ .

ويمتاز شـعره بالسهولة ، وحسن التصرف ، و جمال المعانى ، فهو من شعراء الغزل العـذريين وان لم يحكهم تماما .

(٥) ألح فى السؤال : واظب عليه . والالحاح هنا : بمعنى الاسراف . وانصدع : انشق .

(٦) القفول : الرجوع . يقول انهـم قالوا إن أقصى رحلتنا خراسان ثم الرجوع وها نحن أولاء قد بلغناها فلماذا لا نعود ؟

ما أقْدَرَ اللهَ أنْ يُدْنِي على شَحَطٍ ... سُكانَ دِجْلَةَ من سُكَّان جَيحَانا (١)
يا لَيتَ مَنْ تمنى عِنْدَ خَلْوتِنَا ... إذا خَلا خَلْوةً يــومًا تمنَّــانا (٢)

وقال :

سَلَبتْنِي من السُّرورِ ثِيَــابا ... وكَسَتْنِي من الهُمُــومِ ثِيَابَا
كُلَّمــا أغلقَت من الوصْلِ بابًا ... فَتَحتْ لى إلى المَنِيَّـــةِ بَابَا
عَذَّبِتْنِي بِكُل شيءٍ سِوَى الصَّـ ... ـدِّ فمــا ذُقْتُ كَالصُّدُودِ عَذَابا (٣)

وقال :

إنْ قَالَ لم يَفْعل وإن سِيلَ لم ... يَبْذُلْ وإنْ عُوتِبَ لم يُعتِب (٤)
صَبٌّ بِعِصْيانِي ولَو قالَ لِيَ ... لاَ تَشْرَبِ البــاردَ لم أشْرَب (٥)
إليكَ أشْكُو رَبِّ ما حَلَّ بِي ... من صَدِّ هذا المذنِبِ المُغْضِب

وقال :

قَلْــبِي إلى ما ضَرَّ بِي دَاعِ ... يُكْثِرُ أسْــقَامِي وأوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي من عَدُوِّي إذا ... كان عَدُوِّي بَيْنَ أضْـــلاعِي (٦)

(١) الشحط : البعــد . ويريد بسكان دجلة : سكان بغداد . ودجلة : نهر تقع عليه هــذه المدينة وجيحان نهر بين الشام وبلاد الروم .

(٢) تمنى : تمناه .

(٣) الصد والصدود : الإعراض .

(٤) سيل : سئل . يعتب بضم الياء وكسر التاء : يرضى ، يقال استعتبت فلانا فأعتبنى استرضيته فرضى .

(٥) صب : مغرم . وسكان جزيرة العرب شديدو الولع بشرب الماء البارد لشدة الحر فى بلادهم . ومثل هذا قول الشاعر :

غضبى ولا والله يا أهلها ... لا أشرب البارد أو ترضى !

(٦) عدوه الذى بين أضلاعه : قلبه . لأنه هو الذى يدعوه إلى ما يضره فيكثر من أوجاعه وأسقامه .

وقال :

قالت ظَلُوم سَمِيَّـــةُ الظُّلْمِ مالِى رَأَيْتُـكَ ناحِلَ الجِسْمِ (١)
يا مَن رَمَى قَلْبِى فأقْصَـــدَهُ أنْتَ العَلِيمُ بمَوْضِـعِ السَّهْمِ (٢)

(٦) أبو نُـــوَاس (٣)

قال يصف الخمـــر :

دعْ عنكَ لَومى فإنَّ اللَّوْمَ إغْراءُ وداوِنى بالتى كانتْ هى الداءُ (٤)
صَفراءُ لا تنزِلُ الأحزانُ سَاحَتَها لو مسَّها حَجَـــرٌ مسَّـــتْه سرَّاءُ (٥)

---

(١) ظلوم : اسم من يتغزل فيها . والجسم الناحل الهزيل .

(٢) وأقصده : السهم لم يخطئه .

(٣) أبو نواس واسمه الحسن بن هانئ . نشأ نشأته الأولى فى البصرة ، ولم يكن يقرض الشعر وان كان يكلف به و بمن يجيدون قرضه . ثم تحول الى الكوفة ليأخذ على والبة بن الحباب وكان والبة شاعرا ماجنا مشتهرا بالشراب وصافا للخمر ، ثم تحوّل معه الى بغداد .

و برع أبو نواس فى الشعر حتى بزّ أهل عصره ، ولم يجد شاعر قبله ولا بعده وصف الخمر كما أجادها . وكان ماجنا مستهترا . توفر عمره على تحصـــيل اللذائذ ما يبالى فى ذلك شيئا . وقرض الشـــعر فى أبواب المجون ، غير متأثم ولا متحرّج .

ولقد أجاد فى كل فنون الشعر ، وأوفى على الغاية . واتصل بمحمد الأمين الخليفة العباسى ، ومدحه بأجل القصيد ، وثبت على الولاء له ــ حتى بعد أن قتل ــ ودالت الدولة لأخيه المأمون . وأبو نواس بعظم افتنانه ، وقوة تصرفه فى الشعر ، ومتانة أسلوبه ، وجزالة لفظه ، وسلامة نظمه ، لا يعدّ من أعظم الشعراء العباسيين فحسب ، بل يعدّ من أعظم شعراء العربية على الإطلاق . وكانت وفاته سنة ١٩٨ هـ .

(٤) دع : اترك ويقال (أغراه بالشىء يغريه إغراء) حضه عليه . يقول الشاعر لصاحبه : لا تلمنى فان لومك يحضنى على طلب ما تنهانى عنه ويريد (بالتى كانت هى الداء) الخمر .

(٥) يريد بالصفراء الخمر . والساحة : الناحية . يريد أن الأحزان والهموم لا تحل بشرّابها ، ويترقى فى هذا المعنى الى المبالغة الشديدة فزعم أن الحجر الأصم لو أصاب منها لدخل عليه السرور !

رَقَّتْ عن المـاءِ حتى ما يُلائِمُها ... لَطَافَةً، وجَفَا عن شكلِها المـاء (١)
فلو مزجْتَ بها نُورا لمـازجَها ... حتى تَوَلَّد أنوارٌ وأضـواءُ (٢)
دَارَت على فِتْيةٍ دَانَ الزَّمانُ لهم ... فمـا يُصيبُهُمُ إلا بمـا شـاءُوا (٣)
لتِـلك أَبكى ولا أبكى لمَنْزِلةٍ ... كانت تَحُـلُّ بها هِندٌ وأسْمـاءُ (٤)

وقال أيضا فى الخمر :

ودَارِ نَدامَى عَطَّـلوهَا، وأدلَجُـوا ... بهـا أَثَرٌ منهـمْ جَـديدٌ ودَارِسُ (٥)
مَساحِبُ من جَرِّ الزِّقاقِ على الثَّرى ... وأَضْغَاثُ رَيْحـانٍ جَنِىٌّ ويَابِسُ (٦)

(١) يلائمها : يوافقها . وجفا هنا : بمعنى قلق ولم يطمئن . يريد أن تلك الخمر بلغت من اللطف والرقة مالم يبلغ المـاء .

(٢) تولد بحذف احدى التائين : أى تتولد أى أن النور هو الذى يصلح لمزاجها ولو كان ذلك لتولدت منهما أنوار وأضواء .

(٣) دان : ذل وأطاع . التفت الشاعر فى هذا البيت إلى أصحابه الذين يشاربهم، فوصفهم بالعزة وارتفاع الأقدار إلى حدّ أن الزمان يذل لهم؛ فهو لا يستطيع أن يصيبهم بشىء إلا ما يريدونه هم وما يبتغـونه !

(٤) المنزلة هنا هى الدار . يريد أن شوقه إنمـا هو إلى الخمر، فهو اذا بكى بكى لهـا ، لا للمنازل التى كانت تسكنها المعشوقات، كما يصنع غيره من الشعراء .

(٥) النـدامى : جمع ندمان، وندامى الرجل من يجالسونه على الشراب . عطلوها : أخلوها . أدلج القوم إدلاجا : ساروا الليل كله أو فى آخره . والدارس : البالى . يذكر الشاعر فى هذا البيت دارا كان يجتمع فيها الصحب ويتعاقرون الخمر . فهجروها ومضوا، وتركوا فيها آثارا لهم جديدة، وأخرى قديمة بالية .

(٦) الزقاق : جمع زق، وهو وعاء من جلد يحمل فيه المـاء ونحوه . الثرى : التراب الندى، ويريد هنا الأرض، والأضغاث جمع ضغث وهو القبضة من الحشيش . وجنى أى جنى لساعته . بين الشاعر فى هذا البيت ذلك الأثر الذى أشار اليه فى البيت السابق . فاذا هو ما خط على الأرض بسحب زقاق الخمر عليها وما تركوا هناك من أضغاث الريحان، بين قديم مقطوف لوقته و يابس لطول العهد على قطافه .

حَبَسْتُ بها صَحْبِي وجَدَّدت عَهْدَهُم ، وإنّى عَلَى أمثالِ تِلك لَحَابِسُ (١)

تَدُورُ علينا الراحُ فى عَسْجدِيَّة حبَتْها بأنْواعِ التصاويرِ فارسُ (٢)

قَرَارَتُها كِسْرَى ، وفى جَنَباتِها مَهًا تَدَّرِيها بالقِسِيِّ الفَوارِسُ (٣)

فلِلْخمرِ ما زُرَّتْ عليه جُيوبُهُم ولِلْماءِ مَا دَارَت عليه القَلانِسُ (٤)

وقال يمدح الخليفة محمدا الأمين :

وإذَا المَطِىُّ بِنا بَلَغْنَ مُحَمَّدًا فَظُهورُهُنَّ على الرِّجالِ حَرَامُ (٥)

قَرَّبْنَنَا من خَيْرِ مَنْ وَطِئَ الحَصَى فَلَهَا علينا حُرْمَةٌ وذِمَامُ (٦)

رفعَ الحِجَابَ لَنَا فَلاحَ لِناظِرٍ قَمَرٌ تَقَطَّعُ دُونَهُ الأوهَامُ (٧)

(١) يريد أنه ألزم صحبه هذه الدار حيث توفروا على لهوهم وشرابهم وأعادوا العهد على مثل هذا العبث ، إذ هو نفسه شديد الاهتمام بذلك .

(٢) الراح : الخمر . والعسجدية : نسبة الى العسجد وهو الذهب ، ويريد بها كأسا مذهبة لا من ذهب . وحباه بكذا يحبوه : أعطاه ومنحه . وفارس: الأمة المعروفة .

(٣) قرارتها : أسفلها ، وهى هنا : ظرف مكان . والمهى : جمع مهاة ، وهى البقرة الوحشية يضرب بها المثل فى حسن العيون . ادّرى الصيد : ختله وادّرى غفلته بمعنى تحينها . والقسى : جمع قوس ، والفوارس والفرسان : جمع فارس وهو راكب الفرس . يريد أن الكأس محلاة من أسفلها بصورة كسرى ، وهو لقب لملك الفرس . أما جوانبها فحلاة بصور فرسان يتحينون غفلة المها ليرموها بسهام أقواسهم .

(٤) الجيب : وجمعه جيوب ، طوق الثوب . والقلانس : جمع قلنسوة ، وهى أشبه (بالبرنيطة) التى يلبسها الفرنجة وكانت من لباس الفرس . يقول : إنهم كانوا يصبون الخمر فى تلك الكأس حتى تحاذى أطواق صور الفوارس ثم يمزجونها بالماء حتى تحاذى رءوسهم .

(٥) المطى : جمع مطية ، وهى الدابة التى تركب . وهنا يراد بها النوق ، لأنها كانت مراكب القوم ، وخاصة فى أسفارهم الطويلة ، يريد أن المطايا التى تحملهم حتى تبلغهم أمير المؤمنين ينبغى ألا يركبها أحد إكراما لها بما فعلت وتشريفا .

(٦) الحرمة والذمام بمعنى واحد ، وهو ما يجب القيام به وعدم التفريط فيه .

(٧) يريد بالقمر وجه ممدوحه الامين . وتقطع بحذف إحدى التاءين . يقول الشاعر إنه حين بدا الأمين فاذا هو قمر لا تستطيع الأوهام أن تقدر مبلغ حسنه وبهاء طلعته .

مَلِكٌ إذا عَاقَتْ يَدَاكَ بِحَبْلِه … لا يَعْتَرِيكَ البُؤسُ والإعدَامُ (١)
فَالبَهْوُ مُشْتَمِلٌ ببدرِ خِلَافةٍ … لَبِسَ الشَّبَابَ بِنُورِه الإسْلَامُ (٢)
سَبْطُ البَنَانِ إذَا احْتَبَى بِنِجَادِهِ … فَرَعَ الجمَاجِمَ والسِّمَاطُ قِيَامُ (٣)
إنَّ الذِي يُرضِي الإلهَ بِهَدْيِهِ … مَلِكٌ تَرَدَّى المُلْكَ وهوَ غُلَامُ (٤)
مَلِكٌ إذا اعْتَسَرَ الأُمُورُ مضى به … رأْيٌ يَفُلُّ السَّيفَ وهوَ حُسَامُ (٥)
دَاوَى به اللهُ القُلُوبَ من العمَى … حتى أَفَقْنَ وما بِهِنَّ سَقَامُ (٦)
أصبحتَ يَابْنَ زُبَيدة بنةِ جعفرٍ … أملًا لِعَقْدِ حِبَالِه استحكامُ (٧)
فَسَلِمْتَ للأمرِ الذي تُرجَى لَهُ … وتقاعَسَتْ عَنْ يومِكَ الأيامُ (٨)

(١) علقت : تعلقت واتصلت . والبؤس : الفقر . والإعدام كذلك . يصف كرم الممدوح بأن من يلوذ به لا تناله شدّة ولا يلحقه فقر .

(٢) يريد بالبهو هنا البيت . ومشتمل مزدان . ومعنى الشطر الثانى أنه أعاد للدين سلطانه .

(٣) السبط : السهل الذى لا خشونة فيه . والبنان : أطراف الأصابع . واحدتها بنانة . وسبط البنان : الكريم . والنجاد : حمائل السيف التى يعلق بها . احتبى بنجاده : لبسه . وفرع الجماجم : علاها . سماط القوم : صفهم .

(٤) تردى : لبس الرداء . والمراد أنه ولى الخلافة صبيا .

(٥) اعتسرت الأمور : اشتدت والتوت . يفل السيف : يثلمه . والحسام : السيف القاطع . يريد أن الأمور اذا صعب حلها كان له فيها رأى نافذ سديد .

(٦) عمى القلوب : زيغها وضلالها . السقام بفتح السين : المرض .

(٧) وزبيدة أم الأمين جاءت به من هارون الرشيد ، وهى بنت جعفر بن المنصور . الأمل هنا المقصود والمأمول . استحكام : قوة . يقول صرت أملا يعلق الناس حاجهم بك فلا يخيب رجاؤهم . وقوله (لعقد) الى آخر الجملة صفة لقوله (أملا) .

(٨) تقاعس : تأخر . يقول : إن أيامك خير الأيام .

وقال يصف ناقة :

ولقد تجوبُ بِيَ الفَلاةَ إذَا ... صَامَ النَّهـارُ وقالت العُفْرُ (١)

شَدَنيةٌ رَعَت الحِمى فأتَتْ ... مِلءَ الحِبَالِ كأنَّها قَصْــرُ (٢)

تَثْنِي على الحاذَيْنِ ذَا خُصَلٍ ... تَعْـمَالُه الشَّزَرَانُ والخَطْرُ (٣)

أمَّا إذَا رفعَتْــهُ شَامِــذَةً ... فتقُــولُ رَنَّقَ فوقَهَا نَسْرُ (٤)

أمَّا اذَا وَضَعتْهُ عَارِضَــةً ... فتقُولُ أُرْخِيَ فَوْقَها سِــتْرُ (٥)

وتَسِــفُّ أحيانًا فتحسِبُهـا ... مُــتَرَسِّمًا يقْتَـادُهُ أثْرُ (٦)

فإذَا قَصَرْتَ لهَا الزِّمَامَ سَمَا ... فَــوْقَ المَقَادِمِ مَلْطَمٌ حُرُّ (٧)

---

(١) الفلاة : الصحراء الواسعة . وتجوبها : تقطعها . ويقال : صام النهار اذا توسطت الشمس السماء . والعفر : نوع من الظباء واحدها أعفر . والقائلة : نصف النهار ، ويقال : « قال الرجل يقيل » اذا نام وقت القائلة . يصف ناقته بالقوة والصبر حتى انها لتجوب به الصحراء فى الوقت الذى ينتصف فيه النهار ، وتقيل الظباء فرارا من شدة الحر ، وهى من بنات الصحراء .

(٢) شدنية : فاعل تجوب فى البيت السابق . والناقة الشدنية : القوية . ورعت الماشية الكلأ أكلته . وحمى الرجل المكان الذى لا يقرب و(ملء الحبال) كناية عن الضخامة والبدونة . يريد أن ناقته كانت مرفهة مدللة تصيب من المرعى ما يمتنع على غيرها ، فقويت وسمنت حتى أصبحت كالقصر .

(٣) الحاذان : واحدهما حاذ ، هما موقعا الذنب من الفخذين . والخصل : جمع خصلة . وخصل الشعر ، وخصل الشجر ما تدلى من أطرافه . والشاعر يعنى بذى الخصل ذنب الناقة . تعماله : عمله . والمراد بالشزران تحريك الذنب يمينا ويسارا ، وخطر الجمل بذنبه خطرا وخطرانا رفعه مرة بعد مرة وضرب به فخذيه .

(٤) شامذة : شائلة بذنبها الى أعلى . رنق النسر : خفق بجناحيه ورفرف .

(٥) عارضة : سائرة بنشاط .

(٦) تسف : تمر على وجه الأرض برأسها . مترسم : متتبع آثارا يتبينها .

(٧) سما : علا . المقادم : الأعالى الأمامية . الملطم : الخد . حر : أصيل .

وقال :

آثنِ علَى الخمــرِ بآلائِهـا وسَمِّهـا أحسنَ أسمائِهـا (١)
لاتجعـلِ المـاءَ لها قاهِرا ولا تُسَلطها علَى مائِهـا (٢)
كَرْخيَّةٌ قـد عُتِّقت حِقبَةً حتى مضَى أكثرُ أجزائِهـا (٣)
فـلم يكَدْ يُدرِكُ خمَّـارُها منهـا سِوَى آخِرِ حَوبائِها (٤)
دارَتْ فأحيَتْ غيرَمذمُومَةٍ نفُـوسَ حَرَّاهَا وأنْضَائِهـا (٥)
والخمرُ قـد يشربُهـا مَعشرٌ ليسوا اذا عُدُّوا بأكفائِهـا

وقال فى الطرَد ينعت كلب الصيد

لمـا تبَدَّى الصبحُ مِن حِجابِهِ كطَلعةِ الأشمطِ من جِلبابِهِ (٦)
وانعَدلَ الليــلُ الى مآبِهِ كالحبَشى افترَّ عن أنيابِهِ (٧)
هِجنا بكلبٍ طالمـا هِجنا به يَنتَسِفُ المِقوَدَ من كَلَّابِهِ (٨)

(١) الآلاء : النعم والمحاسن .

(٢) أى لا تمزجها بل هاتها صرفة .

(٣) كرخية : نسبة الى الكرخ : محلة ببغداد وغيرها . وعتقت : تركت مدة (حقبة) لتقدم وتحسن ، ومعنى الشطر الثانى أنها لطفت جدا كأنها لا مادة فيها .

(٤) الحوباء : النفس ، فكأنها من لطفها فنيت الا رمقا أدركه الخمار .

(٥) حراها : النفوس العطشى اليها . والانضاء : جمع نضو : وهو المهزول المتعب ، أى المهزولون لبعد عهدهم بها .

(٦) الأشمط : من يخالط سواد رأسه بياض . والجلباب : الثوب الواسع أو القميص (وهو الأسود هنا) .

(٧) افتر : كشف وأظهر ، يشبه انكشاف الليل عن الصباح بانكشاف شفتى الحبشى (الأسود) عن أسنانه مبتسما مثلا . (٨) ينتسف : يقتلع ويجتذب . والكلاب : صاحب الكلب .

كأنَّ مَتنَيهِ لَدى انسِـلَابِه مَتنا شُجاعٍ لَجَّ فى انسِـيابِه (١)
كأنَّمـا الأُظفورُ فى قِنابِه مُوسَى صَناعٍ رُدَّ فى نِصابِه (٢)
تَراهُ فى الحُضْرِ إذا هَاهىْ بِه يكاد أن يخرجَ مِنْ إهابه (٣)

وكان لأبى نواس صديقة اتصلت بصديق له ، فأنشأ القصيدة الآتية فى مدحه العباس بن عبيد الله بن أبي جعفر المنصور ، وجعل مطلعها معرضا لهذه القصة :

أَيُّهـا المنتابُ عن عُفُـرِهْ لستَ من ليـلِي ولا سَمَرِهْ (٤)
لا أَذودُ الطيرَ عَنْ شَجَـرٍ قَدْ بَلَوتُ المُرَّ مِنْ ثَمَرِه (٥)
قد لَبِستُ الدهرَ لِبسَ فتًى أخذَ الآدابَ عَنْ غِيَرِه (٦)
فاتَّصِلْ إن كُنتَ مُتَّصِلًا بِقُوى مَن أنتَ مِن وَطَـرِه (٧)
خفتُ مأثورَ الحديثِ غَدًا وغَـدٌ أدنَى لِمنتَظِـرِه (٨)

---

(١) انسلابه : أسراعه الشديد . والشجاع : ضرب من الحيات ، يشبه الكلب فى مروقه بالحية المنسابة سرعة وتلويا . (٢) القناب : المخلب . والصناع : الماهر . والنصاب : مقبض الموسى (اليد) ؛ فالظفر فى أصل المخلب ، كحديدة الموسى فى النصاب .

(٣) هاهى به : زجره . والاهاب : الجلد ، أى يكاد الكلب لسرعته الشديدة ، يخرج من جلده ليثب الى الغاية فى أقرب فرصة .

(٤) المنتاب لك : القاصدك المتردد عليك ، والعفر بضم فسكون و بضمتين : طول العهد ، ولست من ليلى الخ : لست من سمارى ليلا ، والخطاب لتلك المرأة يبرأ منها وان كان فى الظاهر لمذكر اذ المقصود الشخص . (٥) البيت تمثيل ، يقول - لا أحميك بعد خيانتك .

(٦) أى صاحبت الدهر حتى تعلمت من حوادثه التبصر والسداد فلست أغتر .

(٧) الوطر : الحاجة . والقوى : الأسباب (الحبال) والصلات ، أى اتصلى بمن يحب الاتصال بك دونى . (٨) مأثور الحديث : السمعة السيئة هنا .

خابَ من أسرَى إلى بَلَدٍ غيرِ معلومٍ مَدَى سَفَرِه (١)
وسَّدتْه ثِنْيَ ساعِده سِنَةٌ حلَّت إلى شُفُرِه (٢)
فامض لا تَمْنُن علىَّ يدًا، مَنُّكَ المعروفَ من كَدَرِه (٣)
رُبَّ فِتيانٍ رَبأتُهُمُ مَسقطَ العَيُّوقِ من سَحَرِه (٤)
فاتّقُوا بِي ما يَريبُهُمُ إنَّ تَقْوى الشرِّ من حَذَرِه (٥)
وابنِ عمٍّ لا يُكاشِفُنا قد لبِسناهُ على غَمَرِه (٦)
كَمَنَ الشنْآنُ فيه لنا ككُمونِ النارِ في حَجَرِه (٧)
ورُضابٍ بِتُّ أرشُفُه يَنقَعُ الظمآنَ من خَصَرِه (٨)
عَلَّنِيهِ خُوطُ أَسحِلَةٍ لانَ مَتْناهُ لِمُهتَصِرِه (٩)

(١) الأشبه أن يكون هذا البيت تمثيلا لحاله معها اذ اتصل بها دون أن يتبصر فى العواقب فخانته . وأسرى: سافر . والمدى : الغاية والنهاية .

(٢) الشفر : منبت الشعر من الجفن . والسنة : النوم الخفيف ، وهـذا تكميل لما قبله ، يصف المسافر حين يحمله النوم على اتخاذ ساعده وسادة له .

(٣) خطاب لصاحبه ، ومعنى الشطر الثانى أن المن يفسد الصنيعة .

(٤) ربأتهم : حرستهم فكنت لهم ربيئة مخافة النوازل . ومسقط : ظرف زمان . والعيوق : نجم أحمر مضيء يتلو الثريا ، يظهر سحرا ، يقول : ربأتهم فى الشدائد ، وهنا أخذ الشاعر يحدّث عن نفسه .

(٥) يريبهم : يفزعهم .

(٦) لا يكاشفنا : لا يظهرنا على العداوة ، لبسناه على غمره : عاشرناه على ما به من حقد .

(٧) الشنآن : البغض . وكمن : استتر ، فالبغض كامن فى نفسه مثل كمون النار فى الحجر .

(٨) الرضاب : الريق . ينقع : يبرد و يسقى . والخصر : البرد والضمير للرضاب .

(٩) علنيه : سقانيه مرات ، والخوط : الغصن الناعم تشبه به المرأة . والاسحلة مفرد إسحل : شجر عظيم ينبت بأعالى نجد . والمهتصر : الذى يجذب الغصن (مثلا) ويميله .

ذَا ، ومُغْـــبَرٍّ مَخَـارِمُه تَحسِرُ الأَبصارُ عَن قُطُـرِه (١)
لا ترى عينُ البَصيرِ بِهِ مَا خلَا الآجالَ من بَقَـرِه (٢)
خاضَ بِي لُجَّيـهِ ذُو جَرَزٍ مُقفِـرُ الصَّقلَينِ من ضُمُرِه (٣)
يكتسِي عُثنـونُه زَبَدًا فنَصِـيلاهُ إلى نُخَـرِه (٤)
ثم يَعـتَمُّ الحِجـاجُ بِهِ كاعتمامِ الفُـوفِ فى عُشَرِه (٥)
ثم تذرُوهُ الرِّياحُ كما طارَ قُطنُ النَّدفِ عن وَتَرِه (٦)
ذُلِّلَت تلكَ الفِـجاجُ لَه فهو مُجتـازٌ علَى بَصَـــرِه (٧)
كُلُّ حاجَاتِي تَناولهـا وهو لم تُنْقَض قُوَى أَشَرِه (٨)
ثم أدنَانِي إلى مَـلِكٍ يأمَنُ الجَانِى إلَى حُجُرِه (٩)

(١) ذا ، أى فعلت هـذا الذى ذكر، ثم أخذ يصف الطريق . المخارم : جمع مخرم وهو الطريق فى جبل أو رمل . تحسر الأبصار : تضعف العيون . وعن قطره : عن رؤية نواحيه .

(٢) البصـير به : من يعرفه . والآجال : جمع إجل بكسر فسكون وهو : القطيع من بقر الوحش أو الظباء .

(٣) ذو الجرز : الحصان القوى . الصقلان : الجنبان فالفرس قليل اللحم ضامر .

(٤) العثنون : شـعرات تحت حنك الفرس . والزبد : لغام أبيض تتلطخ به مشافر الفـرس . ونصيلان : مثنى نصـيل : حجر مستطيل يدق به يشـبه به لحى الفرس ، والنخر جمع نخرة : خرق الأنف أى أن الزبد يغطى لحييه و يحيط بخرق أنفه .

(٥) اعتم : لبس العمامة . والحجاج : عظم الحاجب ، والفوف هنا : الزهر . والعشر : شجر ذو نور ، فالزبد فوق الحجاج يشبه زهر العشر لونا وشكلا وهو أبيض .

(٦) تذروه الرياح : تذهب به وتفرقه .

(٧) الفجاج جمع فج : الطريق الواسع بين جبلين . ومجتاز على بصره : سائر بهدى بصيرته .

(٨) الأشر : النشاط والمرح ، أى سار فنون السـير التى أرجوها منه مع بقاء قوته تامة . والقوى : طاقات الحبل . ونقضها : فكها .

(٩) أى ملك يحمى اللاجئ إليه . والحجر :

تأخذُ الأيدى مَظالمها ... ثم تَستَذرى إلى عَصَرِه (١)
كيفَ لا يُدنيكَ مِن أمَلٍ ... مَن رَسولُ اللهِ مِن نَفَرِه (٢)
فاسألْ عن نوء تُؤمِّلُه ... حسبُك العباسُ من مَطَرِه (٣)
مَلِكٌ قَلَّ الشبيهُ لَه ... لم تقعْ عينٌ على خَطَرِه (٤)
لا تَغطَّى عنهُ مَكرُمَةٌ ... برُبًا وادٍ ولا خَمَرِه (٥)
سَبقَ التفريطَ رائدُهُ ... وكفاهُ العينَ مِن أثَرِه (٦)
وإذا مَجَّ القَنا عَلَقًا ... وتراءَى الموتُ فى صُوَرِه (٧)
راحَ فى ثِنيَى مُفاضَتِه ... أسَدٌ يَدمَى شَبا ظُفُرِه (٨)

(١) تستذرى : تلتجئ . والعصر : الملجأ ، تأخذ الأيدى مظالمها الخ : يحمل الناس مظالمهم و يقصدون إليه شاكين فيخلصهم لعدله وانصافه .

(٢) النفر : الجماعة ، وكان الأنسب أن يقول : من هو من نفر رسول الله ، فيضاف الممدوح إلى الرسول تشريفا لا العكس كما هنا .

(٣) النوء : النجم يمطر الناس إبان ظهوره وهو كناية عن المطر ذاته .

(٤) خطره : مثله ، يقال : هذا خطير لهذا وخطرله أى مثله وقل هنا : فقد وعدم .

(٥) لا تغطى : لاتخفى . والربا جمع ربوة : ما ارتفع من الأرض . والخمر : ما يستترك من شجر وغيره ، أى لا يترك مكرمة إلا فعلها .

(٦) التفريط : مصدر فرط رسوله قدمه وأرسله . والرائد : الرجل يرسله أهله يلتمس لهم منزلا خصبا ، يقول : إن العباس (رائده أى الرائد منه) يسبق الرسل و يعرف ببصيرته المستور . ومعنى الشطر الثانى أنه لقوة بصيرته يعرف الأمور بذاتها فلا يحتاج الى آثارها التى تعينه فى المعرفة .

(٧) مج : لفظ ورمى . والقنا . الرماح المفرد : قناة . والعلق : الدم ، وتراءى الموت الخ : أى ظهر الموت فى أشكاله المتباينة ، فطعين بالرمح ومضروب بالسيف . وصريع .

(٨) الثنيان : مثنى ثنى بكسر فسكون وهو : ما كف فى طرف الثوب . والمفاضة : الدرع الواسعة . والشبا : جمع شباة ، وهى حد السيف أو السنان فى طرفه ، يقول : إنه يعود من الحرب مدرعا كالأسد وقد احمرت شباته من دماء الأعداء .

تتأبّى الطـــيرُ غـــدوتَهُ ثِقةً بالشِّبع من جَزَرِه(١)
وترى الســاداتِ مائـــلةً لسَليل الشمس من قمرِه(٢)
وكريم الخــالِ مِنْ يَمَنٍ وكريم العمِّ من مُضَرِه(٣)
فَهُمُ شَـتّى ظُنونُهُـمُ حذرَ المكنون من فِكَرِه(٤)

(٧) أبانُ اللاحقيّ(٥)

من قوله يمدح الرشـيد ويظهر حجة بنى العباس على حقهم فى الخلافة دون بنى علىّ رضى الله عنهما :

نَشَدْتُ بحقِّ اللهِ مَن كانَ مُسْلِمًا أَعمَّ بِمَا قَدْ قُلْتُهُ العُجْمُ والعَـرَبُ(٦)
أَعَمُّ رَسُـولِ اللهِ أَقْرَبُ زُلْفَـةً لَدَيْهِ أَمِ ابْنُ العَمِّ فِي رُتْبَـةِ النَّسَبْ(٧)

(١) تتأبى : تتعمد وتنتظر . والجزر : قطع اللحم .

(٢) سليل : وليد ، والمعنى المولود من أمه التى هى كالشمس عن أبيه الذى هو كالقمر ، وضمير قمره للدوح . (٣) الممدوح : خاله يمنى وعمه مضرى .

(٤) شتى : متفرقة متنوعة يقول : إن السادات متنوعو الأفكار عما يضمره هو بالنسبة لهم وما يقضى فى شئونهم مخافة منه وإجلالا له .

(٥) أبان ابن عبد الحميد اللاحقى من الشعراء السياسيين الموالى المتنصرين للفرس على العرب فى مداراة . وكان عابثا محبا للمال ، هجاء مغرورا ملحدا ، تردّد بين البرامكة والخلفاء ، ولا سيما الرشـيد يمدحهم ويزاحم على بابهم أبا نواس ومروان بن أبى حفصة وسواهما توفى سنة ٢٠٠ هـ .

ويمتاز شـعره بالسهولة وان لم يكن ممتاز الفن والروعة ، وله شعر تعليمى ينظم فيه الحكم ومسائل الدين وسواها كنظمه كتاب كليلة ودمنة . (٦) نشدت الله فلانا : استحلفته به .

(٧) الزلفة بضم الزاى : القربة . يستحلف كل مسلم عربيا كان أو أعجميا أعم الرسـول صلى الله عليه وسـلم أقرب اليه فى درجة النسب أم ابن عمه . ويريد بالعم العباس . وبابن العم على بن أبى طالب رضى الله عنهما .

وَأَيُّهُمَا أَوْلَى بِهِ وبِعَهْدِهِ ... وَمَنْ ذَا لَهُ حَقُّ التُّرَاثِ بِمَا وَجَبْ (١)
فَإِنْ كَانَ عَبَّاسٌ أَحَقَّ بِتِلْكُمُ ... وَكَانَ عَلِيٌّ بَعْدَ ذَاكَ عَلَى سَبَبْ
فَأَبْنَاءُ عَبَّاسٍ هُمُ يَرِثُونَهُ ... كَمَا العَمُّ لابْنِ العَمِّ فِي الإرْثِ قَدْ حَجَبْ (٢)

وبعث بهذه الأبيات الى الفضل بن يحيي :

يَا عَزِيزَ النَّدَى وَيَا جَوْهَرَ الجَوْ ... هَرِ مِن آلِ هَاشِمٍ بِالبِطَاحِ (٣)
إِنَّ ظَنِّي، وَلَيْسَ يُخْلِفُ ظَنِّي، ... بِكَ فِي حَاجَتِي سَبِيلُ النَّجَاحِ
إِنَّ مِنْ دُونِهَا لَمُصْمَتَ بَابٍ ... أَنْتَ مِن دُونِ قُفْلِهِ مِفْتَاحِي (٤)
تَاقَتِ النَّفْسُ يَا خَلِيلَ السَّمَاحِ ... نَحْوَ بَحْرِ النَّدَى مُجَارِي الرِّيَاحِ (٥)
ثُمَّ فَكَّرْتُ كَيْفَ لِي وَاسْتَخَرْتُ الـ ... ـلهَ عِنْدَ الإِمْسَاءِ والإِصْبَاحِ (٦)
وَامْتَدَحْتُ الأَمِيرَ أَصْلَحَهُ اللـ ... ـهُ بِشِعْرٍ مُشَهَّرِ الأَوْضَاحِ (٧)

(١) التراث : ما يتركه الميت لورثته . ويريد به هنا الحق فى الخلافة .

(٢) يقول فى البيتين : إنه اذا كان العباس أحق بالإرث باعتباره العم ، وعلىّ مؤخر عنه فى الرتبة ، لأنه ابن العم ، فالواجب أن ينتقل ما ورثه العباس الى أبنائه ، والعم يحجب ابن العم ، أى يمنعه من الإرث .

(٣) عزيز هنا : بمعنى أنه منقطع النظير . والندى : العطاء . والبطاح : جمع بطحاء . وهى مسيل واسع فيه الرمل ودقاق الحصى ولمكة بطحاء .

(٤) المصمت : المغلق . والضمير فى دونها يعود على حاجتى فى البيت السابق . يريد أن حاجته عسيرة ولكن قضاءها على الممدوح يسير .

(٥) تاقت : اشتاقت . والسماح : الجود . ويقال فلان فى الكرم يجارى الريح أى أنه سريع الى العطاء .

(٦) كيف لى : أى ما ذا أصنع .

(٧) مشهر ذائع : الأوضاح : جمع وضح اسم للغرة أو الحلى من الفضة . والمراد شعر رائع .

فلما قرأها قال له هات مديحك فقال :

أَنَا من بُغْيَــةِ الأَميرِ وَكَنْزٌ مِن كُنُوزِ الأَميرِ ذُو أَرْبَاحِ (١)
كَاتِبٌ حَاسِبٌ خَطِيبٌ أَدِيبٌ نَاصِحٌ زَائِدٌ عَــلَى النُّصَّاحِ
شَاعِرٌ مُفْلِقٌ أَخَفُّ مِن الرِّيـ ـشَةِ أَوْ ما يَكُونُ تَحْت الجَنَاحِ (٢)

* * *

إِنْ دَعَانِي الأَمِيرُ عَايَنَ مِنِّى شَمَّرِيًّا كَالبُلْبُــلِ الصَّــيَّاحِ (٣)

(٨) مســلم بن الوليــد (٤)

قال :

إِذَا المرءُ لم يَبْذُلْ مِن الوُدِّ مثلَ مَا بَذَلْتُ لــهُ فاعلَمْ بأَنِّى مُفَـارِقُهْ
فَلا خَــيرَ فى وُدِّ امرئٍ مُتَكارِهٍ عَلَيْكَ، ولَا فى صَاحِبٍ لا تُوافِقُه

وقال :

دلَّتْ على نفسِها الدُّنيَا، وصَدَّقَها مَا اسْتَرجَعَ الدهرُ مِمَّا كانَ أعطَانِى (٥)
ما كنتُ أَدَّخِرُ الشكْوَى لِحَـادِثَةٍ حَتَّى ابْتَلَى الدهرُ أَسْرَارِى فأَشْكَانِى (٦)

(١) من بغيته : من مطالبه . يريد أن الأمير لو اصطنعه واصطفاه لرأى فيه خيرا كثيرا . وقد عدد مزايا نفسه فى البيتين بعده . (٢) الشاعر المفلق : المبدع . وأخف الريش وأدقه ما يكون تحت الجناح . ويريد بالخفة خفة الروح .

(٣) الشمرى بفتح الشين وتشديد الميم المفتوحة وكسر الراء : المجد الماضى فى الأمور . والبلبــل : طائر صغير الجسم حسن الصوت يضرب به المثل فى حسن الصوت .

(٤) نشأ صريع الغوانى مسـلم بن الوليد الأنصارى فى الكوفة وفيها درس وتأدب وعالج الشـعر منذ صباه يمدح به الأمراء ويثرى من ذلك ولكنه سخى متلاف . وكان مسلم من أكبر شعراء عصره وممن تكلفوا البديع فى شعرهم حتى رمى بإفساده . ولشعره صبغة خاصة تجمع بين الأسلوبين القديم والحديث معرقة واضحة وقد مات بجرجان سنة ٢٠٨ هـ . (٥) يقول : قد ظهر غدر الحياة بدليل شبابى الذى استرجعته منى الأيام .

(٦) ما اعتدت الشكوى من الحوادث فلما هجم الدهر على شبابى شكوت . والأسرار هنا : ما يضن به ويريد بها الشباب وأشكاه بعثه على الشكوى .

وقال يهجو دِعْبِل بن علي الخُزَاعي الشاعر :

أما الهِجاءُ فَدَقَّ عِرضُكَ دُونَهُ والمدحُ عنْكَ كما علمتَ جَليلُ (١)
فاذهبْ فأنتَ طليقُ عِرضكَ إنَّهُ عِرضٌ عززتَ به وأنتَ ذَليلُ (٢)

ومن قصيدة يمدح بها داود بن يزيد بن حاتم المهلبي :

لا تَدْعُ بِي الشوقَ إنِّي غيرُ معمُودِ نهى النُّهَى عن هَوَى البيضِ الرَّعاديدِ (٣)

* * *

مُوَحَّدُ الرأيِ تَنْشَقُّ الظنونُ لَهُ عَن كُلِّ مُلْتَبِسٍ منْها ومعْقُودِ (٤)
كالليثِ بل مِثْلُهُ الليثُ الهَصُورُ إذا غَنَّى الحَديدُ غِناءً غيرَ تَغْرِيدِ (٥)
يلقَى المنيةَ في أمْثالِ عُدَّتِها كالسيلِ يَقْذِفُ جُلموداً بجُلمُودِ (٦)
نَفْسِي فِداؤُكَ يا داودُ إذ علِقَتْ أيدِي الرَّدَى بنَواصِي الضُّمَّرِ القُودِ (٧)
تجُودُ بالنفسِ إن ضَنَّ الجوادُ بِهَا والجودُ بالنفسِ أقْصَى غايةِ الجُودِ

---

(١) دق : صغر فلا تحتمل مدحا ولا هجاء لصغرك عن الهجاء وحقارتك عن المدح .

(٢) طليق عرضك : أى صانك عرضك الحقير عن الهجو و بذلك كنت كالعزيز الذى لا يصح هجوه. والواقع أنك ذليل .

(٣) لا تدع بى الشوق : لا تنسبنى إليه . المعمود : من هده العشق . النهى : جمع نهية بضم النون وهى العقل . الرعاديد : جمع رعديدة المرأة الرخصة الناعمة .

(٤) موحد الرأى لا يتردد فيه . لأن ظنه كاف لادراك المعميات والدقائق .

(٥) الليث الهصور : الأسد الذى يكسر فريسته كسرا . غناء الحديد : صوت السلاح فى الحرب . التغريد للطائر : رفع الصوت بالغناء .

(٦) المنية : الموت . فى أمثال عدتها أى بجيوش وعدد تدافع الموت وتغالبه . الجلمود : الصخر . يشبه الممدوح بالسيل يرمى الموت بمثله كالسيل فى تدفقه يضرب الصخرة بالصخرة .

(٧) علقت : تعلقت . الردى : الموت . الضمر: جمع ضامر : الفرس الخفيف اللحم . القود جمع أقود : وهو الطويل الظهر . يظهر إعجابه بالممدوح والموت معقود بنواصى الخيل وقت القتال حتى قال له أفديك بنفسى .

وقال :

بِما أَبْقَتِ الأَيامُ مِنّى ولا الصِّـبَا سِوى كَبِدٍ حَرّى وقلبٍ مُقَتَّـلِ(١)

وَيومٍ من اللَّذاتِ خالَسْتُ عَيْشَـهُ رَقيبًا علَى اللـذاتِ غيرَ مُغَفَّـلِ(٢)

فكُنتُ نَديمَ الكأسِ حتّى إذا انقضَتْ تعوَّضْتُ مِنهَـا رِيقَ حَوراءَ عَيْطَلِ(٣)

نَهانِى عَنهـا حُبُّها أن أريبَهـا بسُـوءٍ ، فلَم أفتِـكْ ولم أتَبَتَّـلِ(٤)

سَـقَتْنِى بِعَيْنَيْهَا الهـوَى وسقَيْتُها ، فَدَبَّ دَبِيبَ الرَّاحِ فِى كلِّ مَفْصِـلِ(٥)

فَلمَّا استَمَرَّتْ مِنْ دُجى الليـلِ دَوْلَةٌ وكادَ عَمُودُ الصُّبحِ بِالصُّبْحِ يَنْجَـلِى(٦)

تراءَى الهوَى بِالشَّوْقِ، فاستحدَثَ البُكَا وقَالَ لِلَـذَّاتِ اللِّقَـاءِ : تَرَحَّـلِى(٧)

فَـلَمْ تَرَ إلا عَـبْرَةً بَعْـد عَبْرَةٍ مُرَقْـرَقَةً أو نظْـرةً بِتَأَمُّـلِ(٨)

وقال :

يا رُبَّ خِدْنٍ قد قرَعْتُ جَبِينَـهُ بِالطَّـاسِ والإبْرِيقِ حَتَّى مَالَا(٩)

أنْهضْتُه مِنْ بَعْـدِ ما أسْكَرْتُهُ فَمَشَى كأنَّ بِرِجْـلِهِ عُقَـالا(١٠)

(١) الكبد الحرى : هى التى ألهبها العشق . الصبا : ملاهى الشباب . مقتل : قتله العشق .

(٢) خالست الرقيب : تحينت غفلته . يريد بالرقيب غير المغفل هموم الدهر وأكداره .

(٣) الحوراء : المرأة ذات العين بياضها وسوادها شديدان . العيطل : الطويلة العنق فى حسن .

(٤) أفتك : ابتذل . أتبتل : أمتنع متحرجا . يقول : إن حبى لها أكرم موضعها عندى فلم أسرف. ولم أتحرج وإنما كان لهو معتدل .

(٥) يصف سحر عيونها . الراح : الخمر .

(٦) الدولة هنا : الجانب . عمود الصبح : ضوءه .

(٧) تراءى الهوى بالشوق : ظهرت حرارة الحب .

(٨) العبرة : الدمعة قبل أن تفيض . مرقرقة : تدور فى باطن العين .

(٩) الخدن : الحبيب . الطاس : الإناء يشرب فيه . يريد ساقيه الخمر .

(١٠) العقال : داء يأخذ الدواب فى أرجلها . أى لا يستطيع المشى لشدة السكر .

* * *

فإذا نَظَرْتَ رأيتَ قومًا سَادَةً ونجابةً ومَهَابةً وجَمالا
ولَدَيهِمُ كَرخِيَّةٌ شَمْسِيَّةٌ قد خُلِّيَتْ فى دَنِّها أحْوالا(١)
حتَّى إذا بَلغتْ، وحانَ خِطَابُهَا سَاومْتُ صاحِبَها البِياعَ فغالَى(٢)
وكأنَّما السَّاقِي لَدَى إبريقِه بدرٌ أنارَ ضِيَاؤُه فتلالَا(٣)
يَسقِيكَ بالعينَينِ كأسَ صَبابَةٍ ويُعِيدُهَا من كَفِّه جِريَالَا(٤)
أصبَحتُ كالثَّوبِ اللبِيسِ قدَ اَخْلَقَت جِدَّاتُه مِنه فَعَادَ مُذَالَا(٥)
وبَقِيتُ كالرَّجُلِ المُدَلَّهِ عقلُه أشكُو الزمانَ وأضرِبُ الأمثالَا(٦)
سَالَمت عُذَّالِي فآبُوا بالرِّضَا مِنِّى، وكنتُ أحارِبُ العُذَّالَا(٧)
ولقد علمتُ بأنه ما مِنْ فتًى إلَّا سَيُبدَلُ بعدَ حَالٍ حالا

وقال من وَزْنٍ مُوَلَّد :

يا أيُّها المعمودُ قَدْ شَفَّكَ الصدُودُ(٨)
فأنتَ مُسْتَهامٌ حالفَكَ السُّهُودُ(٩)

(١) كرخية : خمر منسوبة الى الكرخ وهى محلة ببغداد . شمسية : أنضجتها الشمس . الدن : وعاء كبير تختزن فيه الخمر . يريد أنها خمر معتقة . الأحوال : جمع حول ، وهو العام .

(٢) خطابها من الخطبة بكسر الخاء : وهى دعوة المرأة للزواج . ساوم المشترى السلعة : طلب بيعها . غالى : تشدد فى الثمن وزاد . (٣) تلالا : تلألأ وأضاء .

(٤) الصبابة : الشوق . الجريال : الخمر . يسقيك كأسين إحداهما من العين (سحرها) والثانية من اليد .

(٥) اللبيس : الذى أخلقته كثرة اللبس . جدة الثوب : كونه جديدا . مذالا : مهينا مبتذلا .

(٦) المدله : الذاهب عقله من العشق وذلك شأن الرجل إذا أسن وخرف .

(٧) العذال : اللائمون . آبوا : رجعوا .

(٨) المعمود : الشديد الوجد أو الحزن . وشفك : أوهنك وأنحلك . والصدود هنا : إعراض الحبيب ، يتحدث الشاعر عن نفسه . (٩) المستهام : الذاهب الفؤاد من الحب . والسهود جمع سهد : الأرق .

تَبيتُ ساهِرًا قَـدْ ... وَدَّعَكَ الْهُجـودُ (١)
وفِى الفُـؤادِ نَارٌ ... لَيسَ لَهـا خُمـودُ
تَشُـبُّها نِيرانٌ ... من الهَوى وقُـودُ (٢)
إذَا أقـولُ يَومًا ... قَـدْ أُطفِئتْ تَزِيدُ
يَا عاذِلَىَّ كُفَّا ... فإنَّنِى مَعمـودُ
أكْثَرْتُمَا تَفْنِيـدِى ... لو يَنفَعُ التفنيـدُ (٣)
قَدأقْصَدَتْ فُؤادِى ... خَمْصَـانَةٌ خَرِيـدُ (٤)
هِجرانُهـا قَـريبٌ ... ووَصلُهـا بَعِيـدُ

* * *

مَن لامَ فى هـواها ... فنُصـحه مَردودُ
يا سِحـرُ واصِلينِى ... فإنَّـنى عَميـدُ (٥)
إنِّى لِمَا أُلاقِى ... من حُبِّكُمْ مجهـود
جُـودِى لِمُسـتَهامٍ ... عَـذَّبَه التَّسـهِيدُ
نَسهَرُ من هَواكُمْ ... وأَنـتُمْ رُقُـودُ
حَتَّى مَـتَى مُنَـاىَ ... لا يُنْجَـزُ الموعُـودُ
صَارَ الهـوى بِقَلْبِى ... يُبْـدِى كما يُعيـدُ

(١) الهجود : النوم .
(٢) تشبها : توقدها وتزيدها . وقود : توقد لها .
(٣) التفنيد : اللوم .
(٤) أقصدت فؤادى : طعنته . خمصانة : ضامرة الحشا . الخريد : البكر والحيية .
(٥) العميد كالمعمود : الشديد الوجد أو الحزن .

* * *

وَسَادَةٍ سَراةٍ ... مافيهم مَسُودُ (١)
كُلُّهم جَلِيدٌ ... مَافِيهم حَرِيدُ (٢)
بَانَ السَّفَاهُ عَنْهُم ... فرأيُهم سَدِيدُ (٣)
يُسقَونَ صَفوَ راحٍ ... لَذِيذُها مَوجودُ
كانتْ بِعهدِ نُوحٍ ... وهُمْ لها جُنُودُ (٤)
حَتَّى إذَا أُبِيدُوا ... أُورِثَها ثَمُودُ (٥)
شَمسيَّةٌ شَمُولٌ ... شَيطانُها مَرِيدُ (٦)
مُدَامَةٌ لهَا فِي ... خُدودِنَا تَورِيدُ
كَأنَّ شَارِبِيهَا ... فِي سُوقِهِمْ قُيُودُ (٧)
حَتَّى انثَنَتْ عُيُونٌ ... واحمرَّتِ الخُدودُ
فِي مَجلِسٍ نَضِيرٍ ... يَزِينُهُ الشُّهودُ (٨)

---

(١) السراة : جمع سرى ، وهو السيد الشريف .

(٢) الجليد : الجلد القوى الصلب . والحريد : المنفرد الضعيف .

(٣) السفاه : السفه وذهاب الحكمة والسداد .

(٤) أى هى عتيقة قديمة ، وهم : القدامى .

(٥) أى فلما هلك قوم نوح ورثها قوم ثمود فتنقلت فى الأحقاب حتى وصلت إلينا .

(٦) شمسية : من صنع الشمس وحرارة الطبيعة ولم تطبخ . شمول : خمر أو باردها . المريد : المتمرد الخبيث ، أى خمر قوية الأثر .

(٧) السوق : جمع ساق : ما بين الركبة والقدم ، يقول : إن شاربيها أقعدهم السكر فكأنهم مقيدون لا يستطيعون حراكا .

(٨) النضير : الحسن . والشهود : الحضور .

غَطارِفٌ كِرَامٌ بِيضُ الوُجوهِ صِيدُ (١)
مِنْ فوقِهم أطيارٌ صِيَاحُهَا تَغْرِيدُ
وتحتَهمْ جِنَانٌ نَبَاتُهَا نَضِيدُ (٢)
وعِنْدَهُمْ دِفافٌ وزَامِرٌ وعُودُ (٣)
خَاضُوا بِبَحرِ قَصْفٍ تَجرِى لَهُ مُدُودُ (٤)
حَتَّى انْتشَوا وقَاموا مَجلِسُهمْ مَحمُودُ
مَنْ نَالَ مِثلَ هذَا فإنَّهُ سَعِيدُ
هَذَا الخُلود عِندِى لَوْ دَامَ لى الخُلودُ

وقال :

أَديرِى علَىَّ الراحَ سَاقِيةَ الخَمرِ ولاتَسألِينِي واسألِي الكأسَ عن أمرِى (٥)
كأنَّكِ بِى قَدْ أظهرَتْ مُضمَرَ الحشَا لَكِ الكأسُ حَتَّى أَطْلَعَتْكِ عَلَى سِرِّى (٦)
وقَـدْ كُنْتُ أَقْلِي الرَّاحَ أن يَستَفِزَّنِي فَتَنطِقَ كأسٌ عَن لِسانِى ولا أدرِى (٧)

(١) غطارف : جمع غطرف وغطريف وهو السيد أو الكريم أو الشاب الظريف . والصيد : جمع أصيد وهو الملك أو الشريف العزيز .

(٢) نضيد : منضد أى منسق .

(٣) دفاف جمع دف : من آلات الطرب .

(٤) القصف : الإقامة فى الأكل والشراب واللهو . والمدود : الزيادات .

(٥) الراح : الخمر . يقول : الكأس تكشف لك أمرى اذا سكرت منها كما يوضحه البيت التالى .

(٦) أى كأنك ترينى وقد اطلعتك الكأس على سرى الذى أضمره فى نفسى . والحشا هنا : القلب أو الصدر مما هو مكان السر ، والسكران لا يعى شيئا فلا جرم أن يبوح بما فى نفسه .

(٧) أقلى : أبغض . يستفزنى : يستخفنى لذهاب وعيى ، أى كنت أكره الخمر خوف ذهاب عقلى فيظهر سرى دون أن أشعر .

وَلكِنَّنِي أعْطَيتُ مِقْوَدِي الصِّبَا   فَقَادَ بَنَاتِ اللهوِ مَخْلُوعَةَ العُذْرِ (١)
إذَا شِئْتُ غَادَانِي صَبُوحٌ مِنَ الهوى   وإن شِئْتُ مَا سَانِي غَبُوقٌ من الخَمْرِ (٢)
ذَهبتُ وَلَمْ أُحْدِدْ بِعَيْنِي نَظْرَةً   وأَيْقَنتُ أنَّ العينَ هَاتِكَةُ سِتْرِي (٣)
جَعلْنَا عَلَامَاتِ المَودَّةِ بَيْنَنَا   مَصَايِدَ لَحْظٍ، هُنَّ أَخْفَى من السِّحْرِ (٤)
فاعرِفُ مِنهَا الوصلَ فى لِين طَرفِهَا   وأعرِفُ منهَا الهجرَ بالنَّظَرِ الشَّزْرِ (٥)
وفى كُلِّ يومٍ خَشيَةٍ مِنْ صُدُودِهَا   أَبِيتُ عَلَى ذَنْبٍ، وأغدو على عُذْرِ (٦)
ومُلْتَطِمِ الأمْواجِ يَرمِى عُبَابُهُ   بِجَرجَرَةِ الآذِىِّ لِلعِبْرِ فالعِبْرِ (٧)
مُطعَمَةٍ حِيتَانُه ما يُغِبُّهَا   مَا كُلُّ زادٍ مِنْ غَرِيقٍ ومِن كَسرِ (٨)

(١) العذر : جمع عذار : الحياء، وخلع عذاره : اتبع هواه وانهمك فى الغى . يقول : ولكننى عدلت عن بغض الراح، واتبعت دواعى الصبا، فقادنى مخلوع العذار الى اللذات . وأوقع الفعل على بنات اللهو وهو واقع عليه هو فهو المقود بيد الصبا .

(٢) الصبوح : الشرب صباحا، وضده الغبوق . وغادانى : باكرنى . وصبوح من الهوى : اتصاله بالغرام، فهو بين الهوى والخمر .

(٣) أحدد : أنظر بحدة . اليها : الى المحبوبة، وذلك خوف ظهور شأنى .

(٤) مصايد لحظ : غمزات العين، وهن أخفى من السحر لأنه لا يفطن لها أحد .

(٥) النظر الشزر : يكون بجانب العين إعراضا .

(٦) أبيت على ذنب : أى ترمينى بذنب لم أفعله . وأغدو على عذر : أسرع بالاعتذار اليها .

(٧) وهنا انتقل الشاعر الى وصف نهر الفرات والسفينة التى ركبها الى ممدوحه . وملتطم الأمواج : ورب بحر زاخر . والمتلاطم : المتناطح . وعباب البحر أو النهر : موجه . وجرجرة الآذى : صوت الموج . والعبر : حافة النهر .

(٨) مطعمة : شبعة . ما يغبها : ما ينقطع عنها . وكسر : كسر سفينة، فحيتان النهر موفورة الطعام من كثرة ما تصيب من الغرقى والأمتعة، يصف النهر بالهول .

إذَا اعتَنَقَتْ فيـهِ الجَنوبُ تكفَّأَتْ ... جَوَارِيهِ أو قامَتْ مع الرِّيحِ لا تَجرِى(١)

كأنَّ مَدَبَّ الموجِ فى جَنَبَاتِهـا ... مَدَبُّ الصَّبَا بَينَ الوِعاثِ من العُفـرِ(٢)

كَشَفْتُ أَهَاوِيلَ الدُّجَى عَنْ مَهُولِهِ ... بِجَـارِيَةٍ مَحْمُـولَةٍ حَامِلٍ بِكْـرِ(٣)

لَطَمْتُ بِخَدَّيهَـا الحَبَابَ فأَصبَحتْ ... مُوَقَّفَـةَ الدَّايَاتِ مَرْثُومَةَ النَّحـرِ(٤)

إذَا أَقبَلَتْ رَاعتْ بِقُنَّـةِ قَرهَبٍ ... وإن أَدْبَرَتْ راقَتْ بقَـادِمَتَى نَسْرِ(٥)

تَجَـافَى بهـا النُّوتِىُّ حَتَّى كأنَّمـا ... يَسِـيرُ مِنَ الإشـفَاقِ فى جَبَلٍ وَعْرِ(٦)

تَخَلَّجُ عَنْ وَجـهِ الحَبَابِ كما انثَنَتْ ... مُخَبَّأَةٌ مِنْ كِسرِ سِتْـرٍ إلى سِتْرِ(٧)

أطَلَّتْ بِمِجذافَيْنِ يَعتَـوِرانِهـا ... وقَوَّمَهـا كَبحُ اللِّجَامِ مِنَ الدُّبْرِ(٨)

(١) اعتنقت : اضطربت واستدارت. والجنوب : ريح تهب من الناحية الجنوبيـة . تكفأت : انقلبت . والجوارى : السفن ، فالسفن مع تلك الريح تنكفئ أو تقف لا تسير لهول الحال .

(٢) جنباتها : جنبات السفينة . والصبا : ريح شرقية . الوعاث : الرمال اللينة . والعفر : جمع أعفر وهو الكثيب الأحمر ، يشبه تحرك الموج بجوانب السفينة ، بتحرك الريح بين الرمال فتحمل أجزاءها متنقلة .

(٣) عاد الى النهر يصفه . أهاويل : أهوال ، ومهوله : هول النهر . محمولة : يحملها المـاء . حامل : تحمل الناس . بكر : لم تركب قبل هذه المرة . يقول : قطعت النهر المهول ، والليل المخوف بتلك السفينة .

(٤) الحباب هنا الموج ، موقفة لابسة الوقف : سوار من عاج . الدايات : أضلاع الكتف أو غضار يف الصـدر . مرثومة : بها صبغ من حمرة أو بياض فى مقدمها أو ودع أبيض . يقول : قد أحدث الموج فى جانبى السفينة خطوطا خضرا أو حمرا . وهى مرثومة المقدم مصبوغته أو به ودع أبيض .

(٥) راعت : أفزعت . قنة قرهب : رأس ثور وحشى مسن ، شبه به مقعد النوتى فى صدر المركب . راقت : أعجبت . بقادمتى نسر : بمجذافين كأنهما جناحا نسر .

(٦) تجافى : تنحى عن الحشف وهو حجارة تحت المـاء تقرب من أعلاه . والاشـفاق : الخوف يقول : إن النوتى تحاشى موطن الخطر فكأنه يسير فى جبل وعر .

(٧) تخلج : تنحى . الحباب : الموج ، والمراد الأماكن التى تضطرب فيهـا الأمواج ، يشبه تنقل السفينة بين المواضع خشية الأخطار بالجارية تتنقل فى نواحى البيت وأستاره مستترة .

(٨) يعتورانها : يتـداولانها . واللجام هنا : سكّان المركب يوجه به كما يقاد الفرس باللجـام . والدبر : الخلف .

فَحَامَتْ قَلِيــلًا ثُمَّ مَرَّتْ كَأَنَّهَــا عُقَابٌ تدلّتْ مِنْ هَــواءٍ عَلى وَكْرِ(١)
أَنَافَ بِهَــادِيهَا وَمَــدَّ زِمَامَهَــا شَدِيدُ عِـلاجِ الكَفِّ مُعتمِلُ الظَّهْرِ(٢)
إذا مَا عَصَتْ أَرْخَى الجَـرِيرَ لِرَأسِهَا فَمَلَّكَهَا عِصْيَانَهَــا وَهْيَ لا تَدْرِى(٣)
كَأَنَّ الصَّبَا تَحكِي بِهَـا حِينَ وَاجَهَتْ نَسِيمَ الصَّبَا مَشْيَ العَرُوسِ إلى الخِدرِ(٤)
يَمَّمْنَا بِهَا لَيْــلَ التَّمَـامِ لِأَرْبَــعٍ فَجَاءَتْ لِستٍّ قَدْ بَقِيــنَ مِنَ الشَّهْرِ(٥)
فَمَـا بَلَغَتْ حَتَّى الطَّلاحُ خَفِــيرُهَا وَحَتَّى أَتَتْ لَوْنَ اللِّحَـاءِ مِنَ القِــشْرِ(٦)
وَحَــتَّى عَلَاهَا المَــوجُ فى جَنَبَاتِهَــا بِأَرْدِيَةٍ مِنْ نَسْــجِ طُحْلُبِــهِ خُضْرِ(٧)
نَمَتْ بِالكَرَى أَهوالُهَــا عَنْ عُيُونِهِم فَبَاتَتْ أَهَاوِيلُ السُّرى بِهِــمُ تَسْرِى(٨)

---

(١) حامت : استدارت. والعقــاب : طائر من الجوارح . والوكر : العش ، يشــبه سرعة السفينة بانقضاض العقاب الى وكره .

(٢) أناف بهاديها : أشرف بعنق السفينة . والمعتمل : العامل . يقول : يعالج السفينة نوتى قوى .

(٣) الجرير : الحبل . عصيانها : تماديها فى الجرى . أى ترك لها العنان لتسير كما تهوى فكأنه حملها على العصيان ، ... ولكنها لا تعقل ذلك .

(٤) يقول : حين تواجه الصبا السفينة ترفق فى مشيها فتشــبه فى ذلك مشى العروس إلى خدرها ، وهو ما تستتر به من بيت أو نحوه .

(٥) أى قصدت بها الممدوح لتمام الليلة الرابعة عشرة من الشهر فوصلت وقد بقى من الشهر ست ليال .

(٦) الطلاح : الكلال والإعياء وفساد الحال . أى فما بلغت الغاية حتى صار الطلاح كأنه هو الحافظ لها من الهلاك ، وذلك عجيب . وحتى أتت : حتى صارت . لون اللحاء : مثل لونه ، واللحاء : القشر الرقيق الذى دون القشر الغليظ ، فالسفينة تغير لونها بما ذهب من قشرها .

(٧) الطحلب : طبقة نباتية خضراء تعلو الماء ، يذكر تعلق الطحلب بجوانب السفينة من تأثير الموج . وخضر : صفة أردية .

(٨) الكرى : النوم ، يقول : إن أهوال السفينة منعت ركابها النوم ، فباتوا يسيرون فى أهوال ، والأهاويل : جمع أهوال ، وهذه جمع هول .

تؤمُّ محـــلَّ الراغبـــين وحيثُ لا تُـذادُ إذا حلّت به أرحُل السّـــفرِ[١]
ركبْنا إليـــه البحـــرَ فى مُـؤْخراتهِ فأوفتْ بنـا مِنْ بعـــدِ بحرٍ إلى بحرِ[٢]

(٩) أبو العتـاهيـــة[٣]

قال :

خانَكَ الطَّرْفُ الطَّموحُ أيُّهـا القَلْبُ الجَمُوحُ[٤]
لِدَواعى الخَـيْرِ والشَّـرِّ دُنـــوٌّ ونُزُوحُ[٥]
هَـــلْ لمطْلُوبٍ بِذَنْبٍ تَوْبةٌ منـــه نَصُوحُ[٦]
كَيفَ إصلاحُ قُلُوبٍ إنَّمـا هُنَّ قُـــرُوحُ[٧]
أَحْسَنَ اللهُ بِنَـا أَنْ الخطَايَا لا تَفُـوحُ
فإذا المَســـتُورُ مِنَّـا بينَ ثوبيْـــهِ فَضُوحُ[٨]

(١) تؤم : تقصد أى السفينة . تذاد : تمنع . السفر : المسافرون ، والمعنى أن السفينة تقصد بنا منزلا يقصده الراغبون فى الكرم حيث يرحب بهم .

(٢) فى مؤخراته : أى فى أواخر ركوبه . يقول إن السفينة انتقلت بنا من بحر (الفرات) الى من يشبه البحر كرما .

(٣) هو اسماعيل بن القاسم يكنى أبا اسحق نشأ بالكوفة ، وعالج الشـعر صبيا خليعا ثم ألم بمذاهب المتكلمين والفلاسفة حتى خرج زاهدا . وكان بخيلا شديد البخل ، غلب عليه مذهب الزهد حتى حانت منيته سنة ٢١١ هجرية ببغداد . ويمتاز شعره بالسهولة ووضوح المعنى وتناول الخواطر العامة فكان صلة حسنة بين الطبقات المتباينة ويكاد شعره من السهولة يكون نثرا .

(٤) الطرف : العين . الطموح : الطامع يجعلك تتعلق بأمور كثيرة . جموح : ناخر لا يقنع .

(٥) نزوح : بعد . ودنو : قرب .

(٦) المطلوب بذنب : العاصى الآثم . نصوح : صادقة . **والاستفهام للتمنى .**

(٧) قروح : جمع قرح . وهو الجرح (الإثم) .

(٨) فضوح : مفتضح . مكشوف المساوى .

كَمْ رأيْنَا مِنْ عَزيزٍ   طُوِيَتْ عَنْهُ الكُشُوحُ (١)
صاحَ مِنْهُ بِرَحيلٍ   صَائحُ الدَّهْرِ الصَّدُوحُ (٢)
سَيَصِيرُ المرءُ يومًا   جَسَدًا ما فيه رُوحُ
بَيْنَ عَيْنَيْ كُلِّ حَىٍّ   عَلَمُ الموتِ يَلُوحُ (٣)
كُلُّنَا فى غَفْلَةٍ والـ   ـموتُ يَغْدُو ويَرُوحُ (٤)
نُحْ على نفسِكَ يا مِسْـ   ـكِينُ إنْ كُنتَ تَنُوحُ
لَتَمُوتَنَّ وإنْ عُمِّـ   ـرْتَ مَا عُمِّرَ نُوحُ (٥)

ومن قوله :

ألم تَرَ رَيبَ الدهرِ فى كلِّ ساعةٍ   لهُ عارضٌ فيه المنيَّة تلمعُ (٦)
أيا بَانِيَ الدُّنيَا لغيرِك تبتَنِى   ويا جَامعَ الدنيا لغيرِك تجمعُ
أرى المرءَ وثَّابا على كلِّ فُرصةٍ   وللمرءِ يوما لا مَحالةَ مصرعُ
تباركَ مَنْ لا يملِك الملكَ غيرُهُ   متى تنقضى حاجاتُ من ليس يشبعُ (٧)
وأىُّ امرئٍ فى غايةٍ ليس نفسُه   إلى غايةٍ أخرى سِواها تَطَلَّعُ

(١) الكشوح : جمع كشح ، وهو ما بين السرة والظاهر ، طوى كشحه : أعرض ، يقول كم من عزيز صار ذليلا منبوذا .
(٢) الصدوح : مرتفع الصوت ، رحيل : موت ، يقول : مات .
(٣) علم الموت : مظاهره وآثاره .
(٤) يغدو ويروح : أى يحصد النفوس دائما يقظان .
(٥) سيدنا نوح عاش طويلا .
(٦) ريب الدهر : نوائبه ، العارض : السحاب ، والمنية : الموت ، يشبهها بالبرق يكون فى السحاب استعارة مكنية .
(٧) فى الشطر الثانى استفهام تعجبي من طمع الإنسان فيما ليس يملكه .

ولما عقد الرشيد العهد لبنيه الثلاثة الأمين والمأمون والمؤتمن قال أبو العتاهية :

رحلتُ عن الربع المُحيل قَعُودى ... إلى ذى زُحوفٍ جَمَّـةٍ وجنودِ (١)
وراعٍ يُراعى الليل فى حفظ أمّةٍ ... يُدافعُ عنها الشرَّ غيرَ رَقودِ
بألويةٍ ، جبريلُ يقـدُم أهلها ... وراياتِ نصرٍ حَوله وبُنـودِ (٢)
تجافَى عن الدنيا وأيقن أنّها ... مفارِقةٌ ليستْ بدار خلود
وشدَّ عُرا الإسلام منـهُ بفتيةٍ ... ثلاثةِ أملاكٍ وُلاةِ عهـود
هُمُ خَيرُ أولادٍ ، لهمْ خيرُ والدٍ ... لهُ خير آباء مضَت وجُدودِ
تُقلِّبُ ألحاظَ المهابةِ بينهم ... عيونُ ظباء فى قلوب أسودِ (٣)
خدودهمُ شمسٌ أتتْ فى أهِـلَّةٍ ... تبـدَّت لراءٍ فى نجُوم سـعود (٤)

وقال :

دَعْنِى من ذِكْرِ أبٍ وجَدِّ ... ونَسَبٍ يُعْليكَ سُورَ المَجْدِ
ما الفَخْرُ إلا فى التُّقَى والزُّهْدِ ... وطاعةٍ تُعْطِى جِنَانَ الخُـلْدِ
لا بدَّ من وِرْدٍ لأهْلِ الوِرْدِ ... إما إلى ضَحْـلٍ وإمَّا عِـدِّ (٥)

---

(١) القعود : الجمل الفتى يقتعده الراعى فى كل حاجة ورحله ركبته . المحيل : الدارس . الزحوف جمع زحف : الجيش الكثير يزحف الى العدو . وذو الزحوف هنا : الرشيد .

(٢) يقدم أهلها : يتقدمهم . البنود جمع بند : العلم .

(٣) يقول إن لهم عيونا كعيون الظباء جمالا ، وقلوبا كقلوب الأسود جرأة ، ولعيونهم ألحاظ تبعث الهيبة والروعة فى النفوس .

(٤) الأهلة : الوجوه مجازا . ونجوم السعود : أفراد البيت المالك ، ويجوز أن يراد بها أوقات سعادة .

(٥) الضحل : الماء القليل لا عمق له . والعدّ : الماء الذى له مدد لا ينقطع .

وقال :

أى عيش يكون أبلغَ من عيـ ـشٍ كَفافٍ قوتٍ بقدر البَلاغِ (١)
صاحبُ البَغْيِ لَيْسَ يَسْلَمُ منه وعلى نفسِــهِ بَغَى كُلُّ بَاغِي
ربَّ ذى نعمةٍ تَعَرَّضَ مِنْهَا حائلٌ بينـه وبينَ المساغ
أبْلَغَ الدهرُ فِي مَوَاعِظه بل زَادَ فِيهِنَّ لِي عَلَى الإبْـلاَغِ
غَبَنَتْنِي الأيام عَقْـــلِي ومالِي وَشَــبابِي وصِحَّتِي وفَــرَاغِي

وقال :

لِدُوا للموت وابْنُــوا لِلخَرَابِ فَكُلُّكُمُ يصيــر إلى تَبَـابِ (٢)
أَلا يا موت لم أر منكَ بُدًّا أَتَيْتَ وما تَحِيفُ وما تُحَابِي
كأنكَ قد هَجَمْتَ على مَشِيبِي كما هَجَمَ المشيبُ على شَــبَابِي

وقال فى الغزل :

قال لى أحمدٌ ولم يَدْرِ مابى أتُحِبُّ الغــداة عُتْبَــةَ حَقًّا
فتنفَّسْتُ ثم قلتُ نَعَــمْ حُبـ ـبًا جرى فى العروقِ عِرْقًا فعِرْقا
لو تَجُسِّــينَ يا عُتَيْبَــةُ قَلْبِي لوجدتِ الفــؤاد قرحًا تَفَقَّا (٣)
قد لَعَمْرِى مَلَّ الطَّبِيبُ ومَلَّ الـ ـأهلُ مِنِّى مما أُقَاسِى وألْقَى
لَيْتَنِي مِتُّ فَاسْــتَرَحْتُ فَإِنِّى أَبَدًا مَا حَيِيتُ مِنْــهُ مُلَقًّى (٤)

---

(١) قوت البلاغ : ما كان على قدر الكفاية .
(٢) التباب : الهلاك .
(٣) تفقأ الجرح : انفتح وسال .
(٤) مُلقى : ملاق شره .

جملة من أمثاله :

حَسْــبُكَ مِمَّـا تَبْتَغِيـهِ القُوتُ ما أكثرَ القـوتَ لمن يمُوتُ

* * *

الفقـــرُ فـيما جاوز الْكَفَافَا مَن اتَّــقَى اللهَ رَجَا وَخَافَا

* * *

هي المقـادير فلُمْــنِي أو فَــذَرْ إن كُنتُ أخطأتُ فما أخْطَا القَدَرْ

* * *

ما انتفَــعَ المرءُ بمثــل عَقْــلِهِ وخيرُ ذُخْرِ المـرءِ حسنُ فِعْــلِهِ

* * *

إن الشـــبابَ والفراغَ والجِـدَه مَفْسَـــدَةٌ للمـرءِ أيُّ مَفْسَـــدَه

* * *

ما زالتِ الدنيـا لنا دَارَ أذَى مَمْزُوجَةَ الصَّـفْوِ بألوان القَـذَى

* * *

الخـيرُ والشـرُّ بهـا أزواجُ لــذا نِتَاجٌ ولـذا نتـاجُ

* * *

من لك بالمحضِ وليس مَحْضُ يخبُثُ بعضٌ ويطيب بَعْضُ

* * *

إنك لـو تَسْــتَنْشِق الشَّحِيحَا وجـدته أنتَنَ شيءٍ ريحَا

* * *

والخـير والشر إذا ما عُـدَّا بينهما بَوْنٌ بعيـدٌ جـدًا

(١٠) أبو تمام (١)

قال يمدح أمير المؤمنين المعتصم بالله أبا اسحاق محمد بن هارون الرشيد، ويذكر فتح عمورية :

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءً مِنَ الكُتُبِ ... فِي حَدِّهِ الحَدُّ بَيْنَ الجِدِّ واللعِبِ (٢)
بِيضُ الصَّفَائِحِ لا سُودُ الصَّحَائِفِ فِي ... مُتُونِهِنَّ جَلاءُ الشَّكِّ والرِّيَبِ (٣)
وَالعِلْمُ فِي شُهُبِ الأَرْمَاحِ لَامِعَةً ... بَيْنَ الخَمِيسَيْنِ لا فِي السَّبْعَةِ الشُّهُبِ (٤)
أَيْنَ الرِّوَايَةُ بَلْ أَيْنَ النُّجُومُ وَمَا ... صَاغُوهُ مِنْ زُخْرُفٍ فِيهَا وَمِنْ كَذِبِ؟
تَخَرُّصًا وَأَحَادِيثًا مُلَفَّقَةً ... لَيْسَتْ بِنَبْعٍ إِذَا عُدَّتْ وَلَا غَرَبِ (٥)

(١) هو حبيب بن أوس الطائي نسبة الى قبيلة طيء . ولد في قرية جاسم من بلاد حوران بالشام، ثم انحدر الى مصر صبيا فتروى الأدب، وأكثر من حفظ الشعر، قصيده وأراجيزه، وعالج القريض حتى أجاده وبرع فيه ثم صار الى بغداد. فمدح الخليفة المعتصم وغيره فأبدع وأوفى على الغاية حتى تقدم سائر شعراء عصره . ويمتاز في شعره بتخير اللفظ . وتجويد الصياغة وهو من أوائل من عنوا بتحري فنون البديع، وبخاصة الطباق والتجنيس وكانت وفاته سنة ٢٣١ هجرية.

(٢) الأنباء : جمع نبأ ، وهو الخبر يقول : إن السيف أصدق مما تضمنته الكتب وقد حكوا أن المنجمين كانوا حذروا المعتصم فتحها في هذا الأوان ، وقالوا إنا نجد في الكتب أنها لا تفتح إلا في وقت نضج التين والعنب، فلم يسمع المعتصم لقولهم وسار بجيشه ففتحها .

(٣) الصفائح جمع صفيحة : السيف العريض . والصحائف جمع صحيفة : القرطاس المكتوب ، يقول : إن السيوف البيضاء هي التي تجلو الشك وتزيل الريب لا الصحائف المكتوبة :

(٤) شهب الأرماح : أي الرماح التي هي كالشهب . والخميس : الجيش . والسبعة الشهب هي : الشمس والقمر وزحل والمشترى والمريخ وزهرة وعطارد ، يقول : إن العلم الحق إنما هو في السيوف وليس في النجوم .

(٥) التخرص : الكذب . والنبع : شجر صلب، ينبت في رءوس الجبال . والغرب : نبات رخو، ينبت على الأنهار، أي أن أحاديث المنجمين كذب لا أصل لها .

عَجَائِبًا زَعَمُوا الأَيَّامَ مُجْفِلَةً عَنْهُنَّ فِي صَفَرِ الأَصْفَارِ أَوْ رَجَبِ(١)

وَخَوَّفُوا النَّاسَ مِنْ دَهْيَاءَ مُظْلِمَةٍ إِذَا بَدَا الْكَوْكَبُ الغَرْبِيُّ ذُو الذَّنَبِ

وَصَيَّرُوا الأَبْرُجَ الْعُلْيَا مُرَتَّبَةً مَا كَانَ مُنْقَلِبًا أَوْ غَيْرَ مُنْقَلِبِ(٢)

يَقْضُونَ بِالأَمْرِ عَنْهَا وَهْيَ غَافِلَةٌ مَا دَارَ فِي فَلَكٍ مِنْهَا وَفِي قُطُبِ(٣)

لَوْ بَيَّنَتْ قَطُّ أَمْرًا قَبْلَ مَوْقِعِهِ لَمْ تُخْفِ مَا حَلَّ بِالأَوْثَانِ وَالصُّلُبِ

فَتْحَ الْفُتُوحِ تَعَالَى أَنْ يُحِيطَ بِهِ نَظْمٌ مِنَ الشِّعْرِ أَوْ نَثْرٌ مِنَ الْخُطَبِ

فَتْحٌ تَفَتَّحُ أَبْوَابُ السَّمَاءِ لَهُ وَتَبْرُزُ الأَرْضُ فِي أَثْوَابِهَا الْقُشُبِ

يَا يَوْمَ وَقْعَةِ عَمُّورِيَّةَ انْصَرَفَتْ عَنْكَ الْمُنَى حُفَّلًا مَعْسُولَةَ الْحَلَبِ(٤)

أَبْقَيْتَ جَدَّ بَنِي الإِسْلَامِ فِي صُعُدٍ وَالْمُشْرِكِينَ وَدَارَ الشِّرْكِ فِي صَبَبِ(٥)

أُمٌّ لَهُمْ لَوْ رَجَوْا أَنْ تُفْتَدَى جَعَلُوا فِدَاءَهَا كُلَّ أُمٍّ بَرَّةٍ وَأَبِ(٦)

وَبَرْزَةُ الْوَجْهِ قَدْ أَعْيَتْ رِيَاضَتُهَا كِسْرَى وَصَدَّتْ صُدُودًا عَنْ أَبِي كَرِبِ(٧)

---

(١) يقول : إنهم اختلقوا عجائب فزعموا أن صفرا ورجبا شهرا شؤم لا يأتيان بخير .

(٢) كانوا يقسمون بروج السماء ثلاثة أقسام — أربعة منقلبة — وهى الحمل والسرطان والميزان والجدى ، وأربعة ثابتة ، وأربعة ذوات جسدين . ويزعمون أن الحوادث تقع وفق الطالع فان كان الحادث سيقع فى برج ثابت فعلوه وان كان فى منقلب لم يفعلوه .

(٣) يقول : إن النجوم نفسها غافلة عما يحدثون به ويأفكون .

(٤) المنى : ما يتمناه الإنسان . وحفل : جمع حافل ، وهى الناقة التى امتلأ ضرعها . والحلب : الحلبة من اللبن ، ومعسولة : حلوة . يقول : إن أمانينا عادت وهى حافلة بالسرور لتحقق ما أملت .

(٥) الصبب : الانحدار .

(٦) يقول : إن عمورية كانت عزيزة عليهم كأمهم ، وإنها كانت ركنا عظيما من أركانهم .

(٧) البرزة : الحسنة الوجه : الفائقة فى الجمال . وكسرى : ملك فارس . وأبو كرب : ملك من ملوك التبابعة باليمن . يقول : إن عمورية جميلة فائقة الجمال قد أعيا فتحها كسرى وأبا كرب .

مِنْ عَهْدِ إسْكَنْدَرٍ أَوْ قَبْلَ ذَلِكَ قَدْ ... شَابَتْ نَوَاصِي اللَّيَالِي وَهْيَ لَمْ تَشِبِ
بِكْرٌ فَمَا افْتَرَعَتْهَا كَفُّ حَادِثَةٍ ... وَلَا تَرَقَّتْ إلَيْهَا هِمَّةُ النُّوَبِ
حَتَّى إذَا مَخَضَ اللهُ السِّنِينَ لَهَا ... مَخْضَ الْبَخِيلَةِ كَانَتْ زُبْدَةَ الْحِقَبِ(١)
أَتَتْهُمُ الْكُرْبَةُ السَّوْدَاءُ سَادِرَةً ... مِنْهَا وَكَانَ اسْمُهَا فَرَّاجَةَ الْكُرَبِ(٢)
جَرَى لَهَا الْفَأْلُ نَحْسًا يَوْمَ أَنْقِرَةٍ ... إذْ غُودِرَتْ وَحْشَةَ السَّاحَاتِ وَالرُّحَبِ(٣)
لَمَّا رَأَتْ أُخْتَهَا بِالْأَمْسِ قَدْ خَرِبَتْ ... كَانَ الْخَرَابُ لَهَا أَعْدَى مِنَ الْجَرَبِ(٤)
كَمْ بَيْنَ حِيطَانِهَا مِنْ فَارِسٍ بَطَلٍ ... قَانِي الذَّوَائِبِ مِنْ آنِي دَمٍ سَرِبِ(٥)
بِسُنَّةِ السَّيْفِ وَالْخَطِّيِّ مِنْ دَمِهِ ... لَا سُنَّةِ الدِّينِ وَالْإِسْلَامِ مُخْتَضِبِ(٦)
لَقَدْ تَرَكْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِهَا ... لِلنَّارِ يَوْمًا ذَلِيلَ الصَّخْرِ وَالْخَشَبِ(٧)
غَادَرْتَ فِيهَا بَهِيمَ اللَّيْلِ وَهْوَ ضُحًى ... يَشُلُّهُ وَسْطَهَا صُبْحٌ مِنَ اللَّهَبِ(٨)

(١) مخض اللبن . خلطه ماء ثم رجه ليستخرج زبدته . ومخض البخيلة أشد لأنها تريد أن تستوفى ما فى اللبن من زبدة . يقول : إن الله حفظ عمورية وظلت الأجيال تمخضها مخض البخيلة حتى استخلصها المعتصم فكانت زبدة الدهور .

(٢) الكربة السوداء : المصيبة العظمى . سادرة : متحيرة والضمير فى منها واسمها يرجع على عمورية . يقول : إن الكارثة العظمى أصابتهم بفتحها وكانت عندهم فراجة الكرب لتعويلهم عليها فى حروبهم .

(٣ و ٤) كان المعتصم قد فتح أنقرة قبل فتح عمورية . يقول : لما فتحت أنقرة كان فتحها شؤما على عمورية وأهلها فكان خراب أنقرة أعدى من الجرب إذ سقطت بعدها عمورية .

(٥) قانى الذوائب : أحمر الضفائر . والآنى : الحار جدا . وسرب : سائل . يقول : كم بين حيطان عمورية وقلعتها من جنود خضبت بالدماء الحارة .

(٦) كان بعض المسلمين يرون من السنة أن يخضب الشعر بالحناء . فهو يقول : إن هؤلاء الأبطال خضبوا من السيوف بالدماء وليس خضابهم — كالسنة — بالحناء .

(٧) يقول لقد تركت الصخر والخشب ذليلين لكثرة ما أعملت فيهما من النار .

(٨) يشله : يطرده . يقول : إن الليل المظلم صار نهارا باشتعال النيران التى كانت تطارد الظلام .

حَتَّى كَأَنَّ جَلَابِيبَ الدُّجَى رَغِبَتْ — عَنْ لَوْنِهَا أَوْ كَأَنَّ الشَّمْسَ لَمْ تَغِبِ
ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ وَالظَّلْمَاءُ عَاكِفَةٌ — وَظُلْمَةٌ مِنْ دُخَانٍ فِي ضُحًى شَحِبِ
فَالشَّمْسُ طَالِعَةٌ مِنْ ذَا وَقَدْ أَفَلَتْ — وَالشَّمْسُ وَاجِبَةٌ مِنْ ذَا وَلَمْ تَجِبِ(١)
تَصَرَّحَ الدَّهْرُ تَصْرِيحَ الْغَمَامِ لَهَا — عَنْ يَوْمِ هَيْجَاءَ مِنْهَا طَاهِرٍ جُنُبِ(٢)
لَمْ تَطْلُعِ الشَّمْسُ مِنْهُمْ يَوْمَ ذَاكَ عَلَى — بَانٍ بِأَهْلٍ وَلَمْ تَغْرُبْ عَلَى عَزَبِ(٣)
مَا رَبْعُ مَيَّةَ مَعْمُورًا يُطِيفُ بِهِ — غَيْلَانُ أَبْهَى رُبًى مِنْ رَبْعِهَا الْخَرِبِ(٤)
وَلَا الْخُدُودُ وَقَدْ أُدْمِينَ مِنْ خَجَلٍ — أَشْهَى إِلَى نَاظِرِي مِنْ خَدِّهَا التَّرِبِ(٥)
سَمَاجَةٌ غَنِيَتْ مِنَّا الْعُيُونُ بِهَا — عَنْ كُلِّ حُسْنٍ بَدَا أَوْ مَنْظَرٍ عَجَبِ(٦)
وَحُسْنُ مُنْقَلَبٍ تَبْدُو عَوَاقِبُهُ — جَاءَتْ بَشَاشَتُهُ عَنْ سُوءِ مُنْقَلَبِ
لَوْ يَعْلَمِ الْكُفْرُ كَمْ مِنْ أَعْصُرٍ كَمَنَتْ — لَهُ الْمَنِيَّةُ بَيْنَ السُّمْرِ وَالْقُضُبِ
تَدْبِيرُ مُعْتَصِمٍ بِاللهِ مُنْتَقِمٍ — لِلَّهِ مُرْتَغِبٍ فِي اللهِ مُرْتَقِبِ

---

(١) وجبت الشمس : غربت . يقول : إن النار كانت قد ملأت القلعة حتى لتظن أن الشمس طالعة وهي لم تطلع ، وتظن من دخانها الكثيف المظلم أنها غربت ولم تغرب بدليل ما ترى من ضياء .

(٢) تصرح : تكشف . يقول : انكشف الدهر كما ينكشف الغمام عن يوم شديد وكان يوما طاهرا جنبا . ويعني بطهره ما كان فيه من جهاد العدو . وهو مطلب ديني ، ويعني بجنابته ما كان فيه من سبي وما اليه .

(٣) لم تطلع الشمس على متزوج من العدو لأنه قتل ، ولم تغرب على عزب من المسلمين لأنه قد ناله من السبايا ما بنى بها .

(٤) غيلان : هو ذو الرمة الشاعر المشهور . ومية : محبوبته التي أكثر من التشبيب بها .

(٥) الخد الترب : المعفر في التراب .

(٦) يقول : إن منظر عمورية وما فيه من خراب وتهدم وسماجة أجمل في العيون من منظر جميل .

وَمُطْعَمِ النَّصرِ لَمْ تَكْهَمْ أَسِنَّتُه ... يَوْمًا وَلَا حُجِبَتْ عَنْ رُوحِ مُحْتَجِبِ(١)

لَمْ يَغْزُ قَوْمًا وَلَمْ يَنْهَدْ إِلَى بَلَدٍ ... إِلَّا تَقَدَّمَهُ جَيْشٌ مِنَ الرُّعُبِ(٢)

لَوْ لَمْ يَقُدْ جَحْفَلًا يَوْمَ الوَغَى لَغَدَا ... مِنْ نَفْسِهِ وَحْدَهَا فِي جَحْفَلٍ لَجِبِ

رَمَى بِكَ اللهُ بُرْجَيْهَا فَهَدَّمَهَا ... وَلَوْ رَمَى بِكَ غَيْرُ اللهِ لَمْ تُصِبِ

مِنْ بَعْدِ مَا أَشَّبُوهَا وَاثِقِينَ بِهَا ... وَاللهُ مِفْتَاحُ بَابِ المَعْقِلِ الأَشِبِ(٣)

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَدٌ ... لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الوِرْدُ مِنْ كَثَبِ(٤)

أَمَانِيًا سَلَبَتْهُمْ نُجْحَ هَاجِسِهَا ... ظُبَى السُّيُوفِ وَأَطْرَافُ القَنَا السُّلُبِ

إِنَّ الحِمَامَيْنِ مِنْ بِيضٍ وَمِنْ سُمُرٍ ... دَلْوَا الحَيَاتَيْنِ مِنْ مَاءٍ وَمِنْ عُشُبِ(٥)

لَبَّيْتَ صَوْتًا زِبَطْرِيًّا هَرَقْتَ لَهُ ... كَأْسَ الكَرَى وَرُضَابَ الخُرَّدِ العُرُبِ(٦)

عَدَاكَ حَرُّ الثُّغُورِ المُسْتَضَامَةِ عَنْ ... بَرْدِ الثُّغُورِ وَعَنْ سَلْسَالِهَا الحَصِبِ(٧)

---

(١) يعنى بمطعم النصر الخليفة المعتصم: ومعنى مطعم النصر أن الله يطعمه النصر كما يطعمه الرزق. وكهمت أسنته: كلت. (٢) نهد الرجل: نهض.

(٣) أشبوها: حصنوها. والمعقل الأشب: الحصن المنيع.

(٤) ذو أمرهم: قائدهم، أى قال قائدهم اثبتوا للعدو فأنتم بمأمن اذ ليس مكان قريب تحل به جنود العدو ثم لا يمكن أن تنال من قرب.

(٥) الحمام: الموت. والبيض: السيوف. والسمر: القنا. يقول: إن السيوف والقنا وهما أسباب الموت هما كذلك أسباب الحياة من نيل الماء والعشب.

(٦) زبطريا: نسبة الى زبطرة: بلدة كان قد فتحها الروم فلما أرادوا أن يسبوا امرأة مسلمة فيها نادت وامعتصماه فبلغ ذلك المعتصم وكان فى يده كأس فلم يشربها وأمر بتجنيد الجيش وغزو عمورية. والرضاب: الريق. والخرد: الحسان. والعرب جمع عروب: وهى المرأة المتحببة لزوجها.

(٧) عداك: صرفك. والثغور الأولى: البلاد المتاخمة للعدو. والثغور الثانية: أسنان الحسان. وسلسالها: ريقها. الحصب: العذب.

أَجَبْتَـــهُ مُعْلِنًا بالسـَّـيفِ مُنْصَلِتًا ... وَلَوْ أَجَبْتَ بِغَـيْرِ السَّـيْفِ لَمْ تُجِبِ(١)
حتى تَرَكْتَ عَمُـــودَ الشِّرْكِ مُنْقَعِـرا ... ولم تُعَـــرِّجْ عـَـلى الأَوْتَادِ والطُّنُبِ
لَمَّـا رأَى الحَرْبَ رَأْىَ العَيْنِ تَوْفَلِسٌ ... والحَرْبُ مُشْتَقَّةُ المَعْنَى مِنَ الحَرَبِ(٢)
غَـدَا يُصَرِّفُ بِالأَمْـوَالِ جَرْيَتَهَا ... فَعَـزَّهُ البَحْرُ ذُو التَّيَّارِ والحَـدَبِ(٣)
هَيْهَاتَ زُعْزِعَتِ الأَرْضُ الوَقُورُ بِهِ ... عَنْ غَزْوِ مُحْتَسِبٍ لا غزوِ مكتسبِ
لَمْ يُنْفِقِ الذَّهَبَ المُـرْبِى لِكَثْرَتِهِ ... عَلَى الحَصَى وَبِهِ فَقْـرٌ إِلَى الذَّهَبِ(٤)
إِنَّ الأُسُـودَ أُسُـودَ الغَابِ هِمَّتُهَـا ... يَوْمَ الكَرِيهَةِ فِي المَسْلُوبِ لَا السَّلَبِ
وَلَّى وقَـدْ أَلْجَمَ الخَطِّىُّ مَنْطِقَـهُ ... بِسَكْتَةٍ تَحْتَهَـا الأَحْشَـاءُ فِي صَخَبِ(٥)
أَحْذَى قَرَابِينَهُ صَرْفَ الردى وَمَضَى ... يَحْتَثُّ أَنْجَى مَطَايَاهُ مِنَ الهَرَبِ(٦)
مُوَكَّلا بيَفَاعِ الأَرْضِ يُشْرِفُـهُ ... مِنْ خِفَّةِ الخَوْفِ لَا مِنْ خِفَّةِ الطَّرَبِ(٧)
إِنْ يَعْدُ مِنْ حَرِّهَا عَدْوَ الظَّلِيمِ فقدْ ... أَوْسَعْتَ جَاحِمَهَا مِنْ كَثْرَةِ الحطبِ(٨)

---

(١) الضمير فى أجبته يعود على الصوت الزبطرى . وهو صوت المرأة المستغيثة .

(٢) توفلس : ملك الروم . والحرب بالفتح : سلب الأموال .

(٣) يقول إن توفلس آخذ يرشى بالمال ليدفع عنه تيار الجيوش فغلبه البحر ذو التيار والحدب . ويعنى بالبحر الجيش العظيم . وذو الحدب : ذو الموج المتلاطم .

(٤) الضمير فى ينفق : يعود على المعتصم .

(٥) الضمير فى ولى : يعود على توفلس . وألجم الخطى منطقه ، أى أخرسه السيف .

(٦) أحذى : أعطى . وقرابينه : أى المقربين له . يقول : إن توفلس قدم المقربين اليه هدية لصروف الدهر وفر هو على أسرع مطاياه وأنجبها .

(٧) اليفاع : الأرض المرتفعة . ويشرفه : يعلوه .

(٨) يقول : إن فر توفلس من حر النار فرار النعام فذلك لأنك أضرمت نارا لا عهد له بها .

تِسْعُونَ أَلفًا كآسادِ الشَّرَى نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ قَبْلَ نُضْجِ التِّينِ وَالعِنَبِ (١)
يَارُبَّ حَوْبَاءَ لَمَّا اجْتُثَّ دَابِرُهُمْ طَابَتْ وَلَوْ ضُمِّخَتْ بِالمِسْكِ لَمْ تَطِبِ (٢)
وَمُغْضَبٍ رَجَعَتْ بِيضُ السُّيُوفِ بِهِ حَيَّ الرِّضَا مِنْ رَدَاهُمْ مَيِّتَ الغَضَبِ
والحَرْبُ قائِمَةٌ فِي مَأْزِقٍ لَجِجٍ تَجْثُو الكُمَاةُ بِهِ صُغْرًا عَلَى الرُّكَبِ (٣)
كَمْ نِيلَ تَحْتَ سَنَاهَا مِنْ سَنَى قَمَرٍ وَتَحْتَ عَارِضِهَا مِنْ عَارِضٍ شَنِبِ (٤)
كَمْ كَانَ فِي قَطْعِ أَسْبَابِ الرِّقَابِ بِهَا إِلَى المُخَدَّرَةِ العَذْرَاءِ مِنْ سَبَبِ (٥)
كَمْ أَحْرَزَتْ قُضُبُ الهِنْدِيِّ مُصْلَتَةً تَهْتَزُّ مِنْ قُضُبٍ تَهْتَزُّ فِي كُثُبِ (٦)
بِيضٌ اذا انْتُضِيَتْ مِنْ حُجْبِهَا رَجَعَتْ أَحَقَّ بِالبِيضِ أَبْدَانًا مِنَ الحُجُبِ (٧)
خَلِيفَةَ اللهِ ! جَازَى اللهُ سَعْيَكَ عَنْ جُرْثُومَةِ الدِّينِ والإِسْلَامِ وَالحَسَبِ
بَصُرْتَ بِالرَّاحَةِ الكُبْرَى فَلَمْ تَرَهَا تُنَالُ إِلَّا عَلَى جِسْرٍ مِنَ التَّعَبِ
إِنْ كَانَ بَيْنَ صُرُوفِ الدَّهْرِ مِنْ رَحِمٍ مَوْصُولَةٍ أَوْ ذِمَامٍ غَيْرِ مُنْقَضِبِ (٨)

---

(١) يقول : إن جيش العدو كان تسعين ألفا حل أجلهم قبل أن ينضج التين والعنب ، وفى هذا تهكم بقول المنجمين الذى ذكر فى أول القصيدة .

(٢) الحوباء : النفس و يعنى نفوس المسلمين وقد طابت بقطع دابر العدو بأكثر مما تطيب بالمسك .

(٣) المأزق : موضع الحرب . ولجج : ضيق . والكماة : الأبطال . وصغرا : أذلاء .

(٤) العارض الأول : السحاب . والثانى ما يعرض من الأسنان ، وشنب : رقيق لطيف .

(٥) يعنى بالمخدرة العذراء عمورية لأنها لم تفتح قبل . يقول : إن قطع الرقاب كان سببا فى فتح عمورية والضمير فى بها للحرب .

(٦) القضب : السيوف . ومصلتة : مشهورة . والقضب الثانية : الغصون . أى كم أحرزت هذه السيوف قدودا كالأغصان .

(٧) انتضيت : سلت . والحجب : الأغماد . يقول : إن هذه السيوف أحق أن تغمد فى صدور الأعداء البيض أبدانا من أن تغمد فى جرابها .

(٨) الذمام : الحرمة . ومنقضب : منقطع

فبين أيامك اللاتي نصرت بها . وبين أيام « بدر » أقرب النسب
أبقت بني الأصفر الممراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب(١)

وقال يمدح أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب .

وركب كأطراف الأسنة عرسوا على مثلها والليل تسطو غياهبه(٢)
لأمر عليهم أن تتم صدوره . وليس عليهم أن تتم عواقبه(٣)
على كل مَوّار الملاط تهدمت عريكته العلياء وانضم حالبه(٤)
رعته الفيافي بعد ما كان حقبة رعاها وماء الروض ينهل ساكبه(٥)
إليك جزعنا مغرب الملك كلما هبطنا ملا صلت عليك سباسبه(٦)
إلى سالب الجبار بيضة ملكه وآمله غاد عليه فسالبه(٧)

(١) بنو الأصفر : الروم . والممراض : الكثير المرض .

(٢) أطراف الأسنة : أسنة الرماح . عرسوا : نزلوا ليلا . يقول : إن هؤلاء الركب ركبوا على مثل أسنة الرماح وهي كور الجمال التي تشبه الأسنة في الصلابة والمضاء . وغياهب الليل : ظلمته .

(٣) لأمر : متعلق بعرسوا : أي أن هؤلاء الركب ركبوا لأمر وهو نيل العطاء من الممدوح ولكن عليهم أوله وهو السفر وتحمل التعب ولكن ليس عليهم تمامه وهو أن يفوزوا بمطلبهم .

(٤) على كل : متعلق بفعل محذوف وهو ساروا . والملاط : عضد البعير . والموار : المتحرك . والحالب : عرق يتصل بأسفل البطن وهو كناية عن الضمور .

(٥) الفيافي : فلوات لا ماء بها ، والواو للحال : أي أن هذه الإبل كانت ترعى الفيافي أيام نضارتها وهي الآن ترعاها الفيافي فتضعفها وتهزلها .

(٦) جزعنا الأرض : قطعناها عرضا . ومغرب الملك : الشام . وكان أبو تمام بها وكان ممدوحه بخراسان . والملا : الصحراء . وصلت عليه : أثنت عليه . والسباسب : جمع سبسب . الأرض المستوية .

(٧) بيضة الملك : حوزته وأصله . وآمله : طالب العطاء منه : يقول : إنا سرنا إلى من يسلب الجبار ملكه ، وطالب العطاء منه يسلبه ماله ، فهو سالب ملك الجبار ومسلوب المال من الطالبين .

وَقَدْ قَرَّبَ الْمَرْمَى الْبَعِيدَ رَجَاؤُهُ ... وَسَهَّلَتِ الْأَرْضَ الْعَزَازَ كَتَائِبُهْ
سَمَا لِلْعُلَا مِنْ جَانِبَيْهَا كِلَيْهِمَا ... سُمُوَّ عُبَابِ الْمَاءِ جَاشَتْ غَوَارِبُهْ(١)
فَنَوَّلَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُنِيلُهُ ... وَحَارَبَ حَتَّى لَمْ يَجِدْ مَنْ يُحَارِبُهْ
وَأَيْنَ بِوَجْهِ الْحَزْمِ عَنْهُ وَإِنَّمَا ... مَرَائِي الْأُمُورِ الْمُشْكِلَاتِ تَجَارِبُهْ(٢)
أَرَى النَّاسَ مِنْهَاجَ النَّدَى بَعْدَ مَا عَفَتْ ... مَهَايِعُهُ الْمُثْلَى وَمَحَّتْ لَوَاحِبُهْ(٣)
فَفِي كُلِّ نَجْدٍ فِي الْبِلَادِ وَغَائِرٍ ... مَوَاهِبُ لَيْسَتْ مِنْهُ وَهْيَ مَوَاهِبُهْ(٤)
إِذَا مَا امْرُؤٌ أَلْقَى بِرَبْعِكَ رَحْلَهُ ... فَقَدْ طَالَبَتْهُ بِالنَّجَاحِ مَطَالِبُهْ(٥)

وقال يمدح أحمد بن المعتصم :

إِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْخَلَائِقَ قَاتَهَا ... أَقْوَاتَهَا لِتَصَرُّفِ الْأَحْرَاسِ (٦)
فَالْأَرْضُ مَعْرُوفُ السَّمَاءِ قِرًى لَهَا ... وَبَنُو الرَّجَاءِ لَهُمْ بَنُو الْعَبَّاسِ (٧)
الْقَوْمُ ظِلُّ اللهِ أَسْكَنَ دِينَهُ ... فِيهِمْ وَهُمْ جَبَلُ الْمُلُوكِ الرَّاسِي
فِي كُلِّ جَوْهَرَةٍ فِرِنْدٌ مُشْرِقٌ ... وَهُمُ الْفِرِنْدُ لِهَؤُلَاءِ النَّاسِ (٨)

(١) يريد بجانبي العلا الشجاعة فى الحرب والكرم . والعباب : معظم الماء . وجاشت : زخرت . وغواربه : أعلى أمواجه .

(٢) أين بوجه الحزم : أى كيف يشكل عليه الحزم . وتجاربه مرآة للشكلات . ومرائى : جمع مرآة .

(٣) أرى الناس : بين لهم وأوضح . المهايع واللواحب : الطرق الواضحة . وعفت ومحت : درست .

(٤) لما علم الناس الكرم كانت هباتهم ليست منه وهى فى الحقيقة منه لأنه هو الذى علمهم .

(٥) أى من نزل عندك وألقى رحله بربعك ضمن نجح مطلبه .

(٦) الأحراس : جمع حارس .

(٧) الأرض مبتدا ومعروف مبتدأ ثان . وقرى خبر المبتدا الثانى والجملة خبر المبتدأ الأول . ومعروف السماء : المطر . يقول ان الأرض قوتها المطر . وأهل الرجاء لهم بنو العباس يحققون لهم ما رجوا .

(٨) الفرند : رونق الشيء .

هَدَأَتْ عَلَى تَأْمِيلِ أَحْمَـدَ هِمَّتِي ... وَأَطَـافَ تَقْلِيـدِى بِهِ وَقِيَاسِى (١)
وَالْحَمْـدُ بُرْدُ جَمَـالٍ اخْتَالَتْ بِهِ ... غُرَرُ الْفِعَالِ وَلَيْسَ بُرْدَ لِبَـاسِ
أَبْلَيْتَ هَـذَا الْمَجْدَ أَبْعَـدَ غَايَةٍ ... فِيـهِ وَأَكْرَمَ شِيمَةٍ وَنِحَاسِ (٢)
إِقْـدَامُ عَمْرٍو فِى سَمَـاحَةِ حَاتِمٍ ... فِى حِلْمِ أَحْنَفَ فِى ذَكَاءِ إِيَاسِ (٣)
لَا تُنْكِرُوا ضَرْبِى لَهُ مَنْ دُونَهُ ... مَثَـلًا شَرُودًا فِى النَّدَى وَالْبَـاسِ
فَاللهُ قَـدْ ضَرَبَ الْأَقَلَّ لِنُـورِهِ ... مَثَـلًا مِنَ الْمِشْكَاةِ وَالنِّبْرَاسِ (٤)
غَلَبَ السُّرُورُ عَلَى هُمُـومِى بِالَّذِى ... أَظْهَرْتَ مِنْ بِرِّى وَمِنْ إِينَـاسِى
عَدَلَ الْمَشِيبُ عَلَى الشَّبَابِ وَلَمْ يَكُنْ ... مِنْ كَبْرَةٍ لَكِنَّـهُ مِنْ يَأْسِ (٥)
أَثَرُ الْمَطَالِبِ فِى الْفُـؤَادِ وَإِنَّمَـا ... أَثَرُ السِّـنِينَ وَوَسْمُهَا فِى الرَّاسِ

وقال يمدح الحسن بن رجاء :

لمـا وَرَدْنا سَاحةَ الحَسَنِ انقضَى ... عَنَّـا تَعَجْرُفُ دَولةِ الإمحَـالِ (٦)
أَحيَـا الرجاء لنـا برغْمِ نوائب ... كَثُرَتْ بِهِنَّ مَصَارِعُ الآمَالِ (٧)

(١) يقول : إن همتى استقرت بعد أن أملت أحمد بن المعتصم ، وتقليدى للناس فى السعى اليه وتجاربه حققت آمالى .

(٢) تقول : أبليت فلانا نعمة اذا أسديتها اليه . والنحاس : الشيمة والطبع .

(٣) هو عمرو بن معديكرب ، وحاتم الطائى المشهور بالكرم ، و إياس بن معاوية كان قاضيا بالبصرة ، والأحنف بن قيس سيد بنى تميم .

(٤) إشارة الى الآية الكريمة « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » .

(٥) يقول : إن مشيبى تحوّل إلى شباب ولم يكن مشيبى من كبر ولكنه من يأس ، فلما قصدتك زال همى ووقف المشيب وسلكت طريق الشباب .

(٦) التعجرف : التكبر . الإمحال : الجدب .

(٧) مصارع . جمع مصرع : وهو الموت ، والمراد عدم تحققها .

أغلى عذارى الشعرِ أن مُهورَها عند الكرام ـ و إنْ رُخُصنَ ـ غَوالِى (١)

تَرِدُ الظنونُ بنا على تصديقِها ويُحَكِّم الآمالَ فى الأموالِ (٢)

ورأيتنى فسألتَ نفسكَ سَيْبَها لِىَ ثم جُدتَ ، وما انتظرتَ سُؤالى (٣)

كالغيث ليس لهُ ـ أُريدَ نوالُه أو لم يُرَدْ ـ بُدٌّ من التَّهطالِ (٤)

وقال فى وصف القلم من قصيدة يمدح بها ابن الزيات :

لكَ القلمُ الأعلى الذى بشَباتِه تُصابُ من الأمرِ الكُلَى والمفاصِلُ (٥)

لُعابُ الأفاعى القاتلاتِ لُعابُه وأَرْىُ الجَنَى اشتارَتْه أيدٍ عواسِلُ (٦)

له ريقةٌ طَلٌّ ولكنَّ وقعَها بآثارِهِ فى الشرقِ والغربِ وابلُ (٧)

فصيحٌ اذا استنطقتَه وهو راكبٌ وأعجمُ إنْ خاطبتَه وهو راجِلُ (٨)

---

(١) العذارى جمع عذراء : الفتاة ، والمراد بدائع الشعر التى لم تبتذل .

(٢) يقول : إن ما نظنه ونخاله من الخيرات يدفعنا اليه فنجده حقا ، ثم يعطينا من أمواله ما أملناه فيه .

(٣) السيب : العطاء . يريد أنك رأيتنى فاقتضيت نفسك إعطائى دون أن أسألك ذلك .

(٤) الغيث : المطر . التهطال : المطر المتتابع ، وهذا البيت دليل ما قبله ومثال له .

(٥) الشباة : حد الرمح ، استعارها الشاعر لسن القلم وهو أسلته ، لأن الشباة أشكل بالمعنى الذى أراده . الكلى جمع كلية ، يريد أنه موفق إلى الحكمة والإصابة حتى لا يقع رأيه فى تدبير الأمور إلا فى الصميم .

(٦) الأرى : عسل النحل . واشتارته : استخرجته من شمعه . واللعاب : الريق . يريد أنه إذا غضب كان قوله كسم الأفاعى ، وإذا رضى كان فى حلاوة الشهد استخرجته أيد خبيرة باستخراجه .

(٧) الريقة : الريق . والطل المطر الخفيف . والوابل والوبل المطر الغزير ، يريد أنه وإن لم يصب من المداد إلا يسيرا فان أثره فى شرق الأرض وغربها جليل عظيم .

(٨) يريد به راكبا حين تحمله الأنامل للكتابة . وراجلا : حين يلقى . والراجل : ضد الراكب ، لأنه انما يعتمد على رجليه . .

اذا ما امتطى الخمسَ اللطافَ وأفرغت ... عليـــه شِعابُ الفكرِ وهى حَوافل (١)

أطاعتْــه أطرافُ القنا، وتَقوَّضتْ ... لنجواه تقويضَ الخيـام الجحـافلُ (٢)

اذا اســتَغْزَرَ الذهنُ الجلىُّ وأقبلتْ ... أعاليه فى القِرطاس، وهى أسافِلُ (٣)

وقد رفَدتْهُ الخِنْصَرانِ، وسَـدَّدتْ ... ثَلاثَ نواحيــه الثلاثُ الأنامِلُ (٤)

رأيتَ جَليــلًا شأنُه وهْوَ مُرهَفٌ ... ضَـنًى وسَميِنًا خَطبُــه وهو ناحِلُ (٥)

وقال يرثى محمد بن حُميد الطوسى :

كَذَا فليجِلَّ الخطبُ، وليَفْدَحِ الأمرُ ... فليس لعينٍ لم يَفِضْ ماؤها عُــذْرُ (٦)

تُوفِّيت الآمالُ بعــدَ محمـــدٍ ... وأصبحَ فى شُـغلٍ عن السفرِ السَّفْرُ (٧)

وما كانَ إلَّا مالَ مَن قـلَّ مالُه ... وذُخْرًا لمن أمسى، وليس له ذُخرُ (٨)

وما كانَ يَدْرى مُجْتدِى جودِ كفِّه ... اذا ما استهلَّت أنهُ خُـلِقَ العُسرُ (٩)

---

(١) يريد بالخمس اللطاف الأنامل . واللطاف : الدقاق . والشعاب : جمع شعبة وهى هنا مناحى التفكير . وحوافل : جمع حافلة أى ممتلئة زاخرة .

(٢) القنا جمع قناة وهى الرمح . وأطرافها أسنانها . والجحافل : جمع جحفل وهو الجيش الكثير العدد .

(٣) القرطاس : ويجمع على قراطيس الورق . ويريد بأعالى القلم أسلته (سنه) .

(٤) رفده : أعانه وأمدّه . ويريد بالخنصرين : الخنصر والبنصر من باب التغليب كما يطلق العمران على أبى بكر وعمر، والقمران على الشمس والقمر .

(٥) المرهف : المرقق الحاد . الضنى المرض . الخطب الشأن والقدر . الناحل : النحيف .

(٦) فدح الأمر يفدح صعب وثقل . والفوادح : النوازل .

(٧) السفر : المسافرون . يقول : إنه بموته انقطعت الآمال لأن الناس لم يكونوا يؤملون إلا فيه . وشغلت الناس الرزيئة فيه عن أسفارهم وقضاء حاجاتهم .

(٨) الذخر والذخيرة : ما يحفظ لوقت الحاجة .

(٩) اجتدى يجتدى : سأل العطية ، والمراد بـ (استهلت) كفه : استدت ، والمعنى أنه كان يجزل العطايا حتى إن سائليه ما كانوا يدرون أن العسر قد خلق .

ألَا فى سبيل اللهِ مَن عُطِّلَتْ له فِجاجُ سبيلِ الله ، وانثغر الثغرُ(١)
فتًى كلما فاضت عيونُ قبيلةٍ دمًا ضحكت عنهُ الأحاديثُ والذكْرُ(٢)
فتى دهرُه شطران فيما ينوبه ففى بأسه شطرٌ ، وفى جُوده شطر(٣)
فتًى مات بين الطعنِ والضربِ ميتةً تقومُ مقامَ النصْر إذ فاته النصر(٤)
وما ماتَ حتى ماتَ مضربُ سيفه من الضرب ، واعتلَّت عليه القنا السُّمر(٥)
وقد كانَ فَوتُ الموتِ سهلا فردَّهُ اليه الحفاظُ المُرُّ والخُلُقُ الوَعْرُ(٦)
ونَفْسٌ تعافُ العارَ حتى كأنما هُوَ الكُفر يومَ الرَّوع أو دُونَه الكفر(٧)
فأثبتَ فى مستنقَع المَوتِ رجلَهُ وقالِ لها : من تحت أَخْمَصِك الحشر !(٨)
غَدَا غُدوةً ، والحمدُ نسجُ رِدائه فلم ينصرف إلَّا وأكفانُه الأجر(٩)

(١) فجاج : جمع فج وهو الطريق الواسع الواضح بين جبلين . والمراد بها هنا مجرد الطريق . وانثغر الثغر : أى اجتيزت الحدود .

(٢) يقول : إنه ما من قبيلة دعوت فى الحرب حتى فاض الدم من عيونها إلا ذكره الناس بالفخر لأنه هازمها .   (٣) ينوبه : يلم به ويشغله . والبأس : الشجاعة والقوة .

(٤) يقول : إنه قتل قتلة بطل شجاع حتى أضحت لكرمها وعزتها تعادل النصر حين فاته النصر .

(٥) مضرب السيف : حدّه . واعتلت : اعتذرت وتثاقلت . والقنا : جمع قناة وهى الرمح وتنعت بالسمرة كما تنعت السيوف بالبياض . يقول : إنه لم يقتل حتى تثلم حدّ سيفه من شدة ما ضرب به وحتى تقصفت الرماح فى يديه فلم تعد تغنى فى الطعان .

(٦) الحفاظ : الحمية والغضب عند حفظ الحرمة ، والوعر ضدّ السهل والمراد به هنا الشديد الأنفة يقول : إنه كان يستطيع أن يدفع الموت عن نفسه بالهرب ونحوه ، ولكنه آثر الموت أنفة من العار .

(٧) الروع هنا الحرب ، ويجوز أن يراد به الشدّة بوجه عام .

(٨) جعل للموت مستنقعا كمستنقع الماء وهو مجتمعه فى بطن الوادى . وأخمص القدم ما لا يصيب الأرض من باطنها . يريد أنه قد ثبت للموت فلا تحوّل رجله الى أن يموت حتى كأن الحشر من تحتها .

(٩) غدا : خرج فى أوّل النهار . يريد أنه عاش محمودا مشكورا ، ومات مثوبا مأجورا .

تردّى ثياب الموت حُمرا ، فما دَجا لها الليلُ إلا وهْى من سُندسٍ خضرُ(١)

كأنَّ بني نبهانَ يوم وفاته نُجومُ سماءٍ خرّ من بينها البدرُ(٢)

يُعزّون عن ثاوٍ تُعزّى به العُلا ويبكى عليه البأسُ والجودُ والشعرُ(٣)

وأنَّى لهم صبرٌ عليه وقد مضَى الى الموتِ حتى استُشهدا هوَ والصبرُ(٤)

فتًى كان عذبَ الروح لا مِنْ غَضاضةٍ ولكنَّ كِبرًا أن يقالَ به كِبرُ(٥)

فتًى سلبَتْهُ الخيلُ وهْو حِمًى لها وبزّتْهُ نارُ الحرب وهْو لها جَمْرُ(٦)

وقد كانتِ البيضُ المآثيرُ فى الوغى بواترَ؛ فهْى الآن مِنْ بعده بُترُ(٧)

أمِنْ بعد طَيِّ الحادثاتِ محمدًا يكونُ لأثواب الندى أبدا نَشرُ(٨)

إذا شجراتُ العُرف جُذّت أصولُها ففى أى فرع يُوجَدُ الورق النضْر؟(٩)

لئن أبغضَ الدهرُ الخئونُ لفقده لَعهْدى به ممّنْ يُحَبُّ لهُ الدهرُ(١٠)

(١) تردّى الثوب : لبسه . ودجا الليل : أظلم . والسندس : نسيج الحرير

(٢) بنو نبهان : قوم المرثى .

(٣) ثاو : ثوى بالمكان يثوى فهو ثاو أى مقيم به . والميت ثاو لأنه مقيم فى قبره ما يبرحه .

(٤) استشهد الرجل بالبناء للجهول : مات شهيدا يقول الشاعر : كيف لأهل القتيل بالصبر عليه وقد مات وماتت معه غريزة الصبر فى قومه واللائذين به .

(٥) الغضاضة هنا بمعنى الذلة . يقول : إنه كان كريم النفس لين الجانب لا من ذلة ولا استكانة بل أنفة من أن يقال إن فيه تكبرا . (٦) بزّته : يقال بزّه ثوبه وابتزّه : سلبه .

(٧) المآثير : جمع مأثور . والسيف المأثور : القديم المتوارث . والوغى : الحرب . وبواتر : جمع باتر وهو القاطع . وبتر : جمع أبتر ؛ أى مقطوعة يريد أن السيوف كانت فى حياته حادّة قاطعة فلما مات تثلمت . والمراد أنه حين كان يحمل جيشه السيوف كانت تبلغ من الأعداء كل مبلغ وإذ مات لم يبق لها قوة على النضال . (٨) يقال : طوى الردى فلانا يطويه طيا أى مات . والندى : الجود .

(٩) جذت : قطعت ، والنضر يقال : نضر الوجه واللون والشجر نضارة : فهو نضر أى حسن ونعم .

(١٠) يريد أن الدهر اذا كره لموته فان الدهر كان يحب لأجله بما سجل له من عظائم ومفاخر فى الحياة .

لئن غدرتْ فى الروعِ أيامُــه به ... فما زالتِ ٱلأيامُ شيمتُها الغــدر(١)
لئن أُلبست فيــهِ المصيبةَ طــيِّءٌ ... فما عَرِيَتْ منها تميــمٌ ولا بَكر(٢)
كذلك ما تنفكّ نفقــدُ هالكا ... يُشاركنا فى فقــده البـــدو والحضْر
سَقَى الغيثُ غيثًا وارتِ ٱلأرضُ شخصَهُ ... وإن لم يكنْ فيهِ سَحابٌ ولا قَطر
وكيفَ ٱحتمالى للغيُوثِ صَنيعَةً ... بإسقائها قبراً ، وفى لحــدِه البحرُ(٣)
مضى طاهرَ الأثواب لم تبقَ رَوضةٌ ... غداةَ ثوَى إلا اشتَهت أنها قــبْر
ثوى فى الثَّرى منْ كان يحيا به الثّرى ... ويَغمُرُ صَرفَ الدهرِ نائــلُه الغمْر(٤)
عليكَ ســلامُ الله وقْفــا فإنــنِى ... رأيتُ الكريمَ الحــرَّ ليسَ لَهُ عمــرُ

(١١) دِعْبِــل(٥)

قال :

أينَ الشـــبابُ ؟ وأيّةً سلكا ؟ ... لا ، أين يُطلبُ ؟ ضلَّ ، بل هلكا (٦)
لا تعجَــبى يا سَــلْمُ من رَجُلٍ ... ضحِــك المشيبُ برأسِــه فبَكى (٧)

(١) الشيمة : الخلق والطبيعة .

(٢) يريد أن المصيبة فيه لم تقتصر على طيء وحدها بل لقد (عمت لجلالة محله) تميما وبكرا .

(٣) كيف احتمل للطر جميلا هو سقيه هذا القبر مع أن فيه بحرا . ينكر الشاعر على نفسه دعوته للقبر بالسقيا . يعلل ذلك بأن فيه بحرا . (٤) الثرى : التراب . والنائل : العطاء . والغمر : الكثير .

(٥) دعبل بن على بن رزين يمنى من خزاعة ، نشأ بالكوفة متعصبا لقومه على العدنانية ، هجاء ، خبيث اللسان ، لا يسلم منه كبير ولا صغير حتى الخلفاء ، فعاش مكروها مرهوبا حتى توفى سنة ٢٤٦ هـ . وشعره من النوع المطبوع ذى الأسلوب القوى لتأثره بنزعته الجريشة فى وجه الدولة ، وبتعصبه للطالبيين ، وبميله الى الإرهاب والتخويف ، يغلب على شعره الهجاء والمديح .

(٦) أية : أى سبيل . (٧) ضحك المشيب : ظهر الشيب ، وبين ضحك وبكى طباق .

يا ليت شـعرى كيفَ يومُكما　　يا صاحِـبَيَّ إذا دَمِى سُـفِكا
لا تأخذا بظُـلامتِى أحـدًا ؛　　قلبى وطرْفِى فى دمى اشـتَركا [١]

ومن قوله يَرثى ابنَ عم له من خُزاعة :

كانتْ خُزاعةُ مِلءَ الأرض مااتّسعتْ　　فقَصّ مَرُّ الليـالى من حَواشـيها [٢]
هذا أبو القاسِم الثـاوى ببَلقَعـةٍ　　تَسـفِى الرياحُ عليـه من سَوافيها [٣]
هبّتْ وقد عَلِمَتْ أنْ لا هُبوبَ بِهِ　　وقـد تكونُ حَسِـيرا إذْ يُبَارِيها [٤]
أضحى قِـرًى للمنـايا إذ نزلنَ به　　وكان فى سالفِ الأيام يَقْـرِيها [٥]

وقد سافر مرة فطال عليه السفر فقال :

أَلَمْ يأْنِ للسَّـفْرِ الذين تحمَّلوا　　إلى وَطنٍ قبلَ الممـات رُجوعُ [٦]
فقلتُ ولم أملك سَـوابِقَ عَبرةٍ　　نَطقْنَ بمـا ضُمّتْ عليه ضُلوعُ [٧]

---

(١) الظلامة بضم الظاء : ما احتملته من الظلم ؛ والمراد هنا موته عشقا من أثر النظر بعينه والحب بقلبه .

(٢) الحواشى : الجوانب . والمفرد حاشية .

(٣) الثاوى : المقيم . والبلقعة : الأرض القفر جمعها بلاقع . وسفت الريح التراب : حملته . يريد أنه مدفون بأرض مقفرة تسفى بها الرياح على قبره .

(٤) الحسير : الضعيف الكليل . والمعنى : أن الريح هبت لما علمت بموته ، ولكنها فى حياته كانت تعجز عن مسايرته حين يدرع هو الى المكارم .

(٥) القرى : ما يقدم للضيف من طعام ونحوه ، والمعنى أنه أصبح طعمة الموت بعد ما كان وهو حى يقدم الى الموت ضحايا من قتلاه فى الحروب ، يصفه بالشجاعة .

(٦) يأنى : يقرب ويحضر ، والسفر : المسافرون ورجوع فاعل (يأن) والى وطن متعلق برجوع ، والاستفهام للإنكار .

(٧) العبرة بفتح العين : الدمعة . وما ضمت عليه الضلوع : الحزن والشوق الى الوطن والأهل .

تَبَيَّنْ ! فكم دارٍ تَفرّقَ شملُها ! وشملٍ شَتِيتٍ عادَ وهوَ جميعُ (١)
كذاكَ الليالى صَرْفُهنّ كما ترَى ؛ لِكلِّ أُناسٍ جَدْبَةٌ وربيعُ (٢)

وكانت مودّةٌ بين دِعبل ومسلم بن الوليد أعقبتها جفوة، فكتب إليه دعبل :

أبا مَخلَدٍ كُنّا عَقِيدَى مَودّةٍ هَوَانا وقلبانا جميعاً معًا معَا (٣)
أَحوطُكَ بالغيبِ الذى أنت حائطى وأَجْزَعُ إشفاقًا مِنَ أنْ تَتَوجّعَا (٤)
فصيّرتَنِي بعدَ أنتكاثِكَ مُتْهِمًا لِنفْسِى، عليها أرهبُ الخلقَ أجمعَا (٥)
غَشَشْتَ الهوَى حتى تَداعتْ أُصولُه بِنَا، وابتذلتَ الوصلَ حتى تقطّعَا (٦)
وأنزلتَ من بينِ الجوانحِ والحَشَا ذخيرةَ وُدٍّ طالما قد تمنّعَا (٧)
فلا تَلْحَنِى ؛ ليس لى فيكَ مَطمعٌ تخرّقتَ حتى لم أَجِدْ لك مَرْقَعَا (٨)
فَهَبْكَ يَمِينى استأْكَلَتْ فقطعتُها وجشّمتُ قلبى صَبْرَةً فتشجّعَا (٩)

---

(١) الشمل : ما اجتمع من الأمر أو ما تفرق منه . والشتيت : المتفرّق . والجميع : المجتمع .

(٢) صرف الليالى : أحداثها . ومعنى جدبة وربيع : حالتا خير وشر .

(٣) العقيد : المعاقد والمعاهد، والمعنى أننا كنا متعاهدين على الود متحدى الرغبات لا نخالف .

(٤) أحوطك بالغيب الخ : أحفظ عهدك غائبا فأدفع عنك كما تدفع عنى كذلك، وأخشى أن تتألم لشىء ما .

(٥) انتكاثك : انصرافك عنى، ومعنى متهم لنفسى الخ : أنى أتهمها لشدّة الخوف عليها من الناس جميعا بعد ما خنتنى وكنت مظنة الوفاء التام .

(٦) تداعت : تساقطت . وابتذلت الوصل : امتهنته .

(٧) الجوانح : الجوانب . والحشا : ما دون الحجاب من الكبد والطحال وغيرهما، والمراد بما بينهما (القلب) . وتمنع : كان قويا لا يهن .

(٨) لحاه يلحاه ويلحوه : سبه وعابه . والمرقع : مكان ترقيع الثوب، أى لا أمل فى إصلاحك .

(٩) يمينى : يدى اليمنى . استأكلت : أصابتها الأكلة وهى داء فى العضو يأتكل منه . ومعنى الشطر الثانى : صبرت قلبى على قطيعتك فصبر .

ومن قوله يذكر آل البيت ويهجو الرشيد بعد موته :

وَليسَ حَىٌّ منَ الأحيـاءِ نَعلمُـه مِن ذِى يَمانٍ، ومن بكرٍ، ومِن مُضَرِ (١)
إلّا وهُمْ شُـركاءُ فى دِمائِهِـم كما تَشَـارَكَ أَيْسَـارٌ عـلى جُزُرِ (٢)
قَتْـلٌ، وأسرٌ، وتَحرِيقٌ، ومَنْهَبةٌ فِعلَ الغُـزاةِ بأرض الروم والخَزَرِ (٣)
أَرَى أُمَيَّـةَ مَعـذورينَ إن قَتَلوا ولا أَرَى لبَنِي العباسِ مِن عُذُرِ (٤)
اِربَعْ بِطُوسَ على قبرِ الزَّكِىِّ إذا ما كُنتَ ترْبَعُ من دِينٍ علَى وطَرِ (٥)
قَبرانِ فى طُوسَ خيرُ الناسِ كُلِّهِم وقَبرُ شَرِّهِم؛ هـذا مِن العِـبَرِ
ما ينفعُ الرِّجْسَ من قُرْبِ الزَّكِىِّ ولا على الزَّكِىِّ بِقُربِ الرجسِ من ضَرَرِ (٦)
هيهاتَ! كُلُّ امْرِئٍ رهنٌ بما كسبَتْ له يداه، فخُـذْ ما شئتَ أو فَذَرِ (٧)

---

(١) الأحياء : البطون والعشائر، مفردها : حى، والشطر الثانى : بيان للأحياء .

(٢) الأيسار : المقامرون . المفـرد يسر، والجزر : النوق تذبح وتقسم أقساما للقامرة عليها، يقول اشترك الأحياء فى قتل آل البيت كاشتراك المقامرين فى نحر الجزر .

(٣) الخزر : جيل من الناس يسكن سواحل بحر الخزر (طبرستان) .

(٤) يقول : إن الأمويين معذورون فى قتل الشيعة من آل البيت لأن أمية ليسوا كالعباسيين قرابة، وهم بعد طلاب ملك يخافون عليه أصحابه .

(٥) طوس : عاصمة خراسان قديما، بها قبر الرشيد وقبر على الرضا من آل على بن أبى طالب الذى مات أيام المأمون . واربع : أقم . والوطر : الحاجة والبغيـة أى إذا كنت محتاجا إلى أداء حق دينى فعرج على ذلك القبر (قبر على الرضا) .

(٦) الرجس : القبيح والقذر .

(٧) هيهات : بعد وفاعله محذوف، أى بعد جدا تأثر أحد بعد الموت بعمل الآخر ... فكل امرى محاسب على ما عمل .

وقال فى آل بيت الرسول :

مَدارِسُ آياتٍ خلَتْ مِن تِلاوةٍ ومنزِلُ وَحْيٍ مُقفِرُ العَرَصاتِ (١)

لِآلِ رَسولِ اللهِ بالخَيفِ مِنْ مِنى وبالرُّكنِ والتعريفِ والجَمَراتِ (٢)

ديارُ علىٍّ والحُسَينِ وجعفرٍ وحمزةَ والسَّجادِ ذى الثَّفِناتِ (٣)

ديارٌ عفاها كُلُّ جَونٍ مُبادِرٍ ولم تَعفُ للأيامِ والسنواتِ (٤)

قِفَا نسألِ الدارَ التى خَفَّ أهلُها : مَتى عَهدُها بالصَّومِ والصلواتِ

وأينَ الأُلَى شطَّت بهم غُربةُ النَّوى أفانينَ فى الآفاقِ مُفترِقاتِ (٥)

وما النَّاسُ إلا حاسدٌ ومُكذِّبٌ ومُضطغِنٌ ذو إحنةٍ وتِرَاتِ (٦)

إذَا ذَكرُوا قتْلَى بِبَدرٍ وخيبَرٍ ويوم حُنَينٍ أسبَلُوا العَبَرَاتِ (٧)

---

(١) المقفر : الخالى من الناس . والعرصات : ساحات الدار ، المفرد عرصة . يقول : خلت ديار آل البيت وتشتت أهلها بعد ما كانت مدارس لتلاوة القرآن ، ومهبط وحى الرسول عليه السلام .

(٢) أسماء مواضع بمكة لا تزال قائمة لأداء الشعائر الدينية .

(٣) على بن أبى طالب ، ومن بعده من نسله وشيعته الذين نالهم الحكام بالتشتيت والقتل . والثفنة : الركبة ومجتمع الساق والفخذ ، والسجاد ذو الثفنات : هو على بن الحسين ، لأن طول السجود أثر فى ثفناته .

(٤) عفاها : محاها . والجون المبادر : السحاب الماطر .

(٥) شطت : بعدت وأفرطت . والنوى : البعد . والأفانين : الأنواع والأحوال ، جمع فنون ، مفرده فن . والمعنى أن النوى ذهبت بهم مذاهب شتى .

(٦) مضطغن : حاقد . والإحنة : العداوة والحقد . والترات جمع ترة : الثأر .

(٧) بدر وخيبر وحنين : أسماء مواقع كانت بين الرسول وأعدائه إبان الدعوة الى الإسلام . وأسبلوا العبرات : أذرفوا الدموع ، وذلك لمجدهم الضائع .

* * *

لَهُم كلَّ حينٍ نومةٌ بمضاجعٍ ... لهُم فى نَوَاحِى ٱلأرضِ مُختلفاتِ

وقد كانَ منهمْ بالحجازِ وأهلِها ... مغاويرُ يختارُون فى السَّرَواتِ (١)

مَلامَكَ فى أهلِ النبيِّ فإنَّهم ... أحبَّاىَ ماعاشوا وأهلُ ثِقاتى (٢)

تخيّرتُهم رُشْدًا لأمرى فإنَّهم ... على كُلِّ حالٍ خِيرةُ الخِيَراتِ (٣)

فيارَبِّ زِدْنى من يَقينى بصيرةً ... وزِدْ حُبَّهم يا رَبِّ فى حَسَناتى

بِنفسِيَ أَنْتُم من كُهولٍ وفِتْيَةٍ ... لفَكِّ عُناةٍ أو لحملِ دِيَاتِ (٤)

أُحِبُّ قَصِيَّ الرَّحْمِ من أجلِ حُبِّكم ... وأهجرُ فيكمْ أُسرتى وبَنَاتى (٥)

وأكتمُ حُبِّيكُم مخافةَ كاشحٍ ... عنيدٍ، لأهلِ الحقِّ غيرِ مُواتِ (٦)

لقد حُفَّتِ ٱلأيامُ حولى بِشَرِّها ... وإنِّى لأرجُو الأمنَ بعدَ وفاتى

أَلَمْ تَرَ أَنِّى مِن ثلاثين حِجَّةً ... أَرُوحُ وأغدُو دائمَ الحسَراتِ

أرى فَيْئَهُمْ فى غيرِهمْ مُتَقَسَّما ... وأيدِيَهُم مِن فَيْئِهم صَفِرَاتِ (٧)

---

(١) المغاوير: جمع مغوار، وهو كثير الغارات. والسروات: السادات، المفرد: سراة.

(٢) ملامك: أى دع لومك إياى، فى أهل النبي أى فى مدحهم والتعصب لهم.

(٣) الخيرات: جمع خيرة وهى من الشىء أو القوم الأفضل.

(٤) بنفسى أنتم: أفديكم بنفسى. والعناة: جمع عان وهو الأسير. والديات: جمع دية، وهي مايدفع من المال فى دم القتيل، يريد أنهم يفكون الأسرى ويحملون الديات عمن تلزمه.

(٥) الرحم بكسر الراء وسكون الحاء: القرابة كالرحم. والقصى: البعيد، يقول: أحبكم وإن كانت صلتى بكم بعيدة فهو يمنى وهم مضرية.

(٦) الكاشح: من يضمر العداوة. المواتى: الموافق والمناصر.

(٧) الفىء: الخراج والغنيمة. وصفرات: خاليات، يريد أن مال الخراج لا يصل إليهم مع أن لهم فيه حقا.

قآلُ رَسولِ اللهِ تُحفٌ جُسومُهمْ وآلُ زِيادٍ حُفَّلُ القَصَراتِ (١)
بَناتُ زِيادٍ فى القُصور مَصونةٌ وآلُ رَسولِ الله فى الفَلَواتِ (٢)
إذا وُتِرُوا مَدُّوا إلى أهلِ وِترِهمْ أكُفًّا من الأوتارِ مُنْقَبِضاتِ (٣)
فَلولَا الذى أرجوهُ فى اليومِ أو غدٍ لَقُطِّعَ قلبى إثرَهم حَسَراتِ (٤)

(١٢) على بن الجَهْم (٥)

قال فى الفراق :

يارَحمتَا لِلغَريبِ بِالبَلَدِ النَّـ ـازِحِ ماذَا بِنَفْسِهِ صَنَعَا (٦)
فَارَقَ أحْبَابَهُ فَما انتَفَعُوا بالعيْشِ من بَعْده ولَا انتفَعَا (٧)

---

(١) حفل القصرات : ضخام الأعناق، كناية عن سمنهم .

(٢) الفلوات : الصحارى، المفرد : فلاة .

(٣) وتروا : ظلموا . والوتر : الظلم والانتقام . والأوتار، جمع وتر (كسبب) : معلق القوس، أى لا يستطيعون دفع الظلم عن أنفسهم .

(٤) أى لولا ما أرجوه لهم من حسن الحال أو المثوبة لتمزق قلبى من الحسرة والحزن عليهم .

(٥) هو أبو الحسن على بن الجهم . ولد بخراسان ثم انتقل الى بغداد وأقام بها واختص بالخليفة المتوكل وكان من خاصته . وأحبه المتوكل ثم ظهر له شىء من سوء أخلاقه لأنه كان واشيا نماما فنفاه الى خراسان سنة ٢٣٢ هـ، وأسلمه الى عامله طاهر بن عبد الله بن طاهر بن الحسين ليصلبه نهارا كاملا فصلبه . ولما أنزله قال قصيدة جيدة فى ذلك . ولما اتهم فى أخلاقه وكراهة آل على وجفاه الناس ذهب الى الشام فى قافلة فخرج عليها جماعة من الأعراب فتقاتلوا فأصابته طعنة مات بسببها سنة ٢٤٩ هـ .

وكان ابن الجهم شاعرا مشهورا جيد الشعر وصافا قوى الأسلوب رائع المعانى حسن التعليل .

(٦) يارحمتا : دعاء بالرحمة . والبلد النازح . البعيد النائى .

(٧) العيش : الحياة .

وقال :

نَطَقَ الهَـوَى بجَوًى هُوَ الحَقُّ ومَلَكْــتِنِي فَلْيَهْنِــكَ الرِّقُّ (١)
رِفْقـا بِقَلْــبِي يا مُعَــذِّبَهُ رِفقًا وليس لظـالمٍ رِفْــقُ
وإذا رأيتُــكَ لا تُكَلِّمُــنِي ضَـاقَتْ عَلَيَّ الأَرْضُ والأُفُقُ (٢)

وقال :

اعْلَمِي يَا أَحَبَّ شَيْءٍ إِلَيَّـا أَنَّ شَـوْقِي إِلَيْكِ قَاضٍ عَلَيَّـا
إنْ قَضَى اللهُ لى رُجُوعًا إِلَيكُمْ لا ذَكَرْتُ الفِرَاقَ ما دُمْتُ حيًّا
إنَّ حَرَّ الفِرَاقِ أَنْحَلَ جِسْـمِي وَكَوَى القَلْبَ مِنِّيَ الشَّوْقُ كَيًّا

وقال :

لَأَكْتُمَنَّ الذِي فى القَلْبِ من حُرَقٍ حَتَّى أَمُوتَ ولَمْ يَعْـلَمْ بِهِ النَّاسُ
وَلَا يُقَالُ شَـكَا مَنْ كَانَ يَعْشَــقُهُ إِنَّ الشَّكَاةَ لِمَنْ تَهْوَى هِيَ اليَـاسُ (٣)
وَلَا أَبُوحُ بِشَيْءٍ كُنْتُ أَكْتُمُهُ عِنْدَ الجُلُوسِ إِذَا مَا دَارَتِ الكَاسُ (٤)

وقال :

النَّفْسُ بَعْـدَكَ لَمْ تَنْظُرْ الى حَسَنٍ والنَّفْسُ بَعْدَكَ لَمْ تَسْكُنْ الى سَكَنٍ (٥)
كَأَنَّ نَفْسِي إِذَا مَا غِبْتَ غَائِبَـةٌ حَتَّى إِذَا عُدْتَ لِي عادَتْ إِلَى بَدَنِي (٦)

(١) الجوى : شدّة الحرقة من العشق . فليهنك : فليسرك . والرق : العبودية ، ومنه الرقيق وهو العبد . فالشاعر يهنئ معشوقه على أنه ملكه فأصبح هو له عبدا .

(٢) الأفق : ما يرى من جانب السماء ماسا الأرض . (٣) الشكاة : الشكوى .

(٤) الجلوس : جمع جالس . يقول إنه لا يبوح بمكنون سره وما صنع به الهوى لجلاسه إذا شربوا الخمر على الرغم من أن الخمر تحل عقد الألسن ، وتستخرج دفين الأسرار .

(٥) السكن بفتح السين والكاف : البيت . والمراد أنها لا تستقر على حال .

(٦) البدن بفتح الباء والدال : الجسم .

وكتب من حبسه الى الخليفة المتوكل يستغيث به و يسأله العفو :

أقِلْــني أقالَكَ مَن لم يَزَل   يَقِيكَ ويَصْرِفُ عنْــكَ الرَّدَى (١)
ويَغْــذُوكَ بالنِّعَــمِ السَّابِغَا   تِ وَلِيدًا وذا مَيْعَةٍ أَمْرَدًا (٢)
وتَجْــرِى مَقَادِيرُهُ بِالذى   تُحِبُّ الى أن بَلَغْتَ المَدَى (٣)
ويُعليــكَ حتى لَوَانَّ السَّماءَ   تُنَــالُ لجَاوَزْتَهــا مُصْــعِدَا (٤)
فَشُــكْرًا لأَنْعُمِــهِ إنَّــهُ   إذَا شُــكِرَتْ نِعْمَــةٌ جَــدَّدَا (٥)
وعَفْــوَكَ عن مُذْنِبٍ خَاضِــعٍ   قَرَنْتَ المُقِــيمَ به المُقْعِــدَا (٦)
إذا ادَّرَعَ اللَّيْــلَ أَفْضَى به   الى الصُّبْحِ مِن قَبْــلِ أن يَرْقُدَا (٧)
عَفَا اللهُ عَنْــكَ أَلَا حُرْمَــةٌ   تَعُــوذُ بِفَضْــلِكَ أَنْ أَبْعَــدَا (٨)

(١) أقاله : صفح عنه . والردى : الهلاك .

(٢) غذا الرجل يغذوه بالطعام : أعطاه إياه . والمراد هنا يمدك . والسابغات : الواسعات . وليدا : حديث عهد بالولادة . وميعة الشباب : أوله . والأمرد : الشاب الذى لم تنبت لحيته . يريد أن الله تعالى أفاض عليه نعمه من يوم ولد الى أن صارفتى .

(٣) المدى : الغاية . وفى هذا البيت يتم معنى البيت السابق فيقول : إن المقادير مازالت تجرى بكل ما يحب حتى وصل الى الغاية وهى الخلافة .

(٤) تنال بالبناء للمجهول يوصل اليها . و يقال أصعد فى الأرض فهو مصعد ذهب من أرض الى اعلى منها . والمراد هنا مجرد الارتفاع .

(٥) الأنعم بسكون النون: جمع نعمة . والشاعر فى عجز البيت يلمح الى قول الله تعالى : «لئن شكرتم لأزيدنكم» .

(٦) المقيم المقعد : الهم الذى يوجب القلق والاضطراب .

(٧) ادرع بتشديد الدال المفتوحة وفتح الراء : لبس ، والمراد بادراع الليل الدخول فيه . وأفضى به أوصله وانتهى به . يريد أنه لم يذق النوم قط .

(٨) الحرمة : الذمة والحق . وعاذ به يعوذ عياذا ومعاذا بفتح الميم : لجأ اليه .

لَئِنْ جَلَّ ذَنْبٌ ولم أَعْتَمِدْ   لَأَنْتَ أَجَلُّ وأَعْلَى يَدَا (١)

أَلَمْ تَرَ عَبْدًا عَدَا طَوْرَهُ   وَمَوْلًى عَفَا ورَشِيدًا هَدَى (٢)

ومُفْسِدَ أَمْرٍ تَلَافَيْتَهُ   فَعَادَ فَأَصْلَحَ ما أَفْسَدَا (٣)

فَلَا عُدْتُ أَعْصِيكَ فيما أَمَرْ   تَ حتى أَزُورَ الثَّرَى مُلْحَدَا (٤)

وإلَّا فَخَالَفْتُ رَبَّ السَّمَاءِ   وخُنْتُ الصَّدِيقَ وعِفْتُ النَّدَى (٥)

وقال يذم مغنيا :

كُنتُ فى مَجْلِسٍ فَقَالَ مُغَنِّى الـ   قومِ كم بيْنَنَا وبين الشِّتَاءِ

فَذَرَعْتُ البِسَاطَ مِنِّى اليهِ   قُلتُ هذا المِقْدَارُ قبلَ الغِنَاءِ (٦)

فَاذَا مَا عَزَمْتَ أَنْ تَتَغَنَّى   آذَنَ الحَرُّ كُلُّهُ بِانْقِضَاءِ (٧)

(١) لم أعتمد : لم أعتمده ، أى لم أقصده . واليد : المعروف .

(٢) الطور : القدر والحدّ . وعدا طوره : تجاوز حده . والمولى : السيد ، وهو من الأضداد .

(٣) تلافى الأمر : تداركه .

(٤) الثرى : التراب . والملحد بضم الميم وفتح الحاء : الذى أدخل فى اللحد وهو القبر . يريد أنه سيقيم على طاعته حتى الممات .

(٥) عاف الشيء يعافه : كرهه فتركه . يقول إنه بعد هـذا العهد إذا خرج عن طاعة الخليفة فقـد عصى الله وخان الصديق و رىْ من الفضل .

(٦) ذرع البساط يذرعه من باب فتح يفتح : قاسه بالذراع . يريد بالشتاء التعريض بالمغنى وبرودة غنائه وطبعه .

(٧) آذنه بالأمر : أعلمه . وآذنه بالحرب : أنذره بها . يقول إنه إذا غنى فقـد رحل الصيف وحل الشتاء ببرودته .

(١٣) الحسين بن الضحاك(١)

قال :

أىُّ ديباجةِ حُسْنٍ هَيَّجَتْ لَوْعَةَ حُزْنِى (٢)
إذْ رَمانِى القمرُ الزا هرُ عن فَتْرَةِ جَفْنِ (٣)
بأبِى شمسُ نهارٍ برزَتْ فى يومِ دَجْنِ (٤)
قرَّبتْنِى بالمُنَى حتّـ ـى إذا ما أخلفَتْنِى (٥)
تركتْنِى بينَ ميعا دٍ وخُلْفٍ وتَجَنِّى (٦)
ما أرى فىَّ من الصَّبْـ ـوةِ إلاّ حُسْنَ ظَنِّى (٧)
إنّما دامَتْ على الغَدْ رِ لِما تَعرِفُ مِنِّى (٨)
أستعيذُ اللهَ من إعْـ ـراضِ مَنْ أعرَضَ عَنِّى (٩)

---

(١) نشأ بالبصرة خليعا ماجنا ظريفا ثم انتقل إلى بغداد واتصل بالخلفاء اتصالا قويا ولا سيما الأمين ، ثم عاد إلى البصرة أيام المأمون لسخطه عليه ، ولكنه اتصل بالمعتصم وخلفائه بعده حتى توفى سنة ٢٥٠ ھ وقد استلزمت حياته الخاصة إجادة الخمريات والمديح فى أسلوب موسيقى متين ينم عن خلق متين ووفاء جميل مع عبث وفكاهة .

(٢) ديباجة الوجه : حسن بشرته . واللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الفترة : الانكسار والضعف ، وهى صفة تستحب فى عيون الملاح . و يقال رمى عن القوس أى جعل القوس ترمى بالسهم . وقد شبه الجفن الفاتر بذلك . و يريد بالقمر الزاهر محبوبته .

(٤) يقال بأبى أنت : أى أفديك بأبى . والدجن بفتح الدال وسكون الجيم : الظلمة .

(٥) المنى : جمع منية بضم الميم وسكون النون ، وهى هنا بمعنى إدخال الأمل على نفسه .

(٦) التجنى على المرء : اتهامه بما لم يفعله فى دلال .

(٧) الصبوة : بفتح الصاد جهلة الشباب والنزوع الى اللهو . يريد أنه لم يبق من أسباب المتاع فى الشباب إلا رجاء فى حبيبته .

(٨) لما تعرف منى : أى من الفناء فى هواها والثبات عليه كيفما صنعت .

(٩) يقال : استعاذ الله واستعاذ به وعاذ به : لجأ اليه ، واستجار به من المكروه .

ومن قوله :

وَصَفَ البَدْرُ حُسْنَ وَجْهِكَ حَتَّى ... خِلْتُ أَنِّى ، وَمَا أَرَاكَ ، أَرَاكَا (١)

وَ إِذَا مَا تَنَفَّسَ النَّرْجِسُ الغَـ ... ـضُّ تَوَهَّمْتُـهُ نَسِـيمَ شَذَاكَا (٢)

خُــدَعٌ لِلْـمُـنَى تُعَلِّلُنِي فِيـ ... ـكَ بِإِشْرَاقِ ذَا وَنَفْحَةِ ذَاكَا (٣)

لَأَدُومَنَّ يَاحَبِيبِي عَلَى العَهْـ ... ـدِ لِهَـــذَا وَذَاكَ إِذْ حَكَيَاكَا (٤)

وقال :

إِذَا خُنْتُمُ بِالغَيْبِ وُدِّى فَمَـا لَكُمْ ... تُدِلُّونَ إِدْلَالَ المُقِيمِ عَلَى العَهْـــدِ (٥)

وَلِى مِنْــكَ بُدٌّ فَاجْتَنِبْنِى مُذَمَّمًـا ... وَإِنْ خِلْتَ أَنِّى لَيْسَ لِى مِنْكَ مِنْ بُدِّ (٦)

وقال وقد غضب عليه المعتصم وحجبه :

غَضَبُ الإِمَامِ أَشَـدُّ مِن أَدَبِهْ ... وَقَدِ اسْتَجَرْتُ وَعُذْتُ مِنْ غَضَبِهْ (٧)

أَصْبَحْتُ مُعْتَصِمًا بِمُعْتَصِمٍ ... أَثْنَى الإِلَهُ عَلَيْــهِ فِى كُتُبِهْ (٨)

(١) يقول : إن البدر ليشبهك حتى إننى إذ رأيته حسبت أنى رأيتك مع أنى لم أرك .

(٢) الغض : النضير . والشذا : قوة الرائحة .

(٣) الخدع بضم الخاء وفتح الدال : جمع خدعة وهى ما يخــدع به . والمنى : جمع منيــة بضم الميم وسكون النون وهى ما يتمنى . وتعللنى : تصبرنى . وذا : إشارة إلى البدر فى البيت الأول . وذاك : إشارة الى النرجس فى البيت الثانى . (٤) حكياك : شابهاك .

(٥) بالغيب : من حيث لا أدرى . يقول : إن الثابت على العهــد قد يكون له الحــق فى أن يدل ويتيه . ولكن خائن العهد بغير سبب ليس له الحق فى ذلك .

(٦) لى منك بد : أى مخلص . والمذمم : المذموم . يقول : إنى مستطيع أن أتخلص من حبك فاجتنبنى مذموما وإن حسبت أنى لا أستطيع الخلاص من هواك .

(٧) أدبه : تأديبه . والإمام : الخليفة . يقول : إن غضب الخليفة أشد عليه ألما من تأديبه ولو بالجلد أو السجن أو النفى أو غير هذا من ألوان التعذيب .

(٨) اعتصم من الشىء : امتنع والتجأ . يريد أنه لا يلجأ من غضب الخليفة إلا إليــه ولا يعوذ منه إلا به . وفى هــذا ما فيه من لطف الجناس . ولعــل الشاعر يريد بثناء الله على الخليفة المعتصم فى كتبه المنزلة ثناءه على آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم .

لَا والَّذِى لَمْ يُبْـقِ لِى سَبَبَاً أَرْجُو النَّجَاةَ بِهِ سِـوَى سَبَبِهْ (١)
مَالِى شَـفِيعٌ غَيْرُ حُرْمَتِـهِ ولِكُلِّ من أَشْـفَى عَلَى عَطَبِهْ (٢)

(١٤) ابن الرومى (٣)

قال يهجو خالدًا القَحْطَبى :

أخالدُ ما أَغْراكَ بى من عداوةٍ ولا تِرَةٍ لولا الشـقاءُ المُقـدَّرُ (٤)
حداكَ إلىَ الحَيْنِ حتى استثرتَنى عليكَ، و إنى فى عَرِينِى لمُخْـدِرُ (٥)
فدونكَ ما حاولتَـه فبلغْتَـهُ ورَدْتَ، ولكنْ لا إخالُك تصدُرُ (٦)
فقد كنتَ نِسْيًا لا تُمَسُّ ولا تُرى زمانًا طويلًا، فَاصبِرِ الآنَ تُذكَرِ (٧)

(١) يحلف بالله تعالى على أنه لا سبيل له الى النجاة من غضب الخليفة سوى عفو الخليفة نفسه .

(٢) الحرمة : ما وجب القيام به من الحقوق . وأشفى : أشرف . و يقال أشفى المريض على الموت قاربه . والعطب : التلف . يحلف على أنه لا شـفيع له عند الخليفة إلا حقه عليـه بحكم الولاء له . وكذلك الشأن فى كل من أشرف على مثل هذا الهلاك .

(٣) ولد أبو الحسن على بن العباس الرومى ببغداد وعاش فيها متأثرا بمزاجه اليونانى وبالثقافة العربية كذلك، فكان شعره صورة طريفة فى الأدب العربى من حيث الابتكار والتنسيق المنطق والاستقصاء فى أسلوب جزل متين، وقد أجاد فنون الشعر وخاصة الوصف والهجاء. مات سنة ٢٨٣ ه .

(٤) الترة : الثأر .

(٥) حداك : ساقك . والحين : المحنة أو الهـلاك . العرين : مأوى الأسـد . ومخدر : مقيم يشبه نفسه بالأسد .

(٦) لا إخالك : لا أظنك . تصدر : أى تخرج من هذا المأزق الذى وقعت فيه .

(٧) أى اصبر على مر الهجاء فسوف تذكر بهذا الشعر .

ستَروِى رُواة الشعر فيك قصائدا ... يُغنَّى بهـا ، ما نودىَ : الله أكبرُ (١)
سَـداهَا مَخازيك التى قـد علمتَها ... ولُحمتُهـا مِـنِّى الكلامُ المحَـبَّرُ (٢)
وإن كنتُ لا أهجوكَ إلا كحالِمٍ ... يَرى ما يَراهُ النائمونَ فيهجُـرُ (٣)

وقال :

أأيامَ لَهـوى هل مَواضيك عُوَّدُ ... وهل لِشبابٍ ضَلَّ بالأمس مَنْشَدُ؟ (٤)
أقولُ وقد شابت شَواتِى، وقُوِّستْ ... قَناتِى، وأضحتْ كِدْنَتِى تَتَمـدَّدُ (٥)
ولَذَّتْ أحاديثَ الرجالَ ، وأعرضَت ... سُليمى ورَيّا عن حديثى ومَهْدَدُ (٦)
وبُدِّل إعجابُ الغَـوانِى تَعَجُّبا ، ... فهُنَّ روانٍ يَعتبِرنَ وصُـدَّدُ (٧)
لِمـا تُؤذِنُ الدنيا به من صُروفها ... يكونُ بكاءُ الطفـلِ ساعةَ يُولَدُ (٨)
وإلا فمـا يُبكِيه منها ، وإنها ... لأفسحُ ممـا كان فيـه وأرغَدُ ؟ (٩)

---

(١) ما نودى الخ : أى دائمـا مادام الناس .

(٢) السدى من الثوب : الخيوط الممدودة . واللحمة : مانسج عرضا . الكلام المحبر : المحسن .

(٣) يقول : إنى لا أكاد أشعر بك فى الصحو إلا كحالم إذ لا وجود لك . يهجر : يهذى .

(٤) منشد : مكان أنشده فيه وأطلبه .

(٥) الشواة : جلدة الرأس ، والمراد شاب شعرها والقناة هنا صلبه . الكدنة : الشحم واللحم يريد أن سمنته أضحت تهزل .

(٦) أى أصبحت أحاديث تلذ الرجال بعد ما أعرض عنى الغوانى لشيبى وكان حديثى لذيذا لديهن .

(٧) الإعجاب بالشىء : السرور منه . والتعجب : الاستغراب والإنكار . روان دائمات النظر بسكون الطرف . صـدد : معرضات . يقول : بعـد ما كنت أسر الغانيات أصبحت منكرا لديهن فهن ينظرن الىّ متعجبات .

(٨) يعلل بكاء الطفل ساعة الولادة بما تعلمه به الدنيا من مصائبها .

(٩) أرغد : أطيب .

إذا أَبصر الدُّنيا استهلّ كأنه بما سوف يَلقى من أذاها يُهدَّدُ (١)
وللنفس أحوال تَظَلُّ كأنها تُشاهِدُ فيها كُلَّ غيب سيُشهَد (٢)

وقال يرثي ابنه محمدًا :

بُكَاؤُكُمَا يَشْفِي وَإِنْ كَانَ لَا يُجْدِى فَجُودَا فَقَدْ أَوْدَى نَظِيرُكُمَا عِنْدِى (٣)
أَلَا قَاتَلَ اللهُ الْمَنَايَا وَرَمْيَهَا مِنَ الْقَوْمِ حَبَّاتِ الْقُلُوبِ عَلَى عَمْدِ
تَوَخَّى حِمَامُ الْمَوْتِ أَوْسَطَ صِبْيَتِي فَلِلّهِ كَيْفَ اخْتَارَ وَاسِطَةَ الْعِقْدِ (٤)
على حِينَ شِمْتُ الخَيْرَ مِنْ لَمَحَاتِهِ وَآنَسْتُ مِنْ أَفْعَالِهِ آيَةَ الرُّشْدِ (٥)
طَوَاهُ الرَّدَى عَنِّي فَأَضْحَى مَزَارُهُ بَعِيدًا عَلَى قُرْبٍ قَرِيبًا عَلَى بُعْدِ (٦)
لَقَدْ أَنْجَزَتْ فِيهِ الْمَنَايَا وَعِيدَهَا وَأَخْلَفَتِ الْآمَالُ مَا كَانَ مِنْ وَعْدِ
لَقَدْ قَلَّ بَيْنَ الْمَهْدِ وَاللَّحْدِ لَبْثُهُ فَلَمْ يَنْسَ عَهْدَ الْمَهْدِ إِذْ ضُمَّ فِي اللَّحْدِ
أَلَحَّ عليه النَّزْفُ حتَّى أَحَالَهُ الى صُفْرَةِ الْجَادِيِّ عَنْ حُمْرَةِ الْوَرْدِ (٧)
وظَلَّ عَلَى الْأَيْدِى تَسَاقَطُ نَفْسُهُ ويَذْوِى كَمَا يَذْوِى الْقَضِيبُ مِنَ الرَّنْدِ (٨)

---

(١) استهل الصبي : رفع صوته بالبكاء .

(٢) يورد هذا البيت تأكيدا لحسن تعليله إذ يقول إن النفس قد تشعر بما سيحدث فكذلك شأن الطفل . وتجد ابن الرومى فى شعره كأنه يعرض أقيسة منطقية .

(٣) بكاؤكما : الخطاب لعينيه . ولا يجدى : لا ينفع . وأودى : هلك .

(٤) توخى : تحرى .

(٥) شمت الخير : توقعته .

(٦) يريد بالقرب قرب المكان . وبالبعد بعد اللقاء .

(٧) الجادىّ : الزعفران . وهو أصفر . يقول : إن النزيف أحاله من حمرة الورد الى صفرة الزعفران.

(٨) الرند : الغار . وقد يسمى به الآس وهو نوع من الريحان .

فَيَالَكِ مِنْ نَفْسٍ تَسَاقَطُ أَنْفُسًا ... تَسَاقُطَ دُرٍّ مِنْ نِظَامٍ بِلَا عِقْـدِ
عَجِبْتُ لِقَلْبِي كَيْفَ لَمْ يَنْفَطِـرْ لَهُ ... وَلَوْ أَنَّهُ أَقْسَى مِنَ الْحَجَرِ الصَّلْدِ
وما سَرَّنِى أَنْ بِعْتُـه بِثَـوَابِهِ ... وَلَوْ أَنَّهُ التَّخْلِيدُ فِى جَنَّـةِ الْخُـلْدِ
ولا بِعْتُـهُ طَوْعًا وَلَكِنْ غُصِـبْتُهُ ... وَلَيْسَ عَلَى ظُلْمِ الْحَوَادِثِ مِنْ مُعْـدِ (١)
وإِنِّى وإِنْ مُتِّعْتُ بِابْنَـىَّ بَعْـدَهُ ... لَذَاكِرُه مَا حَنَّتِ النِّيبُ فِى نَجْـدِ (٢)
وأَوْلَادُنَا مِثْـلُ الْجَوَارِحِ أَيُّهَا ... فَقَـدْنَاهُ كَانَ الْفَاجِـعَ الْبَيِّنَ الْفَقْدِ (٣)
لِكُلٍّ مَكَانٌ لا يَسُـدُّ اخْتِلَالَهُ ... مَكَانُ أَخِيـهِ من جَزُوعٍ وَلَا جَلْدِ
هَلِ الْعَيْنُ بَعْدَ السَّمْعِ تَكْفِى مَكَانَهُ ... أَمِ السَّمْعُ بَعْـدَ الْعَيْنِ يَهْدِى كَمَا تَهْدِى
لَعَمْرِى لَقَدْ حَالَتْ بِىَ الْحَالُ بَعْدَهُ ... فَيَالَيْتَ شِعْرِى كَيْفَ حَالَتْ بِهِ بَعْدِى
ثَكِلْتُ سُرُورِى كُلَّهُ إِذْ ثَكِلْتُـهُ ... وَأَصْبَحْتُ فِى لَذَّاتِ عَيْشِى أَخَا زُهْدِ
أَرَيْحَانَةَ الْعَيْنَيْنِ وَالْأَنْفِ وَالْحَشَا ... أَلَا لَيْتَ شِعْرِى هَلْ تَغَيَّرْتَ عَنْ عَهْدِى
سَأَسْقِيكَ مَاءَ الْعَيْنِ مَا أَسْعَدَتْ بِهِ ... وَإِنْ كَانَتِ السُّقْيَا مِنَ الدَّمْعِ لَا تُجْدِى (٤)
أَعَيْنَىَّ جُودَا لِى فَقَـدْ جُدْتُ لِلثَّرَى ... بِأَنْفَسَ مِمَّا تُسْأَلَانِ مِنَ الرِّفْدِ (٥)
كَأَنِّى ما اسْتَمْتَعْتُ مِنْـكَ بِضَمَّةٍ ... ولا شَمَّـةٍ فِى مَلْعَبٍ لَكَ أَوْ مَهْـدِ
أُلَامُ لِمَا أُبْدِى عَلَيْـكَ مِنَ الْأَسَى ... وإِنِّى لَأُخْفِى مِنْكَ أَضْعَافَ مَا أُبْدِى
مُحَمَّـدُ مَا شَىْءٌ تُوُهِّمَ سَلْوَةً ... لِقَلْبِىَ إِلَّا زَادَ قَلْبِى مِنَ الْوَجْدِ

---

(١) معد من أعدى بمعنى نصر وأعان . يقول ليس هناك من معين على ظلم الحوادث .
(٢) النيب : جمع ناب ، وهو الناقة المسنة . (٣) الجوارح : أعضاء الإنسان .
(٤) أسعدت العين بالبكاء : أعانت . (٥) الرفد : العطاء والصلة .

أَرَى أَخَوَيْكَ الْبَاقِيَيْنِ كِلَيْهِمَا ... يَكُونَانِ لِلْأَحْزَانِ أَوْرَى مِنَ الزَّنْدِ
اذا لعبا فى مَلْعَبٍ لَكَ لَذَّعا ... فُؤَادِي بِمِثْلِ النَّارِ عَنْ غَيْرِ مَا قَصْدِ
فَمَا فِيهِمَا لِي سَلْوَةٌ بل حَزَازَةٌ ... يَهِيجَانِهَا دُونِي وأَشْقَى بِهَا وَحْدِي
وَأَنْتَ وإِنْ أُفْرِدْتَ فى دار وَحْشَةٍ ... فَإِنِّي بِدَارِ الْأُنْسِ فى وَحْشَةِ الْفَرْدِ
عليك سَلامُ الله منى تحيةً ... وِمنْ كُلِّ غَيْثٍ صَادِقِ الْبَرْقِ وَالرَّعْدِ

قال يعاتب أبا القاسم التَّوَّزِى الشِّطْرَنْجِي وَيَمْدَحُه :

يَا أَخِي أَيْنَ عَهْدُ ذَاكَ الْإِخَاءِ ... أَيْنَ مَا كَانَ بَيْنَنَا مِنْ صَفَاءِ ؟
كَشَفَتْ مِنْكَ حَاجَتِي هَنَوَاتٍ ... غُطِّيَتْ بُرْهَةً بِحُسْنِ اللِّقَاءِ (١)
تَرَكَتْنِي وَلَمْ أَكُنْ سَيِّئَ الظَّنِّ أَسِيئُ الظُّنُونَ بِالْأَصْدِقَاءِ
يَا أَخِي هَبْكَ لَمْ تَهَبْ لِي مِنْ سَعْ ... يِكَ حَظًّا كَسَائِرِ الْبُخَلَاءِ
أَفَلَا كَانَ مِنْكَ رَدٌّ جَمِيلٌ ... فِيهِ لِلنَّفْسِ رَاحَةٌ مِنْ عَنَاءِ
أَجَزَاءُ الصَّدِيقِ إِيطَاؤُهُ الْعَشْ ... وَةَ حَتَّى يَظَلَّ كَالْعَشْوَاءِ (٢)
تَارِكًا سَعْيَهُ اتِّكَالًا عَلَى سَعْ ... يِكَ دُونَ الصِّحَابِ وَالشُّفَعَاءِ
كَالَّذِي غَرَّه السَّرَابُ بِمَا خَيَّ ... لَ حَتَّى هَرَاقَ مَا فِي السِّقَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي كُنْتُ أَرْجُو ... هُ لِدَهْرِي قَطَعْتَ مَتْنَ الرَّجَاءِ
لَا أُجَازِيكَ عَنْ غُرُورِكَ إِيَّا ... يَ غُرُورًا وُقِيتَ سُوءَ الْجَزَاءِ

(١) الهنوات : جمع هنة ، وهى الشىء الصغير . يقول إن طلبى منك أشياء صغيرة كشف لى عن حقيقتك التى كنت تغطيها بحسن لقائك إياى .

(٢) العشوة : النار . وأوطأه العشوة : كناية عن أنه أضله ولم يهده . والعشواء : الناقة لا تبصر أمامها .

بَلْ أَرَى صِدْقَكَ الْحَدِيثَ وَمَا ذَا ... كَ لِبُخْلٍ عَلَيْكَ بِالإِغْضَاءِ
أَنْتَ عَيْنِي وَلَيْسَ مِنْ حَقِّ عَيْنِي ... غَضُّ أَجْفَانِهَا عَلَى الأَقْذَاءِ
مَا بِأَمْثَالِ مَا أَتَيْتَ مِنَ الأَمْـ ... ـرِ يَحُلُّ الفَتَى ذُرَا العَلْيَاءِ
بَذَلَ الوَعْدَ لِلأَخِلَّاءِ سَمْحًا ... وَأَبَى بَعْدَ ذَاكَ بَذْلَ العَطَاءِ
فَغَدَا كَالْخِلَافِ يُورِقُ لِلْعَيْـ ... ـنِ وَيَأْبَى الإِثْمَارَ كُلَّ الإِبَاءِ (١)
لَيْسَ يَرْضَى الصَّدِيقُ مِنْكَ بِبِشْرٍ ... تَحْتَ مَخْبُورِهِ دَفِينُ جَفَاءِ

* * *

رُبَّمَا هَالَنِي وَحَيَّرَ عَقْلِي ... أَخْذُكَ اللَّاعِبِينَ بِالْبَأْسَاءِ (٢)
وَرِضَاهُمْ هُنَاكَ بِالنِّصْفِ وَالرُّبْـ ... ـعِ وَأَدْنَى رِضَاكَ فِي الإِرْبَاءِ
وَاحْتِرَاسُ الدُّهَاةِ مِنْكَ وَإِعْصَا ... فُكَ بِالأَقْوِيَاءِ وَالضُّعَفَاءِ
عَنْ تَدَابِيرِكَ اللِّطَافِ اللَّوَاتِي ... هُنَّ أَخْفَى مِنْ مُسْتَسِرِّ الهَبَاءِ
بَلْ مِنَ السِّرِّ فِي ضَمِيرِ مُحِبٍّ ... أَدَّبَتْهُ عُقُوبَةُ الإِفْشَاءِ
فَإِخَالُ الَّذِي تُدِيرُ عَلَى القَوْ ... مِ حُرُوبًا دَوَائِرَ الأَرْحَاءِ
وَأَظُنُّ افْتِرَاسَكَ القِرْنَ فَالقِرْ ... نَ مَنَايَا وَشِيكَةَ الإِرْدَاءِ
وَأَرَى أَنَّ رُقْعَةَ الأَدَمِ الأَحْـ ... ـمَرِ أَرْضًا عَلَّتْهَا بِدِمَاءِ
غَلِطَ النَّاسُ لَسْتَ تَلْعَبُ بِالشِّطْـ ... ـرَنْجِ لَكِنْ بِأَنْفُسِ اللُّعَبَاءِ
لَكَ مَكْرٌ يَدِبُّ فِي القَوْمِ أَخْفَى ... مِنْ دَبِيبِ الغِذَاءِ فِي الأَعْضَاءِ

(١) الخلاف : شجر من الصفصاف يحسن مرأى ولا يثمر .

(٢) انتقل الى وصف أبي القاسم في إجادة لعب الشطرنج وقد قيل إنه كان يجيد اللعب و يغلب ولو أدار للرقعة ظهره وأشار من غير نظر الى تحريك القطع .

أَو مسيرِ الْقَضَاءِ فِي ظُلَمِ الْغَيْـ ـبِ إِلَى مَنْ يُرِيدُهُ بِالتَّوَاءِ (١)
تَقْتُلُ الشَّاهَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الرُّقْـ ـعَةِ طِبًّا بِالْقِتْلَةِ النَّكْرَاءِ (٢)
غَيْرَ مَا نَاظِرٍ بِعَيْنَيْكَ فِي الدَّسْـ ـتِ وَلَا مُقْبِلٍ عَلَى الرُّسَلَاءِ (٣)
بَلْ تَرَاهَا وَأَنْتَ مُسْتَدْبِرُ الظَّهْـ ـرِ بِقَلْبٍ مُصَوَّرٍ مِنْ ذَكَاءِ
مَا رَأَيْنَا سِوَاكَ قِرْنًا يُوَلِّي وَهْوَ يُرْدِي فَوَارِسَ الْهَيْجَاءِ
وَالْفُؤَادُ الذَّكِيُّ لِلطُّرُقِ الْمُعْـ ـرِضِ عَيْنٌ يَرَى بِهَا مِنْ وَرَاءِ
تَقْرَأُ الدَّسْتَ ظَاهِرًا فَتُؤَدِّيـ ـهِ جَمِيعًا كَأَحْفَظِ الْقُرَّاءِ
وَتَلَقَّى الصَّوَابَ فِيمَا سِوَى ذَا ـكَ إِذَا جَارَ جَائِرُ الْآرَاءِ (٤)
فَتَرَى أَنْ بُلْغَةً مَعَهَا الرَّا ـحَةُ خَيْرٌ مِنْ ثَرْوَةٍ فِي شَقَاءِ
وقديمًا رَغِبْتَ عَنْ كُلِّ مَصْحُو ـبٍ مِنَ الْمُتْرَفِينَ وَالْأُمَرَاءِ
وَرَفَضْتَ التِّجَارَةَ الْجَمَّةَ الرِّبْـ ـحِ وَمَا فِي مِرَاسِهَا من جَدَاءِ (٥)
لَمْ تَبِعْ طِيبَ عِيشَةٍ بِفُضُولٍ دُونَهُ خُبْثُ عِيشَةٍ كَدْرَاءِ
تَعَبُ النفسِ والمهانَةُ والذِّلَّـ ـةُ وَالْخَوْفُ وَاطِّرَاحُ الْحَيَاءِ (٦)

---

(١) التواء : الهلاك .

(٢) طبا : علما .

(٣) الدست : رقعة الشطرنج . والرسلاء : جمع رسيل ، وهو الموافق لك فى النضال .

(٤) انتقل من الكلام على مهارته فى لعب الشطرنج الى شرح صفاته العامة فهو يريد بما سوى ذاك ما سوى اللعب .

(٥) ما فى مراسها من جداء : أى ما فى مزاولتها من غنى وثراة .

(٦) تعب النفس : بدل من خبث عيشة فى البيت قبله .

بل اطَّعْتَ النُّهى فَفُــزْتَ بِحَظٍّ قَصَّرَتْ عَنْــهُ فِطْنَــةُ الْأَغْنِيَاءِ
رَاحَــةِ النَّفْسِ والصِّـيَانَةِ وَالْعِفْـ ـةِ وَالْأَمْــنِ فِي حَيَـاءٍ رُواء (١)
عَالِمًـا بِالَّذِي أَخَــذْتَ وَأَعْطَيْـ ـتَ حَكِيمًا فِي الْأَخْــذِ وَالْإِعْطَاءِ
جَهْبِــذُ الْعَقْلِ لَا يَفُوتُكَ شَيْءٌ مِثْــلُهُ فَاتَ أَعْيُنَ الْبُصَرَاءِ
قَائِلًا لِلْمُشِــيرِ بِالْكَدْحِ مَهْلًا مَا اجْتِهَادُ اللَّبِيبِ بَعْــدَ اكْتِفَاءِ
قَرَّبَ الْحِـرْصُ مَرْكَبًا لِشَــقِيٍّ إِنَّمَـا الْحِرْصُ مَرْكَبُ الْأَشْـقِيَاءِ
مَرْحَبًـا بِالْكَفَافِ يَأْتِي هَنِيئًا وَعَــلَى الْمُتْعِبَاتِ ذَيْلُ الْعَفَاءِ
ضَــلَّةٌ لِامْرِئٍ يُشَــمِّرُ فِي الْجَمْـ ـعِ لِعَيْشٍ مُشَــمِّرٍ لِلْفَنَـاءِ
دَائِبًـا يَكْنِزُ الْقَنَاطِيرَ لِلْــوَا رِثِ وَالْعُمْرُ دَائِبٌ فِي انْقِضَـاءِ
حَبَّــذَا كَثْرَةُ الْقَنَاطِيرِ لَوْ كَا نَتْ لِرَبِّ الْكُنُوزِ كَنْزَ بَقَاءِ
يَحْسَبُ الْحَظَّ كُلَّهُ فِي يَدَيْهِ وَهْوَ مِنْــهُ عَلَى مَــدَى الْجَوْزَاءِ
لَيْسَ فِي آجِــلِ النَّعِيمِ لَهُ حَـ ـظٌّ وَمَا ذَاقَ عَاجِــلَ النَّعْمَاءِ
ذَلِكَ الْخَائِبُ الشَّــقِيُّ وَإِنْ كَا نَ يُرَى أَنَّهُ مِنَ السُّــعَدَاءِ
حَسْبُ ذِي إِرْبَةٍ وَرَأْيٍ جَــلِيٍّ نَظَــرَتْ عَيْنُــهُ بِــلَا غُلَوَاءِ (٢)
صِحَّــةُ الدِّينِ وَالْجَوَارِحِ وَالْعِـرْ ضِ وَإِحْرَازُ مُسْــكَةِ الْحَــوْبَاءِ (٣)
تِلْكَ خَيْرٌ لِعَـارِفِ الْخَــيْرِ مِمَّـا يَجْمَعُ النَّـاسُ مِنْ فُضُــولِ الـثَّرَاءِ

(١) راحة النفس : بدل من حظ فى البيت قبله . وحياء رواء أى جميل .

(٢) الإربة : العقل .

(٣) الحوباء : النفس ومسكة الحوباء ما يحفظ حياتها : وصحة الدين مبتدأ خبره حسب فى البيت قبله .

لَيْسَ لِلْمُكْثِرِ الْمُنَغَّصِ عَيْشٌ إِنَّمَا عَيْشُ عَائِشٍ بِالْهَنَاءِ
يَا أَبَا الْقَاسِمِ الَّذِي لَيْسَ يَخْفَى عَنْهُ مَكْنُونُ خُطَّةٍ عَوْجَاءِ
أَتَرَى كُلَّ مَا ذَكَرْتُ جَلِيًّا وَسِوَاهُ مِنْ غَامِضِ الْأَشْيَاءِ
ثُمَّ يَخْفَى عَلَيْكَ أَنِّي صَدِيقٌ رُبَّمَا عَزَّ مِثْلُهُ بِالْغَلَاءِ
لَا لَعَمْرُ الْإِلَهِ لَكِنْ تَعَاشَيْـ ـتَ بَصِيرًا فِي لَيْلَةٍ قَمْرَاءِ (١)
ظَالِمًا لِي مَعَ الزَّمَانِ الَّذِي ابْتَـ ـزَّ حُقُوقَ الْكِرَامِ لِلُّؤَمَاءِ
ثَقُلَتْ حَاجَتِي إِلَيْكَ فَأَضْحَتْ وَهْيَ عِبْءٌ مِنْ فَادِحِ الْأَعْبَاءِ
فَتَوَانَيْتَ وَالتَّوَانِي وَطِيءُ الظَّـ ـهْرِ لَكِنَّهُ زَنِيمُ الْوِطَاءِ (٢)
كُنْتَ مِمَّنْ يَرَى التَّشَيُّعَ لَكِنْ مِلْتَ فِي حَاجَتِي إِلَى الْإِرْجَاءِ (٣)
ظُلِمَتْ حَاجَتِي فَلَاذَتْ بِحِقْوَيْـ ـكَ فَأَسْلَمْتَهَا لِكَفِّ الْقَضَاءِ (٤)
وَقَضَاءُ الْإِلَهِ أَحْوَطُ لِلنَّا سِ مِنَ الْأُمَّهَاتِ وَالْآبَاءِ
غَيْرَ أَنَّ الْيَقِينَ أَضْحَى مَرِيضًا مَرَضًا بَاطِنًا شَدِيدَ الْخَفَاءِ
مَا وَجَدْتُ امْرَأً يَرَى أَنَّهُ يُو قِنُ إِلَّا وَفِيهِ شَوْبُ امْتِرَاءِ
لَوْ يَصِحُّ الْيَقِينُ مَا رَغِبَ الرَّا غِبُ إِلَّا إِلَى مَلِيكِ السَّمَاءِ
وَعَسِيرٌ بُلُوغُ هَاتِيكَ جِدًّا تِلْكَ عُلْيَا مَرَاتِبِ الْأَنْبِيَاءِ

(١) ادعيت عدم الإبصار . (٢) الزنيم : الدعى واللئيم . وزنيم الوطاء : لئيم الموطئ .

(٣) التشيع : مذهب دينى يرى تفضيل على على سائر الصحابة والإرجاء مذهب آخر يرى الوقوف على الحياد بالنسبة للفرق المتقاتلة لا يحكمون على أحد بشىء فى الدنيا بل يرجئون الحكم الى يوم القيامة فالشاعر يورى ويقول كنت متشيعا لى ثم لما طلبت منك مطلبا وقفت على الحياد وأرجأت الحكم على مطلبى .

(٤) الحقو : الكشح . ولاذت بحقويه : التجأت اليه .

وعزيزٌ عليـــك عضّـــيك باللّو ... مِ ولَكِن أصبْتَ صـــدْرى بِداء
أنْت أدويْتَ صدْرَ خِلِّكَ فَاعْذِرْ ... هُ عـــلى النّفْثِ إنّهُ كالدّواءِ
قـــدْ قَضيْنا لُبانةً مِن عِتَابٍ ... وجميـــلٌ تعاتُبُ الأكْفَاء
وَالّذى أطْلَقَ اللّسَانَ فَعاتَبْـ ... ـتُكَ عـــدّيكَ أوّل الفُهَماء
وأَنَا المَـــرْءُ لا أسُـــومُ عتَابِى ... صَاحِبًا غَيْر صـفْوَةِ الأصْفِيَـاءِ
ذا الحِجَا مِنْهُـــمْ وذا الحِلْمِ والعِلْـ ... ـمِ وجَهْـــلٌ مَلامَةُ الجُهَـــلاءِ
إنّ مَنْ لَامَ جَاهِـلًا لَطَبِيبٌ ... يَتَعَاطَى عِـــلاجَ دَاءٍ عيَاءِ

وقال يصف العنب الرّازقى (١) :

وَرَازِقىٍّ مُخْطَفِ الخُصُـــورِ ... كأنّهُ مَخَازِنُ البَلُّـورِ (٢)
قَدْ ضُمِّنَتْ مِسْكًا إلَى الشُّطُورِ ... وَفِى الأعَالِى ماءُ وَرْدٍ جُورِى (٣)
لَمْ يُبْـــقِ مِنْـهُ وَهَجُ الحَـرُورِ ... إلّا ضِـــيَاءً فِى ظُرُوفِ نُـــورِ (٤)
لَوْ أنّهُ يبْـــقَى عَلَى الدُّهُـــورِ ... قُرّطَ آذانَ الحِسَانِ الحُورِ
لَهُ مَذاقُ العَسَـــلِ المَشُـــورِ ... ونَكْهةُ المِسْـــكِ مَعَ الكافُورِ
بَاكَرْتُهُ وَالطّيْرُ فِى الوُكُـــورِ ... وعُذَرُ اللّذّاتِ فِى البُكُـــورِ (٥)
بِفِتْيَـــةٍ مِنْ وَلَدِ المَنْصُـــورِ ... أمْلَأَ لِلعَيْـــنِ مِنَ البُـــدُورِ

(١) العنب الرازقى : نوع من العنب أبيض طويل الحب .

(٢) مخطف الخصر : هزيله .

(٣) الجورى : منسوب الى جور مدينة بفارس ينسب اليها الورد و يعمل فيها ماؤه .

(٤) الحرور : حر الشمس .

(٥) أصل غذرة الفرس ناصيته وأراد بعذر اللذات بوادرها وأول ما يظهر منها .

حَتَّى أَتَيْنَا خَيْمَةَ النَّاطُورِ قَبْلَ ٱرْتِفَاعِ الشَّمْسِ لِلذُّرُورِ (١)
ثُمَّ جَلَسْنَا مَجْلِسَ الْمَحْبُورِ عَلَى حِفَافَيْ جَدْوَلٍ مَسْجُورِ (٢)
أَبْيَضَ مِثْلَ الْمُهْرَقِ الْمَنْشُورِ أَوْ مِثْلَ مَتْنِ الْمُنْصُلِ الْمَشْهُورِ (٣)
يَنْسَابُ مِثْلَ الْحَيَّةِ الْمَذْعُورِ بَيْنَ سِمَاطَيْ شَجَرٍ مَسْطُورِ (٤)
فَنِلْتِ ٱلْأَوْطَارُ مِنْ سُرُورِ تَعِلَّةً عَنْ يَوْمِنَا الْمَنْظُورِ
وَمُتْعَةً مِنْ مُتَعِ الْغُرُورِ

(١٥) البُحْتُرِى (٥)

قال يصف خروج المتوكل لصلاة عيد الفطر من قصيدة :

بالبرِّ صُمْتَ وأنت أفضلُ صائمٍ وبسنَّة الله الرَّضيَّة تُفطِر
فانْعَمْ بيوم الفِطر عيدًا إنه يومٌ أغرُّ من الزمان مُشَهَّرُ
أظهرتَ عِزَّ الملكِ فيه بجحفلٍ لَجِبٍ، يُحاطُ الدينُ فيه ويُنْصَر (٦)

(١) الناطور : حارس العنب . والذرور : مصدر ذرت الشمس طلعت .
(٢) حفافا النهر أو الجدول : جانباه . والمسجور : المملوء .
(٣) المهرق : الصحيفة . والمنصل : السيف .
(٤) السماطان : مثنى سماط وهو الشيء المصطف . يقال علل نفسه بتعلة أى شغل نفسه بشيء .
(٥) هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائى ولد بناحية منبج سنة ٢٠٦ هـ . وتنقل فى قبائل طيء وغيرها من البدو الضاربين فى شواطئ الفرات فغلبت عليه فصاحة العرب واتصل بالمتوكل والفتح بن خاقان محترما حتى قتلا، وقد عاش بعدهما حتى سنة ٢٨٤ هـ . ويمتاز شعره برقة الأسلوب وحسن الخيال وإجادة الوصف والرثاء والعتاب والغزل والمديح .
(٦) الجحفل : الجيش الكثير . لجب : ذو لجب أى صياح وجلبة .

خِلنا الجبال تسـير فيه وقد غدتْ عُدَدًا يسير بهـا العَـديدُ الأكثر
فالخيل تَصهَلُ، والفوارس تَدَّعي، والبيض تلمـعُ، والأَسِـنَّةُ تَزْهَر (١)
والأرضُ خاشِـعةٌ تَميـدُ بثقْلها، والجو مُعتكِـر الجوانب أغبَرُ (٢)
والشمس مائِعَـةٌ توقَّدُ بالضُّحا طورًا، ويُطفئها العجاجُ الأكْدَر (٣)
حتى طلعْتَ بضوءِ وجهك فانجلتْ تلك الدُّجى وانجـابَ ذاك العِثْيَرُ (٤)
وافتَنَّ فيـك الناظِرون: فأصبعٌ يُومَى إليك بهـا، وعينٌ تنظُر
يَجِدُون رؤْيتـك التي فازوا بهـا مِن أنعُمِ اللهِ التي لا تُكْفَر
ذكـرُوا بطلْعتِكَ النبيَّ، فهلَّلُوا لمـا طلَعْتَ من الصفوفِ، وكبَّروا
حتى انتَهيتَ الى المصـلَّى لابسا نُورَ الهدى، يَبدُو عليـك ويَظهر
ومشَيتَ مِشيةَ خاشِـع مُتواضِـع لله لا يُزْهَى، ولا يتـكبَّر
فلو انَّ مُشتاقا تكلَّفَ فوق ما فى وُسْـعِه لَسَعَى إليـكَ المِنبر

ومن قوله يصف الربيع:

أتاكَ الربيعُ الطلْقُ يختالُ ضاحكا من الحُسن حتى كادَ أن يتكلَّمـا
وقد نبَّـه النيروزُ فى غَسقِ الدجى أوائلَ وَرْدٍ كُنَّ بالأمس نُوَّما (٥)

---

(١) البيض: السيوف. والأسنة: جمع سنان: نصل الرمح. تزهر: تضيء وتلمع.

(٢) تميد تتحرك وتضطرب. والجو معتكر أى من ضخامة الجيش أو من غباره.

(٣) مائعة: مرتفعة. والعجاج: الغبار. والأكدر: الشديد الكدرة وهى ضد الصفاء.

(٤) الدجى: جمع دجية: الظلمة. ويقصد ظلمة العثير الذى هو الغبار.

(٥) النيروز عند الفرس أوّل أيام السنة الشمسية. غسق الدجى: ظلمة الليل. والمعنى أن مقدم الربيع يصحبه تفتح الورد.

يُفتّقُها بردُ النـدَي فكأنه ... يَبُثُّ حديثًا كان قبـلُ مُكَتَّما (١)

فمِن شجـرٍ ردّ الربيـعُ لباسَـهُ ... عليـه كما نَشَّرتَ وشـيًا مُنَمْنَما (٢)

أَحَلَّ فأَبْدَى للعيون بَشاشةً ... وكان قَذًى للعـين إذ كان مُحرِما (٣)

ورقّ نسـيمُ الريح حتى حسبتَه ... يجيءُ بأنفـاس الأحِبَّـة نُعَّـما

وقال يمدح محمد بن على بن عيسى القُمّي :

ذاكَ وادِى الأراكِ فاحبِس قليلا ... مُقْصِرًا مِن صَـبابةٍ أو مُطيلا (٤)

قِف مَشُوقًا ، أو مُسعِدًا ، أو حزينًا ... أو مُعينًا ، أو عاذِرا ، أو عَذُولا (٥)

إنّ بينَ الكَثيبِ فالجِـزْعِ فالآ ... رامِ ، رَبْعًا لِآلِ هِنـد مُحيـلا (٦)

أبلت الريحُ والـروائح والأيّـ ... ـامُ منـهُ معَالِمـا وطُـلُولا (٧)

وخِلافُ الجميـلِ قولُك للـذّا ... كِرِ عهدَ الأحبابِ : صَبرًا جَميلا

(١) يشبه انتشار الأريج على أثر تفتح الورد بسر كان مكتوما فأذيع .

(٢) الوشى : نقش الثوب . ممنم : محسن . يشبه اكتساء الأشجار بالزهر بالنقش الجميل .

(٣) أحل هنا بمعنى حل كما أن أحرم بمعنى غاب وذلك كالمحل والمحرم فى الحج . والقذى : ما يقع فى العين فيؤلمها ويسيل دمعها من تبن أو نحوه .

(٤) وادى الأراك : واد قرب مكة وقيل موضع بعرفة . واحبس : قف راحلتك أو نفسك مثلا . والصبابة : الشوق والولع الشديد ، يطلب الى صاحبه الوقوف بديار الأحبة وفاء لأهلها الراحلين عنها .

(٥) مشوقا : مولعا يقال شاقه الحب إذا هاجه . ومسعدا : معينا ، أى على حرارة الشوق ، ومعينا أى على الحزن . يقول له قف معى مهما يكن شأنك إذ لا مفر لى من ذلك .

(٦) الكثيب : قرية بالبحرين لبنى محارب . والجزع : موضع بنجد وآخر بأرض طيئ وواد باليمامة . والآرام : دارة . والربع المحيل : الدار الخالية .

(٧) الروائح : جمع رائحة وهى السحابة التى تجىء عشيا أو المطرة ، والمعالم : ما يستدل بها على الطريق أو هى المعاهد ، المفرد : معلم . والطلول : جمع طلل وهو الشاخص من الآثار .

لا تَلُمْـهُ عَلَى مُواصـلةِ الدَّمْـ ـعِ، ولُؤْمٌ لَوْمُ الخليـلِ الخليـلا
عَـلَّ ماءَ الدُّموعِ يُخمِـدُ نَارًا مِن جَوَى الحُبِّ أو يَبُلُّ غَلِيلا (١)
وبُكاءُ الدِّيارِ ممّا يَـرُدُّ الـ ـشَّوقَ ذِكْرًا والحُبَّ نِضْوًا ضَئِيلا (٢)
لم يكنْ يومُنا طـويلًا بنَعْما نَ، ولَكِنْ كانَ البُكاءُ طـويلا
قَـد وجَـدْنَا محمّـدَ بنَ علِيٍّ غايةَ المجـدِ قائـلًا وفَعُـولا
ولَقِينَـا شمائـلًا تَنْـثُرُ المِسْـ ـكَ سَحِيقًا كما لَقِينا الشَّمولا (٣)
ورأينا سِـيمَا نَـدًى وسَمَاحٍ لم نُرِدْ بعـدَها عليـه دَلِيلا
أشْعَرِيٌّ، كَفاهُ عِيسى بنُ موسى شَرَفًا باتَ للسِّماكِ رَسِيلا (٤)
خَلَّفَ البُهْـرَ للجِيـادِ، وأَلْقَى فى مَدَى المجدِ، غُرَّةً، وحُجولا (٥)
وبَنُو الأَشْـعَرِ الذى مَلأَ الأرْ ضَ رِجالًا، ونَجْـدَةً، وخُيولا
شَوكـةٌ ما أَصابَتِ الدهرَ إلّا تركَتْ فى الغِـرارِ منـهُ فُلولا (٦)

---

(١) الغليل : شدّة العطش، والمراد هنا حرقة الشوق .

(٢) يرد الشوق ذكرا : يجعله ذكريات للماضى فقط . والنضو : الكليل المتعب، يريد أن بكاء الديار يشفى النفس من آلام الحب ويخفف لوعته . (٣) الشمول : الخمر أو الباردة منها والمراد الأخلاق الحميدة . والمسك السحيق : المسحوق، يشبه به آثار الخلق الطيب .

(٤) أشعرى : منسوب الى الأشعر جدّه . والسماك : اسم لكل من كوكبين نيرين : أحدهما السماك الأعزل، والثانى الرامح . ورسيلا : مراسلا ومتصلا، أى كفاه شرف آبائه السامى .

(٥) البهر : انقطاع النفس من الإعياء . والجياد : الخيل . والمدى : الغاية والمنتهى، والغرة : بياض فى جبهة الفرس، ومن كل شئ أوّله ومعظمه . وغرة القوم : سيدهم . والحجول : جمع حِجل وهو البياض فى رجل الفرس، يريد أنه لا يكل ولكنه وصل الى غاية المجد بكريم أفعاله التى تشبه غرة الخيل السابقة وحجولها . (٦) الشوكة هنا : العزة والسلطان . وغرار السيف : حدّه . والفلول : جمع فل وهو الثلمة فى حدّ السيف . يقول : إن صولتهم قوية حتى على صروف الدهر .

بَلَغَ المكْرُماتِ طُولا وعَرْضًا ... وتَناهَتْ اليه عَرْضًا وطُولا (١)
رَادةُ الحمد أَوَّلًا وأَخيرا ... وأُولو المجد واحِدا وقَبِيلا (٢)
وكأنَّ الأصولَ كانت فُروعًا ... وكأنَّ الفروعَ كانت أُصُولا (٣)
ونُجومٌ إذا توَقَّدْنَ فى الخَطْـ ... ـبِ توَهَّمْتَ فِي النُّجوم أُفُولا (٤)
ومُحِبُّونَ للنَّبِي وأهلِ الـ ... ـبَيْتِ حُبًّا يُرضُون فيه الرسولا
سَلَبُوا البِيضَ بَزَّها وأقاموا ... بِظُبَاها التأويلَ والتَّنزيلا (٥)
تَحسبُ الشِّيبَ فى الوَقيعةِ شُبَّا ... نًا إذا صافَحُوا الصفيحَ الصَّقيلا
فإذَا حَاربُوا أَذَلُّوا عَزِيزًا ... وإذا سَالَمُوا أعَزُّوا ذَليلا (٦)
وَإذَا عِزُّ مَعشَرٍ زَال يومًا ... مَنَعَ السيفُ عِزَّهُمْ أن يَزولا
يا أبا جعفرٍ، لَقَدْ زَاحَ إفضا ... لُك خَطْبًا عَلَى الكِرامِ جَليلا (٧)
رَدَّ مَعروفُك الكثيرَ قليلًا ... وأرَى جُودُكَ الجَوادَ بَخيلا

---

(١) تناهت اليه : بلغت غايتها عنده .

(٢) رادة الحمد : سابقون اليه .

(٣) يقول : إنهم متساوون فى المجد لاتكاد تفرق بين طبقاتهم فيه ، فكأن الأبناء هم بانوه وكأن البانين من الآباء هم الأبناء .

(٤) نجوم الأولى : رجال كالنجوم سموا ونفاذا ونباهة . ونجوم الثانية : نجوم السماء . يقول : يظهرون فى الشدائد فيخفون من عداهم حتى كأن نجوم السماء غائبة أيضا .

(٥) البيض : السيوف . والبز : الثياب من الكتان أو القطن ، والمراد أغمادها أو بهاؤها ومضاؤها . والظبى : جمع ظبة : حدّ السيف أو السنان . والتأويل : التفسير (يريد تفسير مسائل الدين) . والتنزيل : القرآن الكريم ، والمراد أنهم خدموا الدين بسيوفهم .

(٦) أى هم فى الحروب ليوث وفى السلم يحمون الذليل و يكرمونه .

(٧) يقول : إن كرمك يضر الكرام لأن كثرة عطاياك العظيمة تزرى بما يعطون فلا يظهر لهم فضل .

لا أَظُنُّ البُخّالَ يُوفُونَك الشُّكـ ـرَ ولو كانَ بكْرَةً وأَصيلا
جَعلَتْهمْ مِنْ غَيْرِهِمْ دَفْعُ مِنْـ ـكَ أفادَتْ حَمْدًا وأعطَتْ جَزيلا (١)
كَمْ لِجَدواكَ مِن مَقامٍ، لَعَمرِى كانَ من رَيِّقِ السحابِ بَديلًا ! (٢)
عنـدَ وجهٍ طَلْقٍ إذَا ما تَبَـدَّى لِحُزُونِ الخُطُوبِ عادتْ سُهولا
يَئسَ الحاسـدون منـكَ وكانُوا أَسَـفًا ينظُرون نَحـوَكَ حُولَا (٣)
ورَأَوْا أَنَّهـم إذَا وَصَـلوا تِلْـ ـكَ المساعِى بِالفِكرِ ذَابُوا نُحولا (٤)
فَثَنَـوْا عَنـكَ أَعيُنًا وقُلوبًا لم يَرُدُّوا إلا حَسِـيرًا كَليلا (٥)
وكَفانِى على الذى يوجَدُ الفَضْـ ـلُ لديهِ بِالحاسِـدينَ دَليلا (٦)

(١) أى أن عطاياك جعلت البخال كغيرهم ممن كانوا يوصفون بالكرم ، لأنها نزلت بهؤلاء الى درجة البخلاء .

(٢) الجدوى : العطاء . وريق السحاب : أفضله وأوله ، أى ان عطاياك لها أثر فى النعمة والخير كأثر السحاب الماطر .

(٣) حولا : ذوى عيون حولاء . والحول : ميل إحدى الحدقتين الى الأنف والأخرى الى الصدغ ، وهذه الحال تدل على الحسرة والأسف .

(٤) يقول : رأوا أنهم لا يستطيعون الوصول إلى محامدك حتى بمجرد تفكيرهم فيها ولو حاولوا ذلك ذابت جسومهم ضعفا دون الغاية .

(٥) وكانت نتيجة ذلك أن انصرفوا عنك لا يمكنهم النظر الى محامدك النامية ولا التفكير فى إدراكها ، لأن أبصارهم ضعيفة ، وقلوبهم متعبة .

(٦) أى يكفينى الحاسدون فى الدلالة على صاحب الفضل أين هو ، لكثرة حديثهم عنه وذلك قول أبى تمام :

وإذا أراد الله نشر فضيلة طويت أتاح لها لسان حسود

وقال يمدح المتوكل :

لِى حبيبٌ قَدْ لَجَّ فى الهَجرِ جِدّا … وأعادَ الصدودَ منه وأبْدَى (١)
ذو فُنُونٍ يُرِيكَ فى كُلِّ يومٍ … خُلُقًا من جَفائهِ مُستجِدّا
يتأبَّى مَنْعًا، ويُنْعِمُ إسعَا … فًا، ويَدنُو وَصْلًا، ويبعُدُ صَدّا (٢)
أَغْتَدِى رَاضِيًا وقد بِتُّ غضبا … نَ، وأُمسِى مَوْلًى، وأُصبِحُ عَبدا (٣)
وبِنفسِى أَفدِى على كلِّ حالٍ … شَادِنًا، لو يُمَسُّ بِالحُسنِ أعدَى (٤)
مَرَّ بى خالِيًا فأطمعَ فِى الوَصْـ … ـلِ وعَرَّضْتُ بالسلامِ فَردّا
وَثَنَى خَدَّه إلَىَّ على خَوْ … فٍ فقبَّلتُ جُلَّنارًا ووَرْدَا (٥)
سَيِّدِى أنتَ، ما تَعَرَّضتُ ظُلْمًا … فَأُجازَى بِهِ، ولا خُنْتُ عهدا
رِقَّ لِى مِن مدامعٍ ليس تَرْقَا … وارْثِ لِى مِن جوانحٍ ليس تَهْدا
أتُرانِى مُستبدِلًا بك ما عِشْـ … ـتُ بَدِيلًا، أو واجِدًا منك نِدّا (٦)
حاشَ للهِ، أنتَ أفتَنُ ألحا … ظًا، وأحلَى شَكلًا، وأحسنُ قَدّا (٧)
خَلَقَ اللهُ جعفرًا قَيِّمَ الدُّنـ … ـيا سَدَادًا، وقَيِّمَ الدِّينِ رُشْدَا (٨)

(١) لج فى الهجر : تمادى فيه ولزمه .

(٢) يتأبى : يأبى ويمتنع . وينعم : يرفه . والإسعاف : المساعدة ؛ أى يرفه عنى قليلا فى بعض الأحيان .

(٣) المولى : السيد أو الصاحب ؛ يذكر تجنى المحبوب واختلاف أحواله معه .

(٤) الشادن : ولد الظبية تشبه به الفتاة الظريفة ؛ ثم يقول : لو مسه أحد نالته منه عدوى الحسن .

(٥) الجلنار : زهر الرمان يشبه به الخد فى الحمرة .

(٦) الند : المثل والنظير .

(٧) حاش لله : تنزه الله ؛ ويريد بها هنا نفى استبدال غير حبيبه به أو وجود نظيره .

(٨) القيم : المستقيم ؛ يريد أنه حسن الدنيا والأخرى لسداده وهدايته .

أكرَمَ النـاس شِيمــةً وأتَمَّ النَّـ ـاس خُلْقًا ، وأكثرَ الناسِ رِفْدا (١)
مَلِكٌ حَصَّنَتْ عَزِيمَتُـــه المُــلْـ ـكَ ، فأضحت لــهُ مُغاثًا وَرِدًّا (٢)
أظهرَ العدلَ ، فاستنارتْ بِه الأر ضُ ، وعَمَّ البـلادَ غَوْرا ونَجْدا (٣)
وحَكَى القَطْـرَ بـل أبَرَّ على القطْـ ـرِ بِكفٍّ على البَرِيَّةِ تَنْـدَى (٤)
هُوَ بحر السَّماح ، والجودِ ، فازدَدْ مِنه قُرْبا ، تَزدَدْ من الفقرِ بُعـدا
يا ثِمـالَ الدُّنيا عَطـاءً وبَـذْلا وجَمـالَ الدنيـا ثنـاءً ومَجـدًا (٥)
وشَــبيهَ النَّـبِيِّ خُلْقًـا وخَلْقـا ونَسِيبَ النَّبي جَـدًّا فجَـدّا
بِكَ نَستَعتِبُ الليـالِيَ ونَسْـتَعْـ ـدِى على دَهرِنا المُسِيءِ فتُعْـدَى (٦)
فابقَ عُمْـرَ الزمانِ حتى تُؤَدِّى شُـكرَ إحسـانِك الذى لا يُؤَدَّى

وقال يصفُ الذئبَ حين لَقِيه :

سـلامٌ عليـكم ، لا وفاءٌ ، ولا عَهـدُ أمَا لَـكُمُ مِن هَجـرِ أحبابِـكُمْ بُدُّ ؟
أأحْبابَنـا قد أنجــزَ البينُ وَعدَهُ وَشِـيكًا ، ولم يُنجَـزْ لنـا مِنكُمُ وَعْدُ ! (٧)

---

(١) أكرم : أفضل . الشيمة : الخلق والطبيعة . والرفد : العطاء .

(٢) مغاثا : ملجأ . وردا : عمادا .

(٣) الغور : ما انحدر واطمأن من الأرض وضده النجد ، يريد أن عدله شمل جميع البلاد .

(٤) القطر : المطر ، أى يشبه بكرمه المطر . وأبر : زاد . تندى : تعطى كثيرا .

(٥) الثمال : الملجأ والمعتمد . وثمال القوم : الذى يقوم بأمرهم .

(٦) نستعتب الليـالى : نطلب منهـا العتبى (الرضا) أو نعطيها العتبى (ضـد) والأول هو الظاهر هنا أى نطلب من الليـالى أن تكون وفق آمالنا . ونستعدى على الدهر : نستعين بك عليه . فتعدى : فنعان ونغلب .

(٧) وشيكا : سريعا . وأنجز البين وعده : فرقنا البعد . ووعدهم : هو القرب .

أَأَطلالَ دارِ العامِريَّةِ باللِّوَى ... سقتْ رَبْعَكِ الأَنواءُ! ما فعلَتْ هِندُ؟ (١)
أدارَ اللِّوى بينَ الشَّقيقةِ فالحِمَى ... أَمَا للنَّوى إلّا رسيسَ الهوَى قَصْدُ؟! (٢)
بنفسِي مَنْ عذَّبتُ نفسِي بحُبِّهِ ... وإنْ لمْ يكنْ مِنهُ وِصالٌ ولا وُدُّ
حبيبٌ، عنِ الأحبابِ شَطَّتْ بهِ النّوى ... وأيُّ حبيبٍ ما أَتَى دونَهُ البُعدُ؟
إذا جُزْتَ صحراءَ الغُوَيرِ مُغرِّباً ... وجازَتْكَ بطحاءُ السَّواجِيرِ ياسَعدُ (٣)
فقُلْ لِبَنِي الضّحاكِ مَهلاً، فإنَّني ... أنا الأُفعُوانُ الصِّلُّ، والضَّيغَمُ الوَرْدُ (٤)
بَنِي ناهِلٍ مَهلاً، فإنَّ ابنَ أُختِكُمْ ... لهُ عَزَماتٌ هَزْلُ آرائِها جِدُّ (٥)
مَتَى هِجْتُمُوهُ لا تَهِيجُوا سِوَى الرَّدَى ... وإنْ كانَ خرْقاً ما يُحَلُّ له عَقْدُ (٦)
مَهِيبٌ كنَصلِ السيفِ لو ضُرِبَتْ بهِ ... ذُرا أَجإٍ ظَلَّتْ وأعلامُها وَهْدُ (٧)
يَوَدُّ رِجالٌ أنَّنِي كنتُ بعضَ مَنْ ... طوَتْهُ الليالِي لا أروحُ ولا أغدو (٨)
ولولا احتمالِي ثِقْلَ كُلِّ مُلِمَّةٍ ... تَسوءُ الأعادِي، لم يوَدُّوا الذي ودُّوا

---

(١) اللوى : ما التوى من الرمل أو مسترقه . والربع : الموضع أى سقتك . والأنواء : الأمطار.

(٢) الشقيقة والحمى : موضعان . ورسيس الهوى : حرقته وثباته .

(٣) الغوير : ماء لبنى كلب .

(٤) الأفعوان : ذكر الأفعى (الحية الخبيثة). والصل : الداهية من الحيات . والضيغم : الأسد. والورد : الشجاع الجرىء من الأسود .

(٥) أضعف همه قوية نافذة .

(٦) الردى : الهلاك . الخرق : الكريم ، ما يحل الخ أى لا يرجع عما اعتزمه .

(٧) أجأ : قسم من جبل شمر جنوبى السماوة شمالى بلاد العرب . وذراه : أعاليه . وأعلامها : أعاليها . وهد : منخفضة جمع وهدة .

(٨) طوته الليالى : هلك .

ذَرِينِي وإيَّاهم فَحَسْبِي صَرامَتِي إذا الحربُ لم يُقدَح لمخمِدها زَنْدُ (١)
وَلى صاحبٌ عَضْبُ المضارِبِ صارِمٌ طَوِيلُ نجادٍ، ما يُفَلُّ لَهُ حَدُّ (٢)
وباكيةٍ تشكو الفِراقَ بأدمعٍ يُبادِرنَها سحًّا كما انتثرَ العِقدُ
رَشادَكِ، لا يُحزِنْكِ بينُ ابنِ همّةٍ يتُوقُ إلى العَلْياءِ لَيس لَهُ نِدُّ (٣)
فمن كانَ حُرًّا فهو للعَزمِ والسُّرى ولِلَّيلِ من أفعالِه والكَرَى عبدُ (٤)
وَليلٍ كأنَّ الصُّبحَ فى أُخرَياتِه حُشاشةُ نَصلٍ ضَمَّ إفرِندَهُ غِمدُ (٥)
تَسَربَلتُهُ والذئبُ وَسْنانُ هاجِعٌ بِعَينِ ابنِ ليلٍ، مالَهُ بِالكَرَى عَهدُ (٦)
أُثيرُ القَطا الكُدْرِيَّ عَنْ جَثَماتِه وتألفُنِي فيه الثَّعالبُ والرُّبْدُ (٧)
وأطلسَ مِلءِ العينِ يَحمِلُ زَورَهُ وأضلاعَهُ من جانِبَيْه شَوًى نَهْدُ (٨)
لَهُ ذَنَبٌ مثلُ الرِّشاءِ يَجُرُّهُ ومَتْنٌ كَمَتْنِ القَوْسِ أعوجُ مُنْأدُ (٩)

---

(١) الصرامة : قوة العزيمة والمضاء، ولم يقدح الخ ، أى لم ينجح أحد فى إخمادها .

(٢) الصاحب هو السيف، عضب : قاطع . والنجاد : حمائل السيف، كناية عن طول قامته .

(٣) رشادك : قلت لها : الزمى رشادك . والند : المثل والنظير .

(٤) عبد خبر فهو .

(٥) حشاشة نصل : بقية سيف . وافرند السيف : جوهره ووشيه . يشبه الصبح حين يبدو خطا رفيعا عند الأفق المظلم ببقية سيف أغمد إلا نصلا .

(٦) تسربلته : صاحبته وسرت فيه . ابن ليل : دائم السهر . والكري : النوم الخفيف .

(٧) الكدرى : المائل الى السواد والغبرة . وجثماته جمع جثمة كضربة، أى أثير القطا عن مجاثمه ومراقده بسيرى فيه . والربد : جمع أربد الأسد .

(٨) وأطلس : ورب ذئب أطلس أى أغبر إلى سواد . ملء العين : طويل مهيب . والزور : العزم . والشوى : الأطراف مفرد فى لفظه جمع فى معناه . ونهد : بارز .

(٩) الرشاء : الحبل أو حبل الدلو خاصة . والمتن : الظهر . ومنأد : معوج .

طَواهُ الطَّوى حتَّى استمَرَّ مريرُه فما فيه إلا العَظْمُ والرُّوحُ والجِلْدُ (١)
يُقَضْقِضُ عُصْلًا فى أسِرَّتِها الرَّدى كقَضْقَضَةِ المقرُورِ أرعَدَه البَرْدُ (٢)
سَمَا لِى وَبِى من شِدَّةِ الجُوعِ ما بِهِ بِبَيْداءَ لم تُعرفْ بها عِيشَةٌ رَغْدُ (٣)
كلانَا بِهَا ذئبٌ يُحَدِّث نَفسَهُ بِصَاحِبِهِ، والجَدُّ يُتْعِسُه الجَدُّ
عَوَى ثم أَقْعَى فارْتَجزتُ فهِجتُه فأقبلَ مِثلَ البَرقِ يَتْبعُه الرَّعْدُ (٤)
فأَوجَرْتُه خَرْقاءَ تَحسَبُ رِيشَها على كوكبٍ يَنقضُّ والليلُ مُسْوَدُّ (٥)
فما ازدادَ إلا جُرأةً وصَرامةً وأيقنتُ أنَّ الأمرَ منهُ هو الجِدُّ
فأتبعتُها أُخرى فأضلَلْتُ نَصلَها بحيث يكون اللُّبُّ، والرُّعبُ، والحِقْدُ (٦)
فخَرَّ وقد أوردتُه مَنهَلَ الرَّدى علَى ظَمأٍ لو أنَّهُ عَذُبَ الوِرْدُ
وقُمتُ فجَمَّعْتُ الحَصَى فاشتَوَيْتُه عليه، ولِلرَّمضاءِ مِن تحتِه وَقْدُ (٧)
ونِلْتُ خَسيسًا منه ثُم تَركتُه وأقلعتُ عنهُ وهو مُنعَفِرٌ فَرْدُ (٨)

---

(١) الطوى: الجوع. واستمر مريره: استحكم عليه.

(٢) يقضقض عصلا: يصوت بأسنان صلبة معوجة. وأسرتها: أوساطها. والردى: الهلاك. والمقرور: من أصابه القر أى البرد.

(٣) سمالى: خرج لى وقصدنى. والبيداء: الصحراء. والعيش الرغد: الطيب المتسع.

(٤) أقعى: جلس على مؤخره، ارتجزت: رفعت صوتى أو قلت رجزا.

(٥) أوجرته: طعنته، والخرقاء: السنان. ثم شبهها بالكوكب المنقض إذ يقول: تحسب ريشها على كوكب.

(٦) أضللت نصلها: أدخلته، بحيث الخ... أى فى القلب.

(٧) الرمضاء: الأرض الحامية، وقد: نار.

(٨) منعفر: ممرغ فى التراب.

لَقَــدْ حَكَمَتْ فِينَـا الليالى بجَوْرِها وَحُكْمُ بَنَاتِ الدهرِ ليسَ لُه قَصــدُ (١)
أَفِى العَــدْلِ أن يَشقَ الكريمُ بجَوْرِها ويأخذَ منْها صفوَها القُعــدَدُ الوَغْدُ (٢)
ذَرِينِى مِنْ ضَرْبِ القِداحِ على السُّرَى فَعَزمِىَ لا يَثْنِيــه نَحْسٌ ولا سَــعْدُ (٣)
سأحمِلُ نفسِى عنــدَ كُلِّ مُلِمَّةٍ عَلَى مِثلِ حَدِّ السيفِ أخلَصَهُ الهِنْدُ (٤)
لِيَعلَمَ مَن هابَ السُّرَى خَشيَةَ الرَّدى بِأَنَّ قَضـاءَ اللهِ ليس له رَدُّ
فان عِشتُ محمودًا فَمِثْــلِى بغَى الغِنَى لِيكسِبَ مالا أو يُنَثَّ له حَمـــدُ (٥)
وإن مِتُّ لم أظفَر، فليسَ على آمرِئٍ غَدَا طالبًـا إلّا تَقَصِّيه والجُهـــد (٦)

وقال يمدح أبا نهشل :

هَا هُوَ الشَّيبُ لَائِمًـا فأَفِيقِى واترُكِيــهِ إن كانَ غَيرَ مُفِيقِ (٧)
فَلَقَــدْ كَفَّ مِنْ عَنَاءِ المُعَنَّى وتَلاقَى من آشتِياقِ المَشُوقِ (٨)
عَذَلَتْنَا فى عِشقِها أُمُّ عَمْــرٍو هل سَمِعتُمْ بِالعَاذِلِ المَعْشُوقِ

(١) بنات الدهر : نوازله ، والقصد : الاعتدال .
(٢) القعدد : الجبان أو اللئيم ، والوغد : الأحمق الدنىء .
(٣) ضرب القــداح على السرى : استخبار القداح أأســير أم أقعد ، وكان للعرب قداح يجيلونهـا فى كيس ثم يخرجون أحدها فان كان مكتوبا عليه صيغة الأمر مضى صاحبه فيا يعتزم ، وإن كان النهى قعد ، فالشاعر يقول : لا يعنينى هذا لقوة عزمى الذى لا يبالى سعدا ولا نحسا .
(٤) أخلصه الهنــد : سيف أجادت الهنــد صنعه وطبعه ، يقول : سأحمل نفسى على الشدائد اذا حزبت الأمور . (٥) ينث : يذاع و يفشى .
(٦) التقصى : بلوغ الغاية فى البحث ، ومعنى البيت أنى اذا لم أظفــر بمـا أبغى من الغنى أو الحمــد فلا لوم على ما دمت قد سعيت الى الخير جهدى .
(٧) لائمـا : يلوم العاشق على التمـادى فى العشق مع شيبه . والمفيق : الصاحى من سكرة العشق ، والمراد نفسه هو . (٨) كف : منع وخفف ، وفاعله يعود على الشيب .

ورأت لِمّـةً ألمّ بها الشَّيْـ ـبُ فَرِيعت مِنْ ظُلمةٍ فى شُروقِ (١)
ولَعَمْرِى لولا الأقاحِى لأبصَرْ تَ أنيقَ الرِّياض غيرَ أنيقِ (٢)
وسَـوادُ العيونِ لولم يُحجَّر ببياضٍ ، ما كانَ بالموموقِ (٣)
ومِزاجُ الصَّهْباءِ بالماءِ أملَى بِصَبُوحٍ مُستحسَنٍ وغَبُوقِ (٤)
أىُّ ليلٍ يَبْهى بغيرِ نُجومٍ أو سَحابٍ تَنْدَى بغيرِ بُروقِ (٥)
وَقْفَةً فى العَقيقِ أطرحُ ثِقْلاً مِنْ دُموعى بِوَقْفَةٍ فى العَقيقِ (٦)
ماثِلٌ بينَ أربُعٍ ماثلاتٍ يَنْزِعُ الشوقَ من فؤادٍ عَلُوقِ (٧)
أزجُرُ العيْنَ عن بُكاهُنَّ والعيـ ـسَ الى المُبتَغى بِكلِّ طَرِيقِ (٨)
واسْتَشَفَّتْ مُحمدَ بنَ حُمَيْـدٍ ما سَحيقٌ مِنَ الغِنَى بسَحيقِ (٩)

(١) اللمة : الشعر المجاور شحمة الأذن . ريعت : فزعت . ظلمة فى شروق : سواد شعر الشباب فى بياض المشيب .

(٢) الأقاحى : جمع أقحوان : نبات زهره أبيض ، أى لولا الأقحوان لذهبت بهجة الرياض وكذلك الشيب زينة الرأس . (٣) يحجر : يحاط . والموموق : المحبوب .

(٤) الصهباء : الخمر . وأملى : أمتع . والصبوح : شراب الغداة وعكسه الغبوق ، فالشيب فى الرأس كالماء للخمر .

(٥) كذلك يزدان الليل بالنجوم ، وتمطر السحب البارقة ، فالشيب بهاء الشباب ... كل تلك الصور لقصد تحسين المشيب .

(٦) العقيق : اسم لمواضع عدة فى بلاد الحجاز ونجد وغيرهما ، وقفة مفعول لفعل محذوف تقديره أتمنى أوقف .

(٧) ماثل : قائم . يعنى نفسه . وأربع جمع ربع : الدار . وفؤاد علوق : شديد التعلق بأحبته .

(٨) العيس : النوق . والمبتغى : المقصود .

(٩) استشفته : نظرت ما وراءه أى قصدته ، ومعنى الشطر الثانى أن الغنى مهما يبعد مكانه فلا يعد بعيدا لحب السعى إليه .

سَابِقُ النفعِ يَستقِي جُهدَ نَفسٍ ... تُســتَزادُ ٱسْــتِزَادَةَ المسبُوقِ (١)
قَلَّبَتْــهُ الأَيدى قَديمًــا وللحَلْـ ... ـبَةِ تُنْضِى الجِيــادُ بالتَّعرِيقِ (٢)
كُلَّمــا أَجْرتِ ٱلخَلائقُ أَوْفَى ... رادِعًا فى خَلَائقٍ كالخَــلُوقِ (٣)
صَافياتٍ عَلى قُلوبِ المُصَافِيـ ... ـنَ، رِقاقٍ فى فَهْمِهِنَّ الرقيقِ (٤)
لو تَصَفَّحتَها لأخرجتَ مِنها ... ألفَ معنًى من حاتمٍ مَسرُوقِ (٥)
ليسَ يَخلُو مِنْ فِكرةٍ فى جَليلٍ ... مِن أَفَانينِ مَجــدِه أَوْ دقِيقِ (٦)
يَنظِمُ المجدَ مِثلَ ما تَنظِمُ العِقْـ ... ـدَ يَدُ الصانِــعِ الصَّنَاعِ الرَّفِيقِ (٧)

وقال يرثى المتوكل على الله عاشر خلفاء بنى العباس وكان حاضرا مقتله :

مَحَـــلٌّ عَلَى القَاطُولِ أَخلَقَ دَاثِرُهْ ... وَعَادتْ صُروفُ الدَّهرِ جَيشًا تُغاوِرُهْ (٨)
كأَنَّ الصَّبَا تُوفِى نُذُورًا إذَا ٱنبَرتْ ... تُراوِحُـــهُ أَذْيَالُهَــا ، وتُبَاكِــرُه (٩)

(١) سابق النفع : يسبق إلى المحامد ، وإن رويت بالقاف كان المعنى سابقا الى الحروب ، ويستق الخ أى يستخرج من جهد نفسه كلما أراد كأنه مسبوق يضاعف جهده ليلحق بغيره أو يسبقه .

(٢) قلبته الأيدى : أحكته التجارب كالسيف يقلب لمعرفة جودته . والحلبة : ميدان السباق ، تنضى الجياد : تتعب وتمرن . والتعريق : التضمير .

(٣) أجرت : فوضت . الخلائق : المخلوقات والثانية بمعنى الطبائع . والخلوق : ضرب من الطيب فيه زعفران . رادعا : مضمخا . (٤) المصافون : المخلصون ، وصف لأخلاقه الجيدة .

(٥) حاتم : هو حاتم الطائى المشهور بالكرم ، يصفه بالكرم المضاعف .

(٦) الأفانين جمع فنون جمع فن : النوع ، يريد أنه يفكر دائمـا فى عمل مجيد مهما تكن درجته .

(٧) الصناع : المـاهر الحاذق .

(٨) القاطول : موضع على دجلة حيث قصر جعفر المتوكل المسمى القصر الجعفرى . وأخلق : بلى . والدائر : المـاحى البالى . وصروف الدهر : نوازله . وتغاوره : تحاربه .

(٩) الصبا : ريح شرقية . تراوحه : تنتابه فى الرواح (عشيا) . وتباكره : تهب عليه بكرة (صباحا)، أى كأن ذلك نذر عليها لهذا القصر .

وَرُبَّ زَمَانٍ نَاعِمٍ ثَمَّ عَهْدُهُ ... تَرِقُّ حَوَاشِيهِ، ويُورِقُ ناضِرُه (١)
تَغَيَّرَ حُسْنُ الجَعْفَرِيِّ وأُنْسُهُ ... وقُوِّضَ بَادِي الجعفَرِيِّ وحَاضِرُه (٢)
تَحَمَّلَ عَنْهُ ساكِنُوهُ بِجَاءةً ... فعَادَتْ سَوَاءً دُورُهُ ومَقَابِرُه (٣)
إِذَا نَحْنُ زُرْنَاهُ أَجَدَّ لَنَا الأَسَى ... وقد كانَ قبلَ اليومِ يَبْهَجُ زَائِرُه (٤)
وَلَمْ أَنْسَ وَحْشَ القَصرِ إِذْ رِيعَ سِرْبُهُ ... وإِذْ ذُعِرَتْ أَطْلاؤُهُ وجَآذِرُه (٥)
وإِذْ صِيحَ فِيهِ بالرَّحِيلِ فَهُتِّكَتْ ... عَلَى عَجَلٍ أَسْتَارُهُ وَسَتَائِرُه
وَوَحْشَتُهُ حَتَّى كأَنْ لَمْ يُقِمْ بِهِ ... أَنِيسٌ، ولَمْ تَحْسُنْ لِعَيْنٍ مَنَاظِرُه
كَأَنْ لَمْ تَبِتْ فِيهِ الخِلافَةُ طَلْقَةً ... بَشَاشَتُهَا، والمُلْكُ يُشْرِقُ زاهِرُه (٦)
ولَمْ تَجْمَعِ الدُّنْيَا إِلَيهِ بَهَاءَهَا ... وبَهْجَتَهَا، والعَيْشُ غَضٌّ مَكَاسِرُه (٧)
فَأَيْنَ الحِجَابُ الصَّعبُ حَيْثُ تَمَنَّعَتْ ... بِهَيْبَتِهَا أَبْوَابُهُ ومَقَاصِرُه (٨)

---

(١) زمان ناعم: ناعم أهله. حواشيه: جوانبه. وترق حواشيه: تسعد أوقاته. والشجر الناضر: الحسن، والمراد أنه عهد جميل.

(٢) الجعفرى: قصر المتوكل. وقوض: تهدم. وباديه: ظاهره. وحاضره: داخله.

(٣) سواء: متساوية فى إقفارها وخلوها من الأحياء.

(٤) أجدلنا الأسى: جدّد لنا الحزن.

(٥) وحش القصر: نساؤه الشبيهات بالبقر الوحشى فى جمال العيون. ريع: أفزع. والسرب: القطيع. والأطلاء: الظباء. المفرد طلا وطلو. والجآذر: أولاد البقرة الوحشية. المفرد جؤذر، يشبه بها أبناء القصر لما فزعوا وشتتوا لمصرع الخليفة.

(٦) طلقة: بهية ضاحكة. والزاهر: الحسن والمشرق من الألوان، أى تروع مظاهره.

(٧) مكاسره جمع مكسر: جذع الشجرة حيث تكسر الأغصان أو هو المخبر. يقال: فلان طيّب المكسر أى محمود عند الخبرة.

(٨) المقاصر جمع مقصورة: الحجرة أو الدار الواسعة المحصنة.

وأينَ عَميــدُ النـاسِ فى كُلِّ نَوْبَةٍ ... تَنُوبُ وَنَاهِي الدَّهرِ فِيهِـمْ وآمِرُه (١)

تَخَفَّى لَـــهُ مُغتالُـــه تحتَ غِرَّةٍ ... وأَوْلَى لِمَنْ يَغتالُه لَوْ يُجَاهِرُه (٢)

فما قَاتَلَتْ عَنــهُ المنـايَا جُنودُه ... ولا دَافَعتْ أمْــلاكُه وذَخَائرُه

ولا نَصَر المعتزَّ مَنْ كانَ يُرْتَجَى ... له ، وعَزيزُ القَــومِ مَنْ عَزَّ ناصِرُه (٣)

تَعَرَّضَ نَصلُ السيفِ مِنْ دونِ فَتْحِهِ ... وغُيِّبَ عَنــهُ فى خُراسانَ طَاهِرُه (٤)

ولَو عَاشَ مَيْتٌ أو تَقَــرّبَ نَازِحٌ ... لَدارتْ مِنَ المكْروهِ ثَمَّ دوائِرُه (٥)

وَلَوْ لِعُبيدِ اللهِ عَونٌ عَلَيهِــمُ ... لَضَاقَتْ عَلَى وُرّادِ أمْرٍ مَصَـادِرُه (٦)

حُلومٌ أَضَلّتهـا الأَمانِى ، ومُــدّةٌ ... تَنَاهَتْ ، وحَتْفٌ أوشَكَتْهُ مقَادِرُه (٧)

ومُغتَصَبٍ للقَتْــلِ لم يُخْشَ رَهطُهُ ... ولم تُحتَشَــمْ أسْــبابُهُ وأَوَاصِرُه (٨)

---

(١) عميد الناس : سيدهم ، أى الخليفة . والنوبة : النازلة . وناهي الدهر الخ أى المتصرف النافذ الحكم كأنه يملي على الدهر إرادته .

(٢) مغتاله : قاتله غيلة ، وكان من الأتراك الذين جلبهم المعتصم والد المتوكل ، والغرة : الغفلة .

(٣) المعتز : العزيز أو من يعدّ نفسه عزيزا بسواه فيكون معتزا به ، ومعنى عز ناصره : قوى معينه .

(٤) فتحه : الفتح بن خاقان نديم المتوكل الذى قتل معه أيضا . وطاهره : عبيد الله بن طاهر والى خراسان ذلك الحين .

(٥) أى لو عاش هذا النديم أو كان ذلك الغريب حاضرا لحدثت أمور عظيمة وانتقم للمقتول .

(٦) أى لو يعان على قتلته لأخذهم فلا يفلتون من عقابه . والوراد : الذين يردون الماء أو الأمر . وضاقت مصادره : عز الخلاص منه .

(٧) حلوم : عقول ، يشير الى المنتصر بن المتوكل وشيعته من الأتراك الذين تآمروا على قتل الخليفة رغبة من المنتصر فى الخلافة . والحتف : الموت . وأوشكته : قربته .

(٨) الرهط : القبيل والجماعة . وتحتشم : يستحى منها (الأسباب والأواصر) التى هى الصلات بينه وبين قاتله .

صَريعٌ تَقاضَاهُ السيوفُ حُشَاشَةً — يَجودُ بِها ، والموتُ حُمْرٌ أظَافِرُه (١)

أُدافِعُ عنهُ باليَدَيْنِ ، ولَم يَكُنْ — لِيَثْنِي الأعادِي أعْزَلُ اللّيلِ حَاسِرُه (٢)

ولَو كانَ سَيفِي ساعةَ الفتكِ في يَدِي — دَرَى الفَاتِكُ العَجْلانُ كيفَ أُساوِرُه (٣)

حَرَامٌ عَلَيَّ الراحُ بَعدَكَ أوْ أَرَى — دَمًا بِدَمٍ يَجرِي عَلى الارضِ مَائِرُه (٤)

وهَلْ أرتَجِي أن يَطلبَ الدمَ واتِرٌ — يَدَ الدهرِ ، والموتُورُ بالدّمِ واتِرُه (٥)

أَكَانَ وَلِيُّ العَهدِ أَضْمَرَ غَدْرَةً — فَمِنْ عَجَبٍ أن وُلِّيَ العهدَ غادِرُه (٦)

فَلا مُلِّيَ البَاقِي تُراثَ الذي مَضَى — ولَا حَمَلَتْ ذَاكَ الدُّعاءَ مَنَابِرُه (٧)

ولَا وأَلَ المشكوكُ فِيهِ ولا نَجا — مِنَ السيفِ ناضِي السَّيفِ غَدرًا وشاهِرُه (٨)

لَنِعمَ الدمُ المسفوحُ ليلةَ جعفرٍ — هَرَقْتُم وجُنحُ الليلِ سُودٌ دَيَاجِرُه (٩)

---

(١) تقاضاه السيوف : تأخذ منه ، يقال : تقاضاه الدين اذا طلبه وقبضه منه . والحشاشة : البقية من الروح .

(٢) أعزل الليل : أعزل في الليل . والأعزل : من لاسلاح معه ، يعني نفسه . وحاسره : لادرع معه في هذه الليلة .

(٣) العجلان : المسرع ، وأساوره : أواثبه وأدافعه .

(٤) أو أرى : الى أن أرى ، ومائره : جاريه ومار الدم على الأرض جرى فتردد عرضا واضطرب في جريانه .

(٥) الواتر : الظالم . والموتور : من قتل له قتيل فلم يأخذ بدمه أحد . يقول : كيف أرتجي الثأر للخليفة مع أن صاحب الثأر هو ابنه المنتصر الذي قتله فهو واتر وموتور معا؟ استفهام للنفي .

(٦) ولي العهد : المنتصر الذي خاف أن يفوز أخوه المعتز بالخلافة دونه .

(٧) ملي التراث : تمتع به طويلا ، يدعو على المنتصر ألا ينعم بميراث أبيه ، ثم دعا عليه ألا يخلفه ويدعى له على المنابر .

(٨) وأل : نجا . ناضي السيف : استله من غمده .

(٩) الدياجر : جمع ديجور وهو الظلام.

كأنكم لم تعلموا من وليه ... وباغيه تحت المرهفات وثائره (١)
وإنى لأرجو أن ترد أموركم ... إلى خلف من شخصه لا يغادره (٢)
مقلب آراء تخاف أناته ... إذا الأخرق العجلان خيفت بوادره (٣)

وقال يصف إيوان كسرى بالمدائن ويرثى دولة الفرس :

صنت نفسى عما يدنس نفسى ... وترفعت عن جدا كل جبس (٤)
وتماسكت حين زعزعنى الدهـ ... ـر التماسا منه لتعسى ونكسى (٥)
بلغ من صبابة العيش عندى ... طففتها الأيام تطفيف بخس (٦)
وبعيد ما بين وارد رفه ... علل شربه، ووارد خمس (٧)
وكأن الزمان أصبح محمو ... لا هواه مع الأخس الأخس (٨)

(١) وليه : صاحبه المطالب به . وباغيه : سافكه . والمرهفات : السيوف المرققة . وثائره : باعثه .

(٢) أى أرجو : أن يبقى الحكم فى خلفه لا يخرج منه .

(٣) مقلب آراء : ينظر فى وجوه المسائل ويتخير أحكمها . والأناة : التأنى . وتخاف أناته : يرهب تدبيره فى أناة . والأخرق : ضعيف الرأى ، خيفت بوادره : يخشى من عجلته التى تكون خطرا على الأمور .

(٤) الجدا : العطاء . والجبس : الجبان اللئيم .

(٥) تماسكت : ثبت واعتصمت . زعزعنى : حركنى بعنف أى حين نالنى خطوبه . التماسا منه : طلبا منه ومحاولة . التعس : الهلاك أو الشر . والنكس : أن ينقلب الرجل على رأسه ، أى الهزيمة والسقوط .

(٦) بلغ : جمع بلغة وهى ما يكفى من العيش ولا يفضل . والصبابة : البقية . طففتها : نقصتها . والبخس : الغبن والظلم .

(٧) الرفه من العيش : الطيب اللين . والعلل : الشرب تباعا . والخمس بالكسر من أظماء الإبل وهى أن ترعى ثلاثة أيام وترد الماء فى اليوم الرابع ، يمثل بها الشاعر حال عيشه البئيس القانع .

(٨) يقول : كأن الزمان ينصف الأنذال ، ويجور على الأخيار .

واشْـتِرائى العِراقَ خُطَّةُ غَبْنٍ بَعدَ بَيعِى الشآمَ بَيعَـةَ وَكْسِ (١)
لَا تَرُزْنِى مُزاوِلًا لِاختبارِى عندَ هَـذِى البَلْوَى فتُنكِرَ مَسِّى (٢)
وَقَديمًا عَهِـدتَنِى ذَا هَنَـاتٍ آبِيَـاتٍ عَلَى الدَّنِيَّـاتِ شُمْسِ (٣)
وَلَقَـدْ رَابَنِى نُبُـوُّ ابنِ عَمِّى بَعدَ لِينٍ مِنْ جانبَيهِ وَأُنْسِ (٤)
وَإِذَا مَا جُفِيتُ كُنتُ حَرِيًّا أَنْ أُرَى غيرَ مُصبِحٍ حيثُ أُمْسِى (٥)
حَضَرَتْ رَحْلِيَ الهُمُومُ فوجَّهْـ ـتُ إلى أبيَضِ المدائنِ عَنْسِى (٦)
أَتَسَـلَّى عَنِ الحظُوظِ وآسَى لِمَحَـلٍّ مِنْ آلِ سَاسَانَ دَرْسِ (٧)
ذَكَّرَتْنِيهِـمُ الخُطوبُ التَّوالِى ولقد تُذكِرُ الخُطُوبُ وتُنْسِى (٨)

---

(١) اشترائى العراق : إقامتى بها . و بيعى الشآم : رحلتى عنها مع أنها موطنى الأصلى .

(٢) رازه : جرّبه وقدّره . فتنكر مسى : تجدنى أبيا عنيفا منكر الجانب .

(٣) الهنات : خصـال (شر) . شمس : عنيـدة لا تذل ، وآبيـات على الدنيـات : لا ترضى بالخسيس الدون فتأنف منه .

(٤) رابنى : أرقعنى فى الريب (الشك) أو أرانى ما أكره . والنبو : النفور والجفوة . وابن عمه : هو الخليفة المنتصر ، فالبحترى قحطانى والخليفـة عدنانى . وقحطان وعدنان كأنهما أخوان لأنهما أبوا شعبى العرب ، وهذا يدل على أن البحترى قال هذه القصيدة بعد مقتل المتوكل واعراض المنتصر عنه لهجائه إياه فى رثاء أبيه كما مضى .

(٥) حريا : خليقا . يقول إذا جفيت تنقلت فلا أصبح فى مكان حتى أمسى فى سواه ، وهذا تمهيد لذكر رحلته الى المدائن حيث القصر الأبيض (قصر الأكاسرة) .

(٦) حضرت رحلى الهموم : طرأت على الأحزان من هذه الحال السيئة . والعنس : الناقة القوية .

(٧) آسى : أحزن . وآل ساسان : أكاسرة الفرس الذين أزال الفتح الاسلامى دولتهم زمن عمر ابن الخطاب . درس : دارس .

(٨) التوالى : المتتالية . ولعله يريد الخطوب التى ألمت بالدولة العباسية فى خلفائها من تحكم العناصر الأجنبية والسيطرة على الخلفاء والتنكيل بهم .

وَهُمُ خَافِضُونَ فى ظِـلّ عَالٍ مُشْرِفٍ يُحسِرُ العيونَ وَيُخْسِى (١)
مُغـلَقٍ بَابُهُ على جَبَـــلِ القَبْـ ـقِ إلى دَارَتَىْ خِلَاطٍ ومُكْسِ (٢)
حِلَلٌ لم تَكُنْ كأطلالِ سُعدَى فى قِفَارٍ من البَسَابِسِ مُلْسِ (٣)
ومَسَاعٍ لولا المُحـابَاةُ مِنِّى لم تُطِقْهَا مَسْعَاةُ عَنْسٍ وعَبْسِ (٤)
نَقَلَ الدهرُ عَهْدَهُنَّ عن الجِدَّ ةِ حَتَّى غَدَوْنَ أَنْضَاءَ لُبْسِ (٥)
فَكَأَنَّ الجِرْمازَ مِنْ عَدَمِ الأُنْـ ـسِ وإِخْلَالِهِ بَنِيَّـــةُ رَمْسِ (٦)
لَوْ تَرَاهُ علِمتَ أنَّ اللَّيالِى جَعَلَتْ فِيهِ مَأْتَمًا بعدَ عُرْسِ
وهو يُنْبِيكَ عَنْ عَجائِبِ قَوْمٍ لَا يُشَابُ البيَـانُ فِيهِم بِلَبْسِ (٧)
فإذا مَا رأيتَ صُـورةَ أنطَـا كِيَّةَ ارتَعْتَ بَيْنَ رُومٍ وفُرْسِ (٨)

(١) هم : آل ساسان، خافضون : رغيدو العيش. فى ظل عال : فى قصر مرتفع (القصر الأبيض) يحسر العيون : يضعفها اذا نظرت تتبين ارتفاعه . يخسى : يؤلم .

(٢) القبق : جبل هو المسمى الآن (جبال القوقاز) فيه أمم مختلفة ولغات متعددة . ويسمى أيضا جبل القبج والقبجاق . وخلاط ومكس من مدن أرمينية الوسطى . يريد أن هذا القصر لاتساعه وكثرة ما فيه من الجوارى والخدام والأتباع المختلفى اللغات كأنه مغلق على جبال وبلاد اشتهرت بتعدد أممها .

(٣) هنا يذكر فضل الفرس على العرب . الحلل : جمع حلة طائفة من البيوت . والبسابس : القفار . ملس : خالية . يقول : آثارهى خير مما فى جزيرة العرب من الأطلال والقفار .

(٤) مساع : مكارم جمع مسعاة، لم تطقها : لاتقدر عليها وتساميها . وعنس : قبيلة يمنية . وعبس : قبيلة عنترة العبسى من مضر .

(٥) انضاء جمع نضو : المهزول من الحيوان أو الثوب البالى، ولبس : استعمال، أى أبلاها الدهر بعد الجدة .

(٦) الجرماز : بناء كان عند أبيض المدائن ثم عفا أثره . وكان عظيما بجوار القصر . والرمس : القبر .

(٧) البيان : المنطق الفصيح . واللبس : عدم الوضوح .

(٨) أنطاكية : بلد بالشام حيث وقعت معركة بين الفرس والروم وقد صورت فى الايوان، وارتعت : فزعت .

والمنايا مَوَاثِلٌ وأنو شر ... وانَ يُزجى الصفوفَ تحت الدِّرَفْسِ (١)
فى اخضرارٍ من اللِّباس على أصـ ... ـفر يختال فى صَبِيغة وَرْسِ (٢)
وَعِراكُ الرِّجالِ بين يديه ... فى خُفُوتٍ منهم و إغماض جَرْسِ (٣)
مِنْ مُشِيحٍ يَهوِى بِعَامِلِ رُمْحٍ ... ومُلِيحٍ من السنانِ بِتُرْسِ (٤)
تَصِفُ العينُ أنَّهم جِدُّ أحيا ... ءٍ لهم بينهم إشارةُ خُرْسِ (٥)
يَغتَلى فيهم ارتيابى حتَّى ... تَتَقرَّاهمُ يَدَاىَ بِلَمْسِ (٦)

* * *

وكأنَّ الإيوانَ من عَجَبِ الصَّنْـ ... ـعَةِ جَوْبٌ فى جَنْبِ أرعنَ جَلْسِ (٧)
يُتَظَنَّى مِنَ الكآبةِ أنْ يَبْـ ... ـدُو لِعَيْنَىْ مُصَبِّحٍ أو مُمَسِّى (٨)
مُزْعَجًا بالفِراقِ عن أُنسِ إلْفٍ ... عَزَّ، أو مُرْهَقًا بتطليق عِرْسِ

(١) مواثل : قائمات تنتظر العمل وقت الحرب. وأنو شروان : أحد الأكاسرة. يزجى : يسوق. والدرفس : العلم الكبير.

(٢) الورس : نبات ذو صبغة حمراء.

(٣) خفوت : سكون صوت. والجرس : الصوت.

(٤) المشيح : الحذر. والمليح : الذى يخاف ويحذر أيضا. والترس : المجن.

(٥) تصف العين : يخيل اليها.

(٦) يغتلى الخ : يزيد ارتيابى : شكى فى حياتهم، تتقراهم : تتبعهم، أى حتى ألمسهم فى الصورة بيدى لأتبين : أهم أحياء حقا كما يخيل الى.

(٧) الجوب : الخرق. والأرعن : الجبل ذو الرعن وهو أنف يتقدم الجبل. الجلس : الجبل العالى، فكأن الإيوان بالنسبة الى القصر الأبيض العظيم الذى يشمل الإيوان وغيره من الغرف والمقاصير خرق فى جانب جبل أرعن، وجعل الجبل أرعن لما فيه من الأجنحة والطنف والأبيات الآتية توضح هذا التشبيه.

(٨) ويتظنى : يظن. أن يبدو : وقت أن يبدو ومزعجا مفعول ثان ليتظنى، أى إنه يظن وقت ظهوره للعين مزعجا بفراقه أليفا أو عروسا.

عَكَستْ حظَّهُ الليالِي وبَاتَ المُشْـ ... ـتَرِي فِيهِ وهو كوكَبُ نَحسِ (١)

فَهو يُبدِي تَجَلُّدًا وعليه ... كَلكَلٌ مِنْ كَلاكِلِ الدَّهرِ مُرْسِي (٢)

لَم يَعِبْهُ أَنْ بُزَّ مِنْ بُسُطِ الدِّيـ ... ـبَاجِ واسْتُلَّ مِنْ سُتُورِ الدِّمَقْسِ (٣)

مُشْمَخِرٌّ تعلُو لَهُ شُرُفَاتٌ ... رُفِعَتْ فِي رُءوسِ رَضْوَى وَقُدْسِ (٤)

لابِسَاتٌ من البَيَاضِ فَما تُبْـ ... ـصِرُ مِنْهَا إِلَّا غَلَائِلَ بِرْسِ (٥)

لَيسَ يُدرَى أَصُنْعُ إِنْسٍ لِجِنٍّ ... سَكَنُوهُ أَمْ صُنْعُ جِنٍّ لإِنْسِ .

غَيرَ أَنِّي أَرَاهُ يَشْهَدُ أَنْ لَمْ ... يَكُ بَانِيهِ فِي المُلُوكِ بِنِكْسِ (٦)

* * *

عُمِرَتْ للسُّرورِ دَهرًا فصارت ... لِلتَّعَزِّي رِبَاعُهُمْ والتَّأَسِّي

فلها أَنْ أُعِينَهَا بِدُمُوعٍ ... مُوقَفَاتٍ عَلَى الصَّبابَةِ حُبْسِ

ذَاكَ عِندِي ولَيستِ الدَّارُ دارِي ... باقتِرابٍ منها، ولا الجنسُ جِنسِي

غيرَ نُعمَى لأَهلِهَا عِندَ أَهلِي ... غرسوا مِن زَكائِها خيرَ غَرسِ (٧)

أَيَّدُوا مُلكَنَا، وشَدُّوا قُوَاهُ ... بِحُمَاةٍ تحتَ السَّنَوَّرِ حُمسِ (٨)

---

(١) المشترى : كوكب سعد، ولكنه تحوّل نحسا فى هذا القصر بتأثير القصر فيه .

(٢) التجلد : تكلف الجلد والصبر . والكلكل : الصدر . أى نازلة .

(٣) بز : سلب . واستل : أخرج وانتزع . والديباج : الثوب سداه ولحمته حرير . والدمقس : الحرير الأبيض .

(٤) مشمخر : عال . شرفات القصر: ما أشرف من بنائه . ورضوى : جبل . وقدس : جبل عظيم بنجد، يشبه القصر فى ضخامته وارتفاعه بهذين الجبلين .

(٥) الغلائل جمع غلالة : وهى شعار يلبس تحت الثوب . والبرس : بكسر الباء وضمها : القطن أو ما يشبهه .

(٦) النكس : الضعيف الدنىء . (٧) زكائها : نمائها .

(٨) السنور : كل سلاح من حديد . وحمس : شجعان . يشير الى بلاء الفرس فى إقامة الدولة العباسية .

وأعانُوا عـلى كتائبِ أرْيا طَ بطعْنٍ على النُّحور ودَعْسِ (١)
وأرانِي مِنْ بَعدُ أكلَفُ بالأشـ ـرافِ طُرًّا من كُلِّ سِنْخ وجِنْسِ (٢)

(١٦) ابنُ المعتزّ (٣)

قال يصفُ الروض :

وعلَى الأرضِ اصفِرارٌ واخْضِرارٌ واحْمِرارُ
فكأن الرَّوضَ وشْيٌ بالغَتْ فيـه التِّجار (٤)
نَقْشُـهُ آسٌ ونسْرِيـ ـنٌ ووَردٌ وبَهارُ (٥)

وقال فى سُرَّمَن رأى بَعْدَ تَهدُّمِها :

قَدْ أقفرتْ سُرَّمن رَا فَمَا لشيء دَوَامُ (٦)
فالنِّقضُ يُحمَـلُ مِنها كأنها الآجَامُ (٧)

(١) أرياط : قائد حبشى فتح اليمن قديما ، ثم أخرج الأحباش بمعونة الفرس . والدعس : الدوس والطعن . (٢) أكلف بالأشراف : أولع بهم . والسنخ : الأصل والمنبت .

(٣) هو أبو العباس عبد الله بن المعتز بالله الخليفة العباسى ولد سنة ٢٤٩ هـ . وقد نشأ وتربى تربية الخلفاء وأخذ العلم والأدب عن علماء عصره وأولع بالشعر ونبغ فيه ، ولما خلع المقتدر لعسف الأتراك من شيعته بويع عبد الله هذا بالخلافة . ولكن جند المقتدر الأتراك حملوا على دار ابن المعتز وقاتلوا أصحابه حتى هزموهم وقبضوا على هذا الخليفة الجديد وقتلوه أول ليلة من حكمه سنة ٢٩٦ هـ . وقد برع فى الشعر ولا سيما الأوصاف . ويمتاز شعره بطابع الترف ورقة الأسلوب مع تكلف للبديع فهو ثالث أبى تمام ومسلم بن الوليد فى ذلك .

(٤) الوشى : الثوب المحسن بالألوان . التجار : جمع تاجر ومعناه هنا الحاذق .

(٥) أسماء أزهار مختلفة الألوان . (٦) سر من رأى : مدينة قديمة كانت تسمى سامرا جددها المعتصم وأقام بها . أقفرت : تخربت وخلت من مظاهر الحياة .

(٧) النقض : البناء المهدم . الآجام جمع أجمة : الشجر الكثير الملتف . يريد أن الناس يحملون أنقاضها كما يحتطبون فروع الشجر من الغابات .

ماتَتْ كما مَاتَ فِيــلٌ ... تُســـلُّ منــه العِظَامُ (١)

وقال يصف هلال شوّال :

أهلًا بفطْرٍ قد أناف هِــلَالُهُ ... فالآنَ فاغْدُ على المُدَام وبكِّرِ (٢)

وانظُرْ اليهِ كزَورَقٍ مِن فِضَّةٍ ... قد أثقلتْهُ حُمولَةٌ من عَنْبَرِ (٣)

وقال يصف سحابة :

وَسَارِيَةٍ لا تَمَــلُّ البُكَا ... جَرَى دَمعُها فى خُدودِ الثَّرى (٤)

سرت تقدَحُ الصُّبحَ فى ليلِها ... بِــبَرقٍ كهِنـــدِيَّةٍ تُنْتَضَى (٥)

فلمَّــا دنَت جلْجَلتْ فى السما ... ءِ رعدًا أجَشَّ بجَرْسِ الرَّحا (٦)

ضَمانٌ عليهَا ارْتِدَاعُ اليَفَاعِ ... بأنـــوارِهَا واعتِجَارُ الرُّبَا (٧)

فَمَــا زالَ مَدمَعُها باكِيًا ... عَلَى التُّربِ حَتَّى اكتسَى مَا اكتسَى (٨)

فأضحتْ سَــواءً وجوهُ البِلادِ ... وَجُــنَّ النَّبَاتُ بِهــا والتقى (٩)

(١) أى أن أنقاض المدينة تستخرج كما تستخرج عظام الفيل للانتفاع بها . (٢) أناف : أطل وأشرف . غدا : بكر . المدام : الخمر . يدعو الى الشراب بعد الحرمان منه طول رمضان .

(٣) الزورق : السفينة الصغيرة . يشبه الهلال وسط الظلمة بزورق فضى حمولته العنبر تشبيه تمثيل .

(٤) السارية : السحابة تسرى ليلا . ويريد بالبكاء الأمطار . الثرى : الأرض .

(٥) تقدح : تبرق . والأصل قدح بالزند : حاول إخراج النار منه . هندية : سيوف منسوبة الى الهند ، لأنها كانت تجيد طبعها . تنتضى : تستل . يقول إن برقها يلمع فى الليل كأنه صباح ، والبرق يشبه السيوف المصلتة شكلا وبريقا .

(٦) جلجلت : رعدت . أجش : غليظا . الجرس : الصوت .

(٧) الارتداع : الصبغ . اليفاع : ما ارتفع من الأرض . الاعتجار : لف العمامة . الربا جمع ربوة : الأرض المرتفعة . الأنوار جمع نور بفتح النون : الزهر . كأن السحابة تكفلت باكتساء الأرض وصبغها بالأزهار .

(٨) اكتسى ما اكتسى : أى اكتسى رداء جميلا .

(٩) وجوه البلاد : جوانبها ونواحيها . جن النبات : زكا وطال .

وقال يصف سيفه :

وَلِي صَارِمٌ فِيهِ المنَايَا كَوامِنٌ ... فَمَا يُنْتَضَى إلا لِسفكِ دِماءِ (١)

تَرى فوقَ مَتنَيهِ الفِرِنْدَ كأنَّهُ ... بقِيَّةُ غيمٍ رَقَّ دُونَ سَمَاءِ (٢)

وقال يصف غديرا :

غَدِيرٌ تُرَجْرِجُ أمواجَه ... هُبُوبُ الرياحِ ومَرُّ الصَّبَا (٣)

اذا الشمسُ من فوقِه أشرقَتْ ... تَوَهَّمتَهُ جَوْشَنًا مُذْهَبَا (٤)

وقال يحذّر الطالبيين من طَلَب الخلافة ويتوعدهم :

أَبَى اللهُ إلَّا مَاتَرَوْنَ فَمَا لَكُمْ ... عِتابٌ على الأقْدارِ يا آلَ طَالِبِ (٥)

تركْنَاكُمُ حِينًا فَهَلَّا أَخَذْتُمُ ... تُرَاثَ النبيِّ بالقَنَا والقَواضِبِ (٦)

زمانَ بنو حَربٍ ومروانَ مُمسِكو ... أَعِنَّةِ مُلْكٍ جائرِ الحُكْمِ غَاصِبِ (٧)

ألا رُبَّ يومٍ قد كسوكُمْ عَمَائمًا ... من الضَّرْبِ في الْهَامَاتِ حُمْرَ الذَّوَائِبِ (٨)

فلمَّا أراقُوا بالسُّيوفِ دِماءَكُمْ ... أَبَيْنَا ولم نَمْلِكْ حَنِينَ الأقَارِبِ

فَحِينَ أَخَذْنَا ثَأْرَكُمْ من عَدُوِّكُمْ ... قَعَدْتُمْ لَنَا تُورُونَ نَارَ الحُبَاحِبِ (٩)

---

(١) الصارم : السيف القاطع . المنايا جمع منية : الموت . كوامن : ساكنة . (٢) فرند السيف : وشيه وجوهره . دون : أسفل . فالفرند للسيف : كالغيم للسماء . (٣) الصبا : ريح شرقية .

(٤) الجوشن : الدرع . مذهب : مموه بالذهب . فأشعة الشمس فوق صفحة الماء كماء الذهب فوق الدرع .

(٥) يريد أن الله أبى عليكم أن يوليكم أمر المسلمين ويجعل الخلافة فيكم .

(٦) التراث : الميراث . والقنا : الرماح . والقواضب : السيوف .

(٧) زمان : مضاف الى الجملة الاسمية بعده . ويريد ببنى حرب ومروان دولة بنى أمية .

(٨) الهامات : الرءوس . والذوائب : جمع ذؤابة وهى هنا طرف العمامة . يقول : إن بني أمية كانوا يضربون رءوسكم بالسيوف فتحمر من دمائكم .

(٩) الحباحب : ذباب يطير بالليل له شعاع فى ذنبه وما اقتدح من شرر النار فى الهواء من تصادم الحجارة ونحوها وأورى نار الحباحب كناية عن الفتن التى لا تفيد شيئا .

وحُزْنَا الّتِي أَعيتكُمُ قَـدْ علِمْـتمُ ... فما ذَنْبنَا ؟ هَلْ قاتِلٌ مثلُ سَالِب ؟
عَطِيَّةُ مُلْكٍ قَـدْ حَبانَا بِفضْـلِهِ ... وَقَـدَّرَهُ رَبٌّ جَزيلُ المَـواهِبِ
وَلَيْسَ يُرِيدُ النـاسُ أن تَمْلِكُوهمُ ... فلا تَثبُوا فِيهِـمْ وُثُوبَ الجَنَادِبِ (١)
وإياكُمُ إياكُمُ وحَـذَارِ من ... ضَرَاغِمَةٍ فِي الْغَابِ حُمْرِ الْمَخَالِبِ (٢)
أَلا إنهـا الحَـرْبُ الّتِي قَدْ عَلِمْتمُ ... وجَرَّبتمُ والْعِـلْمُ عِنْدَ التَّجَارِبِ

وقال فى الطَّرَد : (٣)

لمـا تَفَـرَّى الأُفُقُ بالضِّـيَاءِ ... مثْلَ ابتسام الشَّـفَةِ اللَّمْيَاءِ (٤)
وشَمِطَتْ ذَوائِبُ الظَّلْمَـاءِ ... وهَمَّ نَجْمُ الليـل بالإغْفَـاءِ (٥)
قُدْنا لِعِيـنِ الوحش والظِّبَاء ... دَاهِيَـةً مَحْـذُورَةَ اللِّقَـاءِ (٦)
شَائِلَةً كالعَقْـرَبِ السـمْرَاءِ ... مُرْهَفَـةً مُطْلَقَـةَ الأَحْشَاءِ (٧)
كَمَـدَّةٍ من قَلَـمٍ سَـوْدَاءِ ... أو هُدْبَةٍ مِنْ طَـرَفِ الرِّدَاءِ (٨)
تَحْمِلُهَـا أَجْنِـحَةُ الهَـوَاءِ ... تَسْـتَلِبُ الخَطْـوَ بلا إِبْطَاءِ

---

(١) الجنادب : جمع جندب : حيوان كالجراد كثير القفز .

(٢) الضراغمة : الأسود . والغاب : مأوى الأسد . والمخالب : الأظفار . ويريد بالضراغمة العباسيين وجنودهم . (٣) الطرد بفتحتين : مزاولة الصيد وهو باب من أبواب الأدب أكثر القول فيه كثير من الشعراء كأبى نواس وابن الرومى وابن المعتز .

(٤) تفرى : لبس الفرو . يريد لما استهل الصباح ، والشفة اللمياء المشربة سمرة فى حسن .

(٥) شمطت : اختلط سوادها ببياضها .

(٦) العيـن : جمع أعين وهو ثور بقر الوحش ، ويريد بالداهية كلبة الصيد يقول لما أصبح الصباح خرجنا للصيد ومعنا كلبة تخشى الحيوانات لقاءها . (٧) شائلة : مرتفعة الذنب . ومرهفة : مدببة .

(٨) المدة : الواحدة من المداد . والهدبة : الطرف .

وَمُخْطَفًا مُوَثَّقَ الْأَعْضَاءِ خَالَفَهَا بِجِلْدَةٍ بَيْضَاءِ (١)
كَأَثَرِ الشِّهَابِ فِي السَّمَاءِ وَيَعْرِفُ الزَّجْرَ مِنَ الدُّعَاءِ
بِأُذُنٍ سَاقِطَةِ الْأَرْجَاءِ كَوَرْدَةِ السَّوْسَنَةِ الشَّهْلَاءِ (٢)
ذَا بُرْثُنٍ كَمِثْقَبِ الْحَذَّاءِ وَمُقْلَةٍ قَلِيلَةِ الْأَقْذَاءِ (٣)
صَافِيَةٍ كَقَطْرَةٍ مِنْ مَاءِ يَنْسَابُ بَيْنَ أُكَمِ الصَّحْرَاءِ
مِثْلَ انْسِيَابِ حَيَّةٍ رَقْطَاءِ آنَسَ بَيْنَ السَّفْحِ وَالْفَضَاءِ (٤)
سِرْبَ ظِبَاءٍ رُتَّعٍ الْأَطْلَاءِ فِي عَازِبٍ مُنَوِّرٍ خَلَاءِ (٥)
أَحْوَى كَبَطْنِ الْحَيَّةِ الْخَضْرَاءِ فِيهِ كَنَقْشِ الْحَيَّةِ الرَّقْشَاءِ (٦)
كَأَنَّهَا ضَفَائِرُ الشَّمْطَاءِ يَصْطَادُ قَبْلَ الْأَيْنِ وَالْعَنَاءِ (٧)

* خَمْسِينَ لَا تَنْقُصُ فِي الْإِحْصَاءِ *

---

(١) المخطف : الضامر، وهو عطف على داهية السابقة : يريد أنه خرج الى الصيد بكلبة وصفها وكلب شرع يصفه فقال : إنه موثق الأعضاء أى شديدها محكمها ، وأنه يخالف الكلبة بما فيه من بقعة بيضاء كأثر الشهاب فى السماء .

(٢) الأرجاء : الأنحاء . والسوسن : الزنبق .

(٣) البرثن : المخلب . والحذاء : الاسكاف .

(٤ و ٥) السفح : عرض الجبل . وآنس : أبصر . والفاعل : ضمير يعود على المخطف . وسرب ظباء فى البيت بعده مفعوله : أى أن هذا الكلب أبصر سرب غزلان . ترتع أطلاؤها : أى أولادها فى عازب : أى مرعى خصيب مزهر .

(٦) الأحوى : شديد الخضرة فى سواد وهو وصف للعازب قبله .

(٧) الأين: التعب . يقول : إن هذا الكلب يصيد ما لا يقل عن خمسين قبل أن يدركه التعب .

(ب) النـــــثر

أولا ــ النـــثر الفـــنى

(١) تَعْزِيَةٌ لابنِ المُقَفَّع[(١)]:

أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ أَمْرَ الآخِرَةِ وَالدُّنْيَا بِيَدِ اللهِ، هو يُدَبِّرُهُمَا وَيَقْضِي مِنهما ما يَشَاءُ، لَا رَادَّ لِقَضَائِهِ وَلَا مُعَقِّبَ[(٢)] لِحُكْمِهِ؛ فإنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ بقدرته، ثُمَّ كَتَبَ عَلَيْهِم المَوْتَ بَعْدَ الحياةِ لِئَلَّا يَطْمَعَ أَحَدٌ من خَلْقِهِ فِي خُلْدِ الدُّنْيَا، وَوَقَّتَ لكل شَيْءٍ مِيقَاتَ أَجَلٍ، لَا يستأخرون عَنْهُ سَاعَةً ولا يَسْتَقْدِمُونَ؛ فَلَيْسَ أَحَدٌ من خَلْقِهِ إِلَّا وَهُوَ مُسْتَيْقِنٌ بالمَوْتِ، لا يَرْجُو أَنْ يُخَلِّصَهُ من ذلك أَحَدٌ، نَسأل اللهَ خَيْرَ المُنْقَلَبِ[(٣)].

وَبَلَغَنِي وَفَاةُ فُلَانٍ فكانت وَفَاتُهُ من المصائِبِ العِظَامِ التي يُحْتَسَبُ[(٤)] ثوابُها من رَبِّنَا الذى إليه مُنْقَلَبُنَا ومَعادُنَا، وعليه ثوابُنَا. فعليك بتقوى اللهِ والصَّبْرِ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِاللهِ؛ فَإِنَّهُ جَعَلَ لِأَهْلِ الصَّبرِ صَلَوَاتٍ[(٥)] مِنْهُ وَرَحْمَةً وجعلهم من المُهْتَدِينَ.

---

(١) كان عبد الله بن المقفع من أبناء الفرس الذين نشئوا بين العرب ولد سنة ١٠٦ هـ، ونشأ بالبصرة. وكان أبوه مجوسيا يجمع خراج بلاد فارس للحجاج بن يوسف الثقفى. وبقى ابن المقفع أكثر أيامه على دين المجوسية ثم أسلم فى آخر عمره وتعلم صناعة الكتابة وبرع فى ذلك وكتب لكثير من الأمراء. وكان غاية فى الذكاء واشتهر ابن المقفع ببلاغته ورشاقة عبارته وأسلوبه السهل الممتنع وكان فوق ذلك من كبار المترجمين والمؤلفين وقد اشتهر بكتابه (كليلة ودمنة) ومات مقتولا سنة ١٤٢ هـ.

(٢) عقب الحاكم على حكم سلفه حكم بعده بغير حكمه. يريد هنا أن حكم الله لا ينقض.

(٣) المنقلب: المرجع، يقال: كل امرئ يصير الى منقلبه.

(٤) احتسب المرء عند الله خيرا: قدمه.

(٥) المراد بالصلاة هنا الرحمة. يشير الى قوله تعالى: «وبشر الصابرين» الآية.

وَلَهُ مِن الأدب الصَّغير :

مِن أشَدِّ عُيُوب الإنسان خَفَاءُ عيوبِهِ عَلَيْه . فإن من خَفِيَ عَلَيْه عَيْبُهُ خَفِيَت عليه مَحَاسِنُ غَيْرِه ، فَلَنْ يُقْلِعَ (١) عَنْ عَيْبِه الذى لا يَعْرِفُه ولَنْ يَنَالَ مَحَاسِنَ غَيْرِه ... ...

لا يُؤمننَّكَ شَرَّ الجاهِلِ قَرابَةٌ ولا جِوارٌ ولا إلْفٌ (٢) ؛ فإن أخْوَفَ ما يَكُونُ الإنسان لِحَرِيق النَّارِ أقربُ ما يَكُونُ مِنْها (٣) . وكذلك الجَاهِلُ إن جَاوَرَكَ أَنْصَبَكَ (٤) ، وإن نَاسَبكَ جَنَى عَلَيْكَ ، وإن أَلِفَكَ حَمَلَ عَلَيْكَ مالا تُطِيقُ ، وإن عَاشَرَكَ آذَاكَ وأخَافَكَ . مع أنَّهُ عِنْدَ الجُوعِ سَبُعٌ ضارٍ (٥) ، وعِنْدَ الشِّبَعِ مَلِكٌ فَظٌّ ، وعنـد المُوَافَقَةِ فى الدِّينِ قَائِدٌ إلى جَهَنَّمَ ؛ فأنت بالهَرَب منـه أحَقُّ منك بالهَرَب من سُمِّ الأَسَاوِدِ (٦) والحَرِيقِ المَخُوفِ والدَّيْنِ الفَادِحِ (٧) والدَّاءِ العَيَاءِ (٨) ...

---

(١) أقلع عن عيبه : كف عنه وتركه .

(٢) الإلف بكسر الهمزة وسكون اللام . والألفة : بضم الهمزة وسكون اللام وفتح الفاء الصداقة .

(٣) أى يشـتد خوف الإنسان من النار حين يشتد قربه منها فكذلك الجاهل تخافه اذا كان ذا صلة قوية بك . وهذا تمثيل .

(٤) أنصبه : أتعبه وأعياه .

(٥) الضارى من الحيوانات كالأسد والنمر : ما تعود أكل الصيد وأولع به .

(٦) الأساود : مفرده أسود ، وهو الحية العظيمة السوداء .

(٧) فدحه الحمل أو الدين : أثقله وبهظه . والفادح : الصعب المثقل . يقال نزل به أمر فادح ، وركبه دين فادح .

(٨) داء عياء بفتح العين : لا يبرأ منه المريض .

(٢) أحمـــد بن يوسف (١)

كتب يهنئ بمـــولود :

أمّا بعدُ، فليسَ من أمرٍ يجعلُ اللهُ لك فيهِ سُرُورا إلّا كُنتُ به بهِجًا أَعْتدّ (٢) فيـــه بالنّعمةِ من اللهِ الذى أوْجَبَ عليّ مِنْ حَقّكَ، وعرّفَنِي مِنْ جَمِيلِ رأيِكَ . فزادكَ اللهُ خيْرًا، وأدامَ إحسانَهُ إليكَ . وقدْ بلغَنِي أنّ اللهَ وهَبَ لكَ غُلامًا سرِيًّا (٣) أجْملَ صُورَتَهُ، وأتمّ خَلْقَهُ، وأحْسنَ فِيهِ البَلاءَ (٤) عنـدك فاشْتدّ سُرُورى بِذلِكَ . وأكْثرْتُ حَمْدَ اللهِ عليْهِ . فبارَكَ اللهُ فِيهِ وجعلَهُ بَارًّا (٥) تقيًّا يشُدُّ عَضُدَكَ (٦)، ويُكْثِرُ عدَدَكَ، ويُقِرُّ عيْنَكَ (٧) .

وكتب أيضا تهنئة بظفر :

بلَغَنِي — فتحَ اللهُ عليْكَ — خُرُوجُ ابنِ السّرِيّ اليْكَ، فالحَمْدُ للهِ النّاصِرِ لِدِينِهِ، المُعِزِّ لِوَلِيّـــهِ وخَلِيفَتِهِ علَى عِبَـادِهِ، المُذِلِّ لِمَنْ صَدّ (٨) عَنْ حَقّهِ ورَغِبَ (٩) عَنْ طَاعَتِهِ ؛

(١) هو أحمد بن يوسف كاتب دولة بنى العباس ويقولون : إن أصل آبائه من قبط مصر وكانوا كتّابا لبنى العباس فنشأ أحمد بن يوسف فى بيت علم وأدب وشب على الكتابة . وكان من أبلغ الكتّاب والشعراء واشتهر فى زمن المأمون فله كتب بليغة وكثير من الرسائل الديوانية والإخوانية . وكانت طريقته فى الكتابة تميل الى التوســع فى المعانى والأساليب والعبارات وجزالة الألفاظ وتطويل الرسائل السلطانية . وكان يتولى ديوان الرسائل للأمون حتى غضب عليه غضبة مات منها سنة ٢١٣ هـ .

(٢) أى أعدّ ذلك نعمة على من الله . (٣) السرى : الظريف .

(٤) البلاء هنا : الاختبار .

(٥) بارا : صالحا مطيعا .

(٦) العضد : بفتح العين وضم الضاد ما بين المرفق الى الكتف يريد بذلك أن يكون قوة له .

(٧) قرت عينه : بردت سرورا . وجف دمعها : يريد بذلك أن يكون من وسائل السعادة والسرور له .

(٨) صده عن كذا : صرفه ومنعه . يريد أن الله يذل من وقف فى سبيل الحق .

(٩) رغب عنه : أعرض عنه وتركه .

ونسأل الله أن يُظاهر النعم (١) ويفتح بلدان الشرك (٢) بك، والحمد لله على ما والاك (٣) منذ ظعنت لوجهك (٤)، فإنَّا نتذاكر سيرتك في حربك وسلمك، ونكثر التعجب لما وفقت له من وضع الشدة والليان (٥) بموضعهما، ولا نعلم سائر (٦) جند ولا رعية عدل بينهم عدلك ولا من عفا بعد القدرة عمن آسفه (٧) وأضغنه (٨) عفوك.

وكتب في الذم:

أما بعد، فلا أعلم للمعروف (٩) طريقاً أحزن (١٠) ولا أوعر من طريقه إليك، ولا مستودعاً (١١) أقل زكاء (١٢)، ولا أبعد ثمرة خير من مكانه عندك؛ لأنه يحصل منك في حسب دني (١٣)، ولسان بذي (١٤)، ونسب قصي (١٥)، وجهل (١٦) قد ملك طباعك؛ فالمعروف لديك ضائع، والشكر عندك مهجور، وإنما غايتك في المعروف أن تحرزه، وفي وليه ان تكفر (١٧) به.

---

(١) ظاهره مظاهرة: عاونه. يسأل الله أن يكثر من النعم على يديه.

(٢) يريد بلدان الأعداء.

(٣) والى الشيء: تابعه يريد على ما أعطاه من النصر المتتابع المتوالى.

(٤) الظعن: الرحيل. ويريد بقوله لوجهك لغرضك.

(٥) الليان: بفتح اللام المشددة مصدر لان يلين وهو ضد الشدة. والليان: بالكسر الاسم من لان.

(٦) سائر الشيء: باقيه يريد أنه لا يوجد قوم يسود فيهم عدل مثل عدلك في قومك.

(٧) آسفه إسافا: أغضبه وأحزنه. (٨) أضغنه: حمله على الضغينة. ويريد أنه لم ير أحدا مثله عفا بعد القدرة على الانتقام عن قوم أساءوا اليه وحملوه على أن يحقد عليهم.

(٩) المعروف هنا: الخير والاحسان. (١٠) الطريق الحزن: ضد السهل.

(١١) المستودع: المكان يحفظ فيه الشيء. (١٢) الزكاء: النمو والزيادة.

(١٣) الدني مخفف الهمزة هنا: الخسيس الذليل. (١٤) البذي بتخفيف الهمزة أيضا: المحتقر السفيه. (١٥) القصي: البعيد. (١٦) الجهل: الحمق.

(١٧) كفر بالنعمة: جحدها وتناساها وكفر بالمنعم جحد فضله.

ومن توقيعاته ما وجهه الى عامل ظالم :

"الحق طريق واضح لمن طلبه، تهديه محجته (١)، ولا تخاف عثرته (٢)، وتؤمن فى السر مغبته (٣)، فلا تقلن منه (٤)، ولا تعدلن عنه، فقد بالغت فى مناصحتك، فلا تحوجنى الى معاودتك (٥)، فليس بعد التقدمة (٦) إليك إلا سطوة الإنكار عليك".

(٣) الحسن بن سهل (٧)

كتب الى محمد بن سماعة القاضى (٨) يسأله اختيار رجل ليقوم ببعض ما يهمه :

أما بعد، فانى احتجت لبعض أمورى الى رجل جامع لخصال الخير، ذى عفة ونزاهة طعمة (٩)، قد هذبته الآداب، وأحكمته التجارب، ليس بظنين فى رأيه (١٠)، ولا بمطعون فى حسبه. إن اؤتمن على الأسرار قام بها، وإن قلد مهما من الأمور أجزأ فيه (١١)، له سن (١٢) مع أدب ولسان، تقعده الرزانة ويسكنه الحلم، قد فر (١٣) عن ذكاء

(١) المحجة : جادة الطريق . (٢) العثرة : السقطة والزلة . (٣) المغبة : عاقبة الشىء .

(٤) أقل الشىء : أتى بالقليل منه . (٥) عاود الرجل : رجع الى الأمر الأول يقال عاوده بالمسألة أى سأله مرة بعد أخرى وعاودته الحمى رجعت اليه .

(٦) التقدمة مصدر قدم الشىء تقدمة . يريد أن ليس له عنده بعد أن قدم له النصيحة إلا أن يعاقبه .

(٧) الحسن بن سهل : هو وزير المأمون وصهره (أبو زوجه بوران) توفى سنة ٢٣٦ ﻫ .

(٨) محمد بن سماعة القاضى : هو من أصحاب محمد بن الحسن صاحب أبى حنيفة . توفى سنة ٢٣٣ ﻫ .

(٩) الطعمة بضم الطاء وسكون العين : وجه الارتزاق والمكسب، يريد أنه لا يبتغى المال من طريق الحرام ولا من خسيس السبل . (١٠) الظنين بفتح الظاء : المتهم، يريد أنه لا يصدر الرأى عن الميل والهوى . (١١) أجزأ فى الأمر كان له كفؤا وقام به على خير وجوهه .

(١٢) السن هنا : التقدم فى العمر . (١٣) يقال : فر الدابة يفرها (من باب نصر) . كشف عن أسنانها ليعرف كم بلغت من السنين . يريد أن الاختبار والتجربة كشفا عما فيه من الذكاء .

وفِطْنَة، وعَضّ على قارِحَة(١) من الكمَال . تكفيهِ اللَّحْظَةُ، وتُرْشِدُهُ السَّكْتَةُ . قد أبصر بخدمة المُلُوك وأحكمها، وقام فى أمورِهم فحُمِدَ فيها . له أناةُ(٢) الوزراءِ، وصولةُ(٣) الأمراءِ، وتواضُعُ العُلَماءِ، وفَهْمُ الفُقَهاءِ، وجوابُ الحُكَماءِ . لا يبيعُ نَصِيبَ يومِهِ بحرمانِ غده . يكادُ يسترِقُّ(٤) قُلُوبَ الرِّجالِ بحلاوةِ لسانِهِ، وحُسْنِ بيانِهِ . دلائلُ الفضلِ عليه لائحةٌ(٥)، وأماراتُ العِلْمِ له شاهدةٌ، مُضْطَلِعًا(٦) بما استُنْهِضَ(٧)، مُسْتَقِلًّا(٨) بما حُمِّلَ . وقد آثرْتُكَ(٩) بِطَلَبِهِ، وحَبَوْتُكَ بارْتِيادِهِ(١٠)، ثقةً بفضلِ اختيارِكَ، ومعرفةً بحُسْنِ تأتِّيكَ .

(٤) محمد بن عبد الرحمن الهاشمى

قال : كانت أُمُّ جعفرِ بنِ يحيى تزورُ أُمِّى . وكانت لبيبةً من النِّساءِ، حازمةً فصيحةً بَرْزَةً(١١) . يعجبُنِى أن أجدَها عند أُمِّى فأستكثرَ من حديثِها، فقلتُ لها يومًا : يا أُمَّ جعفر : إنَّ بعضَ النَّاسِ يُفَضِّلُ جعفرًا على الفضلِ، وبعضَهم يُفَضِّلُ الفضلَ على جعفر، فأخبريني . فقالت : ما زلنا نعرفُ الفضلَ

(١) قرح الفرس فهو قارح : خرج نابه، ولا يكون له ذلك إلا اذا استكمل السن والقوة، يريد بالجملة أنه استوفى أسباب الكمال .

(٢) الأناة : الوقار والحلم والتمهل . (٣) الصولة : القدرة والسطوة .

(٤) استرق القلوب : استعبدها . (٥) لائحة : بادية ظاهرة .

(٦) اضطلع الرجل بحمله فهو مضطلع به : نهض به وقوى عليه .

(٧) استنهض بالبناء للمجهول طلب منه النهوض .

(٨) استقل بالشيء : حمله ورفعه، فهو مستقل به .

(٩) آثره بالشيء : اختصه به وفضله على غيره .

(١٠) ارتاد الشيء ارتيادا طلبه وبحث عنه .

(١١) المرأة البرزة : المتجاهرة الكهلة الجليلة تبرز للقوم يجلسون اليها ويتحدثون وهى عفيفة .

للفضـل . فقلتُ : إنّ أكثرَ النّاسِ على خلافِ هـذا . فقالت : هأنا أُحدّثك واقضِ أنتَ . وذلك الّذى أردتُ منها . فقالت : كانا يومًا يلعبان فى دارى، فدخل أبوهما فدعا بالغداء وأحضرهما، فطعما معه ثم آنسهما بحديثه، ثم قال لهما : أتلعبان بالشِّطرنج؟ فقال جعفر، وكان أجرأهما : نعم! قال: فهل لاعبتَ أخاك بها؟ قال جعفر : لا ! قال : فالعبا بها بين يدىّ لأرى لمن الغلب . فقال جعفر : نعم! وكان الفضل أبصر منه بها . فجىء بالشِّطرنج فصُفّت بينهما، وأقبل عليها جعفر وأعرض عنها الفضل . فقال له أبوه : مالك لا تلاعب أخاك ؟ فقال : لا أحبّ ذلك . فقال جعفر : إنّه يرى أنّه أعلم بها منّى فيأنف من ملاعبتى، وأنا ألاعبه مخاطرةً(١) . فقال الفضل : لا أفعل . فقال أبوه : لاعبه وأنا معك . فقال جعفر : رضيتُ . وأبى الفضل واستعفى(٢) أباه فأعفاه . ثم قالت لى : قد حدّثتك فاقضِ . فقلتُ : قد قضيتُ بالفضل للفضل على أخيه . فقالت : لو علمت أنك لا تحسن القضاء لما حكّمتك . أفلا ترى أنّ جعفرًا قد سقط أربع سقطات تنزّه الفضل عنهنّ : فسقط حين اعترف على نفسه بأنّه يلعب بالشِّطرنج، وكان أبوه صاحب جِدّ(٣) . وسقط فى التزام ملاعبة أخيه، وإظهار الشهوة لغلبه، والتعرّض لغضبه . وسقط فى طلب المقامرة وإظهار الحرص على مال أخيه . والرابعة قاصمة الظهر حين قال أبوه لأخيه : لاعبه وأنا معك . فقال أخوه لا، وقال هو نعم،

(١) المخاطرة المراهنة، يقال : لاعبه على خطر بفتحتين أى على رهان .

(٢) استعفاه من كذا : طلب منه الا يكلفه إياه .

(٣) الجد بكسر الجيم : ضد الهزل .

فَنَاصَبَ صَفًّا فِيهِ أَبُوهُ وَأَخُوهُ[(١)] . فَقُلْتُ : أَحْسَنْتِ واللهِ ! وَإِنَّكِ لأَقْضَى مِنَ الشَّعْبِيّ[(٢)] . ثُمَّ قُلْتُ لَهَا : عَزَمْتُ عَلَيْكِ[(٣)] أَخْبِرِينِي : هَلْ خَفِيَ مِثْلُ هٰذَا عَلَى جَعْفَر وقد فَطِنَ لَهُ أَخُوهُ ؟ فَقَالَتْ : لَوْلَا الْعَزْمَةُ لَمَا أَخْبَرْتُك ، إِنَّ أَبَاهُمَا لَمَّا خَرَجَ قُلْتُ لِلْفَضْلِ خَالِيَةً به : ما مَنَعَكَ من إِدْخَالِ السُّرُورِ على أَبِيكَ بِمُلَاعَبَةِ أَخِيكَ ؟ فقال : أَمْرَانِ : أَحَدُهُمَا لَوْ أَنِّي لَاعَبْتُهُ لَغَلَبْتُهُ فَأَخْجَلْتُهُ ، والثَّانِي قَوْلُ أَبِي لاعِبْهُ وَأَنَا مَعَكَ ، فما يَسُرُّنِي أَنْ يَكُونَ أَبِي مَعِي على أَخِي . ثم خَلَوْتُ بِجَعْفَرٍ فَقُلْتُ لَه : يَسْأَلُ أَبُوكَ عن اللَّعِبِ بالشِّطْرَنْجِ فَيَصْمُتُ أَخُوكَ وَتَعْتَرِفُ ، وأَبُوكَ صَاحِبُ جِدّ . فَقَالَ : إِنِّي سَمِعْتُ أَبِي يَقُولُ : نِعْمَ لَهْوُ الْبَالِ الْمَكْدُودِ[(٤)] . وَقَدْ عَلِمَ ما نَلْقَاهُ من كَدِّ التَّعَلُّمِ وَالتَّأَدُّبِ ، وَلَمْ آمَنْ أَنْ يَكُونَ بَلَغَهُ أَنَّا نَلْعَبُ بِهَا ، وَلَا أَنْ يُبَادِرَ فَيُنْكِرَ ، فَبَادَرْتُ بِالْإِقْرَارِ إِشْفَاقًا عَلَى نَفْسِي وعَلَيْه ، وقُلْتُ إِنْ كَانَ تَوْبِيخٌ فَدَيْتُهُ مِنَ الْمُوَاجَهَةِ بِهِ . فَقُلْتُ لَهُ : يَابُنَيَّ : فَلِمَ تَقُولُ لَاعِبْهُ مُخَاطَرَةً ؟ كَأَنَّكَ تُقَامِرُ أَخَاكَ وتَسْتَكْثِرُ مَالَهُ . فقال : كَلَّا وَلٰكِنَّهُ يَسْتَحْسِنُ الدَّوَاةَ التي وَهَبَهَا لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ، فَعَرَضْتُهَا عليه فَأَبَى قَبُولَهَا ، وَطَمِعْتُ أَنْ يُلَاعِبَنِي فَأُخَاطِرَهُ عليها وهو يَغْلِبُنِي فَتَطِيب نَفْسُهُ بِأَخْذِهَا . فَقُلْتُ لَهَا : يَا أُمَّاهُ مَا كَانَتْ هٰذِهِ الدَّوَاةُ؟ فَقَالَتْ : إِنَّ جَعْفَرًا دَخَلَ على أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ فَرَأَى بَيْنَ يَدَيْهِ دَوَاةً من الْعَقِيقِ الأَحْمَرِ مُحَلَّاةً بِالْيَاقُوتِ الأَزْرَقِ وَالأَصْفَرِ ، فَرَآهُ يَنْظُر

---

(١) ناصبه : عاداه وقاومه . وناصبه العداوة : أظهرها له .

(٢) الشعبي بفتح الشين وسكون العين أحد رجال الحديث والقضاء .

(٣) عزم عليه : أقسم . والاسم منه العزمة والعزيمة بفتح العين فيهما .

(٤) كده الشيء فهو مكدود : أتعبه وأجهده .

إليها فوهبها له . فقلت إيه . فقالت : ثم قلت لجعفر هبك(١) اعتذرت بما سمعت فما عذرك من الرضا بمناصبة أبيك حين قال لاعبه وأنا معك؟ فقلت أنت : نعم، وقال هو : لا . فقال : عرفت أنه غالبي، ولو فتر لعبه(٢) لتغالبت له، مع ماله من الشرف والسرور بتحيز أبيه إليه . قال محمد بن عبد الرحمن فقلت : بخ بخ(٣)، هذه والله السيادة . ثم قلت لها : يا أماه : أكان منهما من بلغ الحلم؟ فقالت : يا بنى: أين يذهب بك ؟ أخبرك عن صبيين يلعبان فتقول : أكان منهما من بلغ الحلم، لقد كنا ننهى الصبى إذا بلغ العشر وحضر من يستحى منه أن يبتسم .

(٥) الصولى(٤)

من رسائله فى تعزية على لسان المنتصر بالله الى طاهر بن عبد الله مولى أمير المؤمنين :

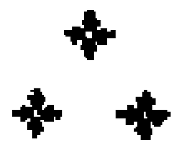
أما بعد، تولى الله توفيقك وحياطتك، وما يرتضيه منك ويرضاه عنك ! إن أفضل النعم نعمة تلقيت(٥) بحق الله فيها من الشكر، وأوفر حادثة ثوابا حادثة أدى

(١) يقال : هبك صنعت كذا أى افرض أنك صنعت . وهى كلمة ملازمة للأمر لا تنصرف لغيره من الأفعال . (٢) فتر يفتر من باب نصر ومن باب ضرب : ضعف .

(٣) بخ بفتح الباء وسكون الخاء : اسم فعل للمدح و إظهار السرور بالشىء . و يكرر للمبالغة فيقال : بخ بخ بالكسر والتنوين .

(٤) هو أبو اسحاق ابراهيم بن العباس بن محمد ابن عم عمرو بن مسعدة . نشأ ببغداد وأخذ العلم عن علماء زمانه واشتغل بالشعر ونبغ فيه ومدح كثيرا من الأمراء، وتولى فى خلافة المتوكل ديوان النفقات . وكان من أكبر الكتاب ومن أفذاذهم المعروفين فى زمانه حتى لقب بكاتب العراق، وله رسائل كثيرة أشهرها ما كتبه فى التعازى . توفى بسر من رأى سنة ٢٤٢ هـ . (٥) تلقى الشىء : بمعنى لقيه .

حَقُّ اللهِ منها من الرِّضا والتَّسليم والصَّبر، ومثلُك من قَدَّم ما يجبُ للهِ عليهِ في نِعْمة فَشكَرَها، وفي مُصيبةٍ فأَطَاعهُ فيها. وقد قضى الله سُبحانهُ وتعالى في محمد بن إسْحاق مَوْلَى أمير المؤمنين (عفا الله عنه) قضاءَهُ السَّابق والمُوَقَّع[1]. وفي ثَوابِ اللهِ وَرِضا أمير المؤمنين (أدام اللهُ عِزَّهُ) وتقديمِ ما يُقدِّمُ مِثْلَه أهلُ الحِجا[2] والفَهمِ ما اعتاضَه مُعْتاضٌ[3] وقدَّمهُ موفَّقٌ. فليكُنْ اللهُ (عزَّ وجلَّ) وما أطعْتَهُ به وقدَّمتَ حقَّهُ فيهِ أوْلَى بِكَ في الأمورِ كُلِّها؛ فإنَّكَ إنْ تتقرَّبْ إليهِ في المكْرُوهِ بطاعَتِهِ. يُحْسِنْ وِلايَتَكَ في توْفيقِكَ لشُكرِ نِعَمِهِ عِنْدَكَ.



ومن رسائله القِصَارِ على لسان المتوكل لأهل حمص الخارجين عَليه، وهي من الرسائل التي أغنت عن الجيوش:

أمَّا بعدُ، فإنَّ أميرَ المؤمنينَ يرى مِنْ حَقِّ اللهِ عَلَيهِ مِمَّا قَوَّم بهِ مِنْ أَوَدٍ[4]، وعدَّل به مِن زَيْغٍ[5]، ولَمَّ بهِ مِنْ مُنْتَشِرٍ، استعمالَ ثلاثٍ يقدِّمُ بعضهنَّ على بعضٍ: أُولاهُنَّ ما يتقدَّمُ بهِ مِنْ تَنْبِيهٍ وتَوْقِيفٍ[6]، ثُمَّ ما يَسْتَظْهِرُ[7] بهِ مِنْ تحذيرٍ وتخويفٍ، ثم التي لا يقعُ بحَسْمِ[8] الدَّاءِ غيرُها:

(١) الموقع: المقدر. (٢) الحجا: العقل.

(٣) اعتاض منه: أخذ العوض واعتاض واستعاض فلانا سأله العوض.

(٤) الأود هنا: الاعوجاج.

(٥) الزيغ: الميل عن الحق.

(٦) وقفه على الشيء: أفهمه.

(٧) استظهر به: استعاذ.

(٨) حسمه: قطعه مستأصلا إياه.

أَناةٌ (١)، فإنْ لم تُغْنِ عَقَّبَ بَعْدَها وَعيدًا، فإنْ لم يُغْنِ أَغْنَتْ عَزائِمُهُ

وكَتَبَ إبراهيمُ الصُّولِى الى ابْنِ الزَّيَّاتِ (٢) يَسْتَعطِفُهُ :

كَتَبْتُ وقَدْ بَلَغَتْ المُدْيَةُ (٣) المَحَزَّ (٤)، وعَدَتِ (٥) الايَّامُ بِكَ عَلَىَّ بَعْدَ عَدْوَاى (٦) بِكَ عليها وكَانَ أَسْوأَ الظَّنِّ وأَكْثَرَ خَوْفِى أَنْ تَسْكُنَ فِى وَقْتِ حَرَكَتِها وتَكُفَّ عِنْدَ أَذَاتِها (٧)، فَصِرْتَ أَضَرَّ عَلَىَّ مِنْها، فَكَفَّ الصَّـدِيقُ عَنْ نُصْرَتِى (٨) خَوْفًا مِنْكَ، وَبادَرَ (٩) إِلَىَّ العَدُوُّ تَقَرُّبًا إِلَيْكَ :

وكَتَبَ تَحْتَ ذلِكَ :

أَخٌ بَيْنِى وبَيْنَ الدَّهْـ ـرِ صَاحَبَ أَيُّنـا غَلَبَا (١٠)

(١) الأناة : الحلم والانتظار والتمهل .

(٢) ابن الزيات : أحد الوزراء والكتّاب .

(٣) المدية مثلثة الميم : السكين .

(٤) المحز بفتح الميم : موضـع الحز أى القطع . يقال : قطع فأصاب المحـز . والمحز بكسر الميم : آلة الحز . يريد أن الأمر وصل الى غايته من الشدّة .

(٥) عدت الأيام : اعتدت .

(٦) العدوى هنا : اسم مصدر أعدى فلانا على فلان : نصره وأعانه . يريد بعـد أن استعنت بك على الأيام .

(٧) الأذاة : الأذى . يريد من قوله (وكان أسـوأ الظن الخ ..) أنه كان يظن أن أسوأ ظنه فى ابن الزيات ألا يعين الأيام عليه إذا أصابته بأذى فاذا هو أضر عليه منها وأشدّ أذى له .

(٨) النصرة : النصر وحسن المعونة .

(٩) بادر الى الشىء : أسرع .

(١٠) يصف الصديق الذى أشار اليه بأن يكون معه حينا يكون الزمان معه ويكون عليـه حينا يخونه الدهر .

صديقي ما استقام وإن نبا دهر على نبا (١)
وثبت على الزمان به فعاد به وقد وثبا (٢)
ولو عاد الزمان لنا لعاد به أخا حدبا (٣)

ثانيا — النثر العلمي

(١) أبو يوسف (٤)

قال في كتاب "الخراج" :

وأنا أرى أن تبعث قوما من أهل الصلاح والعفاف ممن يوثق بدينه وأمانته يسألون عن سيرة العمال وما عملوا به في البلاد ، وكيف جبوا الخراج على ما أمروا به ، وعلى ما وظف على أهل الخراج واستقر ؛ فاذا ثبت ذلك عندك وصح ، أخذوا بما استفضلوا من ذلك أشد الأخذ حتى يؤدوه بعد العقوبة الموجبة والنكال ، حتى لا يتعدوا ما أمروا به ، وما عهد اليهم فيه ، فان كل ما عمل به والي الخراج من الظلم والعسف فإنما يحمل على أنه قد أمر به ، وقد أمر بغيره ، وان أحللت بواحد منهم العقوبة الموجعة انتهى غيره واتقى وخاف ، وان لم تفعل هذا بهم تعدوا على أهل الخراج واجترءوا على ظلمهم وتعسفهم وأخذهم بما لا يجب عليهم . واذا صح عندك من العامل والوالي تعد بظلم وعسف وخيانة لك في رعيتك واحتجان

(١) نبا بصره : تجافى وتباعد . ونبا عليه الدهر : جفاه وتباعد عنه . هذا توضيح لمعنى البيت الأول .
(٢) وثب : قفز ونهض . يقول : هجمت على الزمان به فرجع عن معاونتي وهجم عليّ مع الزمان .
(٣) حدب عليه : تعطف . وأخ حدب بفتح الحاء وكسر الدال : شفيق . يريد أنه اذا صادقه الزمان عاد ذلك النابي عليه صديقا له .
(٤) أبو يوسف هو القاضي يعقوب بن ابراهيم الأنصاري الكوفي أخذ الفقه عن الإمام أبي حنيفة وكان نابها مقدما وضع كتاب (الخراج) للرشيد .

شيءٍ من الفيء ، أو خُبث طُعمَتِهِ أو سُوءُ سـيرته فحرامٌ عليـك استعمالُه والاستعانةُ بهِ ، وأنْ تُقَلِّدَهُ شيئًا من أُمورِ رعيتك أو تُشْرِكَهُ فى شيءٍ من أمْرِكَ ، بَلْ عَاقِبْهُ على ذَلِكَ عقوبةً تردعُ غيرَه من أن يتعرّضَ لمِثْلِ مَا تعرّضَ لَهُ . و إياك ودعوةَ المظلومِ فانَّ دَعوتَه مُجابةٌ .

(٢) من كتاب التاج المنسوب للجاحظ (١)

كان أرْدَشِيرُ بنُ بَابَك أوّلَ من رتّبَ النُّدماءَ (٢) وأخذَ بزِمَامِ سياسَـتهم ، فجعلهم ثلاثَ طَبقاتٍ :

فكانت الأساوِرَةُ (٣) وأبناءُ المُلُوكِ فى الطّبقَةِ الأولى ، وكان مجلسُ هذه الطّبقَةِ من الملكِ على عشرة أذرعٍ من السِّتَارَةِ .

ثم الطّبقَةُ الثانية كان مجلسُها من هذه الطبقة على عشرة أذرع (وهم بِطانةُ الملك وندماؤُه ومحدِّثُوه من أهلِ الشّرَفِ والعِلْمِ) .

ثم الطَبَقَةُ الثالثةُ كان مَجْلِسُهم على عَشْرةِ أذْرُعٍ من الثانيةِ وهُم المُضحِكونَ وأهلُ الهزْلِ والبَطَالَةِ ، غيرَ أنه لم يكُن فى هَذِه الطَّبقَةِ الثّالِثَة خَسِيسُ الأصْلِ ولا وَضِيعُهُ ،

(١) هو أبو عثمان عمرو الجاحظ بن بحر بن محبوب الكنانى البصرى . ولد بمدينة البصرة وتربى بها ودرس هناك كل ما كان ذائعا من العلوم والفنون فى أيامه ولازم ابراهيم بن سيار النظام المتكلم المعتزلى وأخذ عنه حتى صار زعيم فرقة تنسب اليه وعرف كثيرا من كبار الكتاب والمترجمين والفرس وغيرهم وقرأ كل ما ترجم فى زمانه ووقع عليه نظره فكان من كبار العلماء والكتاب ومات بالبصرة سنة ٢٥٥ ه .

(٢) نادمه على الشراب منادمة : جالسه عليه . والنديم : المنادم على الشراب . والنديم أيضا الرفيق والصاحب .

(٣) أساورة الفرس : هم الفرسان .

ولا نَاقِصُ الجَوَارِح(١)، ولا فَاحِشُ الطُّولِ والقِصَرِ، ولا مَؤُوفٌ(٢)، ولا مَجْهُولُ الأَبَوَيْنِ، ولا ابنُ صِنَاعَةٍ دَنِيئَةٍ كَابْنِ حائِكٍ أوحَجَّامٍ ولو كان يَعْلَمُ الغَيْبَ مثلًا .

وكان أردشير يقول: "ما شيءٌ أسرَعَ في انتِقَالِ الدُّوَلِ وخَرَابِ المَمْلَكَةِ من انْتِقَالِ هذه الطبقات عن مَرَاتبها، حتى يُرْفَعَ الوَضِيعُ الى مَرْتَبَةِ الشَّرِيفِ، ويُحَطَّ الشَّرِيفُ الى مرتبةِ الوضيعِ . وكان الذى يقابل الطَّبَقَةَ الأولى من الأَسَاوِرَةِ وأبناءِ المُلُوكِ أهلُ الحَذَاقَةِ بالمُوسِيقِيَّاتِ والأَغَانِي . فكانوا بإزاء هؤُلاء نُصْبَ خَطِّ الاستِواءِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثانيةَ من نُدَمَاءِ الملكِ وبِطانته الطبقةُ الثانيةُ من أصحاب المُوسِيقِيَّاتِ . وكان الذى يُقَابِلُ الطَّبَقَةَ الثَّالِثَةَ من أصحابِ الفُكَاهَاتِ والمُضحِكِين أصحابُ الوَنِّجِ(٣) والمَعَازِفِ والطَّنَابِيرِ(٤)، وكان لا يَزْمُرُ الحَاذِقُ من الزَّامِرِينَ إلا على الحاذِقِ من المُغَنِّين . وان أمَرَه المَلِكُ بذلك رَاجَعَهُ واحتَجَّ عليه"

(٣) من كتاب الكامل للمبرِّد(٥)

قَالَ أَبُو العَبَّاس مِنْ أَمْثَالِ العَرَب : "لم يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ" يَقُولُ : إذا ذَهَبَ مِنْ مَالِكَ شيءٌ فَحَذَّرَكَ أنْ يَحُلَّ بِكَ مِثْلُه فَتَأدِيبُهُ إيَّاكَ عِوَضٌ مِنْ ذَهَابِه .

(١) الجوارح جمع جارحة وهى العضو من الانسان .

(٢) أى مصاب بآفة .

(٣) كلمة فارسية معربة والعرب تقول الون بتشديد النون وهى الصنج آلة من آلات الطرب .

(٤) الطنبور والطنبار : من الآلات الموسيقية التى أخذها العرب عن الفرس .

(٥) المبرد هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدى . ولد فى البصرة وانتقل الى بغداد وكان قوى الذاكرة سريع الحفظ يعدّ من شيوخ النحو والأدب له جملة مصنفات منها كتاب الكامل الذى يمزج الأدب باللغة والتاريخ و يعد من أمهات الكتب الأدبية . وقد مات المبرد سنة ٢٨٦ هـ .

ومن أمثالهم: "رُبَّ عَجَلَةٍ تَهَبُ رَيْثًا" وتأويله أنَّ الرجلَ يعملُ العملَ فلا يُحكِمه للاستعجالِ به، فيحتاجُ إلى أنْ يعودَ فينقضَه، ثم يستأنف. والرَّيْثُ: الإبطاء، وراثَ عليه أمرُه: إذا تأخَّر. ومن أمثالِ العرب: "عَشِّ ولا تغترَّ" وأصلُ ذلك أنْ يمرَّ صاحبُ الإبلِ بالأرضِ المُكْلِئَةِ (١) فيقول: أَدَعُ أنْ أُعشِّيَ إبلي منها حتَّى أرِدَ على أخرى، ولا يدرِي ما الّذي يرِدُ عليه. وقريبٌ منه قولُهم: "أنْ تَرِدَ الماءَ بماءٍ (٢) أكيَسُ" وتأويلُه أنْ يمرَّ الرجلُ بالماءِ فلا يحمِلَ منه اتّكالًا على ماءٍ آخرَ يصيرُ إليه، فيُقالُ له: أنْ تحمِلَ معكَ ماءً أحزمُ لكَ، فإنْ أصبتَ ماءً آخرَ لم يضرَّكَ، فإنْ لم تحمِل تخفَّفتَ من الماءِ عطِبتَ (٣). ومِنْ أمثالِهِم: "قدْ أحْزِمُ لَوْ أعْزِمُ" يقولُ: أعرِفُ وجهَ الحزمِ فإنْ عزَمتُ فأمضيتُ الرَّأيَ فأنا حازمٌ، وإنْ تركتُ الصَّوابَ وأنا أراه وضيَّعتُ العزمَ لم ينفعْني حزمِي. ومثلُه قولُ النّابغةِ الجَعْدي:

أبَى لي البَلاءُ وأنّي امرؤٌ ... إذا ما تبيَّنْتُ لم أرتَبِ

وقال أعرابي يمدحُ سوَّارَ بنَ عبدِ الله:

وأوقفُ عِندَ الأمرِ ما لم يَضِحْ لَهُ ... وأمضَى إذا ما شكَّ مَنْ كانَ ماضيًا (٤)

فالّذي يُحمَدُ إمضاءُ ما تبيَّنَ رُشدُه، فأمّا الإقدامُ على الغَرَرِ (٥)، ورُكوبُ الأمرِ على الخطرِ، فليسَ بمحمودٍ عندَ ذوِي الألبابِ.

---

(١) أكلأت الأرض: كثر كلؤها. الكلأ: العشب رطبا و يابسا.

(٢) بماء: أى مع ماء. والكياسة: الفطانة. ورجل كيس: فطن. والأكيس: اسم تفضيل منه.

(٣) عطبت: هلكت. (٤) أوقف اسم تفضيل من (الوقوف) ووضح الأمر (يضح): انكشف وبان. مضى على الأمر: أتمه. يقول إنه أشد تحرجا من المضاء فى الأمر إذا لم يتبين له وجه الصواب فيه؛ على أن له من الفطنة والألمعية ما يبعثه على المضاء راشدا فى حين يمضى غيره متشككا متخبطا.

(٥) الغرر بفتح العين والراء: التعرض للهلاك.

(٤) من تاريخ الأمم والملوك للطبرى[1] :

"خــلافة الأمين"

وفى هذه السنة (١٩٣ هـ) بُويِعَ لِمُحَمَّدٍ الأَمِينِ بنِ هَارونَ بِالخِلَافَةِ فى عَسْكَرِ الرَّشِيدِ، وعَبْدُ اللهِ بنُ هَارونَ المَأمونُ يَوْمَئِذٍ بمَرْوٍ؛ وكَانَ فِيما ذُكِرَ قَدْ كَتَبَ حَمُّويه مَوْلَى المَهْدِى صَاحِبُ البَرِيدِ بِطُوس إلَى أَبِى مُسْلِمٍ سلام مَوْلاهُ وخَلِيفَتِهِ بِبَغْدَاد عَلَى البَرِيد والأَخْبَارِ يُعْلِمُهُ وَفَاةَ الرَّشِيدِ . فَدَخَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ فَعَزَّاهُ وهَنَّأَهُ بِالخِلَافَةِ . وكَانَ أَوَّلَ النَّاسِ فَعَلَ ذَلِكَ ، ثُمَّ قَدِمَ عَلَيْهِ رَجَاءٌ الخَادِمُ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ : كَانَ صَالِحُ بنُ الرَّشِيد أَرسَلَهُ إِلَيْهِ بِالخَبَرِ بِذَلِكَ ، وقِيلَ لَيْلَةَ الخَمِيسِ لِلنِّصْفِ مِنْ جُمَادَى الآخِرَةِ ، فَأَظْهَرَهُ يومَ الجُمُعَةِ .وسَتَرَ خَبَرَهُ بَقِيَّةَ يَوْمِهِ ولَيْلَتَهُ ، وخَاضَ النَّاسُ فِى أَمْرِهِ ، ولَمَّا قَدِمَ كِتَابُ صَالِحٍ عَلَى مُحَمَّدٍ الأَمِينِ مَعَ رَجَاء الخَادِمِ بِوَفَاةِ الرَّشِيدِ ، وكَانَ نَازِلًا فِى قَصْرِهِ بِالخُلْدِ ، تَحَوَّلَ الى قَصْرِ أبى جَعْفَرٍ بالمَدِينَةِ ، وأَمَرَ النَّاسَ بِالحُضورِ لِيومِ الجُمُعَةِ فَحَضَرُوا وصلّى بهِمْ فلمَّا قَضَى صَلاتَهُ صعِدَ المنبَرَ فَحَمِدَ اللهَ وأثْنَى عليـه ونَعَى الرشيدَ الى الناسِ وعزَّى نفسَهُ والناسَ ، ووعدهُم خيرًا وبَسَطَ الآمَالَ ، وأَمَّنَ الأَسْوَدَ والأبيضَ ، وبَايَعَهُ جِلَّةُ أَهْلِ بَيْتِهِ وخَاصَّتُهُ ومَوَالِيـه وقُوَّادُه ، ثُمَّ دَخَلَ ووَكَّلَ ببيعتِهِ عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنْهُم عَمَّ أبيه سُلَيْمَانَ بن أبى جَعْفَرٍ فَبَايَعَهُمْ

(١) هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى . ولد فى طبرستان ، ورحل الى بغداد وغيرها فى طلب العلم حتى صار من علماء الدين وأئمة البلاغة . له مؤلفات أشهرها تفسير القرآن وكتاب التاريخ الذى اقتبسنا منه هذه النبذة . وقد توفى سنة ٣١٠ هـ .

وأمر السِّنْدى بمبايعةِ جميعِ النـاسِ منَ القوّاد وسائرِ الجُند، وأمرَ للجُنْدِ ممَّن بمدينةِ السَّلامِ برزقِ أربعـةٍ وعشرينَ شهراً وبخواص مَنْ كانَتْ لهُ خَاصَّةٌ لهذه الشُّهُورِ .

(٥)من كتاب ألف ليلة وليلة وهو من أشهر الكتب القصصية وأكبرها له أصل فارسى يعدّ نواة له يسمى (هزار افسانه) .

حكاية خالد بن عبد الله القسرى مع الشاب السارق

ومما يُحكَى أنّ خالدَ بن عبد الله القسرى كان أمير البصرة . فجاء إليـه جماعة متعلقون بشاب ذى جَمَالٍ باهرٍ، وأدب ظاهرٍ، وعقل وافر، وهو حسن الصورة طيب الرائحة، وعليه سَكِينَة ووقار، فقدّمُوه الى خالد فسألهم عن قصته، فقالوا هذا لِصٌّ أصبناه (١) البارحة فى منزلنا، فنظر إليه خالد فأعجبه حسنُ هيئته ونظافتُه . فقال: خلّوا (٢) عنه . ثم دنا منه، وسأله عن قصته فقال: إنّ القومَ صادقُون فِيما قالُوه والأمر على ما ذكروا . فقال له خالدٌ: ما حملك على ذلك وأنت فى هيئةٍ جميلةٍ وصورةٍ حسنةٍ؟ قال: حَمَلَنِى على ذلك الطمعُ فى الدنيا .وقضاء الله سبحانه وتعالى . فقال له خالدٌ: ثَكِلَتْكَ أمُّكَ (٣)! أما كان لك فى جمالِ وجهك وكمالِ عقلك وحسنِ أدبك زاجرٌ (٤) يزجرُك عن السرقة . قال: دع عنك هذا أيها الأمير! وامض الى ما أمر الله تعالى به فذلك بما كسبتْ يدَاى، وما الله بظلام للعبيد . فسكت خالدٌ

(١) أصبناه: أدركناه .

(٢) خلى عن الأمر بتشديد اللام المفتوحة: تركه .

(٣) ثكلت المرأة ابنها: فقدته، وهى ثكلى كلمة للدعاء على الإنسان، وقد تستعمل للاعجاب بالرجل .

(٤) أى نقذه .

ساعةً يُفكر فى أمر الفتى، ثم أدناه منْهُ وقال له : إن اعترافَكَ على رءوس الأشهاد قد رابني وأنا ما أظنك سارقًا، ولعلّ لك قصةً غير السرقة فأخبرني بها . قال أيها الأمير : لا يقعْ فى نفسك شيءٌ سوى ما اعترفتُ به عنـدكَ وليس لى قصةٌ أشرحُهَا إلا أنى دخلت دار هؤلاءِ فسَرَقْتُ ما أمكنني، فأدركوني، وأخذوه مني وحملوني إليـك . فأمر خالد بحبسه، وأمر مناديًا ينادى بالبصرة : ألا من أحَبَّ أن ينظرَ الى عقوبةِ فلانٍ اللص وقطع يده فليحضُرْ منَ الغَدَاة الى المحلّ الفلانى . فلما استقرالفتى فى الحبس ووضعوا فى رجليه الحديد تنفّس الصُّعدَاءَ(١) وأفاض العبرات . وأنشد هذه الأبيات :

هَـدَّدنِي خالدٌ بقطع يَدِى ... إذ لَمْ أَبُحْ عِنْـدَهُ بِقصَّتِهَا

فَقُلْتُ :هَيهاتَ أنأبُوحَ بِمَا ... تَضمَّنَ القلبُ مِنْ مَحَبَّتِهـا !

قطعُ يَدِى بالذىاعترفتُ بِهِ ... أهونُ لِلقَلْبِ مِنْ فَضِيحَتِهَا

فَسمِعَ ذلكَ المُوَكَّلون بِهِ ، فأتَوْا خالدًا وأخبرُوهُ بِمَـا حَصَلَ مِنْهُ . فلمَّـا جَنَّ(٢) الليلُ أمَرَ باحضَارِهِ عندَهُ، فلما حضرَ استَنْطَقَهُ فرآهُ عاقلًا أديبًا فطنًا ظريفًا(٣) لبيبًا . فأمَرَ له بطعامٍ، فأكَلَ وتحدَّثَ معهُ ساعةً، ثُمَّ قال له خالدٌ قد عَلِمتُ أنّ لك قِصةً غَيْرَ السَّرِقَةِ فاذا كَانَ الصَّباحُ وحضرَ الناسُ وحضرَ القاضِي وسألَكَ عن السرِقةِ فأنكرْهَا، واذْكُرْ ما يَدْرَأُ(٤) عنْكَ حَدّ القَطْعِ، فَقَدْ قال رسولُ الله صلى الله عليهِ وسلَّمَ :

---

(١) الصعداء : التنفس الطويل من هم أو تعب .

(٢) جن الليل : أظلم .

(٣) فطن للأمر : أدركه بحذق فيه فهـو فطن . الظـرف : الكياسة والحذق والبراعة . ورجل (ظريف) : بارع كيس .

(٤) يدرأ عنك : يدفع عنك .

« ادْرءوا الحُـدُودَ بالشُّبهاتِ » ثُمَّ أمَرَ بهِ إلى السِّجْنِ (وأدْرَكَ شَهْرَزاد الصَّـباحُ فسكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

(وفى ليلة اثْنَتيْنِ وأرْبعِينَ وثَلثِمائةٍ) قالتْ : بلَغَنِي أيها المَلِكُ السَّعِيدُ أنَّ خالِدًا بَعْدَ أنْ تَحدَّثَ مَعَ الشَّاب أمَرَ بِهِ إلى السِّجْن فَمَكَثَ فِيهِ لَيْلَتَهُ ، فلمَّا أصْبحَ الصَّباحُ حَضَرَ الناسُ يَنْظُرونَ قَطْعَ يَدِ الشَّاب ، ولم يَبْقَ أحَدٌ فى البصرَةِ . ثُمَّ استدعَى بالقُضَاةِ وأمَرَ بإحضَارِ الفَتَى ، فأقْبَل يَحْجِلُ (١) فِي قُيُودِهِ ولَمْ يَرَهُ أحدٌ مِنَ النَّاسِ إلَّا بَكَى عَلَيْهِ ، وارتفَعت أصواتُ النساءِ بالنحيب ، فأمَرَ القاضِى بِتَسكِيتِ النِّسَاءِ . ثُمَّ قال : إنَّ هؤلَاءِ القَوْمَ يَزْعُمونَ أنَّكَ دَخَلْتَ دَارَهُمْ وسَرَقْتَ مَالَهُم فلعلَّكَ سَرقْتَ دُونَ النِّصابِ (٢)؟ قَالَ : بَلْ سَرَقْتُ نِصابًا كاملًا . قال : لعلَّكَ شَرِيكُ القَوْمِ فِي شيءٍ مِنـه؟ قال : بَلْ هو جَمِيعُهُ لَهُمْ لا حَقَّ لى فِيهِ . فغَضِبَ خالدٌ ، وقامَ إلَيْهِ بِنَفْسِهِ ، وضَرَبَهُ عَلَى وَجْهِهِ بالسَّوْطِ وقَالَ مُتَمَثِّلًا بِهذَا البَيْتِ :

يُرِيدُ المَرْءُ أنْ يُعطَى مُنَـاهُ وَيأْبَى اللهُ إلَّا مَا يُرِيدُ

ثُمَّ دَعَا بالجَزَّارِ لِيَقْطَعَ يَدَهُ فَحَضَرَ وأخْرَجَ السِّكِّينَ ومَدَّ يَدَهُ ووضعَ عليْها السكِّينَ ، فَبَادَرَتْ جارِيَةٌ من وَسَطِ النســاء عليها أطْمارٌ (٣) وسِخَةٌ فَصَرَخَتْ ورَمَتْ نفسَها عليه ، ثم أسفَرت عن وجهٍ كأنّه القمرُ ، وارتفَع فِي النَّاسِ ضجةٌ عظيمة ، وكاد أن يقَع بسبب

(١) حجل (يحجل) : رفع رجلا ومشى متربثا على الأخرى .

(٢) نصاب السرقة : ما يجب فيه قطع اليد .

(٣) الطمر بكسر الطاء وسكون الميم : الثوب البالى والجمع أطمار .

ذلك فتنةٌ طائرةُ الشررِ، ثم نادَتْ تلك الجاريةُ بأعلى صوتِها ناشدتُك(١) الله أيها الأميرُ! لا تُعجِّل بالقطع حتى تقرأ هذه الرُّقعة(٢)، ثمَّ دفعت اليه رُقعةً ففتحها خالدٌ وقرأها فاذا مكتوبٌ فيها هذه الأبياتُ :

أخالدُ هــذا مُستهامٌ(٣) متيّمٌ رمتْه لحاظى عن قِسِيِّ الحمالِقِ(٤)
فأصماه(٥) سهمُ اللحظِ منّى لأنه حليفُ جوًى(٦) من دائه غيرِ فائقِ
أقــرَّ بمـا لم يقــترِفْه كأنّه رأى ذاك خيرًا من هتيكة(٧) عاشِقِ
فمهلًا عن الصَّبِّ الكئيبِ، فإنّه كريمُ السَّجايا في الورى غيرُ سارِقِ

فلما قرأ خالدٌ الأبياتُ تنحّى ، وانفردَ عن الناسِ وأحضرَ المرأة ، ثمَّ سألها عن القصّةِ فأخبرتْه بأنَّ هذا الفتى عاشقٌ لهـا ، وهي عاشقةٌ له . وإنمـا أراد زيارتَها فتوجّه الى دارِ أهلِها ورمى حجرًا فى الدارِ ليُعلِمَها بمجيئـه فسمعَ أبوها وإخوتُها صوتَ الحجرِ فصعِدُوا اليه . فلما أحسَّ بهم جمع قُماشَ(٨) البيتِ كلَّه، وأراهم أنه سارِقٌ

---

(١) ناشده الله : استحلفه وأقسم عليه بالله .

(٢) الرقعة هنا : القطعة من الورق التى يكتب فيها .

(٣) مستهام : مخلوب العقل من الحب .

(٤) حملاق العين بضم الحاء وسكون الميم : وحملاقها بكسر الحاء باطن أجفانها ، والجمع حمالق وحماليق والمراد نفس العيون .

(٥) أصمى الصيد : رماه فقتله مكانه وهو يراه .

(٦) الجوى : شدة الوجد من حزن أو عشق . والحليف : الملازم . يقال فلان حليف جوى أى ملازم الجـــوى .

(٧) الهتيكة : الفضيحة .

(٨) قماش البيت : أمتعته .

سَتْراً علَى معشُوقَتِه . فلما رأَوهُ على هذِهِ الحَالَةِ أخذُوهُ . وقالُوا : هَذَا سارِقٌ، وأتوا بِهِ اليك فاعترَفَ بالسرقَةِ وأصرَّ على ذَلكَ حتى لا يَفْضَحَنِي ، وقَدْ ارتكَبَ هَـذه الأُمورَ مِنْ رَمْيِ نَفْسِه بالسَّرقةِ لِفَرْطِ مُرُوءَتِهِ ،وكَرَمِ نَفْسِه ،فقَالَ خالدٌ إنَّهُ لخَلِيقٌ بأَنْ يُسْعَفَ بمُرَادِهِ ،ثمَّ استَدْعَى الفَتَى اليْهِ فقبَّلَهُ بيْنَ عَيْنَيْهِ ،وأمَرَ بإحْضَارِ أبي الجَارِيَةِ ،وقَالَ لَهُ ياشَيْخُ : إنَّا كُنَّا عزَمْنَا عَلَى إنْفَاذِ الحُكمِ مِنْ هَذَا الفَتَى بِالقَطْعِ ، ولكنَّ اللهَ عزَّ وجَلَّ قَدْ حَفِظَهُ مِنْ ذَلِكَ . وقَدْ أَمَرْتُ لَهُ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ لِبَذْلِه يَدَهُ حِفْظًا لعِرضِكَ وعِرْضِ بِنْتِـكَ وصِيَانَتِكُمَا مِنَ العارِ . وقَدْ أَمَرْتُ لِابْنَتِـكَ بِعَشَرَةِ آلافِ دِرْهَمٍ حَيْثُ أَخْبَرَتْنِي بِحَقِيقَـةِ الأمْرِ . وأنَا أَسْأَلُكَ أن تَأذَنَ لِي فى تَزْوِيجِهَا مِنْـهُ ، فقَالَ الشيخُ : أيها الأميرُ! قد أذِنتُ لَكَ فى ذلكَ ! فَحَمِدَ اللهَ خالدٌ وأثنَى عَلَيْهِ ، وخَطَبَ خُطْبَةً حَسَنَةً ، (وأدْرَكَ شهرزَادَ الصَّبَاحُ فسَكَتَتْ عَنْ الكلامِ المُبَاحِ) .

العصر العباسي الثاني

خراسان والعراق

(أ) الشعر

(١) الشريف الرضى[1]

قال :

يا ظبيةَ البانِ تَرْعَى فى خمائلِه ... لِيَهنِكِ اليومَ أنَّ القلبَ مَرعاكِ [2]

الماءُ عِندَكِ مبذُول لشاربِهِ ... وليس يُرْويكِ إلا مَدْمَعِي الباكى

هَبَّتْ لنا من رِياح الغَوْرِ رائحةٌ ... بعدَ الرُّقادِ عَرَفْناها بِرَيَّاكِ [3]

ثم انْثَنَينا اذا ما هزَّنا طَرَبٌ ... على الرِّحال تعلَّلْنَا بِذِكراكِ

سَهْمٌ أَصابَ وَرامِيهِ بِذِى سَلَمٍ ... مَنْ بالعِراق، لقدْ أبعدْتِ مَرماكِ [4]

حكَتْ لِحاظُك ما فى الرِّيم من مُلَحٍ ... يومَ اللقاء، وكان الفضلُ للحَاكى [5]

كأنَّ طَرْفَكِ يوم الجِزْعِ يُخبرُنا ... بما طَوَى عنكِ من أسماء قَتْلاكِ [6]

---

(١) هو الحسن محمد بن الحسين الرضى العلوى نقيب أشراف بغداد وأشعر بنى هاشم توفى سنة ٤٠٦ هـ.

(٢) البان : شجر من أشجار البادية تشبه بأغصانه قامات الملاح فى الاعتدال واللين . والخمائل : جمع خميلة وهى الأشجار الملتفة الأغصان الناعمة الأوراق .

(٣) الغور : البلاد المنخفضة عن نجد وجبال الحجاز . وهى المسماة تهامة على ساحل البحر الأحمر . ورائحة : أى ريح ممسية . والريا : الرائحة الطيبة . (٤) ذو سلم : موضع بالحجاز قرب مكة .

(٥) والريم : الظبي الخالص البياض . (٦) الجزع : موضع بالحجاز قرب الطائف .

أنتَ النعيمُ لقلبي والعــذابُ له   فما أمَرَّكَ فى قلبي وأحلاكَ
عندى رسائلُ شوقٍ لست أذكرها   لولا الرقيبُ لقــد بلّغتُها فاكَ

وقال من نسيب قصيدة يمدح بها الملكَ بهاءَ الدولة البُوَيهيَّ وأنفذها إليه وهو فى البصرة، وقد فتحها فى آخر سنة ٣٩٤ هـ :

ألْهـاكِ عنّـا رَبةَ البُرْقُــعِ   مَرُّ الثـلاثينَ الى الأربــعِ (١)
أنتِ أعَنْتِ الشيبَ فى مَفْرِقِي   مع الليالى، فيصــلي أو دعِي (٢)
يا حاجــةَ القَلْبِ ألَمْ ترحَمي   جِنايةَ الدمعِ عــلى مدمَــعِي
لولا ضَلالاتُ الهوَى لم يكُنْ   عِنانُ قلبي لكِ بالأطوعِ (٣)
كيفَ طوَى دارَكِ ذُو صبوةٍ   عَهْـدِى به يطــرَبُ للمَرْبَعِ (٤)
كانَ يرى ناظـرُهُ سُبَّةً   أنْ مَرَّ بالدارِ ولَمْ يَدمَعِ (٥)
يا حبذا منكِ خَيالٌ سَــرَى   فدَلَّهُ الشــوقُ على مضجَعي
باتَ يُعاطيــني جنى ظَلْمــهِ   وبِتُّ ظمآنَ ولم أنقَــعِ (٦)

---

(١) أى من العمر : فيكون عمره يومئذ ٣٤ سنة .

(٢) المفرق : وسط الرأس، وهو المكان الذى يفرق عنه الشعر . أى أن حبك أعنى بفعل الشيب يسرع فى رأسى فوق فعل الليالى به .

(٣) العنان بالكسر : سير اللجام .

(٤) طوى دارك : مر بها وحاذاها . والمربع : المكان الذى ينزل وقت الربيع ويراد به هنا الدار مطلقة . ويطرب هنا : بمعنى يحزن ويشجى .

(٥) السبة هنا : المسبوب من الناس والمراد بالناظر هنا : العين .

(٦) الظلم : تلألؤ أسنان الثغر، وجنى الظلم يريد به ريق المحبوبة، ولم أنقع : أى لم أرو ظمئى .

(٢) مهيـار الديلمى[1]

قال من قصيدة يمدح بها الوزير زعيم الدين أبا الحسن فى النيروز :

بَكَرَ العارضُ تحــدُوهُ النُّعـامَى فسقَاكِ الرِيَّ يا دارَ « أمَامَا »[2]
وتمَشَّتْ فيــكِ أرواحُ الصَّبا يتَأَرَّجْنَ بأنْفَاسِ الخُـزَامَى[3]
وإذا مَغْــنًى خــلَا مِنْ زائرٍ بَعْــدَ ما فارَق ، أو زِيرَ لِمَـامَا[4]
فقَضَى حِفْظُ الهوى أنْ تُصْبِحِى للمُحِبِّينَ مُنَـاخًا ومُقَـاما
أجتَــدِى المُزْنَ ، وما ذَا أَرَبِى أنْ تجُــودَ المُزْنُ أطلالًا رِماما
وقليلًا فيــكِ أن أدعو لهَـا ما رَآنِى اللهُ أستجدى الغَـماما
أينَ ســكانُكِ ؟ لا أينَ هُم ؟ « أحِجازًا » أقبـلوها أم « شآما »
صُــدعُوا بَعــدَ التئامٍ ، فغَــدَتْ بِهِــمُ أيْــدِى المَوامِى تترَامَى[5]
وتبقَّــوْا كلَّ حــيرانَ بليــدٍ يسأَل الجَنــدلَ عنهــمْ والرَّغاما
يالُواةَ الدَّيْنِ عَنْ مَيسَــرَةٍ والضَّنينـاتِ وما كُنَّ لِئَـاما
قــد وقَفْنـا قبلَكُمْ فى رَبْعِــكُمْ فنقضنــاه آســتلامًا وآلتزاما

---

(١) وهو مهيار بن مرزويه ، كان مجوسيا ، وأسلم على يد الشريف الرضى ، وتخرج عليه فى الشعر ، وجاراه فى أغراضه وأسلوبه حتى كاد يرق عنه . تكسب بالكتابة فى ديوان الخلافة ومات سنة ٤٢٨ هـ .

(٢) العارض : السحاب . والنعامى : ريح الجنوب .

(٣) الخزامى : نبت طيب الرائحة بالبادية .

(٤) المغنى : المنزل والدار .

(٥) الموامى : جمع موماة وهى المفازة .

سعِدَ الراكبُ تحتثُّ بهِ جَسْرةً تخلطُ وَهْدًا وإكاما (١)
تطأ العَسْفَ فتُدمِى خُفَّهَا جَبَهاتُ الأرض شجًّا ولِطاما
تتَنَزَّى أنَفًا فى خُلقِها أنْ تُطيعَ الصَّوت، أو ترضى الزِّماما (٢)
تُطعِمُ البيدَ إذا ما هَجَّرتْ — شبَعَ البيْداء — نِقْيا وسُلَامى (٣)
ماؤُها بَسْلٌ على أظمائها أو ترَى بالنَّعْفِ هاتيك الخِياما (٤)
و « بجَرْعاءِ الحِمى » قلْبى فعُجْ « بالحِمى » فاقرأ على قلبِي السَّلامَا
وترجَّلْ فتحدَّثْ عَجَبًا أنَّ قلْبًا سارَ عن جِسْمٍ أقاما
قل لجيرانِ الغَضى : آهِ علَى طِيبِ عَيْشٍ « بالغَضى » لَوْ كانَ داما
نَصلُ العامَ وما تَنساكُمُ وقُصارَى الوَجْد أن نَسْلُخَ عاما
حمِّلُوا ريحَ الصبا نشرَكُمُ قبلَ أن تحمِلَ شيحا وثُماما
وابعثوا أشباحَكُمْ لى فى الكرَى إنْ أذِنْتُمْ لجفونى أن تناما

وقال من قصيدة يمدح بها زعيم الدين أبا الحسن ويهنئه بالمهرجان :

هلْ عِندَ هذا الطلَلِ الماحِلِ من جَلَدٍ يُجدِى على سائلِ
أصمُّ ! بل يَسْمَع ! لكنَّهُ مِنَ البِلَى فى شُغُلٍ شاغلِ

(١) الجسرة : الناقة القوية .
(٢) تتنزى : تثب .
(٣) النقى : مخ العظم والقصب ، والسلامى : العظام الصغيرة فى خف البعير ، كعظام أصابع اليد فى الإنسان : أى تطعم البيد حتى تشبعها من ذوب مخ عظامها أى يذيبها فيها بالسير .
(٤) البسل : الحرام الممتنع .

وقفتُ فيــه شَــبَحًا مَاثِلًا مُرْتَفِــدًا من شَــبَحٍ مَاثِلِ : (١)
ولا ترى أعجبَ مِن ناحِلٍ يشكو ضَنَى الجسمِ إلى ناحِل
لَهْفَــكِ يادارُ ! وَلَهفى علَى قطينِــكِ المحتَمِــلِ الزّائلِ !
قلْــبِىَ للأحزانِ بَعْـــدَ النّوى، وأنتِ للسـافِى وللنّـاخلِ (٢)
مثلُكِ فى السُّقمِ ، ولِى فَضْــلةٌ بالعَقْل ، والبَلْوَى على العاقلِ
يأهــلَ نَعْمانَ اسمَعُوا دَعوةً إنْ أَسمَعَتكُمْ مِن لِوَى عاقـــلِ (٣)
هـــل زَوْرةٌ تُمتِعُنا منْكُمُ وَهْنًـا بميعادِ الكرَى البـاطلِ ؟
أم هــل لجسمٍ قاطِنٍ أن يرَى عودةَ قلبٍ معكم رَاحِــلِ

(٣) أبو ســعد الكاتب

هو أبو سعد الكاتب علىّ بن محمد أحد كتّاب بنى بويه قال فى الشوق الى بغداد توفى سنة ٤١٤ ه :

فِدًى لَكِ يا بغـــدادُ كلُّ مَدينــةٍ مِنَ الأرضِ حتّى خِطّتِى ودياريا
فقد سرتُ فى شَرْقِ البلادِ وغَرْبِها وطوّفْتُ خَيْــلِى بَيْنَها ورِكابِيـا
فلم أرَ فيهـا مثلَ بَغـــدادَ منزِلًا ولم أرَ فيهـا مثـــلَ دِجلةَ واديا
ولا مثـــلَ أهليهـا أرَقَّ شمَائلًا وأعذبَ ألفاظًـا وأحلَى معانيـا
وكم قائل : لو كان ودُّك صادقا لبغداد لم ترحل . فكان جوابيـا :
(يُقيمُ الرجالُ الموسرون بأرضِهِــمْ وترمى النّــوَى بالمقــترِينَ المرَاميا)

(١) مرتفدا : أى طالبا للرفد ، وهو العطاء . والمراد به هنا إفادته بأخبار أحبته .

(٢) يريد بالسافى الناخل : الريح . (٣) نعمان : مكان .

(٤) ولابن لَنْكَك فى الهجاء

وهو أبو الحسن محمد الشهير بابن لنكك شاعر البصرة وأهجى زمانه بالمقطعات:

وعُصْبَةٍ لمَّا تَوَسَّطْتهم ... صارَتْ علىَّ الأرضُ كالخاتَمِ
كأنَّهُمْ من سُوءِ أفهامِهِم ... لم يخرجوا بَعْدُ إلى العَالَمِ
يَضحَكُ أبليسُ إذا رَآهُمْ ... لأَنَّهُمْ عارٌ على آدَمِ

(٥) وللتنوخى فى الوصف

قال القاضى التَّنُوخى أبو القاسم على بن محمد أحد قضاة بنى بويه ونديم الوزير المهلبى يصف الليل والنجوم :

رُبَّ لَيْلٍ قطعتُه كصُدودٍ ... وفِراقٍ ما كان فيه وَداعُ
مُوحِشٍ كالثّقيلِ تَقْذَى به العَـ ... ـينُ ، وتأبَى حديثَه الأسماعُ
وكأنَّ النجومَ بين دُجَاهُ ... سُنَنٌ لاحَ بَيْنَهُن ابتِداع
وكأنَّ السماءَ خَيمةُ وَشْيٍ ... وكأنَّ الجَوْزاءَ فيها شِراع
كانَ لَيْلًا فَصَيَّرتْه نَهارًا ... كُتُبٌ تَكبِتُ العِدَا ورِقَاع

وقال أيضا :

وليلةِ مُشتاقٍ كأنَّ نُجومَها ... قد اغتصبتْ عَيْنَ الكَرى ، وهى نُوَّمُ
كأنَّ عيونَ السَّاهِرينَ لِطُولها ... إذا شَخَصتْ للأنجمِ الزُّهْرِ أنْجُمُ
كأنَّ سَوادَ الليلِ ، والفَجْرُ ضاحكٌ ... يلوح ويخفَى — أسودُ يتبسَّمُ

(٦) الدِّينَــورى

قال أبو القاسم الدينورى عبـد الله بن عبد الرحمن أحد رؤساء الأدباء ورءوس الكتّاب بخُراسان يشكو ولده :

رَبيّتُــهُ وهْوَ فَرْخٌ لا نُهُــوضَ لَهُ ... ولا شَـكيرٌ ولا رِيشٌ يُـواريه (١)
حتى اذَا ٱرتاشَ، وٱشتدّتْ قَوادِمُه ... وقــد رأى أنَّه آنت خوافيـه
مدَّ الجناحَيْنِ مَــدًّا، ثم هزَّهُما ... وطار عَــنِّى؛ فَقَلْبِى فِيــهِ مَا فيه

وقال أيضا فى شكْوَى الكِبَر :

عِشْتُ من الدَّهرِ مَا كفَانِى ... ومرَّ ما مرّ من زمانى
وقــد حنَتْنِى وقوَّسَــتْنى ... تسعٌ وتسـعون وٱثنتـان
وقــد سئمت الحياةَ ممَّا ... أَلْقَى مِن الذُّل والهَـوان
ومِن أخٍ كُنتُ أرتَجِيــهِ ... لِحَادثِ الدَّهرِ قَــدْ قَلانى
ومِن غُــلام إذا يُنـادَى ... تَصَامَمَ النَّـذْلُ وهــو دَانى
مُدَمْــدِمٌ لا أراهُ إلّا ... مُقطَّبَ الوجــه مَا رآنى

(٧) ابن المنجـم

وقال أبو الحسن بن المنجم من الأدباء فى الدولة البويهية فى الشكوى والتوجُّع :

هُوَ الدَّهْرُ لم تُبدِعْ علَىَّ صُروفُه ... ولم يأتِ شيئًا لم أكُنْ أتخيَّــلُهْ
وما رَاعَنِى المكروهُ إذ هو عادتى ... لَدَيْه، ولكِنْ راعَ قلبى تَعَجُّــلُهْ
تعجَّلَ حــتى كادَ آخرُ فِعــلِهِ ... يجىء، ولمَّا ينْقَطِعْ بعــدُ أوَّلُهْ

(١) الشكير : الريش، أوّل ما ينبت أو الزغب .

وقال السَّرِىُّ الرَّفَّاء (١) :

بِنفسِيَ مَن ردّ التحيّةَ ضاحكًا ... فجدّدَ بعدَ اليأسِ فى الوَصْلِ مَطْمَعى
إذا ما بَدَا أبدَى الغرامُ سرائرى ... وأظهرَ للعُذّالِ ما بينَ أضلُعِى
وحالَتْ دُمُوعُ العينِ بينى وبَيْنَهُ ... كأنّ دموعَ العينِ تَعْشَقُهُ مَعى

(٨) الضَّبي فى الوصف

قال أبو العباس أحمد بن ابراهيم الضبي أحد وزراء بنى بويه :

رُبَّ ليلٍ سهِرتُهُ ... مُفْكِرًا فى امتدادِهِ
كلّما زِدتُ رَعْيَهُ ... زادنِى مِنْ سَوَادِهِ
فتبيّنْتُ أنّــهُ ... تائــهٌ فى رُقاده
أو تفانَتْ نُجُومه ... فبَــدا فى حِدادِهِ

(٩) أبو الفضـــل الميكالى

وقال الأمير أبو الفضل عُبَيد الله الميكالى بقية آل مِيكال أُمراءِ فارس فى التوجع وشكوى الدَّهر :

يا دَهْرُ ما أقساكَ يا دَهْرُ ... لم يَحْظَ فيكَ بِطائلٍ حُرُّ
أمّا اللئامُ فأنتَ صاحِبُهم ... ولَهُمْ عليكَ العطْفُ والنَّصْرُ
يَبْقَى اللئيمُ مَدَى الحياة فلا ... يَرتاعُ مِنه لِحَادِثٍ صَدْرُ
تصفو له الدنيا بِلا كَدَرٍ ... ويُطيعُــه فى عَيْشِهِ اليُسْرُ

(١) هو أبو الحسن السرى بن أحمد الرفاء الكندى الموصلى الشاعر المشهور كان يتكسب فى صباه برفو الثياب وتطريزها ، ثم نظم الشعر وأجاده . توفى ببغداد حوالى سنة ٣٦٦ هـ .

فَوامُه سَهلٌ، وكوكَبُه ... سَعدٌ، وغُصنُ سُرورِه نَضِر
وعلَى الكريم يدٌ يُسلِّطُها ... منكَ الجفـاءُ المُرُّ والقَسْر
انْ نابَ خَطْبٌ فهوعُرضَتُه ... يَقْرِيه منـه النَّابُ والظُّفْر
أو يبـغِ مَعْروفًا لديك غدَا ... يَنْحِي عَليـهِ حادِثٌ نُكْر
مَرْعاهُ جدْبٌ ،والحظوظُ له ... حَربٌ ، وجانِبُ عيْشِه وَعْر
وجَناهُ شَوْكٌ ، والبُحورُ لَه ... وَشَلٌ ، وحَشْوُ فؤاده جَمْر
يادهْرُ دَعْ ظُلْمَ الكِرامِ فهمْ ... عِقْدٌ لنَحْرِك لَوْ دَرَى النَّحْر
سالمْهمُ، واستَبْقِ وُدَّهمُ ... فهمُ نجومُ ظَـلامِك الزُّهْر

وقال فى الوصف :

أهلًا بنَرجِس رَوْضٍ ... يَزْهَى بحُسنٍ وطِيبِ
يرنُو بِعَينـِ غَزالٍ ... على قَضيبٍ رَطيب
وفيـه مَعْنًى خَفِيٌّ ... يَزِينُـه فى القلوب
تصحيفه ان نسقتَ الْـ ... ـحُـروفَ بِرُّ حبيب

(١٠) الأبيـــوردى (١)

قال :

قالوا: هجرتَ الشعرَ. قلتُ : ضرورةٌ ... بابُ البـواعث والدواعى مُغْلَقُ
خلَتِ البـلادُ، فـلا كريمٌ يُرتَجى ... منه النـوالُ ، ولا مَليحٌ يُعشَـق
ومن العجائب أنـه لا يُشـتَرَى ... ومع الكسـاد يُخانُ فيـه ويُسرقُ

(١) هو أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردى الأموى الشاعر المشهور . ولد بأبيورد من بلاد خراسان ، ومات بأصبهان سنة ٥٥٧ هـ .

وقال أيضا يستحث على اقتفاء أثر الآباء الكرام :

يأبى — وإن عظم الفداء — فتى   للهم فى جنبيه معترك
نبهته والليل معتكر   ونجومه فى الأفق تشتبك
ومشى على كسل، فقلت له   عثرت بك الوخادة الرمك (١)
أرضيت أمرا لا يزال به   فى الذل عرض أخيك ينتهك
والدهر يرمى بالخطوب، وفى   غلوائها الأيام تنهمك
ما نحن من سوق فنشبههم   لم ينمنا إلا أب ملك (٢)
فانظر الى الأجداد كيف سعوا   للمكرمات وأية سلكوا
هلا أخذت بهديهم ! فهم   تركوا العلا لك. فارع ما تركوا
واطلب مداهم؛ إنهم نفر   عاشوا بذكرهم، وقد هلكوا
وإذا عجزت ولم تلم به   فالعجز بعد طلابه درك

(١١٠) الطغرائى (٣)

وقال مؤيد الدين الطغرائى فى الغدير :

نجنا الى الجزع الذى مد فى   أرجائه الغيم بساط الزهر (٤)
حول غدير ماؤه المنتمى   الى بنات المزن يشكو الخصر (٥)

(١) الرمك : اسم جمع لرمكة، وهى الفرس . والوخادة السريعة الجرى .
(٢) السوق : جمع سوقة، وهم الرعية والدهماء .
(٣) هو مؤيد الدين الأستاذ العميد فخر الكتاب آخر فحول المشرق فى الشعر ومن شعره لامية العجم المشهورة، وله ديوان مطبوع قتل فى فتنة سياسية سنة ٥١٣ هـ .
(٤) نجنا : ملنا، والجزع : المتسع المنبت من الوادى أو وسطه ذو الأشجار والنبات .
(٥) المزن : السحاب، والمراد بالبنات مطرها . والخصر : البرودة فى الماء .

لـو لاذت الريحُ سَمُــوما بِه لانقلبتْ وهْى نَسيمُ السَّحر (١)
حَصبــاؤه دُرٌّ ورَضْراضُــهُ سُحالةُ العَسْــجدُ حوْل الدُّرَرْ (٢)
وقد كسَتْه الريحُ من نَسْجِها دِرعًا بهـا يَلْقَ نِبالَ المَطَــر
وألْبستْه الشمسُ من صِبْغِهـا نُورًا به يَخطِفُ نُورَ البَصَــر
كأنَّهُ المــرآةُ مَجْــلُوَّةً على بِساطٍ أَخْضَرٍ قــد نُشِرْ

وله فى الأعداء والحساد :

جامِلْ عَدُوّكَ ما استطعت، فإنه بالرِّفْق يُطْمَعُ فى صَـلاحِ الفاسِـدِ
واحذرْ حَسودَك مااستطعتَ، فإنَّه إن نِمْتَ عنه فليس عنـكَ براقد
إن الحســودَ وإن أرَاكَ تَوددًا مِنْهُ أضرُّ مِنَ العَـــدُوِّ الحــاقد
ولرُبَّمــا رَضِيَ العـــدُوُّ إذا رأى منـكَ الجميــلَ فَصارَ غيْرَ مُعـانِد
ورِضَا الحَسُودِ زوالُ نِعمتك التى أُوتيتَها مِــن طارِفٍ أو تالــد
فاصْبِرْ على غَيْظِ الحسود فَنارُهُ تَرْمِي حَشاهُ بالعـذاب الخالــد
أوَ ما رأيتَ النــارَ تأْكُلُ نَفْسَها حتى تَعُــودَ الى الرَّمادِ الهــامِدِ
تضفُو على المحسودِ نِعمــةُ ربه ويذُوبُ مِن كَمَدٍ فُؤَادُ الحاسِـدِ

وقال :

خَبَّرُوها أنِّى مَرِضتُ ، فقـالَتْ: أَضَنًى طارِفًا شَــكا أم تَلِيــدا ؟
وأشارُوا بأَنْ تَعُـودَ وِسادِى فأَبَتْ، وهى تشتَهِى أنْ تَعُودا

(١) لاذت الريح : التجأت ومالت اليه . أى أنه لنداه وطيب جوه لو جاءته ريح سموم حارة لبردت وأشبهت نسيم السحر . (٢) الرضراض : صغار الحصى . العسجد : الذهب، وسحالته : برادته .

وأتَتْنِي في خِفْيةٍ ، وهي تَشكو ... رِقْبَــةَ الحَيّ والمَزَارَ البَعيــدَا
ورأتْنِي كذا، فلم تَتَمالَكْ ... أن أمالتْ عَليّ عِطْفا وجِيدَا
ثم قالتْ لِتِربِها وهي تَبكي ... وَيْحَ هـذا الشباب غَضًّا جَديدا !
زَوْرَةٌ ما شَفَتْ غَليلًا ولكن ... ضَرَّمَتْ جَمْـرَةَ الفُؤاد وُقُــودا
وتولتْ بِحَسرة البَين تُخْفِي ... زَفَراتٍ أبَيْنَ إلا صُــعُودا

(١٢) المرتضى الشهرزورى أبو محمد عبد الله المتصوف المتوفى ســنة ٥١١ هـ

قال من قصيدته المشهورة التي يقال إنه لم يقل مثلها في معاني أهل الطريق :

لمعت نارهُم، وقد عَسْعَس اللّيـ ... ـل،ومَلّ الحادي، وحارَ الدليلُ (١)
فتأملتُهـا، وفكري من البيـ ... ـنِ عليـلٌ ، ولحظُ عيني كليـلُ
وفؤادِي ذاك الفــؤادُ المُعَنّى ... وغرامي ذاك الغرامُ الدَّخيـلُ
ثمّ قابَلْتُهـا ، وقلت لصَحْبي : ... هــذه النـارُ نار ليـلَى فميلوا
فرَمَوْا نحـوَها لِحاظًا صَحيحا ... تٍ، فعادتْ خواسئًا وهي حُول (٢)
ثم مالوا إلى المـلامِ ، وقالوا: ... خُلَّبٌ ما رأيتَ أم تخييـلُ؟ (٣)
فتجنبتهـم ، وملتُ إليهـا ... والهـوى مركبي ، وشوقي الزَّميلُ

وهي طويلة عذبة العبارة لطيفة الاشارة ذكرها ابن خلكان بأكملها فراجعها إن شئت .

---

(١) عسعس الليل : أقبل ظلامه . (٢) فعادت خواسئا : أى كليلات ضعيفات الإبصار .
(٣) البرق الخلب : الكاذب الذى ليس وراءه مطر .

(ب) النـــــثر

أوّلا ــ النـــثر الفـــنى

(١) لابن العميد فى التهديد واللوم(١)

كتابى وأنا مُتَرَجِّحٌ بين طمَع فيك ويأس منك، وإقبالٍ عليك، وإعراض عنك، فإنك تُدِلُّ(٢) بسابِق حُرمة. وتَمُتُّ(٣) بسالف خِدمة. أيسرُهما يُوجِبُ رِعاية، ويَقتضى محافظة وعناية. ثم تشفَعُهما بحادثِ غُلول(٤) وخيانَة، وتُتْبِعُهما بآنف خِلاف ومَعصية. وأدنى ذلك يُحبِط(٥) أعمالَك، ويَسحَقُ كلَّ ما يُرعَى لك، لاجَرَمَ أنى وقفتُ بين مَيل إليك وميل عليك، أُقدِّمُ رِجلا لِصـدِّك، وأؤخر أخرى عن قَصْدِك، وأَبسُطُ يدًا لإصطلامك(٦) واجتياحك، وأَثنى ثانية لاستبقائك واستصلاحك، وأتوقَّفُ عن امتثال بعض المأمور فيك. ضَنًّا بالنعمة عندك، ومنافسةً فى الصنيعة لديك، وتأميلا لفَيْئَتِك(٧) وانصرافك، ورجاءً لمراجعتك وانعطافك؛ فقـد يَعْزُبُ(٨) العقل ثم يؤوب. ويعزب

(١) هو الأستاذ الرئيس أبو الفضل محمد بن الحسين العميد كاتب المشرق ووزير عضد الدولة البويهى وصاحب طريقة الشعر المنثور توفى سنة ٣٦٠ هـ.

(٢) الادلال: الانبساط وفرط الثقة بالمدل عليه.

(٣) وتمت: تتوسل وتتصل.

(٤) الغلول: الخيانة.

(٥) ويحبط: يبطل.

(٦) الاصطلام: الاستئصال ومثله الاجتياح.

(٧) لفيئتك: لرجوعك أى إلى الطاعة.

(٨) يعزب: يذهب، ويعزب: يغيب ويزول ويذهب.

اللُّبُّ ثم يثوب . ويَذْهَبُ الحَزْم ثم يعود . ويَفسُد العَزْم ثم يَصْلُح . ويُضاع الرأى ثم يُستَدْرك ، ويَسكَرُ المرءُ ثم يَصحو ، ويكْدُرُ المـاءُ ثم يصفو ، وكل ضِيقة إلى رخاء . وكلُّ غَمْرة[(١)] فإلى انجلاء . وكما أنَّكَ أتيتَ من إساءَتك بما لم تحتسبْهُ أولياؤُك ، فلا بِدْع أن تأتِيَ من إحسانك بمـا لا تَرتقبه أعداؤُك . وكما استمَرّتْ بك الغفلةُ حتى رَكِبْتَ ما رَكِبت ، واخترت ما اخترت ، فلا عجب أن تنتبه انتباهةً تُبصِرُ فيها قُبحَ ما صنَعت ، وسـوءَ ما آثَرتَ . وسأُقيمُ على رَسْمِى فى الإبقاء والمـاطلة ما صَلُح ، وعلى الاستيفاء[(٢)] والمطاولة ما أمكن ، طمَعًا فى إنابتك ، وتحكيما لحُسن الظنّ بك . فلستُ أَعْدَم فيما أُظاهِرُه من إعذار[(٣)] ، وأُرادِفُه من إنذار ، احتجاجًا عليك ، واسـتدراجا لك ؛ فإن يَشَإِ اللهُ يرشـدْك ، ويأخُذْ بك إلى حَظِّك ويُسَـدِّدْك ؛ فانه على كل شيء قـدير وبالإجابة جدير .

وكتب أبو الفضل بن العميد الى أبى عبد الله الطبرى :

كتابى وأنا بحالٍ لَوْ لَمْ يُنغِّصْ منها الشوقُ إليك ، ولم يُرَنِّق[(٤)] صَفوَها النزاعُ نحوك[(٥)] ، لَعَدَدتُها مِن الأحوالِ الجميلة ، وأعددتُ حَظِّى منها فى النِّعَم الجليلة ، فقد جمعتُ فيها بين سلامةٍ عامّة ، ونعمةٍ تامّة ، وحَظِيتُ منها فى جسمى بصَلاح ، وفى سَعْيى بنجاح ؛ لكنْ ، ما بَقِىَ أن يَصفوَ لِى عَيْشٌ مع بُعدِى عنك ، ويخلُوَ ذَرْعى[(٦)] مع خُلُوِّى منك ،

(١) الغمرة : التغطية بالمـاء كموجة البحر تغمر السابح ثم تنكشف عنه . والمراد بها هنا المرة من حدوث الشدائد والمحن والمصائب . (٢) الاستيفاء : التمهل والإنظار . (٣) من عمل ينفى عذرك فى المعصية ويكفل الرضا عنك . (٤) يرنق : يكدر . (٥) النزاع نحوك : الميل والشوق اليـك (٦) أصل الذرع : مصدر ذرع بمعنى قاس بالذراع . ويراد به هنا على التشبيه الطاقة وسعة النفس .

ويسوغ لى مَطعَمٌ ومشربٌ مع انفرادِى دونَك . وكيف أَطمَعُ فى ذلك وأنت جزءٌ من نفسى ، وناظمٌ لِشَـمل أُنسى . وقد حُرِمتُ رُؤيتَك ، وعَدِمتُ مُشاهدتَك . وهل تَسكُنُ نَفْسٌ مُتَشَعِّبَةٌ ذاتُ انقسام، وينفعُ أُنْسُ بَيْتٍ بلا نظام . وقد قرأْتُ كِتابك ـــ جعَلَنى اللهُ تعالى فداءَك ـــ فامتلأْتُ سُرورًا بمُلاحظةِ خطِّك ، وتأمُّلِ تصرُّفك فى لَفْظِك ، وما أُقَرِّظُهما ؛ فكل خصالك مقرَّظ عندى ، وما أَمدَحُهما ؛ فكل امرِك ممدوحٌ فى ضميرى وعَقْـدِى [1] . وأرجو أن تكونَ حقيقةُ أَمْرِكَ مُوافقةً لتقديرى فيك، فإنْ كانَ كذلك وإلَّا فقد غطَّى هَواكَ وما أَلْقَى على بَصَرى .

(٢) وللصاحبِ ابن عبَّادٍ [2] رقعــة الى القــاضى أبى بشر الفضل بن محمـــد الجرجانى عنـــد وروده باب الرَّىّ وافدا عليــه

تحدَّثتِ الرِّكابُ بِسَيْرِ أَرْوَى ... إلى بلدٍ حَطَطْتُ به خيـامى [3]

فكِدتُ أطيرُ من شوقٍ إليهـا ... بقادمــة كقادمة الحَمـام

أَلْحَقُّ ما قيل أَمرُ القادم، أم ظَنٌّ كأمانىّ الحالم؟ لا واللهِ ! بل هو دَرْكُ العِيان، وإنه ونيلَ المُنَى سِيّانِ، فمرحبًا أيها القاضى براحلتك ورَحْلِك ! بل أهلًا بك

(١) العقد هنا : الاعتقاد أو العهد .

(٢) هو كافى الكفاة أبو القاسم إسماعيل الصاحب ابن عباد وزير آل بويه وكاتبهم وأحد أعلام البلغاء والكتّاب من حلبة ابن العميد فى كتابة الشعر المنثور توفى سنة ٣٨٥ ﻫ .

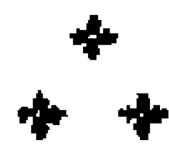
(٣) أروى : اسم امرأة .

وبكافة أهلك، ويا سُرعةَ ما فاح نسيمُ مَسْراك، ووجدنا ريحَ يوسفَ من ريّاك. فحُثَّ المطىّ تزل غلّتى بسُقْياك، وتُزِحْ علّتى بلُقياك، ونُصَّ على يوم الوُصول لنجعله عيدا مشرَّقًا، ونتّخذه موْسِمًا ومُعَرَّفًا (١). وردُّ الغُلامَ، أسرعَ من رَجْع الكلام، فقد أمرْتُه أن يَطيرَ على جَناح نَسْر، وأن يترُكَ الصَّبا فى عِقالٍ وأسْر (٢):

سقى اللهُ داراتٍ مرَرْتَ بأَرضِها فأدَّتْك نحوِى يا زيادُ بنَ عامرِ

أصائلُ قُربٍ أرْتَجِى أَنْ أنالَها بلُقياكَ قد زَحْزَحْنَ حَرَّ الهواجرِ

" وله فصل من كتاب الى ابن العميد جوابا عن كتابه اليه فى وصف البحر، وكان أبو بكر الخوارزمى يحفظه، وكثيرا ما كان يقرؤه، ويَتعجَّبُ السامعون من فصاحته ".



وصل كتابُ الأستاذِ الرئيس صادرًا عن شَط البحرِ بوَصْفِ ما شاهدَ من عجائبِه، وعايَنَ مِن مراكبِه، ورآهُ من طاعةِ آلاتِها للرِّياح كيف أرادَتْها، وآستجابةِ أدواتِها لها متى نادتْها، وركوب الناس أشباحَها والخوفُ بمَرْأى ومَسْمَع، والمنونُ بمَرْقَبٍ ومطلَع، والدهرُ بينَ أخذ وترْك، والأرواحُ بين نجاةٍ وهُلْك، إذا فكَّروا فى المكاسب الخطيرة هانَ عليهم الخَطَر، واذا لاحت لهم غُرَرُ المَطالبِ الكثيرة حُبِّبَ اليهمُ الغَرَر. وعرَفتُ ما قالَه مِن تَمَنِّيه كَوْنِى عندَ ذلك بحضرتِه، وحصولى

(١) المعرف بصيغة اسم المفعول: موقف عرفات، شبه به قدومه عليه.

(٢) أى يسبق فى سرعته ريح الصبا حتى كأنها فى جانبه مأسورة. أخذه من قول امرئ القيس (قيد الأوابد هيكل).

على مُساعدته، ومَن رأى بَحْرَ الأستاذِ كيفَ يَزْخَرُ بالفضل، وتتلاطمُ فيه أمواجُ الأدب والعلم، لم يَعْتِبْ على الدهرِ فيما يُفيتُهُ من مَنظَر البحر. ولا فضيلةَ له عندى أعظَمُ من إكبارِ الأستاذ لِأحْوالِه، وآستعظامِه لأهوالِه، كما لا شَىْءَ أبلغ فى مفاخره، وأنفس فى جواهره، من وصف الأستاذ له؛ فإنى قرأتُ منه الماء السَّلْسالَ[1] لا الزُّلال، والسِّحْرَ الحَرامَ[2] لا الحلال. وقد علِمَ أنه كَتَبَ وَمَا أخْطَر بفكره[3]، سَعَةَ صدره، فلَوْ فَعَلَ ذلك لَرَأى البحرَ وَشَلًا[4] لا يفضُلُ عن التَّبَرُّض[5]، وثَمَدًا[6] لا يكثُرُ عن التَّرَشُّف[7].

وكم مِن جبالٍ جئتَ تشهد أنك الـ ... ـجبال، وبحرٍ شاهدٍ أنك البحر

(٣) الخُــوارَزْمىُّ[8]

كتب الى قاضى سجستان حين نَكَبَهُ أميرُها:

إذا ما الدهر جرّ على أناسٍ ... كلاكله أناخ بآخرينا[9]

فقُلْ للشامتين بنا: أفيقوا ... سيلقَى الشامتون كما لقينا

---

(١) أى الكلام المتسلسل لا الماء الحقيق البارد وفيه تفضيل المشبه على المشبه به.

(٢) أى الحرام على غيرك؛ فلا يستطيع مجاراتك فى إنشائه وقوله (لا السحر الحلال) يريد به الانشاء الذى فى امكان كثير من البلغاء ممن لا يبلغون شأو ابن العميد.

(٣) أى جعل سعة صدره تخطر بباله وفكره. (٤) الوشل: الماء القليل.

(٥) التبرض: التبلغ بالماء القليل للضرورة. (٦) الثمد: الماء القليل.

(٧) الترشف: الشرب قليلا قليلا والامتصاص.

(٨) هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمى الكاتب الشاعر اللغوى الأديب المؤلف الرحالة المدرس المتوفى سنة ٣٨٣ هـ. (٩) الكلاكل: جمع كلكل. وهو الصدر، أى إذا برك الدهر على قوم بصدره أناخ وبرك أيضا بعد زمن بآخرين.

أما بعد — أيّد الله تعالى القاضي — فإنه لم يُحسِنْ إلى غيره من أساءَ إلى نفسه، ولم ينْصُرْ أصدقاءه، من خَذَل حَوْباءه؛ وإنما يُحب المرءُ أخاه بما فَضَلَ عن محبته لروحه التي له خيرُها، وعليه ضَيْرُها. وكانت محْنَةُ القاضي مِحنةً (١) شمِلَتْ الأنام، وخصّت الكرام، ووجب على كلّ مَن اشتمّ روائحَ العقل، وميّز بين النقصان والفضل، أن ينفطرَ لها ألمًا، وأن يبكيَ عندها دمًا. وخلَص اليَّ من ذلك ما أضحك منّي الأعداء، وأبكى لي الأصدقاء، حتى رَحِمَني من كان يحسُدني، وحتى عجِبَ من جزَعي مَن كان يُصَبِّرُني، وحتى غضَضْتُ طَرْفا طالما رفعتُه، وقبضتُ بنانًا طالما بَسطتُه، وحتى عُزِّيتُ كما يُعزَّى الثّكلان (٢)، وسُلِّيتُ كما يُسَلَّى اللّهْفان. وأنا بعد ذلك أستصغر فعلَ نفسي وهي جَزِعَةٌ هَلِعةٌ (٣)، وأستقلُّ سَعْيَ عيْني وهي سخينةٌ دَمِعة (٤). وكان يجِبُ على مُقتضَى هذه الجملة، وأساس هذه البِنية، أن أحضُرَ مجلسَ القاضي فأُصابِرَه نهارًا، وأساهرَه ليلًا، وتكون المحنةُ بيني وبينه أحملُها عنه، ويحملُها عنّي؛ ولكنّي علمتُ أنّ والينا هذا رجلٌ ينظُرُ الى الذنب الخفيّ، ويتغابَى عن العُذْر الجَليّ. وله أُذُنانِ: واحدةٌ يسمَعُ بها البلاغات وهي كاذبة، وأخرى يَصَمُّ بها عن المعاذير وهي صادقة، وليس بينه وبين العَفْو نَسَب، ولا لَهُ الى التثبُّت طريقٌ

(١) المحنة : الشدّة والمصيبة .

(٢) الثكلان : الفاقد ولده .

(٣) جزعة هلعة : شديدة الحزن .

(٤) سخينة دمعة : ساخنة من الوجع، سريعة الدمعة .

ولا مذهب . ولو تعرضتُ لسَخَطِه، بعد ما عرفتُــه من شَطَطِه (١) ، لتحمَّلتُ دونه الوزر فى ظُلمى ، ولكنتُ مُقَدِّمتَــه إلى ذَمّى . ومَن قعد تحتَ الرِيبة رِكبْته ، ومن تعرَّضَ للظِّنَّة نالته .

ومَن دعا الناسَ الى ذَمه ذَمُّوه بالحـق و بالباطل

وأَقَلّ ما كان ينبعثُ من حُضورى أن يَثِبَ هــذا الجَبّارُ وَثبةً يصونُ القاضى عنها ، و يبتذلُنى بهــا ، فأكونَ قــد ضررتُ نفسى ، ولم أنفع غيرى ؛ فإذا بالمحنــة قد تضاعفَتْ على القاضى ضِعْفَيْن ، وتكررت عليه كَرَّتين ؛ يرى بوَلىٍّ من أوليائه داءً لا يقدِرُ على دَوائه ، ويرى وَقودًا لا يصِلُ إلى إطفائه ، ويَتَبيَّنُ فى حالةٍ متصلةٍ بحاله (٢) ثُلْمةً (٣) لا يُمكِنُ سَدُّها ، ومحنةً لا يستوِى له ردُّها . فلمــا مَثَّلْتُ بيْنَ تخلُّفى آمِنا ، وحُضورى خائفا ، عَدَلْتُ بين طَرَفَىِ الرَّزيَّة ، ووزنتُ بين مِقدارَى المحنــة ، فرأيتُ أن أميلَ مع السلامة وأقنَعَ مِن العمل بالنِّيَّة ، وأغتفر عُهدةَ التفصيل لِصحّة الجُملة ، فغِبتُ وكُلّى غيرَ جسمى شاهِد ، وتحيَّزْتُ (٤) وما أنا إلا مُشاهد ، و بعدتُ وقلبى قريب ، و باينْتُ وقلبى سَهيم ، وأغضيتُ على عَين كلُّها قَذًى (٥) ، وانطويتُ على صَــدرٍ كلُّه شَجًا (٦) ، وانصرفتُ بقلب ساخط راضٍ ، وأغمضتُ بجفن ضاحك باكٍ ، وقلت :

(١) شططه : جوره وتعدّيه الحدود .

(٢) أى فى حالى المتصلة المرتبطة بحاله .

(٣) الثلمة : فرجة المكسور أو المهدوم .

(٤) تحيزت : انحرفت وملت ، وتنحيت من جهة الى جهة .

(٥) القذى : ما يدخل فى العين من جسم غريب عنها .

(٦) الشجا : ما ينشب و يعلق فى الحلق من شوكة ونحوها .

فان تسجنوا القسرىَّ لا تسجنوا اسمه ... ولا تسجنوا معروفه فى القبائل(١)

ولقد نسجت فى ذمّ الظالم حُللًا لا يبلّها الماء، ولا يجففها الهواء، ولا تغطى عليها الظلماء. والمغبونُ من احتقب(٢) الإثم، والغارمُ من غرم العِرض، والرابحُ من محنته فانية، ومثوبته باقية. ولو أُنصف الظالم لكان يعزّى، ولو أُنصف المظلوم لكان يهنى. جعل الله — تعالى — هذه الحادثة بتراء عقماء ليس لها مدد(٣)، ولا ليومها غد، وجعل العمل بها آخر عهد القاضى بالعُسْر، وخاتمة لقائه لِرَيْب الدهر، ولا حرمه فيما نزل به مثوبة الصابرين، ولا أخلاه فيما بعده من مزيد الشاكرين برحمته.

(٤) وللبديع(٤) يعتذر

يعز علىّ أطال الله بقاء الرئيس. أن ينوب فى خدمته قلمى، عن قدمى، ويسعد برؤيته رسولى، دون وصولى. ويرد مَشْرَعَ(٥) الأنس به كتابى، قبل ركابى؛ ولكن ما الحيلةُ والعوائق جمّة!

وعلىَّ أن أسعى وليـ ... ـس علىَّ إدراكُ النجاح

(١) تمثل بهذا البيت، وهو مقول فى خالد بن عبد الله القسرى والى العراق للخليفة هشام؛ غضب عليه فسجنه، ثم أمر بقتله.

(٢) احتقب الشىء: جعله فى حقيبته.

(٣) أى لا يعقبها غيرها.

(٤) هو أبو الفضل أحمد بن الحسين الكاتب المترسل والشاعر المبدع صاحب المقامات المشهورة نشأ بهمذان ونبغ فى الأدب وتكسب به لدى الملوك والأمراء مات سنة ٣٩٣ هـ.

(٥) المشرع: مكان ورود الشاربة من الماء.

وقد حضرتُ دارَه . وقبَّلْت جِدارَه ، وما بى حبُّ الجُـدران ، ولكن شغفًا بالقُطَّان . ولا عِشقَ الحيطان، ولكن شوقًا الى السكان . وحين عَدت العـوادى عنه أمليتُ ضميرَ الشوق على لسان القلم معتذرا إلى الشيخ على الحقيقة — لا عن تقصيرٍ وقع، أو فُتُور فى الخدمة عرض، ولكنى أقول :

إن يكن تركى لقصدك ذنبًا   فكفى ألا أراك عِقابا

وكتب الى أبى بكر الخوارزمى عند قدومه عليه بنيسابور وكان قُطَّاع الطريق من الأعراب سلبوه مالَه وثيابَه :

أنا لِقرب الأستاذ أطال الله بقاءه " كما طرِب النشوانُ مالت به الخمر " ومن الارتياح للقـائه ، " كما انتفض العُصـفور بلَّله القَطْرُ " ومن الامتزاج بولائه " كما التقت الصهباءُ والباردُ العذب " ومن الابتهاج بمرآه " كما اهتز تحت البارح (١) الغصنُ الرطب " فكيف نشاطُ الأستاذِ لصـديقٍ طوَى إليه ما بين قَصَبتَى (٢) العراق وخُراسان ، بل ما بين عَتبَتَى نيسـابور وجُرجان ، وكيف اهتزازُه لضيف فى بُردة جمَّـال، وجِلدة حمَّال.

رَثُّ الشمائل مُنْهَجُ (٣) الأثوابِ   بَكَرَتْ عليه مُغيرةُ الأعراب

وهو أيده الله وَلىّ إنعامه، بانفاذِ غلامه، الى مسـتقرى، لأُفْضى إليه بسرى إن شاء الله تعالى .

---

(١) البارح : الريح الحارة فى الصيف .
(٢) القصبة هنا : حاضرة الإقليم ومقر الحاكم .
(٣) منهجَ الأثواب : باليها .

المقامة الأولى القريضية للهمذانى

حدثنا عيسى بن هشام قال :

طرحتني النوى مطارحها، حتى اذا وطئت جرجان الأقصى، فاستظهرت على الأيام بضياع أجلت فيها يد العمارة، وأموال وقفتها على التجارة، وحانوت جعلته مثابة، ورفقة اتخذتها صحابة، وجعلت للدار حاشيتى النهار، وللحانوت ما بينهما. فجلسنا يوما نتذاكر القريض وأهله، وتلقاءنا شاب قد جلس غير بعيد، ينصت وكأنه يفهم، ويسكت وكأنه لا يعلم، حتى اذا مال الكلام بنا ميله، وجر الجدال فينا ذيله، قال : قد أصبتم عذيقه، ووافقتم جذيله[1]، ولو شئت للفظت وأفضت، ولو قلت لأصدرت وأوردت، ولجلوت الحق فى معرض بيان يسمع الصم، وينزل العصم[2]. فقلت : يا فاضل ادن فقد منيت، وهات فقد أثنيت، فدنا وقال : سلونى أجبكم، واسمعوا أعجبكم، فقلنا : ما تقول فى امرئ القيس؟ قال : هو أول من وقف بالديار وعرصاتها، واغتدى والطير فى وكناتها، ووصف الخيل بصفاتها. ولم يقل الشعر كاسبا، ولم يجد القول راغبا، ففضل من تفتق للحيلة لسانه، وانتجع للرغبة بنانه. قلنا: فما تقول فى النابغة؟ قال: ينسب اذا عشق، ويسلب اذا حنق، ويمدح اذا رغب، ويعتذر اذا رهب، ولا يرمى إلا صائبا، قلنا : فما تقول فى زهير؟

(١) العذيق : تصغير العذق (بكسر العين) وهو كباسة التمر من النخلة . والتصغير هنا للتعظيم، وكذلك الجذيل تصغير الجذل (بكسر الجيم) وهو ما عظم من أصول الشجر بعد ذهاب الفروع، ومنه المثل : « أنا جذيلها المحكك وعذيقها المرجب » يضرب لمن تباهى بكرمه واشتهار نفسه؛ لأنهم يرجبون عذق النخلة الكريمة، أى يربطونه بسعفها لئلا ينقصف، وكانوا يتركون الجذل لتحتك به الإبل .

(٢) العصم : جمع أعصم وهو الوعل، يكون فى الجبال .

قال : يُذيبُ الشعرَ والشعرُ يُذيبُه ، ويدعو القولَ والسحرُ يُجيبُه . قلنا : فما تقول فى طَرَفة؟ قال : هو ماء الأشعار وطينتُها ، وكنزُ القوافى ومَدينتُها ، مات ولم تظهرَ أسرارُ دفائنه ، ولم تُفتَح أغلاقُ(١) خزائنه . قلنا : فما تقول فى جرير والفرزدق؟ وأيهما أسبق؟ قال : جريرٌ أرقُّ شِعرا ، وأغزرُ غزْرًا(٢) ، والفرزدق أمتَنُ صخْرا ، وأكثرُ فخْرا ، وجرير أوجعُ هَجْوًا وأشرفُ يوما ، والفرزدقُ أكثرُ رَوِيًّا(٣) وأكرمُ قوما ، وجريرٌ اذا نَسَب أشجَى(٤) ، واذا ثَلَب أردى ، واذا مدح أسنَى(٥) . والفرزدقُ اذا افتخرَ أجزَا(٦) ، واذا احتقر أزرَى ، واذا وصف أوفى . قلنا : فما تقول فى المُحْدَثين من الشعراء والمتقدّمين منهم ؟ قال : المتقدّمون أشرفُ لفظا ، وأكثر من المعانى حظًّا ، والمتأخرون ألطفُ صُنعا ، وأرقُّ نسْجا . قلنا : فلو أريتَ من أشعارك ، ورَوَيْتَ لنا من أخبارك ! قال : خذهما فى معرِض واحد . وقال :

إمَّا ترَوْنِى أتغشَّى طِمْرا(٧) مُمتَطِيًا فى الضُّرِّ أمرًا إمْرا(٨)
مُضْطَبِنًا على الليالى غِمْرا ملاقيا مِنها صُروفًا حُمْرا(٩)

---

(١) الأغلاق : جمع غلق ، وهو ما يغلق به الباب (الكالون)

(٢) غزرا : مصدر غزر .

(٣) أى أنه متنوّع القوافى .

(٤) لغة فى شجا : بمعنى أحزن .

(٥) أسنى : رفع ، أى رفع الممدوح .

(٦) مسهل أجزأ بالهمزة : بمعنى كفى وأغنى .

(٧) الطمر : الثوب البالى .

(٨) أمرا إمرا : منكرا عجبا .

(٩) الحمر : جمع حمراء ، يريد صروفا شديدة الوقع .

أقصى أمانيَّ طلوعُ الشِّعرى فقد عَنينا بالأمانى دَهْرا(١)
وكان هذا الحُرُّ أعلَى قَدْرًا وماءُ هذا الوجه أغلى سِعرا(٢)
ضربتُ للسَّرَّا قِبابا خُضرا فى دار دارا وَإِوانِ كسرى(٣)
فانقلبَ الدهرُ لبطنٍ ظَهْرا وعاد عُرْفُ العيشِ عندى نُكْرا
لم يَبْقَ من وَفْرِىَ الا ذِكْرى ثم الى اليــوم هَلُمَّ جَرّا
لولا عجوزٌ لى بسُرَّ مَنْ را وأفرخٌ دونَ جِبال بُصرى(٤)
قد جَلَبَ الدهرُ عليهم شَرّا قتلتُ ياساداتُ نفسى صَبْرا

قال عيسى بن هشام . فأنَلْتُه ما تَاحَ(٥) ، وأَعرضَ عَنَّا فراح . فجعلتُ أُنفيه وأُثبتُه ، وأنكره وكأنّى أعرفه ، ثم دلَّتْنِى عليه ثَناياه ، فقلت : الإسكندرىُّ والله ! فقد كان فارقنا خِشْفًا(٦) ووافانا جِلفا(٧) . ونهضتُ على أثَرِه ، ثم قبَضتُ على خَصْرِه ، وقلت :

---

(١) الشعرى : نجم يطلع فى الصيف ، ولا يحتاج الفقير العارى فيه الى دثار .

(٢) يريد بالحر نفسه .

(٣) السراء : الرخاء . ودارا ، وكسرى : من ملوك الفرس . وإيوان كسرى بهو عظيم ، كان فى قصره الأبيض بالمدائن ، وبه كان يسمى القصر كله . وخفف إيوان بحذف يائه لضرورة الشعر .

(٤) سرّ من را : اسم لمدينة (سر من رأى) التى بناها المعتصم العباسى . شمالى بغداد ، وبصرى : بلدتان ، واحدة قرب بغداد ، ولعلها هى التى يريد ، والثانية من بلاد حوران بالشام . يعنى أن له أما أو زوجا عجوزا بسر من رأى ، وأولادا صغارا بقرب جبال بصرى ، ولولا هؤلاء لقتل نفسه صبرا .

(٥) ما تاح : ما تهيأ وأمكن .

(٦) الخشف : ولد الظبية ، ويريد فارقنا صغيرا .

(٧) الجلف : الرجل الجافى .

ألستَ أبا الفتح ؟ ألم نُربِّك فينا وليدًا ولبِثتَ فينا من عمرك سنين ؟ فأىُّ عجوزٍ لك بسُرَّ من رأى؟ فضحك إلىّ وقال :

ويْحكَ هـذا الزمانُ زُورُ فلا يَغُـرَّنَّكَ الغـرورُ
لا تلتزِمْ حالةً ولكن دُرْ بِالليـالى كما تَدُورُ

(٥) المقامة التاسعة الاسكندرية للحريرى[1]

قال الحارثُ بنُ همَّام : طَحا بى[2] مَرَحُ الشَّباب،وهَوَى الاكتساب، الى أن جُبتُ ما بين فَرْغانَة[3] ، وغَانة، أخوضُ الغِمارَ، لِأجنىَ الثِّمار، وأقتحمُ الأخطارَ، لِكى أدركَ الأوطار. وكنتُ لَقِفتُ من أفواه العلماء، وثقِفتُ[4] من وَصايا الحكماء، أنَّه يَلزَمُ الأديبَ الأريب، اذا دخلَ البلدَ الغريب،أن يستميلَ قاضيَه، و يستخلصَ مَراضِيَه[5]، ليشتدَّ ظهرُه عند الخِصام، ويأمنَ فى الغُربة جَوْرَ الحُكَّام ؛ فاتّخذتُ هذا الأدبَ إماما، وجعلتُه لمصالحى زِماما؛ فما دخلتُ مَدينة، ولا وَلجتُ عَرِينة[6]، إلا وامتزجتُ بحاكمها امتزاجَ الماءِ بالرَّاح ، وتقوَّيتُ بعنايتـه تقوِّىَ الأجسادِ بالأرواح . فبينما أنا عندَ حاكمِ الإسكندرية، فى عَشِيَّةٍ عَرِيَّة[7] ، وقد أحضرَ مالَ

---

(١) هو أبو محمد القاسم بن على الحريرى البصرى إمام اللغة والأدب والنحو والإنشاء. توفى سنة ٥٢٢ هـ.

(٢) طحا بى : ذهب بى . والمرح : هو النشاط وشدة الفرح .

(٣) فرغانة : بلد بأقصى بلاد المشرق . وغانة : بلاد بالسودان الغربى . الغمار بالكسر : جمع غمرة وهى الكثير من الماء والمراد هنا الأمور الصعبة . (٤) وثقفت : أدركت .

(٥) مراضيه : أى رضاه . (٦) العرينة : مأوى الأسد .

(٧) عرية : أى شديدة البرد أو ذات ريح باردة .

الصَّدَقات، لِيَفُضَّهُ على ذَوِى الفاقات، إذ دخل شيخٌ عِفْرِيَةٌ (١)، تَعتِلُه (٢) آمرأةٌ مُصْبِيَة (٣).
فقالت: أيّد اللهُ القاضى، وأدام به التراضى، إنى آمرأة من أكرم جُرْثومة (٤)، وأطهر أُرومة، وأشرف خُؤُولة وعُمومة (٥)، مِيسَمِى الصَّوْن (٦)، وشِيمتى الهَوْن (٧)، وخُلُقِى نِعم العَوْن، وبَيْنى وبين جاراتى بَوْن (٨). وكان أبى إذا خَطَبَنِى بُناةُ المجد، وأربابُ الجَدّ، سَكَّتَهم وبَكَّتَهم (٩)، وعاف وُصْلتَهم وصِلتَهم، وآحتجّ بأنه عاهد الله تعالى بحَلْفة، أن لا يُصاهِرَ غيرَ ذى حِرفة. فقيّض القَدَرُ (١٠) لنَصَبى ووَصَبى (١١)، أن حضر هذا الخُدَعة (١٢) نادِىَ أبى، فأقسم بين رَهطِه (١٣)، أنّه وَفْقُ شَرْطِه، وادّعى أنه طالما نَظَم دُرَّة الى دُرّة، فباعهما بِبَدْرة (١٤). فاغترّ أبى بزَخرفة مِحاله، وزَوّجنيه قبلَ اختبارِ حاله. فلمّا استخرجنى من كِناسى (١٥)، ورحّلنى عن أُناسى، ونقلنى إلى كِسره (١٦)، وحصّلنى تحت أسْرِه، وجدتُه قُعَدَة جُثَمَة (١٧)، وألفيتُه ضُجَعَة نُوَمَة. وكنتُ صحبتُه بِرِياش وزِىّ (١٨)،

(١) عفرية: أى خبيث شديد الدهاء. (٢) تعتله: تجرّه بعنف وجفاء. (٣) مصبية: أى ذات صبيان. (٤) جرثومة: أى أصل وكذلك أرومة. (٥) خؤولة: جمع خال. وعمومة: جمع عم. (٦) ميسمى: شيمتى وما يعلم عنى. وأصل الميسم الآلة التى يكوى بها و يعلم. (٧) الهون: الرفق. (٨) بون: أى فرق وتفاوت فى الفضل. (٩) وبكتهم: قرعهم. (١٠) فقيض القدر: يعنى قدر الله تعالى. (١١) لنصبى: أى تعبى. ووصبى: مرضى. (١٢) الخدعة: أى كثير الخداع. (١٣) رهطه: أى قومه وعشيرته. (١٤) البدرة: عشرة آلاف درهم. (١٥) من كناسى: أى منزلى، وأصله بيت الظبى أو بقر الوحش. (١٦) كسره بفتح الكاف وكسرها: أى جانب بيته. (١٧) قعدة: كثير القعود. وجثمة: كثير الجثوم، أى يلازم الموضع الذى يقعد فيه. وضجعة: أى كثير الاضطجاع والكسل. ونومة: كثير النوم. (١٨) برياش: أى بمال ولباس فاخر.

وأثاثٍ ورِئْي(١)؛ فما بَرِح يبيعُــه فى سُوق الهَضْم(٢)، ويُتلِفُ ثمنَــه فى الخَضْم والقضم(٣)، الى أن مزَّق(٤) مالِى بأَسره، وأنفق مَالى فى عُسره . فلمــا أنسانى طَعمَ الراحة، وغادَر يَدِى أنقَى مِن الراحة(٥)، قلتُ له : يا هــذا ! إنه لا مَخْبأَ بَعــدَ بُوس(٦)، ولا عِطْرَ بعــد عَروس(٧)؛ فانهَضْ للاكتساب بِصناعتك، وأجْنِنى ثمرةَ بَراعتك . فزعَم أَن صــناعتَه قد رُمِيَتْ بالكَساد، لِمــا ظهــر فى الأرض من الفساد . ولِى منه سُــلالة(٨)، كأنه خِلالة، وكِلانا ما ينالُ معه شُبْعة(٩)، ولا ترقأُ(١٠) له من الطَّوى(١١) دَمْعة . وقد قُدْتُه اليك، وأحضرتُه لديك، لِتعجُم(١٢) عُودَ دعواه، وتحكُمَ بيْننا بما أراك الله . فأقبلَ القاضى عليه، وقال له : قد وَعَيتُ قَصَص عِرسك، فبرْهِنْ الآنَ عن نفسك، وإلَّا كشفتُ عن لَبْسك(١٣)، وأمرت بحَبسك ! فأطرق إطراقَ الأُفعُوان(١٤)، ثم شمَّر للحرب العَوان(١٥)، وقال :

اسمَــعْ حَــديثى فإنه عَجَبٌ ... يُضحَكُ مِن شَرحه ويُنتحَبُ
أنا آمرؤٌ ليس فى خصائصِــه ... عيبٌ ، ولا فى فَخَــاره رِيَبُ
سَروجُ دارِى التى وُلِدْتُ بهــا ... والأصلُ غَسّانُ حين أنتسِبُ

(١) والأثاث : هو متاع البيت . والرئى : حسن المنظر . (٢) الهضم هنا : الغصب والغبن والظلم . والمراد بيعه بأقل من القيمة . (٣) الخضم : أكل الرطب . والقضم : أكل اليابس، يريد أنه يصرف ثمنه فى أنواع الأكل واللذات . (٤) مزق مالى : أى فرّق الذى لى . (٥) الراحة : بطن الكف لنقائه من الشعر . (٦) بعد بوس : أى فقر . (٧) ولاعطر بعد عروس : هذا مثل قالته امرأة من عذرة مات عنها زوجها، واسمه عروس، فتزوجها رجل أبخر، وأمرها أن تتعطر فقالته .
(٨) سلالة : يعنى ولدا . خلالة : ما يخلل به . (٩) شبعة بالضم : قدر مايشبع به مرة .
(١٠) ولا ترقأ : أى تسكن . (١١) الطوى : الجوع . (١٢) لتعجم : لتختبر .
(١٣) عن لبسك : إشكالك وتعمية أمرك . (١٤) الأفعوان : ذكر الأفاعى . (١٥) العوان : الحرب التى قبلها حرب، وهى تكون أشدّ من الأولى .

وشُغلىَ الدرسُ ، والتبحُّرُ فى العِلْـ ـم طِـلابى، وحبّـذا الطلَبُ
ورأسُ مالى سِحرُ الكلام الذى مِنـه يُصاغُ القَريضُ والخُطَبُ (١)
أغوصُ فى لُجَّـةِ البَيانِ فأَخْـ ـتارُ اللآلى منهـا وأنتَخِبُ
وأجْتَنى اليانـعَ الجَنىَّ مِنَ الْـ ـقَوْل وغَـيْرى للعُود يحتَطِب
وآخـذُ اللَّفـظَ فِضَّـةً، فإذا ما صُـغْتُه قِيـلَ : إنّه ذَهَب
وكنتُ مِن قَبْـلُ أمْتَرِى نَشَبًا بالأدَب المقتـنَى وأحْتَلِب (٢)
ويمتَـطِى أَخمَـصِى لِحُرمَتِـه مَراتِبًا ليس فـوقها رُتَب (٣)
وطالما زُفَّتْ الصِّـلاتُ الى رَبْعِى ، فلم أرضَ كُلَّ مَن يَهَب (٤)
فاليـومَ مَن يَعْلَق الرَّجاءُ به أكسدُ شيءٍ فى سُوقه الأَدَب (٥)
لا عِرْضُ أبْنائِه يُصانُ ، ولا يُرقَبُ فيهـم إلٌّ ولا نَسَـبُ (٦)
كأنهـمْ فى عِراصِهـمْ جِيَفٌ يُبْعَـدُ من نَتْنِها ويُجتَنَب (٧)
فـارَ لُـبِّى لِما مُنِيتُ بِهِ مِن الليالى، وصَرْفُها عَجَب (٨)

---

(١) القريض : الشعر . (٢) أمترى : اكتسب . النشب : أى المال . واحتلب : بالحاء المهملة معطوف على أمترى وهما بمعنى الحلب مستعاران للاكتساب .

(٣) الأخمص : ما ارتفع من باطن القدم عن الأرض .

(٤) أى طالما حملت الى الجوائز والهدايا ، يقال زفت العروس إذا حملت الى بعلها ، ومنه المزفة وهى المحفة . وربعى : منزلى . فلم أرض كل من يهب : أى لا أرضى أن أكون تحت منة كل أحد بل لا أقبل إلا من العظماء . (٥) من يعلق : أى أن من يتعلق به الأمل ويرجى منه النوال لا يستعمل الأدب والمعارف حتى صار ذلك كالسلعة الكاسدة عنده . (٦) لا عرض أبنائه : أى أبناء الأدب . والعرض: موضع المدح والذم من الانسان . يرقب : يحفظ . والإل بكسر الهمزة وتشديد اللام : العهد والقرابة والجوار . (٧) عراصهم : ساحات دورهم . (٨) منيت : بليت .

وضاق ذَرْعى لضيق ذاتِ يَدى — وساوَرَتْنى الهمومُ والكُرَب (١)
وقادَنى دَهرىَ المُليمُ إلى — سُلوكِ ما يستشينُه الحَسَب (٢)
فبِعتُ ، حتى لم يَبقَ لى سَبَد — ولا بَتاتٌ إليه أنقلب (٣)
وآدّنتُ ، حتى أثقلتُ سالِفَتى — بِحَمْل دَيْنٍ من دونه العطب (٤)
ثم طَوَيْتُ الحَشا على سَغَبٍ — خمسا ، فلما أمَضَّنى السغب (٥)
لم أرَ إلا جَهازَها عَرَضا — أجولُ فى بيْعه وأضطرب
فجُلتُ فيه ، والنفسُ كارهة — والعينُ عَبْرى ، والقلب مكتئب
وما تجاوزتُ إذْ عبِثتُ به — حَدَّ التراضي فيحدُثَ الغضبُ
فإن يكن غاظها توهُّمُها — أنَّ بَنانى بالنظم تكْتَسِب
أو أننى إذ عَزَمْتُ خِطبتَها — زَخرفتُ قولى لِينجحَ الأرَب
فوَالذى سارتِ الرِّفاق إلى — كعبته تستحِثُّها النُّجُب
ما المكرُ بالمُحصَنات من خُلُقى — ولا شِعارى التمويهُ والكذب
ولا يَدى مُذْ نشأْتُ نِيطَ بها — إلَّا مَواضى اليَراع والكُتُبُ
بل فِكرتى تنظِمُ القلائدَ لا — كفِّى ، وشعرىَ المنظومُ لا السُّخُب (٦)

---

(١) ساورتنى : غلبتنى . (٢) المليم : أى الذى يأتى بما يلام عليه .

(٣) سبد : وفى نسخة لبد : مأخوذ من قولهم ماله سبد ولا لبد أى شعر ولا صوف ، والمراد ذوات الشعر والصوف من المواشى ، وأراد به هنا أنه لم يبق له كثير ولا قليل كناية عن شدة الفقر والحاجة . والبتات : الزاد ومتاع البيت . (٤) وآدّان : افتعل من الدين بالفتح أى تداينت . والسالفة : صفحة العنق .

(٥) السغب : الجوع . وخمسا : أى خمس ليال . وأمضنى : أحرقنى . (٦) السخب : جمع سخاب وهو القلادة من القرنفل ونحوه ليس فيها من الجواهر شىء تجعل فى أعناق الأطفال .

فهــذه الحــرفةُ المُشار إلى ما كنتُ أحوِى بها وأجتلِبُ
فاذَنْ لشرحى كما أذِنْتَ لها ولا تُراقبْ ، وٱحكُمْ بما يَجب (١)

قال : فلما أحكَمَ ما شادَه (٢) ، وأكمَل إنشادَه ، عطَفَ القاضى الى الفتاة ، بعد أن شُغِفَ بالأبيات ، وقال : أمَا إنَّه قد ثبَتَ عنــد جميع الحُكام ، وولاةِ الأحكام ، انقراضُ جِيــلِ الكرام ، وميــلُ الأيّام إلى اللّئــام . وإنى لإخالُ بَعلَك صَــدوقاً فى الكلام ، برِيًّا من المَلامِ . وها هو قد ٱعترَفَ لك بالقَرْض ، وصَرَّح عن المَحْض ، وبيَّنَ مِصــداقَ النَّظْم ، وتَبَيَّنَ أنه مَعْروقُ العَظْم (٣) ، وإعنَاتُ (٤) المُعْذِرِ مَلاَمَة (٥) ، وحَبْس المُعْسِر مَألَمَة (٦) ، وكِتمانُ الفقر زَهادَة ، وانتظارُ الفَرَجِ بالصبر عِبادة ، فارجعى الى خِدْرِك (٧) ، واعذِرى أبا عُذْرِك (٨) ، ونَهْنِهى مِن غَرْبِك (٩) ، وسَلِّمى لِقضاء رَبِّك . ثم إنّه فَرَضَ لهما فى الصدَقات حِصَّة ، وناولهما من دراهمها قَبْصة . وقال لهما : تَعلَّلا بهذه العُلالة (١٠) ، وتَندَّيا بهذه البُلالة ، واصبِرا على كَيْد الزمان وكَدِّه ، فعسى أن يأتىَ اللهُ بالفتح أو أمرٍ

---

(١) فاذن لشرحى : أى فاستمع لقولى . ولا تراقب أى لا تنظر الى واحدمنا ، والمراد لا تعدل عن الحق .

(٢) أحكم ماشاده : أى أتقن ما قاله وأنشأه من شاد البناء ، أو إذا أحكمه ودفعه .

(٣) معروق العظم : كناية عن الهزال ، يقال عظم معروق اذا أخذ ماعليه من اللحم .

(٤) الإعنات : الحمل على المشقة الكبيرة ، والمعذر المبالغ فى العذر ، أو هو الذى يأتى بما يعذر به .

(٥) ملامة : لؤم . والمعسر : هو من عجز عن قضاء الدين .

(٦) مألمة : من الألم وفى نسخة مأثمة من الإثم .

(٧) خدرك : بيتك وسترك . ومنه جارية مخدّرة إذا لزمت الخدر .

(٨) أبا عذرك : أبو عذر المرأة زوجها الأوّل .

(٩) ونهنهى من غربك : أى كفى وازجرى نفسك عن الحدّة .

(١٠) العلالة : ما يتعلل بها . وأصله بقية اللبن . والبلالة : قدر ما يبل الشىء .

من عِنده! فنهَضا، وللشيخ فرحةُ المطلَق من الإسار، وهِزَّةُ المُوسِر بعد الإعسار. (قال الراوى) وكنتُ عرَفتُ أنه أبو زَيْد ساعةَ بزَغَتْ شَمْسُه، ونَزَغتْ عِرْسُه (١)، وكِدتُ أُفصِحُ عن افتنانه (٢)، وأثمار أفنانه (٣)، ثم أشفقتُ (٤) من عُثور القاضى على بُهتانه (٥)، وتزويقِ لِسانه، فلا يرى عِندَ عِرفانِه، أن يُرشِّحَه لإحسانه، فأحجمتُ عن القول إحجامَ المُرتاب، وطويتُ ذِكره كطَىِّ السِّجِلِّ للكتّاب (٦)، إلّا أنى قُلتُ بعدَ ما فصَل (٧)، ووصَلَ إلى ما وَصَل: لو أنَّ لنا مَنْ ينطلِقُ فى أثَرِه، لأتانا بنَصِّ خَبَرِه، وبما يُنشَرُ من حِبَرِه (٨). فأتبعَه القاضى أحدَ أمَنائه، وأمره بالتجسس عن أنبائه؛ فما لبِث أن رجعَ مُتَدَهْدِها (٩)، وقَهْقَرَ مُقَهْقِها (١٠). فقال له القاضى: مَهْيَمْ (١١)؟ ياأبا مَرْيَم، فقال: لقـد عاينتُ عَجَبا، وسمِعتُ ما أنشأ لِى طَرَبا. فقال له: ماذا رأيتَ؟ وما الذى وَعيتَ؟ قال: لم يزل الشيخ مذ خرَج يصفق بيديه، ويُخالِفُ بين رجليه، ويُغرِّدُ بملءِ شِدْقَيه، ويقول:

(١) النزغ: الذكر بالقبيح والإفساد بين الناس، ومعناه خاصمته عرسه.

(٢) عن افتنانه: يقال افتن الرجل فى حديثه اذا جاء بالأفانين وهى الأساليب. والمراد هنا تصرفه فى الفنون والمعارف.

(٣) الأثمار بفتح الهمزة: جمع ثمرة وبكسرها المصـدر وهو حصول الثمر. والأفنان: جمع فنن بالتحريك وهو طرف الغصن. (٤) أشفقت: خفت. (٥) بهتانه: كذبه.

(٦) السجل: الكاتب، أى كما يطوى الكاتب الصحيفة. (٧) فصل: ذهب.

(٨) الحبر جمع حبرة: أردية يمانية موشاة. وأراد ما يذكر من الكلام المسجع الشبيه بالحبر فى الحسن. (٩) التدهده: الإسراع من دهدهت الحجر اذا دحرجته.

(١٠) القهقرة: مشى الى وراء. والقهقهة: الضحك بصوت.

(١١) مهيم: أى ما الخبر. وهى كلمة لأهل اليمن معناها ما خبرك وما شأنك.

كِدتُ أُصْلَى بِبَلِيَّـهْ من وَقاحٍ شِمَّـرِيَّهْ (١)
وأَزُورُ السِّجْنَ لَولا حاكِمُ الإسكَندرِيَهْ

فضحِكَ القاضي حتى هوَتْ دَنِّيَّتُـه (٢)، وذَوَتْ (٣) سكينتُه . فلمـا فاءَ (٤) الى الوَقار، وعقَّبَ الاستغرابَ (٥) بالاستغفار، قال : اللهمّ بحُرمة عبادك المقرَّبين، حرِّمْ حَبْسي على المتأدِّبين! ثم قال لذلك الأمين : علَيَّ به! فانطلق مُجِدًّا في طلَبه، ثم عاد بعْدَ لأْيِه (٦)، مُخْبِرًا بِنأْيِه (٧). فقال له القاضي : أما إنه لو حضر، لَكُفِيَ الحذر، ثم لأَوْلَيْتُه ما هو به أولَى، ولأريتُـه (٨) أن الآخرة خيرٌ له من الأولى . (قال الحارث بن همام) فلما رأيتُ صَغْوَ (٩) القاضي اليه، وفَوتَ ثَمَرَةِ التنبيه عليه، غَشِيَتْني نَدامةُ الفَرَزْدق (١٠) حين أبانَ النَّوارَ، والكُسَعِيِّ (١١) لمـا استبانَ النهار .

---

(١) الوقاح : قليلة الحياء . والشمرى : الماضى فى الأمور الجاد فيما يحاول .

(٢) دنّيته بتشديد النون والياء جميعا : قلنسوة طويلة يلبسها القضاة كأنها منسوبة الى الدن .

(٣) ذوت : ذبلت وفترت . (٤) فاء : رجع .

(٥) والاستغراب : شدّة الضحك والمبالغة فيه حتى تدمع العين .

(٦) لأيه : أى بطئه . (٧) بنأيه : أى ببعده .

(٨) لأريته : لأفهمته وأعلمته أن العطية الآخرة خير من العطية الأولى .

(٩) صغو القاضى : بفتح الصاد أى ميله .

(١٠) الفرزدق : هو همام بن غالب التميمى الشاعر ، والنوار على وزن سحاب اسم زوجته وكان قد طلقها ثم ندم على ذلك .

(١١) والكسعى الخ : هو عامر بن الحرث نسبة الى كسع بضم الكاف وفتح السين من بنى ثعلبة كان راعيا وعمل قوسا بعد طول تعب ، ثم رمى عنها ليلا فنفذت فى الرمية ووقع السهم فى حجر فقدح منه الشرار ، فظن أن السهم أخطأ الرمية ، فرمى ثانيا وثالثا الى آخر الأسهم وكانت خمسا وهو يظن خطأه ، فعمد الى قوسه فكسرها . ثم بات فلمـا أصبح تبين أن أسهمه كلها أصابت فندم ندما شديدا . فضربت العرب المثل به فى الندامة .

ثانيـا ـ النثر العلمى التأليفى

(١) ولابن جنّى(١) فى كتابه الخصائص

باب القول على اللغة وما هى ؟

أمّا حَدُّها فإنها أصـواتٌ يُعبِّر بها كلُّ قوم عن أغراضهم . هذا حدُّها . وأمّا اختلافُها فلما سنذكره فى باب القول عليها : أمُواضَعةٌ هى، أم إلهام. وامّا تصريفُها ومعرفةُ حُرُوفها فإنها فُعَلَةٌ من لغَوتُ أى تكلّمْتُ . وأصلُها لُغَـة كَكُرَة وقُلَة وثُبَـة كلُّها لاماتُها واواتٌ، لِقولهـم كَرَوْتُ بالكرة ، وقَلَوْتُ بالقُلَة، ولأنّ ثبة كأنها مِن مقلوب ثابَ يَثوب. وقد دَلَّلْتُ على ذلك وغيرِه مِن نحْوِه فى كتابى فى "سر الصناعة". وقالوا : لهـا لُغَاتٌ ولُغُونَ، كَكُرات وكُرُونَ ، وقيـل منها : لَغِىَ يَلْغَى : اذا هَذَى قال :

ورُبَّ أسراب حَجيج كُظَّمِ عن اللَّغا ورَفَثِ التَّكلُّمِ

وكذلك اللَّغو ، قال الله سبحانه وتعـالى : ﴿ وإذا مَرُّوا باللغو مَرُّوا كراما ﴾ أى بالباطل . وفى الحديث : « من قال فى الجمعة صَهْ فقد لغا » أى تكلم . وفى هذا كاف .

---

(١) هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصـلى النحوى اللغوى واحد زمانه فى التصريف والبحث فى فقه اللغة وخصائصها (كان أبوه مملوكا روميا) وله تأليفات كثيرة وتوفى سنة ٣٩٢ هـ .

(٢) فصل للجرجانى[1] من كتاب دلائل الإعجاز

وإذ قد عرفتَ هذه الأصولَ والقوانين فى شأن فصل الجمل ووصلها — فاعلم أنا قد حصّلنا من ذلك على أنّ الجمل على ثلاثة أضرب : جملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الصفة مع الموصوف، والتأكيد مع المؤكَّد؛ فلا يكونُ فيها العطفُ ألبتة؛ لشبهِ العطف فيها — لو عطفتَ — بعطفِ الشىء على نفسه، وجملة حالُها مع التى قبلَها حالُ الاسم يكون غيرَ الذى قبلَه إلا أنَّه يشاركُه فى حُكم، ويدخلُ معه فى معنى: مثلُ أن يكونَ كلا الاسمين فاعلًا أو مفعولًا أو مضافا إليه؛ فيكون حقّها العطفَ، وجملة ليستْ فى شىء من الحالين، بل سبيلُها مع التى قبلَها سبيلُ الاسم مع الاسم لا يكون منه فى شىء؛ فلا يكونُ إيّاه ولا مُشاركا له فى معنى، بل هو شىءٌ إن ذُكِرَ لم يُذكرْ إلا بأمر ينفرد به ، ويكون ذكرُ الذى قبله وتركُ الذكر سواءً فى حاله لعدم التعلق بينه وبينه رأسا ؛ وحقُّ هذا تركُ العطف ألبتة . فتركُ العطف يكون إما للاتصال الى الغاية، أو الانفصال الى الغاية ؛ والعطف لما هو واسطة بين الأمرين، وكان له حالٌ بيْن حالين، فاعرفه .

(٣) وللحريرى[2] فى كتابه درة الغوّاص فى أوهام الخواص

يقولون : زيد أفضل إخوته ؛ فيخطئون فيه : لأن أفعل الذى للتفضيل لا يضاف إلّا الى ما هو داخلٌ فيه ومتنزّلٌ منزلةَ الجزء منه ، وزيدٌ غيرُ داخل فى جملة إخوته ؛

---

(١) هو أبو بكر عبد القاهر الجرجانى أحد أئمة النحو وضابط علوم البلاغة حتى ليحق أن يكون هو الواضع له على النظام الذى تعرفه ، ولم يزد عليه السكاكى إلا تطبيق المنطق على البلاغة مع بعد ما بينهما . وتوفى سنة ٤٧١ هـ .

(٢) تقدمت ترجمته عند المقامة الاسكندرية .

ألا ترى أنه لو قال لك قائل : مَن إخوة زيد؟ لعددتَهم دونَه، فلمـا خرج عن أن يكون داخلا فيهـم آمتنع أن يُقال : زيد أفضلُ إخوته ؛ كما لا يُقال زيدٌ أفضـلُ النساء لتميُّزه من جنسهن، وخروجِه عن أن يُعَدَّ فى جملتهن . وتصحيحُ هذا الكلام أن يُقال : زيد أفضل الإخْوة أو أَفْضَلُ بنى أبيه؛ لأنه حينئذ يدخل فى الجملة التى أضيفَ إليها بدلالة أنه لو قيل لك : من الإخوة؛ أو مَن بنو أبيه؟ لعددتَه فيهم، وأدخلتَه معهم .

ويقولون : هذا بعد اللُّتيا والتى؛ فيضُمُّونَ اللَّامَ الثانيـةَ من اللتيا، وهو لحنٌ فاحشٌ، وغلطٌ شائن، إذ الصوابُ فيها اللَّتَيَّا (بفتح اللام) لأن العربَ خَصّتِ الذى والتى عند تصغيرهما وتصغير أسمـاءِ الإشارة بإقرار فتحة أوائلها على صيغتها ، وبأن زادت ألفًـا فى آخرها عِوضًا عن ضمّ أوّلها ؛ فقالوا فى تصـغير الذى والتى : اللَّذَيَّا واللَّتَيَّا، وفى تصغير ذاك وذلك ذَيَّاكَ وذيالك أنشدَ ثعلب :

بِذيّالِكَ الـوادِى أَهِيم ، ولم أقل ... بِذيّالِكَ الوادى وذَيّاك مِنْ زُهـد
ولكن اذا ما حُبَّ شَيْءٌ تَوَلَّعتْ ... به أحرُفُ التصغير مِن شدة الوجْد

أراد أن التصغير قد يقع مِن فرط المحبـة ولطف المنزلة ؛ كما يقال : يا بُنَيَّ ، ويا أُخَيّ . وقوله : إذا ما حُبَّ شيءَ يعنى به أحِبَّ لِأنه يقال حَبَّ الشيءَ وأحبَّه بمعنى؛ كما جاءَ فى المثل السائر : مَنْ حَبَّ طَبَّ ، إلّا أنّهم آختاروا أن بَنَوْا الفاعل مِن لَفْظةِ أحَبَّ، وبَنَوْا المفعولَ من لَفظة حَبّ ؛ فقالوا للفاعل : مُحِبٌّ، وللمفعول

مَحْبُوبٌ : ليعادلوا بين اللفظين فى الاشتقاق منهما والتفريع عليهما ؛ على أنّه قد سُمِع فى المفعول مُحَبّ وعليه قول عَنترة :

ولقد نَزَلْتِ فلا تَظُنِّى غيرَه مِنِّى بمَنزلة المُحَبّ المُكْرَم

ويقولون : اذا أصبحوا سَهِرْنا البارحة، وسَرَيْنا البارحة . والاختيار فى كلام العرب — على ما حكاه ثعلبٌ — أن يقالَ — مُذْ لَدُنِ الصُّبْح الى أن تزولُ الشمسُ — سَرَيْنا الليلةَ ، وفيما بعد الزوال الى آخر النهار سهِرْنا البارحةَ ؛ ويتفرّعُ على هذا أنهم يقولون من انتصاف الليل الى وقت الزوال : صُبِّحْتَ بخير ! وكيف أصبحت !

الادب فى مصر والشام

(أ) الشـــعر

(١) المتنبي [1]

قال فى صباه من قصيدة :

أَرَقٌ على أرقٍ ومِثْـلِيَ يأرَقُ ‏ ‏ ‏ ‏ وجـوًى يزيدُ وعَبْرَةٌ تترقـرقُ

جَهْدُ الصَّـبابةِ أن تكون كما أرَى: ‏ ‏ ‏ ‏ عَيْنٌ مُسَهَّدَةٌ ، وقلبٌ يخفِقُ

ما لاح بـرقٌ أو ترنَّمَ طـائرٌ ‏ ‏ ‏ ‏ إلّا انْثَنيتُ، ولى فؤاد شـيِّق

جَرَّبتُ من نارِ الهـوى ما تنطفى ‏ ‏ ‏ ‏ نارُ الغَضَى ، وتكِلّ عمـا يُحرِق [2]

وعذَلتُ أهلَ العِشـق حتى ذقتُه ‏ ‏ ‏ ‏ فعجِبتُ كيف يموت مَن لا يعشَق

وعَذَرتُهُـم، وعرفتُ ذنبى أننى ‏ ‏ ‏ ‏ عَيَّرتُهـم ، فلَقِيتُ منـهُ ما لَقوا

أبَنِى أبِينـا نحنُ أهلُ منازِل ‏ ‏ ‏ ‏ أبداً غُراب البَـيْن فيها ينعَـق [3]

---

(١) هو أحمد بن الحسين أشهر شعراء المحدثين ، وصاحب الشعر الحكيم والمعانى الدقيقة والمخترعة . ولد بالكوفة ونشأ بها وتأدب بفصاحة أهل البدو . وقيل إنه اتهم وهو مقيم بينهم بأنه يدعى النبوّة ؛ فسجنه والى حمص . ثم خرج من السجن ومدح الرؤساء والأمراء من أهل الشأم وبخاصة سيف الدولة . ثم فارقه وذهب الى مصر فمدح كافورا الأخشيدى . ثم هجاه ، وفرّ الى فارس مارا بالعراق ، فمدح عضد الدولة أعظم ملوك بنى بويه ووزيره ابن العميد ، ورجع عنهما بالأموال الوفيرة ، فخرج عليه الأعراب وقتلوه قرب بغداد سنة ٣٥٤ هـ .

(٢) أى ما تنطفى نار الغضى عنه . والغضى : شجر قوى النار .

(٣) يخاطب عامة البشر لأنهـم إخوة من أبيهم آدم : أى نحن أهل منازل لا يلبثون أن يتفرقوا ، وكنى عن الفراق بنعق غراب البين فيهم .

نبكي على الدنيا ، وما من معشر جمعتهم الدنيا فلم يتفرقوا
أين الأكاسرة الجبابرة الألى كنزوا الكنوز ، فما بقين ولا بقوا
من كل من ضاق الفضاء بجيشه حتى ثوى ، فحواه لحد ضيق (١)
خرس اذا نودوا ، كأن لم يعلموا أن الكلام لهم حلال مطلق
فالموت آت ، والنفوس نفائس والمستعز بما لديه الأحمق
والمرء يأمل ، والحياة شهية ، والشيب أوقر ، والشبيبة أنزق
ولقد بكيت على الشباب ولمتي مسودة ، ولماء وجهي رونق
حذرا عليه قبل يوم فراقه حتى لكدت بماء جفني أشرق (٢)

وقال من قصيدة :

أتوك يجرون الحديد كأنما سروا بجياد ما لهن قوائم (٣)
اذا برقوا لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم (٤)
خميس بشرق الأرض والغرب زحفه وفى أذن الجوزاء منه زمازم (٥)

---

(١) حتى ثوى : أى ثوى فى قبره .

(٢) قال هذه القصيدة وهو شاب ؛ ولكنه يبكي الشباب حذرا من زواله .

(٣) أى لكثرة دروع الحديد عليهم وعلى خيلهم .

(٤) أى اذا برقوا بكثرة ما عليهم من الحديد المجلو لم تميز السيوف البيض منهم ؛ لأن ثيابهم من الحديد الأبيض أيضا ، ولأن عمائمهم من الحديد أيضا : يريد بالثياب الدروع ، وبالعمائم الخوذ والبيضات .

(٥) الزمازم : الأصوات المختلطة التى لا تفهم . أى أتوك بجيش عظيم يملأ المشرق والمغرب وتصل أصواته الى السماء .

تجمَّـــعَ فيهِ كلُّ لِسْن وأُمَّـــة ... فما تُفهِمُ الحُدَّاثَ إلا التراجـــم (١)

فلله وقْتٌ ذوَّبَ الغِشَّ نارُه ... فلم يبـــقَ إلا صارمٌ أو ضُـــبارمُ (٢)

تَقَطَّـعَ ما لا يَقطَعُ الدِّرعَ والقَنـا ... وفرَّ مِن الفُرسان مَن لا يُصـادم (٣)

وقفتَ وما فى الموتِ شكٌّ لواقف ... كأنك فى جَفْن الردىٰ وهو نائم (٤)

تمرُّ بِكَ الأبطالُ كَلْمَى هزيمـــةً ... ووجهُـكَ وضَّاحٌ وثغْرُك باسـم (٥)

تجاوزتَ مقـدارَ الشـجاعةِ والنُّهى ... إلى قول قَوْمٍ : أنتَ بالغيب عالم (٦)

ضَمَمْتَ جناحَيْهِم على القلب ضمَّـةً ... تموتُ الخوافى تحتَهـا والقـــوادم

بِضرْبٍ أتَى الهاماتِ، والنصرُ غائبٌ ... وصـار الى اللَّبَّاتِ، والنصرُ قادم (٧)

حقَرتَ الرُّدَينيّاتِ حتى طرَحتَهـا ... وحتى كأنَّ السيفَ للرمح شاتم (٨)

(١) اللسن : اللغة . أى أنه مؤلف من أمم مختلفـة الألسن ، كالروم ، والصقالبة ، والبلغار ، والألبان ، وغيرهم .

(٢) يريد بالغش الضـعاف من الأسلحة والرجال . فأما الأسلحة ففلت وتكسرت ، وأما الرجال فهلكوا أو فروا ؛ فلم يبق إلا صارم قاطع وشجاع قوى . وفسر ذلك بالبيت بعده .

(٣) أى تقطع ما لا يقطع الدرع من السيوف .

(٤) أى كأن الردى : وهـو الموت . مطبق عليك من جميـع النواحى انطباق الجفن على العين ؛ مما لا يجعل للمرء مجالا للشك فى أن الموت واقع لا محالة ؛ فكان ينبغى لمن هـذه حاله أن يفر ، أما أنت فلم تفعل ولم يبصرك الردى وغفل عنك بالنوم فسلمت .

(٥) كلمى : مجروحة مهزومة ؛ فتكون على وجوهها كآبة وعبوس ، أما أنت فكان وجهك وضاحا وثغرك باسما تقابل الموت مستبشرا أنفة بنفسك وشجاعة فى جبلتك .

(٦) أى كأنك تعرف ما سيكون لك من الظفر .

(٧) أى لم يكن بين ملاقاتهم ونصرك إلا مقدار ما يهوى السيف من أعلى الهامة الى اللبـة ؛ فقبل الضرب كان النصر غائبا ، وبعده جاء النصر .

(٨) لأن الشجعان تقاتل بالسيوف كأنهم لا يبالون بمقاربة الأعداء .

ومن طلب الفتح الجليلَ فإنما مفاتيحه البيضُ الخفافُ الصوارمُ
نثرتهم فوق الأُحيدب نثرةً كما نُثِرت فوق العروس الدراهم (١)

وقال من قصيدة يمدح بها سيف الدولة ويذكر بناءه مرعش :

فديناكَ مِن ربعٍ ، وإن زدتنا كَرْبا فإنك كنتَ الشرقَ للشمس والغَرْبا
وكيف عرفْنا رسمَ من لم يَدَع لنا فؤادًا لعِرفان الرُّسوم ولا لُبّا
نزلْنا عن الأكوار نمشى كرامةً لِمَن بانَ عنه أن نُلِمّ به رَكْبا
نذُمّ السحابَ الغُرَّ فى فعلها به ونُعرِض عنها كلما طلعتْ عَتْبا(٢)
ومن صَحِب الدنيا طويلا تقلَّبتْ على عينه حتى يَرَى صِدْقها كِذْبا
وكيف التِذاذِى بالأصائل والضُّحا اذا لم يعُدْ ذاك النسيمُ الذى هبّا(٣)
ذكرتُ به وَصْلًا كأن لم أفُزْ به وعيشًا كأنى كنتُ أقطَعُهُ وَثْبا
وفتّانةَ العينين قتّالةَ الهوى اذا نفحتْ شَيْخا روائحُها شَبّا
لها بَشَرُ الدُّرّ الذى قُلِّدَتْ به ولم أرَ بَدْرًا قبلَها قُلِّدَ الشُّهْبا
فياشوقُ ما أبقى ! ويالِى من النَّوى ! ويادمعُ ما أجرى ! وياقلبُ ما أصبى !
لقد لعِبَ البَيْنُ المُشِتّ بها وبِى وزوّدنى فى السَّيْر ما زوّد الضَّبا(٤)
ومن تكُنِ الأسدُ الضَّوارى جُدودَه يكن ليلُهُ صُبْحا ومطعَمُه غَصْبا

(١) الأحيدب : جبل ببلاد الروم بجهة بلدة الحدث .
(٢) أى نذم السحاب لأنها عفت آثاره .
(٣) أى الذى هب قديما أيام كنا نسكنه مع الحبيب .
(٤) ما زود الضب : أى زودنى العدم ؛ لأن الضب يعيش فى البادية بلا ماء أو زودنى الحيرة ؛ لأنه اذا خرج ضل .

ولستُ أُبالى بعـــد إدراكىَ العُــلا أكانَ تُراثًا ما تناولتُ أم كَسْبا
فرُبَّ غُـلامٍ عـلّم المجدَ نفسَـــه كتعليم سـيفِ الدولةِ الدولةَ الضَّرْبا
اذا ٱلدولةُ ٱستكفتْ به فى مُلِمَّـــة كفاها، فكان السيفَ والكفَّ والقلْبا
تُهابُ سيوفُ الهنــد، وهى حدائد فكيف اذا كانت نِزاريةً عُرْبا؟(١)
ويُرهَبُ نابُ الليثِ، والليثُ وحدَه فكيف اذا كانَ الليوثُ له صَحْبا؟
ويُخشَى عُبابُ البحرِ، والبحرُ ساكنٌ فكيف بمَن يَغشى البــلادَ اذا عَبّا؟(٢)
عَلِــيمٌ بأَســـرار الدياناتِ واللُّغَى له خطراتٌ تفضَحُ النــاسَ والكُتْبا(٣)
فبوركتَ مِن غيثٍ كأنَّ جلودَنا به تُنبِتُ الدِّيبــاجَ والوشْىَ والعَصْــبا(٤)
ومِن واهبٍ جَزْلًا، ومِن زاجرٍ : هَلَا، ومن هاتكٍ دِرْعا، ومن ناثرٍ قُصْبا(٥)
هنيئًا لأهــلِ الثغــرِ رأيُكَ فيهـمُ وأنك حزبُ الله صِرتَ لهـمْ حِزْبا(٦)
وأنك رُعتَ الدهرَ فيهــا وريْبَــهُ فإن شـــكَّ فلْيُحدِثْ بساحتِها خَطْبا(٧)

(١) أى أن السيوف تهاب مع أنها حديد لاعقل له، فكيف يكون حالها فى الخوف منها إذا كانت عربية نزارية كسيوف سيف الدولة .

(٢) عب : ماج وتحرك .

(٣) اللغى : اللغات . أى أنه عليم بالديانات واللغات، وله فيها خواطر تفضح العلماء وكتبهم؛ لأنهم لم يبلغوا مقداره فى العلم .

(٤) أى لأنك تخلعها علينا فنلبسها .

(٥) هلا : لفظ تزجر به الخيل . والقصب : الأمعاء . أى فبوركت من رجل يعطى الجزيل، ويزجر الخيل للقتال، ويهتك الدروع بسيفه وسنانه، ويشق البطون فينثر أمعاءها .

(٦) هنيئا حال من فعل محذوف، وهى عاملة الرفع فى رأيك وما عطف عليه .

(٧) ضمير فيها يعود على الأرض المفهومة من المقام — والكلام تحدّ للدهر .

فيومًا بخيلٍ تطرُدُ الرومَ عنهمُ ويوما بجُودٍ تطرُدُ الفقرَ والجدْبا
سراياك تَتْرى والدُّمُستُقُ هارب وأصحابُهُ قتلى وأموالُه نُهْبى(١)
أتى مَرْعَشًا يستقرِبُ البُعْدَ مُقْبِلًا وأدْبَرَ إذ أقبلتَ يستبعد القُرْبا
كذا يَترُكُ الأعداءَ من يكرَهُ القَنا ويَقْفُلُ مَن كانتْ غنيمتُه رُعْبا(٢)
وهل رَدَّ عَنْه باللُّقانِ وقُوفُه صدورَ العَوالِي والمُطَهَّمَةَ القُبَّا(٣)
مَضَى بعدَ ما ٱلتفَّ الرِّماحانِ ساعةً كما يتلَقَّى ٱلهُدْبُ فى الرَّقْدة الهُدْبا
ولكنّه وَلَّى وللطَّعْنِ سَوْرَةٌ اذا ذكرتْها نَفْسُهُ لَمَس الجَنْبا
وخَلَّى العَذارى والبطاريقَ والقُرى وشُعْثَ النصارَى والقرابينَ والصُّلْبا(٤)
أرَى كُلَّنا يَبْغِي الحياةَ لنفسِه حريصا عليها مُسْتَهامًا بها صَبَّا
فحُبُّ الجَبانِ النَّفْسَ أورده ٱلبَقا وحُبُّ الشُّجاع النفسَ أوردَه الحَرْبا
ويختلفُ الرِّزقانِ، والفعلُ واحدٌ، الى أن تَرَى إحسانَ هذا لِذَا ذَنْبا
فأَضْحتْ كأنَّ السُّورَ مِن فَوْقِ بدئِه الى الأرض قد شَقَّ الكواكبَ والتُّرْبا(٥)
تَصُدُّ الرياحُ الهُوجُ عنها مخافةً وتفزع فيها الطيرُ أن تَلْقُطَ الحَبَّا(٦)
وتَرْدِي الجيادُ الجُردُ فوقَ جبالها وقد نَدَفَ الصِّنَّبْرُ فى طُرْقِها العُطْبا(٧)

(١) الدمستق : من الألقاب العظيمة لرؤساء الجيش عند الروم . ونهبى : منهوبة .

(٢) يقفل : يرجع .

(٣) اللقان : اسم مكان هناك . والمطهمة القب : الخيل الحسان المضمرة .

(٤) البطاريق : قوادا لروم . وأراد بالشعث : الرهبان .

(٥) أى من أعلاه إلى أدناه قد شق الخ . وقوله : فأضحت أى مرعش .

(٦) تصدّ : أى تفزع منها . وكذلك الطير تفزع أن تلقط الحب فيها لصعوبة ارتقائها .

(٧) تردى : من الرديان وهو ضرب من الجرى . والصنبر : السحاب البارد . والعطب : القطن .

كَفَى عَجَبـا أنْ يَعجَبَ النَّاسُ أنه ... بَنَى مَرْعَشـا ؛ تَبّـا لآرائهمْ تَبّا ! (١)
وما الفَرْقُ ما بيْنَ الأنامِ و بينَـه ... اذا حذِرَ المحذورَ وآستصعبَ الصَّعبا
لأمرٍ أعـدّتْه الخـلافةُ للعـدا ... وسَمّتْه دُونَ العالَمِ الصارمَ العَضْبا
ولم تَفْترِق عنـه الأَسِـنّةُ رَحْمَـةً ... ولم تَتْرُكِ الشـامَ الأعادى له حُبّـا
ولكنْ نفاها عنـهُ غيرَ كَريمةٍ ... كريمُ الثَّنَا ما سُبَّ قطُّ ولا سَـبّا
وجَيشٌ يُثَنِّى كلَّ طَـوْدٍ كأنّه ... خَرِيقُ رِياحٍ واجهتْ غُصُـنا رَطْبا (٢)
كأنَّ نُجومَ الليـلِ خافتْ مُغارَه ... فمَدّتْ عليها مِن عَجاجَتِـهِ حُجْبا
فمَن كان يُرْضِى اللؤْمَ والكفرَ مُلْكُهُ ... فهـذا الذى يُرضِى المكارِمَ والرَّبّا

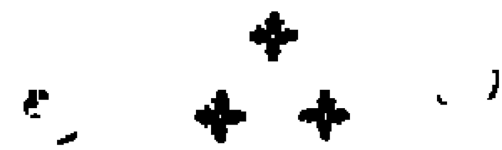
وقال يذكر قيامَ شَبيب العُقيلي : وكان خارجا على كافور فمات فجأة وهو يحاصر دمشق . وقيل : دَسَّ عليه كافور من سَمَّه . وقيل : إنه أُلقِىَ عليه رحى من السور . وهذه القصيدة من المدح المراد به الذم :

عَـدُوُّك مـذمومٌ بكل لسـانِ ... ولو كان مِن أعدائك القَمَرانِ
ولله سِـرٌّ فى عُـلاك ، وإنمـا ... كلامُ العِـدا ضربٌ من الهذَيانِ
أتلْتمسُ الأعداءُ بعـد الذى رأتْ ... قيامَ دليـلٍ أو وُضوحَ بيانِ
رَأتْ كلَّ مَن ينْوِى لك الغَدْرَ يُبْتلَى ... بِغَـدرِ حيـاةٍ أو بغـدرِ زَمانِ
بِرَغْمِ شَبيبٍ فارق السيفَ كفُّه ... وكانا على العِـلّاتِ يصطحبانِ

(١) أى من العجب أن يعجب الناس من بنائه مرعش كأنهم لم يعرفوا قدرته ، ومرعش مدينة بالشام قرب أنطاكية .

(٢) الخريق : الريح الشديدة .

كأنّ رقابَ الناس قالتْ لسَيفِه: رفيقُك قيسىٌّ وأنتَ يمانى! (١)
فإن يكُ إنسانًا مضَى لسبيله فإنّ المنايا غايةُ الحيوان
وما كان إلا النارَ فى كلّ موضع تُثيرُ غُبارا فى مكان دُخان
فنال حياةً يشتهيها عدُوُّه وموتًا يُشَهِّى الموتَ كلَّ جَبان (٢)
نَفَى وقعَ أطراف الرماح بُرمحِه ولم يَخْشَ وقْعَ النَّجْم والدَّبَرَان (٣)
ولم يدر أن الموتَ فَوق شَواتِه مُعارُ جَناحٍ مُحْسِنُ الطيران (٤)
وقد قَتَلَ الأقرانَ حتى قَتَلْتَه بأضعفِ قِرْنٍ فى أذلِّ مَكان
أتَتْهُ المنايا فى طريقٍ خَفيةٍ على كلِّ سَمْعٍ حَولَه وعِيان
ولو سلكتْ طُرْقَ السِّلاح لَرَدَّها بطُول يَمين واتِّساع جَنان
تَقَصَّدَهُ المِقدارُ بَيْنَ صِحابه على ثِقَةٍ مِن دهرِه وأمان
وهل ينفعُ الجَيْشُ الكثيرُ التفافُه على غيرِ مَنْصورٍ وغيرِ مُعَان



قضى اللهُ يا كافورُ أنك أوَّلٌ وليس بقاضٍ أن يُرى لك ثانى
فما لَكَ تختارُ القِسىَّ وإنما عن السَّعْدِ يَرْمِى دونَك الثَّقلان؟
وما لك تُعْنَى بالأسنةِ والقَنا وجَدُّك طَعَّانٌ بغيرِ سِنان؟

(١) لما بين قيس واليمن من العصبية فى الشام .

(٢) لأن حياته كانت مقرونة بنصره ، وأن موته كان بالسكتة بلا سابق ألم ومرض .

(٣) أى أنه قدر أن يدفع عن نفسه رزايا الأرض ، ولكنه ما حسب حسابا لرزايا النحوس السماوية من الكواكب أمثال الدبران ، وهو كوكب نحس كما زعموا .

(٤) شواته : رأسه .

ولِمْ تَحمَّــل السيفَ الطويلَ نِجادُه ... وأنت غَنِيٌّ عنـــه بالحَدَثانِ؟

أَرِدْ لى جَميلا جُدتَ أو لم تَجُدْ به ... فإنـــك ما أحْبَبْتَ فىَّ أتانى

لو الفلكُ الدَّوارُ أبغضتَ سَـــعْيَهُ ... لعَوَّقَـــهُ شىءٌ عن الدَّوَرانِ

وقال يوم عرفة ، وقد خرج من مصر فارّا من كافور الى الكوفة يهجوه وقومـــه :

عِيـــدٌ بأيّةِ حالٍ عُدتَ يا عِيـــدُ ... بمـــا مَضَى أم لأمرٍ فيـــكَ تَجديدُ (١)

أما الأحِبـــةُ فالبيداءُ دونَهـــمُ ... فليتَ دونَكَ بِيـــدًا دُونَها بِيـــدُ (٢)

لولا العُلا لم تَجُبْ بى ما أَجُوبُ بها ... وَجْناءُ حَرْفٌ ولا جَرْداءُ قَيْـــدودُ (٣)

وكانَ أطيبَ مِن سَـيْفِى مُضاجَعةً ... أشباهُ رَونَقِـــهِ الغِيـــدُ الأماليـــدُ (٤)

لم يترُكِ الدهرُ من قلبى ولا كَبِدى ... شَـيئا تُتَيِّمه عَينٌ ولا جِيـــدُ

يا ساقِيَّ أخمـــرٌ فى كُئُوسِكما ... أم فى كُئُوسكما همٌّ وتسهيد

أصخـــرةٌ أنا مالِى لا تُحَرِّكُنِى ... هذِى المُدامُ ولا هَـــذِى الأغاريد؟

إذا أردتُ كُمَيْتَ اللَّونِ صافيـــةً ... وجدتُّهـــا، وحبيبُ النفس مفقود (٥)

ماذا لَقِيتُ مِن الدنيـــا ؟ وأعجبُها ... أنّى بمـــا أنا باكٍ منـــه محســـود

(١) فيك تجديد : أى فيك تجديد لأمر .

(٢) يريد بالأحبة جدته و بعض أهله بالكوفة .

(٣) تجوب : تقطع . والوجناء الناقة العظيمة الخلق الصلبة العصل ، والحرف من النوق : المضمرة . والجرداء : الفرس القصيرة الشعر . والقيدود : الطويلة الظهر . أى لولا العلالم تقطع بى الفلاة ناقة ولا فرس .

(٤) يريد بالغيد الأماليد : الجوارى الحسان الناعمة و يروى معانقة بدل مضاجعة .

(٥) يريد بكميت اللون : الخمرة .

أمسيتُ أرْوَحَ مُثْرٍ : خازِنًا وَيَدًا ... أنا الغَنِيُّ، وأَمْوالِي المواعيــد (١)
إنى نزلتُ بكذّابِينَ ضَــيفُهُم ... عنِ القِــرى وعن التَّرحال محــدود (٢)
جُودُ الرجال من الأيْدى، وجودُهمُ ... من اللسانِ ؛ فلا كانوا ولا آلجود!
ما يَقْبِضُ الموتُ نفسًا مِن نُفوسهمُ ... إلا وفى يَــدِه من نَتْنِها عُــود (٣)
أكُلّما آغتالَ عبدُ السوء سيدَه ... أو خانه فَــلَهُ فى مصرَ تمهيــد
صار الخَصِيُّ إمامَ الآبِقينَ بهـا ... فالحُــرُّ مستَعبَدٌ، والعبدُ معبــود
نامَتْ نَواطيرُ مِصرٍ عن ثعالِبهـا ... فَقَــدْ بَشِمْنَ ، وما تَفْنَى العناقيــد (٤)
العبــدُ ليس لِحُــرٍّ صالحٍ بأخٍ ... لو أنه فى ثِيـاب الحُــرِّ مولود
لا تَشْـتَرِ آلعَبْــدَ إلا والعَصا معــه ... إن العبيــدَ لَأَنْجاسٌ مَناكيد
ما كنتُ أَحْسَبُنِى أحيـا الى زَمَنٍ ... يُسيءُ بى فيــه كَلْبٌ وهو محمــود
ولا توهَّمتُ أنّ الناسَ قد فُقِــدُوا ... وأن مثــلَ أبى البَيْضاءِ موجــود (٥)
وأن ذَا الأســودَ المثقوبَ مِشْفَرُه ... تُطيعُــه ذى العَضاريط الرعاديد (٦)

---

(١) أروح : من الراحة . وخازنا ويدا : منصوبان على التمييز . أى أصبحت غنيا ؛ ولكن يدى وخازنى فى راحة ؛ اذ كانت أموالى مواعيد كافور، وهى وهمية .

(٢) محدود : أى ممنوع عن الرحيل عنهم .

(٣) أى أن الموت إذا جاءهم لقبض نفوسهم جعل فيه عودا ينشل به أرواحهم من أبدانهم لنتنها تقززا من مس أبدانهم بيده .

(٤) النواطير : حافظو الكروم بالظاء والطاء، ويريد بالنواطير السادة وبالثعالب الأراذل . وبشمن : أكلن فوق الشبع .

(٥) كناه بأبى البيضاء، وهى كنية العبيد سخرية منه . (٦) العضاريط : جمع عضروط ، وهو اللئيم الذى يخدم بطعام بطنه . والرعاديد : جمع رعديد وهو الجبان .

جَوْعانُ يأكُلُ مِن زَادِى، ويُمْسِكُنِى ... لكَىْ يُقالَ: عظيمُ القَدْرِ مقصود
إن امرأً أمَةٌ حُبلى تُدبِّرُهُ ... لَمُسْتَضَامٌ سَخِينُ العَيْنِ مفئُود (١)
وَيْلُ آمِّها خُطَّةً! وَيْلُ آمِّ قابِلِها! ... لمثلِها خُلِقَ المَهْرِيَّةُ القُود (٢)
وعندَها لَذَّ طَعْمَ الموتِ شاربُهُ ... إن المَنِيَّةَ عِندَ الذل قِنديد (٣)
مَن عَلَّمَ الأسودَ المَخْصِيَّ مَكْرُمَةً؟ ... أَقَومُهُ البيضُ أم آباؤه الصِّيد؟
أم أُذْنُه فى يدِ النَّخَّاسِ داميةً ... أم قَدْرُه، وهو بالفَلْسَيْن مردود
أَوْلَى اللئامِ كُوَيْفِيرٌ بمعذرة ... فى كلِّ لُؤمٍ، وبعضُ العُذْرِ تَفنيد (٤)
وذاكَ أن الفحولَ البيضَ عاجزةٌ ... عن الجميل، فكيفَ الخصيةُ السُّودُ؟

وقال يمدح سيف الدولة ويعاتبه عند إزماعه السفر الى مصر:

واحَرَّ قلباهُ مِمَّنْ قلبُه شَبِمُ ... ومن بجسمى وحالى عنده سَقَمُ (٥)
مالى أُكتِّمُ حُبًّا قد بَرَى جَسَدِى ... وتدَّعى حُبَّ سيفِ الدولة الأُمَمُ
إن كان يَجمعُنا حُبٌّ لغُرَّتِه ... فليتَ أنَّا بِقَدْرِ الحب نَقتسِم (٦)

(١) أى أن من يدبره ويسوسه أمثال كافور الخصى العظيم البطن الذى يشبه الأمة الحبلى لسخين العين فاقد العقل. (٢) ويل آمها: أى ويل لأمها، فحذفت ألف أم توسعا، وجعلت مع الويل كأنها كلمة واحدة، ولام ويل: إما مرفوعة أو مخفوضة بنقل حركة همزة إم المحذوفة اليها على لغة من يكسر همزة أم وهى سب للمكروه. والخطة هنا: الشأن والحال والعيشة. وقوله: لمثلها الخ أى لمثل الخلاص منها. والمهرية: النوق المنسوبة الى بلاد مهرة. وهى كريمة سريعة السير. والقود: جمع قوداء، وهى الطويلة.

(٣) القنديد: عسل قصب السكر. (٤) كويفير: تصغير كافور.

(٥) الهاء فى قلباه: للسكت، واتصالها هنا بما قبلها مع أنها موصولة بما بعدها ضعيف، أو هو مذهب كوفى. أى ما أحرّ قلبى من حب من قلبه بارد من حبى.

(٦) أى ليته يرعى كلا منا بقدر حبنا إياه.

قد زرتُه، وسيوفُ الهند مُغمدَةٌ ... وقد نظرتُ اليه ، والسيوفُ دَم(١)
فكان أحسنَ خلقِ الله كلِّهمُ ... وكان أحسنَ ما فى الأحسن الشيَمُ
فَوْتُ العدُوِّ الذى يممتَهُ ظَفَرٌ ... فى طَيِّه أسَفٌ فى طَيِّه نِعَمُ(٢)
قد نابَ عنك شديدُ الخوفِ واصطنعتْ ... لك المَهابةُ ما لا تصنَعُ البُهَمُ(٣)
ألزمتَ نفسَك شيئًا ليس يَلْزَمُها ... ألّا تُوارِيَهم أرضٌ ولا عَلَمَ(٤)
أكُلَّما رُمتَ جيشا ، فانثنَى هَرَبًا ... تصَرَّفَتْ بك فى آثاره الهِمَمُ؟
عليك هزْمُهُمُ فى كلّ معترَكٍ ... وما عليك بهم عارٌ إذا انهزموا
أما ترَى ظَفَرًا حُلْوًا سِوَى ظَفَرٍ ... تصافحتْ فيه بيضُ الهند واللِّمَم
يا أعدلَ الناسِ الا فى مُعاملتى ... فيكَ الخِصامُ ، وأنتَ الخصمُ والحكَمُ!
أُعيذُها نَظَراتٍ منك صادقةً ... أن تحسَبَ الشحْمَ فيمَنْ شحْمُه وَرَم
وما انتفاعُ أخِى الدنيا بناظره ... اذا استوتْ عندَه الأنوارُ والظُّلَمُ
أنا الذى نظَرَ الأعمى الى أدبى ... وأسمعَتْ كَلماتِى مَن به صَمَمُ(٥)

---

(١) أى أنى خدمته فى حالتى السلم والحرب .

(٢) أى أن فوت العدوّ وفراره منك ظفر لك فى ضمنه أسف على عدم إدراكه وقتله ، ولكن فيه نعم لأنك كفيته .

(٣) البهم : جمع بهمة ، وهو الشجاع . أى أن خوف الأعداء منك يفعل فيهم ما لا يفعله الشجعان .

(٤) أى تريد ألا يستر أعداءك الفارين مكان يختفون فيه ، وهذا غير لازم بل يكفيك فرارهم . والأبيات الآتية توضح المعنى .

(٥) يريد بكلماته أشعاره .

أنامُ مِلءَ جُفونِي عن شــوارِدِها ... ويَســهَرُ الخَــلْقُ جرّاها ويَخْتَصِمُ (١)
وجاهِلٍ مَــدَّهُ فى جَهْــلِهِ ضَحِكى ... حتى أتتْــه يَدٌ فرّاســةٌ وفَــمُ
اذا رأيتَ نُيــوبَ اللّيثِ بارزةً ... فــلا تظنَّن أن اللّيثَ يَبْتَسِــمُ
ومُهجَةٍ مُهجــتى مِنْ هَمِّ صاحِبِها ... أدركتُها بجَــوادٍ ظَهــرُه حَرَمُ (٢)
رِجلاهُ فى الركضِ رِجلٌ، واليدانِ يَدٌ ... وفعــلُه ما تُرِيدُ الكفُّ والقَــدَمُ (٣)
ومُرْهَفٍ سِرتُ بَيْنَ الجَحفَلَــيْنِ به ... حتى ضَرَبْتُ، وموْجُ الموتِ يَلتَطِمُ
فالخيلُ واللّيــلُ والبيداءُ تَعــرِفُني ... والحَرْبُ والضَّربُ والقِرطاسُ والقَلَمُ
صحِبتُ فى الفلواتِ الوحشَ مُنفَــرِدًا ... حــتى تعجَّبَ منى القُورُ والأَكَمُ (٤)
يا مَن يعِــزّ علينــا أن نُفارِقَهــم ... وِجدانُنــا كلَّ شيء بعــدَكم عَدَمُ!
ما كان أخلَقَنــا منــكم بتكْرِمــةٍ ... لو أن أمرَكُمُ مِن أمرِنا أَمَمُ
إن كان سَرَّكُمُ ما قال حاسِــدُنا ... فمــا لجُــرحٍ إذا أرضاكُمُ ألَمُ
وَبَيْنَنَــا لو رعيــتُمْ ذاك معــرِفَةٌ ... إن المعــارفَ فى أهــلِ النُّهَى ذِمَمُ
كم تطلُبــون لنــا عَيبًا فيُعجِــزُكم ... ويَكرَهُ اللهُ ما تأتونَ والكَرَمُ

(١) وشوارد الأشعار: سوائرها وذائعاتها: أى أنه ينظمها و ينام، والناس يسهرون لأجلها بحثا ونقدا واجتلابا وحفظا و رواية .

(٢) أى ورب مهجة حاسد أو عدو مهجتى أنا من همه وقصده، قد أدركتها وقتلت صاحبها على فرس ظهره أمان وحصن .

(٣) وصف الفرس بالسرعة والنشاط فقال: رجلاه رجل واحدة، و يداه يد . يعنى أنه يرفع رجليه معا و يضعهما كذلك . وكذلك يداه . وفعله فى الجرى يغنى عن الكف التى تحمل السوط وعن القدم التى يستحثه بها .

(٤) القور: جمع قارة . وهى الأكمة فى الأرض الحزنة (البركانية) .

ما أبعدَ العيبَ والنُّقْصانَ من شَرَفى، أنا الـثُّرَيّا، وذانِ الشَّيْبُ والهَـرَم
ليتَ الغمامَ الذى عنـدى صواعقُه يُزِيلُهـنَّ الى مَن عنـده الدِّيَم
أرى النَّـوَى يَقتضيني كلَّ مرحلَة لا تَسـتقلُّ بها الوَخَّادةُ الرُّسـم
لئن تركْنَ ضُمَـيْراً عن ميامِننـا لَيَحْدُثَنّ لِمَن ودَّعتُهـم نـدَم(١)
اذا ترحّلتَ عن قومٍ وقـد قدَرُوا ألّا تُفارِقَهـم فالراحلون هُـمُ
شرُّ البـلادِ مكانٌ لا صـديقَ به وشرُّ ما يكسِبُ الانسـانُ ما يَصِمُ
وشـرُّ ما قَنَصتْه راحـتِي قَنَصٌ شُهْبُ البُزاةِ سـواءٌ فيـه والرَّخَم
بأى لفْـظٍ تقـول الشعرَ زِعْنِفَةٌ تجـوزُ عنـدك لا عُرْبٌ ولا عَجَم
هـذا عتـابُك إلا أنه مِقَـةٌ قـد ضُمِّنَ الدُّرَّ إلّا انه كَلِـم

(٢) أبو فراس الحَمْـدانى(٢)

كتب وهو فى أسر الروم الى ابن عمه سيف الدولة بهذه القصيدة يعتب ويشكو:

أَبَى غَرْبُ هـذا الدّمعِ إلّا تَسَرُّعَا ومَكنونُ هـذا الحبِّ إلا تَضَـوُّعا(٣)
وكنتُ أَرى أنِّى مع الصـبر واجدٌ اذا شئتُ لى مَمْضًى وإن شئتُ مَرجِعا(٤)

(١) ضمير : جبل يكون على يمين الذاهب الى مصر من حلب .

(٢) هو الحارث بن سعيد بن حمـدان التغلبى ابن عم سيف الدولة وأحد قواده وولاته . أسره الروم فى بعض الوقائع جريحا ومكث فى أسرهم حتى تيسر فداؤه . وكتب فى السجن الى سيف الدولة قصائد كثيرة يعتب عليه فيها تقصيره فى فكاكه . قتل فى ثورة أهلية سنة ٣٥٧ هـ عن ٣٧ سنة .

(٣) الغرب هنا : مسيل الدمع وانهلاله . والتضوّع هنا : الانتشار والذيوع .

(٤) أى كنت أظن أنى بالصبر والتجلد فى حيّ لا أضطر الى ركوب خطة واحدة ؛ بل أنى — اذا شئت — مضيت فى سبيل واذا شئت رجعت .

فلمـا استمـــرّ الحبُّ فى غُـلَوائِه — رَعَيْتُ مع المِضــياعة الغِرِّ ما رَعَى(١)

فحُــزْنى حُزنُ الهـائمين مُـبَرِّحًا — وسِرِّى سِرُّ العاشــقين مُضَــيَّعا

خليــليَّ لِمْ لا تَبكيانِى صـبابةً — أأبدلتُما بالأجرعِ الفــرد أجرعا(٢)

علَىَّ لِمن ضنَّتْ علىَّ جفُــونُه — غَوارِبُ دمـع يَشــمَلُ الحَىَّ أجمَعا(٣)

وهَبْتُ شَـبابى، والشبابُ مَضِـنَّةٌ — لأبلَــجَ مِن أبنـاءِ عمِّىَ أروعا(٤)

أبِيتُ مُعَـــنًّى مِنْ مَخافةِ عَتْبِــهِ — وأُصبِــحُ محزونا، وأُمسى مُرَوَّعا

فلمَّـا مضى عصرُ الشـبيبةِ كُلُّهُ — وفارقَـــنى شرخُ الشـــباب فودَّعا

تطلَّبتُ بين العَتْب والهجْـــرِ فُرجةً — فحـاولتُ أمرًا لا يُـــرامُ مُمَنَّعـا

وصِرتُ إذا مازُمت فى الخــير لذةً — تتبعتُهـا بين الهُـموم تتبُّعـا(٥)

وها أنا قد حَلَّى الزمانُ مَفارِقى — وتَوَّجَنى بالشَّـــيب تاجًا مُرَصَّـعا

فــلو أننى مُكِّنْتُ فيما أريدُه — من العيش يوما لم أجدْ فى مَوْضِــعا(٦)

أما ليــلةٌ تَمضِى ولا بعضُ ليــلة — أُسَرُّ بهـا هــذا الفؤادَ المُــوَجَّعا

أما صـاحبٌ فَــرْدٌ يدومُ وفاؤُه — فيُصفِى لِمن أصفَى، ويَرعَى لِمن رَعَى

أفى كلِّ دارٍ لى صــديقٌ أَوَدُّه — إذا ما تفــرَّقْنـا حَفِظتُ وضيَّعا

---

(١) الغلواء : الغلو . والمضياعة : الكثير الإضاعة . والغــرّ : القليل التجربة . أى فلما زاد الحب ضعفت عزيمتى ورعيت مع الحبيب الغفل ما يرعى واتبعته فيما يشاء .

(٢) أى هل استبدلتما بالأجرع الفرد مكانا غيره . يريد هل نسيتمانى واتخذتم بدلى حبيبا آخر .

(٣) أى انى أبكى على من لا يبكى علىّ بكاء يعم الحى جميعه . يصف نفسه بالوفاء ولو لغير وفى .

(٤) الأروع : السيد الشجاع السريع للنجدة . (٥) يعنى أنه محروم لا يستخرج لذته إلا من بين الهموم . (٦) أى أنه لم تبق فيه بقية صحة للتمتع .

اذا خِفتُ من أخوالىَ الرومِ خُطَّةً تخوَّفتُ مِن أعمامِيَ العُرْبِ أربعا
وإن أوجعتْنى مِن أعادِىَّ شيمةٌ لَقيتُ مِن الأحباب أدمَى وأوْجعا
ولَوْ قَدْ رَجوت اللهَ لا رَبَّ غيرُه رجعتُ الى أَعْلَى ، وأَمَّلتُ أوسعا(١)
لقد قَنعوا بَعْدِى من القَطْرِ بالنَّدى ومَن لم يجِدْ إلا القُنوعَ تقنَّعا(٢)
وما مَرَّ إنسانٌ فأخْلَف مِثْلَه ولكن يُرَجِّى الناسُ أمْرا مُوَقَّعا(٣)
تنكَّر سيفُ الدّين لما عتبْتُه وعرَّضَ بى تحتَ الكلامِ وقَرَّعا
فقُولا له : يا صادق الوُدّ إننى جعلتُك مِمّا رَابَنى منك مَفْزَعا
ولو أننى أكنَنْتُه فى جَوانحى لأورقَ ما بين الضلوع وفَرَّعا
فلا تغترِرْ بالناس ؛ ما كُلُّ مَن ترى أخوك : اذا أوْضعتَ فى الأمرِ أوْضعا(٤)
ولا تتقلَّدْ ما يروقُ بَجمالُه تَقَلَّدْ إذا جَرَّبْتَ ما كان أقطَعا(٥)
ولا تقبلَنَّ القولَ مِن كلّ قائلٍ سأُرضيك مرأًى لستُ أُرضيك مَسْمَعا
فللهِ إحسانٌ علىَّ ونِعْمةٌ ولِلهِ صُنعٌ قد كفانى التَّصَنعا
أرانِىَ طُرقَ المَكْرُمات كما رأى علىٌّ وأسمانى على كل من سَعَى(٦)
فإن يكُ بُطءٌ مرة ،فلطالما تَعَجَّلَ بى نَحْوَ الجميلِ فأسرعا

(١) أى أنى خبت فى رجائى الناس ولو رجوت الله وحده لكنت رجعت الى أعلى مرتجى وأملت أوسع مؤمل .

(٢و٣) أى أن أهلى نسونى وقنعوا بغيرى ممن لا يغنى غنائى مع أن من مضى لا يأتى خلف له يساويه . وانما يعتبر الناس الأمر الواقع فيكتفون بغيرى عن غيبتى .

(٤) أوضع فى الأمر : أسرع فيه أو أجرى دابته إجراء سريعا .

(٥) ولا تتقلد ما يروق الخ : أى لا تتقلد سيفا جميل المنظر غير قاطع .

(٦) يريد بعلى سيف الدولة وهو اسمه .

وإنْ يَجْفُ فى بعض الأمــور فإننى ... لأشــكُرُه النُّعْمَى التى كان أودعا

وإن يستجدَّ الناسَ بعــدى فلم يَزَلْ ... بذاك البــديلِ المُسْــتَجَدِّ مُمَتَّعا(١)

وقال من قصيدة بعث بها اليه من الأسر يعاتبه على تباطئه فى فكاكه :

وأَبطأَ عــنّى والمنايا سريعــةٌ ... وللموْتِ ظُفْــرٌ قــد أطلّ وناب

فان لم يكن وُدٌّ قريبٌ نُعِــدّهُ ... ولا نَسَبٌ بينَ الرجال قُــراب(٢)

فأَحْوَطُ للإِســلامِ ألّا يُضيعَنى ... ولى عنــه فيــه حَوْطَةٌ ومَنــاب(٣)

ولكننى راضٍ عــلى كلِّ حالةٍ ... ليعــلَمَ أىُّ الحالتين صَــواب

وما زِلتُ أرضَى بالقليــل محبــة ... لديْهِ ، وما دُونَ الكثيرِ حِجاب

وأَطلُبُ إبقــاءً عــلى الوُدِّ أَرْضَــه ... وذِكْرِى مُــنًى فى غيرها وطِــلاب(٤)

كذاك الوِدادُ المَحْض : لا يُرْتجَى له ... ثوابٌ ، ولا يُخْشَى عليه عِقــاب

وقد كنتُ أخْشَى الهجرَ ، والشملُ جامعٌ ... وفى كلِّ يومٍ لُقْيــةٌ وخطاب

فكيفَ وفيما بيْنَنــا مُلكُ قَيْصــرٍ ... ولِلبحــرِ حَــوْلِى زَخْرةٌ وعُبــابُ؟

أَمِنْ بَعد بَذْلِ النفسِ فيما تُرِيدُه ... أُثابُ بمُــرِّ العَتْبِ حين أُثاب

فليتَــك تحــلُو ، والحيــاةُ مَريرةٌ ... وليتَــك تَرْضَى ، والأنامُ غِضاب

وليتَ الذى بَيْــنى وبَيْنَــك عامرٌ ... وبيْــنى وبَيْنَ العالَمين خَراب

اذا صَحّ منــك الوُدُّ فالكلُّ هَيِّنٌ ... وكُلُّ الذى فَــوقَ التُّرابِ تُراب

(١) أى وان يستجد سيف الدولة قائدا ونصيرا آخر بعدى فانى أدعو له بألا يزال ممتعا به .

(٢) القراب : المقارب . (٣) أى اذا لم ينقــذنى للود والنسب فلا أقل من أن يستنقذنى للاسلام فأنى أحوطه وأنوب عنه فى الذود عنه .

(٤) أى أنى أطلب أرضه إبقاء على ودّه وإلا فان مجرّد ذكرى فى أرض غيرها هو منية أهلها وطلبتهم .

(٣) أبو العلاء المَعَرِّى (١)

قال فى الفخـــر :

أرَى ٱلعنقاءَ تكبُرُ أنْ تُصادَا ... فعانِدْ من تُطيقُ له عِنادَا

وما نَهْنَهْتُ عن طلَبٍ، ولكنْ ... هىَ ٱلأيام لا تُعطِى قِيادا (٢)

فلا تَلُمِ ٱلسوابقَ والمطايا ... اذَا غرضٌ مِنَ الأغراض حادا (٣)

لعلَّك أن تَشُنَّ بها مُغارا ... فتُنجِحَ أو تُجَشِّمَها طِرادا

مُقارِعةً أَحِجَّتَها العَوَالِى ... مُجَنَّبةً نواظرَها الرُّقادا (٤)

تلومُ على تَبَلُّدِها قلوبًا ... تُكابِدُ مِن مَعيشتِها جِهادا

اذا ما ٱلنّارُ لم تُطْعَمْ ضِرامًا ... فأوشِكْ أن تمُرَّ بها رَمادا

فظُنَّ بسائرِ الإخوانِ شَرًّا ... ولا تأمَنْ على سِرٍّ فُؤادا

فلو خَبَرَتْهم الجوزاءُ خُبْرى ... لما طلعتْ مَخافَةَ أن تُكادا

تجنَّبْتُ الأنامَ؛ فلا أُواخِى ... وزِدتُ عن العدُوِّ فلا أُعَادَى

ولما أن تجهَّمنى مُرادى ... جَرَيْتُ مع الزمانِ كما أرادا

---

(١) أبو العلاء هو أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخى المعرى الضرير الشاعر الفيلسوف المؤلف . نشأ بالمعرة ودرس على أبيه وأهله صبيا . ثم على علماء حلب وأعالى الشام حتى صار علما فى الاشتهار . ثم ذهب الى بغداد ولاقى علماءها ورؤساءها . ومكث فيها فلم يطب له فيها العيش ، فرجع الى منزله ولم يخرج منه ، وانقطع عن الناس وعن أكل كل ذى روح وما يخرج منه . وتشبث بآراء فى الشرائع والديانات ونظام الحكم جرت عليه كثيرا من الشبه فى عقيدته . وعمر حتى مات سنة ٤٤٩ هـ . بعد أن ترك شعرا كثيرا ومؤلفات عدة ورسائل مختلفة .

(٢) نهنهت : كففت .

(٣) المعنى لا تلم الخيل والإبل ان لم تدرك غرضك فلعلك تطلب بها غرضا آخر وهو شن الغارة .

(٤) الأجـة : جمع حجاج وهو العظم الذى فوق العين وعليه الحاجب . أى تكون الرماح مقارعة لما فوق أعينها .

وَهوّنتُ الخطـوبَ علىَّ حتى ... كأنى صرتُ أَمنحُها الوِدادا
أأُنكِرُها ومنبِتُها فـؤادى ... وكيف تُنكِّرُ الأرضُ القَتَادا؟ (١)
فأىَّ النـاس أَجعلُه صـديقا ... وأىَّ الأرض أسلكه ٱرتيـادا ؟
ولو أنَّ النجومَ لدَىَّ مالٌ ... نَفَتْ كفاىَ أكثَرها ٱنتقـادا
كأنِّى فى لسان ٱلدهرِ لفـظٌ ... تضمَّنَ منه أغراضًا بِعادا
يُكرِّرُنى ليفهمَنى رِجالٌ ... كما كرَّرتَ معنًى مُستعادا
ولو أنى حُبِيتُ الخُلدَ فـرْدًا ... لمـا أحْبَبْتُ بالخلد ٱنفـرادا
فـلا هَطَلَتْ علىَّ ولا بأرْضِى ... سحَـائبُ ليس تنتظِمُ البِلادا (٢)
وكم مِن طالبٍ أمدِى سـياقى ... دُوَيْنَ مكانِىَ السَّبْعَ الشِـدادا
يُؤَجِّجُ فى شُعاع الشمس نارا ... ويقـدَحُ فى تلهُّبِهـا زِنادا (٣)
ويطعَنُ فى عُلاى، وإن شِسْعِى ... ليَأنَفُ أنْ يكونَ لهُ نِجادا (٤)
ويُظهِـرُ لى مودّتَه مَقـالا ... ويُبغِضُنى ضمـيرًا وٱعتقـادا
فلا وأبيكَ ما أخشى ٱنتقاصًا ... ولا وأبيك ما أرجو ٱزديادا !
لىَ الشرفُ الذى يطأُ الـثُّريَّا ... مع الفضل الذى بَهَرَ العبـادا
وكم عينٍ تُؤمِّـلُ أنْ ترانى ... وتَفقِدَ عنـد رُؤيتىَ السَّوادا
ولو ملأَ السُّها عينيْـه مِنِّى ... أبرَّ على مَـدَى زُحَلٍ وزادا (٥)

(١) القتاد : نوع من الشوك . (٢) تنتظم : تعم .

(٣) أى أن من يسابقنى ويبارينى فى المجد لا يدركنى بل يكون مثله كمثل من يؤجج نارا يكيد بها الشمس . (٤) أى شسع نعلى ورباطه أشرف من نجاد سيفه .

(٥) السها : نجوم خفية فى الدب الأصغر . وليس لها أثر فى الحظ والتأثير عند المنجمين كما لزحل .

أُفُلّ نوائبَ الأيام وَحيدى إذا جَمَعَتْ كتائبها احتشادا

وقد أثبتُّ رِجْلِي فى رِكاب جعلتُ من الزَّماعِ له بِدادا (١)

اذا أوطأتُها قَدَمَىْ سُهيلٍ فلا سُقيتْ خُناصِرةُ العِهادا (٢)

كأنّ ظباءهن بناتُ نعْش يَرِدْنَ إذا وَرَدْن بنا الثِّمادا (٣)

ستعجَبُ من تَغَشْمُرِها ليالٍ تُبارِينا كواكبُها سُهادا (٤)

كأنّ بِجَاحِها فَقَدَتْ حبيبا فصيَّرتِ الظلامَ لها حِدادا

وقد كتبَ الضَّريبُ بها سُطورًا تخالُ الأرضَ لابسةً بِجادا (٥)

كأنّ الزِّبْرِقانَ بها أسيرٌ تُجُنِّبَ لا يُفَكُّ ولا يُفادَى (٦)

وبعضُ الظاعنين كقَرْنِ شمس يَغيبُ فإن أضاءَ الفجرُ عادا

ولكنّ الشَّبابَ إذا تولّى فجهلٌ أن تَرومَ له ٱرتدادا

وأحسبُ أنّ قلبي لو عصانى فعاوَدَ ما وجدتُ له ٱفتقادا

وقال : بمدينة السلام يجيب أبا على النهاوندى محمد بن حمد بن فورجّة من قصيدة بعث بها اليه :

كفى بِشُحوب أوجُهِنا دَليلا على إزماعِنا عَنْكَ الرحيلا

أبتْ صِنْفًا النواعبِ من نياق وطَيرٍ أن نُقيمَ وأن نَقيلا

(١) الزماع : الشجاعة ، والبداد : ما على جانبى السرج من اللبد والحشو الذى تقع عليه ساقا الراكب . (٢) سهيل : نجم يطلع فوق سمت اليمن . وخناصرة بلدة بالشام : يقول اذا توجهت تلقاء اليمن فلا أبالى ما يصيب الشام بعدى .

(٣) أى كأن ركائبى الظباء العطاش مثل بنات نعش فى تفرقها حين ترد الثماد ، وهى المياه القليلة يحفر لها حفر صغيرة تحت الرمل فتنبط ماء . (٤) التغشمر : التعسف .

(٥) الضريب : الصقيع ، وهو الندى ينسقط فيصبح أبيض على وجه الأرض . والبجاد : الكساء المخطط . (٦) الزبرقان : القمر أى كأن القمر أسر فى هذه الأرض فليس له من فكاك .

تأمّلْنا الزمانَ فما وجدْنا … إلى طيب الحياةِ به سبيلا
ذرِ الدنيا اذا لم تحظَ منها … وكنْ فيها كثيرًا أو قليلا
وأصبحْ واحدَ الرجُلَينِ : إمّا … مَليكا فى المَعاشر ، أو أبيلا (١)
ولو جَرتِ النباهةُ فى طريق الـ … ـخُمُول إلىّ لاخترتُ الخُمولا

* * *

كَلِفْنَا بالعِراق ونحنُ شَرْخٌ … فلم نُلْمِمْ به إلا كُهولا (٢)
وشارَفَنا فِراقُ أبى علىّ … فكانَ أعزَّ داهيةٍ نُزولا
سقاه الله أبلَجَ فارسيًّا … أبتْ أنوارُ سؤدده الأفولا (٣)

* * *

وردْنا ماءَ دِجْلةَ خيرَ ماءٍ … وزُرْنا أشرفَ الشجرِ النخيلا
وزُلْنا بالغَليلِ ، وما اشتفَيْنا … وغايةُ كلِّ شىءٍ أن يزولا (٤)
ولو لَمْ ألقَ غيرَك فى اغترابى … لكانَ لقاؤُك الحَظَّ الجزيلا
ستحمِل ناجياتُ العِيسِ منِّى … صديقًا عن وِدادِك لَنْ يَحولا (٥)
يُؤمِّل فيك إسعافَ الليالى … وينتظرُ العواقبَ أنْ تُديلا (٦)

وقال يفتخر :

أفوقَ البدْرِ يُوضعُ لى مِهادُ … أمِ الجوزاءُ تحتَ يدِى وِسادُ
قنِعتُ فخِلتُ أنّ النجمَ دُونِى … وسِيّانِ التَّقنُّعُ والجِهاد (٧)

(١) الأبيل : الراهب والزاهد . (٢) شرخ : جمع شارخ وهو الشاب كما جمع صاحب على صحب . (٣) أبلج فارسيا : حال من الهاء فى سقاه فهما من وصف أبى على لأنه كان فارسى الأصل . (٤) وزلنا بالغليل : أى وفارقنا ماء دجلة بما بنا من العطش لم نشف غليلنا منه . (٥) ناجيات العيس : مسرعات الإبل . (٦) أى ينتظر سعادة الحياة بسببك كما يبغى أن تكون العواقب خيرا من الماضى فتديل منها أى تغلبها . (٧) أى أن التقنع والجهاد مستويان فى أن كلا منهما شديد على النفس .

وأطربَني الشبابُ غداةَ وَلَّى فليتَ سِنيه صَوتٌ يُسْتَعادُ!
وليس صِبًا يُقَادُ وراءَ شَيْبٍ بأعوزَ مِن أخى ثِقةٍ يُفاد
كأنى حَيْثُ يَنْشا الدَّجْنُ تحتي فهأنا لا أُطَلُّ ولا أُجاد (١)
رُوَيْدَك أيُّها العاوِى وَرائى لِتُخْبِرَنى مَتَى نَطَقَ الجمادُ
سَفاهٌ ذَادَ عنك الناسَ حِلْمٌ وغَىٌّ فيه منفعةٌ رَشاد
أأَخْمُلُ والنباهةُ فىَّ لَفْظٌ وأقتُرُ والقَناعةُ لى عَتاد
وألقى ٱلموتَ لم تخِد ٱلمطايا بحاجاتى ولم تَجِف ٱلجياد (٢)

وقال فى الرثاء :

أَحْسَنُ بالواجد من وَجْدِهِ صبرٌ يُعيد النارَ فى زَنْده
ومن أبَى فى الرُّزْءِ غيرَ الأسَى كان بُكاهُ مُنْتَهى جُهْده
فَلْيَذرِف الجَفْنُ على جعفَر إذْ كان لم يُفْتَح على نِدِّه (٣)
والشىءُ لا يكثُرُ مُدّاحُهُ إلا إذا قِيسَ الى ضِدّه
لولا غَضَى نَجْدٍ وقُلّامُهُ لم يُثْنَ بالطِّيب على رَنْده (٤)
ليس الذى يُبكَى على وَصْلِهِ مثلَ الذى يُبكَى على صَدّه
والطرفُ يرتاحُ الى غُمْضه وليس يرتاحُ إلى سُهده
كانَ الأسَى فَرْضا لَوَ انّ الردَى قال لنا : ٱفدوهُ فلم نَفْدِهْ
هل هو إلا طالعٌ للهُدَى سار من ٱلتربِ إلى سَعْده

(١) أى كأنى فى حرماتى أعيش فوق السحاب ؛ فلا ينالنى منه مطر ولا طل .
(٢) لم تخد : من الوخد وهو سير سريع للابل . وتجف : من الوجيف وهو السير السريع للخيل والركاب .
(٣) أمر بذرف الجفن بدموعه على جعفر مع أنه ذكر قبل أن الأولى بالحزين الصبر وأن البكاء لا يفيد : لأن مصاب جعفر هذا ليس كغيره ممن يجمل فى حقه التصبر لأنه مفقود النظير . ووضح ذلك بالبيت بعده .
(٤) الغضى : شجر يحتطب به فوى النار . والقلام : من أعشاب البادية . والرند : شجر طيب الرائحة — يعنى لولا مقايسة الرند بالغضى والقلام لم تحمد رائحة الرند .

فباتَ أدنَى من يدٍ بيْننَا كأنه الكوكبُ فى بُعــده
يا دهرُ يا منجزَ إيعادِه ومُخْلِفَ المأمولِ من وَعْده
أىُّ جديــدٍ لكَ لم تُبْــلِهِ ؟ وأىّ أقــرانِك لم تُرْدِه ؟
تستأْسِرُ العِقبانَ فى جَوِّها وتُنْزِلُ الأَعْصَمَ من فِنْدِه (١)
أرى ذوى الفضلِ وأضدادَهمْ يجمعُهــمْ سَــيلُك فى مَدِّه
إن لم يكن رُشْــدُ الفتَى نافعا فَغَيُّــه أنفعُ من رُشْــده
تجــرِبةُ الدنيـا وأفعالُهـا حَثَّتْ أخا الزُّهدِ على زُهـده
والقلبُ من أهــوائه عابدٌ ما يَعبُــد الكافرُ من بُدِّه
إنّ زمانِى برَزاياهُ لِى صَــيَّرَنِى أمرَحُ فى قِــدِّه
كأننـا فى كفِّه مالُــهُ يُنفِق ما يختـارُ من نَقْــده
لو عرَف الإنسانُ مِقــدارَه لم يفخَرِ المولى على عبــده
أمسُ الذى مرَّ على قُــرْبِه يَعجِز أهــلُ الأرضِ عن رَدّه
أضحَى الذى أُجِّلَ فى سِــنّه مثــلَ الذى عُوجِلَ فى مَهده
ولا يُبــالِى المَيْتُ فى قــبرِه بذمّه شُــيِّعَ أمْ حَمْــده
والواحدُ المُفــرَدُ فى حَتْفِــه كالحاشد المُكْثِرِ مِن حَشْده
وحالةُ البــاكى لآبائــهِ كحــالة البــاكى عــلى وُلْده
ما رغبــةُ الحىِّ بأبنــائه عمــا جنَى المــوتُ على جدِّه

(١) الفند : القطعة من الجبل . والأعصم : الوعل وهو مما يسكن الجبال .

وَمجدُه أفعالُه لا الذى من قبلِه كان ولا بَعدِه
لولا سجاياهُ وأخلاقُه لكان كالمعدوم فى وُجْدِه
تشتاقُ أيّارَ نفوسُ الورَى وإنما الشوقُ الى وَرْدِه (١)
تدعو بطُولِ العُمر أفواهُنا لمن تناهى القلبُ فى وُدّه
يُسَرُّ إن مُدَّ بقاءٌ لَهُ وكُلُّ ما يَكرَه فى مَدِّه
أفضلُ ما فى النفس يَغتالُها فنستعيذُ الله من جُندِه
وآفةُ العاشقِ من طَرْفه وآفةُ الصارم من حَدِّه
كم صائنٍ عن قُبلَةٍ خَدَّهُ سُلِّطتِ الأرضُ على خَدِّه
وحاملٍ ثِقلَ الثَّرى جيدُه وكان يشكو الضَّعْفَ من عِقده
ورُبَّ ظمآنَ إلى مَوْرِدٍ والموتُ لو يعلَمُ فى وِرْده
ومُرسِلِ الغارةِ مبثوثةً من أدهَمِ اللون ومن وَرْده
يخوضُ بحرًا نقعُه ماؤه يحمِلُه السابحُ فى لِبْده (٢)
أشجعَ من قَلْبِ خَطِّيَّةٍ على طويلِ الباع مُمتَدِّه
يرى وُقوعَ الزُّرق فى دِرعِه مثلَ وُقوع الزُّرق فى جِلده (٣)

(١) أيار : شهر رومى يظهر فيه الورد يقابل شهر مايو بالافرنجية .
(٢) أى ورب قائد يشن الغارة متفرقة على الأعداء بخيل مختلفة اللون من أدهم وورد، ويخوض من الحرب بحرا يكون النقع أى الغبار فيه بدل (الماء)، ويحمله الفرس السابح السريع الجرى على لبده الخ .
(٣) يعنى بصير بالحرب يحمى درعه من زرق الأسنة كما يحمى جلدته ؛ فلا يصل اليه طعن .

لا يصـــلُ الرُّمْحُ الى طِـرْفِهِ ولا الى المحـكَمِ مِن سَـــرْدِه (١)

يُلْقِى عليــهِ الطَّعْنُ إلقاءَكَ ألـ حُسْبَ على المُسْرِعِ فى عَقْدِه (٢)

بلَحْظَةٍ منـــه فمـا دُونَهـا يَرُدُّ غَرْبَ الجيش عن قصده

أمْهَـــلَهُ الدهرُ فأوْدَى بِهِ، مبيضُـــهُ يَحْـدِى بمُسْـوَدِّه (٣)

فيـا أخا المفقـــود فى خَمْسَةٍ كالشُّهْبِ ما سَلَّاكَ عن فَقْدِه (٤)

جاءَكَ هـذا الحزنُ مستجْدِيًا أجرَكَ فى الصبرِ فلا تُجْـدِه (٥)

سـلِّمْ الى الله؛ فكلُّ الذى ساءَكَ أو سرَّكَ مِن عِنـــده

لا يعـــدَمِ الأسمـرُ فى غابِهِ حَتْفًا ولا الأبيضُ فى غِمْـده

إن الذى الوحشـةُ فى داره تؤنِسـهُ الرحمـــةُ فى لَحْـده

لا أُوحِشَتْ دارُكَ من شمسها ولا خلا غابُكَ من أُسْــده

(١) الطرف : الفرس الكريم . والمحكم السرد : الدرع .

(٢) أى يقصد بالطعن من كل جهة، فيتوقاه، ويردّه عن نفسه، ولا تشغله جهة عن جهة ثم شبه سرعة قصده بالطعان من كل ناحية بالقاء أعداد الحساب على الحاسب الماهر الذى يحسب بعقد الأصابع فيخرج النتيجة بسرعة .

(٣) أمهله الخ : خبر عن (ومرسل النارة) . وأودى به : أهلكه . ومبيضه : أى مبيض الدهر يريد به النهار . ومسوده : يريد به الليل؛ أى يسير نهاره مسوقا بليله . والمراد ذكر الأيام والليالى وتتاليها .

(٤) لأنه مات عن خمسة أولاد . أى فى أولاد أخيك الخمسة مسلاة لك عنه .

(٥) أى جاءك الحزن يستجدى أجرك فى الصبر بالجزع الذى ينفى الأجر فلا تجده بالجزع .

وقال أبو العلاء فى اللزوميات :

أَصَاحِ هي الدُّنْيَا تُشَابِهُ مَيْتَةً ... وَنَحْنُ حَوَالَيْهَا الكِلَابُ النَّوَابِحُ
فَمَنْ ظَلَّ مِنهَا آكِلًا فَهْوَ خَاسِرٌ ... وَمَنْ عَادَ عَنْهَا سَاغِبًا فهو رابح (١)
ومن لم تُبَيِّتْهُ الخُطُوبُ فإنَّهُ ... سَيَصْبَحُهُ من حَادِثِ الدهرِ صَابِحُ

وقال :

دُنْيَاكَ دارٌ إن يَكُنْ شُهَّادُهَا ... عقلاءَ لم يَبْكُوا على غُيَّابِها
قد أَظْهَرَتْ نُوَبًا تَزِيد على الحَصَى ... عَدَدًا وكم فى ضِبْنِها وعِيَابِها (٢)
تَفْرِيهِمُ بسيوفها وتَكُبُّهُمْ ... برِمَاحِهَا وتَنَالُهُمْ بِصِيَابِها (٣)
ما الظَّافِرُونَ بِعِزِّهَا ويَسَارِهَا ... إلا قَرِيبُو الحالِ من خُيَّابِها

وقال :

قد فاضتِ الدنيا بِأَدْنَاسِهَا ... على بَرَايَاهَا وأَجْنَاسِهَا
وكلُّ حَيٍّ فوقَها ظَالِمٌ ... وَمَا بِهَا أَظْلَمُ من نَاسِهَا

وقال :

نَهَانِيَ عَقْلِي عن أمورٍ كثيرةٍ ... وطَبْعِي إليها بالغَرِيزَةِ جَاذِبِي
ومما أدامَ الرُّزْءَ تكذيبُ صَادِقٍ ... على خُبْرَةٍ منا وتصديقُ كاذِبِ

وقال :

ضَحِكْنَا وكان الضحكُ مِنّا سفاهةً ... وحُقَّ لِسُكَّانِ البَرِيَّةِ أَنْ يَبْكُوا
يُحَطِّمُنَا رَيْبُ الزَّمَانِ كأنَّنَا ... زُجَاجٌ وَلَكِنْ لَا يُعَادُ لَهُ سَبْكُ

---

(١) الساغب : الجائع . (٢) الضبن ما بين الكشح والإبط . والعياب : جمع عيبة وهى ما يجمع فيه الثياب يريد أن فى أحضانها وأسرارها نوائب تزيد على ما أظهرت .

(٣) تفريهم : تشقهم وتقطعهم ، ويريد بالصياب السهام الصائبة .

وقال :

سَبِّحْ وصَــلِّ وطُفْ بمكَّةَ زائراً ... سبعينَ لا سبعًا فلستَ بناسكِ
جَهِلَ الدِّيانةَ مَنْ إذا عرَضَتْ لهُ ... أطماعُـــهُ لم يُلْفَ بالمتماسكِ

وقال :

لا ذنبَ للدنيا فكيف نلومها ... واللومُ يلحقُني وأهــلَ نحاسى (١)
عِنَبٌ وخمــرٌ فى الإناء وشاربٌ ... فمَنِ المَلُومُ أعاصرٌ أم حاسى؟

وقال :

لَوْ يفهمُ الناس لو أبناؤهم جُلِبُوا ... و بيعَ بالفَلْسِ ألفٌ منهم كَسَدُوا! (٢)
فَوَيحهُمْ بِئْسَ ما رَبَّوْا وما حضنُوا ... فهِىَ الخديعةُ والأضغانُ والحَسَدُ
وهكذا كانَ أهلُ الأرضِ مُذْ فُطِرُوا ... فلا يَظُنَّ جهولٌ أنَّهم فَسَدُوا

وقال :

مُلَّ المُقامُ فكمْ أعاشِرُ أُمَّةً ... أمرَتْ بغيرِ صَلاحِها أُمَراؤُها
ظَلَمُوا الرَّعيَّـةَ واستجازُوا كيدَها ... فعَدَوْا مَصالحَها وهُمْ أُجَراؤُها؟

وقال :

يَحْسُنُ مَرْأَى لِبَنِي آدمٍ ... وكلُّهم فى الذَّوقِ لا يَعْذُبُ
ما فيهِــمُ بَــرٌّ ولا ناسكٌ ... إلا الى نَفْــعٍ له يَجْذِبُ
أفضَـــلُ من أفضلِهِمْ صَخْرةٌ ... لا تَظْـــلِمُ النَّاسَ ولا تَكْذِبُ

---

(١) النحاس و بضم الطبيعة والخليقة والأصل ، يريد بأهل نحاسته جنسه من بنى آدم .

(٢) يتمنى لوعلم الناس أن أبناءهم لو كانوا عبيدًا يجلبون وعرض للبيع ألف منهم بفلس ما اشتراهم أحد .

(٤) كُشَاجِم

قال كُشَاجِم محمود بن الحسين الكاتب الشاعر أحد وَصافى الطبيعة والمتوفى سنة ٣٢٠ هـ . وكان من خدّام سيف الدولة .

يشكو الحَظّ والزمن :

الحمـــدُ لله نالَ النـاسُ حظَّهمُ ... وأخطأَتْنِي مع ٱستحقاقها الرُّتَبُ
وعاقَـنِي عن طِلابِهـا أُصَيْبِيَةٌ ... يأْبَى فِراقَهُمُ الإشفاقُ والحَدَبُ
ولِى قَوادِمُ لو أنّى حَذَفْتُ بهـا ... لأنْهضتْنِى، ولكنْ أفْرُخِى زُغُب
وما التعجُّبُ لو أنّى ظَفِرتُ بها ... بل فى تنكُّبهـا اللأْواءُ، يا عَجَبُ ! (١)
فإن يكن أدبٌ من رُتبةٍ عِوَضًا ... فقد قَضَى ما عَليه العلمُ والأَدب

وقال يهجو عَوّادة :

جاءَت بعُـــودٍ مثلِهـا ناقِرٍ ... كأنَّه نَقْنَقَـــةُ الضِّـــفْدَعِ
مُضطرِبُ الأوتارِ منقوضُها ... مستقبَحُ المَـدْفعِ والمَقْطَعِ (٢)
يَوَدُّ مَن يســمَعُ أَصواتَه ... لو فَقَـدَ السَّمْعَ ؛ فلَمْ يَسْمَعِ
وأَقبلتْ تَضرِبُ غَـيْرَ الذى ... نَسْـمَعُ ، والنَّغْمةَ لم تَتْبَعِ (٣)
كأَنَّمـا قِســمةُ تأليفهـا ... مُثَلَّثٌ مختلِفُ الأَضْــلُعِ (٤)

(١) اللأْواء : الشدّة .

(٢) أى الضرب فى ابتدائه وفى انتهائه .

(٣) أى تخلط نغمة بأخرى .

(٤) أى أن حركة يدها بنقر الأوتار لا تنتج ما نسمعه ، وما نسمعه ليس من نغمــة واحدة متسقة ؛ والأمور الثلاثة مختلفة كأنها مثلث مختلف الأضلاع .

وقال كشاجم أيضا :

جَعَلْتُ إليــكِ الهــوَى شفيعًا ، فــلم تَشــفَعى
ونا ديتُ مســتعطِفا رِضاكِ ، فــلم تَسـمعى
أتارِكَتِى مُــدْنَفـا أخا جسَـــدٍ مُوجَــع
ومُغْـــرِيَتِى والدُّمــو عُ فــد أحرقَتْ مَدْمَعِى
أحِينَ ســلَبْتِ الفُـــؤا دَ بالنَّظَـــر المُطِمِــع
جَفَــوْتِ وأقصَـيْتِنِى فهــلّا وَقَــلْبِى مَعِى !

(٥) أبو الفـــرج البَبغـاء(١)

قال يصف كَتِيبةً وقائدها :

ومَوْشِــيَّةٍ بالبِيض والزُّغف والقَنا مُحَبَّرَةِ الأَعطافِ بالضُّــمَّر القُبِّ(٢)
بعيــدةِ ما بَيْنَ الجناحَيْن فى السُّرى قريبةِ مَا بَيْنَ الكَمِيْن فى الضَّرب
من السالباتِ الشمسَ ثوبَ ضِـيائها بثَـوْبٍ تَوَلّى نَسجَه عِثْــيَرُ التُّرب(٣)
يُعاتِب نشــوانُ القنـا صاحِىَ الظُّبا إذا ٱلْتَقيا فيهــا، على قِــلّة الشُّرب(٤)

(١) هو عبدالواحد بن نصر المخـزومى المعروف بالببغاء الشاعر المشهور والكاتب المجيد . كان من كتّاب سيف الدولة وشعرائه . وهو ممن يجيد وصف المعارك الحربية . وعمر بعد سيف الدولة فساح فى أكثر بلاد الشرق ومات سنة ٣٩٨ ﻫ . وله ديوان شعر .

(٢) الزغف : جمع زغفة ، وهى الدرع اللينة الواسعة أو الرقيقة الحسنة السلاسل ، و يقال درع زغف ودروع زغف أيضا . شبه الكتيبة وما فى وسطها من الأسلحة المختلفة البراقة وما يحيط بها من الخيل بثوب موشى محبر الحواشى .

(٣) العثير : الغبار .

(٤) أى تعاتب فيها الرماح السيوف على قلة شربها من دم الأعداء، لاستعمال السيوف دونها بتقارب المتقاتلين لشجاعتهما .

أعادتْ علَيْنا الليلَ بالنَّقْعِ فى الضُّحى ... ورَدّتْ علينا الصُّبْحَ فى الليل بالشُّهْب
تَبَلَّجُ عَنْ شَمْسَىْ نِزارٍ ويَعْــرُبٍ ... وتَفْتَرُّ عَن طَوْدَىْ عُلًا تَغْلِبَ الغُلْبِ(١)
مُوَقَّــرَةٌ يقتــادُ ثِنْىَ زِمامِهــا ... بَصــيرٌ بأدواءِ الكَرِيهــةِ فى الحَرْب
أصــحّ اعتزاما من خَئونٍ علَى قِلًى ... وأنفذُ حُكْمًا من غَرامٍ على صَبّ

(٦) عبد المحسن الصورى(٢)

قال يهجو بعض من ضافه(٣) :

وأخٍ مَسَّــهُ نُزولى بقَــرْحٍ ... مثلمــا مَسَّنِى من الجُــوع قَــرْحُ
قِيــلَ لى : إنّه جَوادٌ كريمٌ ... والفَــتَى يعْــتَريه بُخْــلٌ وشُحٌّ
بِتُّ ضَــيْفًا له كما حَكَمَ الدّهْـ ... ـرُ، وفى حُكْمِه على الحُرّ قُبْــحُ
قالَ لِى إذ نَزَلْتُ، وهو مِنَ السكـ ... ـرَةِ والهَمِّ طائحٌ ليس يصحو :
لِمْ تَغرَّبْتَ؟ قُلْتُ : قال رسول الله ... ـه، والقــول منه نُصْحٌ ونُجْحُ :
سافِرُوا تَغْنَموا . فقال : وقد قا ... ل تمــامَ الحديث: صُوموا تَصِحُّوا

(١) أى اجتمع فيها النزاريون والقحطانيون من العــرب وتغلب وهى قبيلة سيف الدولة تسـمى تغلب الغلباء لشجاعتها وتجمع الغلباء على الغلب .

(٢) هو عبد المحسن بن محمد من أهل صــور من ساحل الشام شاعر مجيد وصاف متغزل مات سنة ٤١٩ هـ .

(٣) ضافه : نزل عليه .

(٧) تميم بن المعز الفاطمى العُبيدى (١)

قال يصف فوّارة فى بستان :

وقاذِفَةٍ بالمـاءِ فى وَسْطِ بِرْكَةٍ قد ٱلتحفتْ ظِلّاً من الأيْكِ سَجْسَجا (٢)
اذا ٱنبثقتْ بالمـاءِ سَلّتْه مُنْصُلا وعادَ عليهـا ذلك النَّصلُ هَوْدَجا
تُحـاوِلُ إدراكَ النُّجوم بِقَذْفِها كأن لهـا قلبـاً على الجو مُحْرَجا

وقال أيضا فى الفخر :

ألقَى الكَمِيَّ فـلا أخافُ لِقـاءَه ويَفُلُّ إقدامِى شَبَا الحَـدَثانِ
وأكُرُّ فى صَـدْر الخَمِيس مُعانِقاً للموتِ حينَ يفِــرُّ كُلُّ جَبان
ويَزيدنى كُلُّ الخُطـوب تَعَظُّماً وتســلُّطُ الأيامِ عزَّ مكانِ
وعلمتُ أخلاقَ الزمانِ فلم أضِق ذَرْعا بأيامى وغَــدْرِ زمانى
وكما يَمَــلُّ الدَّهْرُ من إعطـائه فكذا مَلالتُـــه مِنَ الحِرمان
وكما يَمُــرُّ لمَعْشَرٍ بِســعادَةٍ فكـذا يكُرّ لمعشَرٍ بهَوانِ
فاذا رماكَ بِشــدَّةٍ فٱصبِرْ لهـا فلســوف يأتى بعــدها بِلَيـان
وسَـلِ ٱلليالى عَنْ نفاذِ عزيمتى وسَلِ ٱلحوادثَ عن ثَباتِ جَنانى
تُخْــبِرْكَ عنِّى أنّنى لم ألْقهـا بَين العَــزائم واهِنَ الأركان
أصبحتُ لا أشتاقُ إلا للنَّـدَى أيضا ولا أهوى سِوَى الإحسان
واذا السيوفُ قَطَعْنَ كُلَّ ضَريبةٍ قطعَ السيوفَ القاطعاتِ لسانى

(١) هو أبو على الأمير تميم بن معد المعز لدين الله الفاطمى بانى القاهرة لم يكن ولى عهد أبيه لأن العهد كان لأخيه نزار وله شعر رقيق وكان فى الفاطميين كابن المعتز فى بنى العباس توفى سنة ٣٧٤ هـ .

(٢) السجسج : الذى لا حر فيه ولا برد .

وقال فى الغزل :

شبّهتها بالبدر فاستضحكتْ ... وقابلتْ قولى بالنُّكْر
وسفّهتْ قولى، وقالت : متى ... سمُجتُ ؟ حتى صِرتُ كالبَدر!
والبدرُ لا يَرنو بعينٍ كما ... أرنو، ولا يبسِم عن ثغر
ولا يُميطُ المِرْط عن ناهدٍ ... ولا يَشُدُّ العِقدَ فى نَحْر
من قاس بالبدر صفاتى فلا ... زال أسيراً فى يدَىْ هَجْرى!

(٨) أبو الحسن التِّهامى(١)

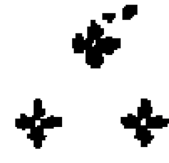
قال يرثى ابنا له صغيرا :

حُكْمُ المنيّةِ فى البريّة جارِ ... ما هذه الدنيا بدار قرار
بينا يُرى الإنسانُ فيها مُخْبراً ... حتى يُرى خبرًا من الأخبار
طُبِعتْ على كَدَرٍ، وأنتَ تُريدُها ... صَفْوًا من الأقذار والأكدار
ومكلِّفُ الأيّام ضِدَّ طِباعها ... متطلِّبٌ فى الماءِ جَذْوةَ نار
وإذا رجوْتَ المستحيلَ فإنما ... تبْنى الرَّجاءَ على شفيرٍ هار (٢)
فالعيشُ نومٌ والمنيّةُ يقظةٌ ... والمرءُ بينهما خيالٌ سار
والنفسُ إن رضيَتْ بذلك أو أبَتْ ... منقادةٌ بأزمّةِ المِقْدار
فاقضُوا مآربكم عِجالًا إنما ... أعمارُكم سَفَرٌ من الأسفار

(١) هو أبو الحسن على بن محمد التهامى . أصله من بلاد العرب من تهامة . وجاب الأقطار وطوّف البلاد ومدح الرؤساء فى الشام وباديتها، وأقام بينهم، وبعثوه جاسوسا الى القاهرة على الفاطميين، فقبضوا عليه وسجنوه ثم قتلوه سنة ٤١٦ هـ . وكان مليح الشعر بدويه واشتهرت مرثيته هذه وكانت سبب اشتهار صاحبها .

(٢) الشفير : حافة الشىء وطرفه . والهار : المنهار أى فانما تبنى الرجاء على حافة كثيب منهار فلا يستقر بناء أى لا يتحقق رجاء .

وتراكضُوا خَيلَ الشَّباب ، وحاذِروا — أن تُسْــتَرَدَّ فإنَّهُن عَــوَارِ (١)
فالدهرُ يَخدَع بالمُنَى ، ويُغصُّ إن — هَـنَّى ، ويهــدِم ما بَنَى ببــوار
ليس الزمانُ وإن حَرَصْتَ مُسالِما — خُلُقُ الزمانِ عــداوةُ الأَحْرار



يا كوكبًا ما كان أقصرَ عمـــرَه — وكذاك عمــرُ كواكب الأَسحار (٢)
وهــلالَ أيام مضى لم يستدِرْ — بدراً ، ولم يُمْهَــلْ لوقت سِرَار (٣)
عجِلَ الخسوفُ عليه قبـلَ أوانِهِ — فمحاه قبــلَ مظنَّــةِ الإبدار
وٱسـتُلَّ من أتْرابه ولِدَاته — كالمقلة ٱستُلَّتْ من الأشــفار (٤)
فكأن قلــبي قــبرُه ، وكأنه — فى طَيِّــهِ سِــرٌّ من الأسرار
إن يُحتقَرْ صِــغرًا فَرُبَّ مُفخَّمٍ — يبــدُو ضئيلَ الشخصِ للنُّظار
إنّ الكواكبَ فى عُلُوِّ مَحَلِّهــا — لَتُرَى صِغارًا وهى غيرُ صِــغار
وَلَدُ المُعَزَّى بعضُه ، فاذا ٱنقضَى — بعضُ الفَــتَى فالكلّ فى الآثار
أبكيه ، ثم أقولُ معتــذِرًا له : — وُفِّقْتَ حين تركتَ أَلأَمَ دار (٥)
جاورتُ أعدائى ، وجاوَرَ رَبَّهُ — شتَّانَ بينَ جِواره وجِــوارى

(١) وترا كضوا خيل الشباب : أى اعملوا فيه وانعموا قبل أن يسترد فانه عارية .

(٢) الكواكب التى تظهر على الشرق فى السحر كالزهرة فى قسم من فصول السنة وكعطارد كذلك ، قصيرة مدة الظهور لأن الشمس تطلع عقب طلوعها فتنسخها ضوءها .

(٣) استدارة البدر فى وسط الشهر وسراره : أى خفاؤه جملة يكون فى آخر ليلة من الشهر وهى التى يظهر بعدها الهلال الجديد .

(٤) الأتراب واللدات : من يولدون فى زمن ميلاد الرجل ويحيون فى حياته .

(٥) يريد بالدار هنا الدنيا .

أشكو بعادَك لِى ، وأنتَ بموْضع لولا الرَّدى لسَمِعْتَ فيه سِرارى
والشرقُ نحو الغرب أقربُ شُقَّةً من بُعـدِ تلك الخمسـةِ الأشبار
هيهاتَ قد علِقتْك أشراكُ الردى واعتاقَ عمـرَك عائقُ الأعمـار
ولقد جريْتَ كما جَريتُ لغـاية فبلَغْتَهـا وأبُـوك فى المِضمار
فاذا نطقتُ فأنت أوَّل منطِقِى واذا سكتُّ فأنتَ فى إضمـارى
أُخفِى من البُرَحاء نارًا مثلَمـا يُخْفِى من النارِ الزِّنادُ الوارى (١)
وأُخفِّضُ الزَّفراتِ ، وهى صَواعِدٌ وأُكفْكِفُ العبَراتِ ، وهى جَوارى
وشِهابُ زَنْدِ الحُزْنِ إن طاوعتَه وَارٍ ، وإن عاصيْتَه مُتوارِى
وأكُفُّ نيرانَ الأسى ، ولربمـا غَلَبَ التصبُّرَ ، فارتمتْ بشَـرار
ثوبُ الرياءِ يشِفُّ عمّـا تحتـه فاذا التحفتَ به فإنـك عار

(٩) عُمـارة اليمنى (٢)

وقال عمارة اليمنى يصف دارًا بناها فارسُ الإسلام (٣) من أبيات :

فتَمـلَّ دارًا شـيَّدتْها هِمـّـةٌ يَغدو العسـيرُ بأمرِها مُتيَسِّـرا
فاقتْ على الإطلاق كلَّ بَنِيَّـةٍ وسَمتْ بسـعدِك عِزةً وتكبرا

(١) البرحاء : الحزن المبرح . والوارى : المتقد بالنار .

(٢) هو نجم الدين أبو محمد عمارة بن على الحكمى من أهـل اليمن ، دخل مصر مؤدّيا رسالة من أمير مكة الى الخليفة الفائز الفاطمى ، فأعجبته مصر ، فأقام بها ، وأكرمه خلفاؤها وملوكها . فلما أباد صلاح الدين الأيوبى ملك الفاطميين من مصر دبر عمارة مع كثير من شيعة الفاطميين المكايد لإعادة دولتهم . واطلع صلاح الدين على جلية أمرهم فصلبهم . وفيهم عمارة سنة ٥٦٩ هـ . وله شعر رقيق ، وقصائد فى مدح الخلفاء والوزراء . ورثى دولة الفاطميين بعدة قصائد . (٣) هو الملك الصالح طلائع بن رُزِّيك الأرمنى الأصل . كان وزير الخليفة الفائز الفاطمى ، وعظم أمره فى مصر ، ومدحه الشعراء ، ومات سنة ٥٥٦ هـ .

أَنشأتَ فيهـا للعُيونِ بدائعًا ... دَقّتْ فأذهل حسنُها مَن أبصرا

فمن الرخام : مُسَيّرًا ومُسَهّما ... ومُنمّنًا ومُدَرْهمًا ومُدَنّرَا

وسقَيتَ من ذَوْبِ النُّضار سُقُوفَها ... حتى يَكادَ نُضارُهـا أن يَقْطُـرا

لم يبْـقَ نَوْعٌ صامِتٌ أو ناطِقٌ ... إلا غدَا فيها الجميـعُ مُصَـوَّرا

فيها حدائقُ لم تَجُـدْها دِيمَـةٌ: ... كلا ولا نَبَتَتْ على وَجْه الثَّرى

لم يبـدُ فيها الرَّوْضُ إلا مُزْهِرًا ... والنخلُ والرُّمّانُ إلا مُثْمِـرا

والطـيرُ مذ وقعَتْ على أغصانها ... وثِمـارِها لم تسـتطع أن تَنْقُـرا

وبها من الحيـوان كلُّ مُشَبَّهٍ ... لِبَسَ الحـريرَ العَبْقَـرِىَّ مُصَـوَّرا

لا تَعْـدَمِ الأبصارُ بيْنَ مُرُوجِها ... ليثـا ولا ظَبيًا بوَجْـرةَ أعفـرا (١)

أَنِسَتْ نوافـرُ وَحْشِها لسباعهـا ... فَظِباؤها لا تَتَّـقِى أُسْـدَ الشَّرى (٢)

وكأن صَـوْلَتَك المخيفـةَ أمَّنَتْ ... أسرابَهـا ألّا تخـافَ فتُـذْعَرا

وبهـا زَرَافاتٌ كأنّ رقابَهـا ... فى الطُّـول ألْوِيَةٌ تؤم العَسكرا

نوبيـةُ المنشا تُرِيك مِنَ المَهـا ... رَوْقًا، ومن نُزْل المَهارِى مِشْـفرا (٣)

جُبِلَتْ على الإقعاءِ من أعجازِهـا ... فتخالُهـا فى التِّيـه تَمْشِى القهقرى

(١) وجرة اسم مكان ببلاد العرب كبير بين البصرة ومكة تسكنه الوحش من الظباء والبقر وغيرها .

(٢) الشرى : مأسدة بقرب الكوفة .

(٣) الروق : القرن . والمهارى : جمع مهرية وهى الناقة المنسوبة الى بلاد مهرة شرقى حضرموت . أى أنها أشبهت بقر الوحش فى القرون وأشبهت الإبل فى المشافر .

(١٠) القاضى الفاضل(١)

قال من قصيدة خمرية وصف فيها بلاغته وتلاعب فيها بالمعانى مفتخراً :

قضى نَحْبَه الصوْمُ بعدَ المطالِ ... وأُطلِقَ مِن قَيْـد فِتْرِ الهِلالِ (٢)
ورَوَّضَ كاتبَ جَنْبِي اليمينِ ... وأتعَبَ كاتبَ جَنْـبِي الشِّمال (٣)
فَدَعْ ضِيقةً مثلَ شدِّ الإسارِ ... الى فُرْجةٍ مثـلِ حَلِّ العِقال
وقُمْ هاتِها مثلَ ذَوْبِ النُّضارِ ... ومَوْجِ البحارِ وطَعْمِ الزُّلال (٤)
جَزَى اللهُ عنِّي عَروسَ الدَّوالِي ... ولا أَخْطأَتْها كُئوسُ العَزالِى (٥)
بمـا أطعمتْ من لَذيذ الثِّمـارِ ... وما أَلْبَستْ من نَسيج الظلال
وماسَلْسَلَتْ من مُذاب السُّرورِ ... وما خَفضَتْ من جِماح التغالى
فكم زَخْرَفَت جَنَّـةً لِلعَذاب ... وكم رَفعتْ قَبَسـاً للضـلال

(١) هو عبد الرحيم بن على البيسانى اللخمى . ولد بعسقلان ونشأ ببلاد فلسطين حيث ألم بالعربية والأدب . ثم كتب فى الاسكندرية فى دواوينها ثم ظهر فضله فنقل الى القاهرة زمن العاضد ولما استولى صلاح الدين على مصر كان بمنزلة وزير له و برز بعده لابنه العزيز وتوفى سنة ٥٩٦ هـ وله ديوان شعر لم يطبع .

(٢) قضى نحبه : يريد انقضى شهر الصيام وكان بقاؤه مقيدا بالهلال هلال شوال فلما أهل انطلق من قيده وذهب .

(٣) ولما ذهب روح بذهابه عن الملك الموكل بكتابة حسناتى عن يمينى ، وأتعب الملك الموكل بكتابة سيئاتى عن يسارى لأن حسنات رمضان كانت كثيرة وسيئات شوال وما يليه ستكون فى العدد أكثر من حسنات رمضان .

(٤) أى هات الخمرة فى لون الذهب مزبدة كموج البحر باردة كالماء الزلال .

(٥) الدوالى : عنب أسود غير حالك ؛ يدعو لكرمة هذا العنب . والعزالى : جمع عزلاء وهى مصب الماء من الراوية والقربة ونحوهما . يريد بها عزالى السحاب . دعا لها بالسقيا بسبب أنها تطعم الناس من ثمرها وتظلهم بعرائشها الخ .

أغالِطُ بالكأس حُكْمَ الزمانِ فيــومٌ علىَّ ويــومٌ بمـا لى (١)
فجاءتْ بمـا فى عُيون النســاءِ ومَرَّتْ بما فى رءُوس الرجال (٢)
وأسْـلُو الغَزَال بهـا إذ أرى بكاساتهـا دَمَ ذاك الغـــزال

* * *

وســكرانَ كَرَّرَ من سُــكره زمانٌ على كل عقل مُمَـال
فسُكْرُ الشبابِ وسكرُ الشَّراب وسكْرُ الصُّدود وسُــكْرُ الوِصال
فلا تذكرنَّ عُهودَ الوِصـال فعهدى بها والليـالى ليـالى
ولم أبكِ عهدًا رجاءَ الرُّجوع ولكن أُجــددهُ بالصِّـقال (٣)
بعثنَ الليـالى ببأس جديد علىَّ قديمـا فجـاستْ خِلالى (٤)
فمـا جاء عَن مَنطِق ذمُّ جان ولا جاء عن جوْهرى ذم حالى (٥)
ولم أستغِثْ تحتَ ظلّ الخُطُو ب جَرْجرةَ البُزْلِ تحتَ الرحال (٦)
خَشُنْتُ لحالٍ كشوْك القَتاد ولِنْتُ لأُخرى كشوك السِّيال

---

(١) أى ويوم يأتى بمـا هو لى أى بفائدة لى .

(٢) فجاءت الكأس بمـا فى عيون النساء من التكسر والفتور . ومرت الخ . أى وذهبت بما فى رءوس الرجال من العقل .

(٣) أى ولم أبك عهـدا من هذه العهود رجاء أن يعود كما كان ولكنى أصقله بعد ما قدم بوصفى له وبكائى عليه .

(٤) إما أن يعود ضمير بعثن على العهود المتقدمة وإما على رأى من يلحق علامة الجمع بالفعل عن إسناده للجمع الظاهر .

(٥) أى أنى لا أذم أحدا جانيا كان أو حاليا بالفضيلة .

(٦) البزل : الجمال المسنة . أى لا أصيح بجرجرة البزل .

ولستُ لسانا لِذُلِّ السؤال وما زِلْتُ صدرًا لعِزّ السؤال (١)
حديثٌ يُناجِي فروعَ السحاب وأصل يُناجى أصولَ الجبال

(١١) ابن قَلاقس (٢)

قال من قصيدة يمدح بها ياسر بن بلال :

سافِرْ إذا ما شِئْتَ قدْرا سارَ الهلالُ فصار بدْرا
والماء يكسِبُ ما جرَى طِيبًا، ويخبُثُ ما ٱستقرّا
وبنُقْلةِ الدُّرَرِ النقـ ـيّة بُدِّلت بالبَحْر نَحْرا
وَصْلًا اذا امتلأتْ يَدا كَ فإن هُما خلتَا فهجْرا (٣)
فالبدرُ أنفقَ نورَه لما بَدا ثمّ ٱستَسَرّا
حَركاتِ عيسكَ ما أرَدْ تَ مِهادَ عيْشك أن تقِرا (٤)
فالمهدُ أسكنُ للصبـ ـيّ بحيث جاء به ومَرّا
إما ترَيْني شاحبَ الـ وجناتِ قد أُلبِستُ طِمْرا

(١) أى أنى لا أسأل الناس ولكنهم يسألوننى .

(٢) هو أبو الفتح نصر الله بن عبد الله الشهير بابن قلاقس اللخمى الاسكندرى الملقب بالقاضى الأعز . كان شاعرا مجيدا رحالا مداحا دخل المغرب وصقلية : ومدح أمراءهما كما مدح أعيان دولة الفاطميين . ثم ذهب الى اليمن ومدح ملوكه . ومات بعيذاب . وكان مرمى السفن المقلعة من مصر على بحر القلزم (الأحمر) الى الحجاز سنة ٥٦٥ هـ .

(٣) وصلا اذا : أى صل وصلا .

(٤) حركات : أى اعمل حركة لعيسك اذا أردت قرارا لعيشك أى أن الغنى بالسعى وانما يسكن الصبي فى مهده إذا اهتز وجاء به إلى ناحية ومرّ إلى أخرى .

فوقائـــعُ الأَيام تُخْـ ـرِجُ أهلَهـا شُعْثًا وغُبرا

مدَّتْ الىّ الأربعـــو نَ يدًا، وقد قهقرتُ عَشْرا

واستــحدثتْ فى لِمّــتى نُقَطًا . فهـــلّا كُنَّ حِبرا !

ما قلتُ : أُفٍّ ! فإنهــا شَرَرٌ بأفِّ يعـــود جَمْـرا

وكفاكَ أنى إنْ نظر تُ لها نظرتُ النجمَ ظُهْرَا (١)

كان الشــبابُ الغضُّ لِيـ ـلًا فاستنار الشيبُ فجـــرا

ولئن تقلب بى الزما نُ كما اشتهى بَطْنـا وظَهْرا

فــبما قتلتُ صروفَـــه وقتلتُـــه جَـــلَدًا وخُبْرا

غاضَ الوفاءُ، وفاضَ ما ءُ الغَـــدْرِ أنهـارًا وغُدْرا

فانظر بعينك هـــل ترى عُرفا وليس تراه نُكْرا؟

خُلُقٌ جرَى مِن آدمٍ فى نَســلِه، وهَـــلُمَّ جَرّا

ومُروِعى بالبحـــر يَحْـ ـسَبُ أنَّنى أرتاعُ بحـــرا

أو ما دَرَى أنى بِتَسْـ ـهيل المَصَاعِبِ منه أدرَى

وقال مرتجلا :

ولَمّا بَدَا رَكْبُ السحاب تَسوقُه حُدَاةُ الرياحِ الهُوجِ وهى تُزَمْجِـر

رَكنتُ لبيتٍ أستجنّ من الحَيَا به، واذا غيثٌ مِنَ السقف يقطُر

فلا فَرْقَ ما بين السحاب و بينـه سِوى أن ذَا صافٍ، وذاك مُكَدَّر

(١) أى إن نظرت الى الشعرات البيض فى لمتى اسودت الدنيا فى عينى وكأنى أنظر النجوم فى الظهر مأخوذ من المثل العامى « يريه النجوم فى الظهر » .

وقال :

وسهمٍ فـوّارة اذا انبعثَتْ ... عاوَدتِ الجوَّ يجتدى أرضَه
كأنها خَيْمةٌ مكلّلةٌ ... عمودُها من سبائكِ الفِضة

وقال :

انظر إلى الشمس فوقَ النيل غارِبةً ... واْعجَبْ لما بعدَها من حُمرة الشفَق
غابتْ، وأبْدَتْ شُعاعا منه يخلُفها؛ ... كأنها احترقتْ بالماءِ فى الغرق!
وللهلال، فهل وافى لينقِذَها ... فى إثرها زَوْرقًا قد صِيغ من وَرِق؟

(١٢) ابن النبيه المصرى (١)

قال :

النـاسُ للموتِ بَخيْـلِ الطِّرادْ ... فالسـابقُ السابقُ منها الجَواد
واللهُ لا يدعــو الى دارِه ... إلا مَنِ استصلَحَ مِن ذِى العباد
والمــوتُ نقّـادٌ على كفّه ... جواهرٌ يختـارُ منها الجِيـاد
والمـرْءُ كالظـلِّ؛ ولا بُدَّ أنْ ... يَزولَ ذاك الظلُّ بعـدَ امتداد
لا تصلُحُ الأرواحُ إلا اذا ... سَرَى الى الأجساد هذا الفساد
أرغمتَ يا موتُ أنوفَ القَنا ... ودُسْتَ أعناقَ السيُوفِ الحِداد

وقال يتغزل من قصيدة :

أَفديهِ إنْ حفِظَ الهوى أو ضَيّعا ... ملَكَ الفؤاد فما عسَى أن أصنعا
من لم يذُق ظُلْمَ الحبيب كظَلْمِه ... حُلوًا فقد جَهِلَ المحبةَ وادّعى (٢)

(١) هو أبو الحسن على بن محمد الشهير بابن النبيه المصرى صاحب شعر رقيق وغزل بديع . كان من خدّام بنى أيوب ملوك الشام والجزيرة من أقارب صلاح الدين . واختص منهم بالملك الأشرف موسى الملقب بشاه أرمن . توفى بنصيبين من مدن الجزيرة سنة ٦١٩ هـ عن نحو ٦٠ سنة .

(٢) الظلم بريق ثغر الأسنان وحسنه .

يأيها الوجهُ الجميلُ تدارك الصـ ... ـبرَ الجميلَ فقد عفَا وتضعْضَعا
هـــل فى فؤادِك رحمـةٌ لِمتيّم ... ضمّتْ جوانحُه فـؤاداً مُوجَعا؟
هل من سبيلٍ أن أَبُثّ صبابتى ... أو أَشْـتكِى بَلْواىَ أو أتوجّعا؟
إنى لأستحيِى كما عـــوّدتَنى ... بِسوَى رِضاك إليكَ أن أتشفَّعا

وقال يمدح الملك الأشرف من بنى أيوب من ملوك الجزيرة :

من سِحْرِ عَيْنَيْكَ الأمانَ الأمانْ ... قتلتَ رَبَّ السيفِ والطَّيْلَسانْ (١)
أسمـــرُ كالـــرُّمح له مُقْـــلَةٌ ... او لم تكنْ كحلاءَ كانتْ سِنان
يزدادُ إنْ أشكو له قَسْوَةً ... ولو شكوتُ الحبَّ للصَّخرِ لان
ساقٍ سَبَاها رضْوانُ عن حِفْظِه ... فَفَرَّ من جُملةِ حُورِ الجنان
بدرٌ وكأسُ الرَّاحِ شمسُ الضحا ... لله ما أســـعَدَ هـذا القِران!
توقّـــدت جَمـرةُ لألائهـا ... كأنهـا بَهْرامُ أو بَهْرَمان (٢)
بخـــدِّه أو طـــرْفِه أو جَنى ... لَمَـاهُ سُكْرِى لا ببِنْتِ الدِّنان
يا لائِمى دَعْــنى فإنى فـــتًى ... ما تركَ الحُبُّ بجسمِى مَكان
لا تسأَلِ العاشــقَ عن حالِه ... فدمعُه عن سِرِّه تَرْجُمان
لولا دُموعى والضَّــنَى لم أَبُحْ ... قد يَنْطِقُ المرءُ بغـــيرِ اللسان
أعزّنى مُوسَى ولولا هوَى ... معـــذِّبى ما ذقتُ طعمَ الهَوان
الملكُ الأشرفُ شاهُ أرمَن ... مظفَّرُ الدين كريمُ الزمان

(١) أى الجندىّ والعالم .

(٢) بهرام : اسم المريخ بالفارسية ولونه أحمر . والبهرمان : نوع أحمر من الياقوت .

* * *

مولاىَ جُدْ وانعم وصِلْ واقتدرْ وافتك فما تفرحُ أمُّ الجَبان
واركب جوادَ الدهر واسبِق الى ما تَشتهيه قد ملكتَ العِنان
دُمْـتمْ بَنِى أيُّوبَ فى نِعمةٍ تجُوزُ فى التخليدِ حَدَّ الزمان
والله ما زِلْتمْ ملوكَ الورى شرْقا وغرْبا ، وعلىَّ الضَّمان !

(١٣) ابن مطروح (١) :

وما أنْسَ لا أنْسَ المليحةَ إذْ بَدَتْ دُجًى فأضَاءَ الأفْقُ من كل مَوْضعِ
فحَدَّثتُ نَفسى أنها الشَّمْسُ أشْرقتْ وأنى قد أوتِيتُ آيَةَ يُوشَعِ
وقال : يامن ألبستُ عليه أثْوَابَ الضَّنَى صُفْرًا مُوشَّعةً بِحُمْرِ الأدْمُعِ
أَدرِكْ بقيةَ مُهْجَةٍ لو لم تَذُبْ أسَفا عَلَيْكَ نَفيتُهَا عن أضْلُعِى
وقال : مَلِكُ المِلاَحِ ترى العيو نَ عليه دائرةً يَطَقْ (٢)
ومُخَيِّمٌ بين الضلو عِ وفى الفُؤَادِ لَهُ سَبَقْ (٣)

(١٤) البهاء زهير (٤) :

ليتَ شِعْرِى هل زمانى بعدَ ذَا البُخْلِ يجودُ؟
ما أرى الشِدّةَ إلا كلما مَرّتْ تزيدُ

(١) هو جمال الدين يحيى بن عيسى الشهير بابن مطروح من أهل صعيد مصر . ولد بأسيوط ، ونشأ بقوص ، واتصل بالملك الصالح نجم الدين أيوب وخدمه بالكتابة . وكان زميلا للبهاء زهير . ثم اعتزل الخدمة ومات سنة ٦٤٩ هـ .

(٢و٣) اليطق : كلمة تركية ، وهى جماعة من الجند يبيتون حول خيمة الملك يحرسونه . والسبق خيمة الملك .

(٤) هو بهاء الدين زهير بن محمد المهلبى الصالحى . ولد قرب مكة . وجاء مصر ، فنشأ بقوص نشأة أدبية واتصل بالملك الصالح المتقدم ذكره فرأس عنده رئيس ديوان الإنشاء (بمنزلة وزير) . وتوفى سنة ٦٥٦ هـ .

يَنقَضِى يــومٌ فيــومٌ — فى حــديث لا يُفيــد
فمتى اليـــومُ الذى أَبـ — ـلغ فيـــه ما أُريـــد ؟

وقال :

مَولَاىَ كن لِى وَحْدى — فإنّنى لكَ وحــدَكْ .
وكن بقلبك عِنْــدى — فان قلــبىَ عنـــدَك
لى فيك قصــدٌ جميلٌ — لا خيَّبَ اللهُ قصدَك
حاشاك تُؤثِر بَعْــدِى — فلستُ أُوثِرُ بُعْــدَك
إن تَنْس عَهدِى فإنى — والله لم أَنْسَ عهدَك
أضــعْتَ وُدَّ مُحِبّ — ما زال يحفَــظُ وُدّك
مولاى إن غِبْتَ عنِّى — واسُــوءَ حالِىَ بعدَك !

وقال :

يعاهدُنِى: لا خانَنِى! ثم يَنْكُثُ — وأحلِفُ لا كلّمْتُه ! ثم أَحنَثُ
وذلك دَأْبى لا يزالُ ودأبُــه — فيا معشرَ الناس اسْمَعُوا وتحدّثوا
أقول له: صِلْنى! يقول: نَعَمْ غدا! — ويكسِرُ جَفْناً هازِئاً بى ويعبَثُ !
وماضرّ بعضَ الناس لو كان زارَنِى؟ — وكُنّا خَلَوْنا ساعةً نتحــدّث
أمولاى، إنى فى هواكَ معذّبٌ! — وحتام أَبقى فى العذاب وأمكُث ؟
فخذْ مرةً رُوحى تُرِحْنى، ولم أكن — أموتُ مِراراً فى النهار، وأُبعَث
وإنى لهذا الضيمِ منكَ لَحَاملٌ — ومنتظِرٌ لُطْفاً من الله يَحدُث !

أعيذُكَ من هذا الجفاءِ الذى بدا … خلائقُك الحُسنى أرقُّ وأدمثُ

تردَّد ظنُّ الناسِ فينا وأكثروا … أقاويلَ: منها ما يَطيبُ، ويخبُث

وقد كُتِمتْ فى الحب منى شمائلى … ويسأل عنى من أرادَ ويبحث!

وقال وتلاعب بالتورية والطباق ومراعاة النظير:

غيرى على السُّلوانِ قادرْ … وسِواىَ فى العُشاق غادر

لِى فى الغرامِ سريرةٌ … واللهُ أعلَمُ بالسرائر

ومُشَبَّهٍ بالغُصْن قَلْـ … ـبى لا يزالُ عليه طائر

حُلْوُ الحديث، وإنَّها … لحلاوةٌ شقَّتْ مرائر

أشكو وأشكُرُ فعلَه … فاعجَبْ لشاكٍ منه شاكر!

لا تُنكِروا خَفَقَانَ قَلْـ … ـبى، والحبيبُ لدىَّ حاضر

ما القلبُ إلا دارُه … ضُرِبتْ له فيها البشائر

يا تاركِى فى حُبِّـه … مثلًا من الأمثال سائر

أبدًا حديثِى ليس بالْـ … ـمنسوخ إلّا فى الدفاتر

يا ليلُ مالكَ آخرٌ … يُرْجَى ولا للشوقِ آخر

يا ليلُ طُلْ، يا شوقُ دُمْ، … إنى على الحالَيْن صابر

لى فيكَ أجْرُ مجاهدٍ … إن صحَّ أنَّ الليلَ كافر[1]

طرْفى وطرفُ النجمِ فيـ … ـكَ كلاهما ساهٍ وساهر

(١) كافر من الكفر الحقيق الذى هو ضد الإيمان لمناسبة ذكر المجاهد.

يَهنيـــكَ بدرُك حاضرٌ ياليتَ بدْرى كان حاضر
حتى يَبينَ لناظِرى من مِنهـــما زاهٍ وزاهر
بدرى أرقُّ محاســـنا والفرْقُ مثلُ الصبح ظاهر (١)

وقال :

تعيشُ أنتَ وتبـــقَى أَنا الذى مُتُّ حَقّـا
حاشـاكَ يانورَ عَيْنِي تلـقَى الذى أَنا أَلْـــقَى
قـد كان ما كان مِنِّى واللهُ خـــيرٌ وأبـــقَى!
ولم أجـد بَيْن موْتِي وبين هَجْـــرِكَ فَـرْقا
يا أنعمَ النـاس قُلْ لى: إلى متى فيـكَ أشـــقَى؟
سمعتُ عنكَ حديثـا يارَبّ لاكانَ صِـــدْقا!
حاشاكَ تنقُضُ عهدى وعُروَتى فيـــك وُثقَى
فمـا عَهِــدتُك إلا مِن أكرمِ النـاسِ خُلْقا
يا ألف مولاىَ أهـلًا! يا ألفَ مولاىَ رِفْقـا!
لكَ الحيـــاةُ فإنّى أموتُ لاشـكَّ عِشْقا
لم يبـــقَ مِـنِّىَ إلّا بَقِيَـــةٌ ليس تَبْـــقَى

وقال يصف ويهجو :

لكَ يا صـــديقِ بَغْـلَةٌ ليْستْ تُساوِى خَرْدَلَه
تمشِي فتحسبُها العُيــو نُ على الطريق مُشَكَّلَهْ (٢)
وتُخـالُ مُــدبِرَةً إذا ما أَقبلتْ مُســتعجله
مقدارُ خُطوتها الطويـ ـلة حيثُ تُسرِعُ ، أَنْمُلَه

(١) فى الفرق تورية : فى فرق الشعر أو فرق ما بين الأمرين . (٢) أى مقيدة بشكال .

تهـتزّ، وهْىَ مكانَهـا ؛ فكـأنمـا هِىَ زَلْزَلَهْ
أشْـبَهْتَهَا، بل أشـبهتْـ ـكَ كأنَّ بينَكُما صِـلَهْ
تَحكى صفاتِك فى الثقا لة والمهـانة والبَـلَهْ

وقال فى أرض الوطن : مصر العزيزة :

سَـقَى وادِياً بين العَـريشِ وبَرْقةٍ من الغَيْثِ هَطَّالُ الشآبيبِ هَتَّـانُ
وحيَّا النسـيمُ الرطبُ عنى اذا سَرَى هنـالك أوطانًا إذا قيـلَ أوطانُ
بِـلادٌ متى ما جئتَها جئتَ جَنـةً لعينك مِنها كلُّ ما شئتَ رِضـوانُ
تُمَثِّـلُ لى الأشـواقُ أنّ تُرابَهـا وحصباءَها مِسـكٌ يفوح وعِقيانُ
فيا ساكِنِى مصرٍ تُراكُمْ عَلِمـتُمْ بأنىَ ما لِى عنكـمُ الدهرَ سُلوانُ؟
وما فى فـؤادى موضِعٌ لسـواكُمُ ومن أينَ فيه؟ وهْوَ بالشوق مَلآنُ
عسى اللهُ يَطْوِى شُـقَّةَ البُعْـدِ بيْنَنَا فتهـدأَ أحشاءٌ وتَرْقَأَ أجفانُ
عـلىّ لذالِكَ اليـومِ صومٌ نذرتُهُ وعندِى على رأى التصوفِ شُكْرانُ

(ب) النـــثر

أوّلا — النــــثر الفــــنى

(١) أبو الفـــرج البَبغاء(١)

كتب فى التهنئة بولاية عمل :

عرَّفَ اللهُ سـيّدى بركَةَ هذا العَمَلِ الجليل، بِنَيل نَظَرِهِ الجميـل، وحميد أثره المحروس، وتناصُرِ سياسته، الشريفة بِسِمَةِ رياسته، ووفَّقَ رَعِيَّتَهُ لِشكرِ ما وَلِيَها مِن

(١) تقدّمت ترجمته عند شعره .

قَائِض عذله ، ومحمودِ فِعْله ، فالأعمالُ منه — أيَّده الله — بالتهنئة أولَى ، وبالتطاوُل بما شَمِلَها من بَرَكات تَدْبيره أحْرى . والله بكَرَمه يسمَعُ فيه صالحَ الدعاء، ويُبْلِغُه أبلغَ مُدَد البَقاء، فى أسبغ نِعْمة، وأرفع مَنْزِلة، وأصدق أُمْنِيَّة، وأنجح طَلِبَة، بمَنِّـــه .

ولأبى الفَرَج أيضا فى التهنئة بمولودة :

ولو كان الإنسان مُتَصَرِّفًا فى أمره بإرادته، قادرًا على إدراك مَشِيئَته، لبَطَلَتْ دلائلُ القُدْرة، وآستحالَتْ حقائقُ الصَّنْعة، ودَرَستْ معالِمُ الآمال، وتساوَى الناسُ ببلوغ الأحوال، غيرَ أنّ الأمرَ لمَّا كان بِغَيْر مشيئَته مصنوعًا، وعلى ما عَنْه ظهر فى الآبتداء مَطبوعا، كان المُخْرِجُ له الى الوجود من العَدَم، فيما ارتضاه له غيرَ مُتَّهَم .

ومولانا — أيّده الله — معَ كمال فضلِه، وتناهِى عقلِه، وحِدَّةِ فِطنتِه، وثاقب معرفتِــه، أَجَلُّ مِن أن يَجْهَلَ مواقعَ النِّعَم الواردة مِنَ الله تعالى علَيْــه، أو يَتَسَخَّطَ مواهبَــه الصادرةَ اليــه، فَيَرْمُقَهَا بنواظر الفِكر، ويسلك بها غَيْرَ مذاهب الشكر . وقد اتَّصلَ بالمملوك خبرُ المولودة — كرَّمَ الله غُرَّتَها، وأطالَ مُدَّتَها، وعَرَّفَ مولانا البَركةَ بها، وبَلَّغَه أمَلَه فيها — وما كان من تَغَيُّره عند اتّضاح الخبَر، وإنكار ما آختاره له سابق القَدَر، فعَجِبَ المملوكُ مِنْ ذلك واستنكَرَه، من مولانا وأنكَرَه، لِضيقِ العذر فى مثله عليــه . وقد علِم مولانا أنَّهنَّ أَقْرَبُ الى القلوب، وان الله تعـالَى بدأ بهِنَّ فى الترتيب، فقال — جل من قائل — "يَهَبُ لِمَن يشاءُ إناثًا ويَهَبُ لِمَن يشاءُ الذكور" وما سمّاهُ الله هِبـةً فهو بالشُّكر أولَى، وبِحسن التَّقَبُّـل أحْرى ، ولكَمْ نَسَب أفْدَنَ،

وشَرَفٍ استَحْدَثْنَ، مِن طُرُقِ الإصهار، والاتّصالِ بالأخيارِ، والمُلْتَمَسُ مِن الذَّكَر نجابتُه، لا صُورتُه وولادتُه. ولكَمْ ذَكَرٍ الأنثى أكْرَمُ منه طَبْعا، وأظهرُ منه نفعا. فمولانا يصوِّرُ الحالَ بصُورتِها، ويجدِّدُ الشكرَ على ما وَهَبَ اللهُ منها، ويستأنِفُ الاعترافَ له تعالى بما هو الأشبهُ ببَصيرتِه، والأولَى بمثله، إن شاء الله تعالى.

(٢) ومن الكتابة السلطانية

فصل من كتاب بِشارة بالسلامة فى ركوب الخليفة الفاطمى الى مُصَلَّى العيد من إنشاء ابن الصيرفى (١) وهو :

وكتابُ أمير المؤمنين هـذا إليك يومَ كذا عيد النحر سنة كذا وكذا، وهو يوم أظهرَ اللهُ فيه قُوَّةَ الدولةِ واقتدارَها، وأوْجَبَ فيه رغبةً ورهبةً مُسارعةَ النفوس المتخالفة الى الطاعة وابتدارَها، وذلكَ أن عساكرَ أمير المؤمنين توجّهتْ الى قُصوره الزاهرة عند انفجار الفَجْر، وحافظتْ على ما تُحْرِزُه من كريم الثواب وجزيل الأجر، واستنزلت الرحمةَ برؤية إمامِ الأمّة، وعدّتِ الإخلاصَ فى خِدْمَتِه من أَوْفَى الحُرُمات وأقوَى الأذِمّة، وأقامتْ الى أنْ برَزَ أميرُ المؤمنين والأنوارُ الساطعةُ طَوالِعُه، ومهابتُه تمنَعُ كُلَّ طَرْف من استقصاء تأمّلِه وتُدافِعُه، وقصدَ المُصَلَّى

---

(١) هو أبو القاسم على بن منجب بن سليمان الكاتب المعروف بابن الصيرفى كان من شيوخ الكتّاب فى دواوين الدولة الفاطمية، وله عدّة مؤلفات منها قانون ديوان الرسائل وطبع بمصر. ويروى عنه صاحب صبح الأعشى كثيرا من الكتب الديوانية. مات سنة ٥٤٢ هـ.

فى كتائبَ لجَبَةٍ(١)، ومَواكبَ للتعظيم مستَوْجِبَة، وعِزّة تتبيّنُ فى الشمائل والصّفحات، وقُوّة يشهدُ بطيب وصْفها أرَجُ النّفحات، قد غدتْ عُدَدُها مُحْكَمَة، وخيولُها مُطَهّمَة(٢)، وذوابِلُها(٣) اذا ظمِئتْ(٤) كانت مُقوّمَة، واذا رَوِيتْ(٥) عادَتْ مُحطّمَة. تتقلّدُ صفائحَ متى انتُضِيتْ أنصفَتْ من الجائر الحائف، ومتى اقتُضِبتْ(٦) عملاً كان اقتضابُها مُبيِّضًا للصحائف. وفى ظِلّها مَعاقِلُ لِلّائذين، وبِحَدّها مَصارِعُ للنابذين. وهِىَ للدِّماءِ هوارِق، وللهامات فَوالق، ولِمُسْتَغْلَق البِلاد مَفاتح، ولمستفتَحِها مَغالِق. ولما انتهى الى المُصلَّى قضَى الصلاةَ أحسَنَ قَضاء، وأدّاها أفضلَ تأدية، واستنزل رحمةً لم تزَلْ بصلاته مُتمادية، وانتهى الى المِنْبَر فرقِيَه، وخطَبَ خُطبَةَ مَنْ استخلَفه اللهُ فكانَ مُراقِبَه ومُتّقِيَه، ووعظ أبلغ وعظ، وأبانَ عمّا للعامل فى نُصحه فى الدُّنيا والآخرة من فائدة وحظّ، وعطَفَ على الأضاحِى المُعدّةِ لَهُ، فنحَرَها جَرْيًا فى الطاعات على فعلِها المُتَمادِى، وأضحتْ تتوقع التكميل بإنجاز وَعيده فى الأعادِى، فاللهُ يقضِى بتصديقه، ويمُنُّ بتخيُّله وتحقيقه. وعادَ الى قصوره المكرّمة مشكورا سعْيُه، مضمونًا نفعُه، مرضِيًّا فعلُه، مشمولا عبيدُه منه بما هو أهلُه. أعلَمَكَ أميرُ المؤمنين ذلك، فاعلَمْ هذا واعمَلْ به. وكتب فى اليوم المذكور.

---

(١) الكتيبة: الجيش. ولجبة: كثيرة الجلبة والأصوات لكثرة عددها.

(٢) المطهم: التام البارع الجمال من كل شىء.

(٣) الذوابل: الرماح الذابلة القنا، أى الجافة القصب. (٤) ظمئت هنا: جفت وصلبت.

(٥) واذا رويت أى من دماء الأعداء عادت بعد الحرب محطمة لكثرة ما طعن بها.

(٦) فى اقتضبت تورية من الاقتضاب بمعنى الاقتطاع أو بمعنى الخروج من غرض الى آخر بدون مناسبة فى الشعر أو الكتابة.

(٣) القاضي الفاضل

وقال القاضي الفاضل عبد الرحيم البَيْساني رحمه الله يصف مدينة آمِدَ(١) من رسالة جاء فيها :

وآمِدُ ذِكْرُها بين العالَمِ، مُتَعالَمٌ(٢)، وطالما صادَمَ جانِبَها مَنْ تَقادَمَ(٣)، فَرَجَع عنها مَقْدُوعاً أَنْفُه(٤) و إن كانَ فَحْلا، وفَرَّ عنها فريدا بِهَمِّه وان آستصحب خَيْلاً ورَجْلا(٥). ورأى حَجَرها فقَدَّر أنَّه لا يُفَكُّ له حَجْرٌ(٦) وسَوادَها(٧) فظَنَّ أنه لا ينسخُه فَجْرٌ، وحَمِيَّةَ أَنْفِ أَنَفَتِها فاعتقد أنه لايستجيبُ لزَجْر: من مُلوكٍ كلُّهم قد طَوَى صدرَه على الغَليل(٨) الى مَوْرِدِها، ووقَفَ وَقْفَةَ المُحِب السائل فلم يَفُزْ بما أَمَّلَ من سُؤال مَعْهَدِها .

---

(١) بلدة قديمة مبنية على نشز من الأرض حصينة تعد من أكبر مدن إقليم ديار بكر . وتسمى الآن مدينة ديار بكر باسم ولايتها كما تسمى القاهرة بمصر . والهضبة : التي بنيت عليها سوداء، ولذلك يسميها الترك (قره آمد) أي آمد السوداء .

(٢) متعالم : معروف مشهور .

(٣) أي من تقادم من الفاتحين .

(٤) قدع أنف الفحل : ضرب أنفه ليكفه عن النوق اذا كان غير كريم خشية أن تلد منه غير نجائب .

(٥) الخيل هنا : الفرسان . والرجل : الرجالة (البيادة) .

(٦) الحجر : الحبس والحصار .

(٧) وسوادها : أي سواد هضبتها المبنية هي عليها .

(٨) الغليل : يريد التعطش الى موردها أي فتحها .

ثانيـا ـ النـــثر العلمى

قال المَعَـرّى(١) فى مقـدّمة لزوميـاته

وقد جاءَ فى أشـعار المحدثين شيءٌ من الطويل الأوّل(٢) مبنيا على الألف وهو الذى يسميه النـاس المقصور، فيقولون : مقصورة فلان، يعنون مارَوِيُّه ألف .

قال الشاعر :

خرجنا من الدنيا ونحن من أهلها فما نحن بالأحياءِ فيهـا ولا الموتى
اذا ما أتانا زائرٌ، متفقِّـدٌ فَرِحْنَا، وقلنا : جاء هذا من الدنيا !

وهذا الشعر لرجل فى السجن كان على عهد ملوك بنى العباس، ويقال إنه لرجل من ولد صالح بن عبد القـدوس، وقد بنى أبو عبادة(٣) قصيدة على الطويل الأوّل وجعل قوافيها على أروى، وجدوى، ونحو ذلك، فلزم الواو الى آخر القصيدة، ولم يجعلها مقصورة . فهذه إن جعل رويها الألف فقد لزم فيهـا مالا يلزم، وإن جعل رويّها الواو فالألف وصل، وبناؤها على الواو أحسن وأقوى فى النظم .

وفى هذا الكتاب أشياءُ، تجرى هذا المجرى، وقد بينتها فى مواضعها . وقـد يمكن أن يلزم القائلُ حرفين وأكثر . ولو بنيت قافية على دَارِهم ومُزْدَارِهم وصِدارهم لكان القائل قد لزم فيهـا أربعة أحرف : الدال والألف والراء والهاء ؛ لأن الروى الميم، والألف ليست للتأسيس؛ لأن بينها وبين الروى حرفين، ولو بنيت قافية على ضرائرهم وحرائرهم وما أشبه ذلك لكانت قد لزم فيها خمسـة أحرف : الراء الأولى والألف والهمزة التى بعدها ــ وهى فى الصورة ياء ــ والراء الثانية والهاء .

(١) تقدّمت ترجمته فى الشعر. (٢) أى من الضرب الأوّل من بحر الطويل . (٣) هو البحترى .

وقد كنتُ قلتُ فى كلام لى قديم : إنى رفضتُ الشعر رَفْضَ السَّقْب غِرْسَه (١)، والرَّأل تَريكته (٢) . والغرضُ ما استُجيز فيه الكذبُ واستُعين على نظامه بالشُّبهات ؛ فأما الكائنُ عِظةً للسامع ، وإيقاظًا للتوسّن ، وأمرًا بالتحرُّز من الدنيا الخادعة وأهلها الذين جُبِلوا على الغش والمكر — فهو إن شاء الله مما يلتَمسُ به الثوابُ . وأضيفُ الى ما سلف من الاعتذار أن من سَلك فى هـذا الأسلوب ضَعُفَ ما ينطق به من النظام ، لأنه يتوخى الصادقةَ ويطلب الكلمة البرَّةَ ، ولذلك ضعُف كثيرٌ من شعر أُمَيَّة بن أبى الصلت الثَّقَفى ومن أخذ بِضَرِيِّه (٣) من أهل الإسلام . ويروى عن الأصمعى كلام معناه : أن الشعر باب من أبواب الباطل ؛ فإذا أُريدَ به غيرُ وجهه ضعُف . وقد وجدنا الشعراءَ توصلوا الى تحسين المنطق بالكذب وهو من القبائح ، وزيّنوا ما نظموه بالغزل وصفة النساء ونُعُوت الخيل والإبل وأوصاف الخمر ، وتَسَبَّبُوا إلى الجزالة بذكر الحرب واحتلبوا أخلافَ الفكر — وهم أهل مَقام وخَفْض — فى معنى ما يدَّعُون أنهم يعانُون : من حث الرَّكائب وقطع المفاوز ، ومِراس الشقاء .

وهذا حينُ أبدأ بترتيب النظم ، وهو مائة وثلاثة عشر فصلا لكل حرف أربعة فصول . وهى على حسب حالات الرَّوىّ من ضَم وفتح وكسر وسكون ، وأما الألف وحدها فلها فصل واحد لأنها لا تكون إلا ساكنة . وربما جئتُ فى الفصل بالقطعة الواحدة أو القطعتين ليكون قضاء حَقٍّ للتأليف . وبالله التوفيق !

(١) السقب : ولد الناقة الذكر عقب ولادته . والغرس : جليدة رقيقة تظهر على وجهه عند ولادته .

(٢) الرأل : فرخ النعامة . والتريكة : البيضة بعد أن يخرج منها الفرخ .

(٣) أى بصريفته المختلفة المصطنعة .

الأندلس

(أ) الشعر

(١) ابن هانئ الأندلسى[١]

قال من قصيدة يمدح بها المعز لدين الله ويصف أسطوله وكان يومئذ أقوى أسطول فى البحر الأبيض المتوسط :

أَمَا وَالجوارِى المنشآتِ التى سَرَتْ ... لقد ظاهَرَتها عُدَّةٌ وعَديدُ

قِبابٌ كما تُزجَى القِبابُ على المَها ... ولكنَّ مَن ضُمَّتْ عليه أُسود (٢)

ولِلّهِ — ممّا لا يرونَ — كتائبٌ ... مُسَوَّمةٌ تحدُو بها وجُنود (٣)

أطاعَ لها أنَّ الملائكَ خلفَها ... كما وقفتْ خلفَ الصُّفوفِ رُدود (٤)

وأنَّ الرِّياحَ الذارياتِ كتائبٌ ... وأنَّ النجومَ الطالعاتِ سُعود

(١) هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأندلسى الأزدى . ولد بأشبيلية بالأندلس ، ونشأ بها فقال الشعر وفاق كل أدباء المغرب فى عصره . ولازم وهو شاب أمير أشبيلية ، فمدحه بمدائح تغالى فيها ، حتى اتهموه بالكفر ، وهموا به وبالأمير ، فخرج الى عدوة المغرب . وهناك الدولة الفاطمية مستولية عليه ، فاتصل بالمعز ومدحه وأعجب به . ولما فتح القائد جوهر مصر وبنى القاهرة انتقل اليها المعز ، وبعد مدة لحق به شاعرنا ، فمات فى الطريق ولم يبلغ الأربعين سنة ٣٦٢ هـ .

(٢) أى على الحسان اللاتى يشبهن المها .

(٣) ولله كتائب مسومة : أى من الملائكة تحدوها .

(٤) أطاع لها : أى أمكن لها وتهيأ وانقاد . وأن الملائك وما عطف عليه فاعل أطاع . والردود : جمع ردّ بالكسر وهو ما يعتمد عليه ويرجع اليه .

وما راعَ مَلْكَ الرُّوم إلا اطّلاعُها تُنشَّرُ أعــلامٌ لهـا وبنُــود
عليهـا غمامٌ مُكْفَهِرٌ صَــبيرهُ له بارقاتٌ جَمَّــةٌ ورُعــود (١)
مواخِرُ فى طامِى العُبابِ كأنهـا لِعَزْمك بأسٌ أو لكفّك جُود
أَنافتْ بها أعلامُها ، وسمَا لهـا بناءٌ على غــير العَراءِ مَشــيد
وليس بأعلى شاهقٍ ، وهو كوكبٌ ، وليس منَ الصُّفّاح ، وهو صَلود
من الراسيات الشُّمّ لولا انتقالُها فمنهـا قِنانٌ شُمَّــخ ورُيــود (٢)
من الطــير إلا أنهن جــوارحٌ فليس لهـا إلّا النفوسَ مَصيدُ
من القادحاتِ النار تُضْرَمُ للصِّلَى فليس لها يومَ اللقـاء خُمــود
إذا زَفَرَتْ غيْظا ترامتْ بمارِجٍ كما شُبّ من نار الجحــيم وَقــود
فأفواهُهُنّ الحاميــاتُ صواعقٌ وأنفاسهُن الزافراتُ حَديد
يُشَبُّ لآلِ الجاثليق سَــعيرُها وما هى من آل الطــريد بَعيــد
لهـا شُــعَلٌ فوق الغِمار كأنّهـا دماءٌ تلقّتْهـا ملاحِفُ سُــود
تُعانِقُ مَوْجَ البحــرِ حتى كأنه سَليطٌ لهـا فيــه الذُّبالُ عَتيــد
ترى المــاءَ فيها، وهو قانٍ عُبابُهُ كما باشرتْ رَدْعَ الخَلوقِ جُلود (٣)
فليس لهـا إلا الرياحَ أَعِنَّــةٌ وليس لهـا إلا الحَبــابَ كَديدُ (٤)

(١) الصبير : السحابة فوق أخرى ، أو السحاب المتراكم. يريد به دخان مقذوفاتها ونيرانها وأصواتها.

(٢) الريود : جمع ريد وهو القطعة من الجبل . والقنان : جمع قنة .

(٣) الردع : الزعفران أو أثر الطيب فى الجسد . والخلوق : ضرب من الطيب .

(٤) الحباب : الموج . والكديد : الأرض الصلبة .

وغيرُ المذاكِى نَجْرها غير أنها | مُسَوَّمةٌ تحت الفوارس قُودُ (١)
ترى كُلَّ قَوْداءِ التَّلِيل إذا انْثَنَتْ | سوالفُ غيدٍ بالمها وقُدُود (٢)
وحيبة مَدّ الباع وهى نضيحة | بغير شَوًى ، عذراءُ وهى ولود (٣)
تَكَبَّرْنَ عن نَقْع يُثار، كأنها | مَوالٍ ، وجُرْدُ الصافنات عَبيد
لها من شُفوفِ العبقرىِّ ملابسٌ | مُفَوَّفَةٌ فيها النُّضارُ جَسِيد (٤)
كما اشتملتْ فوق الأَرائك خُرَّدٌ | أو التفعتْ فوق المنابرِ صِيد (٥)
لُيُوثٌ تَكُفُّ الموْجَ، وهو غُطامِط | وتدرأ بأسَ اليمِّ، وهو شديد (٦)
فمنه دروعٌ فوقها وجواشِنٌ | ومنه خَفاتِينٌ لها وبُرُود
ألا فى سبيل الله تبذل كُنْهَ ما | تَضِن به الأنواءُ وهى جُمود
فلا غَرْوَ إن أعززتَ دينَ مُحمَّد | فأنتَ له دون الملوك عَقيدُ

---

(١) المذاكى : الخيل . والنجر والنجار : واحد وهو الأصل . والقود : جمع أقود أو قوداء، وهو الذلول المنقاد : أى تنسب لغير الخيل مع أن ركابها فرسان .

(٢) قوداء التليل : طويلة العنق : أى إذا انثنت شعور سوالف الغيد الحسان الشبيهات بالمها على أعناقهن ، أو تمايلت قدودهن كانت السفينة من هذه السفن تشبهها بانثناء عنقها على صدرها . وكانوا يجعلون فى مقدم السفينة صورة رأس ثور أو كبش أو نعامة .

(٣) يريد بالباع المجاديف ؛ فهى تمد باعها ، وليس لها شوى أى أطراف . وقوله وهى ولود أى أنه يتبعها أو يكون لها زوارق صغار .

(٤) أى لها من النقوش الجميلة الألوان مايشبه شفوف الثياب العبقرية المفوفة أى المخططة بالبياض المذهبة .

(٥) أى انها تشتمل بهذه النقوش كما تشتمل الجوارى الخرد بالثياب ، وهن جالسات على الأرائك ، أو يلتفع الخطباء الصيد وهم فوق المنابر .

(٦) بحر غطامط وموج غطامط : عظيم هائج .

وقال من قصيدة يمدح بها القائد جوهرًا ويذكر توديعه عند خروجه من القيروان الى مصر ويصف الجيش وخروجه للتشييع وكان الزحام قد أفاته مقابلة القائد جوهر حتى لحقه ليلا :

رأيتُ بعيْني فوقَ ما كنتُ أسمعُ ... وقد راعني يومٌ من الحَشر أرْوَع
غَداةَ كأنَّ الأُفْقَ سُدَّ بمثْلِه ... فعادَ غُروبُ الشمس من حيثُ تَطلُعُ
فلم أَدرِ إذْ سلَّمْتُ كيفَ أشيِّعُ ... ولم أدرِ إذْ شيَّعْتُ كيفَ أودِّع
وكيف أَخُوضُ الجيشَ والجيشُ لُجَّةٌ ... وإنِّي بمَن قاد الجُيوشَ لَمُولَع
وأيْنَ؟ وما لى بين ذا الجمع مَسْلَكٌ، ... ولا لجَوادِى فى البَسيطة موضِع
ألا إنَّ هذا حَشْدُ مَن لم يَذُق له ... غِرارَ الكَرَى جَفْنٌ، ولا باتَ يَهجَع
نصيحتُه للمُلْكِ سَدَّتْ مَذاهِبى ... فما بَيْنَ قيد الرمح والرُمح إصْبَع
فَقَد ضَرعَتْ حتى الرَّواسى لَمّا رأتْ ... فكيف قلوبُ الإنسِ؟ والإنسُ أضْرَع
فلا عسكرٌ من قَبْلِ عَسكرِ جَوْهرِ ... تَخُبُّ المطايا فيه عَشْرًا، وتُوضِع[1]
تَسيرُ الجبالُ الجامداتُ لَسيْرِه ... وتَسْجدُ من أدْنَى الحَفيفِ وتَرْكَعُ
إذا حلَّ فى أرضٍ بناها مدائنًا ... وإن سار عن أرض ثوَتْ وهى بَلْقع[2]
سَمَوْتُ له بعدَ الرحيلِ، وفاتَنِى ... فأقسمتُ أن لا لا يُلائمَ مَضْجعُ
فلما تداركْتُ السُّرادقَ فى الدُّجَى ... عَشَوْتُ إليه، والمشاعِلُ تُرفَع

(١) الخبب والإيضاع : نوعان من السير . أى أن المطايا تسير فى امتداده عشر ليال ، مبالغة فى طوله .

(٢) اذا حل أى جوهر ، أو نفس الجيش يحتاج فى إقامته الى بناء مدينة . وكذلك كانت القاهرة فى أول بنائها معقلا للعساكر .

فبتُّ ، وباتَ الجيشُ جمًّا سميرُه يؤرّقني ، والجنُّ فى البيد هُجَّعُ
فتخرقُ جيبَ المزنِ والمزنُ دائم وتوقدُ موجَ اليمّ ، واليم أصقع[1]
وهمهمَ رعدٌ آخرَ الليل قاصفٌ ولاح مع الفجر البوارقُ تلمعُ
وأوحتْ إلينا الوحشُ : ما اللهُ صانعٌ بنا وبكم من هَوْل ما نتسمَّع ؟
ولم تعلمِ الطيرُ الحوائمُ فوقنا إلى أينَ تستذرى ولا أين تفزع[2]
إلى أن تبدَّى سيفُ دولة هاشم على وجهه نورٌ من الله يسطع

وقال من قصيدة يمدح بها يحيى بن على :

فتكاتُ طَرْفِك ، أم سيوفُ أبيك وكئوسُ خمرٍ ، أم مراشفُ فيك
أجِلادُ مُرهَفَةٍ وفتكُ محاجرٍ؟ ما أنتِ راحمةٌ ولا أهلوك !
يا بنتَ ذى البُرْدِ الطويلِ نجادُهُ أكذا يجوزُ الحكمُ فى ناديك؟[3]
قد كانَ يدعونى خيالُك طارقًا حتى دعانى بالقنا داعيك
عيناكِ أم مغناكِ موعدُنا ؟ وفى وادِى الكرى ألقاكِ أم واديك؟
منعوكِ من سِنَةِ الكرى ، وسروْا ، فلَوْ عثروا بطيفٍ طارقٍ ظنُّوك
ودعوكِ نشوى ، ما سقوكِ مُدامةً ! لمَّا تمايلَ عطفُكِ اتَّهموك
حسبوا التكحُّلَ فى جفونك حِلْيةً تاللهِ ما بأكفِّهم كحَلوك !

(١) فتخرق أى المشاعل المتقدمة : أى ضوء المشاعل يخترق السحاب الدائم أى المتسع العظيم ، ويمتد الى البحر فيجعله كأنه متقد مع أن البحر بارد أصقع أى كأنه مغطى بالصقيع .

(٢) تستذرى : تطلب ذرا تلتجئ اليه أى كنفا .

(٣) يريد أنها بدوية أبوها يلبس البرد .

وَجَلَوْكِ لي إذ نحنُ غُصْنا بانَةٍ — حتى إذا ٱحتفل الهوَى حجبوك!
ولوَى مُقَبَّلَكِ اللِّثامُ، وما دَرَوْا — أَنْ قد لثمتِ بِهِ، وقُبِّلَ فُوك
فَضَعِي القِناعَ نَقَبِّلَ خَدَّكِ حمرتْ — راياتُ يحيي بالدَّمِ المسفوك

وقال يرثي والدة يحيي وجعفر ٱبني علي:

صَدَق الفَناءُ وكُذِّبَ العُمُرُ — وجَلا العِظاتِ وبالَغ النُّذُرُ
إنّا، وفِي آمالِ أَنْفُسِنا — طُولٌ، وفي أعمارِنا قِصَر
لَنَرَى بأعيُنِنا مَصارِعَنا — لو كانتِ ٱلألبابُ تعتبر!
مِمّا دَهانا أنّ حاضِرَنا — أجفانُنا، والغائبُ الفِكَرُ
وإذا تَدَبَّرْنا جوارِحَنا — فأَكَلُّهُن العَيْنُ والنَّظَر
لو كان للألبابِ مُمْتحنٌ — ما عُدَّ مِنها السَّمْعُ والبَصَرُ (١)
أيُّ الحياةِ أَلَذُّ عِيشتَها — مِن بَعْدِ عِلْمِي أنّنِي بَشَر؟
خَرِسَتْ لَعَمْرُ اللهِ أَلْسُنُنا — لمّا تكلَّمَ فوقنا القَدَر

(٢) ابن بُرْد الأصغر من شعراء الأندلس

قال يصف السحب والبرق:

ومازِلْتُ أَحسَبُ فيه السحاب — ونارُ بوارِقِها تَلْتَهِب
بَخاتِيَّ تُوضِعُ في سَيْرِها — وقد قُرِعَتْ بِسِياطِ ٱلذَّهَب

(١) أي ما عدّ من الممتحنات: السمع والبصر، لأن السمع يسمع المواعظ فلا يتعظ، والبصر يبصر العبر فلا يزدجر.

(٣) أحمد بن عبد ربه الأندلسى (١)

قال فى الوصف ، يصف حماما :

ونائحٍ فى غُصون الدَّوح أَرَّقنِي ... وما عُنيتُ بِشَىْء ظـلَّ يَعْنيه
مُطَــوَّقٍ بعقُــودٍ ما تُزايِلُهُ ... حتى تُزايِله إحدى تَراقيــه (٢)
قدبات يَبكى بشَجْوٍ مادَرَيْتُ به ... وبتُّ أَبكى بشَجوٍليسَ يَدْريهِ

وقال فى المدح :

كَريمٌ على العِلَّاتِ جَزْلٌ عطاؤهُ ... مُنيلٌ وإن لم يُعْتَمَدْ لِنَـوالِ
وما الجودُ مَن يُعطِى إذا ماسأَلتَهُ ... ولكِنَّ مَن يُعطى بغَيرِ سُؤَالِ

وقال يصف سيفا :

وذى شُطَبٍ تَقْضِى المنايا بحُكْمِه ... وليس لمـا تَقْضِى المنيةُ دافِـعُ (٣)
فِـرِنْدٌ إذا ما اعْتَنَّ للعين راكدٌ ... وبَرْقٌ إذا ما اهتَزَ بالكفِّ لامِـعُ (٤)
يُسَــلّلُ أرْواحَ الكُماةِ انسـلالُهُ ... ويَرْتَاعُ منه الموتُ والموتُ رائعُ
اذا ما التَقتْ أمثالُه فى وَقِيعـةٍ ... هُنالِكَ ظَنُّ النَّفسِ بالنَّفْسِ واقِـعُ (٥)

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر الوشاح المؤلف أحمد بن عبد ربه صاحب كتاب العقد الفريد الذى يعد من أركان الأدب العربى توفى سنة ٣٢٨ هـ .

(٢) يريد بالعقود ما يرى من الألوان فى عنقه .

(٣) الشطب : الحزوز فى جانبى السيف طولا .

(٤) اعتن : ظهر وبدا .

(٥) أى ما تظنه النفس من الهلاك واقع لا محالة .

وقال أيضا :

بكلّ مأثورٍ على متنه ... مثلُ مدبّ النّمل فى القاعِ (١)
يرتدّ طرْفُ العين عن حدّه ... عن كوكبٍ للموت لمّاعِ

(٤) ابن زيدون (٢)

قال :

أضحى التنائى بديلًا من تدانينا ... وناب عن طيبِ لُقيانا تجافينا
بِنتمْ وبِنّا، فما ابتلّتْ جوانحُنا ... شوقًا إليكم، ولا جفّتْ مآقينا (٣)
يكادُ حينَ تُناجيكمْ ضمائرُنا ... يقضى علينا الأسى لولا تأسّينا (٤)
حالَتْ لفقدكُمُ أيامُنا فغدتْ ... سُودًا، وكانتْ بكمْ بيضًا ليالينا (٥)
إذْ جانبُ العيشِ طلقٌ من تألُّفنا ... ومَوْردُ اللهوِ صافٍ من تصافينا
وإذْ هصرْنا غصونَ الأُنسِ دانيةً ... قُطوفُها، فجنَيْنا منه ماشِينا (٦)
ليُسقَ عهدُكُمُ عهدُ السرورِ، فما ... كنتمْ لأرواحنا إلّا رياحينا

(١) أى يلوح و يتراءى لمن ينظر اليه أمثال مداب النمل من انعكاس الضوء وانكسار على صفحته ، وذلك يبين فى السلاح المجلو من الفولاذ الذكر .

(٢) هو ذو الوزارتين أبو الوليد أحمد بن عبد الله بن زيدون القرطبى وزير آل جهور بقرطبة ثم آل عباد بأشبيلية وصاحب الرسالتين الجدية والهزلية توفى سنة ٤٦٣ هـ .

(٣) الجوانح : جمع جانحة : وهى الضلع . والمراد بالجوانح : ماتجنه من القلب والحشا الملتهب بالحب . وقوله : (ولا جفت مآقينا) أى ما جفت عيوننا من الدمع والبكاء عليكم .

(٤) التأسى : التصبر .

(٥) حالت : استحالت من بيض إلى سود .

(٦) هصرنا : أملنا إلى ناحيتنا .

مَنْ مُبلِغٌ المُلبِسينا بانتزاحِهِمُ ... حُزْنًا مع الدهر لا يَبْلَى، ويُبْلينا (١)
إن الزَّمانَ الذى ما زالَ يُضحِكُنا ... أُنسًا بِقربكُمُ قـد عادَ يُبكينا
ما حقُّنا أن تُقِرُّوا عينَ ذى حسدٍ ... بنا، ولا أن تَسُرُّوا كاشحًا فينا (٢)
غيظَ العِدَى من تَساقينا الهوَى فَدَعَوْا ... بأن نَغَصَّ، فقال الدهرُ : آمينا!
فانحلَّ ما كان معقودًا بأنفُسِنا ... وانْبَتَّ ما كان موصولا بأيدينا
وقد نَكونُ، وما يُخشَى تفرُّقُنا ... فاليومَ نحنُ ، وما يُرجَى تلاقينا.
لم نعتقِدْ بعدَكم إلا الوفاءَ لكمْ ... رَأيًا، ولم نتقلَّدْ غيرَه دينا
لا تحسَبُوا نأيَكمْ عنا يُغيِّرُنا ... إنْ طالَما غيَّرَ النأىُ المُحبِّينا
والله ما طَلَبتْ أهواؤُنا بدَلًا ... منكم، ولا انصرفتْ عنكم أمانينا
ولا استفدْنا خليلا عنك يَشغَلُنا ... ولا اتَّخَذْنا بديلًا منك يُسلينا
ياساريَ البَرْقِ غادِ القصرَ فاسْقِ به ... مَن كان صِرْفَ الهوَى والوُدِّ يَسقينا
ويا نسيمَ الصَّبا بلِّغْ تحيَّتَنا ... مَنْ لَوْ علَى البُعد حيًّا كانَ يُحيِينا
يا رَوْضةً طالَما أجْنَتْ لواحظَنا ... وَرْدًا جلاه الصِّبا غَضًّا ونِسرِينا (٣)
ويا حياةً تَملَّيْنا بزَهرَتِها ... مُنًى ضُروبًا ولذَّاتٍ أفانينا (٤)

---

(١) الانتزاح : الافتراق .

(٢) أقر الله عينه بالسلامة : ضدّ أسخنها بالوجع ، والمراد أن تسروا الحاسد . والكاشح : المضمر للعداوة . والواشى : المبغض .

(٣) النسرين نوع من الورود أكثر ما يكون أبيض الزهر عطر الرائحة .

(٤) تملينا : استمتعنا . والمنى : جمع منية . والضروب هنا : الأنواع . والأفانين هنا : جمع أفنون ، وهو النوع والضرب أى لذات مختلفة الشكول .

وِيا نَعِيما خَطَرْنَا مِن غَضارَتِه ... فى وَشْى نُعْمَى سَحَبْنا ذَيْلَها حِينا (١)
لسنا نُسَمِّيك إجلالًا وتَكْرِمَةً ... وقَدرُك المُعتَلِي عن ذاك يُغْنِينا
اذا انفردتِ وما شُورِكْتِ فى صِفَةٍ ... فحسبُنا الوصفُ إيضاحًا وتَبْيِينا
ياجنةَ الخُلدِ أُبدِلْنَا بسَلْسَلِها ... والكوثرِ العذبِ زَقُّومًا وغِسْلِينا (٢)
كأنَّنَا لم نبِتْ والوصلُ ثالثُنا ... والسعدُ قد غَضَّ مِن أجْفانِ واشِينا
سِرَّانِ فى خاطِر الظَّلماءِ يكتُمُنا ... حتى يكادَ لسانُ الصُّبْحِ يُفْشِينا
إن كانَ قَدْ عَزَّ فى الدنيا اللقاءُ ففِى ... مَواقِف الحشر نَلقاكُمْ ويَكْفِينا
لا غَرْوَ فى أن ذكَرْنا الحُزنَ حين نَهَت ... عنه النُّهى وتَركْنَا الصبرَ ناسِينا
إنا قرأنا الأسى يوم النوى سُوَرًا ... مكتوبةً، وأخذْنا الصبرَ تَلْقِينا
أمّا هواكِ فلم نَعْدِل بمَنْهَلِه ... شِرْبا، وإن كان يُرْوِينَا فيُظمِينا
لم يَجْفُ أُفُقُ جمالٍ أنتِ كَوْكَبُه ... سالِينَ عنه، ولم نَهجُرْه قالِينا
ولا اختيارًا تجنَّبْناكِ عن كَثَبٍ ... لكنْ عَدَتْنا على كُرْهٍ عَوادِينا (٣)
نأسَى عليكِ إذا حُثَّتْ مُشَعْشَعَةً ... فينا الشَّمُولُ وغَنَّانا مُغَنِّينا (٤)
لا أكْؤُسُ الرَّاحِ تُبدى من شمائِلنا ... سِيَما ارتياحٍ، ولا الأوتارُ تُلْهِينا

(١) خطر الرجل فى مشيته رفع يديه ووضعهما عجبا وتيها . والغضارة : النعمة والسعة والخصب . والوشى نوع من الثياب الحريرية المنقوشة .

(٢) السلسل : الماء العذب البارد . والكوثر : الكثير من كل شىء، والنهر، ونهر فى الجنة . والزقوم المذكور فى القرآن الكريم، يراد به ضرب من العذاب فى النار جاء تمثيله بأنه طعام شجرة تكون فى أصل الجحيم هذا اسمها . والغسلين : ما ينغسل من الثياب ونحوها . وغسلين النار : ما ينغسل من جلود الكفار فيها .

(٣) عن كثب : عن قرب . وعدتنا العوادى : صرفتنا الصوارف . وهى شواغل الدهر وصروفه

(٤) الشمول : من أسماء الخمر والمشعشعة الممزوجة بالماء .

دُومِي على العهـــدِ ما دُمنا مُحافِظَةً فالحُرُّ مَن دانَ إنصـافًا كما دِينـا
فما ٱبتَغَينا خليلا منــكِ يَحبِسُنا ولا اســتفدنا حبيبا عَنكِ يَغنينا
ولو صَبــا نحوَنا من عُلوِ مطلَعِه بدرُ الدُّجى لم يكن ـ حاشاكِ ـ يُصبينا
أولِي وَفاءً ، وإن لم تَبـذُلي صِلةً فالذكرُ يُقنِعُنا ، والطيفُ يَكفينا
وفى الجوابِ ٱقتناعٌ لو شَفَعتِ به بيضَ الأيادِى التى ما زِلتِ تُولينا
عليكِ منى ســلامُ اللهِ ما بَقِيَتْ صَــبابةٌ منــكِ نُخفِيها فتُخفينا

قال فى الذكرى متوجعا :

ودَّعَ الصــبرَ مُحِبٌّ ودَّعَــكْ ذائعٌ من سِرِّه ما استودَعَكْ
يقــرَعُ السِّنَّ على أنْ لم يكُنْ زاد فى تلك الخُطا إذ شيَّعَكْ
يا أخا البــدرِ سَــناءً وسنى حَفِــظَ اللهُ زمانا أطلَعَــكْ
إن يَطُــلْ بعــدَكَ ليــلِي فلكَمْ بِتُّ أشكو قِصَرَ الليــلِ مَعَكْ

(٥) أبو بكر محمد بن عمار(١)

قال :

وهَوِيتُــه يَســقِي المدامَ كأنّه قمرٌ يطوف بكوكبٍ فى حِندِسِ
مُتأرِّجَ الحَركاتِ تَندَى ريحُهُ كالغُصنِ هزَّته الصَّبا بتنفُّسِ
يسعَى بكأسٍ فى أناملِ سَوسنٍ ويُديرُ أُخرى فى مَحاجِرِ نَرجِسِ (٢)

(١) هو أبو بكر محمد بن عمار وزير المعتضد بن عباد ملك أشبيلية ، ثم وزير ابنــه المعتمد ، وبيد المعتمد قتل بعــد خيانة له فى الملك والسياسة سنة ٤٧٧ هـ . وكان شاعرًا لبقا يتشبه بالمتنبي فى مطامعه فى الملك والدولة .

(٢) السوسن والنرجس : زهران أبيضان من الفصيلة البصلية .

ومن قوله فى الاستعطاف :

سجاياكَ إن عافيتَ أندَى وأسمَحُ ... وعُذْرُك إنْ عاقبْتَ أجْلَى وأوضحُ
وإن كان بيْنَ الخُطّتَيْن مَزِيَّةٌ ... فأنْتَ إلى الأدنَى مِن اللهِ أجنح
حَنَانَيْكَ فى أخذِى برأيكَ لا تُطِعْ ... عُدَاتِى، وأن أثْنَوْا علَيَّ وأفصَحوا
وماذا عسَى الأعداءُ أن يتَزَيَّدُوا ... سِوَى أنّ ذَنبِي وَاضِحٌ متصحح
نَعَمْ لِيَ ذَنْبٌ! غيرَ أنّ لِحِلْمِكم ... صَفاةً يزِلُّ الذنبُ عنها فيسفَح (١)
وإنَّ رجائى أنّ عندَك غيرَ ما ... يخوضُ عدوّى اليوم فيه ويَمرَح
ولِمْ لا؟ وقد أسلفتُ وُدًّا وخِدْمَةً ... يكُرّانِ فى لَيْلِ الخطايا فيُصبِح
وَهَبْنِيَ قد أعقبتُ أعمالَ مُفسِدٍ ... أما تفسُدُ الأعمالُ ثُمَّتَ تَصْلُح (٢)
أقِلْنِى بما بَيْنِى وبينكَ من رِضًا ... له نحوَ رَوْحِ الله بابٌ مُفَتَّح!
وعَفِّ على آثارِ جُرْمٍ جنيتُه ... بهَبّةِ رُحْمَى منك تمحو وتَصفَح
ولا تلتفِتْ رأىَ الوُشاةِ وقولَهم؛ ... فكلُّ إناءٍ بالذى فيه يَرْشَحُ (٣)
سَيأْتيكَ فى أمرى حديثٌ، وقد أتَى ... بزُورِ بنى عبدِ العزيز مُوَشَّح (٤)
وما ذاكَ إلا ما علمتَ؛ فإننى ... اذا ثُبْتُ لا أنْفَكُّ آسُو وأجرح (٥)

---

(١) أى أن حلمه كالصخرة الملساء يزل و ينزل عنها الذنب .

(٢) ثمت : هى (ثم) العاطفة لحقتها تاء التأنيث كما تلحق (رب) فيقال : (ربت) . وأصلها أن تكون ساكنة، ولكنها تفتح معهما كثيرا . (٣) تلتفت مضمن معنى فعل متعد، تقديره : (تعتبر أو تقبل).

(٤) كانوا من موالى المنصور بن أبى عامر، ورثوا أبناءه وأحفاده فى شرق الأندلس، وكانت لهم به دويلة دامت ردحا من الزمان . (٥) اذا ثُبت : اذا رجعت الى ما كنت عليه من وزارتك . وآسو : من أسا الجرح أى داواه وعالجه . والمراد لا أنفك أنفع وأضر؛ فينالهم منى شرّ .

نَحِيلَتُهــــم، لا دَرَّ لِلّهِ دَرُّهـــمْ، أشارُوا تجاهِي بالشَّماتِ، وصَرَّحوا (١)
وقالوا : ســيجزيهِ فلانٌ بفعلِهِ ! فقلتُ : وقد يعفو فلانٌ، ويَصْفَح !
ألا إنَّ بَطْشًا للمُؤيَّدِ يُتَّــقَى ولكن حِلْمًا للـمُؤيَّد أرجح
وبينَ ضُلوعى من هَواهُ تَميمةٌ ستنفَعُ لو أنَّ الحِمَامَ مُجَلِّحُ (٢)
ســلامٌ عليهِ كيفَ دارَ بهِ الهوى : إلَيَّ فيــدْنو، أو عليَّ فيـــتزَح (٣)
ويَهْنِيهِ إنْ مِتُّ السُّلُوُّ، فإنَّنِي أموتُ، ولِي شـوقٌ اليــه مبرِّحُ

(٦) ابن وهبون فى الوصف

قال الأديب أبو محمد عبد الجليل بن وهبون المرسى الأندلسى من شعراء شرق الأندلس، وكان خدم المعتمد بن عبـاد من ملوك الطوائف بعلمه وشـعره يصف النيـــلوفر (٤) :

وبِركَةٍ تَزْهُـــو بنَيْــلُوفَرٍ نَسيمُه يُشْبِهُ رَوْحَ الحَبِيبْ
حتى إذا اللّيـــلُ دَنَا وقْتُــه ومالتِ الشمسُ لِعَينِ المَغيبْ
أَطبَــقَ جَفْنَيْه على إلْفِــهِ وغاصَ فى المـاءِ حذارَ الرقيبْ

(١) نحيلتهم : أى هـذه نحيلتهم . والنحيلة : الطبيعة والنصيحة . وكلا المعنيين لائق . ودرّ هنا فعل ماض من در اللبن، ودرهم فاعله على نحو جدّ جدّه وجل جلاله . والجملة : دعاء عليهم، أى لا كان درهم لله بمعنى لا وفقهم الله للخير .

(٢) التميمة : خرزة رقطاء كان الأعراب يعلقونها فى أعناق أطفالهم لتقيهم شر العين والشياطين . والمجلح : الأكول . والمعنى فى قلبى له حب سينفعنى و يشفع عنده اذا أراد الموت أكلى .

(٣) يتزح : يبعد .

(٤) النيلوفر : ضرب من الرياحين ينبت فى المياه الراكدة .

(٧) ابن خفاجة الأندلسي (١)

قال في الاعتبار ويصف ليلا وجبلا :

بِعَيْشِكَ هل تدري أَهُوجُ الجنائِبِ ... تَخُبُّ بِرحْلِي أم ظهورُ النَّجائِبِ؟(٢)

فما لُحْتُ في أولَى المشارِقِ كوكبًا ... فأشرقتُ حتى جئتُ أُخْرَى المغارِبِ

وَحِيدًا تَهادَانِي الفيافِي فأَجتلِي ... وُجوهَ المنايا في قِناعِ الغياهِبِ

ولا جارَ إلا مِن حُسامٍ مُصَمِّمٍ ... ولا دارَ إلا في قُتُودِ الركائبِ(٣)

ولا أُنْسَ إلا أَنْ أُضاحِكَ ساعةً ... ثُغُورَ الأَماني في وُجوهِ المطالبِ

وَلَيْلٍ إذا ما قلتُ: قد بادَ فانقضَى، ... تكشَّفَ عن وَعْدٍ مِنَ الظَّنِّ كاذِبِ

سَحَبْتُ الدَّياجِي فيه سُودَ ذَوائبٍ ... لأَعْتَنِقَ الآمالَ بِيضَ تَرائِبِ

فَمَزَّقْتُ جَيْبَ اللَّيْلِ عن شَخْصِ أطلَسٍ ... تَطَلَّعَ وَضَّاحَ المَضاحِكِ قاطِبِ(٤)

رأيتُ به قِطْعًا مِنَ الفَجْرِ أغبَشًا ... تَأَمَّلَ عن نجمٍ تَوَقَّدَ ثاقِبِ(٥)

وأَرْعَنَ طَمَّاحِ الذُّؤابَةِ باذِخٍ ... يُطاوِلُ أَعنانَ السماءِ بِغارِبِ(٦)

---

(١) هو أبو إسحاق ابراهيم بن عبد الله بن خفاجة شاعر شرق الأندلس أشهر وصاف الطبيعة بالأندلس وكان قليل التكسب بشعره توفى سنة ٥٣٣ هـ .

(٢) هوج الجنائب : الرياح الجنوبية الهوجاء . والنجائب : جمع نجيبة : الناقة الكريمة .

(٣) القتود : أخشاب الرحال .

(٤) أطلس : أى شخص أفق أطلس ، والأطلس : الذى فى لونه غبرة الى سواد ، وهو وضاح المضاحك من جهة أنه تتراءى فى خلاله أشعة الفجر ، وقاطب من حيث إنه لا يزال عليه من غبش الليل بقية .

(٥) أى رأيت به قطعا أغبش من الفجر لا يزال يبدو فيه نجم متوقد ثاقب ، وهو الزهرة أو عطارد لأنهما من كواكب الصباح يكونان بالتبادل على الأفق عند طلوع الفجر .

(٦) أرعن : ورب جبل أرعن طويل القمم يطاول السماء بكاهله .

يسُــدُّ مَهَبَّ الريح عن كلِّ وِجْهةٍ ... ويزحَم ليــلًا شهْبَــهُ بالمنـاكب
وَقُــورٌ على ظهـر الفــلاةِ كأنَّه ... طِــوالَ الليالى مُفْكِرٌ فى العواقب
يلُوثُ عليــه الغَيْمُ سُــودَ عمـائِمٍ ... لهـا مِن وَمِيض البرْق حُمْرُ ذوائب[1]
أَصَخْتُ إليه ، وهو أخرسُ صامتٌ! ... فحدَّثنِي ليــلَ السُّرى بالعجائبِ
وقال : إلَى كَمْ كُنْتُ مَلْجأً قاتِلٍ ... ومَوْطِنَ أَوَّاهٍ تبتَّــلَ تائب[2]
وكم مَرَّ بى مِنْ مُدْلِجٍ ومُؤَوِّبٍ ... وقالَ بِظِلِّى مِنْ مَطِيٍّ وراكب
ولاطَمَ مِن نُكْبِ الرِّياحِ مَعَـاطِفِى ... وزاحَمَ مِن خُضْرِ البِحارِ غَـوارِبِى[3]
فمـا كان إلا أَنْ طَوَتْهُــم يَدُ الرَّدى ... وطارتْ بِهِم رِيحُ النَّوى والنوائب
فمـا خَفْقُ أَيْكِى غيرُ رَجفَــةِ أَضْلُعٍ ... ولا نَوْحُ وُرْقِى غيرُ صَرْخَةِ نَادب[4]
وما غَيَّضَ السُّلوانُ دمعى ، وإنما ... نَزَفْتُ دموعى فى فِراقِ الصواحب
فَحَتَّى مَتَى أبقى ؟ ويَظْعَنُ صاحبٌ ... أُوَدِّعُ منــه راحلًا غــير آئب
وحتى متى أرعَى الكواكبَ ساهرًا؟ ... فمِنْ طالع أُخرَى الليـالى وغارِب
فرُحمـاكَ يا مولاىَ دَعْوةَ ضارِعٍ ... يمُدُّ إلى نُعْماكَ راحــةَ راغب!
فأَسْمَعَنِى مِن وَعْظِــهِ كلَّ عِبْرةٍ ... يُتَرْجِمُها عنــهُ لِسانُ التجارب

---

(١) يلوث : يلف و يعمم على رأسه من الغيم عمائم سوداء لها بروق حمر .

(٢) يريد بالأواه التائب : الراهب الذى يبنى صومعته فى رءوس الجبال .

(٣) النكب : جمع نكباء ، وهى الريح تهب بين مهبى ريحين . ومعاطفى وغواربى : يريد بهما جوانبى وأظهـــرى .

(٤) أى خفق غصون أيكى . والأيك : اسم جمع لأيكة ، وهى الأشجار المتكاثفة . والورق : جمع ورقاء وهى : الحمامة .

فسلّى بما أبكى وسرّى بما شجا ... وكانَ على عهدِ السُّرى خيرَ صاحِب
وقلتُ، وقد نكّبتُ عنه لطيّةٍ: ... سلامٌ! فإنّا من مُقيمٍ وذاهِب(١)

وقال:

أجُسُّ المُدامةَ والنسيمُ عَليلُ ... والظلُّ خفّاقُ الرِّواقِ ظليلُ (٢)
والنورُ طَرْفٌ قد تنبّهَ دامعٌ ... والماءُ مبتسمٌ يروقُ صقيل
وتطلّعتْ مِن برقٍ كل غمامةٍ ... فى كل أُفْقٍ رايةٌ ورَعِيل (٣)
حتى تهادَى كلُّ خُوطةِ أيْكةٍ ... ريًّا وغَصّتْ تَلْعَةٌ ومَسيل (٤)
عَطَفَ الأَراكةَ فانثنت شُكْرًا لَهُ ... طَرَبًا ورَجّعَ فى الغُصون هَديلُ (٥)
فالرَّوضُ مُهتزُّ المَعاطِفِ نَعْمةً ... نَشْوانُ يَعطِفُه الصَّبا فَيميل
رَيّانُ فَضّضهُ النَّدى ثم انْجلَى ... عنه فذَهّبَ صفْحتيْهِ أصيل
وارتدَّ ينظُرُ فى نِقاب غَمامةٍ ... طَرْفٌ يُمرِّضُه النُّعاسُ كَليل (٦)
ساجٍ كما يرنو إلى عُوّادِهِ ... شاكٍ ويلتَمِحُ العزيزَ ذليلُ

(١) نكبت عنه: ملت عنه وانصرفت. والطية: الحاجة والقصد ووجهة المسافر. ومن فى (من مقيم) زائدة أو بيانية. أى فإنا من بين مقيم، وهو أنت، وذاهب، وهو نحن.

(٢) الرواق: مقدّم البيت. وقد شبه الظل ببيت مضروب يخفق هواء رواقه.

(٣) الرعيل: الجماعة من الخيل، شبه السحب بجماعات الخيل وكتائبها فى الحرب وشبه البروق المنبعثة منها بالرايات المنشرة الحمر فوق رءوسهم.

(٤) كل خوطة: أى كل غصن. والأيكة: الشجر الملتف. والتلعة: مجرى الماء من الجبل الى الوادى.

(٥) عطف: أى عطف النسيم العليل الأراكة. والهديل: ذكر الحمام.

(٦) طرف: أى طرف كل شارب منا أى أن الشرب الذين كانوا يشربون قضوا النهار وجاء الأصيل ثم دخل الليل فبعد أن كان طرف الناظر منهم ينظر الى أزهار الروض ارتد ينظر فى غمامة كأنها النقاب؛ وهذا الطرف كليل من السكر، يغالبه النعاس ساج فاتر كأنه طرف المريض يرنو الى عواده، أو طرف الذليل يلمح العزيز.

وقال :

رُبَّما ٱستضحكَ الحبَابَ حبيبٌ ... نَفَضَتْ ثوبَها عليه المُـدَامُ
كلَّما مَرَّ قاصِرًا من خُطاهُ ... يتهادَى كما يَمُرُّ الغَمام
سَـلَّمَ الغُصنُ والكثيبُ علينا ... فعلَى الغُصن والكثيبِ السَّلامُ

وقال فى طول الليل :

ياليلَ وَجدٍ بنَجْـدِ ... أمَا لِطَيفِكَ مَسْرى
ومَا لِدَمْعِي طَليقًا ... وأنجُمُ الجَوِّ أسْرَى
وقد طَمَى بَحْرُ لَيْلٍ ... لم يُعقِبِ المَدَّ جَزْرَا
لا يَعبُرُ الطَّرْفُ فِيه ... غيرَ المَجَـرَّةِ جِسْرا

(٨) ابن سهل الأندلسى (١)

قال :

سَلْ فِى الظَّلامِ أخاكَ البَدْرَعَنْ سَهَرِى ... تَدْرِى النجومُ كما يَدرِى الوَرَى خَبَرِى
أبيتُ أهتِفُ بالشَّكوى وأشربُ مِن ... دَمْعِي وأنشَـقُ رَيَّا ذكْرِك العَطِرِ
حتى أُخَيَّـلَ أنّى شاربٌ ثَمِـلٌ ... بَيْنَ الرِّياضِ وَبين الكأسِ والوَتَرِ
مَنْ لِي بِهِ ؟ ٱختلفتْ فيه المَلاحةُ إذْ ... أَوْمَتْ الى غيره إيماءَ مُحْتَضِرِ (٢)

(١) هو الشاعر الرقيق الوشاح ابراهيم بن سهل الأشبيلى الأندلسى وكان يلقب قبل إسلامه بالإسرائيلى. كان يهوديا وأسلم ومات غرقا سنة ٦٤٩ هـ.

(٢) أى تفاوتت فيه الملاحة عن نفسها عند الناس فهى فيه كاملة وفى غيره بمنزلة إشارة ضعيفة كاشارة المحتضر عند الموت.

مُعَطَّلٌ فالحلى منه مُحَلَّاةٌ تغنى الدَّرارى عن التَّقليد بالدُّرَرِ (١)
بِخَدِّهِ لفؤادى نِسْبَةٌ عَجَبٌ كلاهما أبدًا يَدْمَى مِنَ النَّظَرِ (٢)

وقال ابن سهل فى توشيح له :

هَلْ درى ظَبْيُ الحِمَى أَنْ قَدْ حَمَى قَلْبَ صَبٍّ حَلَّهُ عَنْ مَكْنِسِ
فهو فى حَرٍّ وخَفْقٍ مِثْلَمَا لَعِبَتْ رِيحُ الصَّبَا بِالقَبَسِ

* * *

يا بدورًا أَشْرَقَتْ يومَ النَّوَى غُرَرًا تسلُكُ بى نَهْجَ الغَرَرْ (٣)
ما لنفسى فى الهَوَى ذَنْبٌ سِوَى مِنكُمُ الحُسْنَى ومِنْ عَيْنِى النَّظَرْ
أَجْتَنِى اللذاتِ مَكْلُومَ الجَوَى وَالتَّذاذِى مِنْ حَبِيبِى بالفِكَرْ (٤)

* * *

كُلَّمَا أَشْكُوهُ وَجْدِى بَسَمَا كالرُّبَا بالعارِضِ المُنْبَجِسِ (٥)
إذ يُقِيمُ القَطْرُ فيها مَأْتَمَا وهى من بَهْجَتِها فى عُرُسِ (٦)

---

(١) محلاة : ممنوعة .

(٢) أى أن فؤادى يدمى من نظرات المحبوب الرامية بسهام التأثير، وخده كأنه يدمى من حمرة الخجل عند نظرى اليه .

(٣) الغرر : التغرير والخطر .

(٤) أى وإنما التذاذى من حبيب بالتفكر فيه .

(٥) أى كابتسام الربا المشرقة بالأزهار بعد أن سقاها العارض المنبجس : أى السحاب الهاطل .

(٦) أى أن نزول القطر الشبيه بقطرات الدمع يقيم فى الربا مأتما ومناحة ببكائه على حين أن الربا فى أعراس من بهجتها .

* * *

أيها السائل عن جُرْمِي لَدَيْهِ لى جزاءُ الذَّنب وهو المُذْنِبُ

أَخذتْ شمسُ الضحا من وَجنتيهِ مَشْرِقًا للشمسِ فيهِ مَغْرِبُ (١)

ذهب الدمعُ بأَشواقى إليهِ وله خدٌّ بلحظى مُذْهَبُ (٢)

* * *

يَنبُتُ الوردُ بغَرْسى كُلَّما لاحظتْهُ مُقلتِى فى الخُلَس

ليتَ شِعْرِى أىُّ شىءٍ حَرَّما ذلكَ الوردَ على المُغترِسِ

* * *

كُلَّما أشكو اليه حَرَقِى غادرتْنِى مقلتاهُ دَنِفا

تَركتْ ألحاظُهُ مِنْ رمقِى أثرَ النَّمْلِ على صُمِّ الصَّفا (٣)

وأَنا أشكُرُه فيما بَقِى لستُ ألحاهُ على ما أتْلفا

* * *

فهو عندى عادلٌ إنْ ظَلَما وعذولى نُطقُه كالخَرَس

ليس لى فى الأمرِ حكمٌ بعدَ ما حلّ مِن نفْسِى محَلَّ النفَس

* * *

منه للنار بأحشائِى ضِرامْ تتلظَّى كُلَّ حِينٍ ما تشا

هِىَ فى خدَّيهِ بَرْدٌ وسلامْ وهى حَرٌّ وحَرِيقٌ فى الحَشا

أتَّقِى منهُ على حُكمِ الغرام أسَدًا وَرْدًا وأهواهُ رَشَا

---

(١) أى أن حمرة المشرق قبيل ظهور الشمس على الأفق وحمرة شفقها بعيد الغروب مستعارة من وجنتيه الحمراوين .

(٢) أى مذهب من الخجل . وهذا المعنى مكرر جره إليه جناس الاشتقاق بين (ذهب) فى أول البيت و (مذهب) فى آخره . (٣) أى أثرا ضعيفا لأن النمل لا يؤثر مثيله فى الصخرة الملساء .

* * *

قلت لما أن تبدى مُعْلَما … وهو من ألحاظه فى حرس
أيها الآخذ قلبى مَغْنَمَا … اِجعل الوصل مكانَ الخُمُس (١)

(٩) وقد عارضه فى هذا التوشيح الوزير (٢) أبو عبد الله بن الخطيب فقال :

جادكَ الغيثُ اذا الغيثُ هَمَى … يا زمانَ الوصل بالأندلُس
لم يكن وصلُك إلا حُلُمَا … فى الكَرى أو خلسة المختلس

* * *

إذ يقودُ الدهرُ أشتاتَ المُنَى … تنقُل الخطْوَ على ما يَرْسُمُ
زُمَرًا بين فُرادَى وثُنَى … مثلما يدعو الوفودَ الموسمُ
والحَيَا قد جَلَّلَ الروضَ سَنَى … فثغور الزهر منه تَبْسِم

* * *

وروى النُّعمانُ عن ماءِ السما … كيف يَروِى مالكٌ عن أنس (٣)

(١) أى أن الجيش الفاتح لا يأخذ كل الغنيمة بل يكون خمسها للدولة تنفقه فى مصالح الناس وصدقاتهم .

(٢) هو أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن سعيد الغرناطى الأندلسى المعروف بلسان الدين بن الخطيب وزير بنى الأحمر ملوك غرناطة . وكان وزيرا لأبى الحجاج يوسف من عظماء ملوكهم ، ثم لابنه ، فاتهم بالخيانة فى السياسة و بالزندقة ، ففر إلى المغرب ، وسعى أعداؤه به حتى أسلموه فقتل سنة ٧٧٦ هـ . وكان شاعرا كاتبا مؤرخا مؤلفا فقيها متفلسفا . وله عدة كتب وشعر رقيق وكتابة يروى صاحب نفح الطيب وصاحب صبح الأعشى منها كثيرا .

(٣) فى النعمان وماء السماء تورية ؛ اذ النعمان إما شقائق النعمان لزهر أحمر ، وهو المراد هنا ، وماء السماء هو هنا المطر ، و إما النعمان وماء السماء من ملوك الحيرة اللخميين والثانى جد الأول وهما غير مرادين هنا . ومالك هو الإمام مالك بن أنس إمام المذهب المشهور . والمعنى أن بين شقائق النعمان والمطر من النسبة ما بين مالك وأبيه أنس من أن الأول فى كلا الجانبين ابن للثانى وناشئ عنه .

فكساه الحسنُ ثوْباً مُعلَمـا يزدهِى منــهُ بأَبهى مَلْبَسِ

* * *

فى ليالٍ كتَمَتْ سرَّ الهوَى بالدُّجَى لولا شُموسُ الغُـرَرِ
مالَ نجْمُ الكأسِ فيها وهوى مستقيمَ السَّـيْرِ سَعْدَ الأثَرِ
وطَرٌ ما فيه مِن عيْبٍ سِوى أنه مَرَّ كلَمحِ البَصَـرِ

* * *

حِينَ لذّ الأُنْسُ شيئاً أو كما هجَمَ الصبحُ هُجومَ الحَـرَسِ
غارت الشُّهْبُ بِنا أو رُبَّما أثَّرَتْ فينـا عيونُ النّرْجِس

(ب) النـــثر الفـــنى

(١) نبذة من الرسالة الجدية لابن زيدون(١) وهى التى كتبها لأبى الحزم بن جهور أمير قرطبة وهو فى سجنه يستعطفه

"يا مولاىَ وسيِّدى الذى وِدادى له، واعتمادى عليه، واعتدادى به، ومن أبقاهُ اللهُ تعالى ماضِىَ حَدِّ العَزم، وَارِىَ زَنْدِ الأمل، ثابتَ عهدِ النِّعمة، إنْ سلبتَنى (أعزَّكَ اللهُ) لباسَ إنعامك، وعطَّلتَنى مِن حَلْىِ إيناسك، وأظْمأتنى إلى بُرودِ(٢) إسعافك، ونَفَضْتَ بى كفَّ حِياطتك، وغَضَضْتَ عنِّى طَرْفَ حِمايتك، بعد أن نَظَرَ الأعمى الى تأميلى لك، وسَمِعَ الأصَمُّ ثنائى عليـك، وأحسَّ الجَمادُ باستنادى اليك —

(١) مرت ترجمته عند شعره .

(٢) البرود : الماء البارد، أى إسعافك الذى هو كالماء البارد فى إروائه للغليل .

فلا غَرْوَ قد يَغَصُّ بالمـاء شاربُه (١)، ويقتُل الدواءُ المستشفِيَ به، ويُؤتَى الحَذِرُ من مَأْمنِه، وتكونُ مَنِيَّةُ المُتَمَنِّي فى أُمْنِيَّتِه، والحَيْن (٢) قد يسبِقُ جهد الحريص :

كل المصائب قد تُمُرّ على الفَتَى وتهونُ غيرَ شَماتَةِ الحُسَّاد

وإنى لأتجلَّدُ، وأُرِى الشامتِينَ أنى لِرَيْبِ الدهرِ لا أتضَعْضَعُ؛ فأقولُ :

هل أنا إلَّا يَدٌ أدْماها سِوارُها، وجَبِينٌ عَضَّ به إكليلُه، ومَشْرَفِيٌّ (٣) ألصقه بالأرض صاقِلُه، وسَمْهَرِيٌّ (٤) عَرَضه على النار مُثقِّفُه، وعبدٌ ذَهَبَ به سَيِّدُه مَذهَبَ الذى يقول :

فَقَسَا ليَزْدَجِرُوا، ومَن يَكُ حازِمًا فليقسُ أحيانًا على مَن يرحَمُ

هـذا العتبُ محمودٌ عواقبُه، وهذه النَّبْوة (٥) غَمْرةٌ ثم تنجَلِي، وهـذه النَّكْبَةُ سَحابةُ صَيْفٍ عن قليل تَقَشَّع (٦). ولن يَريبَنِى من سيّدى أن أبطأ سَيْبُه (٧)، أو تأخّر غيرَ ضنينٍ غَناؤه، فأبطأُ الدِّلاء فيْضا أملؤها، وأثقل السحائب مشـيا أحفَلُها، وأنفعُ الحَيَا ما صادَف جَدْبا، وألَذُّ الشَّرابِ ما أصابَ غليـلا، ومع اليومِ غَد، ولكلِّ أجلٍ كِتاب. له الحمدُ على اهتباله (٨)، ولا عَتْب عليه فى إغفاله.

---

(١) يغص : يشرق.

(٢) الحين : الهلاك.

(٣) المشرفى : السيف ينسب الى مشارف الشام : قراها الشرقية.

(٤) السمهرى : الرمح ينسب الى سمهر وهو صانع للرماح وزوجه ردينـة كانت تعمل معه السـلاح واليهما تنسب الرماح.

(٥) النبوة : الجفوة.

(٦) تقشع : تنكشف وتزول.

(٧) السيب : العطاء.

(٨) الاهتبال : الاغتنام . أى اغتنام معروفه.

فان يكن الفعل الذى ساءَ واحدًا فافعـالُه اللائى سَرَرْنَ أُلوفُ

وأعود فأقول : ما هـذا الذنبُ الذى لم يَسَعْهُ عفوُك ؟ والجهلُ الذى لم يأتِ من ورائه حِلمُك ، والتَّطاوُل الذى لم يستغرِقه تَطَوُّلُك (١) ، والتحامُل الذى لم يَفِ به احتمالُك . ولا أخلو مِنْ أن أكونَ بَرِيئًا ، فأينَ العَدل؟ أو مُسيئًا ، فأينَ الفضل ؟

إلَّا يكُنْ ذَنْبٌ فعدلُك واسِعٌ أوكان لى ذنبٌ ففضلُك أوسَع

ومنهـا :

وهـل لَبِسَ الصَّباحُ إلا بُردًا طَرَّزْتَه بفضائلك (٢) . وتقـلَّدتِ الجوزاءُ إلا عِقدًا فَصَّلْتَه بمآثِرِك . واستَمْلَى الربيع إلّا ثناءً ملأتَهُ بمحاسِنِك ، وبَثَّ المسكُ إلّا حَديثًا أذعتَه فى محامِدِك . ما يومُ حليمةَ بِسرّ (٣) ! وإنْ كنتُ لم أكْسُك سَلِيبًا ، ولا حَلَّيتُك عُطْلًا ، ولا وَسَمْتُك غُفْلا ، بل وَجدتُ آجُرًّا وجِصًّا فَبَنَيْتُ . ومكانَ القَوْل ذَا سَعَة فقلتُ .

(٢) الفتح بن خاقان

قال فى كتابه قلائد العقيان فى ترجمة أبى الفضل بن حَسْداى (٤) :

ولمـا أعرسَ المستعينُ بالله بِبِنت الوزير الأجل أبى بكر بن عبد العزيز احتفل أبوه المؤتَمَن بالله فى ذلك احتفالا شَهَره ، وأبدع فيه إبداعا راقَ مَن حضَره وبهَره ،

(١) التطول : التكرم .

(٢) يبالغ فى أن بياض الصبح مستعار من مشهور ثنائه عليه وكذلك العبارات الآتية .

(٣) هذا مثل يضرب للأمر المتعالم المشهور . وحليمة هذه : هى بنت الحارث بن أبى شمر الغسانى وجه أبوها جيشا الى المنذر بن ماء السماء فضمختهم بالطيب جميعا فقيل : ما يوم ... الخ .

(٤) ابن حسداى : كان وزيرا للمؤتمن والمستعين من ملوك الطوائف . وكان يهوديا وأسلم وله كتابة بليغة موجزة تظهر عليها مسحة الفلسفة .

فانه أحضر فيه من الآلات المبتدعة، والأدوات المخترعة، ما بهر الألباب، وقطع دون معرفتها الأسباب، واستدعى إليه جميع أعيان الأندلس من دانٍ وقاص، ومُطيع وعاص، فأتوه مسرعين، ولبوه متبرعين، وكان مدير تلك الإراغة (١) ومدبرها، ومُنشئ مخاطباتها ومحبرها الوزيرُ الكاتبُ أبو الفضل، وصدرت عنه في ذلك الوقت كتبٌ ظهر إعجازها، وبهر اقتضابها وإيجازها. فمن ذلك: ما خاطب به صاحب المظالم أبا عبد الرحمن بن طاهر:

"محلك أعزك الله في طي الجوانح ثابتٌ وإن نزحت الدار، وعيانك في أحناء الضلوع بادٍ وإن شحط المزار، فالنفس فائزةٌ منك بتمثيل الخاطر بأوفر الحظ، والعين نازعةٌ إلى أن تتمتع من لقائك بظفر اللحظ، فلا عائدة أسبغ بردًا، ولا موهبة أسوغ وِردا، من تفضلك بالحوق إلى مأنس يتم بمشاهدتك التئامه، ويتصل بمحاضرتك انتظامه. ولك فضل الإجمال، بالإمتاع من ذلك بأعظم الآمال. وأنا (أعزك الله) على شرف سؤددك حائم، وعلى مشرع سنائك حائم. وحسبي ما تتحققه من نزاعي وتشوقي، وتتيقنه من تطلعي وتتوقي. وقد تمكن الارتياح باستحكام الثقة، واعترض الاقتراح، بارتقاب الصلة. وأنت وصل الله سعدك بسماحة شيمك، وبارع كرمك، تنشئ للمؤانسة عهدا، وتوري بالمكارمة زندا، وتقتضي بالمشاركة شكرًا حافلًا وحمدا. لا زلت مهنأً بالسعود المقتبلة، مسوغًا اجتلاء غرر الأماني المتهللة بمنه.

---

(١) الإراغة: الإرادة والطلب والدعوة.

(٣) الوزير الكاتب أبو عمرو الباجى (١)

كتب رحمه الله تعالى يصف مطرا نزل بعد قحط قال :

إن لله تعالى قضايا واقعة بالعدل ، وعطايا جامعة للفضل ، ومنحا يبسطها إذا شاء ترفيها وإنعاما ، ويقبضها إذا أراد تنبيها وإلهاما ، ويجعلها صلاحا وخيرا ، وعلى آخرين فسادا وضيرا : ﴿وهو الذى ينزل الغيث من بعد ما قنطوا وينشر رحمته وهو الولى الحميد﴾ . وإنه بعد ما كان من امتساك الحيا (٢) ، وتوقف السقيا الذى ريع (٣) به الآمن ، واستطير له الساكن ، ورجفت الأكباد فزعا ، وذهلت الألباب جزعا ، وأذكت ذكاء (٤) حرها ، ومنعت السماء درها ، واكتست الأرض غبرة بعد خضرة ، ولبست شحوبا بعد نضرة ، وكادت برود (٥) الأرض تطوى ، ومدود (٦) نعم الله تزوى (٧) — نشر الله تعالى رحمته ، وبسط نعمته ، وأتاح (٨) منته ، وأزاح محنته ، فبعث الرياح لواقح ، وأرسل الغمام سوافح ، بماء دفق ، ورواء غدق (٩) ، من سماء طبق (١٠) ،

---

(١) هو أحد كتاب الأندلس البلغاء ، خدم بالكتابة فى عدة دول من ملوك الطوائف وأخصهم المقتدر ابن هود صاحب سرقسطة .

(٢) الحيا : المطر . (٣) ريع : خوف .

(٤) ذكاء : اسم للشمس .

(٥) البرود : الثياب ، يريد بها ما يكسو الأرض من الخضرة .

(٦) المدود : جمع مدد بمعنى المعونة .

(٧) تزوى : تمنع وتطوى .

(٨) أتاح : هيأ وقدر .

(٩) الرواء : المطر الذى يروى . وغدق : كثير شامل .

(١٠) السماء هنا : المطر . والطبق : المطر العام .

استهل جفنها فدمع، وسح دمعها فهمع، وصاب وبلها فنقع، فاستوفت الأرض ريًّا، واستكملت من نباتها أثاثا ورئيا[1]، فزينة الأرض مشهورة، وحلة الروض منشورة، ومنة الرب موفورة، والقلوب ناعمة بعد بؤسها، والوجوه ضاحكة بعد عبوسها، وآثار الجزع ممحوة، وسور الحمد متلوة، ونحن نستزيد الواهب نعمة التوفيق، ونستهديه فى قضاء الحقوق إلى سواء الطريق، ونستعيذ به من المنة أن تصير فتنة، ومن المنحة أن تعود محنة. وهو حسبنا ونعم الوكيل!

(٤) ابن خفاجة[2]

فصل من رسالة فى وصف رياض غب مطر:

ولما أكب الغمام إكبابا، لم أجد منه إغبابا[3]، واتصل المطر اتصالا، لم ألف منه انفصالا، أذن الله تعالى للصحو أن يطلع صفحته، وينشر صحيفته، فقشعت الريح السحاب، كما طوى السجل الكتاب، وطفقت السماء تخلع جلبابها، والشمس تميط نقابها، وطلعت الدنيا تبتهج كأنها عروس تجلت، وقد تحلت، فذهبت فى لمة من الإخوان نستبق الى الراحة ركضا، ونطوى للتفرج أرضا؛ فلا أندفع إلا إلى غدير نمير، قد استدارت منه فى كل قرارة ماء، سحابة غماء[4]، وانساب، فى تلعته حباب. فترددنا بتلك الأباطح نتهادى تهادى أغصانها، ونتضاحك تضاحك أقحوانها،

(١) الرئى: الثوب بجمال المنظر. (٢) مرت ترجمته عند شعره.

(٣) الاغباب: أن يجىء المرء القوم يوما و يغيب يوما. والمعنى أن الغمام لم يغب يوما بل بقى هاطلا.

(٤) الغماء: السحابة لا فرجة فيها أى أشبهت الأرض السماء فقرارات الغدران أشبهت سحب السماء الملتئمة.

وللنسيم ، أثناءَ ذلك المَنظر الوَسيم تَرَسُّلُ(١) مشى ، على بِساط وَشْى ؛ فاذا مَرَّ بِغَـديرٍ نَسَجَهُ دِرعا ، وأحكَمَه صُنْعًا(٢) ، وإن عَثَرَ بجدولٍ شَطَبَ(٣) منهُ نَصْلًا ، وأخلَصَه صَقْلا ؛ فلا تَرَى إلا بِطاحا ، مملوءَةً سِلاحا ؛ كأنَّمَا آنهزمتْ هنالِك كَتائبُ ، فألقَتْ بما لَبِستْهُ من دِرعٍ مَصْقُولٍ ، وسَيفٍ مسلول .

(٥) وهذا فصل للأديب أبى عامر بن عقال(٤)

كتب به عن الأمير ابراهيم يصف إجازة أمير المسلمين البحر سنة خمس عشرة وخمسمائة ، وفى الساعة الثانية من يوم الجمعة كان جوازه (أيده الله تعالى) من مرسى جزيرة طريف على بَحْرٍ ساكِنٍ قد ذَلَّ بَعْـدَ استصعابه ، وسَهُلَ بعد أن رأى الشامخ من هِضابه ، وصارَ حَيُّه مَيْتًا ، وهَدْرُه صَمْتا ، وجبالُه لا تَرَى فيها عِوَجا ولا أَمْتًا ، وضعُفَ تعاطيه ، وعقَـدَ السِّلْمَ بين موجه وشاطيه ، فعبَرَ آمنا مِن سَطَوَاتِه ، مُتَمَلِّكًا لِصَهَوَاتِه ، على جَوادٍ يَقطَعُ الجُروفَ لَحْـا ، ويكادُ يسبِقُ الريحَ سَبْحًا ، لم يَحْمِل لِجاما ولا سَرْجا ، ولا عَهِدَ غيرَ اللجة الخَضراءِ مَرْجا ، عِنانُه فى رِجْله(٥) ، وهُدْبُ العَيْن يَحكِى بَعْضَ شَكْلِه ، فلله درُّه مِن جَواد ، له جِسم وليس له فُؤاد ، يَخرِق الهواءَ ولا يرهَبُه ، ويَركَبُ المـاءَ ولا يَشْرَبُه .

---

(١) الترسل : المشى على مهل وهوادة . (٢) أى أن النسيم يجعد صفحة المـاء فيجعلها كنسج حلق الدرع المجلوة . (٣) شطب الحداد السيف : جعل فيه حزوزا غائرة على طوله . وفيه تشبيه الجدول فى صفائه وانحنائه بالسيف العربى .

(٤) كان أديبا شاعرا كاتبا من كتاب بنى قاسم من ملوك الطوائف . ثم لمـا ملك المرابطون الأندلس وأزالوا ملك الطوائف اتصل بالأمير ابراهيم بن يوسف بن تاشفين سلطان المرابطين ؛ فكان كاتب إنشائه .

(٥) رجل السفينة : سكانها (دفتها) أى لأن له مجاديف متراصة متقاربة من الجانبين كأنها الأهداب .

(ج) النثر العلمى

باب ما يهمز فيكون له معنى، فاذا لم يهمز كان له معنى آخر

من كتاب المخصص(١)

يقال : قد روَّأْت فى الأمر ،وقد رَوَّيْتُ رأسى بالدُّهن . وقد تملَّأْت من الطعام والشَّراب، وقد تملَّيْتُ العيش : إذا عشتُ مليا أى طويلا . وتقول : قد تخَطّأْتُ له فى هذه المسألة، وقد تخطَّيْتُ القدمَ؛ لأنه من الخطوة . وقد قرأتُ القرءانَ وماقرأَتِ الناقةُ سَلًا قطُّ ، أى لم تُلق وَلَدًا أراد أنها لم تحمل، وقد قَرَيْتُ الضيف . وقد سَوَّأْت عليه ما صنع : اذا قلتُ له : أسأتَ، وقد سوَّيْت الشئَ . والعرب تقول : إن أصبتُ فصوِّبنى ، وإن أخطأتُ فخطِّئْنى ، وإن أسأْتُ فسوِّئْ علىّ . وقد خَبَأ الشَّئ يَخْبَؤُه خَبْئا — وقد خَبَتِ النارُ خُبُوًّا — اذا ذهب لَهَبُها، وقد برأتُ مِن المرَض أبرأُ بُرْءًا، وقد بَرَيْتُ القلَم . وقد بارأْتُ شريكى — إذا فارقته — وقد بارأ الرجل امرأته، وباريتُ فلانا اذا كنتَ تفعَلُ ما يَفعَلُ؛ وفلان يُبارِى الريحَ سخاءً .

(١) صاحبه أبو الحسن على بن اسماعيل النحوى اللغوى الضرير المعروف بابن سيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ عن ٦٠ سنة .

المغرب وممالك البربر

(أ) الشعـــــر

(١) على بن محمد الإيادى

من شعراء الفاطميين وهم بالمغرب يصف أسطول القائم الفاطمى قال :

اعْجَبْ لِأسطول الإمامِ محمّدٍ ... ولِحُسنِهِ وزَمانِه المُستَغْرَبِ
لَبِسَتْ به الأمواجُ أحسنَ منْظَرٍ ... يَبْدو لعَيْنِ الناظر المستَعْجِبِ
مِن كلِّ مُشْرِفةٍ على ما قَابَلَتْ ... إشرافَ صَدْر الأجْدَلِ المُتَنَصِّبِ (١)
دهماءُ قد لبِستْ ثيابَ تصنُّعٍ ... تَسْبى العُقولَ على ثِيَابِ تَرَهُّبِ (٢)
مِن كلِّ أبيضَ فى الهواءِ مُنَشَّرٍ ... منها ، واسحَمَ فى الخَلِيجِ مُغَيَّبِ (٣)
محفـوفةٌ بمجادِفٍ مَصْفُوفةٍ ... فى الجانبين دُوَيْنَ صُلْبٍ صُلَّبِ (٤)
كقوادمِ النَّسْرِ المُرفْرِفِ عُرِّيَتْ ... مِن كاسِيات رياشِه المُتَهَدِّبِ (٥)
وتَحُثُّها أيدى الرجالِ اذا وَنَتْ ... بمُصَعَّدٍ منها بَعيدٍ مُصَوَّبِ

---

(١) الأجدل : الصقر .

(٢) ثياب تصنع : هي النقوش المصطنعة ، وثياب الترهب هى طلاء القار الأسود الذى عليها من أسفل لأن الرهبان يلبسون سود الثياب .

(٣) يريد بالأبيض المنشر : القلع .

(٤) الصلب : الظهر والمتن . والصلب بتشديد اللام كسكر : القوى الشديد .

(٥) شبه المجاديف المرصوفة بقوادم النسر .

خَرْقاءُ تذهَبُ إنْ يَدٌ لم تَهْدِهَا ... فى كل أوْبٍ للرياح ومَذْهَبِ
جوفاءُ تحمِلُ كوكبًا فى جَوْفِها ... يَوْمَ الرِّهانِ، وتَسْتَقِلُّ بمَوْكِبِ
ولها جناحٌ يستَعارُ لطَيْرِها ... طَوْعَ الرياح وراحةِ المتَطَرِّبِ
يعلو بها حَدَبَ العُباب مُطارةً ... فى كل لُجٍّ زاخِرٍ مُغْلَوْلِبِ
تسمو بأجرَدَ فى الهواءِ مُتَوَّجٍ ... عُرْيانَ مَنْسُوجِ الذُّؤابةِ شَوْذَبِ(١)
يَتَركَّبُ المَلَّاحُ مِنهُ ذُؤابةً ... لو رامَ يركَبُها القَطا لم يَرْكَبِ
فكأنما رَامَ استراقَةَ مقعدٍ ... للسَّمْعِ إلا أنَّهُ لم يُشْهَبِ
وكأنَّما جِنُّ ابن دَاودٍ هُمُ ... رَكِبُوا جَوانِبَها بأعْنَفِ مَرْكَبِ
سَجَرُوا جوانبَ نارِها ، فتقاذَفُوا ... مِنها بألْسُنِ مارِجٍ مُتَلَهِّبِ
مِن كُلِّ مَسجُونِ الحَريقِ اذا انبَرى ... مِن سِجْنِهِ انصلتَ انصلاتَ الكوكَبِ (٢)
عُريانَ يَقْدُمُهُ الدُّخانُ كأنَّه ... صُبْحٌ يكُرُّ على الظَّلام الغَيْهَبِ
ولَوَاحِقٍ مِثْلِ الأَهِلَّةِ جُنَّحٍ ... لُحُقَ المُطالب فائتاتِ المَهْرَبِ
يذهَبْنَ فيما بينهُن لَطافَةً ... ويجِئن فِعْلَ الطائرِ المُتَغَلِّبِ
كنضانِضِ الحَيَّاتِ رُحْنَ لَواعبًا ... حتَّى يقَعْنَ ببِرْكِ مَاءِ الميزَبِ
شَرَجُوا جوانِبَها مجادفَ أتْعبت ... شَأوَ الرِّياحَ لها ، ولمَّا تَتْعَبِ
تَتَصاعُ مِن كَثَبٍ كما نَفَرَ القَطا ... طَوْرًا ، وتجتَمِعُ اجتماعَ الرَّبْرَبِ

---

(١) الشوذب الطويل الحسن الخلق أو الصنع : يريد به الصارى والدقل فى أعلاه برج صغير يجلس فيه ملاح يرقب البحر من أعلى المركب . (٢) كانوا يرمون بقدور وقنانى من الزجاج والفخار بها سائل من نفط ومواد ملتهبة يقذفون بها مراكب العدو وهى النار الإغريقية التى جهل الآن تركيبها .

والبحــرُ يجمــع بينها فكأنه ... ليــلٌ يقرّبُ عقربًا من عقربِ
وعلى كواكبها أسـودُ خلافــةٍ ... تختـالُ فى عُدَدِ السـلاحِ المُرهِبِ
فكأنمـا البحرُ اسـتعارَ بزيّهـم ... ثوبَ الجمـالِ مِنَ الربيـعِ المُذهبِ

(٢) إبراهيم الرقيق بن القاسم القَيْرَوانى (١)

قال يتشوّق الى مصر ومعاهده بها . وكان رحل اليها بهدية من باديس بن زيرى الى الحـاكم بأمر الله الفاطمى :

هَلِ الرِّيحُ إنْ سارَتْ مُشَرِّقَةً تَسْرِى ... تُؤَدِّى تحيّـاتِى الى سَاكِنِى مِصْر
فمـا خَطَرَتْ إلّا بكَيْتُ صَبابَةً ... وحمّلتُها ما ضاقَ عن حَمْلِهِ صَدْرى
ترَانى إذا هبَّتْ قَبُـولا بنَشْرِهِمْ ... شَمِمْتُ نَسيمَ المِسْكِ فى ذلك النَّشْر
وإنْ أنسَ مِن شَىْءٍ سِوَى العَهْدِ دُونَه ؛ ... فليس بخَالٍ من ضَميرى ومِنْ فِكرِى
ليَـالِىَ أُنسْـناها عَلَى غِرَّةِ الصِّـبا ... فطابَتْ لنا إذْ وَافَقَتْ غِرَّةَ الدهر
لَعمرِى لَئِن كانت قِصارا أُعُدُّها ... فلَسْتُ بمُعتـدٍّ سِـواها مِنَ العُمْر
أخادِعُ دَهـرِى أن يعودَ بِفُرصَةٍ ... فيُنقِذَ رُوحَ الوَصْلِ من راحةِ الهَجْر
وترجِـعُ أيّامٌ خَلَتْ بمَعاهِــدٍ ... مِنَ اللّهوِ لا تنفَكُّ مِنّى عَلَى ذُكْر
فكَمْ لِىَ بالأَهْرَامِ أو دَيرِ نَهْيَــةٍ ... مَصَايِدُ غِزْلانِ المَكايِدِ والقَفْر (٢)

(١) هو ابراهيم بن القاسم الملقب بالرقيق شاعر رقيق الشعر أديب مؤرخ . وكان يتكسب بالكتابة فى دواوين القيروان . وله كتب منها تاريخ إفريقية أثنى عليه ياقوت وتوفى سنة ٤٠٠ هـ .

(٢) دير نهية كان على مقربة من بولاق التكرور، وليس بها دير الآن . ويريد بغزلان المكايد الجوارى الحسان، وغزلان القفر ما يصاد فى بادية الهرم .

الى الجيزةِ الدُّنْيَا ومَا قد تَضَمَّنَتْ ... جَزيرتُهـا ذاتُ النواعير والجسْر
وبالمَقْسِ والبُســتَانِ للعَيْنِ مَنْظَرٌ ... أنيقٌ الى شَاطِى الخليج الى القَصْر (١)
وفى سَرَدُوسٍ مُسْــتَرادٌ ومَلْعَبٌ ... الى دَيْرِ مَرْحَنَّا الى ساحِل البَحْرِ (٢)
وكَمْ بينَ بُستَانِ الأَمير وقَصْرِهِ ... الى البِرْكَةِ الزَّهْرَاءِ من زَهَرٍ نَضِرِ
تَرَاهَا كَمِرْءاة بَدَتْ فى رَفارِف ... مِنَ السُّنْدُسِ المَوْشِيِّ يُنْشَرُ للتَجْرِ

(٣) أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى (٣)

قال يتغـــزل :

أمَا ومَحَلِّ حُبِّــكَ مِن فُؤادِى ... وقَــدْر مَكانه فيـــه المكِينِ
لو انْبَسَطَتْ لِى الآمالُ حَتَّى ... تُصَيِّرَ مِن عِنانِكَ فى يَمِيــنى
لَصُنْتُكَ فى مَكانِ سَــوَادِ عَيْنِى ... وخِطْتُ عليكَ مِنْ حَذَرٍ جُفُونى
فأبْلُغُ منــك غاياتِ الأَمَانِى ... وآمَنُ فِيـــكَ آفاتِ الظنونِ
فلِى نَفْسٌ تجـــرَّعُ كُلَّ حِينٍ ... عَلَيْكَ بِهِنَّ كاساتِ المَنُونِ (٤)
اذا أمِنَتْ قُلُوبُ الناسِ خافتْ ... عليــك خَفِيَّ ألحــاظِ العيونِ

(١) المقس موضــعه الآن : مسجد أولاد عنان . ويريد بالبستان : البستان الكافورى كان على الخليج غربى القــاهرة . ويريد بالقصر القصر الكبير . وموضــعه الآن المسجد الحسينى وخان الخليــلى وخان جعفر وبيت القاضى الى جهة قصر الشوق .

(٢) سردوس : خليج من خلجان سبعة كانت فى الوجه البحرى . وكان يتفرع من النيل شمالى القاهرة .

(٣) هو أبو عبد الله محمد بن جعفر القزاز القيروانى التميمى إمام العربية والأدب بالقيروان وصاحب المعجم العظيم المسمى بالجامع فى اللغة . رتبه على حروف المعجم ، وكان أديبا كاتبا شاعرا رقيق الشعر . مات بالقيروان سنة ٤١٢ هـ . وقد قارب التسعين .

(٤) بهن أى بآفات الظنون .

وقال :

أَضْمِرُوا لِى وُدًّا ولا تُظْهِرُوهُ ... يَهْدِهِ مِنْكُمُ إلىَّ الضَّمِيرُ
ما أُبالِى إذا بلَغْتُ رِضاكُمْ ... فى هَواكُمْ لأىِّ حَالٍ أَصِيرُ

(٤) إبراهيم بن على الحُصْرىُّ القَيْرَوَانىّ (١)

قال :

يا هَلْ بَكَيْتُ كما بَكَتْ ... وُرْقُ الحمائمِ فى الغُصُونِ
هَتَفَتْ سُحَيْراً والرُّبَا ... للقَطْرِ رافِعَةُ الجُفُونِ
فكأنما صاغَتْ عَلَى ... شَجْوِى شَجَا تلك اللُّحُونِ

وقال :

كَتَمْتُ هواكَ حتى عِيلَ صَبْرِى ... وأَدْنَتْنِى مُكاتَمَتِى لِرَمْسِى
ولَمْ أَقْدِرْ على إخفاءِ حَالٍ ... يَحُولُ بها الأَسَى دُونَ التَّأَسِّى
وحُبُّكَ مالِكٌ لَحْظِى ولَفْظِى ... وإظهارِى وإضمارِى وحِسِّى
فإن أَنطِق فَفِيكَ جميعُ نُطْقِى ... وأَنْ أَسْكُتْ فَفِيكَ حديثُ نفسى

(٥) ابن رشيق القيروانى (٢)

قال :

أُحِبُّ أخى وإن أعرَضْتُ عَنْهُ ... وقَلَّ على مسامِعِه كَلامى
ولِى فى وجْهِهِ تقطيبُ راضٍ ... كما قَطَّبْتَ فى وَجهِ المُدامِ

(١) صاحب كتاب زهر الآداب وغيره المتوفى سنة ٤٥٣ هـ .

(٢) هو الحسن بن رشيق من موالى الأزد . كان أبوه مملوكا روميا صائغا ، فتعلم ابنه الأدب والكتابة والشعر وعلومه ، وألف فيه كتاب العمدة الذى لم يؤلف المتقدمون مثله فى نقد الشعر وكان من كتاب المعز ابن باديس الصنهاجى خليفة الفاطميين على أفريقية ومن خيرة شعرائه و ينافسه فى كل صناعته ابن شرف . توفى ابن رشيق بجزيرة صقلية سنة ٤٥٦ هـ . بمدينة مازر آخر مدن المسلمين بها .

وربَّ تجهُّمٍ من غيرِ بُغْضٍ وضِغْنٍ كامِنٍ تحت ابْتسام

وله أيضا :

مَن جفانى فإنَّنِى غيرُ جافٍ صِلةً أوْ قطيعةً فى عَفاف
رُبَّما هاجرَ الفتى مَن يُصافِيهِ ولَاقَىٰ بالبِشْرِ مَن لا يُصافى

وقال :

ومِن حَسناتِ الدَّهْرِ عندىَ ليلةٌ مِنَ العُمْرِ لم تَتْرُكْ لِأَيَّامِها ذَنْبا
خَلَوْنا بها نَنْفِى القذى عن عُيونِنا بِلُؤْلُؤةٍ مَمْلُوءةٍ ذَهَبًا سَكْبا(١)

وله أيضا :

فِى النّاسِ مَن لا يُرتَجَىٰ نَفْعُهُ إلّا إِذا مُسَّ بِإضْرار
كالعُودِ لا تَطْمَعُ فى طِيبِهِ إن أنتَ لم تَمْسَسْهُ بالنّار

وقال :

ولو غَيرُكِ الموسومُ عِندى بِريبةٍ لأعطيْتُ فيه مُدَّعِى القومِ ما ادَّعَى
فلا تَتَخالَجْكَ الظنونُ فإنّها مآثِمُ واتْرُكْ للصنائع مَوْضِعا
فواللهِ ما طَوَّلْتُ باللوم فيكمُ لِسانًا ولا عَرَّضْتُ للذَّمِّ مَسْمَعا
ولا مِلْتُ عنكم بالوِدادِ ولا انطوتْ حِبالِى ولا وَلَّى تَنائِى مُوَدَّعا
بَلَى رُبَّما أكرمتُ نفسى فلم تَهُنْ وأجْلَلْتُها عن أنْ تَذِلَّ وتَخْضَعا
فبايَنْتُ لا أنَّ العَداوةَ بايَنَتْ وقاطعتُ لا أنَّ الوفاءَ تَقَطَّعا

(١) بلؤلؤة الخ يريد بكأس مملوءة خمرا .

(٦) ابن شرف القَيروانىّ[١]

من قوله :

إنْ تَدْعُكَ الغُـربةُ فى مَعشَرٍ ... قَدْ جُبِـلَ الطبعُ على بُغْضِهِمْ
فدارِهِـمْ ما دُمْتَ فى دارِهِـمْ ... وأَرْضِهِمْ ما دُمتَ فى أرضهم

وقـوله :

إحْذَرْ محاسِنَ أوجُهٍ فقَدَتْ محا ... سِنَ أَنْفُسٍ ، وَلَو اَنّها أَقْمَـارُ
سُرُجٌ تَلوحُ اذا نَظَرْتَ فإنّهـا ... نُورٌ يُضِيءُ وإنْ مَسِسْتَ فَنَارُ

وقوله فى العود :

سَقَى اللهُ أرضًا أنبَتَت عودَكَ الذى ... زَكَتْ منه أغصانٌ، وطَابَتْ مَغارِسُ
تَغَنَّى عليهِ الطَّيرُ، والعُـودُ أَخْضَرٌ ... وغَنَّتْ عليـهِ الغِيدُ ، والعُودُ يابِسُ

وقـوله :

لا تسأَلِ الناسَ والأيامَ عن خَبَرٍ ... هُمَـا يَبُثّانِكَ الأَخْبَـارَ تَطْفِيـلا
ولا تُعَاتِبْ على نَقْصِ الطباعِ أخًا ... فإنّ بَدْرَ السَّمَا لم يُعْطَ تكميلا
لا يُؤْيِسَـنَّكَ مِن أَمْرٍ تَصَعُّـبُه ... فاللهُ قد يُعْقِبُ التَّصْعِيبَ تَسهيلا
بِـعْ مَن جفاكَ ولا تَبخَلْ بسِلْعَتِهِ ... واطلُبْ بِهِ بَدَلًا إن رَامَ تبـديلا
وصَيِّرِ الأَرْضَ دارًا والوَرَى رَجُلًا ... حتى تَرَى مُقْبِلًا فى الناس مَقْبُولَا

---

(١) هو الأديب الكاتب الشاعر المؤلف أبو عبد الله محمد بن أحمد بن شرف الجذامى القيروانى . كان قرين ابن رشيق فى خدمة المعز بن باديس ومنادمته . وكانت بينهما منافسة شديدة زالت بعد موت المعز . فارتحل ابن شرف الى الأندلس زمن ملوك الطوائف ، ومات بها . وتوفى سنة ٤٦٠ هـ بالمرية . ولابن شرف شعر رقيق وهجاء موجع ومدح بليغ ووصف بديع ، و يشوب شعره مزاج من البديع وخاصة الجناس .

وقوله :

يا ثاوياً فى معشر ... قد اصطلى بنارهم
إن تبك من شرارهم ... على يدى شرارهم
أو ترم من أحجارهم ... وأنت فى أحجارهم
فما بقيت جارهم ... ففى هواهم جارهم
وأرضهم فى أرضهم ... ودارهم فى دارهم

(٧) عبد الجبار بن حمديس (١)

قال يصف بركة يجرى اليها الماء :

من شاذروان من أفواه طيور وزرافات وأسود من صفر منها ما يقذف الماء صعداً، ومنها ما يحدره الى أسفل، ومنها ما يقطّعه كرات وبنادق :

والماء منه سبائك من فضة ... ذابت على دولاب شاذروان (٢)
فكأنما سيف هناك مشطب ... ألقته يوم الروع كف جبان (٣)
كم شاخص فيه يطيل تعجباً ... من دوحة نبتت من العقيان (٤)
عجباً لها تسقى هناك ينائعاً ... ينعت من الثمرات والأغصان (٥)

(١) هو أبو محمد عبد الجبار بن محمد بن حمديس الأزدى الصقلى أحد وصافى الطبيعة والمصانع البديعة . نشأ بمدينة سرقوصة من صقلية فى أواخر دولة العرب بها ولما ملكها رجار النرماندى هاجر منها الى الأندلس وغيرها حتّى مات بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧ هـ .

(٢) الشاذروان : كلمة معرّبة ومعناه كل ما خرج قليلا من جدار أو نصب عما فوقه من بقية البناء أو النصب أو ما كان كمصاطب القوارات أو قصاعها كالرفرف وهو المراد هنا .

(٣) شبه الماء النازل من الثقوب منحنيا بالسيوف .

(٤) العقيان : الذهب . ويظهر أن التماثيل كانت من شبه أو صفر .

(٥) الينائع : جمع ينيعة .

خُصَّتْ بِطَائِرةٍ على فَنَنٍ لهـا حَسُنَتْ فَأُفْرِدَ حسنُها من ثانى
قُسُّ الطيور السَّاجِعَات بلاغةً وفصاحةً من مَنْطِق وبَيَـانِ (١)
فإذا أتيحَ لها الكلامُ تَكَلَّمَتْ بِخَـرِير ماء دائم الهَمَلانِ
وكأن صانِعَها ٱستَبـدَّ بصنعةٍ فَخَـرَ الجَمَادُ بهـا على الحيوان
أَوْفَت على حَوْض لها فكأنها منها الى العَجَبِ العُجَاب رَوانِ
وكأنهـا ظَنَّتْ حلاوةَ مائهـا شَهْـدًا فَذَاقَتْـهُ بِكُلِّ لِسَان
وزرافة فى الجَوِّ من أُنْبوبِهـا ماءٌ يُرِيكَ الجَـرْىَ فى الطَّيَرَانِ
مَرْكُوزَة كالرُّمْح حيث ترى له من طَعْنِهِ الحَلَقَ انعِطَافَ سِنَانِ (٢)
وكأنمـا ترمى السماءَ بِبُنْـدُق مُسْتَنْبَط من لُؤْلُؤٍ وجُمَانِ
لو عاد ذاك المـاءُ نِفْطًا أَحْرقت فى الجو منه قميصَ كلِّ عَنانِ
فى بِرْكـة قامت على حافاتها أُسْـدٌ تَذِلُّ لِعِـزَّةِ السُّلْطانِ
نَزَعت إلى ظُلْمِ النفوس نُفُوسُها فلذلك انتَزَعَت الأبدان
وكأنمـا الحَيَّاتُ من أفواهِها يَطْـرَحْن أنفسَهن فى غُدْرَانِ
وكأنما الحيتان إذْ لم تخشها أَخَذت من المنصور عهد أمان (٣)

وقال يصف دارا بناها المعتمد بن عباد من أبيات :

ويا حبَّـذا دار قضى الله أنّهـا يُجَـدَّدُ فيهـا كُلُّ عزّ ولا يَبْـلَى
وما هى إلا خِطَّـةُ المَلِكِ التى يُحَطُّ إليهـا كُلُّ ذِى أمـل رَحْلَا

(١) كان الماء إذا خرج من فيها ظهرت لها أصوات كهديل الحمام .
(٢) الحلق : الدروع . (٣) الحيتان : سمك البركة .

إذا فُتِحت أبوابُها خِلْتَ أنها تقول بترحيب لداخلها : أهْلا!
وقد نَقَلَتْ صُناعها من صفاته إليها أفانينًا ، فأحسَنت ٱلنَّقْلا
فمن صَدْرِه رُحْبًا، ومن نوره سَنًى ومن صيته فرعًا، ومن حِلْمه أصْلا
فأعلَتْ به في رُتبةِ المُلْك ناديًا وقلّ له فوق السّماكين أن يعلى
نسِيتُ به إيوانَ كسرى لأنني أراه له مَوْلًى من الحسن لا مِثْلًا
ترى الشمس فيه لِيقَةً تستمدّها أكفٌّ أقامت من تصاويرها شكلا (١)
لها حركاتٌ أُودعتْ في سُكونها فما تَبعتْ من نقلهنّ يَدٌ رِجْلا
ولما عَشِينا من توقد نُورها تخِذْنا سناه في نواظرنا كُحْلا

(ب) النثر الفني

(١) التلمساني (٢)

قال في الفراق :

الدهرُ ذو غِيَر، ومَن ذا يحكُمُ على القَدَر؟ وما ضَرّه لو غفَل قليلا، وشفَى بلقاء الأحِبّةِ غليلا، وسَمَح لنا بساعة اجتماع، ووصل ذلك الأمل القصيرَ بباع، وزَوَى (٣) مَسافةَ أيام، كما طَوَى مَراحلَ أعوام. يامُؤْيِسِي (٤)، أفلا أشفقتَ مِن عذابي، وسَمَحْتَ ولو بسلام أحبابي، أسلمْتَني الى ذَرْع (٥) البِيد، ومُحالَفةِ الذَّميل والوَخيد (٦)،

(١) الليقة : القطنة ونحوها توضع فى الدواة .

(٢) هو أبو اسحاق إبراهيم بن بكر الأنصارى العلامة الأديب الكاتب الشاعر الرحالة من أهل سبتة . دخل الأندلس وبلاد التكرور ومصر والشام والعراق والحجاز واليمن . وتوفى سنة ٦٩٠ هـ بسبتة عن سن عالية .

(٣) زوى : طوى . (٤) يخاطب الدهر . (٥) مصدر ذرع : بمعنى قاس بالذراع .

(٦) ضربان : من سير الإبل وغيرها .

والتنقّلِ فى المشارق والمغارب، والتمطّى فى الصَّهوات والغَوارب (١). ياسائقَ البَيْن دَعْ مَحمِلَه، فما بَقِىَ فى الجسم لَنْ يَحمِله، ويابناتِ جَديل (٢)، ما لَكُنَّ وللذَّميل؟ ثم مَا للزاجر الكاذِب، وللغراب الناعب؟ يجعَلُه نذيرَ الجلا، ورائدَ الخلَا، ما أَبعدَ ابن زَاجر (٣)، عن دَارِ الزاجر؛ إنما فعلَ ما تَرى، ذاتُ الغَارِب والقَرا (٤)، المختالةُ فى الأَزِمَّة والبُرَى (٥)، والمتَرَدِّدَةَ بين التأويب والسُّرى (٦)؛ طالمَا باكَرَت النَّوى (٧)، وصَدَعَت صَدْع الهوَى، وتركت الهائم بين رَبع مُحِيل (٨)، ورَسمٍ مُستحيل (٩)، يَقْفو الأَثَر بجده، ويسألُ الطلَلَ عن عهده. وإنْ أَنصفْتَ فما لِعيرٍ مَقُودَة، وإبل مَطرودة (١٠)، غَلَّتْ (١١) عن الحَوْض والشَّوْط (١٢)، وأُسلِمَتْ إلى الحَبل والعصا والسَّوْط. ولو خُيِّرَ البازِى لأَقام؛ ولو تُرِك القَطَا لَيلًا لنام؛ لكنّ الدّهْر أَبُو بَرَاقش (١٣)، وسهمُ بَيْنِه بين بَنِيه غيرُ طائش، فهو الذى شَتَّت الشَّمْلَ وصَدَعه، وما رُفِعَ سَقْفٌ بِعِمادِه إلّا وَضَعَه، ولا بَلّ غليلًا أَحرقَه بنار وجده ولا نَقَعَه.

(١) الصهوة: ظهر الفرس. والغارب: كاهل الجمل.

(٢) بنات جديل: النوق الكريمة تنسب إلى أبيها جديل وهو جمل كريم كان للنعمان بن المنذر.

(٣) يريد بابن زاجر: الغراب.

(٤) القرا: الظهر. يريد الناقة.

(٥) البرى: جمع برة، وهى حلقة صغيرة تكون فى أنف البعير لربط الخطام أحيانا.

(٦) التأويب: السير جميع النهار. والسرى: السير بالليل.

(٧) النوى: الفراق. (٨) مضى عليه حول. (٩) متغير.

(١٠) إبل الميرة. (١١) شربت ولم ترو. (١٢) مجرى الماء بين جبلين.

(١٣) أبو براقش: طائر ذو ألوان.

(ج) النـــثر العـــلمى

لابن شَرف القَيْروانى[1] فى كتابه أعلام الكلام

قال أبو عبد الله محمد بن شرف القَيْرانى :

هذه أحاديثُ صُغتها مختلفةَ الأنواع، مؤتلفةً فى الأسماع، عربياتِ المواشم، غريبات التراجم، واختلقت فيها أخباراً فصيحات الكلام، بديعاتِ النظام، لها مقاصِدُ ظِراف، وأسانيدُ طِراف، يروقُ الصغيرَ معناها، والكبيرَ مغزاها، وعَزَوْتُها إلى أبى دَيّان الصَّلْتِ بن السَّكَن من سَلامان[2]، وكان شيخًا هِمًّا[3] فى اللسان، وبَدرا تمًّا فى البيان. قد بَقِىَ أحقابا . ولَقِىَ أعقابا، ثم أَلْقتْهُ إلينا مِن باديته الأَزَمات، وأوْرَدَتْه علينا العَزَمات. فامْتَتَحْنا[4] مِن عِلمه بحرًا جاريا، وقَدَحْنا من فَهمه زَنْدا وَاريا، وأدَرْنا من بِرّه طرفا، واجتنينا من ثمره طُرفا. ونحن إذ ذاك والشبابُ مُقْتَبِل، وغفلةُ الزمان تُهتَبَل[5]: واحتذيتُ فيما ذهبتُ اليه، ووقَعَ تَعريضى عليه، مِن بَثّ هـذه الأحاديث ما رَأيتُ الأوائلَ قد وضعتْه فى كتاب كليلة ودمنة، فأضافوا قولَ الحكْمة الى الطير الحوائم، ونَطّقُوا به على ألسنة الوَحْش والبهائم لِتتعلّقَ به شهواتُ الأَحداث، وتُسْتَعذبَ بسَمَره

(١) تقدّمت : ترجمته عند شعره .

(٢) سلامان : بطن من طيئ وهم سلامان بن ثعل بن الغوث بن طيئ .

(٣) الهم : الشيخ الكبير الفانى، يريد كبيرا فى فصاحة اللسان .

(٤) امتتح الماء : نزعه من بئر ونحوه .

(٥) تهتبل : تغتنم .

ألفاظ الحُـدّاث . وقد نحا هـذا النحوَ سهلُ بن هارون الكاتب فى تأليفه كتاب النمِر والثعلب، وهو مشهور الحكايات بديعُ المراسلات، مليح المكاتبات . وزَوّرَ أيضا بديع الزمان، الحافظ الهمذانى . وهو الأستاذ أبو الفضل أحمد بن الحسين، مقامات كان يُنشئُها بديهًا فى آواخر مجالسه، وينسبُها الى راوية رواها له يُسمّيه عيسى ابنَ هشام . وزعم أنه حَدَّثَه بها عن بليغ يُسَمّيه أبا الفتح الاسكندرى . وعددُها فيما يزعم رُواتها أربعُمائة مَقامـة، إلا أنها لم تصِلْ هـذه العِدةُ الينا . وهى متضمنةٌ معانىَ مختلفة، ومبنية على مبانِىَ شتّى غير مؤتلفة، لينتفع بها من الكتّاب والحاضرين مَن صَرَفها مِن هَزْل الى جِدّ . ومِن نِدّ الى ضِدّ . فأقمتُ من هـذا النحو عشرين حديثا، أرجو أن تُبيّن فضلَها، ولا تقصر عما قبلها . ولعمرى ما أشـكُر من نفسى ولا أُثْنِى على شىء من حِسى، إلا ظفَرى بالأقل ممـا حاولتُه، على ما أضْرَمَته نيرانُ الغربة من قلبى ، وثَلَمَتْه صَـعقاتُ الفِتنة من لُبّى ، وقطعتْ أهوالُ البَرّ والبَحر من خواطرى، وأضعفَت الوَحشةُ والوَحدة من غرائزى وبضائرى، لكنّ نيةَ القاصد وسعةَ المقصود، أعانا ذا الوُدّ على إتحاف المودود . واللهَ أسألُ توفيقا، ينهَجُ لنا الى الرشد طريقا .

عصر المماليك والعثمانيين

(١) الشِّعر

(١) شمس الدين محمود الكوفى

قال فى رثاء بغداد :

إنْ لم تُقَرِّحْ أدمُعِى أجفانى ... من بَعْدِ بُعْدِكُمُ فما أَجْفانى
إنسانُ عينى مذ تناءتْ دارُكُمْ ... ما راقَهُ نظرٌ الى إنسانِ
يا ليتنى قد مِتُّ قبلَ فِراقِكمْ ... ولساعةِ التوديعِ لا أحيانى!
مالى وللأيامِ شَتَّتَ خَطْبُها ... شملِى؟ وخَلَّانِى بلا خُلانِ
ما للمنازلِ أصبحتْ لا أهلُها ... أهلِى، ولا جيرانُها جيرانى
وحياتِكم ما حلَّها من بَعْدِكم ... غيرُ البِلَى والهدمِ والنيرانِ
ولقدقصدتُ الدارَ بعدرحيلِكُمْ ... ووقفتُ فيها وِقْفَةَ الحيرانِ
وسألتُها لكن بغيرِ تكلم ... فتكلمتْ لكن بغيرِ لسانِ
ناديتُها يا دارُ، ما صنع الأُلَى ... كانوا هُمُ الأوطارَ فى الأوطانِ ؟
أينَ الذين عَهِدْتُهم ولعزِّهم ... ذُلًّا تَخِرُّ مَعَاقِدُ التِّيجانِ ؟
كانوا نجومَ من اقتدَى فعليهمُ ... يبكِى الهُدَى وشعائرُ الإيمانِ
قالت : غدَوا لما تبدد شملهم ... وتبدلوا من عزهم بهوانِ !
كَدَمِ الفِصَادِ يُراقُ أرذلَ موضعٍ ... أبدًا ويَخْرُجُ من أعزِّ مكانِ

أفنتهم غِيَرُ الحوادث مثلما ... أفنتْ قديما صاحبَ الإيوان
لما رأيتُ الدارَ بعد فِراقِهِمْ ... أضحتْ مُعَطَّلَةً من السكانِ
مازلتُ أبكيهم وأثُمُ وَحْشَةً ... لجمالهم مُتَهَدِّمَ الأركان
حتى رَثَى لى كلُّ مَنْ : ما وَجْدُهُ ... وجدى، ولا أشجانُه أشجانى
أتُرَى تعودُ الدارُ تجمعنا كما ... كنا بكلِّ مَسَرَّةٍ وتهانى ؟
إذ نحنُ نغتنمُ الزمانَ وَنجتَنِي ... بيد الأمانِ قُطوفَ كلِّ أمانِ

(٢) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي (١)

قال : عَرِّجْ على الزَّهْرِ يا نَديمى ... ومِل إلى ظِلِّهِ الظَّليل
فالروضُ يَلقاكَ بابتسامٍ ... والريحُ تلقاكَ بالقَبُولِ

وقال :

وتنبهتْ ذاتُ الجَنَاحِ بسُحْرَةٍ ... بالواديينِ فَنَبَّهَتْ أشواقى (٢)
ورْقاءُ قد أخذت فُنونَ الحُزْنِ عن ... يعقوبَ والألحانَ عن إسحاق (٣)
قامت تطارِحُنى الغرامَ بجَهالةٍ ... من دون صَحْبِي بالحِمَى ورِفاقى
أنَّى تُبارِينى جَوًى وصَبابةً ... وكآبةً وأسًى وفَيْضَ مآقِ
وأنا الذى أملِى الجَوَى من خاطرى ... وهىَ التى تُمْلِى من الأوراقِ (٤)

(١) من أشهر شعراء عصر المماليك بالشام . وكان سهل الشعر عذبه يستخدم المحسنات البديعية مات سنة ٦٨٠ هـ . (٢) ذات الجناح : الحمامة والسحرة : قبيل الفجر .
(٣) الورقاء : الحمامة - يعقوب : أبو يوسف صاحب القصة المذكورة فى القرآن الكريم عليهما السلام ، وإسحاق أبو يعقوب عليه السلام وإسحاق بن ابراهيم الموصلى ، وهو المراد .
(٤) الأوراق : أوراق الأشجار التى تعلوها الحمامة وفى الكلمة تورية واضحة .

(٣) الشاب الظريف (١)

قال :

لا تُخفِ ما فعلتْ بكَ الأشواقُ وٱشرحْ هواكَ فكلُّنا عُشّاقُ
فعسى يُعينُكَ من شكوتَ له الهوى فى حَمْلِهِ، فالعاشقون رِفاقُ
لا تجزعَنَّ، فلستَ أوّلَ مُغْرمٍ فتكتْ به الوَجَناتُ والأحْداقُ
وٱصبِرْ على هَجْرِ الحبيبِ فربَّما عاد الوِصالُ وللهَوى أخْلاقُ
كم ليلةٍ أَسهرتُ أحداقى بها وجْداً وللأفكارِ بى إحْداقُ
يا ربِّ قد بَعُدَ الذينَ أُحِبُّهُمْ عنِّى وقد أَلِفَ الفِراقَ فِراقُ
وٱسودَّ حظى عندهم لمّا سَرَى فيه بنارِ صَبابتى إحْراقُ
غَرْبٌ رأيتُ أصحَّ ميثاقٍ لهم ألّا يَصِحَّ لَديْهِمُ ميثاقُ

وقال :

صُدودُكَ هل له أَمَدٌ قريبٌ ووصلُكَ هل يكونُ ولا رقيبُ (٢)
قُضاةَ الحُسْنِ، ما صُنْعى بِطَرْفٍ تَمنَّى مثلَه الرَّشأُ الرَّبيبُ؟ (٣)
رمَى فأصابَ قلبى باجتهادٍ صدقتم ! كلُّ مجتهدٍ مُصيبُ (٤)

---

(١) هو محمد بن سليمان بن عفيف الدين التلمسانى المولود بمصر سنة ٦٦١هـ، والمتوفى سنة ٦٩٥هـ. وله شعر رقيق جميل الصياغة .

(٢) الأمد : الغاية والمنتهى . والرقيب : المراقب .

(٣) الطرف : العين . والرشأ : الظبى اذا قوى ومشى مع أمه . والربيب : المربى من رب الصبى رباه حتى أدرك .

(٤) الضمير فى رمى : يعود على الطرف، وفى قوله صدقتم الخ : إشارة الى قول الفقهاء : ان كل مجتهد فى الدين مصيب، وان اختلفت الآراء فى المسألة الواحدة .

بأيِّ حُشاشَـــة وبأيّ طَـــرْفٍ أحاولُ فى الهوَى عيشًا يَطيبُ ؟ (١)
وهذى فيــكَ ليس لها نَصيـــرٌ وهـــذا منكَ ليس له نصيبُ (٢)
وفى تلك الهـــوادج ظـاعناتٌ سَرَيْنَ وكلُّ ذى وجه حبيبُ (٣)
اذا أسفرْنَ فٱنكسرتْ عُيونٌ لهنَّ فتَكْنَ فٱنكسرت قلوبُ (٤)
فيا تلك الذوائبُ هـــل صباحٌ فَـــلِى فى ليلكن أسًى مــذيب (٥)
ويا تلك اللحـاظُ أرَى عجيبًـا سِهـامًا كلمـا كُسِرَتْ تُصيب (٦)
ويا تلك المَعَاطفُ خَبِّرينـا متى يتعطَّفُ الغُصْنُ الرطيب ؟ (٧)

وقال من قصيدة كتب بها الى أبيه :

يا قَطْرُ عُمَّ دِمَشْقَ وٱخْصُصْ منزلًا فى قاسِـــيُونَ وَحَلِّهِ بِنبـاتِ (٨)
وتَرَنَّمِى يا وُرْقُ فيــه ، ويا صَبـــا مُرِّى عليـــهِ بأطيبِ النَّفَحَاتِ (٩)
فيه الرِّضا ، فيه الهَوَى ، فيه الهُدَى ، فيـــه أصولُ سـعادتى وحياتى
فيهالذى كَشَفَ العَمى عن ناظِرى وجلا شمـــوسَ الحقِّ فى مِرْآتى
فيه الأبُ البَرُّ الشـفيقُ فَدَيْتُــهُ من سائرِ الأســواءِ والآفاتِ

(١) الحشاشة : بقية الروح فى المريض والجريح .
(٢) هذى : إشارة للحشاشة ، وهذا إشارة للطرف .
(٣) الهودج : مركب النساء . وظاعنات : مسافرات ، وكل ذى وجه أى منهن .
(٤) انكسار العيون : فتورها ، وهو من صفات الحسن فى النساء .
(٥) الذوائب : جمع ذؤابة ، وهى الشعر المسترسل . وفى قوله هل صباح : إشارة الى تشبيه الذوائب بالليل فى السواد والطول . (٦) كسر السهام : تحطمها . وكسر اللحاظ : فتورها .
(٧) المعاطف : جمع معطف كمجلس مكان العطف والميل ، وهو هنا : الخصر .
(٨) القطر : المطر . (٩) الورق : جمع ورقاء وهى الحمامة فى لونها بياض الى سواد . والصبا : ريح تهب من الشرق فى بلاد العرب .

وقال من قصيدة يمدح بها ابن عبد الظاهر :

ومَعْشَرٍ لم تَزَلْ للحـــربِ بيضُهُـم حُمْرَ الخُـدُودِ وما من شأنها الخَجَلُ (١)

إذا ٱنتضَوْها بُرُوقًا صُـيِّرت سُحُبًـا يســيلُ من جَانِبَيْها عارِضٌ هَطِلُ (٢)

يَثْنِي حديثُ الوغَى أعطافَهم طربًا كأنَّ ذِكْرَ المنايا بينهم غزَل (٣)

كم نارِ حربٍ بهم شُبَّتْ ، وهم سُحُبٌ وأرضِ قومٍ بهم فاضت ، وهم شُعَل (٤)

ضاءت بحسنهِـمُ تلك الخيـامُ كما ضاءت بوجهِ ابنِ عبدِ الظاهرِ الدُّوَل

أَغَرُّ ما أبدتِ ٱلسحبُ الحَيَا لِسوَى تقصـيرِها عن مَدَاهُ حينَ يَنْهَمِل (٥)

تُوحِى إلَى كُلِّ قِرْطاسٍ بلاغتُــهُ سِحْــرَ البيانِ ، ومن أقلامِهِ الرُّسُل

سُمْــرٌ تَرُوقكَ رأىَ العينِ عاريةً ومن بديعِ معانيــه لها حُلَل

من كلِ معتدِلٍ كالميلِ إنْ رَمِدَتْ عينُ المعالى فَفيها نِقْسُه كَحَـــل (٦)

فالعُـــداةِ لديه كلُّ ما حَذِروا ، وللعُفاةِ عليـــه كلُّ ما سألوا

أضحتْ يداه لعقدِ الجودِ واسـطةً ، فليس يُدْرَى بجودٍ بعــدَها عَطَل (٧)

وقال :

يَتَثَنَّى قَـــوامِكَ المَشُـــوقِ وَبأنوار وجهِكَ المعشـــوق

وبمعنًى للحُبِّ مُبْتَكَـرٍ فيـ ـكَ وقلبٍ كَقلبِيَ ٱلمحروق

(١) البيض : السيوف ، ويجعلها حمر الخدود لما يسيل فوقها من دماء الأعداء .

(٢) انتضى السيف : استله من غمده . والعارض : السحاب ، و يقصد به هنا الدماء .

(٣) الأعطاف : جمع عطف وهو الجانب .

(٤) وهم سحب أى فى الكرم ، وهم شعل ، أى كالنار فى استئصال أعدائهم .

(٥) الحيا : المطر أو مقصور الحياء ؛ ففى البيت تورية وحسن تعليل .

(٦) الميل : حديدة أو نحوها يُكتحل بها . والنقس : المداد . والكحل : مصدر كحل .

(٧) الواسطة من القلادة : الجوهرة فى وسطها ، وهى أجود الجواهر . والعطل : الخلو من الحلية .

جُدْ بوصلٍ، أو زَوْرَةٍ، أو بِوَعْدٍ، أو كلامٍ، أو وَقْفَةٍ فى الطريق!
أو بإرسالك آلسلامَ مع الريـ ـحِ، وإلّا فبالخَيَالِ الطَّرُوقِ

وقال وسلك فيها مسلك الرسائل السلطانية فى الافتتاح بدعاء خاص كهذا :

أَعَزَّ اللهُ أنصارَ العُيونِ وخَلَّدَ مُلْكَ هاتيكَ الجُفُونِ
وضاعَفَ بالفُتُورِ لها آقتداراً، وإن تَكُ أضعفتْ عقلى ودِينى
وأبقَى دولةَ الأعطافِ فينا، وإن جارتْ على قلبى الطَّعِين
وأسبَغَ ظلَّ ذاك الشَّعْرِ منه على قَدٍّ به هَيَفُ الغُصُونِ
وصانَ حِجابَ هاتيك الثَّنَايَا، وإنْ ثَنَتِ الفؤادَ إلى الشُّجُونِ
حَمَلْتُ تَسَهُّدِى والشَّيْبَ، هذا على رأسى وذاكَ على عُيُونى

(٤) سراج الدين الورّاق المصرى الكاتب الشاعر

المولود سنة ٦١٥ هـ المتوفى سنة ٦٩٥ هـ

قال :

إلٰهى لقد جاوَزْتُ سبعين حِجَّةً فشكراً لنُعْماكَ آلتى ليس تُكْفَرُ!
وعُمِّرْتُ فى الإسلامِ فآزددتُ بَهْجَةً ونوراً لِذا قالوا : السِراجُ المُعَمَّرُ (١)
وعَمَّ نُورُ الشيبِ رأسى فَسَرَّنِى وما ساءَنى أنَّ السِراجَ مُنَوَّرُ

وقال :

كَمْ قَطَعَ الجُودُ من لسانٍ قَلَّدَ فى نَظْمِهِ آلنُحُورا (٢)
فهـا أنا شاعرٌ سِرَاجٌ فاقْطَعْ لسانِى أَزِدْكَ نُوراً

(١) البهجة : الحسن .
(٢) قطع اللسان بالجود : إسكاته ، لسان السراج : ذبالته وفتيلته . وقطعه : قطه .

وقال :

إذا بُحْتُ بالشكوى عَنَيْتُ مَعَاشِراً بلا راحةٍ فى مدحهم أتعبَوا ذِهْنِى
يُريدونَنِى رَطْبَ اللسانِ ، ومَنْ رأى سِراجًا غدَا رَطْبَ اللِّسانِ بلا دُهْنِ

وقال :

يا خَجْلتِى وصحائِفِى ســود غَدَتْ وَصَحَــائفُ الأَبْرَارِ فى إِشْراقِ
ومُوَبِّخٍ لِى فى القيامــةِ قال لِى : أَكَذَا تكُونُ صحــائِفُ الورّاقِ ؟ (١)

وقال :

أَصونُ أَديمَ وَجْهِى عن أُناسٍ لقاءُ الموتِ عنــدَهُمُ الأديبُ (٢)
وربُّ الشِّعرِ عندَهُــمْ بغيضٌ وَلَوْ وَافَى به لَهُــمُ حَبِيبُ (٣)

وقال :

وَقَفْتُ بأَطْلالِ الأَحِبَّــةِ سَائلا وَدَمْعِى يَسْقِى ثَمَّ عَهْدًا ومَعْهَــدا (٤)
وَمِنْ عَجَبٍ أَنِّى أُرَوِّى دِيارَهُـــم وَحَظِّى منها حينَ أَسْأَلُها الصَّدَى (٥)

(٥) نصير الدين الحمامى المصرى المتوفى سنة ٧١٢ ﻫ

قال :

رأيتُ شَخْصًا آكِلًا كُرْشَــةً وهو أَخو ذَوْقٍ ، وفيــهِ فِطَنْ
وقال : ما زلتُ مُحِبًّــا لَهَـا ، قلتُ : من الإيمان حبُّ الوَطَنْ !

(١) الوراق : مورق الكتب . (٢) الأديم : الجلد .
(٣) حبيب : اسم أبى تمام الشاعر المشهور . والحبيب : المحبوب ففى الكلمة تورية .
(٤) العهد والمعهد : المنزل الذى لا يزال القوم إذا انتأوا عنه رجعوا إليه .
(٥) الصدى : الذى يجيبك بمثل صوتك فى الجبال وغيرها . والصدى أيضا : العطش .

وقال في داره :

ودارٍ خَرَابٍ بهـا قد نزلتُ ولكنْ نزلتُ الى السابِعَـهْ

طريقٌ من الطُرْقِ مسْلوكَةٌ مَحَجَّتُهَـا للورَى شاسِـعَه [١]

فلا فَرْقَ ما بينَ أَنّي أَكُونُ بها ، أو أكونُ على القارِعَهْ [٢]

تُسَاوِرُها هَفَواتُ النسيم فتُصْغِي بلا أُذُنٍ سامعـه [٣]

وأخْشَى بها أَنْ أُقيمَ الصلاةَ فتَسْجُدَ حيطانُها الرَّاكِعَه

إِذا ما قَرَأْتُ إِذا زُلْزِلَتْ خَشِيتُ بأَنْ تَقْرَأَ الوَاقِعَه

وقال :

جُودُوا لنَسْجعَ بالمـديـ ـح على عُلاكم سرمـدا [٤]

فالطـير أحسن ما يُغرِّ دُ عند ما يقع النـدى [٥]

وقال :

أنتَ طوقْتَني صـنيعاً ، وأَسْمَعْـ ـتُكَ شكرى ، كلاهما ما يضيعُ

فإذا ما شجـاك سجعى فإنى أنا ذاك المطـوَّق المسموع

وقال :

أبياتُ شِعْرِك كالقصو ر ولا قُصُورَ بها يعوق [٦]

ومن العجائب لفظهـا حرٌّ ومعناها رقيـق [٧]

(١) المحجة : جادة الطريق . شاسعة : بعيدة .

(٢) قارعة الطريق : أعلاه وقارعة الدار : ساحتها ، والمراد هنا قارعة الطريق .

(٣) تساورها : تواثبها . (٤) سرمدا : دائما .

(٥) الندى : الجود . والندى أيضا : البلل والمطر .

(٦) كالقصور : جمع قصر ، وهو الصرح . ولا قصور بها : ولا عيب بها .

(٧) رقيق لهـا معنيان : أحدهما المملوك ضد الحرّ ، والآخر من الرقة وهي اللطف والحسن وكذا كلمة حر لها معنيان : ضد العبد ، والجيد المختار من اللفظ .

(٦) عُمر بن الوردى (١)

قال فى مدح شهاب الدين بن فضل الله :

أأُقتَلُ بينَ جِدِّكَ والمُزاحِ ... بِنَبْلِ جُفُونِكَ المَرْضَى الصِّحاحِ (٢)
يكدِّرُنى نَوالَكَ ، وأنتَ صافٍ ... ويُسْكِرُنى هواكَ ، وأنتَ صاحى
وأبكى للغـــرامِ ، وأنت لاهٍ ... وأُعْذَرُ فى الأُوامِ ، وأنت لاحى (٣)
فما لِسَراحِ دمعى من إسارٍ ... وما لإسارِ وجْدى من سَراحِ (٤)
وما لصَباحِ وجهِكَ من مَساءٍ ... وما لِمَساءِ شَعْرِكَ من صباحِ
رضاكَ الى رُضابِكَ لى دليلٌ ... أليسَ كلاهما رُوحى وراحى؟ (٥)
ولى لحظٌ يطيرُ إليك شَوْقا ... فها قد طار مبلولَ الجَنَاحِ !
ووجهُك فوق قدِّك عَرَّفانى ... بإثمارِ البُدورِ من الرِّماحِ (٦)
لقد أصبحتُ من سِرِّى ودمْعِى ... لَقًى بين آستتار وآفتضاحِ (٧)
يحِقُّ لمن لَحَانى فيـك ذمى ... وحقَّ لكاتب السِّرِّ آمتداحى
ولستُ سوى آبنِ فضلِ اللهِ أعنى ... شهاب الدين ذى الغُرَرِ المِلاحِ

---

(١) ولد بالمعرة سنة ٦٨٩ هـ ومات بحلب سنة ٧٤٩ هـ ، وكان شاعرا نحويا فقيها مؤرخا قاضيا .
(٢) المرضى : الفواتر الناعسات والصحاح الجميلات ليس فيها مرض ، وبين اللفظين : طباق .
(٣) الأوام : العطش ودوار الرأس .
(٤) أى فما لدمعى ما يوقف سيله ؛ وليس ما يخلصنى من الوجد .
(٥) الرضاب : الريق ، والراح : الخمر .
(٦) الرماح : القدود .
(٧) اللقى : الشىء المطروح .

له قلمٌ بفضلِ اللهِ يَحيا ... لنا يحيي به بعدَ آنتزاح
فما أدرِى أنقشًا فوق طِرْس ... يُطَرِّزُ أم مَسَاءً فى صباح؟
أَشَدُّ من ٱلْقَضاءِ مَضاءَ أمرٍ ... وأجرَى فى الخُطوبِ من ٱلرياحِ

* * *

فخذها بنتَ ليلتها عَروسًا ... تُزَفُّ اليك كالخَوْدِ الرَّداح (١)
وما أنا شاعرٌ حاشا علومى ... ولستُ أرَى التكسبَ بآمتداح
فلى من أَنْعُمِ الرحمن مالٌ ... يصونُ عن ٱحتياجٍ وآجتياح
ولم أقصد بمدحِك غيرَ ردٍّ ... أروضُ به الزمانَ عن الجِماح

وكتب الى القاضي جمال الدين يوسف معاتبًا له على قصد الرحلة :

عَلاَمَ أردْتَ تهجُرُنى علاما ... وُتوقِظُ بالنَّوى إِبِلًا نِياما؟
لعلّكَ يا جَليدَ القلب تَبْغِى ... رحيلًا يُورِث الدمعَ ٱنسِجاما
فهل لاقيتَ فى حَلَبٍ هُمومًا ... فتُزْمِعَ عن نواحيها آهتِماما؟
فلا تأخذْ دِمَشْقَ لها بَديلًا ... أَغَيْظًا ذاك منك أم ٱنتقاما؟
وإن تَكُ بالتفرُّقِ لا تُبالى ... فهذا يمنعُ العينَ ٱلمناما
وإن تَرْحَلْ لَنْيلِ غِنًى فَسَهْلٌ ... غِناكَ هنا إذا أمسكتَ عاما
وإن ترحلْ تريدُ تمامَ جاهٍ ... فَمَهْ ، إنى أحذِّرُك التَّماما
وإن ترحلْ رجاءً لآشتهار ... فكم من شُهْرَةٍ تُوهِى ٱلعظاما
أَقِمْ فى الأهلِ فى رَغَدٍ وطِيبٍ ... بأمرِى ، وآغتنمْ ذاك آغتناما

(١) الرداح : البدينة . والخود : الفتاة النضة .

وقال بعد أن ترك منصب القضاء زهداً فيه :

تركتُ لكم عِزَّ القضاءِ وجاهَــهُ وأبعَــدْتُ عنه خائفـاً أترقّبُ
ســتعلمُ نفسِى أىّ جمْــلٍ تحمّلتْ ليومٍ أسىً من هوْلِه ٱلطفلُ أشيبُ
لقــد نِلتُ من كنزِ القناعةِ بُغيتى ، وجانبتُ حِرصِى ، والحريصُ معذّبُ
وعِفتُ بنى الدنيا ، وغادرتُ بِرَّهم لغــيرى ؛ فلا أشكو ، ولا أتعتّبُ
فيا لائمـاً قد لام فى تركِ منصِبٍ خُطِبْتُ له ، تركى لذلك منْصِبُ
كذا سُــنّةُ الدنيا إذا ترك ٱلفتى ٱلـ ـمناصبَ جاءته ٱلمنـاصبُ تخطُبُ
أأرجِعُ بعــد العِتقِ فى الرِّقّ ثانيـا فلا أمَّ لى إن كان ذاك ولا أبُ!
وما جهِلتْ نفسى المعـالِى وطِيبَها ؛ ولكن رأتْ أنَّ السلامةَ أطْيَبُ
أصونُ الذى علّمتُــه عن مَذلّةٍ فللعزّ فى ٱلدارَيْن قد كنتُ أتعبُ
ورُحتُ خفيفَ الظهرِ عن حَملِ مِنّةٍ لِمُفتَضِحٍ بالمكــر ، وهو مُحجّبُ
يقــال له قاضِى القضاةِ تَعــدّيا وظلمـا ، وهــذا القولُ لله أوجبُ
تلبّسَ أثــوابَ الرِّياءِ تصَــنُّعاً ليغسِلَ عنـه الذمَّ ، والطبعُ أغلبُ

(٧) صفى الدين الحِلّى (١)

من مُلَحه :

إنّمـا الحَــيْزَبُون والدَّرْدَبِيسُ والطَّخَا والنُّقَـاخُ والعَلْطَبِيسُ (٢)
لُغــةٌ تَنفِــرُ المَسامِعُ منهـا حين تُروَى وتَشْــمئِزُّ ٱلنفوسُ

(١) هو عبد العزيز بن على شاعر الجزيرة نشأ بالحلة من مدن الفرات ، وتأدب وأجاد الشعر وخدم ملوك الدولة الأرتقية ، وزار مصر ومدح السلطان الناصر بن قلاوون ، وتوفى ببغداد سنة ٧٥٠ ﻫ .

(٢) الحيزبون : العجوز أو التى لا خير فيها . الدردبيس : العجوز الفانية والداهية . والطخاء : السحاب المرتفع . النقاخ : الماء البارد العذب الصافى . العلطبيس : الأملس البراق .

وقبيحٌ أنْ يُذكَرَ النافرُ الوَحْـ ـشِيُّ منها ويُتْرَك المأنُوسُ (١)
أينَ قوْلِي : هذا كَثِيبٌ قديمٌ وَمَقَالى : عَقَنْقَـلٌ قُدْمُوسُ (٢)
خَلِّ للأصْمَعِيِّ جَـوْبَ الفَيَافِى فى نِشَافٍ تَخِفّ فيه الرءُوس (٣)
إنمـا هـذه القلوبُ حديدٌ ولَذِيذُ الألفـاظِ مغْناطِيسُ

وقال يمدح الملك الناصر محمد بن قلاوون عند كسر الخليج :

خَلَع الربيـعُ على غُصونِ البانِ حُلَلاً فواضِلُهـا على الكُثْبانِ (٤)
ونَمَتْ فـروعُ الدَّوْح حتى صَافحتْ كفَـلَ الكثيب ذوائبُ الأغصانِ (٥)
وتَتَوَّجتْ هامُ الغصُون ، وضرِّجتْ خَـدُّ الرياض شـقائقُ النُّعمانِ
وتنوَّعتْ بُسُـط الرِّياض ، فزَهْرُها متبايِنُ الأشـكال والألوانِ :
من أبيضٍ يقَـقٍ ، وأصـفرَ فاقعٍ ، أو أزرقٍ صـافٍ ، وأحمـرَ قانِى
والظلُّ يَسْرِق فى الخمائِلِ خَطْـوَه والغُصْن يَخْطِـر خِطْـرةَ النَّشْوان (٦)
وكأنمـا الأغصانُ سـوقُ رَوَاقص قد قُيِّـدَتْ بسَلاسِـلِ الرَّيْحَـانِ (٧)
والشمسُ تَنظُرُ من خِلال فروعهـا نحـوَ الحـدائقِ نظْـرةَ الغَيْرَانِ (٨)

(١) الوحشىّ من الألفاظ : الغريب غير المألوف .

(٢) العقنقل : الكثيب المتراكم . قدموس : قديم .

(٣) الفيافى : مفردها فيفاء ، وهى المفـازة لاماء فيها . جوب الفيافى : قطعها . ونشاف : جمع نشفة مثلثة النون ، وهى حجارة الحرة ، وهى سود كأنها محترقة .

(٤) الكثبان : جمع كثيب ، وهو التل من الرمل . (٥) الكفل بفتحتين : العجز .

(٦) الخمائل : جمع خميلة ، وهى رملة تنبت الشجر . يخطر : يتمايل . النشوان : السكران .

(٧) سوق رواقص مفرد السوق : ساق ، وهى : ما بين الركبة والقدم .

(٨) الغيران : شديد الغيرة .

والطَّلْــعُ فى خَلَلِ الْكِمَام كأنه ... حُلَلٌ تَفَتَّقُ عن نُحورِ غـوَانِى (١)
والأرضُ تعجَب كيف تَضْحك، والحَيَا ... يَبْــكِى بدمـعٍ دائمِ الهَمَلاَنِ (٢)
فَاصرفْ همـومَك بالربيع وفضْـلِه؛ ... إن الربيعَ هو الشـبابُ الثانى
أنَّى؟ وقد صَـفَتِ المِيَـاه وزُخْرِفتْ ... جناتُ مِصرَ، وأشْرق الهَـرمَانِ،
وٱخضَرَّ وادِيهَـا، وحَـدَّق زهرُه ... وٱلنيـلُ فيــه ككَوْثَرٍ بجِنَانِ
وبه الجَــوارى المُنْشَآتُ، كأنَّهَـا ... عنــدَ المَسِــير تَهُمّ بالطيَرَانِ
والمـاء يُسْرِع فى ٱلتـدَفُّق كُلَّمَـا ... عَجِلَتْ عليــه يَدُ النَّسِــيم الوَانى (٣)
حتى إذَا كُسِرَ الخليجُ وقُسِّمتْ ... أمــواهُ بُجْتِيــهِ عـلَى الخُلْجَانِ
سَاوَى البــلادَ كما تُساوِى فى ٱلنــدَى ... بين الأنام مَواهبُ السـلطان
مَلِك إذا ٱكتحلَ المـلوكُ بنُـوره ... خَــرُّوا لهيبتــه إلى الأذقانِ (٤)
قــد عزّ دِينُ محمد بسَــمِيّه ... وسَمَـا بنُصْــرتِه عــلى الأدْيَانِ
شاهــدتُه فشَهِدتُ لُقمانَ ٱلحِجَـا ... ونظرْتُ كِسْرَى ٱلعـدْلِ فى الإيوَانِ (٥)
ورأيتُ منــه سمَـاحةً وفصـاحةً ... أعْــدَى بفيْضِهما يَــدِى ولسانِى

(١) الطلع : طلع النخلة ، والخلل بفتحتين : الفرجة بين الشيئين والجمـع خلال ، والكمام : وعاء الطلع ، الغوانى : جمع غانية ، وهى التى غنيت بحسنها عن الحلى .

(٢) الهملان : الجريان .

(٣) الوانى : الضعيف .

(٤) الأذقان : مفرده ذقن ، وهى فى الإنسان مجمع لحييه .

(٥) الحجا : العقل يريد لقمان الحكيم .

وقال يرثى خاله صفى الدين بن محاسن، وقد قتل غدرا :

انظُرْ الى المجـدِ كيفَ ينهـدِمُ وعُروةِ المُلك كيف تَنْفَصِمُ
واَعْجَبْ لشُهْبِ البُزاة كيْفَ غدتْ تسْطُو عليها الحُـدْآنُ والرَّخَمُ (١)
لَا عُرِفَ العِـزُّ فى مَنَازلنـا وأنكرتْنَا الصـوارمُ الخُـذُمُ (٢)
إن لم نَقُـدْها شُـعْثًا مُضمَّرة تذوب من نار حِقْـدها اللُجُمُ (٣)
فى فِتيـة أرْخصُـوا نفوسَهمُ كأنهُـمْ للحيـاة قـد سئمُـوا
إن زأرُوا فى الهيَـاج تحسَـبهمْ أُسْـدًا عليها من القنَا أجَمُ (٤)
صـغيرُهم لا يَعيبُـه صِـغرٌ وشَـيخُهمْ لا يَشِـينُه هَرَمُ
ما عُذْرُنا والسّـيوفُ قاطعـةٌ وأمْرُنا فى العـراق مُنتظِـمُ
وحَوْلَنـا من بَنى عُمومتنـا كتائبٌ كالغمام تَزْدحِـمُ (٥)
يا صاحبَ الرّتْبـة التى نكصَتْ عن دُون إدْرَاك شأوِها الأمَمُ
قـد كنتَ لى ذابلا أصولُ به ما خِلتُـه فى الهِيـاج ينحطِمُ (٦)

وقال يهنئ المؤيد بالقدوم من الصيد :

مرحبًا بالحَيَـا لكلِّ جديب لا عَدِمْنـا نوالَه وظِـلالَهْ (٧)
مَلك الجُود والثنـا والمعـالى والسجيات كلها والأَصـالَهْ

(١) البزاة الشهب : الصقور التى لونها أشهب، وهى التى يغلب بياضها سوادها .
(٢) الخذم : مفرده خذوم، والصوارم الخذم : السيوف القواطع .
(٣) الشعث : جمع أشعث وشعثاء، وهى الملبدة الشعر لاتساخه وعدم تعهده بالدهن .
(٤) القنا : الرماح . والأجم : واحدته أجمة وهى الشجر الملتف .
(٥) كتائب : مفردة كتيبة، وهى : طائفة من الجيش مجتمعة ..
(٦) ذابلا : رمحا .
(٧) الحيا : المطر . النوال : العطاء .

رُقِمَتْ حُــلَّةُ ٱلرياضِ فخِلْنا ... أنّ روْضًا قد ٱسـتعار خِلالَه
وٱبتغى ٱلأفقَ للعـــلا فحسِبْنا ... أنه يُنْعِـــلُ الجوادَ هِــلالَهْ (١)
جاء من صيْده السعيد كبدر ... ما رَأى الطَّرْفُ فى السَّناء مِثالَهْ (٢)
كم غزالٍ رمى؛ فلو أمِنَ الشمـ ... ـسَ من الخوْف ما تسمَّتْ غزالَه
ولعَمرى لو ٱستجار به ٱلوحـ ... ـشُ ثَنَى ـ بعدما ٱستقلَّتْ ـ نِبالَه (٣)
أيَّـــد اللهُ ملكَه ووقاه ... وحمَى سِرْبه وصان جَلالَه (٤)

وسأله نقيب الأشراف بالعراق أن يرد على قصيدة عبدالله بن المعتز التى يفضل فيها آل العباس على آل على ومنها :

ونحن ورِثْنا ثيابَ ٱلنبى ... فكم تجذِبون بأهدابهـا
لكم رَحِمٌ، يابَنى بِنْتــه، ... ولكنْ بنو العم أولى بها

فقال صفى الدين :

ألا قُل لشرِّ عبيـــد الإله ... وطاغِى قريش وكذّابهـا
وباغى ٱلعبادِ وباغى ٱلعنـاد ... وهاجى ٱلكرامِ ومُغتابِهـا
أأنت تُفـاخِر آلَ النــبى ... وتجـحَدها فضـلَ أحسابِها ؟
أعنكمْ نُفى ٱلرِّجْسُ أم عنهـمُ ... بطُهـرِ ٱلنفـوس وألبابِهـا ؟
أمِ الرجسُ والخمرُ من دأبكمْ ... وفَـرْطُ العبادة من دأبِهـا !

(١) ينعل الجواد هلاله : يجعل الهلال نعلا للجواد .
(٢) السناء : الرفعة .
(٣) ثنى : أرجع .
(٤) حمى الله سربه : حفظ نفسه .

وقلتَ : ورِثْنا ثيابَ النبي ؛ فكم تجـذبون بأهدابها
وعِنـدكَ لا يُورَثُ الأنبيـاءُ فكيف حَظِيتمْ بأثوابها ؟
أجَـدُّكَ يَرضى بمـا قلتَـه وما كان يوما بمُرتابها
وكان بِصِـفِّينَ فى حِزْبِهمْ لحرب ٱلطُغَـاة وأحزابها
وقد شمَّرَ المـوتُ عن ساقه وكشَّرتِ ٱلحربُ عن نابها
فأقبـل يدعو الى حَيـدَر بإرغابها وبإرهابها
وصلَّى مع الناس طولَ الحيـاة وحَيْدرُ فى صـدرِ مِحْرابها
فهـلَّا تَقَمَّصها جَدُّكُمْ اذا كان إذ ذاك أحْرَى بها ؟
وقـولُك : أنتمْ بَنُو بِنْتـه ولكنْ بنُو ٱلعـم أوْلى بها
بنُو البنتِ أيضـا بنُو عمـه وذلك أدنَى لأنسابها
وقلتَ : بأنكم القـاتلون أسـودَ أميَّـة فى غابها
كذبْتَ ! وأسرفت فيما ادعيت ! ولم تَنْهَ نفسَـك عن عابها !
ولولا سُـيوفُ أبى مسلـم لعزَّتْ على جهـدِ طُلَّابِها
وذلك عبد لهـم لا لكُمْ رعَى فيكمُ قُرْبَ أسـبابها
وكنتمْ أسارَى ببطن الحبوس وقـد شـفَّكم لثمُ أعتابها
فأخرجكم وحباكم بها وقَمَّصـكمْ فضـلَ جلبابها
فجازيتمُـوه بشر الجـزاء لطَغْوى النفـوس وإعجابها
فدعْ ذِكرقوم رَضُوا بالكفاف وجاءوا الخلافةَ من بابها
هُمُ الزاهـدون، هم العابدون، هـم السـاجدون بمِحرابها

(٨) جمال الدين بن نباتة (١)

قال :

مَسْألةُ الدّورِ غَدَتْ بَيْنى و بينَ مَنْ أُحبْ (٢)
لَوْلا مَشيبِي ما جفَتْ لوْلا جَفاها لم أَشِبْ !

وقال يمدح المؤيّد :

لوْلا مَعانِي السِّـحْر منْ لَحَظَاتها ما طال تَردادِى عـلى أَبْيَاتهـا
ولَمَّـا وقفتُ عـلى الديار مُناديًا قلْبي المتـيَّمَ منْ وَرَا حُجُـراتهـا (٣)
دارٌ عَرفْتُ الوجدَ منـذُ أتيتُهـا زمنَ الوِصـال ، فليْتنى لم آتهـا !
حيث الظِّبـا وكواعبٌ وحدائقٌ أنَّى التَفتَّ رَتعْتَ فى جنَّاتهـا (٤)
والرّاحُ هادِيَةُ السُّرور إلى الحَشَا مِثْلَ الكواكب فِى أكُفِّ سُقَاتِها (٥)
فلئن بَكيْتُ فإنّ هـذا الدَّمْعَ مِن ذاك الحَباب يفيض من جَنَباتها (٦)
مالِى ومَا لِلّهْـو بعـدَ مَفَـارق قـد نُفِّرت غِرْبانهـا بِبُزاتها؟ (٧)

(١) هو جمال الدين محمـد الشاعر الكاتب . ولد بالقاهرة ، وبها تأدب ونبغ فى الشعر ، وله عدة مصنفات . مات سنة ٧٦٨ هـ . و يمتاز شعره بالرقة وحسن التورية .

(٢) الدور فى علم المنطق : توقف كل من الشيئين على الآخر .

(٣) يشير الى الآية الكريمة «إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون» .

(٤) الكواعب : جمع كاعب ، وهى الجارية الناهد .

(٥) الراح : الخمر . سقاة : جمع ساق .

(٦) حباب الماء بالفتح : نفاخاته التى تعلوه .

(٧) مفارق : مفرده مفرق كمجلس ، وهو وسط الرأس الذى يفرق فيه الشعر . البزاة : مفرده بازى وهو نوع من الصقور . يقصد بالغربان سواد الشعر . و بالبزاة : بياضه .

والشَّيْب فى فَـوْدِى يَخُط أهِـلّة ... مَعْنَى المَنُون يَلُوح من نُوناتها (١)
سَقْيًا لِرَوْضات الشباب و إن جَنَتْ ... هذى الشجونَ على قلوب جُناتها (٢)
ولِدَوْلة المِلك المـؤيّد إنهـا ... جَمعتْ فُنون المدح بعد شـتاتها

وقال فى الزهد :

أَسـتغفر ٱللهَ ! لا مَا لِى ولا وَلَدِى ... آسى عليه إذا ضَم الثَّرى جَسـدى (٣)
عِفْتُ الإقامةَ فى الدنيا لو ٱنشرحَتْ ... حالى، فكيف؟ وما حَظِّى سوى النكَدِ! (٤)
وقد صدِئتُ، ولِى تحت التراب جِلا ... إن الترابَ لَجَلاَّءٌ لكل صَـدِى (٥)
لا عارَ فى أدَبِى أن لم يَنَـل رُتبـا ... و إنمـا العـارُ فى دهْرِى وفى بَلَدِى.
هــذا كلامِى وذا حظّى ! فيا عجبًا ... مِـنّى لِـثروة لفْـظ وافتِقار يَد !
وما عَجِبتُ لدهرٍ ذُبْتُ منـهُ أسًى، ... لكن عجبت لِضـدٍّ ذاب من حَسَدِ
تَدورُ هَامتُـهُ غَيْظا علىّ، ولا ... والله مادار فى فِكْرِى ولا خَـلَدِى (٦)
حياةُ كل آمرىءٍ سِجنٌ لِمُهجته، ... فاعجَبْ لطالبِ طُولَ السجْن والكَمد (٧)

---

(١) الفود : معظم شعر اللمة مما يلى الأذنين .

(٢) جنى عليه : أذنب ذنبا يؤاخذ به . الشجون : الهموم والأحزان . الجناة : مفرده جان وجانى الثمرة مجتنيها .

(٣) آسى : أحزن .

(٤) عفت الإقامة : كرهتها .

(٥) جلا : مقصور جلاء وهو كشف الصدأ . الصدى : الشىء الذى أصابه الصدأ ، يقال : صَدِئَ الحديد يصدأ فهو صدِئٌ .

(٦) هامته : رأسه . الخلد : البال .

(٧) المهجة من معانيها الروح وهو المراد هنا .

أمّا الهمومُ فبحــرٌ خُضتُ زاخِرَه ... أمَا تَرى فـوق رأسِى فائضَ الزَّبَد

وعِشتُ بيْنَ بنِي الأيّام منفـردًا ... ورُبَّ منفعـةٍ فى عَيْش مُنْفَـرِدِ

ياجامعَ المَـال إنّ العُمــر مُنصرِمٌ ... فابْخل بمـالك مهما شئْتَ، أو بجُدِ

ويا عــزيزًا يَخيط العُجبُ ناظرَه ... اذكُرْ هـوانَك تحت التُّرب واتَّئِـد

كمْ واثقٍ بالليـالى مــدّ راحتَهُ ... إلى المـرام فنـاداه الحِمـام : قَدِ (١)

وكتب إليه صفى الدين الحلى قصيدة يعاتبه فيها أولها :

مَن لِصَبٍّ أدنى العِادُ وَفاتَهْ ... مذ عَداهُ وصْـلُ الحبيب وفاتَهْ

فأجابه ابن نباتة :

ما لظبي الحِمَى إليـه التفـاتَهْ ... بعــدَ ما كدَّر المشيبُ حيـاتَهْ

لَهِـجٌ بالهـوى، وإن نفَّرتْ أيـدى الليـالى غَــزالَه ومَهـاتَه (٢)

كُلَّمـا قيل : قد سلا عن فتـاةٍ ... عاده الحبُّ، فاســتجدّ فتـاته

ما على من عصَى النُّهَى فيه رأىٌ ... لو عصَى فى الهــوى علىَّ نُهاتَه (٣)

بأبى فاتِــرُ اللحـاظ غَـــريرٌ ... رام تشبيهَـــه الغـــزالُ ففـاته (٤)

صائلُ الحسن، إنْ رَنَا وتثنّى ... ســلّ أســيافَه وهزّ قنـاته

لعيونِ الورى بخــديْه وردٌ ... طالمـا عاقب السهـادُ جُنـاته

---

(١) الراحة : بطن الكف . الحمام : الموت . قد : معناها حسب .

(٢) المهاة : البقرة الوحشية تشبه بها المرأة فى حسنها وجمال عينيها .

(٣) يقول : أى ضرر على من عصى رأيى العقول فى حبه لو أنه عصى من ينهونه عن حبى .

(٤) تشبيهه : أى محاكاته وتمثيله .

ساقِيَ الراحِ بادكار لُقاه ... لا عَدِمْنا ذاك اللُّقى وسُقاتَه

هاتِ كأسي، وإن لحنْتُ من السُّكْـ ... ـر فلا تَلْحَنِي إذا قلتُ: هاتَه

أنا فرعٌ من النبات إذا ما ... هَجَرتْه السقاةُ خاف مماتَه

أنبَتَتْه نُعْمَى الصفِيّ، وأحيَت ... ذِكرَ أسلافه، فهزّت نباته

ناظم يشتكي الوليدُ قُصورًا ... حين تتلو رُواتُه أبياتَه (١)

من أُناسٍ كانوا إذا عزم الدهـ ... ـرُ وحامَى، حُماتَه وكُفاتَه

يا مفيد الورى لآلئَ بحر ... يعرف الذوقُ عَذْبَه وفُراتَه

وصَلَ العبدَ من قريضك بِرٌّ ... سَرَّ أحبابَه، وساء عُداتَه

رائقُ الكأس غيرَ أنّ عتابًا ... طالما للمحب كان قَذاتَه (٢)

أيُّ ذنبٍ لساترٍ نظمَه عنـ ... ـك ومن ذا يُهدى لطَوْدٍ حَصاتَه

خلِّ هذا وأنعِم ببابِ مليك ... عمَّ بالعدل والنوال عُفاتَه (٣)

زوْجتنا حَماةُ نُعمَى يديه ... فغدا كلُّنا يُحب حَماتَه (٤)

وقال من أرجوزة مزدوجة طويلة فى الطرد سماها مصايد الشوارد:

لما دنا زمانُ رَمْيِ البُندقِ ... سرْنا على وجه السرورِ المشرقِ (٥)

فى عُصبةٍ عادلةٍ فى الحُكْمِ ... وغلْمَة مثل بُدور التّمِّ

(١) الوليد: هو أبو عبادة البحترى.

(٢) القذاة: ما يسقط فى العين أو الشراب فيكدر.

(٣) العافى: طالب الرزق.

(٤) حماة: مدينة بالشام. والحماة: أم الزوج أو الزوجة؛ ففى قوله (فغدا كلنا يحب حماته) تورية.

(٥) البندق: طين مكور جاف يرمى به الصيد.

من كلّ مبعوثٍ إلى الأطيـار تُظِـلّه غمـامـةُ الغُبـار
وكلّ معسولِ الشـبابِ أغيـد منعطِفٍ عطفَ القضيب الأملَد (١)
قد جِـد القومُ به عُقْبى السفرْ عنـد اقتران القوْس منه بالقمرْ (٢)
لولا حِذارُ القـوْس فى يديه لغنّت الوُرْقُ عـلى عِطْفَيـه (٣)
فى كفه مَحْنيّـةُ الأوصـال قاطعـةُ الأعمـار كالهـلال (٤)
زهراءُ خضراءُ الإهاب معجَبه ممـا ثوت بين الرياض المُعشِبه
فاغِـرةُ الأفـواه للأطيـار طاليـةٌ لهن بالأوتار (٥)
كأنهـا حوْل المياه نونُ أو حاجب بمـا تشا مَقْرونُ

(٩) محيي الدين بن قرناص الحموى

قال :

سَقْيا له رَوضا قُدودُ غصُونه تختال فى الأبْراد من أوْراقِها (٦)
جُنَّتْ بهِ وُرْقُ الحَمامِ صَبابةً أوَ مَا ترى الأغلال فى أعْناقِها؟ (٧)

---

(١) الأغيد : لين الاعطاف .

(٢) فيه إشارة الى تشبيه قوس الصيد بقوس السماء وتشبيه وجه حامله بالقمر .

(٣) الورق : جمع ورقاء ، وهى الحمامة لونها كلون الرماد .

(٤) يريد بمحنية الأوصال : القوس .

(٥) الأوتار : جمع وتر بفتحتين ، أو وتر بكسر وسكون ؛ ففيها تورية .

(٦) قدود غصونه : قامات فروعه . تختال : تعجب بنفسها مرحا ، الأبراد : الثياب ، ومفردها برد .

(٧) ورق الحمام : جمع أورق وورقاء . والحمامة الورقاء : التى لونها كلون الرماد . الصبابة : رقة الشـوق وحرارته . الأغلال : مفـرده غل وهو طوق من حديد يجعـل فى العنق لأن المجنون كان يوضع فى أغلال ، شبه أطواق الحمام بأطواق الأغلال من الحديد .

وقال :

قدْ أَتيْنـا الرياضَ لمـَّا تجلَّتْ ... وتحلَّتْ منَ النَّـدى بجُمَـانِ (١)

ورأيْنـا خـواتِمَ الزَّهْرِ لمَّـا ... سقطتْ من أناملِ الأغصَان

وقال :

ورُبَّ نهـرٍ لهُ عيـونُ ... تحَـارُ فى وَصْـفه العيُون

لمَّـا غدَا الريقُ منـه عَذْبا ... مَالتْ إلى رَشْفه الغُصُونُ (٢)

وقال :

أيَا حُسْنَهَا روْضةً قد غدَا ... جُنونى فنُـونا بأفنَانهـا

أتَى المَـاءُ فيهـا على رأسِهِ ... لتقبيل أقْـدامِ أغصَانها

وقال :

تَثنَّى الغُصنُ إعْراضا وعُجْباً ... علَى نَهرٍ يَذُوبُ أَسىً عَلَيْـه

فَرَقَّ لهُ النسيمُ وَجاء يسْعَى ... مُلاَطفَـةً ، ومَيَّلَهُ إليْه!

وقال :

روْضَة من قَرقَف أنهارُها ... وغِنَاءُ الطيرْ فيهـا بارْتِفَاعِ (٣)

لا تَلُمْ أغصانَها إنْ رَقصَتْ ؛ ... فهْىَ ما بيْن شرَاب وسَماعِ

(١) الجمان : قطع من الفضة على هيئة اللآلى .

(٢) الرشف : المص .

(٣) القرقف : الخمر .

(١٠) الشهاب الخفاجى(١) المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ

قال يمدح محمد بن قاسم الحلبي :

حتّامَ يَغـــزُونى صُدودُهْ . والصبرُ قد كثُرتْ جُنودُهْ (٢)
لم أدرِ فاتـــرُ جَفْنِـــهِ والخَصْرُ أسْــقمُ أم عُهودُه (٣)
نَشْوانُ يَعبَثُ بى كما عَبِثَتْ بآمالى وُعُــودُه (٤)
لـــوْلا ميـاهُ الحُسْنِ جا لتْ فيه لاَحترقتْ خدُودُه
كالصَّبّ لـــولا دمعُـــهُ يَهْمِى لأَحرقَــهُ وقُـــودُه (٥)
يُخفِى الهـــوَى وعيـــونُه بغرامه المُضْنِى شُـــهودُه
فسَـــقَى رياضَ الحُسْنِ من دمْعِى حَيًا يَهْمِى مَـــديدُه (٦)
زمنٌ بجِيـــدِ اللّهْو قـــدْ نُظِمتْ على نَسَـــقٍ عقُودُه (٧)
إذْ دَوْح أُنسِى يانـــعٌ بكئوسنا انفتحتْ وُرُودُه (٨)
والكأسُ نجـــمٌ لاحَ فى فَلَكِ المسَرَّةِ لِى سُـــعُودُه

---

(١) ولد فى سرياقوس وتعلم بمصر ثم رحل الى الحرمين فالآستانة ، وكان من رجال اللغة والأدب .

(٢) حتام أصلها (حتى ما) فحذفت ألف ما الاستفهامية لجرها بحتى . يغزونى يسير إلى قتالى وانتهابى . والصدود : الإعراض .

(٣) جفن فاتر : غير حادّ النظر . والخصر : وسط الإنسان . والعهود : المواعيد .

(٤) النشوان : السكران . ويعبث بى : يلعب بى .

(٥) الصب : المشتاق الذى يكابد حرارة الشوق . يهمى : يسيل . وقوده : اتقاده واشتعاله .

(٦) الحيا : المطر . المديد : الممدود والطويل .

(٧) نسق : نظام واحد .

(٨) الدوح : الأشجار العظيمة . والورود : جمع ورد .

يَصْفُو فيُحْلِي ذِكْرَ مَن ... قد زَيَّن الدّنيا وُجودُه
ذاكَ ابنُ قاسِمٍ الّذِي ... ما زَال فى تَعَب حَسُودُه

(١١) السيد عبد الرحيم العباسى

قال :

أرْعَشَنِي الدهرُ أىَّ رعْشٍ ... وكنتُ ذا قوةٍ وبَطشٍ
قد كنتُ أمشِي ولستُ أعْيا ... فصرتُ أعيا ولستُ أمشى

وقال :

مالى أرى أحبابَنا فى الناس ... صاروا كمثْلِ حَبَابِنا فى الكاس
بينا يَرُوقُك عند أول نَظْرةٍ ... كاللُّؤلُؤ المتناسقِ الأجْناس
فإذا أعدْتَ الطرفَ فيهم لم تجِد ... شَيْئًا، وصار رَجاؤُهم كاليَاسِ

وقال :

لستُ عن وُدّ صديقٍ سائلًا ... غيرَ قلْبِي فهو يدْرِى وُدَّهُ (١)
فكما أعلَمُ ما عندى لهُ ... فكذا أعلم مالى عنْدهُ

وقال :

رأيتُ لئيمَ قومٍ فى تَمَتٍّ ... وبين يديْه أشخاصٌ لِئامُ
فسلّمَ مِنْ جهالتِهِ ابتِداءً ... فقلتُ لهُ : متى كَسَد السَّلامُ؟ (٢)

وقال :

حالُ المُقِلِّ ناطِقٌ ... عمّا خَفِي مِنْ عَيْبِه
فإن رأيْت عارِيًا ... فلا تَسَل عن ثوْبه

---

(١) ودّه : حبه . (٢) كسد السلام : لم ينفق ولم يرج .

وقال :

إذا ما كنتَ عنْ قومٍ غريبًا ... فعاملْهُـــمْ بفعْلٍ يُسْتَطَابُ
ولا تَحْـزَنْ إذَا فاهُوا بفُحشٍ ... غَرِيبُ الدَّار تنبَحُهُ الكلابُ (١)

وقال :

أرَى الدهْرَ يُكْرِمُ جُهَّـالَهُ ... وأَعظمُ قدرًا به الجاهـــلُ
وأنظُــرُ حَظِّى به ناقصًـا ... أيحسَـــبُنِى أننى فاضـلُ

(ب) النــــــثر

أولا — النـــثر الفـــنى

(١) القاضى محيي الدين بن عبد الظاهر (٢) رحمه الله

من كتاب كتبَــه الى صاحب اليمن عن السلطان الملك المنصور قلاوون مبشرًا بفتح صافيتا :

فمن ذلك حِصنُ الأكرادِ الذى تاهَ بعِطفِهِ على الممالِكِ والحُصُون ، وشَمَخ بأنْفِه عن أنْ تمتــدَّ الى مثــله يَدُ الحربِ الزَّبُون ، وغَدَا جاذبًا بضَبُع الشام ، وآخذًا بمَخَانِقِ بلادِ الإسلام ، وشَلَلًا فى يَدِ البلاد ، وشجًا فى صدر العباد ، تَنْقَضُّ من عُشِّهِ صُــقُورُ الأعداءِ الكاسرة ، وترتاعُ من سَــطْوَتِها قلوب الجُيوشِ الطائرة ، وتَرْبِضُ

(١) فاهوا بفحش : نطقوا بكلام سيئ قبيح .

(٢) هو الكاتب الشاعر عبد الله بن عبد الظاهر الجـذامى المصرى أحد المتعصبين لطريقــة القاضى الفاضل فى اتباع البديع ، وخاصة التورية فى الشعر والنثر وكان من رؤساء ديوان الإنشاء فى دولة المماليك البحرية . وتوفى سنة ٦٩٢ هـ .

بأرْباضه آساد تحمِي تلكَ الآجام، وتُفوّق من قِسيِّه سِهامٌ تُصْمِي مُفوّقاتِ السِّهام؛ تُعطيه الملوكُ الجِزْيَةَ عن يدٍ وهم صاغِرون، ويصطَفي كِرامَ أموالهم وهم صابرون لا مُصابِرون. كم شكتْ منه حماةُ قِلةَ الإنصاف، وكم خافته معرّةُ وما من معرّةٍ خاف. ما زالت أيدي الممالك تمتدُّ الى الله بالدعاء عليه تشكو من جَوْرِ جِوَاره تلك الحصونُ والصَّياصِي (١)، وتبكي بمدمع نهرها من تأثيرِ آثارِه مع عِصيانها وناهيك بمَدْمَع العاصِي (٢)؛ حتى نبّه اللهُ ألحاظَ سيوفِ الإسلام من جُفونها، وَوَفَّى النُّصْرَةَ ما وجب من دُيُونها. وذاك بأنّا قَصَدْنا فسيحَ رَبْعه، ونزلْنا ونازَلْنا محميَّ صُقْعه، وختمنا بنِصالنا على قلبه وسمعه، وله مدن حوله خمس هو كالراحةِ وهي كالأناملِ، وتكاد بُرُوجه تُرَى كالمطايا المُقَطَّرَةِ وهي منها بمنزلةِ الزَّوامل (٣)؛ ما خَيَّمْنا به حتى استَبَحْنا محميَّ تلك المدائنِ المكنيِّ عنها بالأرباض، وأسَحْنا بساحاتها بحرًا من الحديد ما اندفَعَ حتى فاض، وأخذنا الثُّقوب فى أسوارٍ لا تُنْقَضُ ولا يَنْقَضُّ بُنيانُها المَرْصُوص، ولا تَقرأ المعاوِلُ ما لِخَوَاتِمِ أبراجِها من نُقُوشِ الفُصوص، ونَصَبْنا عليها عِدّةَ مجانيقَ حُمِلَتْ فى شواهق الجبال، على رُءُوس الأبطال؛ فتغيّظتِ السَّمْهَرِيّة أنّ الذى تقومُ به هذه تلك به لا تقوم، وأنّ ما منها إلا له من الأيدى والرءوس مقامٌ معلوم، وصار يَرْمِي بها كلُّ كَمِيٍّ مختَلِس وأرْوَعَ منتَهِس (٤)، وكلُّ ليث غابة يحميها وتحميه!

(١) الصياصى : الحصون الرفيعة .

(٢) نهر من أنهر سورية عليه جملة مدن منها حماة .

(٣) الزوامل : جمع زاملة وهى الدابة التى يحمل عليها من الإبل وغيره .

(٤) النهس : النهش والمنتهس مشتق منه .

فشكّا لأسود حتى غاباتُها تفترس، الى أن جثتْ أسوارُها على الرُّكب وكانت سِهامُ مجانيقِها تميـلُ من العُجْب فصارتْ تميـدُ من العَجَب، وكانتْ تطْلُبُ فصارتْ تَهْرُب من الطَّلَب الخ .

(٢) من كتاب نسيم الصبا للامام ابن حبيب الحلبي المتوفى سنة ٧٧٩ هـ

الفصـــل السـادس فى البحر والنهر .

هزتنى رياح الأمل البسيط، الى امتطاء ثَبَج(١) البحر المحيط، فأتيتُ سفينةً يطيب للسَّفْرِ مَثواها، وركبت فيها بسم الله مَجْراها ومُرْساها، مُوقِنا بأن المقـدور صائر، معرِضًا عن قول الشاعر :

لا أركبُ البحرَ أخشى   علىّ منـــه المعـاطبْ
طِين أنا، وهْـــو ماء،   والطين فى المـاء ذائب

يا لها سفينة، على الأموال أمينة، ذات دُسُر(٢) وألواح، تجرى مع الرياح، وتطير بغير جَنَاح، وتعتاض عن الحادى بالملّاح، تخوض وتلعب، وتردُ ولا تشرب، لها قِلاع كالقِـلاع، وشراع يحجُب الشُّـعاع، وسكينة وسُكّان، ومكانة وإمكان، وجُؤْجُؤٌ وفَقَار، وأضلاع محكمة بالقار، وجسم عار عن الفؤاد، وهو فى عين المـاء بمنزلة السواد، بعيدة مابين السَّحْر(٣) والنحر، من أحسن الجوارى المنشئات فى البحر، معقود بنواصيها الخير كالخيل، لا تَمَلّ من سير النهار ولا من سُرَى الليل

ما رأى النّاس من قصور على المـا   ء سواها تَســير سيْرَ القِــداح(٤)

(١) الثبج : وسط الشيء ومعظمه .
(٢) الدسر : جمع دسار، وهو خيط من ليف تشدّ به ألواح السفينة .
(٣) السحر : الرئة . (٤) جمع قدح، وهو السهم .

كأنها وَعِلٌ يحط من شاهق ، أو عِرْباض[(١)] سابق يحثه سائق ، أو عقربٌ شائلة ، أو عُقاب صائلة ، أو غراب أَعْصَم ، أو تمساح أو أرقم ، أو ظَليم نفر فى الظلام ، أو جواد فز مستنكفًا من صحبة الأنام . حاكمها عادل فى حكمه ، عارف بنقض أمرها وبَرْمه ، يهتدى بالنجوم ، ويبتدئ بٱسم الحى القيوم ، يبرُز من نَواتيها[(٢)] فى جنود ، ويشمل إحسانُهم أهلَها إيقاظا وهم رقود ، يتأنقون فيما يعملون ويفعلون ما يؤمرون :

يُكْثِرون الصِّياح حتى كأنّ السـ ـفْنَ تجرى من خَوْفِ ذاك الصِّياح

فبينا نحن من البحر فى قاموسه ، كتب الجوُّ حروف الغيم فى طُروسه ، وثارت ريح عاصف ، يتبعها رعد قاصف ، فمالت بنا الفُلك وٱضطربت ، ودنت شَفَتُها من رشْف الماء وٱقتربت ، وٱستمرت ترفَع وتخفِض ، وتقرُب وترفض ، وتعلو كالأطواد وتهيم فى كل واد ، وتحوم وتحول ، وتجور وتجول ، وتضرم فى الكبود نار ناجر[(٣)] ، الى أنه بلغت القلوب الحناجر :

أَلَا فٱرْجُه وٱخشَـــه إنه هو البحر فيه الغِنَى والغَرَق

ثم نظر إلينا مَن لا تخفى عليه السرائر ، وأمر الجارية بحمل العبيد إلى بعض الجزائر ، فلم ندر إلا ونحن تجاهَ جزيرة ، تسرّ النفوس بمحاسنها الغزيرة . فٱنحـدرتُ ماضيًا إلى بنيها ، نائياً عن السفينة وساكنيها ، فوجدتها مخضرةَ الأفنان ، مخضلّة

(١) العرباض . الغليظ من الإبل .

(٢) جمع نوتى .

(٣) ناجر : كل شهر من شهور الصيف .

الكُثبان ، بها من الياقوت ما يرجع خاسئًا مُناويه ، ومن الأشجار ما يحمل الفواكه والأَفاويه ، وبين رياضها نهر شديد الخَصَر ، أرضه ذهب وحصباؤه دُرر ، وأمواجه عُكَن(١) وداراته سُرَر :

عذبٌ إذا ماعَبَّ منهُ ناهلٌ ... فكأنه من ريق خَوْدٍ يَنْهَل

لَيِّن الأديم ، مِزاجه من تسنيم(٢) ، يصقُله الصَّبا ، ويَحرُكه النسيم ؛ فكأنه دروع موضونة(٣) ، أو مَبارد مسنونة ، أو دمعٌ يتسلسل ، أو أفاعٍ تتململ ، أو ذَوْبُ فضة يسيل ، أو صفحةُ سيف صقيل ، أو لوح بِلَّوْر مرقوم ، أو رحيق بالمسك مختوم :

وكأن الطيور إذ وردته ... من صفاء به تَزُقّ فراخا(٤)

إن مالت إليه الغصون فالشُّخوص ترقُص فى الخيال ، وإن كَرَعت(٥) منه الظِّباء فالغِيدُ يرشُفْن من ثغر أترابهن الزلال(٦) ، وإن أشرقت عليه النجوم خِلْت الفلَك يدور فى أرجائه ، وإن تجلى له البدر حسبته قلبًا خافقًا بين أحشائه :

قال مؤيد الدين الطغرائى :

والشمس إن وافته رَأْدَ الضحى ... حسناءُ فى مِرآته ناظره
أُنموذج الماء الذى جاءنا الـ ... ـموعد بأن نُسقاه فى الآخرة

(١) جمع عكنة ، وهو ما تثنى من لحم البطن .

(٢) التسنيم : هو أرفع شراب أهل الجنة .

(٣) موضونة : مضاعفة النسج .

(٤) زق الطائر : فرخه . أطعمه بمنقاره .

(٥) الكرع : شرب الماء بمدّ العنق من غير تناوله باليد أو الإناء .

(٦) يشبه خيال الظباء فى الماء وقت الشرب بالنساء الجميلات تشرب من فم أترابهن لالتقاء الأفواه .

فلبثتُ فيها مدة ، مفكرًا فيما رأيتُ من الفَرَج بعد الشـدة ، مؤمنا بالقدَر خيره وشرّه ، وحلوه ومُرّه ، واقفا على شكر مَن تجرى الفُلْك فى البحر بأمره :

ربما تجزَع النفوسُ من الأمْـ ـرِ له فُـرْجة كحَلّ العِقـال

ولم أزل بهـا فى أحسـن حال ، وأرغد عيش وأنعم بال ، إلى أن حرّك الله منى ما كان ساكنا ، وأدخلنى مصر بمشيئته آمنا .

(٣) شهاب الدين محمود الخفاجى

"المقامة الساسانيـة"

حدّثنا مالكُ بنُ دينار ، عن مُسافِر بن يسـار ، قال : كنتُ والشبابُ غُرابُهُ لا يُطار ، وثمراتُه الجَنيّةُ تُجنَى من رياض الأخبار ، أهوَى السّـياحَة والناسُ ناس والديارُ دِيار ، والدهرُ غِرٌّ لم يَفْطُنْ لتلوُّن الليل والنهار :

ولم أر يومًا فى ظـلامِ مَفـارِقى شِهابَ مَشيبٍ لاحَ فى الإثر مُنْقَضّا

فسِرْتُ فى الأرض لأنظرَ آثارَ رحمته ، وأرَى مآثرَ الطرازِ الأول فى أعلام حُلّته ؛ فإن من جَدّ وجَد ، ومن توانى فَقَدْ فَقَد ، رافعًا عصا التّسيار ، على كاهل الاعتبار ، رافضًا الاستراحةَ فى مَهْد الدَّعَة ، مشيّعا قلبًا فارَقَ حبيبًا ودّعه ، فاطِمًا أملا عن دَرّ أنس ارتضعه (١) . أَضرب كرة الأرض بِصَوْلجَان الهمّة ، لا أعبأ بقامَةٍ غير قائمة وهِمّة هِمّة . أتدرّع بُرْدَ الليل ، لأنه أخفَى للوَيْل ، وأشُقُّ أديمَ النهار للسيْر ، ولم أقُل ليس للعصا سير ، كهشيم ترفعه أعاصير ريح تدور ، وورَقٍ جفّ فألوتْ به الصّبا والدَّبور . كأننى

(١) الهم والهمة بالكسر : الشيخ الفانى .

على غُصن بانةٍ خَضِل تَثْنيه ريح الصَّبا هنا وهنا أو قَذًى فى عيون البلاد، أو عيرٍ شَرُود ترميه الروابى للوهاد :

كأنى من الوَجْناءِ(١) فى مَتْن موْجةٍ رمتْنى بحارٌ مالهن سواحل

حتى أتيت كُورةَ(٢) خُراسان ، فإذا بها قَيْلٌ(٣) نَصَبَ عِرْضَه لِسهام الهوان ، مقلِّداً فى ترجيح البخْل مذهبَ سهلِ بن هارون، كأنه لم يَسمع قوله تعالى ﴿ ومَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ فطويتُ حديثَه على عَرّه(٤)، وأتيته لأقف على جَليّةِ أمره ، فلما جُسْتُ خلالَ إيوانه ، قرأتُ عُنوانَ حالِه على وُجوه غِلمانه . وسمعتُه يقول لِمَنْ امترى(٥) أخلاف درَّته ، وشبِع من خُلَّته(٦) وحَمْضه برؤْية جَرَّته : يا هذا صناعتنا واحدة، لو لم تدرُج من عُشّك كانت الراحة فائدة .

ثم قال لى : أىُّ البلادِ تُهدى سلامَها ، وأىُّ زهرةٍ تحيّةٍ فتحتْ لك النسماتُ أكمامَها؟ قلتُ : الكِنانةُ المُعِزّية، والخِطَّةُ التى هى فى حَضانة نِيلها مَحْميَّة، رياضُها تَحيا بأنهاره، وأصابعُه(٧) تُشير لكنوز خِصْبٍ تُستَخرج من معادن أقطاره، إلّا أنّ أصابعَ الناس فى الراحة والأيادى ، وفى أصابعه أيادٍ وراحةٌ لكل حاضر وبادىَ .

(١) الوجناء : الناقة الشديدة .

(٢) الكورة : الناحية، وتطلق على المدينة .

(٣) القيل : الأمير .

(٤) العر : العيب والشر .

(٥) امترى : جذب الضرع للحلب . والأخلاف : جمع خلف، وهو حلمة ضرع الناقة . والدرة : اللبن أو سيلانه وكثرته .

(٦) الخلة : ما فيه حلاوة من النبات . والحمض : ما فيه ملوحة .

(٧) فى الأصابع تورية؛ لأنها تطلق على الأصابع المعروفة، وعلى أجزاء يقاس بها النيل .

فإن سألتَ عن حالى ففؤادى بها فؤادُ أُم موسى فارغٌ من آمالى . وما حالُ وردة فارقت نَسَماتِ القَبُول (١) ؟ فحداها السَّمُوم وقادها الذُّبول :

فتأملْ كيف يَغْشَى مُقلَة المجـد نُعاس ؟

فأما حالُ سكّانها ومَن ألقى جِرانه بأعطانها (٢)، فقد ذهب أرباب الهمم العالية ، ولم يبق إلا مَن يفتخر بالرِّمم البالية ؛ رُوحُ الشُّوم ، ونتيجة اللوم ، وخليفة البوم ، وبعيْن الله ما يصنع الليلُ والنهارُ ، ويستُر الثوبُ والجدار ، وما يستتر فى ضمائر البيوت ، وإن طال التحمُّلُ والسكوت . فكم بكت السماء أرضًا فقدتْ حبيبا ، وساعدتها سحب انتحبت بها نحيبا :

ولطَّمَتِ الخدودَ بها بروقٌ وشقَّقت الرعودُ بها جُيوبا

فقل لمن افتخر بالعِظام ، ما وراءك ياعِصام ؟

ولْنعطفْ على هـذا النسق ، لبيان من بَقِىَ منهم طَبَقٍ على طبق (٣)، من أصناف لا تُعدّ ، وأجناس لا تُرْسَم ولا تُحدّ : من كل سائل بالإلحاح التحَف ، أو دارَ بمِزْمار ودُفّ ، أو تغنّى بأنكر الأصوات ، فنهَق إذ رأى شيطانًا يدّعى الكرامات ، يُقيم به المعتزلىُّ دليلَ إنكار الكرامة ، ويقول : هل علىّ بعد هذا ملامة ؟ أو حامل راية وعَلَم ، جعل القناعة عَلَمًا لسقوط الهِمَم . ومنهـم من كَبِر وتكسّرت قواريرُه ، وخبا نُوره حين هبّت أعاصيرُه ، وهو أعظمهُم جُرما ، وأقلُّهم دِينًا وحَزْما ، حُمُرٌ

(١) القبول : ريح الصبا ، وهى تهب فى بلاد العرب من جهة المشرق .

(٢) العطن : مبرك الإبل . الجران : مقدّم عنق البعير من جهة صدره .

(٣) الطبق من الناس : الكثير والجماعة .

مُسْتَنْفِرة، يقرءون القرآنَ فى بقاع مُسْتَقْذَرة، بين رَهْط لا يتدبرون ولا يستمعون، ولايمتثلون قول الله : ﴿ وإذا قُرِئَ القرآنُ فاستمعوا له وأنصتوا لعلكم تُرحمون ﴾. وتُجَّارٍ رأسُ مالهم الإفلاس، يضربون الأخماس للأسداس(١)، يُزَكُّون كَذِبَهم بالأَيْمان الفـاجرة، فيربحون خَسَارة الدنيا والآخرة، إن خاشنتَ أحدهم فى تقاضيه، بادر بالحَلِف على دَيْنه فيَقْضيه.

يقول : آستمع حَلْفَـتِى كاذبًا إذاما آضطُرِرْتُ، وفى الحال ضِيقُ
وهل مِن جَنَاحٍ على مُسلمٍ يدافِـعُ بالله ما لا يطيــقْ

وقد فُقِدَ العِلمُ لولا نفحةُ أُنْس من نفرٍ بقايا، فتح الله بهم خزائنَ كنوز هى خبايا فى الزوايا : من كل نَقِيِّ العِرض أبيضِ السجايا، إذا تدنَّست الأعراض فأعراضهم من العار عرايا :

أَبدتْ مآثرُهم نقصَ الزمان ففى خَدِّ الربيع طلوعُ الورْد من خجل

حَمتْ شوكتُهم رياضًا فى رُبا الدين العوالى، وأحيا الله بأنفاسهم العِيسَوِيّة مَوَاتَ المعالى. ولمـا شرح اللهُ بهم صدرَ الدين، وفتح ببصائرهم عيْنَ اليقين، أيّدهم بأبناء الأعيان من أُمرائها، فقالت الخلافة(٢) تحت أَفْياء لِوائها، حتى حَمَوْهم من نوائب الحُتوف، وزهت جَنَّةُ مَثواهم تحت ظلال السيوف ؛ فصارت بهم الأطراف، من مَنَازِهِ منازلِ الأشراف. ولهذا يشير البديع، بقوله فى معنى بديع :

---

(١) يضرب أخماسا لأسداس : أى يسعى فى المكر والخديعة ، وهو مثل يضرب لمن يظهر شيئا ويريد غيره . (٢) قال : بقيل ، نام وقت القائلة .

قيل لى: لِمْ جلستَ فى طَرَفِ القو ... م، وأنت البديعُ ربُّ القوافى
قلتُ: آثرتُه؛ لأن المناديـ ... ـلَ يُرى طِرْزُها على الأطراف
وكفانى من المفاخر أنّى ... نازلٌ فى منازلِ الأشراف

فأَوَوْا من ذلك الظل لِركن مُعْتَمَد، ونزلوا فيه بين العَلْياء والسنَد. متّعنا الله بهذه الدوْلة وجعلها أطولَ الدول عُمرا، وأرفعها مَنَاراً وأعظمَها قدْرا، سماء مجدهم مُكلّلة بنجوم تهتدى بها الأمانى، ويستقر رجاء كل قلب عانِى، والدهر لسعْدهم من الخدَم، وفيضُ أياديهم يُغْنِى عن الدِّيَم، وسُحُبهم مُغْدِقة على الراجين بالكرم:

قلتُ لِلْبرق إذ تألق فيها: ... يا زِنادَ السماء مَنْ أَوْرا كا
إن تَشَبَّهتَ بالكرام وما قد ... كان من جُودهم فلستَ هُنا كا

ومذ كَلّتْ دُهْمُ[1] الأقلام من المشْى فى الكتابة شكرتُ مشيَها على الرءوس، وقلتُ لا عِطْرَ بعد عَرُوس، فقد جف القلم، وكل شيء بلغ الحدّ انتهى وتم.

ثانيا — النثر العلمى

(١) الشيخ كمال الدين الدَّميرى المتوفى سنة ٨٠٨ هـ

من حياة الحيوان:

(الحَمَام) قال الجوهرى هو عند العرَب ذواتُ الأطواق، نحو الفوَاخِت[2] والقَمَارِىّ[3] وساقِ حُرٍّ[4] والقَطا والوَرَاشين[5] وأشباه ذلك يقع على الذكر والأنثى؛ لأن

(١) جمع أدهم، وهو الفرس الأسود. (٢) جمع فاختة: وهى الحمامة ذات الطوق.
(٣) جمع قمرية: بضم القاف. (٤) ذكر القمارى. (٥) مفرده ورشان بالتحريك: وهو طائر من نوع الحمام.

الهاء إنمـا دخلته على أنه واحد من جنس ، لا للتأنيث ؛ وعند العامة أنها الدّواجن فقط، الواحدة حمامة . وقال حميد بن ثور الهلالى من أبيات :

وما هاج هـذا الشوقَ إلّا حمامةٌ دعتْ ساقَ حرٍّ تُرحةً فترنّما

والحمامة هنا القُمْرية . وقال الأَصْمِعِىّ فى قول النابغة :

واحكُم كحكم فتاةِ الحىّ إذ نَظرتْ الى حمـام شِراعٍ واردِ الثَّمَـدِ (١)

قالت : ألا ليتَما هذا الحمـامُ لنا الى حمـامَتِنا أو نصفُهُ فَقَـدِ

فحسبوه فألفَـوْه كما زعمتْ : تسـعا وتسعين لم ينْقُص ولم يَزِدِ

هذه زَرقاءُ اليمـامة نظرتْ إلى قَطا واردٍ فى مضيق الجبـل ، فقالت : ياليتَ هذا القطا لنا ومثلَ نِصْفه معه الى قطا أهلنا ، فيكْمُلَ لنا مائة قطاة ؛ فأُتْبِعَت وعُدّت على المـاء فاذا هى ستٌّ وستون ، قال أبو عبيدة : رأَتْه عن مسـيرة ثلاثة أيام ، وأرادتْ بالحمام القَطا، فقالت ذلك ، انتهى . وقال الأموى: الدواجنُ التى تُستفرَخ فى البيوت تُسمّى حماما أيضا . وأنشد للعَجّاج :

إنى وربِّ البـلدِ المحـرَّم والقاطناتِ البيتَ عند زمْزم

* قواطنًا مكةَ من وُرْقِ الحَمِ *

يريد الحمام : وجمع الحمامة حمام وحَمائم وحمامات . وربما قالوا حمـام للفرد . قال جِرانُ العَوْد :

وذكّرنى الصبَا بعد التنائى حمامةُ أيكةٍ تدعو حمـاما

(١) الثمد : الماء القليل .

وحكى أبو حاتم عن الأصمعى فى كتاب الطير الكبير: أن اليمام هو الحمام البَرِّىّ، الواحدة يَمامة؛ وهو ضُروب . والفرق بين الحمام الذى عندنا واليمام أن أسفلَ ذَنَب الحمامة مما يلى ظهرَها فيه بياضٌ، وأسفلَ ذنب اليمامة لا بياضَ فيه، انتهى. ونقل النَّوَوِى فى التحرير عن الأصمعى: أن كل ذات طوْق فهى حمام . والمراد بالطوق الحمُرة أو الخُضْرة أو السواد المحيط بعنُق الحمامة فى طوقها . وكان الكسائى يقول: الحمام هو البَرِّى، واليمام الذى يألَف البيوت؛ والصواب ما قاله الأصمعى . ونقل الأزهرىُّ عن الشافعىّ: كلُّ ما عَبَّ وهَدَر وإن تفرّقت أسماؤه فهو حمام، والعَبُّ بالعين المهملة شِدّة جَرْع الماء من غير تنفُّس، قال ابن سِيدَة: يقال فى الطائر: عبّ، ولا يقال: شَرِب، والهدير: ترجيع الصوت ومُواصلتُه من غير تقطيع له؛ قال الرافعىّ: والأشبه أنّ ما عبّ هدر، قال: فلو اقتصروا فى تفسير الحمام على العبِّ لكفاهم؛ ويدل عليه أنّ الإمام الشافعى قال فى عيون المسائل: وما عب من الماء عبًّا فهو حمام، وما شرب قَطرة قطرة كالدَّجاج فليس بحمام .

(٢) من مقدّمة ابن خلدون(١)

فصل فى وجه الصواب فى تعليم العلوم وطريق إفادته

اعلم أنّ تلقين العلوم للتعلمين إنما يكون مفيدًا إذا كان على التدريج شيئًا فشيئًا، وقليلًا قليلًا، يُلقِى(٢) عليه أوّلًا مسائلَ من كل باب من الفنّ هى أصول ذلك

(١) هو أبو زيد عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن خلدون الكاتب المؤرخ المشهور بتاريخه و بمقدمته التى نقل منها هذا الفصل . نشأ بتونس سنة ٧٣٢ هـ، وتعلم هناك وترقى فى مناصب عدّة حتى مات بالقاهرة سنة ٨٠٨ هـ؛ (٢) أى المعلم المفهوم من المقام بحسب السياق الآتى .

البـاب ، ويُقرِّبُ له فى شرحها على سـبيل الإجمال ، ويراعى فى ذلك قوّة عقله واسـتعداده لقبول ما يَرد عليه ، حتى ينتهيَ الى آخر الفنّ . وعنـد ذلك يحصُل له مَلَكة فى ذلك العلم ، إلا أنها جزئية وضعيفة ، وغايتُها أنها هيَّأته لفهم الفنّ ، وتحصيل مسائله . ثم يَرْجعُ به إلى الفن ثانية فيرفعه فى التلقين عن تلك الرتبة الى أعلى منها ، ويسـتوفى الشرح والبيان ، ويخرج عن الإجمال ويذكر له ما هنالِك من الخـلافِ ووجهِهِ ، الى أن ينتهيَ الى آخر الفنّ ، فتجود ملكته . ثم يرجع به وقد شدا[(١)] ، فلا يترك عويصا ولا مهمًّا ولا مُغْلَقًا إلا وضّحه ، وفتح له مُغلَقَه فيخلُص من الفنّ وقد ٱستولى على ملكته . هذا وجه التعليم المفيد ، وهو كما رأيتَ إنمـا يحصل فى ثلاث تكرارات . وقد يحصل للبعض فى أقل من ذلك بحسب ما يُخْلَق له ويتيسّر عليه . وقد شاهدنا كثيرًا من المعلّمين لهذا العهد الذى أدركنا ، يجهلون طرق التعليم وإفاداتِه ، ويُحْضِرون المتعلم فى أوّل تعليمه المسائلَ المقْفلة من العلم ، ويطالبونه بإحضار ذهنه فى حلّها ، ويحسبون ذلك مِرانًا على التعليم وصـوابًا فيه ، ويكلفونه وَعْيَ ذلك وتحصـيلَه ، ويخلِطون عليه بمـا يلقُون له من غايات الفنون فى مبادئها ، وقبل أن يستعدّ لفهمها ؛ فإنّ قبولَ العلم والٱستعداداتِ لفهمه تنشأ تدريجا ، ويكون المتعلم أوّل الأمر عاجزًا عن الفهم بالجملة إلا فى الأقل ، وعلى سبيل التقريب والإجمال ، وبالأمثال الحِسية ، ثم لا يزال الاستعداد فيه يتدرّج قليلا قليلا بمخالفة[(٢)] مسائلِ ذلك الفنّ وتكرارها عليه ، والٱنتقال فيها من التقريب الى الٱستيعاب الذى فوقه ، حتى تتم الملكة فى الٱستعداد ،

(١) شدا : أخذ طرفا من العلم والأدب .

(٢) المخالفة هنا : المداولة ، وهى تستلزم التكرار .

ثم فى التحصيل، ويحيط هو بمسائل الفن . واذا ألقيت عليه الغايات فى البدايات، وهو حينئذٍ عاجز عن الفهم والوعى، وبعيد عن الاستعداد له، كَلَّ ذهنه، وحسبَ ذلك من صُعوبة العلم فى نفسه، فتكاسل عنه، وآنحرف عن قبوله، وتمادَى فى هِجرانه . وإنما أتى ذلك من سوء التعليم .

(٣) المقريزى (١)

من خطبة كتابه "المواعظ والآعتبار فى ذكر الخطط والآثار" :

وبعد، فإنّ علمَ التاريخ من أجلّ العلوم قدْرا، وأشرفِها عند العقلاء مكانة وخَطَرا، لما يَحويه من المواعظ والإنذار، بالرحيل الى الآخرة عن هذه الدار، والآطلاع على مكارم الأخلاق ليُقْتَدَى بها، وآستعلامِ مَذَامِّ الفعال لِيَرْغَبَ عنها أولو النُهَى . لا جَرَم أنْ كانت الأنفس الفاضلة به وامِقةً، والهِممُ العالية إليه مائلةً وله عاشقةً . وقد صنف الأئمة فيه كثيرا وضمّن الأجلّة كتبهم منهم شيئا كبيرا .

وكانت مصر هى مسقط رأسى، وملعبَ أترابى، ومجمع ناسى، ومَغْنَى عشيرتى وحامّتى، وموطِنَ خاصّتى وعامّتى، وجؤّى الذى رَبَّى جناحَيَّ فى وكْره، وعشّ مأربى فلا تهوَى الأنفس غيرَ ذِكره، لازلتُ مذ شدوت العلم، وآتانى ربى الفطانة والفهم، أرغب فى معرفة أخبارها، وأُحب الإشراف على الكثير من آثارها، وأهوَى مساءلة الركبان عن سكان ديارها؛ فقيّدتُ بخطّى فى الأعوام الكثيرة من ذلك فوائد قلّما يجمعها كتاب، أو يحويها لِعزّتها وغرابتها إهاب؛ إلا أنها ليستْ بمرتّبة على مِنوال،

(١) هو تقى الدين المقريزى المولود سنة ٧٦٦ هـ . وكان شاعرا كاتبا مؤرّخا توفى سنة ٨٤٥ هـ .

ولا مُهَذبةٍ بطريقة واحدة ومثال . فأردتُ أن ألخص منها أنباء ما بديار مصر من الآثار الباقية، عن الأمم الماضية والقُرون الخالية ؛ وما بقى بفُسْطاطِ مصرَ من معاهد غيَّرها ـ أو كاد ـ البِلَى والقدم، ولم يبقَ إلا أن يمحو رسمها الفناء والعَدَم ؛ وأذكر ما بمدينة القاهرة من آثار العصور الزاهرة، وما اشتملتْ عليه من الخِطَط والأصقاع، وحوته من المبانى البديعة الأوضاع ؛ مع التعريف بحال مَنْ أسَّس ذلك من أعيان الأماثل، والتنويه بذكر الذى شادها من سَراة الأعاظم الأفاضل ؛ وأنثرُ خِلالَ ذلك نُكتًا لطيفة، وحِكَمًا بديعة شريفة، من غير إطالة ولا إكثار، ولا إجحاف يُخل بالغَرَض ولا اختصار، بل وَسَطٌ بين الطرفين، وطريق بَيْنَ بَيْن ؛ فلهذا سميته "كتاب المواعظ والاعتبار فى ذكر الخطط والآثار" الخ .

(٤) شمس الدين محمد النواجى[1]

من حلبة الكميت :

والنسيم هى الريح الطيّبة، ونسيم الريح أوّلها حين تُقْبل بلين قبل اشتدادِها ، وفى الحديث «بُعِثْتُ فى نسيم الساعة» أى حين ابتدأتْ وأقبلتْ، وما أحسن قول بعضهم : نسيم الريح نَسيبُ الرُّوح ، والرياح المعروفة أربع، الصَّبا وتسمى القَبول وهى تُنَفِّس عن المكروب ، والجنوب وهى تجمِّع السحاب، والشَّمال وهى تُفرِّقه، والدَّبور وهى تهْدم البُنيان ، وتقلَع الشجر ، وهى القاصف والصَّرْصَر . وكلّ ما فى القرآن من لفظ الريح، فالمراد به الدَّبور، ولازمها العقوبة، وكل ما فيه من لفظ

(١) ينسب الى قرية نواج من مديرية الغربية بمصر . ولد ونشأ بالقاهرة وبرع فى الأدب والشعر وله عدّة مؤلفات وتوفى سنة ٨٥٩ ه .

الرياح فهى راجعةٌ الى الثلاثة الأُوَل، ويراد بها الرحمة . ومن الحديث «نُصِرْتُ بالصَّبا وأُهْلِكَتْ عاد بالدَّبور»، وقيل الرياح ثمانية: أربع فى الجهات الأربع، وأربع تسمى النَّكْباء لميلها ونكْبها عن الجهات الأربع. والشَّمال من ناحية الشام، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قِبلةَ العراق، فهُبوبها من تحت بنات نَعْش، ويقابلها الجنوب والشمال باردة يابسة صافية من الكدر تشدّ الأعضاء، وتسُدُّ المسامَّ، وتحصُر الحرارة فى الباطن، فينهضم الغِذاء وتصفو بها كُدُورة الروح الحيوانى، الذى فى القلب من الأبخرة الدُّخَانية، وتديمُ الصحة، وتقوِّى حواس الدماغ، وذلك إذا وصلت الى الجسم باعتدال، وهى قليلة الهُبوب ليلاً، وكان الصاحب بن عبّاد يترنم بقول أبي فراس:

هبّتْ لنا ريحٌ شَمَاليـــة ... متّت إلى القلب بأسباب

أدّتْ رِسالاتِ الهوى بيْننا ... عرفْتُها من بين أصحـابى

قلت : والله إن الصاحب بن عبّاد لمعذور، فان هذا ممـا يزيح الجماد، وتجمع الشمال على شمائل، ولذلك يحسن فيه التَّورية . ومنه قول الشيخ تقى الدين بن حجة:

جاد النسيمُ على الرُّبا ... بنــدّى يديْه وقال لى:

أنَا ما أقصِّر عن ندّى ... وكما علمتَ شمائلى

والصَّبا تهُبّ من مطلَع الشمس وتُسمى القَبول، ويقابلها الدَّبور وهى معتدلة ولا سيّما إن هبّت قبل طلوع الشمس فى زمن الربيع، وهى لطيفــة صافية وتُذكى الأذهان، وتنفع الأبدان، وتبسُــط الأخلاق، لا سيمــا إن مرت بمُرُوج الأزهار فانها تحمل قُواها الى القلب والدماغ الخ .

العصر الحديث

(ا) الشعر

(١) الخشاب[١]

من قوله يمدح الشيخ الأمير عليهما رحمة الله :

أدِرْلِي فِي الرُّبَا القَدَحَا ... وكُنْ لِلعذْلِ مُطَّرِحَا [٢]

ونَبِّهْ صَاحِ سَاقِيَهَا ... فَضَوءُ الصُّبْحِ قَدْ وَضَحَا

وثَغْرُ الزَّهْرِ مبتَسِمٌ ... وَشَادِي الوُرْقِ قَدْ صَدَحَا [٣]

وخُذْهَا مِن يَدَيْ رَشَإٍ ... مَلِيحٍ قَدْ حَوَى مُلَحَا [٤]

غَزَالٍ إِنْ يَلُحْ لِلْبَدْ ... رِ أَوْغُصْنِ النَّقَا افْتَضَحَا [٥]

* * *

وَأَطْرِبْ مَسْمَعَيْكَ بِمَا ... بِهِ أُسْتَاذُنَا امْتُدِحَا

مُحَمَّدُ الأَمِيرُ المُرْ ... تَجَى كَمْ آمِلًا مَنَحَا

---

(١) هو الأديب الشاعر الكاتب السيد اسماعيل الخشاب ، ظهر قبيل احتلال الفرنسيين مصر وامتدت به الحياة إلى أول عصر محمد علي باشا الكبير . وقد توفي سنة ١٢٣٠ هـ . وله ديوان شعر مطبوع بالآستانة .

(٢) الربا : جمع ربوة بفتح الراء ، وهي المرتفع من الأرض . والقدح : الكأس . والعذل : اللوم . واطراح اللوم : عدم الاهتمام به .

(٣) الشادي : المترنم . الورق بضم الواو جمع أورق ، ومؤنثه ورقاء وهي الحمامة لونها رمادي . وصدح : ترنم وسجع .

(٤) خذها : الضمير يعود على الخمرة المفهومة من المقام ؛ لأن القدح مذكر . والرشأ بفتح الراء والشين : ولد الظبية ، يشبه الساقي به لظرفه وخفة روحه . والملح بضم الميم وفتح اللام : جمع ملحة ، وهي ما لذ من الحديث وطاب .

(٥) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بالغصن النابت فيه للاعتدال .

* * *

إِمَامٌ إِنْ تَزِنْهُ بِكُـ ـلِّ مَوْلًى مَاجِدٍ رَجَحَا (١)
سِرَاجُ ذَكَائِهِ الوَهَّا جُ لَيْلَ المُشْكِلَاتِ مَحَا (٢)
إِذَا نُطْـرِى مَنَاقِبُـهُ إِخَالُ المِسْكَ قَدْ نَفَحَا (٣)

وكتب على ظاهر ديوان صديق له من الشعراء يداعبه :

قُـلْ لِلرَّئِيسِ أَبِي الحُسَيْنِ مُحَمَّـد خِـدْنِ المَعَـالِي وَالسَّرِيِّ الأَمْجَـدِ (٤)
وَالحَـاذِقِ الفَطِنِ اللَّبِيبِ أَخِي الذَّكَا ءِ اللَّـوذَعِيِّ الأَلْمَـعِيِّ الأَوْحَـدِ (٥)
أَلْزَمْتَ نَفْسَـكَ فِي القَرِيضِ مَذَاهِباً ذَهَبَتْ بِشِعْرِكَ فِي الحَضِيضِ الأَوْهَدِ (٦)

* * *

كَدَّرْتَ مِنْـهُ بِمَـا صَنَعْتَ بُحُـورَهُ فَغَدَتْ مَشَارِعَ لَيْسَ يَنْحُـوهَا صَدِي (٧)
فَإِذَا نَظَمْتَ فَكُنْ لِنَظْمِكَ نَاقِـداً نَقْـدَ البَصِـيرِ بِذِهْنِكَ المُتَوَقِّـدِ
أَوْلَا فَدَعْ تَكْلِيفَ نَفْسِكَ وَاسْتَرِحْ مِن قَوْلِهِـمْ مَا شِـعْرُهُ بِالجَيِّـدِ
وَلَئِنْ عَنُفْتُ عَلَيْـكَ فِيمَا قُلْتُـهُ فَلَقَـدْ بَذَلْتُ النُّصْحَ لِلْمُسْتَرْشِـدِ (٨)

---

(١) المولى : السيد . والماجد : صاحب المجد .

(٢) السراج : المصباح . والوهاج : الشديد الاشتعال . يقول إنه بحدة ذكائه يحل أشد المشكلات ويجلوها كما يمحو السراج الوهاج ظلمة الليل . (٣) مناقب : جمع منقبة بفتح الميم والقاف : المفخرة .

(٤) الخدن بكسر الخاء وسكون الدال : الحبيب والصاحب . والسري : السيد الشريف السخي .

(٥) اللوذعي : الذكي الذهن . والألمعي : الذكي المتوقد الذكاء .

(٦) القريض : الشعر . و(الحضيض) القرار من الأرض عند أسفل الجبل، و(الأوهد) العظيم الانخفاض . والمراد أن شعره نزل الى أسفل الدرك .

(٧) كدر الماء : أذهب صفاءه بالطين ونحوه . والمشارع جمع مشرع بفتح الميم وهو مورد الماء - ويحوها : يقصدها . والصدى بفتح الصاد وكسر الدال : الشديد العطش .

(٨) عنفت : قسوت . والمسترشد : طالب الرشد والهداية .

(٢) الشيخ حسن العطار (١)

قال يتغـــزل :

أعَنِ المُحبِّ تَنَـاكَ عنهُ وجيبُـهُ؟ أمْ قدْ دعاكَ الى البِعَادِ رَقيبُـهُ؟ (٢)
هَجَرَ الكَرَى لمَّا هَجَرْتَ وواصَلَتْـ ـهُ شُجُـونُهُ وازْدادَ فيكَ نَحيبُـهُ (٣)
لَمْ يَجْنِ ذَنْباً فِي هَوَاكَ، وَإنَّمَـا قدْ كانَ بِالهِجْرَانِ منْـكَ نَصيبُهُ
أقْفَرتَهُ مِن حُسْنِ وَصْلِكَ بعدَ مَا جَادَتْ عَلَيْـــكَ دموعُهُ ونَسيبُهُ (٤)
وتَرَكْتَهُ، وَالفِكْرُ مِنْـكَ مَعَ النَّهَا رِ سَميرُهُ، والسُّهْدُ مِنْـــكَ مُنيبُهُ (٥)
لَوْ لِلقَا عطفَتْكَ مِنْـــهُ شِكَايَةٌ رَقَّتْ ودَمعٌ طَافِحٌ شُـؤْبوبُهُ (٦)
لرَأيْتَ جِسْماً كالخلالِ مِن الضَّنَا وَلَهِيبَ قَلْبٍ مُقْلَتَاهُ تُذيبُـــهُ (٧)
صِـــلهُ لِتَسْتَبْقِي بِهِ الرَّمَقَ الَّذِى لَـوْلَا الأَمَانِى مَا بَقِى مَوْهُوبُهُ (٨)
أَلْزَمْتُ نَفْسِي الصَّبْرَ فِيكَ تَأَسِّياً والصَّبْرُ أصْعَبُ مَا يُقَادُ نَجيبُـهُ (٩)

---

(١) هو الشيخ الأكبر حسن بن محمد العطار . كان من علماء الأزهر، وزار أهم الممالك الإسلامية، وصار بعد محررا للوقائع المصرية أول ظهورها، ثم صار شيخا للأزهر الشريف . وكان مع علمه شاعرا كاتبا بليغا . توفى سنة ١٢٥٠ هـ .

(٢) وجيبه : اضطرابه وخفقان قلبه .

(٣) الشجون جمع شجن بفتحتين : الهموم والأحزان . والنحيب : البكاء الشديد .

(٤) النسيب : رقيق الشعر فى الغزل .

(٥) السهد : بضم السين الأرق .

(٦) الشؤبوب بضم الشين : الدفعة من المطر وجمعه شآبيب .

(٧) الخلال : يريد بها الأعواد الدقيقة التى يتخلل بها . والضنا : الضعف والهزال .

(٨) الرمق : بفتحتين بقية الحياة . يقول : إنك وهبته بقية من الحياة فلا تقض عليها بالهجر، بل استبقها بالوصل .

(٩) التأسى : التصبر والتعزى . والنجيب : البعير الكريم .

وَبُلِيتُ مِنْكَ بِكُلِّ لَاحٍ لَوْ تَبَـ ـدَّى نَحْوَ طَوْدٍ أَثْقَلَتْهُ كُرُوبُهُ (١)

* * *

أَفَلَا رَثَيْتَ لِعَاشِقٍ لَعِبَتْ بِهِ أَيْدِى الْمَنُونِ وَنَازَعَتْهُ خُطُوبُهُ؟ (٢)

أَنْتَ النَّعِيمُ لَهُ وَمِنْ عَجَبٍ تُعَـ ـذِّبُهُ ، وَتُمْرِضُهُ وَأَنْتَ طَبِيبُهُ!

وقال متغزلا :

أَنَا رَاضٍ مِنْكَ يَا كُلَّ الْمُنَى بِالَّذِى تَهْوَى عَلَى حُكْمِ الْغَرَامِ

لَسْتُ أَبْغِى مِنْ زَمَانِى حَاجَةً غَيْرَ أَنْ تَحْيَا سَعِيدًا وَالسَّلَامْ

(٣) السيد على الدرويش (٣)

قال يرثى صديقه المرحوم الشيخ على الغلبان :

أَفِرُّ من المحتوم ، وهو مُطارِدى وهل أَمَلِى إلَّا حِبالُ المصايدِ

وأرصُد أُفْقَ الوَهْمِ والأَملِ السُّهى ورائدُ مَوتِى كامنٌ فى ورائدى

وثِقتُ بآمالى ، ولم تَفِ مَرَّةً ولا ثِقةٌ لى بالنذيرِ المُعاهِدِ

فأستَبْعِدُ المعلومَ ، وهو مُقاربى وأَسْتَقرِبُ المجهولَ ، وهو مُباعدى

ومِن عَنَتى خِلْتُ التجاهلَ خافيا بِغِشِّ زُيُوفٍ عَدَّها كلُّ ناقدِ

أُحاذِرُ مَرأى الناسِ لا اللهَ فى الهوى وعندهمُ تفصيلُ نَقْصِى وزائدى

لِأَمَّارتى بالسُّوءِ مُسْتَعبَدٌ ولى مداهنةٌ فى الله : صورةُ عابدِ

أُبالغ فى الإسراف حتى كأننى لَمَيْتٌ غدًا ، لكنَّ لى حِرصَ خالدِ

(١) اللاحى : الشاتم العائب . والطود بفتح الطاء وسكون الواو : الجبل العظيم .

(٢) المنون : الموت .

(٣) هو السيد على افندى الدرويش بن حسن المصرى ، كان أديبا شاعرا ولوعا فى شعره ونثره بالمحسنات البديعية للغاية القصوى ، وهو أبرع من علم فى التواريخ الشعرية ، وله ديوان شعر كبير . وتوفى سنة ١٢٧٠ هـ .

وقال مادحا المرحوم الحاج محمد على باشا الكبير، ومؤرّخا مجيء الجراد عام موت البقر سنة ١٢٥٩ هـ .

يا صاحِ ما هـذا الخـبَر؟ قال : الجـرادُ هُنا ظهرْ!
قلتُ : الجراد! فقال : إى تَدْرِى الجرادَ اذا ٱبتـدرْ؟
قلت : ٱستعِذ بالله! قا ل : وهل من المقْضِى مفَرّ؟
ما كانــ قطُّ بخاطـرِ فى خاطرى هـذا الخـبَر

* * *

جاء الجـرادُ كأنه يتلو على البَقَرِ ٱلسُّـوَرْ
أو أنَّ أرواحَ البهـا ئمِ أُلبِستْ تلك الصُّـوَر
موتُ الكبيرِ أضرُّ أم محيا الصغيرِ هُو الأضَرّ؟
أوَ ما سمعتَ مقالهـم : مثَـلُ الجراد إذا انتشَر
فترى الجـرادَ على الجرَ يدِ مُكَلَّلا مثْـلَ الثَّمَـر
رُقْشٌ تَـراها إنهـا نارٌ تلظتْ بالشَّـجَر
لوّاحــةٌ للأرض ، لا تُبـقِى النبـاتَ ولا تَذَر
وصـغيرةٌ فى حَجمها لكنها إحدَى الكُبَر
الأرضُ كانتْ جَنّــةً فالآنــ تُرمَى بالشَّرَر
نزَل الجـرادُ بهـا كما نزل القضاءُ أو القَـدَر
مُتنشّـرٌ رِجـلاهُ مِن شارٌ فكم شيءٍ نشَـر
لمـا استمَـرَّ على ٱلفسا دِ بقَبْضِه أمرٌ صـدَر

دَقُّوا الطبولَ لِرَقْصِهِ ... فى الزَّرع لَمَّا أَنْ زَمَر
وغَزَوْا على ذا المعتدِى ... فمضَى هزيمًا وانكَسَر
وكذا الخديوى عادةً ... لم يَغْزُ إلا وانْتَصَر
نَصَبُوا موازينًا لِأَجْـ ... ـسامِ الجراد لتُعْتَبَر
وأتتْ بأجمعهِ زُبا ... نِيَةُ العذابِ الى سقَر
وتتبَّعُوا آثارَه ... حتى خَفِى ذاك الأثَرْ
من جَنَّةٍ خَرَجَ الجرا ... دُ الى لَظَى بِئْسَ المَقَرّ

* * *

هل للخديوى مُشْبِهٌ ... فى هِمَّةٍ أوفى سِيَر
هل قبله ردَّ الجرا ... دَ سِواهُ فيما قد غَبَر
متبدِّدٌ يَرْعَى النبا ... تَ، وليس يُعْيِيهِ سَفَر
متواثبٌ، لا يستقِرُّ ... له قرارٌ فى مَمَرّ
بالليل يَكْفُر بالنبا ... تِ فإن بدا فجرٌ فَجَر
مُذْ أسرَعوا فى قبضه ... ومضَى الأهالى بالأجَر
أرَّخْتُه وَصَل الجرا ... دُ لمِصْرَ فى عام البَقَرْ

٣٣٣ ١١١ ٩٠ ٣٦٠ ٢٣٩ ١٢٦

سنة ١٢٥٩

(٤) الشـيخ شهاب (١)

من قصيدته التى أنشأها لتكتب حول جامع القلعة :

عَروسُ كُنوزٍ قد تحلّت بعَسْجَدِ مُكَلَّلةٌ تيجانُهـا بالزَّبَرْجَـدِ
أم الجنـةُ المبنىُّ عَالِي قُصـورِها بأبهج يَاقُـوتٍ وأَبهى زُمُرُّدِ
أم المكْرُماتُ الآصـفيّة أبدَعتْ هَيولَى أعاجيبٍ بصورة مَسْجد (٢)
هو الفلَكُ الأعلى تنَزّل وٱزدَهى بزُهرِ الدّرارى جامعا كلَّ فرقـدِ
ألا إن تجديدَ العجيب من البِنـا يؤكّد تأسيسَ ٱقتـدار المجـدِّدِ
فدعْ قصرَ غُمدانٍ وأهرامَ هرمس وإيوان كسرَى إن أردتَ لتَهتدى
ودع إرمًا ذاتَ العِماد ونحـوَها وعَرشًا لِبِلْقيس كصرح مُمَـرّدِ
ودع أمويَّ الشـامِ وٱنزِل بمصرنا وبَادرْ الى هذا بإيمَـاء مُرشِـدِ (٣)
فلو عُدِّدتْ فى الكون بدءً بدائـع لكان به خَتْمٌ لذاك التعـدُّدِ
كأنَّ الليـالِى الوالداتِ عجائبًـا أُصِبنَ بعُقمٍ بعد هـذا التولُّدِ

(١) هو شهاب الدين محمد بن اسماعيل المكى الأصل المصرى المنشأ . كان شاعرا متأدبا موسيقيا . اشتغل بالكتابة فى الوقائع المصرية أوّل ظهورها مساعدا للشيخ حسن العطار ثم كان رئيسا لإنشائها بعد وفاته . وله ديوان شعر . ومن أجل مؤلفاته سفينته التى حفظت كثيرا مما كانت تتغنى به العامة فى عصره وقبيله . وتوفى سنة ١٢٧٥ هـ .

(٢) الآصفية : نسبة الى آصف بن برخيا وزير سليمان عليه السلام ، وكانت رتبة محمد على باشا بالاضافة الى الرتب الحالية بمنزلة وزارة .

(٣) يريد بأموى الشام : جامع دمشق العظيم .

(٥) الشيخ ناصيف اليازجى (١)

قال فى الغزل :

حَوَاكَ وَقَدْ حَلَلْتَ بِكُلِّ قَلْبٍ ... فُؤَادٌ لَمْ يَحُلَّ به سِوَاكَا
نَزَلْتَ بِهِ عَلَى طَلَلٍ تَفَانَى ... وَلَسْتَ بِمَنْ عَلَى طَلَلٍ تَبَاكَى
أَطَعْتَ العَاذِلِينَ بِقَتْلِ صَبٍّ ... يُرِيدُ القَتْلَ لَكِنْ عن رِضَاكَا
تَعِزُّ كَرَامَةً ، وَيَهُونُ ذُلًّا ... فَتَأْنَفُ أَنْ يَقُولَ دَمِى فِدَاكَا

وقال :

كُفَّ عَنِّى لَا أَبَالَكْ ... قَدْ تَبَيَّنَّا مِحَالَكْ (٢)
قَدْ عَرَفْنَاكَ وَإِلَّا ... فَمَتَى نَعْرِفُ حَالَكْ
قَدْ مَضَى لِى بِكَ عَصْرٌ ... حَامِلًا فِيهِ مَلَالَكْ
حَسْبُ قَلْبِى مِنكَ جَوْرٌ ... كَادَ مِنْهُ يَتَهَالَكْ
وَكَفَانَا مَا احْتَمَلْنَا ... مِنْكَ فَاسْتَدْعِ احْتِمَالَكْ
سَتَرَى النَّادِمَ مِنَّا ... وَيُسِىءُ اللهُ فَالَكْ

ومن قصيدة يرثى بها صديقا له :

قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ البُشْرَى بِرُؤْيَتِهِ ... فَجَاءَنِى غَيْرُ مَا قَدْ كُنْتُ أَنْتَظِرُ
إِنْ كَانَ قَدْ فَاتَ شَهْدُ الوَصْلِ مِنْهُ فَقَدْ ... رَضِيتُ بِالصَّبْرِ لَكِنْ كَيْفَ أَصْطَبِرُ

(١) هو ناصيف بن عبد الله اليازجى ، شاعر من كبار الأدباء والمنشئين ، له بحوث مختلفة فى فقه اللغة ، وله كتاب مجمع البحرين ، وهو مجمع مقامات مثل مقامات الحريرى ، وكتب أخرى فى النحو ، وتوفى سنة ١٢٨٧ هـ .

(٢) المحال بكسر الميم : الخديعة والكيد .

أَحَبُّ شَيءٍ لِعَيْنِي حِينَ أَذْكُرُه ... دَمْعٌ وَأَطْيَبُ شَيءٍ عِنْدَهَا السَّهَرُ
هَذَا الصَّدِيقُ الذي كَانَتْ مَوَدَّتُهُ ... كَالْكَوْثَرِ العَذْبِ لاَ يَغْتَالُهَا كَدَرُ
لاَ غَرْوَ أَنْ أَحْزَنَ الزَّوْرَاءَ مَصْرَعُهُ ... فَحُزْنُهُ فَوْقَ لُبْنَانَ لَهُ قَدَرُ

وقال يرثى صديقا آخر له :

المَوْتُ يَخْتَارُ النَّفِيسَ لِنَفْسِهِ ... مِنَّا كَمَا نَخْتَارُ نَحْنُ فَمَا اعْتَدَى
قَدْ نَالَ مِنَّا دُرَّةً مَكْنُونَةً ... كَانَتْ لِبَهْجَتِهَا الدَّرَارِي حُسَّدَا
كَنْزٌ ذَخَرْنَاهُ لَنَا فَاغْتَالَهُ ... لِصُّ المَنِيَّةِ خَاطِفًا مُتَمَرِّدَا

وقال يرثى طبيبا من أصدقائه :

قَدْ كَانَ فِي طِبِّهِ لِلنَّاسِ مَنْفَعَةٌ ... فَإِذْ أَتَى المَوْتُ ذَاكَ الطِّبُّ مَا نَفَعَا
وَكَانَ يُبْرِي مِنَ النَّاسِ الجِرَاحَ فَهَلْ ... يُبْرِي جِرَاحَ فُؤَادٍ بَعْدَهُ انْصَدَعَا
سَارَتْ إِلَى اللهِ تِلْكَ النَّفْسُ تَارِكَةً ... جِسْمًا يُرَى فِي تُرَابِ الأَرْضِ مُضْطَجِعَا
كُلٌّ إِلَى أَصْلِهِ قَدْ عَادَ مُنْقَلِبًا ... فَانْحَطَّ هَذَا وَهَذَا طَارَ مُرْتَفِعَا

(٦) السيد محمد صالح مجدى بك (١)

كتب الى المرحوم سعيد باشا والى مصر يشكو إليه ظلم رئيسه :

أَنُظْلَمُ فِي زَمَانِكَ يَا سَعِيدُ ... وَأَنْتَ العَادِلُ المَلِكُ الرَّشِيدُ
وَيَسْطُو الذِّئْبُ مِن شَرِّهِ عَلَينَا ... وَأَنْتَ اللَّيْثُ وَالبَطَلُ المَجِيدُ

---

(١) هو محمد بن صالح بن أحمد بن الشريف مجد الدين ، عالم مترجم ، وأصل آبائه من مكة ، وقد ولد بالقاهرة وتعلم فى مدارسها وأتقن الفرنسية وترجم عنها بعض الكتب ، ندبه اسماعيل باشا لترجمة القوانين الفرنسية ، واشترك فى وضع الخطط التوفيقية ، وتوفى بمصر سنة ١٢٩٨ هـ .

وَيرقى غيرُنا رُتبَ المَعالِى ... وَيخفِضُنا بِلا سَبَب عَنِيدُ
وَيظفَرُ بالأَمانِى كُلُّ زاجٍ ... وَنُحرَمُ من جَنابك ما نُرِيدُ
فَرُدَّ نَوائِبَ المَلَوَيْنِ عَنَّا ... فَرأيُكَ دَائِماً رأْىٌ سَدِيدُ (١)
وَجُودُ يَدَيْكَ فاضَ عَلَى الرَّعايَا ... فَسُرَّ قَرِيبُهُمْ، وَكذَا البَعِيدُ
وَدُمْ فى نِعْمَةٍ وَثَباتِ مُلْكٍ ... فَفِيكَ الشكرُ، مَا دُمْنَا، يَزِيدُ

(٧) السيد على أبو النصر (٢)

قال يتحسر على فراق أحبابه :

لَقَدْ ذَهَبَ النَّوى بِجَمِيلِ صَبْرِى ... وَأَوْدَعَ فِى حُشَاشَتِىَ الوُلُوعَا (٣)
وَأَلْبَسَنِى الأَسَى خِلَعَ التَّمَنِّى ... وَأَلْزَمَنِى التَّذَلُّلَ وَالخُضُوعَا (٤)
وَنَارُ الشَّوْقِ أَغْرَاهَا غَرَامِى ... عَلَى كَبِدِى فَقَوَّمَتِ الضُّلُوعَا (٥)
وَلِى قَلْبٌ تُقَلِّبُهُ شُجُونِى ... وَتَمْنَعُهُ السَّكِينَةَ وَالهُجُوعَا (٦)
يَبِيتُ مَعَ الأَحِبَّةِ حَيْثُ كَانُوا ... وَيُصْبِحُ رَاجِياً مِنْهُمْ رُجُوعَا
يَرَى أَضْغَاثَ أَحْلَامِ الأَمَانِى ... حَقَائِقَ لَا يَزَالُ بِهَا وَلُوعَا (٧)

(١) الملوان : الليل والنهار .

(٢) هو الشريف العالم الشاعر الزجال، أصله من منفلوط بأسيوط، درس بالأزهر و برع فى الأدب، واتصل بالبيت الخديوى من عهد محمد على باشا الكبير الى عهد توفيق باشا، و يعدّ شعره متوسطا، وله ولع بالتاريخ الشعرى . وقد توفى سنة ١٢٩٨ ه .

(٣) النوى : البعد والفرقة . والحشاشة بضم الحاء : بقية الروح . والولوع : شدّة العشق .

(٤) الأسى : الحزن والهم . (٥) يريد أن نار الشوق لشدّتها جعلت أضلاعه مستقيمة بعد أن كانت منحنية . (٦) الهجوع : النوم فى الليل .

(٧) أضغاث الأحلام المختلطة الملتبسة . والولوع بفتح الواو : الشديد الولع، وهو الحب .

تَطُوفُ بِهِ الحَوَادِثُ وَهُوَ لَاهِ ... كَأَنَّ الوَهْـــمَ أَلْبَسَـــهُ دُرُوعَا
وَرُبَّ مُكَايِدٍ عَانَى خُطُــوبًا ... وَمُفْــرَدُ عَزْمِهِ عَزَّ الجُمُــوعَا (١)
وَقَائِـلَةٍ : إِلَامَ تَحِنُّ شَــوْقًا ... إِلَى حَيٍّ أَحَــلَّ بِكَ الهُــلُوعَا؟ (٢)
فَقُلْتُ لَهَا : وُقِيتِ البَأْسَ؛ إِنِّي ... أَوَدُّ بِحُبِّهِــمْ أُدْعَى هَــلُوعَا (٣)
أَبَعْــدَ فِرَاقِهِــمْ تَرْتَاحُ رُوحِى ... وَتَرْجُــو سَاعَةً أَنْ لَا تَلُوعَا (٤)
فَهُـــمْ رُوحِى وَرَيْحَانِى وَرَاحِى ... فَكَيْفَ أَرَى إِلَى السَّلْوَى نُزُوعَا؟ (٥)

وقال رحمه الله :

نُورُ زَاهِى الرَّوْضِ أَمْ نُورُ الصَّبَاحْ ... وَابْتِسَامُ الثَّغْــرِ أَمْ زَهْرُ الأَقَاحْ
وَنُجُــومٌ تَزْدَهِى فِى أُفْقِهَا ... بِوَمِيضِ الــبَرْقِ أَمْ كَاسَاتُ رَاحْ
لَا وَلَا بَــلْ بَدْرُ تِمٍّ يَنْجَـلِى ... لِلنَّــدَامَى فِى اغْتِبَاقٍ وَاصْطِبَاحْ
مُحَيًّا يَزْدَرِى شَمْسَ الضُّــحَى ... فِى مَعَانِى حُسْــنِهِ تَعْيَا الفِصَاحْ

وقال رحمه الله متغزلا :

رِسَالَةٌ مِنْ كَلِفٍ عَنِيـدِ ... حياتُه فى قَبْضَةِ الصُّدُودِ
بَلَّغَهُ الشَّوْقُ مَدَى المَجْهُودِ ... ما فَوْقَ ما يَلْقَاهُ من مَزِيدِ
وَاهًا عَلَيْهِ كَمْ بِهِ مِنْ وَجْدِ

---

(١) عز الجموع : غلبها .
(٢) الحىّ : منازل القوم . والهلوع بضم الهاء : الجزع .
(٣) الهلوع بفتح الهاء : الشديد الجزع .
(٤) تلوع : تجزع .
(٥) الراح : الخمر . ونزوعا : ميلا .

جار عليه حاكم الغرام   فدق أن يدرك بالأفهام
فلو أتاه طارق الحمام   لم يره من شدة السقام
إلا اذا صدره فى البرد

له اهتزاز وارتياح وطرب   لوجه من أورثه طول الكرب
فهل سمعتم فى الأحاديث العجب   بمن مناه قرب من منه العطب
ومن رأى الغى بديل الرشد

ما غاب عنه الحزم فى الأمور   لكن مقدار الهوى ضرورى
صاحبه يخبط فى ديجور   منفذ التقدير بالمقدور
كأنه يدأب لا عن قصد

* * *

ما العذر فى السلو عن غزال   منقطع الأقران والأشكال
يستخلف الشمس لدى الزوال   ضياء خديه على الليالى
فصار نور البدر غير مجدى

(٨) صفوت الساعاتى (١)

قال رحمه الله يرثى الأديب الشيخ حسن قويدر :

يا شمس فضل فدتك الشهب قاطبة   إذ عنك لا أنجم تغنى ولا شهب
لما أصابك، لا قوس ولا وتر،   سهم المنية كاد الكون ينقلب

(١) هو محمود صفوت بن مصطفى أغا شاعر مصرى ولد بالقاهرة وتعلم بها واتصل بشريف مكة فلازمه فى بعض وقائع وصفها فى شعره، ثم استخدم فى المعية ثم فى مجلس أحكام الجيزة والقليوبية . واشتهر بالساعاتى لبراعته فى فن الساعات ولكن لم يحترفه . وكان حلو الفكاهة حسن المحاضرة . مات سنة ١٢٩٨

مَا حِيلَةُ العَبْدِ وَالأَقْدَارُ جَارِيَةٌ ... العُمْرُ يُوهَبُ وَالأَيَّامُ تَنْتَهِبُ

لَوِ اقْتَدَتْكَ المَنَايَا عِنْدَ مَا فَتَكَتْ ... يَخْبِرْنَا لَفَدَتْكَ العُجْمُ وَالعَرَبُ

سَقَى ضَرِيحَكَ غَيْثُ العَفْوِ مُنْسَكِبًا ... وَلَا ارْتَوَتْ بَعْدَكَ الأَغْصَانُ وَالعَذَبُ(١)

وَلَا اسْتَهَلَّتْ عُيُونُ القَطْرِ بَاكِيَةً ... إِلَّا عَلَيْكَ وَإِنْ حَلَّتْ بِنَا النُّوَبُ(٢)

أَمْسَتْ لِفَقْدِكَ عَيْنُ العِلْمِ سَائِلَةً ... تَرْجُو الشِّفَاءَ وَأَنَّى يَنْجَحُ الطَّلَبُ(٣)

بَكَتْ عَلَيْكَ السَّمَا وَالأَرْضُ وَاضْطَرَبَتْ ... كَأَنَّمَا نَالَهَا مِنْ حُزْنِهَا طَرَبُ

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ قَبْلَ اليَوْمِ أَنَّ لَدَى ... نِصْفِ النَّهَارِ ضِيَاءَ الشَّمْسِ يَحْتَجِبُ

لَوْ كَانَ يَدْرِى فُؤَادِى يَوْمَ نَكْبَتِهِ ... كَانَ الفِدَاءَ وَهٰذَا بَعْضُ مَا يَجِبُ

بِالرَّغْمِ مِنِّى حَيَاتِى بَعْدَ مَصْرَعِهِ ... سِيَّانِ فُرْقَةُ مَنْ أَحْبَبْتُ وَالعَطَبُ(٤)

(٩) عبد الله باشا فكرى(٥)

كتب إلى أحمد فارس الشدياق ردًّا على قصيدة له :

تَفْدِيكَ نَفْسُ شَجٍ عَلِيلٍ آسِى ... عَزَّ الدَّوَاءُ لَهُ وَحَارَ الآسِى(٦)

أَضْنَاهُ طُولُ أَسَاهُ حَتَّى إِنَّهُ ... يَحْكِى لِفَرْطِ ضَنَاهُ ذَاوِى الآسِ(٧)

---

(١) العذب بفتحتين : الأغصان أيضا . (٢) القطر بفتح القاف : المطر . والنوب بضم النون وفتح الواو : المصائب ، واحدتها نوبة . (٣) فى هذا البيت استخدام ، فان (سائلة) بمعنى فائضة بالدمع . وفى قوله ترجو أعاد عليها الضمير بمعنى السؤال . (٤) العطب : الهلاك .

(٥) هو الكاتب الشاعر المترجم عبد الله باشا فكرى بن محمد افندى بليغ ، ولد بمكة ودرس بالأزهر ، وأجاد التركية والعربية . وقد ترقى فى المناصب حتى وصل إلى معية المغفورله سعيد باشا فاسماعيل باشا . وكانت يكتب عنهما مكاتبات كانت بعد نموذجا متبعا فى المكاتبات الديوانية ، وكان كاتبا بليغا يتأثر البديع والحريرى بالتزام السجع القصير والمحسنات البديعية وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ . (٦) الشجى : المهموم الحزين . والآسى : كذلك وعز الشئ : ندر وصعب الحصول عليه . والآسى : الطبيب .

(٧) أضناه : أسقمه وأهزله . وأساه : حزنه . وذاوى : ذابل . والآس : نوع من الزهر .

هزَّتْهُ سارِيَةُ النَّسِيمِ، وقد جرت ... بِشَذًا فُرُوقَ أرِيجَةَ الأنْفَاسِ (١)
فَكَأَنَّ فِي طَيِّ الشَّمالِ، إِذَا انْثَنَى ... مِنْ نَشْرِهَا طَرَبًا، شَمُولَ الكَاسِ (٢)
وكَأَنَّمَا حَمَلَتْ إِلَيَّ رِسَالَةً ... غَرَّاءَ جَاءَتْ مِنْ أَغَرَّ مُوَاسِي (٣)
كَمَلِيحَةٍ عَذْرَاءَ وَافَتْ صَبَّهَا ... مِنْ بَعْدِ طُولِ تَعَذُّرٍ وَشِمَاسِ (٤)
يَفْتَرُّ مَبْسِمُهَا بِحُسْنِ حَدِيثِهَا ... عَنْ سِحْرِ فَاتِنِ جَفْنِهَا النَّعَّاسِ (٥)
تَدْنُو فَيَطْمَعُ عَاشِقِيهَا أُنْسُهَا ... وَيُشِيرُ عِزٌّ دَلَالِهَا بِإِيَاسِ (٦)
أَوْ رَوْضَةٍ فَيْحَاءَ حَيَّاهَا الحَيَا ... مِنْ صَوْبِ مَحْلُولِ العُرَى رَجَّاسِ (٧)

وكتب إلى المرحوم توفيق باشا الخديو الأسبق يستعطفه و يستمنحه العفو :

كِتَابِي تَوَجَّهْ وِجْهَةَ السَّاحَةِ الكُبْرَى ... وَكَبِّرْ إِذَا وَافَيْتَ، وَاجْتَنِبِ الكِبْرَا
وَقِفْ خَاضِعًا، وَاسْتَوْهِبِ الإِذْنَ، والْتَمِسْ ... قَبُولًا، وَقَبِّلْ سُدَّةَ البَابِ لِي عَشْرَا (٨)
وبَلِّغْ لَدَى البَابِ الخِدِيوِيِّ حَاجَةً ... لِذِي أَمَلٍ يَرْجُو لَهُ البِشْرَ وَالبُشْرَى
لَدَى بَابِ سَمْحِ الرَّاحَتَيْنِ مُؤَمَّلٍ ... صَفُوحٍ عَنِ الزَّلَّاتِ يَلْتَمِسُ العُذْرَا (٩)
تَنُوءُ الجِبَالُ الرَّاسِيَاتُ بِحِلْمِهِ ... إِذَا طَاشَ ذُو جَهْلٍ لَدَى غَيْظِهِ قَهْرَا (١٠)

---

(١) الشذا : قوة طيب الرائحة . وفروق بفتح الفاء : من أسماء القسطنطينية . وأريجة : طيبة الريح .
(٢) الشمال : يريد بها ريح الشمال . والشمول بفتح الشين : من أسماء الخمر .
(٣) الغراء : الحسناء . والأغر : السيد الشريف . والمواسي : المساعد المعاون .
(٤) صبها : عاشقها . والتعذر : التمنع . والشماس بكسر الشين : النفور والإباء .
(٥) يفتر : ينكشف . والمبسم : الفم . والنعاس : الشديد الفتور . (٦) الإياس : اليأس .
(٧) الحيا : المطر . و يريد بمحلول العرى المطر الغزير الذى لا يحجبه شىء . والرجاس : الشديد الصوت .
(٨) السدة بضم السين : الظلة تقام بباب الدار . (٩) السمح : الكريم . والراحتان : مثنى الراحة ، وهى باطن الكف . (١٠) يقال : ناء به الحمل ينوء به : أى أثقله وأتعبه .

يُراقب رَحْمَنَ السَّمواتِ قلبُهُ فيرحم مَنْ في الأرض رِفقًا بهمْ طُرًّا (١)
مليكي وموْلايَ العزيزُ وسيِّدي ومَن أرتجِي آلاءَ معروفِه العُمْرا (٢)
لئِنْ كانَ أقوامٌ على تقوّلوا بأمرٍ فقد جاءوا بما زوّروا نُكْرا
وإنَّ سُعاةَ السُّوءِ أنزلَ فيهِم علَينا إلهُ العرشِ في ذِكْرِه ذِكْرا (٣)
وعلَّمنا أنْ نستَبينَ مقالَهُمْ ونأخذَ منهُمْ في مساعِيهمُ الحِذْرا (٤)
حلَفتُ بما بينَ الحَطيمِ وزَمْزَمٍ وبِالبابِ والمِيزابِ والكعبَةِ الغرَّا (٥)
وبالزائريها يرتجُونَ مليكَهُمْ لما فرَّطوا في العَمْدِ والخطإ الغَفْرا (٦)
وبالصَّلواتِ الخمْسِ يُرجَى ثوابُها وبالصَّومِ يوليه الحَفِيُّ به شَهْرا (٧)
لمَا كانَ لي في الشّرِ باعٌ ولا يدٌ ولا كُنتُ مَن يبغي مَدى عُمْرِه الشَّرّا (٨)
ولكِنَّ محتُومَ المقاديرِ قدْ جرَى بما اللهُ في أُمِّ الكتابِ له أجْرى (٩)
وفي عِلْمِ مولايَ الكريمِ خلائِقي قديمًا، وحسْبي عِلمُهُ شاهِدًا بَرًّا (١٠)

---

(١) يشير الى الحديث الشريف: «الراحمون يرحمهم الرحمن . ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء» . (٢) الآلاء: النعم . والعمر هنا ظرف زمان، والمعنى مدى العمر .

(٣) الذكر: القرآن الكريم .

(٤) الحذر بكسر الحاء وسكون الذال: الحـذر بفتحها . يشير الى قول الله تعالى: «يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين» .

(٥) الحطيم: موضع من الحرم المكى . والميزاب: مسيل المطر . والمراد ميزاب الكعبة .

(٦) مليكهم: ربهم . والغفر: الغفران .

(٧) حفى بالشيء من باب علم واحتفى به: أكرمه، وأظهر الفرح به .

(٨) الباع: قدر مد اليدين: والمراد أنه لم يحدث الشر ولم يدخل فيه مطلقا .

(٩) أم الكتاب: اللوح المحفوظ .

(١٠) الخلائق: جمع خليقة، وهى السجية والطبيعة .

فعفوًا أبا العبّاس لا زلت قادرًا ... على الأمر إنّ العفو من قادر أحرى ! (١)
"ملكت فأسجح" وامنح العفو تبتغي ... زكاة لما أولاك ربّك أو شكرا (٢)
أيجمل في دين المروءة أنّني ... أكابد في أيامك البؤس والعسرا ؟
ولي فيك آمالٌ ظميني بنجحها ... وفاؤك ، لا أرجو سواك لها ذخرا (٣)
فمنّ فقد ألفيت موضع منّة ... وربك لا ينسى لذي منّة أجرا (٤)

وقال يتغزل :

كتبت ولولا دمع عيني سائل ... تلظّى جوابي من تلهّب أنفاسي (٥)
وعندي من الأشواق مالم يبح به ... لسانُ يراعٍ في مسامع قرطاس (٦)
ولي من تباريح الهوى وشجونه ... أحاديث تلهي الشرب عن لذة الكاس (٧)
ولو كنت من دهري أنال مآربي ... لسرت لكم سعيًا على العين والراس

وكتب الى السيد عبدالهادي نجا الأبياري يعتذر عن عدم إجابة دعوة لم تصل إليه :

يا من بديع حلاه ... تزرى البديع وتنسى

* * *

وافت عقيلة نظم ... تتلو فصاحة قس
كالبدر لاح سناه ... من بعد مغرب شمس

---

(١) أحرى : أحق وأجدر . (٢) ملكت فأسجح : مثل مضروب . والإسجاح : أحسن العفو . (٣) النجح بضم النون : النجاح . والذخر بضم الذال والذخيرة : ما يستبق لوقت الحاجة . (٤) المنة بكسر الميم : الاحسان . (٥) تلظى : التهب واحترق . ويريد بالجواب الصحيفة التى ضمنها خطابه . (٦) اليراع : القلم . والقرطاس : الصحيفة التى يكتب فيها .
(٧) تباريح الهوى : حرقه . والشجون : جمع شجن ، وهو الهم والحزن . والشرب : بفتح الشين الشاربون .

فَغَـادَرَتْنِي صَـــرِيعًا نَشْــوَانَ من غيرِ كَأْسِ
فَمُنَّ بِالعَــفْوِ إِنِّى مِنْــهُ عَـلَى غيرِ يَأْسِ
وَإِنْ عَتَبْتَ فَحَــقٌّ وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِى

(١٠) الشيخ على الليثى (١)

قال يرثى محمود باشا الفلكى وقد صادف أن تهاوت نيازكُ ليلة وفاته :

أَرَى النَّيَازِكَ عَنْ سَامٍ مِنَ الفَلَكِ مَذْعُورَةً أَصْبَحَتْ تَصْبُو إِلَى الدَّرَكِ (٢)
كَالطَّيْرِ فَاجَأَهَا البَـازِى وَأَذْهَلَهَا فَحَاكَتِ البَرْقَ وَانْقَضَّتْ عَنِ الحُبُكِ (٣)
نَعَتْ إِلَيْنَا الرَّئِيسَ الجِهْبِذِىَّ، وَقَدْ قَالَتْ : تَعَــزَّوْا فَمَا حَىٌّ بِمُتَّرَكِ (٤)
يَا نَفْسُ هٰذَا مُصَابٌ قَدْ أَصَابَ فَمَا أَبْقَى فُؤَادَ صَبُورٍ غَيْرَ مُرْتَبِــكِ

* * *

أَلَيْسَ نَسْرُ سَمَاءِ العِـلْمِ قَدْ عَلِقَتْ كَفُّ المَنُــونِ بِهِ فَانْحَازَ فِي الشَّرَكِ (٥)
الصَّــبْرَ يَا نَفْسُ، وَاسْتَبْقِى مَنَاحَهُ أَوْ فَالتَّصَــبُّرُ إِنْ تَبْغِى الهُدَى فَلَكِ (٦)
حَلَّ القَضَاءُ وَنَاعِى المَجْـدِ أَرَّخَنَا قَــدْ مَاتَ مَحْمُودُ بَاشَا المُسْنَدُ الفَلَكِى
١٣٠٣ ١٧١ ١٨٥ ٣٠٤ ٩٨ ٤٤١ ١٠٤

(١) هو الشاعر الكاتب المحاضر المنادر شاعر الخديو اسماعيل باشا فتوفيق باشا . ظهر بالشعر والأدب وصار فى معية اسماعيل باشا . ولما خلفه توفيق أبقى عليه فأخلص له الشيخ ، وخاصة أيام الثورة ، وشعره متوسط . وتوفى سنة ١٣١٣ هـ . (٢) النيازك : جمع نيزك بفتح النون ، شعلة ترى على شكل الرمح ، وهو من الشهب المتساقطة . والدرك : أسفل السفل . (٣) البازى : نوع من الصقور . ويريد بالحبك السماء . (٤) الجهبذ : الناقد العارف بتمييز الجيد من الردىء . ومترك بتشديد التاء وفتح الراء : متروك . (٥) علقت به : تعلقت . والمنون : الموت . والشرك : حبائل الصائد . (٦) المناحه : يريد بها جمع مناحة : هى موضع البكاء على الميت ، والمراد بها هنا البكاء نفسه .

وقال في عقب الثورة العرابية من قصيدة طويلة :

كُلُّ حَالٍ لضِـــدِّهِ يَتَحَــوَّلْ فَالْزَمِ الصَّــبْرَ إِذْ عَلَيْهِ الْمَعَوَّلْ
يا فُؤَادِى ٱسْتَرِحْ فَمَا الشَّأنُ إِلَّا مَا بِهِ مَظْهَرُ الْقَضَاءِ تَـــنَزَّلْ
رُبَّ ساعٍ لِحَتْفِهِ وهــو مِمَّنْ ظَنَّ بالسَّعْىِ لِلْعُــلَا يَتَوَصَّلْ
قَـــدَرٌ غَالِبٌ وسِرُّ الْخَفَايَا فَوْقَ عَقْلِ الْأَرِيبِ مَهْمَا تَكَمَّلْ
غَايَةُ الْعَقْـــلِ حَسْرَةٌ وعِقَالٌ واللَّبِيبُ الذَّكِىُّ مَنْ قَدْ تَأَمَّلْ
كَيْفَ نَنْسَى وحَادِثَاتُ اللَّيَالِى فاجَأَتْنَا بِكَارِثٍ لَيْسَ يُحْمَــلْ
أَذْهَبَتْ أَنْفُسًا وغَالَتْ نَفِيسًا وَذَوِى مَرْبَعُ الحظوظِ وأَمْحَلْ

* * *

وإذا ٱلْمَــرْءُ كان بالوَهْــمِ يَبْنِى فَخَيالُ الظُّنُــونِ مَا قَدْ تَمَثَّــلْ
وَيْحَ قومٍ سَـعَوا لإدراكِ أَمْرٍ دون إِدْرَاكِهِ الْجِبالُ تَزَلْزَلْ
ما أَضَرُّوا عليـــه إلا أَضَرُّوا بأناسٍ من نابِهٍ أَوْ مُغَفَّلْ
ذاك يسـعَى على التَّقِيَّةِ خَوْفًا وسِـــوَاهُ سَـــعَى لِكَيْما يُجَمَّلْ
لو أصابُوا الرَّشَادَ عِنْـدَ ابْتِدَاء كانت ٱلْغَايَةُ الجميـــلةُ أَمْثَلْ

وقال يصف السفينة وهو عائد من برلين :

أَصْبَحَ الوَقْتُ بَاسِمًــا بالسُّرُورِ كَابْتِسَامِ الرَّبِيعِ وقتَ الزُّهُورِ
أَيْنَ أَلْقَى ظَرِيفَ طَبْعٍ لَطِيفًا كَىْ نُدِيرَ الحَدِيثَ مِثْلَ الخُمُورِ
فَوْقَ ظَهْرِ السَّفِينِ تُحْسِنُ وَصْفًا حَيْثُ تَجْرِى عَلَى صَفَاءِ البُحُورِ

* * *

وتَرَاهُ يَخْتَالُ وهْـــو مُعَـــنًّى ... وَيْحَهُ كَمْ يَجُـــرُّ ذَيْلَ الفَخُورِ (١)

ذَيْـــلُهُ يرسُمُ المَجَـــرَّةَ عُجْبًـــا ... بَيْنَ مَوْجٍ يُضِيءُ مثلَ البُدُورِ (٢)

(١١) السيد عبد الله نديم (٣)

قال يتغـــزل :

سَـــلُوهُ عَنِ الأَرْوَاحِ فهيَ مَلَاعِبُهْ ... وَكُفُّوا إِذَا سَـــلَّ المُهَنَّدَ حَاجِبُهْ

وَعُودُوا إِذَا نَامَتْ أَرَاقِمُ شَـــعْرِهِ ... وَوَلُّوا إِذَا دَبَّتْ إِلَيْـــكُمْ عَقَـــارِبُهْ (٤)

وَلَا تَذْكُرُوا الأَشْبَاحَ بِاللهِ عِنْـــدَهُ ... فَلَوْ أَتْلَفَ الأَرْوَاحَ من ذا يُطَالِبُهْ ؟

أَرَاهُ بِعَيْـــنِي وَالدُّمُوعُ تُكَاتِبُـــهْ ... وَيُحْجَبُ عَنِّي ، وَالفُؤَادُ يُرَاقِبُـــهْ

فَهَلْ حَاجَةٌ تُدْنِي الحَبِيبَ لِصَـــبِّهِ ... سِـــوَى زَفْرَةٍ تَثْنِي الحَشَا وَتُجَاذِبُهْ ؟

فَلَا أَنَا مِمَّنْ يَتَّقِيـــهِ حَبِيبُـــهُ ... وَلَا أَنَا مِمَّن بِالصُّـــدُودِ يُعَاتِبُـــهْ

فَلَوْ أَنَّ طَرْفِي أَرْسَـــلَ الدَّمْعَ مَرَّةً ... سَـــفِيرًا لِقَلْبِي مَا تَوَالَتْ كَتَائِبُـــهْ (٥)

---

(١) المعنى بضم الميم وفتح العين وتشديد النون المفتوحة : المتعب المكدود . وويحه : رحمة له . والفخور بفتح التاء : الكثير التفاخر .

(٢) المجرة بفتح الميم وتشديد الراء المفتوحة : نجوم كثيرة لا يميزها البصر بل يراها كبقعة بيضاء .

(٣) يعدّ السيد عبد الله نديم فى مقدّمة الخطباء العرابيين ، وكان لايجارى فى سرعة البديهة وشدّة التأثير فى سامعيه بالعامية وغيرها . ويعدّ متأثرا بجمال الدين الأفغانى كالشيخ محمد عبده ، وله مع ذلك شعر ونثر جيدان . توفى بالقسطنطينية سنة ١٨٩٦م .

(٤) الأراقم : أخبث الحيات . واحدها : أرقم .

(٥) الكتائب : جمع كتيبة بفتح الكاف ، وهى القطعة من الجيش .

(١٢) محمود باشا سامى البارودى (١)

قال يرثى أباه لما ناهز العشرين :

لَا فَارِسَ الْيَوْمَ يَحْمِى سَرْحَةَ الْوَادِى ... طَاحَ الرَّدَى بِشِهَابِ الْحَرْبِ وَالنَّادِى (٢)
مَاتَ الَّذِى تَرْهَبُ الْأَقْرَانُ صَوْلَتَهُ ... وَيَتَّقِى بَأْسَهُ الضِّرْغَامَةُ الْعَادِى (٣)
مَضَى ، وَخَلَّفَنِى فِى سِنِّ سَابِعَةٍ ... لَا يَرْهَبُ الْخَصْمُ إِبْرَاقِى وَإِرْعَادِى (٤)
فَإِنْ أَكُنْ عِشْتُ فَرْدًا بَيْنَ آصِرَتِى ... فَهَا أَنَا الْيَوْمَ فَرْدٌ بَيْنَ أَنْدَادِى (٥)

وقال يتشوق وهو فى المنفى :

رُدُّوا عَلَىَّ الصِّبَا من عَصْرِىَ الْخَالِى ... وَهَلْ يَعُودُ سَوَادُ اللِّمَّةِ الْبَالِى ؟ (٦)
لَمْ يَدْرِ مَنْ بَاتَ مَسْرُورًا بِلَذَّتِهِ ... أَنِّى بِنَارِ الْأَسَى مِن هَجْرِهِ صَالِى (٧)

---

(١) هو محمود سامى باشا ابن حسن حسنى بك البارودى أحد زعماء الثورة العرابية . ولد سنة ١٢٥٥ هـ ، وتعلم بالمدرسة الحربية وترقى فى مناصب الجيش وغيرها حتى رأس النظار قبيل الثورة العرابية ، ونفى بعدها الى سرنديب ، ثم عاد الى مصر ، وبها مات سنة ١٣٢٢ هـ . والبارودى عصامى فى نشأته الأدبية الشاعرة ، يعد شعره صورة مقاربة للفحول السابقين : بجزل الأسلوب ضخم المعانى متنوع الفنون . له ديوان ومختارات .

(٢) السرحة بفتح السين : القطعة من الإبل السائمة . وطاح به : أهلكه . والردى بفتح الدال : الموت . والشهاب : الكوكب . يريد أنه كان كالكوكب فى انقضاضه على محاربيه ، كما كان فى مجتمع القوم زينتهم كالكوكب أيضا فى تألقه .

(٣) الأقران : جمع قرن بكسر القاف ، وهو المناظر فى الشجاعة وغيرها . والضرغامة : الأسد . والعادى : الصائل .

(٤) إبراقه وإرعاده : تهديده ووعيده .

(٥) يريد بآصرته : أهل قرابته وأصحاب مودته .

(٦) اللمة بكسر اللام وتشديد الميم : الشعر المجاوز شحمة الأذن ، وهو يريد بشعر الرأس على الإطلاق . ويريد بالبالى الذى تغير لونه فبيضه المشيب .

(٧) الأسى : الحزن . يصلى النار من باب علم وصلى بها فهو صال : قاسى حرها أو احترق بها .

يَا غَاضِبِينَ عَلَيْنَا هَـلْ الَى عِدَةٍ ... بِالوَصْلِ يَوْمٌ أُنَاغِى فِيـهِ إِقْبَالِى (١)

غِبْتُمْ فَأَظْلَمَ يَوْمِى بَعْدَ فُرْقَتِكُمْ ... وَسَاءَ صُنْعُ اللَّيَالِى بَعْدَ إِجْمَالِ (٢)

فَالْيَوْمَ لَا رَسَنِى طَوْعُ القِيَادِ، وَلَا ... قَلْبِى الَى زَهْرَةِ الدُّنْيَا بِمَيَّالِ (٣)

أَبِيتُ مُنْفَرِدًا فِى رَأْسِ شَاهِقَةٍ ... مِثْلَ القَطَامِىِّ فَوْقَ المَرْبَإِ العَالِى (٤)

ومن قصيدة له طويلة يصف فيها حرب اقريطش (كريد) ويتشوق الى مصر:

أَخَذَ الكَرَى بِمَعَاقِدِ الأَجْفَانِ ... وَهَفَا السُّرَى بِأَعِنَّةِ الفُرْسَانِ (٥)

وَاللَّيْلُ مَنْشُورُ الذَّوَائِبِ ضَارِبٌ ... فَوْقَ المَتَالِعِ وَالرُّبَى بِجِرَانِ (٦)

لَا تَسْتَبِينُ العَيْنُ فِى ظَلْمَائِهِ ... إِلَّا اشْتِعَالَ أَسِنَّةِ المُرَّانِ (٧)

نَسْرِى بِهِ مَا بَيْنَ لُجَّةِ فِتْنَةٍ ... تَسْمُو غَوَارِبُهَا عَلَى الطُّوفَانِ (٨)

فِى كُلِّ مَرْبَأَةٍ وَكُلِّ ثَنِيَّةٍ ... تَهْدَارُ سَامِرَةٍ وَعَزْفُ قِيَانِ (٩)

---

(١) العدة بكسر العين وفتح الدال : الوعد . وناغى الصبىّ : كلمه بما يعجبه ويسره .

(٢) الإجمال : الإحسان .

(٣) الرسن بفتحتين : الحبل الذى تقاد به الدابة .

(٤) يريد بالشاهقة الجبل المرتفع ، والقطامى بفتح القاف وضمها : الصقر . والمربأ : المكان الذى يقف فيه من يرقب .

(٥) الكرى : النوم . وهفا : أسرع .

(٦) الذوائب : جمع ذؤابة بضم الذال ، وهى شعر فى مقدّم الرأس . المتالع : الأرض المرتفعة ، والجران من البعير : مقدّم عنقه . ويقال : ضرب بجرانه كناية عن التسلط والتمكن .

(٧) المران بضم الميم وتشديد الراء : الرماح اللدنة فى صلابة .

(٨) الغوارب : جمع غارب ، وهو أعلى كل شىء ، وما بين السنام والعنق .

(٩) المربأة : مكان المراقب ، والثنية : الطريق فى الجبل . والتهدار : التصويت وقرقرة الحمام . والقيان جمع قينة بفتح القاف : وهى المغنية .

تَسْــتَنُّ عَادِيَةٌ، وَيَصْهَلُ أَجْرَدٌ، وَتَصِيحُ أَجْرَاسٌ، وَيَهْتِفُ عَانِي (١)
قَوْمٌ أَبَى الشَّــيْطَانُ إِلَّا خُسْرَهُمْ فَتَسَلَّلُوا مِنْ طَاعَةِ السُّلْطَانِ (٢)
مَلَئُــوا الفَضَاءَ، فَمَا يَبِينُ لِنَاظِرٍ غَيْرُ الْتِمَاعِ البِيضِ والخُــرْصَانِ (٣)
فَالبَــدْرُ أَكْدَرُ وَالسَّمَاءُ مَرِيضَــةٌ وَالبَحْرُ أَشْــكَلُ وَالرِّمَاحُ دَوَانِ (٤)
وَالخَيْــلُ وَاقِفَــةٌ عَلَى أَرْسَانِهَا لِطِــرَادِ يَوْمِ كَرِيهَــةٍ وَرِهَانِ (٥)
وَضَعُوا السِّلَاحَ إِلَى الصَّبَاحِ، وَأَقْبَلُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسُنِ النِّــيرَانِ (٦)
حَتَّى إِذَا مَا الصُّبْحُ أَسْفَرَ، وَارْتَمَتْ عَيْنَاىَ بَيْنَ رُبًى وَبَيْنَ مَجَانِ (٧)
فَإِذَا الجِبَالُ أَسِــنَّةٌ، وَإِذَا الوِهَا دُ أَعِنَّــةٌ، وَالْمَاءُ أَحْمَــرُ قَانِى (٨)
فَتَوَجَّسَتْ فُرُطُ الرِّكَابِ، وَلَمْ تَكُنْ لِتَهَابَ، فَامْتَنَعَتْ عَلَى الأَرْسَانِ (٩)
فَزِعَتْ فَرَجَّعَتِ الحَنِينَ، وَإِنَّمَا تَحْنَانُهَا شَجَنٌ مِنَ الأَشْجَانِ (١٠)
ذَكَرَتْ مَوَارِدَهَا بِمِصْرَ، وَأَيْنَ مِنْ مَاءٍ بِمِصْــرَ مَنَازِلُ الرُّومَانِ؟ (١١)

(١) استن الفرس : عدا إقبالا و إدبارا . والأجرد : الحصان القصير الشعر . والعانى : التعب المهموم .
(٢) تسللوا : انسلوا وخرجوا .
(٣) البيض : السيوف . والخرصان : الدروع والرماح .
(٤) أكدر : تعلوه كدرة أى غبرة مما تثيره الحرب فى الجو، والأشكل : الذى يضرب بياضه فى حمرة .
(٥) الأرسان : جمع رسن، وهو اللجام أو الحبل فى عنق الدابة .
(٦) ألسن النيران هنا : التقاذف بالمدافع والبنادق .
(٧) المجانى : جمع مجنى الموضع ومكان جنى الثمار .
(٨) قان : شديد الحمرة .
(٩) الفرط : الفرس السريعة التى تتقدم الخيل . وامتنعت على الأرسان : حرنت، وصارت لا تقاد بالأرسان . (١٠) الشجن : الهم والحزن .
(١١) الموارد : جمع مورد مكان ورود الماء للشرب .

وقال يتغـــزل :

غَلَبَ الوَجْـــدُ عَلَيْـــهِ فَبَكَى وَتَوَلَّى الصَّـــبْرُ عنـــهُ فَشَكَى (١)

وَتَمَنَّى نَظْـــرَةً يَشْـــفِي بِهَـا عِلَّةَ الشَّـــوْقِ، فَكَانَتْ مَهْلِكَا (٢)

يَالَهَـا من نَظْرَةٍ ما قَارَبَتْ مَهْبِـــطَ الحِكْمَةِ حتى انْتُهِكَا! (٣)

نَظْـــرَةٌ ضَمَّ عَلَيْهـا هُـــدْبَهُ، ثُمَّ أَغْرَاهَا ، فَكَانَتْ شَـــرَكَا (٤)

غَرَسَتْ فِي القَلْبِ مِنِّي حُبَّـــهُ وَسَـــقَتْهُ أَدْمُعِي حَـــتَّى زَكَا (٥)

* * *

كَانَ أَبْقَى الوَجْـــدُ مِنِّي رَمَقًا فَاحْتَـــوَى البَيْنُ عَلَى ما تَرَكَا (٦)

إِنَّ طَرْفِي غَرَّ قَلْبِي، فَمَضَى فِي سَبِيلِ الشَّـــوْقِ حَتَّى هَلَكَا (٧)

قَـــهُ تَوَلَّى إِثْرَ غِزْلَانِ النَّقَـا لَيْتَ شِـــعْرِي أَيَّ وَادٍ سَلَكَا (٨)

لَمْ يَعُـــدْ بَعْـــدُ، وَظَـــنِّي أَنَّهُ لَجَّ فِي نَيْـــلِ المُنَى، فَارْتَبَكَا! (٩)

---

(١) تولى عنه الصبر : فارقه .

(٢) المهلك : الهلاك .

(٣) انتهك بالبناء للمجهول : انكشف وافتضح .

(٤) الهدب بضم الهاء وسكون الدال : شعر أجفان العينين . وواحدتها هدبة بضم الهاء . والشرك بفتحتين : حبائل الصيد .

(٥) زكا الزرع : طال ونما .

(٦) الرمق بفتحتين : بقية الحياة . والبين : البعد والفرقة .

(٧) الطرف بفتح فسكون : العين .

(٨) النقا : القطعة من الرمل ، يضرب المثل بغزلانها فى الحسن ، وبأغصانها فى الاعتدال . ليت شعرى : ليتنى أعلم .

(٩) لج فى طلب الشىء : تمادى فيه وأبى الانصراف عنه . والمنى جمع منية بضم الميم وسكون النون : ما يتمناه الإنسان .

* * *

يا غزالًا نصبت أهدابُه ... بيد السحر لضمّي شَبَكا (١)
قد ملكتَ القلبَ، فاستوص به ... إنه حقٌّ على من ملكا
لا تعذّبه على طاعته ... بعد ما تيّمتَه، فهو لكا (٢)
غلب اليأسُ على حسن المنى ... فيك، واستولى على الضحك البكا
فإلى من أشتكي ما شفّني ... من غرامٍ؟ وإليك المشتكى! (٣)
سلكت نفسي سبيلًا في الهوى ... لم تدع فيه لغيري مسلكا

وقال في الفخر، وهو من قصيدة طويلة :

سواي بتحنان الأغاريد يطربُ ... وغيري باللذّات يلهو ويُعجَبُ (٤)
وما أنا ممن تأسر الخمرُ لبّه ... ويملك سمعيه اليراعُ المثقّبُ (٥)
ولكن أخو همٍّ إذا ما ترجّحت ... به سورةٌ نحو العلا راح يدأبُ (٦)
نفى النومَ عن عينيه نفسٌ أبيّةٌ ... لها بين أطراف الأسنّة مطلبُ (٧)
ومن تكن العلياءُ همّةَ نفسه ... فكلُّ الذي يلقاه فيها محبّبُ
إذا أنا لم أُعطِ المكارمَ حقّها ... فلا عزّني خالٌ ولا ضمّني أبُ

---

(١) الشبك بفتحتين : الشرك الذي يطرحه الصياد في البر أو البحر لاقتناص الصيد . والواحد : شبكة بفتحتين . (٢) تيمه الحب : استعبده واستذله . (٣) شفه : أضعفه وأهزله .

(٤) التحنان بفتح التاء الحنين . والأغاريد جمع أغرودة بضم الهمزة : غناء الطائر . ويعجب بالشيء بالبناء للمجهول يسر منه .

(٥) اليراع : القلم . والمثقب النافذ . ويريد بسمعيه أذنيه .

(٦) الهم هنا الهمة . وترجحت به مالت به . ويريد بالسورة النزعة القوية .

(٧) الأسنة جمع سنان : وهو نصل الرمح .

* * *

خُلِقتُ عيوفًا لا أرى لابنِ حُرَّةٍ عَلَيَّ يدًا أُغضِى لَهَا حِينَ يَغضَبُ(١)
فلستُ لأمرٍ لم يكن متوقِّعا ولستُ على شيءٍ مضى أتعتَّبُ(٢)
أسيرُ على نهجٍ يرى الناسُ غيرَه لِكُلِّ امرئٍ فيما يُحاوِلُ مَذهَبُ(٣)
وإنّى إذا ما الشكُّ أظلمَ ليلُه وأمسَت به الأحلامُ حيرى تَشَعَّبُ(٤)
صَدَعتُ حِفافَىْ طُرَّتَيهِ بِكَوكبٍ مِنَ الرأيِ لا يَخفَى عليهِ المُغَيَّبُ(٥)

وقال رحمه الله يتغزل :

فلا تسألنّى عن هواىَ فإنّنى وربِّكَ أدرى كيفَ زَلَّتْ بِىَ النعلُ(٦)
فما هىَ إلّا أنْ نظرتُ بِفَجأةٍ بِحُلوانَ حيثُ انهارَ وانعقدَ الرملُ
إلى نِسوةٍ مثلِ الجُمانِ تَنَاسَقَتْ فرائدُهُ حُسنًا وألّفهُ الشَّملُ(٧)
تَكَنَّفْنَ تمثالًا من الحُسنِ رائعًا يُجَنُّ جنونًا عندَ رُؤيتِهِ العقلُ(٨)
فكانَ الذى لولاهُ ما درتُ هائمًا أرودُ الفيافِى لا صديقٌ ولا خِلُّ(٩)

---

(١) العيوف بفتح العين : الشديد الأنفة . واليد : النعمة .

(٢) أتعتب : أغضب . (٣) المذهب : الطريقة .

(٤) الأحلام : العقول . وتشعب تتشعب : أى تختلف وتتفرّق .

(٥) حفافا الشيء : جانباه . والطرة : الناصية . يقول : انه اذا أشكل الأمر وتحيرت فيه العقول أناره برأى كالكوكب فى وضوحه وإشراقه .

(٦) يريد بزلة النعل : الوقوع فى شرك الحب .

(٧) الجمان : اللؤلؤ ، واحدتها جمانة . (٨) تكنفنه : أحطن به .

(٩) هام الرجل على وجهه فهو هائم : ذهب لايدرى أين يتوجه . وراد الأرض تفقد مافيها من المراعى والمياه ، والمراد هنا مجرد الجولان فى الفيافى وهى المفازات لا ماء فيها وواحدتها فيفاء .

(١٣) حفني بك ناصف (١)

قال يخاطب ناظر الحقانية وقد نقله إلى قنا :

رقّيتني حِسّا ومعنى ... فلصُنعك الشكرُ المثنّى
وجعلتَ رأسَ الحاسديـ ... ـنَ بمصرَ من قدمَيَّ أدنى
وجعلتَ سُدّةَ منزلي ... من أسقُفِ الهرمين أسنى
أسكنتني في بُقعةٍ ... فيها غدوتُ أعزّ شأنا
أرِدُ المشارعَ سابقًا ... والسَّبقُ عند الوِرْد أهنا
وأزورُ آثارَ المُلو ... كِ، وكنتُ قبلُ بها مُعنّى
بلدٌ إذا حلّت به ... قَدَماكَ قلتَ حَللتُ حِصْنا
جبلُ المقطم حَولَه ... مُتعطّفٌ كالنون حُسْنا
هيهاتَ أن يصل العدُ ... وُّ له ، ويُدرِكَ ما تمنّى

* * *

قالوا : شخصتَ إلى قنا ... يامرحباً "بقنا" و"إسنا" !
قالوا : سكنتَ السَّفحَ قلـ ... ـتُ وحبّذا بالسفح سُكنى
قالوا : قنا حَرٌّ، فقلـ ... ـتُ : وهل يردُّ الحُرّ قِنّا؟(٢)

---

(١) هو القاضي الفاضل والشاعر الكاتب الاستاذ محمد حفني ناصف ، ولد ببركة الحج من أعمال القليوبية ، ودرس بالأزهر ودار العلوم ، فخرج نابغة نابها ، شغل مناصب القضاء والتدريس بالمدارس والجامعة فكان مثال الفضل والبراعة وحسن الفكاهة وسرعة البديهة ، يمتاز أسلوبه بالجزالة في النثر والسهولة في الشعر . توفي سنة ١٩١٩ م .

(٢) القن : العبد الرقيق . وفاعل يرد يعود على (حرّ) بفتح الحاء . يقول وهل يصيّر حرّ قنا الرجل الحرّ عبدا رقيقا ؟

سِرُّ الحَيـاةِ حَـــرارةٌ لولاهُ ما طَـــيرٌ تغـــنَّى
كلَّا ! ولا زهرٌ تبسَّـ ـمَ، لا ولا غصـــنٌ تثنَّى !
تتـــدفَّق الأنهـــارُ من حرٍّ، وتُزجِى الريحُ مُزْنا !
ها قد أمِنتُ الـــبَرْد والـ ـبُرَداءَ، والقلبُ آطمأنَّا
ووُقيتُ أمراضَ الرُّطـــو بةِ، وآسترَاقَ الريحِ وَهْنَـا
ألقَى الهـــواءَ فـــلا أهـا بُ لِقـاءه : ظَهرا وبطنا
وأنامُ غـــيرَ مُـــدَّثرٍ شـيئًا إذا ما آلليـــلُ جَنّا
قـــد خَفّتِ النفقاتُ إذْ لا أشـتري صُــوفًا وقُطنا
ووفرتُ من ثَمنِ الوَقــو دِ النصْفَ أو نِصفًا وثُمنا
فالشـــمسُ تكفُل راحتِى، فكأنهـــا أُمّى وأخـــنَى
فإذا بَـــدتْ لى حاجةٌ فى الغُسل ألقِ المـاءَ سُخْنا
أو رُمت طبخًا أو عِلا جَ الخـــبزِ ألفِيِ الجَـــوَّ فُرنا
سكْنَى القُرى تدعُ السفيـ ـهَ مُوكَّلًا بالمـــال مُضنَى
أىُّ المـــلاهِى فيـــه يَصـ ـرِفُ مالَه ومـــتَى وأنَّى؟
كل آمرِئٍ تلقاه من بعـــدِ الظهـــيرة مُستَكِنّا
ويرى الغريبُ السِّعرَ أيْـ ـسَرَ حالةً، وأخَفَّ غَبْنـا
يجـــد الحليبَ بعينِه لبَنا، ويُلفِى السَـــمْنَ سَمنا
عِشْ فى القُرى رأسًا، ولا تسكُنْ مع الأذنابِ مُـدْنا

وآربأْ بنفسك أن ترى مستمرئًا فى العين جُبنا
ودع آلجزيرةَ والمَها والجسرَ والظّبيَ الأغنّا
وآسْلُ الأغانى والغوا نىَ ، وأسألِ آلرحمن عَدْنا !

ولما أشرف على الإحالة على المعاش ببلوغ الستين كتب الى المرحوم حسين رشدى باشا ، وكان يومئذ رئيسًا للوزارة ، يسأله أن يمدّ فى أجل خدمته ، فى مفاكهة غاية فى الظرف والرقة :

صَاحِبَ الدَّوْلَةِ يا شَيْخَ الوِزَارَهْ حَاجَتِي إنْ شِئْتَ تُقْضَى بإشَارَهْ
نَالَهَا قَبْلِي أُلُوفٌ لَمْ أَكُنْ دُونَهُمْ عِلْمًا وَلَا أَدْنَى إدَارَهْ
نَاهَزَ السِّتِّينَ عُمْرِي إنَّمَا لَمْ أَزَلْ جَمَّ القُوَى جَمَّ الجَدارَهْ[1]
وَإذَا لَمْ يَشْكُ مِثْلِي عِلَّةً هَلْ مِن الحِكْمَةِ أَنْ يلزَمَ دَارَهْ؟
إنَّ تَرْكِي خِدْمَةَ الأَوْطَانِ مَعْ طُولِ مَا مَارَسْتُ فِي الدُّنْيَا خَسَارَهْ
وَحَيَاتِي كُلُّهَا قَضَّيْتُهَا تَارَةً فِى العَدْلِ والتَّعْلِيمِ تَارَهْ[2]

وقال موجها الخطاب إلى صديقه الشاعر حافظ بك إبراهيم[3] رحمهما الله :

أتَذْكُرُ إذْ كُنَّا عَلَى القَبْرِ سِتَّةً نُعَدِّدُ آثَارَ الإمَامِ ونَنْدُبُ؟
وَقَفْنَا بِتَرْتِيبٍ وقَدْ دَبَّ بَيْنَنَا مَمَاتٌ على وَفْقِ الرِّثَاءِ مُرَتَّبُ :

(١) ناهز : قارب . والجم : الكثير . والجدارة : الأهلية والآستحقاق .

(٢) وان كانت نشأة الشاعر الأولى فى الأزهر ثم فى دار العلوم فقد ولى القضاء فى المحاكم الأهلية مدة ليست بالقصيرة .

(٣) كان الذين قاموا على تأبين المرحوم الشيخ محمد عبده ستة ، وصادف أن مات منهم أربعة متعاقبين على ترتيبهم فى التأبين . وكان حفنى خامسهم ، وآخرهم حافظ ابراهيم رحمة الله عليه .

أبُــو خَطْــوَةٍ وَلَّى وقفَّاهُ عَاصِمٌ ... وجَاءَ لِعبْــدِ الرَّازِقِ المَوْتُ يَطْلُبُ

فَلَبِّى ، وَغَابَتْ بَعْــدَهُ شَمْسُ قَاسِمٍ ... وَعَمَّــا قَلِيلٍ نَجْمُ مَحْيَاىَ يَغْــرُبُ (١)

فَلاَ تَخْشَ هُلْكًا مَا حَيِيتُ ، وإنْ أَمُتْ ... فَمَــا أَنْتَ إلَّا خَائِفٌ تَــتَرَقَّبُ

فَخَاطِرْ وَقَعْ تَحْتَ القِطَارِ وَلَا تَخَفْ ... وَنَمْ تَحْتَ بَيْتِ الوَقْفِ وهُوَ مُخَرَّبُ

وَخُضْ لُجَــجَ الهَيْجَاءِ أَعْزَلَ آمِنًــا ... فَإنَّ المَنَايَا مِنْــكَ تَجْــرِى وَتَهْــرُبُ

(١٤) اسماعيل صبرى باشا (٢)

قال :

إنْ سَئِمْتَ الحَيَاةَ فَارجِعْ إلَى الأَرْ ... ضِ تَنَمْ آمِنــا مِنَ الأَوْصَابِ (٣)

تِلْكَ أُمٌّ أَحْنَى عَلَيْكَ مِنَ الأُمِّ ... الَّــتِى خَلَّفَتْــكَ لِلأَتْعَابِ (٤)

لَا تَخَفْ ، فَالمَمَــاتُ لَيْسَ بِمَــاحٍ ... مِنْكَ إلَّا مَا تَشْــتَكِى مِنْ عَذَابِ

---

(١) هم على الترتيب فى البيتين المرحومون : الشيخ أحمد أبو خطوة ، وحسن باشا عاصم ، وحسن باشا عبد الرازق ، وقاسم بك أمين .

(٢) ولد إسماعيل باشا صبرى سنة ١٨٥٤ م وتعلم بالمبتديان والتجهيزية والادارة ، ثم أرسل الى فرنسا ، فدرس الحقوق هناك وشغل فى مصر مناصب القضاء يترقى فيها إلى أن صار وكيل الحقانية . وقد شغف بالأدب لذاته ، وكان لرقة طبعه وظهوره على الأدب الفرنسى أثر فى رقة شعره وحسن ابتكاره وجمال نقده . له أسلوب عذب وحسن بصيرة وجمال فنى ، مات سنة ١٩٢٣ م .

(٣) الأوصاب : جمع وصب بفتحتين ، المرض والوجع الدائم . ورجوعه إلى الأرض ؛ لأنه خلق من ترابها .

(٤) أحنى : أعطف وأرفق . والأتعاب : جمع تعب .

كُل مَيْت بَاقٍ، وَإنْ خَالَفَ العُنْ ... وَانُ مَا نُصَّ فِي غُضُونِ الكِتَابِ (١)
وَحَيَاةُ المَـرْءِ اغْتِرَابٌ فَإِنْ مَا ... تَ فَقَــدْ عَادَ سَالِمًا للــتُّرَابِ (٢)

وقال يناجي الدواة :

يَا دَوَاةُ اجْعَـلِي مِدَادَكِ وِرْدًا ... لِوُفُودِ الأَقْلَامِ حِينًا فَحِينَا (٣)
وَلْيَكُنْ كَالزَّمَانِ حَالًا وَحَالًا ... تَارَةً آسِــنًا وَأُخْرَى مَعِينَا (٤)
أَكْرِمِي العِلْمَ وَامْنَحِي خَادِمِيهِ ... مَاءَكِ الغَـالِيَ النَّفِيسَ الثَّمِينَا
وَابْذُلِي الصَّـافِيَ المُطَهَّرَ مِنْـهُ ... لِهُـــدَاةِ السَّرَائِرِ المُرْشِدِينَـا
وَإِذَا الظُّـلْمُ وَالظَّلَامُ اسْـتَعَانَا ... يَوْمَ نَحْسٍ بِأَجْهَــلِ الجَاهِلِينَا
وَاسْتَمَدَّا مِنَ الشُّرُورِ مِـدَادًا ... فَاجْعَلِيهِ مِنْ قِسْمَةِ الظَّالِمِينَـا

* * *

وَإِذَا مُهْجَةُ الحَمَـائِمِ أَسْـدَتْ ... نُقْطَـةً سِرُّهَا الزَّكِيُّ المَصُونَا (٥)
فَاجْعَلِيهَا عَلَى المَوَدَّاتِ وَقْفًـا ... وَهَبِيهَـا رَسَائِــلَ الشَّيِّقِينَـا (٦)

---

(١) في غضون الكتاب : في أثنائه . هذا البيت بمثابة التدليل على البيت الذي قبله ؛ فانه قرر في ذلك البيت أن الموت لا يمحو من الانسان شيئا ، اللهم إلا آلامه وأوجاعه . وفي هذا البيت يقول : إن كل ميت هو في الواقع حي ، وإن كان الموت معروفا بأنه عدم الحياة ؛ وذلك كشأن العنوان إذا خالف في الواقع ما نص عليه في صلب الكتاب .

(٢) هذا البيت جار مجرى البيت الذي قبله ، وهو من أفخر الشعر وأروعه .

(٣) الورد بكسر الواو : الماء الذي يورد . (٤) الآسن : الراكد المتغير ـ والمعين بفتح الميم : الماء الجاري . يطلب الى المداد أن تكون حاله كحال الزمان في سعده ونحسه ، وفي صفوه وكدره .

(٥) المهجة : دم القلب . والحمائم : جمع حمامة . وأسدت هنا بمعنى استودعت . وذلك لأن الحمام معروف بالوداعة واللطف وطهر القلب .

(٦) المودات بفتح الميم والواو وتشديد الدال : جمع مودّة . الشيقين : المشتاقين .

فَاذَا لَمْ يَكُنْ بِقَلْبِكَ إِلَّا ... مَا أَعَدَّ الإِخْلَاصُ لِلْمُخْلِصِينَا
فاجعليه حَظِّى لِأَكْتُبَ مِنْهُ ... شَرْحَ حَالِى لِسَيِّدِ الْمُرْسَلِينَا (١)

وقال رحمه الله :

يَا مَوْتُ خُذْ مَا أَبْقَت الْـ ... ـأَيَّامُ وَالسَّاعَاتُ مِنِّى
بَيْنِى وَبَيْنَكَ خَطْوَةٌ ... إِنْ تَخْطُهَا فَرَّجْتَ عَنِّى

وقال :

وَلَمَّا الْتَقَيْنَا قَرَّبَ الشَّوْقُ جُهْدَهُ ... شَجِيَّيْنِ فَاضَا لَوْعَةً وَعِتَابَا (٢)
كَأَنَّ صَدِيقًا فِي خِلَالِ صَدِيقِهِ ... تَسَرَّبَ أَثْنَاءَ العِنَاقِ وَغَابَا

وقال فى ساعة التوديع :

أَتُرَى أَنْتَ خَاذِلِى سَاعَةَ التَّوْ ... دِيعِ يَا قَلْبُ فِي غَدٍ أَمْ نَصِيرِى ؟
وَيْكَ ! قُلْ لِى، مَتَى أَرَاكَ بِجَنْبِى ... رَاضِيًا عَنْ مَكَانِكَ الْمَهْجُورِ ؟
لَسْتَ بَعْضَ الحُدَاةِ بل أنتَ بَعْضِى ... قِفْ قَلِيلًا ؛ فَلَسْتَ بِالْمَأْجُورِ (٣)
سَاعَةَ الْبَيْنِ قِطْعَةٌ أَنْتِ قُدَّتْ ... لِلْمُحِبِّينَ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ؟ (٤)
لَا تَحِينِى ! رُوحِى الفِدَاءُ لِمَا حِيـ ... ـنَكِ غَدًا مِنْ صَحِيفَةِ الْمَقْدُورِ (٥)

---

(١) حظى : نصيبى .

(٢) اللوعة : حرقة الوجد .

(٣) الحداة بضم الحاء جمع حاد : الذى يسوق الإبل و يغنى لها . يريد من قلبه أن يثبت فى مكانه الذى هجره ليسير فى ركاب الأحبة و يغنيهم ، وذلك كناية عن دوام خفقانه . وهو من المبالغات البديعة .

(٤) البين : البعد والفراق . وقدت : قطعت .

(٥) حان الشىء يحين : قرب وقته .

وقال يتغــزل :

أَبُثُّــكِ مَابِي فَإِنْ تَــرْحَمِي رَحِمتِ أَخَا لَوْعَــةٍ مَاتَ حُبًّا (١)
وَأَشْكُو النَّــوَى مَا أَمَرَّ النَّــوَى عَلَى هَائِمٍ إِنْ دَعَا الشَّــوْقُ لَبَّــا (٢)
وَأَخْشَى عَلَيْــكِ هُبُوبَ النَّسِـ ـيمِ وإِنْ هُوَ مِنْ جَانِبِ الرَّوْضِ هَبَّا
وَاسْــتَغْفِرُ اللهَ مِنْ بُرْهَـــةٍ مِنَ العُمْــرِ لَمْ تَلْقَنِي فِيـكِ صَبًّا (٣)
تَعَالَىْ نُجَــدِّدْ زَمَانَ الْهَنَـاءِ وَنَنْهَبْ لَيَالِيَــهُ الغُــرَّ نَهْبَــا (٤)
تَعَالَىْ أُذُقْ بِكِ طَعْمَ السَّــلَامِ وَحَسْبِي وَحَسْبُكِ مَا كَانَ حَرْبَا (٥)

وقال يتغــزل :

يَا رَاحَةَ القَلْبِ يَا شُغْلَ الفُؤَادِ صِلِي مُتَيَّمًا أَنْتِ فِي الحَالَيْــنِ دُنْيَــاهُ (٦)
زِينِي النَّدِيَّ وَسِيلِي فِي جَوَانِبِــهِ لُطْفًا يَعُـــمُّ رَعَايَا اللُّطْفِ رَيَّاهُ (٧)
رَيْحَانَةٌ أَنْتِ فِي صَحْــرَاءَ مُجْدِبَةٍ مِنَ الرَّيَاحِينِ حَيَّانَا بِهَــا اللهُ
إِنْ غَابَ سَاقِي الطِّلَا أَوْ صَدَّ لَا حَرَجٌ هَـــذَا جَمَـالُكِ يُغْنِينَا مُحَيَّـاهُ (٨)

(١) اللوعة : حرقة الحزن والهوى . وأخوها : صاحبها .

(٢) النوى : البعد والفرقة . والهائم : العاشق . ولبى : أجاب . ودعا : دعاه .

(٣) البرهة : بضم الباء وفتحها القطعــة من الزمن . وهو يريد بها هنا القطعة القصيرة . والصب : العاشق الشديد العشق . (٤) الغر : الحسان .

(٥) السلام : ضد الحرب . ويريد بالسلام القرب والتواصل ، وبالحرب البعد والتنافر . وهــذا شبيه بقول العباس بن الأحنف :

تعالى نجدد دارس العهد بيننا كلانا على طول الجفاء ملوم

(٦) المتيم : الذى استذله الحب . وفى الحالين : أى فى حالى الوصل والهجر .

(٧) الندى : بتشديد الياء الندى . والريا بفتح الراء وتشديد الياء : الريح الطيبة الزكية .

(٨) الطلا بكسر الطاء : الخمر . والمحيا بضم الميم وتشديد الياء المفتوحة : الوجه .

ومن قوله فى التصوف :

يَا رَبِّ أَيْنَ تُرَى تُقَامُ جَهَنَّمُ ... لِلظَّالِمِينَ غَـدًا وَلِلْفُجَّارِ
لَمْ يُبْقِ عَفْوُكَ فى السَّمَوَاتِ الْعُلَى ... وَالأَرْضِ شِـبْرًا خَالِيًا لِلنَّـارِ
يَا رَبِّ أَهِّلْنِى لِفَضْـلِكَ وَاكْفِنِى ... شَطَطَ الْعُقُولِ وَفِتْنَـةَ الأَفْكَارِ
وَمُرِ الْوُجُودَ يَشِفُّ عَنْكَ لِكَىْ أَرَى ... غَضَبَ اللَّطِيفِ وَرَحْمَـةَ الْجَبَّارِ (١)
يَا عَالِمَ الأَسْرَارِ حَسْـبِى مِحْنَـةً ... عِلْمِى بِأَنَّكَ عَالِمُ الأَسْـرَارِ (٢)
أَخْلِقْ بِرَحْمَتِـكَ الَّتِى تَسَعُ الْوَرَى ... أَلَّا تَضِـيقَ بِأَعْظَمِ الأَوْزَارِ (٣)

وقال متغزلا :

أَقْصِرْ فُؤَادِى فَمَا الذِّكْرَى بِنَافِعَـةٍ ... وَلَا بِشَافِعَـةٍ فِى رَدِّ مَا كَانَا (٤)
سَـلَا الْفُـؤَادُ الَّذِى شَاطَرْتَهُ زَمَنًا ... حَمْـلَ الصَّبَابَةِ فَاخْفِقْ وَحْدَكَ الآنَا (٥)
هَلَّا أَخَذْتَ لِهَـذَا الْيَوْمِ أُهْبَتَـهُ ... مِنْ قَبْلِ أَنْ تُصْبِحَ الأَشْوَاقُ أَشْجَانَا؟ (٦)
لَهْفِى عَلَيْـكَ قَضَيْتَ الْعُمْرَ مُقْتَحِمًا ... فِى الْوَصْـلِ نَارًا وَفِى الْهِجْرَانِ نِـيرَانَا

---

(١) شف الشيء يشف من باب ضرب : رق فظهر ماوراءه .

(٢) المحنة : البلية والمصيبة . يقول : يكفينى تجربة و بلاء علمى بأنك تعلم السر وما يخفى لانك إذن مطلع على آثامى وأوزارى .

(٣) أخلق به أن يفعل كذا ، أى ما أحقه بفعله .

(٤) أقصر : كف وأقلع .

(٥) يريد بالفؤاد فؤاد التى كانت تبادله الحب . والصبابة بفتح الصاد : العشق .

(٦) الأهبة بضم الهمزة وسكون الهاء العدة . تقول : اتخذت للأمر أهبته أى هيأت له أسبابه . والأشجان الهموم والأحزان ، واحدها شجن . يقول : هلا حسبت حساب هذا اليوم يوم القطيعة والهجران فأعددت له عدته قبل أن تندفع فى تيار العشق ، فلا ينقلب ما كنت تجده من الشوق هموما وأحزانا بما تعانى من القطيعة .

(١٥) ولى الدين يكن[١]

ويلٌ للنَّاسِ مِنَ النَّاسِ

يُرِيدُ النَّاسُ فِي الدُّنْيَا هَنَاءً ... وَيَأْبَى أَنْ يَجُودَ بِهِ الزَّمَانُ
حَيَاةٌ حَارَبَتْهُمْ مُنْذُ كَانَتْ ... وَحَظٌّ حَارَبُوهُ مُنْذُ كَانُوا
وَآمَالٌ تَغُرُّهُمُ عِجَافٌ ... وَأَحْدَاثٌ تُكَذِّبُهَا سِمَانُ
وَكَمْ مِنْ مُسْتَنِيلٍ لَيْسَ يُعْطَى ... وَكَمْ مِنْ مُسْتَعِينٍ لَا يُعَانُ
تَكَاثَرَتِ الْهُمُومُ فَلَا يَرَاعٌ ... يُوَفِّيهَا الشِّكَاةَ وَلَا لِسَانُ
أَمَانًا أَيُّهَا الْخَصْمُ الْمُعَادِي ... إِذَا دَانَ الْعِدَا وَجَبَ الْأَمَانُ
أَإِنْ رَغِبُوا إِلَيْكَ رَغِبْتَ عَنْهُمْ ... لَقَدْ هَانَتْ رَغَائِبُهُمْ وَهَانُوا
يُمَنِّي النَّاسُ بَعْضَهُمْ بِخَيْرٍ ... أَلَا كَذَبُوا عَلَى بَعْضٍ وَمَانُوا
وَدَاعٍ جَاءَ يَدْعُونِي لِنُصْحٍ ... وَقَدْ وَهَنَ النُّهَى وَوَهَى الْبَنَانُ
تَعِبْتُ مِنَ الْكَلَامِ فَلَيْسَ يُجْدِي ... — كَمَا أَمَّلْتُ — نَظْمٌ أَوْ بَيَانُ
وَكَانَتْ صَبْوَةٌ وَنَزَعْتُ عَنْهَا ... فَهَا أَنَا لَا أَدِينُ وَلَا أُدَانُ
وَمَا أَسَفِي عَلَى عَهْدٍ تَقَضَّى ... وَلَكِنْ صُنْتُ عَهْدًا لَا يُصَانُ
ظَلِلْتُ أَمِينَهُ دَهْرًا طَوِيلًا ... وَكُنْتُ أَظُنُّ أَنِّي لَا أُخَانُ

---

(١) ولى الدين بن حسن سرى بن ابراهيم باشا يكن ، ولد بالآستانة وجاء القاهرة طفلا وتعلم بها ومال الى الأدب واشتهر به ، ثم سافر الى الآستانة وعين عضوا فى مجلس معارفها ، ثم نفاه السلطان عبد الحميد الى ولاية سيواس ، وبعد اعلان الدستور عاد الى مصر وأخذ ينشر كتبه ومقالاته . وله شعر رقيق وكتابة جيدة . مات سنة ١٣٣٩

* * *

وَدَارٍ لا يَزُولُ الْقَتْـــلُ عَنْهَـا كَأَنَّ الحَـــرْبَ فِيهَا مِهْرَجَانُ
أَهَابَ بِهَـا اليَرَاعُ فلم تُجِبْـهُ ونَادَاهَا بِخَـاوَبَتِ السِّــنَانُ
تَظَلُّ بِهَـا السَّوَاعِدُ عَامِلَاتٍ يُصَرِّفُهَا ضِرَابٌ أَوْ طِعَانُ
بَكَتْ عَيْنِي الشَّبَابَ وحِينَ جَفَّتْ مَدَامِعُهَا غَـدَا يَبْكِي الجَنَانُ
لَعَمْرُكَ مَا لِذِي نُصْـحٍ مَكَانٌ وَلَا لِلنُّصْحِ فِي الدُّنْيَـا مَكَانُ
فَدَعْنِي إِنَّ آمَالِي اسْتَكَفَّتْ فَلِي شَانٌ وَلِلْآمَالِ شَانُ

معــارضـــته قصـــيدة الحصـــرى

" يا ليل الصَّب مَتَى غَدُهُ "

الحُسْنُ مَكَانُكَ مَعْبَدُهُ وَاللَّحْظُ فُؤَادِي مَعْمَـدُهُ
يَا سَـيِّدَتِي هـذَا حُرٌّ لَمْ يَعْـرِفْ قَبْلَكِ سَيِّدَهُ
اللَّيْـلُ وَطَيْفُكِ يَعْـرِفُهُ إِنْ كَانَ فُؤَادُكِ يَجْـحَدُهُ
كَمْ يُوحِي طَرْفُكِ لِي غَزَلًا وَأَنَا فِي شِـعْرِي أُنْشِـدُهُ
وتُسَاجِلُنِي الْأَطْيَارُ هَوًى فِي الدَّوْحِ أَبِيتُ أُرَدِّدُهُ
لِلصُّبْحِ سَـنَاؤُكِ أَبْيَضُهُ لِلَّيْـلِ غَرَامِي أَسْـوَدُهُ
أَحْبَبْتُ قِلَاكِ فَمُطْلَقُـهُ عِنْـدِي عَذْبٌ وَمُقَيَّـدُهُ
إِنْ ضَلَّ حَنَانُكِ عن قَلْبِي فَأَنَا بِـوُلُوعِي أُرْشِــدُهُ
قَدْ بَاتَ دَلَالُكِ يَخْـذُلُهُ وجَمَـالُكِ كَانَ يُـؤَيِّدُهُ
زِيـدِي تِيهاً أَزْدَدْ كَلَفًـا كَلَفِي إِنْ رَثَّ أُجَـدِّدُهُ

(شوقى) إن بِنتَ يُضاعِفه (صبرى) ان جُرتَ يؤكِّده
خِلّانِ هُمَا شَمْسَا فَلَكٍ طَرْفى مَعَ طَرْفِكَ يَرصُدُه
فِصِلِي بِاللهِ ولو حُلُمًا (مُضْنَاكَ جَفَاهُ مَرْقَدُه)
وعِدِيهِ اليَوْمَ وَلَوْ كَذِبًا الصَّبُّ يُمَاطِلُه غَدُه

(١٦) الشيخ محمد عبد المطلب (١)

قال فى وصف القلم :

إذا اهْتزّ فى طِرْسِه مُعجَبًا أذلّ شُعوبًا وأعلَى شُعوبًا (٢)
فَيَسْعد قَوْمٌ به تارَةً وقوم به يَصْطلون الخُطوبا (٣)
وطورًا تراه يفُضّ الجموع وطورًا تراه يُشير الحروبا
وطورًا تراه آمرًا زاهيًا وطورًا تراه حزينًا كئيبا
وطورًا ينادى الورَى سائلا وطورًا يَرُدّ عليهم مُجيبا
تَسير الملوكُ على أمْرِه ولولاه ما كان مَلْكٌ مَهيبا
وتَجرِى العلومُ على سِنّه فيُملِى على كلّ قلبٍ نَصيبا

(١) هو الشاعر الأديب الشيخ محمد بن عبد المطلب . ولد ببلدة باصونة من أعمال مديرية جرجا ، وحفظ فيها القرآن . ثم طلب العلم فى الأزهر ثم فى دار العلوم ، حتى إذا نال إجازتها قام بالتدريس فى المدارس الأميرية ، ثم تولى التدريس بمدرسة القضاء الشرعى ثم تحولت به الأحوال فاختير مدرّسا فى دار العلوم ، وظل فيها حتى أحيل الى المعاش ولم يلبث إلا قليلا حتى وافاه أجله المحتوم . وهو شاعر جزل اللفظ ، فخم النظم ، يتأثر فى قريضه شعر الجاهليين وشعراء الصدر الأول فى الإسلام ، توفى سنة ١٩٣١ م .
وهذه المختارات والتعليق عليها من ديوانه المطبوع الذى وقف على ضبطه وشرحه الأستاذان إبراهيم الإبيارى وعبد الحفيظ شلبى بالقسم الأدبى بدار الكتب المصرية .

(٢) الطرس : الصحيفة . (٣) يصطلون الخطوب : يحترقون بصلاها .

وله من قصيدة فى تكريم شوقى بك :

تأوّبنى والليــلُ بالصبح مُزعِجُ ... خيالٌ له فى حِنْدِس الهمّ مَنْهَجُ(١)
يُكلِّف جَفْنىَّ الغِرارَ لعلّه ... إلى النفس فى طَىِّ الكَرى يتدرّج(٢)
وما شَغلتْ عينى عن النوم صَبْوةٌ ... بها شاقنى طَرْفٌ من العِين أبرج(٣)
ولا بات يُغرينى بمَعْسولة اللَّمَى ... إذا ابتسمتْ، ذاك الجُمان المُفَلَّج(٤)
ولا ذَرَفتْ عينى لرَكْب يشوقنى ... غَداةَ النَّوى، فيه خِباءٌ وهَوْدَج
لَوَيْتُ زِمامَ النَّفس عن سَنَن الهوى ... وخلّيتُ أتراب [الهوى](٥) حيث عرّجوا
ورُحتُ إلى ما يبتنى المجدَ للفتى ... وأدلجتُ فى ركب العلا يومَ أدلجوا(٦)
وما المجدُ إلا حيثُ حلّت رِباعُنا ... له فى نواحيها ظِلالٌ وسَجْسَج(٧)
إذا أجدبت أحسابُ قوم سَما بنا ... على الناس جَيّاشُ الغَوارب مُرْتَج(٨)
لنا الباذخات الشُّمّ تعلو قِلالُها ... على كلّ ما شادَ الأنام وبرّجوا(٩)

(١) تأوبه : أتاه ليلا . والحندس : السواد والظلمة . والمنهج (كمقعد ومنبر) : الطريق الواضح .

(٢) الغرار : النوم القليل .

(٣) العين : البقر الوحشية وتشبه بها الحسان فى جمال العيون . والطرف الأبرج : الذى يكون بياضه محدقا بالسواد كله لا يغيب من سواده شىء .

(٤) اللمى (بالتثليث) : سمرة فى باطن الشفة . والجمان : اللؤلؤ . والمفلج غير المتلاحم ، يريد بها الأسنان .

(٥) زيادة يفقدها الأصل المخطوط . (٦) الإدلاج : السير فى الليل .

(٧) الرباع : الدور ، جمع ربع . والسجسج : اعتدال الجو ورقته ، يقال : يوم سجسج إذا لم يكن فيه حر مؤذ ولا قر ، وكذلك الليل .

(٨) الجياش : المضطرب . والغوارب : الأمواج المرتفعة . والمرتج من البحار : الهائج الذى يغمر كل شىء . (٩) القلال : القمم . وبرج : بنى برجا .

سَـلوا الدهرَ عنّا فى القديم فإنما بأسلافنا يَذْكو قديمًا ويأْرَجُ[١]
لهم فى نواحى كلّ جيلٍ مناقبٌ تَجِدُّ إذا أهلُ المناقب أنْهَجوا[٢]
إذا عَرَضُ الدنيا بنَى مَجْد معْشَرٍ زَهاهم من الدنيا رُواءٌ وبَهْرَج[٣]
فشادوا على زَيْف المظاهر قوّةً يَصول بها سيْفٌ من الغَىّ أهْوج
رَفَعنا منارَ الحقّ فى مَدَنيَّة سَنا الحقّ مِنْ آفاقها يَتَبلَّج
لها فَلَقٌ مِنْ جانب الشّرق واضحٌ على الغَرْب يَعْلو نُورُه المُتَوهِّج[٤]
حياةً وَرِثْناها بيانًا مُفَصَّلًا بها يُفْلَق الذِّكْرُ الحكيم ويُفْلَج[٥]
فنَحْن إذا الأقلامُ جالتْ جِيادُها أُولو السَّبْق نَجرى حيثُ شِئْنا ونُهْمِج[٦]

وقال يجاوب شوقى بك على قصيدته التى مطلعها : "اختلاف النهار والليل يُنسى" والتى قالها فى مَنْفاه :

مَالَهُ فى الحَنين يُضْحى ويُمْسى شَفَّه البرقُ لاح من «عَيْنِ شَمْس» [٧]
وٱستخفّت به الصِّبا فتناسَى عَهْدَه فى الوقار، والشوقُ يُنْسى [٨]

(١) أرج الطيب يأرج (من باب علم) : فاحت رائحته .

(٢) جد يجد (من باب ضرب) : صار جديدا . وأنهج ثوبه : أبلاه . يريد أن هذه المناقب تبق جديدة على مر الأيام بينما تبلى مناقب غيرهم .

(٣) زهاهم : استخفهم .

(٤) الفلق : الصبح .

(٥) يقال : فلق الله الصبح أى شقه بكشف الظلام عنه . والذكر الحكيم : القرآن . وفلقه : إيضاح مفرداته وكشف الغطاء عن معانيه ، وكذلك فلجه .

(٦) أهمج : جد فى السير .

(٧) شفه : أضناه .

(٨) الصبا : الشوق .

حنّ فى شَجْـوه إلى جَبَل الطَّيْـ ـر حَنينى إلى الغُـوَيْر وجَلْس (١)
ذَكَر العُـرْب بالوَليـــد فأنسا ه بما صاغ ذِكْرَ هُوجو وشَكْسى (٢)
وبكى المكسَ إذ تذكّر ما سِيـ ـمَ بنو مصرَ من هَوانٍ ومَكْس (٣)
ويْحَــه كلّما تذكّر مصرًا مسّـــه الوَجْدُ نحوَ مِصرٍ بِمَسّ (٤)
لا تلُمْ ويْحكَ الغريبَ على الدَّمْـ ـع ففى الدمع لِلغَـريب تأسِّى
وابنُ مصرٍ إذا الأُصولُ تلاقتْ يَدُّ أهـلَ العُـلا إلى خيرِ إِرْس (٥)
بَــلَدٌ نازِحٌ ودارٌ طَــروح بعـدَ مَيْـلٍ من الزمان وبأس (٦)
شاعرَ النيل، هل أتاك حديثُ الـ ـنّيل والدهرُ ذو سُـعودٍ ونَحْس
ظـامئٌ لَوْ علمتَـه وهو رِىُّ الـ ـنّاس عارٍ أديمُــه وهو يَكْسى

وله من قصيدة قالها فى جمعية المواساة :

أسألتَ باكيـــةَ الدياجى مالَهـا أرِقتْ فأرّقت النجومَ حِيـالَهـا
باتت تُكَفْكِف بالوَقار مَدامعًـا غَلَبَ الأسى عَبَراتِهـا فأسالَهـا
تَطْــوى على الآلامِ مُهجةَ صابرٍ قَطَع الزمانُ بِرَيبِــه آمالهـا
فالنجمُ يَخفِقُ عن فؤادٍ كريمةٍ رَحِم السحابُ جفونَها فبكى لهـا

(١) جبل الطير : جبل بصعيد مصر قرب أنْصِنا (مدينة أزلية من ضواحى الصعيد) فى شرق النيل . وجلس : كل ما ارتفع من الغور فى بلاد نجد . والغوير : تصغير الغور وهو ما انخفض ، يريد بهما بلاد العرب حيث موطن آبائه السابقين . وقد لا تخلو قصيدة له رحمه الله من الإشارة إلى موطنه الأوّل .

(٢) الوليد : يريد به البحترى الوليد بن عبيد بن يحيى الشاعر المعروف بالإجادة والجزالة والرقة . وهوجو : هوفكتور هوجو الشاعر الفرنسى . وشكسى : يريد شكسبير الشاعر الإنجليزى .

(٣) المكس : من ضواحى الإسكندرية . ومكس : ظلم . (٤) مس : جنون .

(٥) الإرس : الأصل . (٦) النازح : البعيد ، وكذلك الطروح .

تبكى إذ انقطع الأنيس لصبية يتضوّرون يمينها وشمالها
من كلّ ناعمة الحياة ومترف وَرَد الحياة مَعينَها وزُلالَها
يشكو الطّوى فتفيض مهجة أمّه شفقًا عليه وليس يدرى حالَها
ولأخته عين تحدّث أمّها وحيًا وقد حبس الحياء مقالها
كَلِب الشتاءُ بجسمها فتعطّفت تطوى على خاوى الحشا أوصالها (١)
حتى إذا رقد الأسى بجفونها وهفا النعاس برأسها فأمالها
جَلَب الطّوى أحشاءها فتفزّعت حيرى تعانى سُهدَها ومَلالها
ياليت شعرى هل يُقيل عثارها دهرٌ تولّى حربها ونكالها
منذا يجير على الليالى أسرةً خطف المنون غياثها وثمالها (٢)
أم مَنْ يمدّ يدًا لنصر مصونة بذل الزمانُ قناعها فأذالها (٣)
قذف الصباحُ بها سبيلَ بنى الندى لتُجير من غَوْل الخطوب عيالها (٤)
ويتيمة شهد الزمانُ بيتمها فى الحسن لم تلد الحسانُ مثالها
خرجت من الإسكندرية غدوةً تُزجى إلى أكناف مصر رحالها (٥)
حتى إذا وقف القطار بها على باب الحديد تلفّتت أشمالها
وسمعت تقلّب مُقلةً محزونةً فى الذاهبين يمينها وشمالها

(١) كلب به : اشتد .

(٢) الثمال : الغياث الذى يقوم بأمر قومه .

(٣) أذالها : أهانها .

(٤) الغول : المشقة والإهلاك .

(٥) تزجى : تسوق .

تُقتاد فى الطرقات فانيةَ القُوى ... محنيَّــةً صَبغَ المَشيب قذالَهـا (١)
عَمِى النَّهــارُ عليهِـــما فكأنه ... ظُلَمٌ تَمُــدّ على الطريق سِدالَهـا
لـــولا فــتًى جَمُّ المروءةِ أقبلتْ ... تشكـــو إليــه عِثارَها فأقالَهـا
مِنْ مَعْشرٍ عقَـــدوا ضمائرَهم على ... حُبِّ المروءة يخطُبون جَمالَهـا
مَدُّوا لنَجْدتِهـا أَكُفًّا أَرْخَصتْ ... فى سَوْم غاليــةِ المحَـامدِ مالَهـا

(١٧) حافظ ابراهيم (٢)

قال رحمه الله، يصف القطار الحديدى، من قصيدة له :

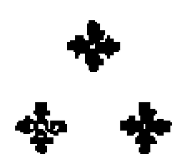
صَفْحةُ البَرقِ أَومَضتْ فى الغَمَامِ؟ ... أَمْ شِهَابٌ يَشُقُّ جَوْفَ الظَّلامِ
أَمْ سَليلُ البُخَارِ طَارَ إلى القَصْــ ... ــدِ فأَعْيَا سَــوَابِقَ الأَوهَامِ! (٣)

(١) القذال : جماع مؤخر الرأس، وقيل ما بين نقرة القفا إلى الأذن .

(٢) هو الشاعر الناثر الأديب محمـد حافظ بك إبراهيم، ويلقب بشاعر النيل . ولد فى ديروط من أعمال مديرية أسيوط ونشأ بالقاهرة، وفيها جاز التعليم الابتدائى وطرفا من الثانوى . ثم تحول إلى المدرسة الحربية، وخرج منها برتبة (الملازم الثانى) . وأشخص الى السودان، فظل هناك دهرا، ثم حول إلى البوليس فى ريف مصر، ثم أعيد إلى الجيش . ثم خرج إلى (الاستيداع) . ثم أحيـل الى التقاعد وهو فى رتبة اليوزباشى . وبعـد بضع سنين عين رئيسا للقسم الأدبى فى دارالكتب المصرية، ثم وكيلا لهـا . وظل فى المنصب إلى أن خرج من الخدمة بحكم الستين، وكان ذلك قبـل وفاته ببضعة أشهر . وكان — رحمه الله — شاعرا فحلا من الطراز الأول : فخم اللفظ، متين الرصف، متلاحم النسـج، رصين القافية، مشرق الديباجة . كما كان خفيف الروح، حسن المفاكهة، حاضر البـديهة . وله ديوان شعر طبع منـه ثلاثة أجزاء . وكتاب ليالى سطيح . وترجم صدرا محمودا من كتاب (البؤساء) لفكتور هيجو . وشارك فى ترجمة كتاب (الموجز فى الاقتصاد السياسى) . وتوفى رحمه الله فى سنة ١٩٣٢ م .

(٣) السليل : الولد .

مرَّ كاللَّمح لم تكَدْ تقِفُ العَيْـ نُ على ظِـلِّ جِرمه المُترامى (١)
أو كشَرْخ الشَّباب لم يَدْرِ كاسِيـ ـه تولَّى فى يقْظَة أو منام! (٢)
لا يُبـالى السُّرَى إذا اعتكر اللَّيْـ ـلُ وخانت مواقعُ الأقدام (٣)
يقطَعُ البِيدَ والفَيافى وحيدًا لم تُضَعْضِعْهُ وَحْشَةُ الإظلام (٤)
ليس يَثْنيـه ما يُذيبُ دِماغ الضَّـبِّ يومَ الهجير بين الموامى (٥)
لا ولا يعتريه ما يُحرِسُ النَّا بِحَ فى الزَّمهرير بين الخيام
هائمًا كالظَّليم أزْعَجَهُ الصَّيْـ ـدُ ورَاعَتْهُ طائشاتُ السِّهام (٦)
فهو يشتدُّ فى النَّجاء ويهوى حيثُ ترمى بجانبيه المرامى (٧)



يا حديدًا ينسابُ فوق حديدٍ كانسياب الرَّقْطاء فوق الرَّغام (٨)
قد مسحتَ البلادَ شرْقًا وغربًا بِذراعَىْ مُشَمِّرٍ مِقْدام (٩)
بين جنبيك ما بجنبَىَّ لكنْ ما بجنبىَّ مُستديمُ الضِّرام (١٠)

(١) المترامى : المتتابع .
(٢) شرخ الشباب : أوّله .
(٣) السرى : سير عامة الليل . واعتكار الليل : اشتداد سواده .
(٤) البيد، جمع بيداء : الصحراء . والفيافى، جمع فيفاء : الصحراء لا ماء فيها .
(٥) الموامى، جمع موماة : الصحراء . و «دماغ الضب» يضرب به المثل فى احتمال الحر الشديد .
(٦) الظليم : ذكر النعام، يضرب به المثل فى شدة الجرى .
(٧) النجاء : السرعة .
(٨) الرقطاء : الحية . والرغام : التراب .
(٩) مسح البلاد : قاسها . والمشمر : المقدم على الأمر والمتهيئ له .
(١٠) الضرام : الاتقاد .

أَنْتَ لا تَعْرِفُ الغَـرَامَ وإن كُنْـ ـتَ تُرِينَـا زفيرَ أهـلِ الغَـرَامِ (١)
أَنْتَ لا تعرِفُ الحَنِينَ إلى الإِلْـ ـفِ فما هَذهِ الدُّمُوعُ الهَوَامِى؟ (٢)
أَنْتَ قَاسِى الفُؤَادِ جَلْدٌ على الأَيْـ ـنِ شَـديدُ القُوَى شديدُ العُرَامِ (٣)
لا تُبَالِى أَرُعْتَ بِالبَيْنِ أَحْـ ـبَاباً وأَسْرَفْتَ فى أَذَى المُسْتَهَامِ (٤)
أم جَمَعْتَ الأحْبَابَ فوقَ صَعيدٍ وخَلَطْتَ الأُسُـودَ بالآرَامِ (٥)

وقال يصف طيَّارة :

يَجْـرِى بِسَابِحَـةٍ تَشُـ ـقُّ سَبِيلَهَا شَقَّ الإِزارْ (٦)
وتَكادُ تَقْـدَح فى الأَثِـ ـيرِ فَيَسْتَحِيلُ إلى شرارْ (٧)
مِثل الشِّهَابِ انْقَضَّ فى آثَارِ عِفْـرِيتٍ وطَـارْ
فإذَا عَلَتْ فَكَدَعْوَةِ الْـ ـمُضْطَرِّ تَخْتَرِقُ السِّتَارْ
وإذَا هَوَتْ فَكَمَا هَوَتْ أُنْثَى العُقَابِ على الهَزَارْ (٨)

---

(١) الزفير : إخراج النفس مع مده ، ولا يكون الا من الهم والكرب .
(٢) الإلف : الأليف . والهوامى : المتدفقة .
(٣) الأين : التعب والإعياء . والعرام : الشراسة والأذى .
(٤) البين : البعد . والمستهام : الذى غاب عقله من الحب أو غيره .
(٥) الصعيد : التراب ، ويريد به هنا الأرض . والآرام ، جمع رئم : الظبى الخالص البياض .
(٦) السابحة : يريد بها الطائرة تشبيها لها بالمركب تسبح فى الماء .
(٧) الأثير فى عرف علماء الطبيعة : مادة لا تقع تحت الوزن ، تتخلل الأجسام ، ويكون امتداد الصوت والحرارة بوساطة تموجاتها .
(٨) العقاب (بضم العين) : طائر من الجوارح قوى المخالب ، والقوة فيه للأنثى ، وجمعه عقبان (بكسر العين) . والهزار (بفتح الهاء) : طائر كالحمامة ، حسن التغريد .

وتُسِـــفُّ آونَـــةً وآ ... ونَةً يَحِيـــدُ بها آزوِرَارْ (١)
فَيَخَالُهـا الرَّاءُون قَـــدْ ... قَرَّت وليْسَ بِهَا قَــرارْ
لَعِبَ الجَـوَادِ أقَـــلَّ لَيْـ ... ـثاً من قُضَـاعَةَ أَوْ نِزَارْ (٢)
أو كَالقَلُوبِ من الحَمَـا ... ئِمِ فَوقَ مَلْعَبِـــهِ آسْتَطَارْ (٣)
وكأنَّهـا فى الأُفْـــقِ حِيـ ... ـنَ يَمِيـلُ مِيزَانُ النَّهَـارْ (٤)
والشَّمْسُ تُلْقِي فَوْقَهَـا ... حُلَلَ آصْـفِرَارٍ وآحْمِـرارْ
مَلَكٌ تُمَثِّـــلُهُ لنـا الـــسِّــيَما فيأخُـــذُنا آنبهـارْ (٥)

وقال فى (دولة السيف والمدفع) :

يَا دَوْلَةَ القَوَاضِبِ الصِّقالِ ... وَصَــوْلَةَ الذَّوَابِلِ الطِّـوَالِ (٦)
كَمْ شِدْتِ بينَ الأَعْصُرِ الخَوَالِي ... مَمَالِكًا عَزِيزَةَ المَنَالِ
قَامَتْ بِحَدِّ الأَبْيَضِ الفَصَّالِ ... وَسِنِّ ذاكَ الأَسْمَرِ العَسَّالِ (٧)
رَاحَتْ بِهـا الأَيَّامُ واللَّيَالِي ... وخَلَفَتْـها دَوْلَةُ الجَــلالِ

---

(١) أسفّ الطائر (بفتح السين وتشديد الفاء) : دنا من الأرض فى طيرانه . وازورّ (بفتح الواو وتشديد الراء) ازورارا : انحرف وحاد .

(٢) قضاعة ونزار : شعبان عظيمان من شعوب العرب . يشبّه الطيارة فى تجوالها وترجحها فى الجو بجواد يركبه فارس من فرسان العرب .

(٣) القلوب بفتح القاف : الكثير التقلب .

(٤) يقال : مال ميزان النهار إذا تجاوز الظهر .

(٥) الانبهار هنا : شدة العجب .

(٦) الذوابل جمع ذابل : وهو الرمح .

(٧) الأبيض الفصال : السيف الماضى . والأسمر : الرمح . والعسال : الشديد الاهتزاز .

مُمَلَّكَةُ المدفعِ ذاتُ الخَالِ قامَتْ بحَوْلِ النَّارِ والزِّلزالِ (١)
فَأَرْهَبَتْ أفئــدَةَ الأَبْطالِ أَرْهَبَها مُزَعْزِعُ الجِبَالِ
ومُفْزِعُ الليــوثِ فى الدِّحَالِ وَقَاطِــعُ الآجَالِ والآمالِ (٢)
وَخَاطِفُ الأَرْواحِ مِن أَمْيالِ يَثُورُ كالبُركَانِ فى النِّزَالِ
فَيُتْبِعُ الأَهْـوَالَ بالأَهْـوالِ ويُرسِـلُ النَّارَ على التَّـوَالِي
فَيَحطِـمُ الهـامَ ولا يُبـالِي ما كَوْكَبُ الرَّجْمِ هَوَى من عالى (٣)
فَمَـرَّ كَالفِكْرِ سَرَى بِالبَالِ على عَنِيــدٍ مَارِدٍ محتـالِ
مُسْــتَرِقٍ للسَّمْعِ فى ضَــلَالِ من عَالَمِ التسبيحِ والإهـلالِ (٤)
أَمْضَى وأنكَى منــه فى القِتَالِ إذا سَــرَتْ قُنبُــلَةُ الوبَالِ
من فَمِهِ المَحْشُــوِّ بالنَّكالِ يُنْــذِرُهُمْ فى سَاحَةِ المَجَالِ
بالــبَرْقِ والرَّعْــدِ وَبِالآجَالِ ولَمْ يَكُنْ كَذلِكَ الخَتَّـالِ (٥)
يَحُـزُّ فى الهَـامِ وفى الأوصَالِ صَامِتَ قَــولٍ نَاطِقَ الفِعالِ
رَأَيْتُــهُ كَالقَــوْمِ فى المِثَالِ مالُوا عن القَوْلِ إلى الأَعْمَـالِ

* فَامْتَلَكُوا نَاصِيَةَ المَعَـالِى *

(١) الخالى هنا بمعنى العظمة والكبرياء .

(٢) الدحال ، جمع دحل (بفتح الدال) : عرين الأسد .

(٣) الهام ، جمع هامة : وهى الرأس .

(٤) الإهلال هنا : رفع الصوت بذكر الله تعالى .

(٥) يريد (بالختـال) : السيف لأنه يقطع بغير سابق إنذار ، أما المدفع فينذر بالبرق والرعد ؛ يريد ما يكون من دويه وما يظهر من بريقه ساعة انطلاقه .

وقال من قصيدة له فى الدعوة إلى مكارم الأخلاق :

إِنِّى لَتُطْرِبُنِى الخِلَالُ كَرِيمَةً ... طَرَبَ الغَرِيبِ بِأَوْبَةٍ وتَلَاقِ (١)

ويَهُزُّنِى ذِكْرُ المُرُوءَةِ والنَّدَى ... بَيْنَ الشَّمَائِلِ هِزَّةَ المُشْتَاقِ (٢)

فَإِذَا رُزِقْتَ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً ... فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأرزاق (٣)

فالنَّاسُ : هَـذَا حَظُّهُ مالٌ وذا ... عِلْمٌ وذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

والمَالُ إِنْ لم تَدَّخِرْهُ مُحَصَّنًا ... بِالعِلْمِ كانَ نِهَايَةَ الإِمْلَاقِ (٤)

والعِلْمُ إن لم تَكْتَنِفْهُ شَمَائِلٌ ... تُعْلِيهِ كانَ مَطِيَّةَ الإِخْفَاقِ (٥)

لا تَحْسَبَنَّ العِلْمَ يَنْفَعُ وَحْدَهُ ... ما لَمْ يُتَوَّجْ رَبُّهُ بِخَلَاقِ (٦)

كَمْ عَالِمٍ مَدَّ العُلُومَ حَبَائِلًا ... لِوَقِيعَةٍ وقَطِيعَةٍ وفِرَاقِ

يَدْعُونَهُ عِنْدَ الشِّقَاقِ وَمَا دَرَوْا ... أَنَّ الذى يَدْعُونَ خِدْنُ شِقَاقِ (٧)

وطَبِيبِ قَوْمٍ قَدْ أَحَلَّ لِطِبِّهِ ... مَا لَمْ تُحِلَّ شَرِيعَةُ الخَلَّاقِ

قَتْلَ الأَجِنَّةِ فى البُطُونِ وتَارَةً ... جَمْعَ الدَّوَانِقِ من دَمٍ مُهْرَاقِ (٨)

(١) الخلال جمع خلة بالفتح وهى الخصلة . والأوبة : الرجعة .

(٢) الشمائل : الخصال ، واحدها شمال (بكسر الشين) .

(٣) الخليقة وجمعها خلائق : السجايا والخصال .

(٤) الإملاق : شدة الفقر .

(٥) الإخفاق : الخيبة .

(٦) الخلاق (بفتح الخاء) : الحظ الوافر من الخير .

(٧) الخدن (بكسر الخاء) : الصاحب .

(٨) الدوانق ، جمع دانق : سدس الدرهم . والمهراق المصبوب المسفوك . يقول : إن من الأطباء من يبيعون ذممهم ويخونون واجب مهنتهم ، فيرتكبون أعظم الجرائم مثل إجهاض الحوامل لقاء أتفه المال .

وَأَدِيبِ قَوْمٍ تَسْـتَحِقُّ يَمِينُهُ قَطْـعَ الأَنَامِلِ أَو لَظَى الإِحراقِ
يَلْهُـو ويَلْعَبُ بِالعُقُولِ بَيَـانُهُ فكأَنَّهُ فى السِّـحْرِ رُقْيَةُ رَاقِى (١)
فى كَفِّهِ قَـلَمٌ يَمُـجُّ لُعَابُهُ سُمًّا وينفُثُـه عـلى الأَوْرَاقِ
يَرِدُ الحَقَائِقَ وهْىَ بِيضٌ نُصَّعٌ قُدْسِـيَّةٌ عُلْوِيَّةُ الإِشْـرَاقِ
فَـيَرُدُّهَا سُـوداً على جَنَبَاتِهَـا مِن ظُلْمَـةِ التَّمْوِيهِ أَلْفُ نِطَاقِ
عَرِيَتْ من الخُلُقِ المُطَهَّرِ نَفْسُهُ فَحَيَـاتُهُ ثِقْـلٌ على الأَعْنَـاقِ
لَو كَانَ ذا خُلُقٍ لأَسْـعَدَ قَومَهُ بِبَيَـانِهِ ويَرَاعِـهِ السَّـبَّاقِ

وقال يرثى محمود باشا سامى البارودى رحمهما الله :

رُدُّوا عَـلَىَّ بَيَـانِى بَعْـدَ مَحْمُـودِ إِنِّى عَيِيتُ وأَعْيَـا الشِّـعْرَ مَجْهُودِى
مَا لِلبَـلاغَةِ غَضْـبَى لا تُطَاوِعُنِى ؟ وما لِحَبْـلِ القَـوَافِى غَيْرَ مَمْـدُودِ؟
ظَنَّتْ سُكُوتِىَ صَـفْحًا عن مَـوَدَّتِهِ فَأَسْـلَمَتْنِى إلى هَـمٍّ وتَسْهِيـدِ (٢)
ولَو دَرَتْ أَن هَذَا الخَطْبَ أَفْحَمَنِى لأَطْلَقَتْ من لِسَـانِى كُلَّ مَعْـقُودِ (٣)
لَبَّيْـكَ يا مُؤْنِسَ المَوْتَى ومُوحِشَـنَا يَا فارِسَ الشِّـعْرِ والهَيجَاءِ والجُـودِ (٤)
مُلْكُ القُـلُوبِ، وأَنْتَ المُسْتَقِلُّ به، أَبْـقَى على الدَّهْرِ من مُلْكِ ابن دَاوُدِ (٥)

---

(١) الرقية وتجمع على رقى (بضم الراء وفتح القاف) : ما يقال أو يكتب للعصمة من العين أو السحر ونحو ذلك فى وهم الواهمين .

(٢) الصفح هنا : الإعراض . والسهد : الأرق وقلة النوم .

(٣) أفحمه : أعجزه عن الجواب . والمراد هنا أنه أعجزه عن قرض الشعر .

(٤) الهيجاء : الحرب .

(٥) ابن داود : سيدنا سليمان (قال رب اغفر لى وهب لى ملكا لا ينبغى لأحد من بعدى إنك أنت الوهاب).

لَبَّيْـــكَ يا شَـاعِرًا ضَنَّ الزَّمَانُ به على النُّهَى والقَـــوَافِي والأناشِـــيد
تَجْـرِي السَّـلاَسَةُ فى أَثْنَـاءِ مَنْطِقِه تَحْتَ الفصاحَةِ جَرْىَ المَـاءِ فى العُودِ
لَو حَنَّطُـوكَ بِشِـــعْرٍ أَنْتَ قَائِـــلُهُ غَنِيتَ عن نَفَحَاتِ المِسْـكِ والعُودِ(١)
لَبَّيْـــكَ يا خيرَ من هزَّ اليَرَاعَ ومَنْ هزَّ الحُسَامَ ومَن لَبَّى ومَن نُودِى
إِنْ هُــدَّ رُكْنُكَ مَنكُوبًا فقــد رَفَعَتْ لَكَ الفَضِـــيلَةُ رُكْنًا غيرَ مَهْــدُودِ(٢)
إِنَّ المَنَـاصِبَ فى عَزْلٍ وتولِيَـــةٍ غَيْرُ المَــوَاهِبِ فى ذِكْرٍ وتَخْلِيــدِ
كَمْ وَقْفَـــةٍ لَكَ والأَبْطَـالُ طَائِرَةٌ والحَرْبُ تَضْرِبُ صِنْدِيداً بِصِنْدِيدِ(٣)
نَسَخْتَ يَوْمَ كَرِيدٍ كُلَّ ما نَقَلُوا فى يَوْمِ ذِى قارَ عَن هانى بنِ مَسْعُودِ(٤)
نَظَمْتَ أَعْدَاكَ فى سِـلْكِ الفَنَـاءِ به على رَوِىٍّ ولكن غيرِ مَعْهُـودِ(٥)
كَأَنَّهُـــمْ كَلِمٌ والمَـــوتُ قافِيَـــةٌ يَرْمِى بِهِ عَرَبِىٌّ غَـــيرُ رِعْدِيـــدِ(٦)
أَقولُ لِلْمَــلإِ الغَـادِي بِمَوْكِبِــهِ والنَّـاسُ ما بَيْنَ مَكْبُودٍ ومَفْئُودِ :(٧)
غُضُّوا العُيُـونَ فإِنَّ الرُّوحَ يَصْحَبُكُمْ مَعَ المَلاَئِكِ تَكْرِيمًا لِمَحْمُودِ(٨)

(١) العود فى هذا البيت : نوع من الطيب يتبخر به . والعود فى البيت الذى قبله : الغصن .

(٢) يشير (بهدّ ركنه) إلى نفيه واستصفاء أمواله . (٣) الصنديد بكسر الصاد : السيد الشجاع .

(٤) ثار أهل جزيرة كريد بالحكم التركى ، وكانت فى ملك تركيا ، فجردت لاخماد ثورتهم جيشا ، وأمدتها مصر بآخر ، وكان البارودى فى قواده ، فأبلى فى تلك الحرب بلاء حسنا . وترى بعض وصفها فيا مرّ عليك من شعره . ووقعة ذى قار كانت بين الفرس والعرب بعيد البعثة ، وكان قائد العرب هانىء بن مسعود الشيبانى ، وكان النصر فيها لهم على الفرس . وقد أبلى هانىء فيها بلاء عظيما .

(٥) الروى : الحرف الأخير الذى يلتزم فى آخر كل بيت من القصيدة .

(٦) الرعديد بكسر الراء : الجبان .

(٧) المكبود : المصاب فى كبده . والمفئود : المصاب فى فؤاده .

(٨) الروح هنا : جبريل الأمين صلوات الله عليه .

يا وَيْحَهُ حلَّ فيـهِ ذُو قَرِيحَتُهُ ... لها بِخِدْرِ المَعانِى ألْفُ مَوْلُودِ[1]

مَحْمُودُ إِنِّى لأَسْتَحْيِيكَ فى كَلِمِى ... حَيًّا وَمَيْتًا وَإِنْ أَبْدَعْتُ تَقْصِيدِى

فاعْذِرْ قَرِيضِىَ واعْذِرْ فِيكَ قائِلَهُ ... كِلاهُمَا بَيْنَ مَضْعُوفٍ ومَحْدُودِ[2]

(١٨) شـــوقى[3]

من قصيدة طويلة له، رحمه الله، يناجى بها أبا الهول :

أبا الهَـولِ : طَالَ عَليكَ العُصُرْ ... وبُلِّغْتَ فى الأَرْضِ أَقْصَى العُمُرْ[4]

فيالِدَةَ الدَّهْرِ : لا الدَّهْرُ شَبَّ ... وَلَا أَنْتَ جاوَزْتَ حَدَّ الصِّغَرْ[5]

---

(١) ذو هنا بمعنى الذى فى لغة طيء . والخدر : الستر الذى يمد للجارية فى ناحية البيت . والضمير فى (ويحه) يعود على القبر المفهوم من سياق الكلام .

(٢) المضعوف : اسم مفعول من أضعف على غير القياس . والمحدود : السيء الحظ ، ضد المجدود .

(٣) هو الشاعر الناثر أحمد شوقى بك ، ويلقب بأمير الشعراء . انحدر من أصل تركى ، ولكنه ولد بمصر ونشأ فيها . واستظل برعاية البيت المالك من أول مولده . وقد تعلم فى مدارس مصر حتى بلغ مدرسة الحقوق ، ثم شخص إلى فرنسا ونال من إحدى كلياتها إجازة الحقوق ، وعاد فعين فى معية الخديو ، وما زال يرقى فيها حتى صارت إليه رياسة القلم الافرنكى فيها . ولما شبت الحرب الكبرى لم يكن له بد من مغادرة البلاد ، فاختار مدينة برشلونه من أعمال أسبانيا مثوى له ولأسرته . وظل بها إلى أن أذن له فى العودة بعد استقرار السلام العام .

ولقد كان ، رحمه الله ، شاعرا لا يتعلق بغباره . عالج الشعر من أيام فتوته فأعجب وأبدع ، وضرب فى كل فن ، وجال فى كل مطلب ، ونحا كل نحو ، فأصاب أرفع المعانى ونظم أفخر الكلام . وله نثر يلتزم فيه السجع القصير . وهو أشبه بحل النظم منه بكتابة الترسل . وله روايات تاريخية عدة من وضعه هو . وتوفى إلى رحمة الله فى سنة ١٩٣٢

(٤) العصر (بضمتين) ، كالعصر (بفتح فسكون) : الدهر .

(٥) لدة الدهر : أخوه وقرينه ، وجمع لدة لدات .

إلام ركوبك متن الرِّما ... لِ لِطَيِّ الأصيل وجوب السَّحَرْ (١)
تُسافِرُ منتقلًا فى القرو ... نِ فأيانَ تُلقِي غُبارَ السَّفَرْ؟
أبينك عهدٌ وبين الجبا ... لِ تزولان فى الموعد المنتظَرْ؟ (٢)
أبا الهول ما أنت فى المعضلا ... تِ لقد ضلَّتِ السُّبْلَ فيك الفِكَرْ (٣)
تحيَّرتِ البدوُ ماذا تكو ... نُ وضلَّتْ بوادِى الظنونِ الحَضَرْ
فكنتَ لهم صورةَ العنفوا ... نِ وكنتَ مثالَ الحِجَى والبَصَرْ (٤)
وسرُّكَ فى حُجْبِهِ كلَّما ... أطلَّتْ عليه الظنونُ استترْ (٥)
وما راعهم غيرُ رأس الرِّجا ... لِ على هيكلٍ من ذواتِ الظُّفُرْ (٦)
ولو صوَّروا من نواحى الطِّبا ... عِ توالَوْا عليكَ سِباعَ الصُّوَرْ (٧)
فيا ربَّ وجهٍ كصافى النَّمِيـ ... رِ تشابَهَ حامِلُهُ والنَّمِرْ (٨)
أبا الهولِ ويحكَ لا يُستقَلْـ ... لُ مع الدهرِ شىءٌ ولا يُحتقَرْ (٩)
تهزَّأتَ دهرًا بديك الصبا ... حِ فنقَّرَ عينيكَ فيما نقَرْ (١٠)

(١) الأصيل : آخر النهار . والسحر : آخر الليل ، والمراد عامة النهار والليل ، كناية عن عمر الدهر الأطول . (٢) الموعد المنتظر : يريد به يوم قيام الساعة .

(٣) ما أنت فى المعضلات : خبر فى أى معضلة أنت فى المعضلات !

(٤) العنفوان (بضم العين) والفاء : الشدة والقوة . (٥) حجب جمع حجاب : وهو ما يخبئ ويستر .

(٦) ركب أبو الهول من رأس رجل وجسم سبع .

(٧) يريد أن هؤلاء الناس الذين يظهرون العجب من خلقك لو أنهم صوروا على ما يطابق طباعهم لما كانت لهم إلا صورة السباع لما فى نفوسهم من العدوان والقسوة والشره .

(٨) هذا البيت بمثابة التدليل على ما قبله . والنمر (بفتح فكسر) من أقسى السباع وأشرسها .

(٩ و ١٠) يحذر أبا الهول فى هذين البيتين من احتقار الصغائر فرب صغيرة أتت عظيما . وديك الصباح يريد به صدر الزمان . فإنه ما زال بأبى الهول العاتى حتى نقر عينيه .

أَسَالَ البَيَـاضَ وَسَـلَّ السَّـــوا   دَ وَأَوْغَلَ مِنقَـارَهُ فى الحُفَــرْ
فَعُــدْتَ كَأَنَّــكَ ذُو المَحْبِسَيـ   ـنِ قَطِيـعَ القِيَـامِ سَلِيبَ البَصَرْ (١)
كَأَنَّ الرِّمَالَ على جانبيـ   ـكَ وَبَيْنَ يَدَيْكَ ذُنُوبُ البَشَرْ
كَأَنَّــكَ فِيهَـا لِــوَاءُ القَضَـا   ءِ على الأَرْضِ أَوْ دَيْدَبَانُ القَـدَرْ (٢)
كَأَنَّــكَ صَاحِبُ رَمْــلٍ يرَى   خَبَـايَا الغُيُوبِ خِلَالَ السَّـطَرْ (٣)
أَبَا الهَـوْلِ أَنتَ نَـدِيمُ الزَّمَا   نِ نَجِيُّ الأَوَانِ سَمِـيرُ العُصُرْ (٤)
بَسَطْتَ ذِرَاعَيْـكَ مِن آدمٍ   وَوَلَّيْتَ وَجْهَــكَ شَـطْرَ الزُّمَرْ (٥)
تُطِــلُّ على عَالَمٍ يَسْــتَهِلُّ   وَتُــوفِى على عَالَمٍ يُحْتَضَرْ (٦)
فَعَيْنٌ إِلَى مَن بَدَا لِلوُجُـ   ـودِ وأُخْرَى مُشَـيِّعَةٌ مَن عَبَرْ (٧)
فَحَـدِّثْ فَقَدْ يُهْتَدَى بالحَـدِيـ   ـثِ وَخَبِّرْ فَقَــد يُؤْتَسَى بِالخَبَرْ

وقال من قصيدة له يزجر فيهـا طلاب العلم عن بدعة الانتحـار ، ويبسط لهم الأمل فى الصبر ومعاودة الجدّ فى الدرس :

كُلَّ يَوْمٍ خَبَرٌ عَن حَدَثٍ   سَـئِمَ العَيْشَ وَمَن يَسْـأَمْ يَذَرْ (٨)

(١) المحبس : مكان الحبس . وكان يقال للعرى : رهين المحبسين ، أى رهين عماه وبيته .

(٢) الديدبان فارسية ، ومعناها الجندى الموكل بالحراسة .

(٣) السطر (بفتحتين) : السطر .

(٤) النجىّ : من تحادثه فى السر .

(٥) الزمر جمع زمرة بضم الزاى : الجماعة من الناس . ويريد بها هنا الناس جميعا . يريد أنه أشرف على الخليقة من أولها وسيظل كذلك الى غاية الزمان .

(٦) يستهل : يبتدئ . ويحتضر (بالبناء للمجهول) : يدخل فى سكرة الموت .

(٧) عبر (بفتحتين) : مضى . (٨) الحدث هنا : الشاب . ويذر : يترك .

عَافَ بالدُّنْيَا بِنَاءً بَعْدَ مَا ... خَطَبَ الدُّنْيَا وأَهْدَى ومَهَر (١)
حَلَّ يومَ العُرسِ مِنْها نَفْسَهُ ... رَحِمَ اللهُ العَرُوسَ المُخْتَضَر (٢)
ضَاقَ بِالعيشَةِ ذَرْعاً فَهَوَى ... عن شَفَا اليَأْسِ وبِئْسَ المُنْحَدَر (٣)
رَاحِلاً فى مِثْلِ أَعْمَارِ المُنَى ... ذَاهِباً فى مِثْلِ آجَالِ الزَّهَر
هَارِباً من سَاحَةِ العَيْشِ وَمَا ... شَارَفَ الغَمْرَةَ منها والغُدُر (٤)
لا أَرَى الأيَّامَ إِلَّا مَعْرَكاً ... وأَرَى الصِّنْدِيدَ فيه من صَبَر (٥)
رُبَّ وَاهِي الجَأْشِ فيه قَصَفٌ ... مَاتَ بِالجُبْنِ وأَوْدَى بِالحَذَر (٦)

* * *

نَشَأَ الخَيْرِ، رُوَيداً، قَتْلُكُمْ ... فى الصِّبَا النَّفْسَ ضَلَالٌ وخُسُر (٧)
لَوْ عَصَيْتُمْ كَاذِبَ اليَأْسِ، فَمَا ... فى صِبَاهَا يَنْحَرُ النَّفْسَ الضَّجِر (٨)
تُضْمِرُ اليَأْسَ من الدُّنْيَا وما ... عِنْدَهَا عن حَادِثِ الدُّنْيَا خَبَر
فِيمَ تَجْنُونَ على آبَائِكُمْ ... أَلَمَ الثُّكْلِ شَدِيدًا فى الكِبَر؟ (٩)

(١) عاف : كره . والبناء هنا : زفاف العروس الى زوجها . وخطب الدنيا من خطبة الزواج (بكسر الخاء) . ومهر : أعطى المهر .

(٢) المختضر (بالخاء) : الذى يموت فى صباه .

(٣) شفا الشىء : حرفه .

(٤) شارف الشىء : دنا منه . وغمرة الشىء : شدته ومزدحمه . والغدر (بضمتين) جمع غدير، وهو القطعة من الماء يغادرها السيل . يريد أنه يهرب من الحياة مع أنه لم يضرب فى زحمتها ولم يعارك أحداثها .

(٥) المعرك : موضع العراك . والصنديد (بكسر الصاد) : السيد الشجاع .

(٦) القصف (بفتحتين) : الضعف والخور . وأودى الرجل : هلك .

(٧) النشأ (بفتحتين) جمع نشء (بفتح فسكون) وهو النسل . والخسر (بضمتين) : الخسران .

(٨) لو عصيتم معناه : اعصوا اليأس الكاذب . (٩) الثكل : فقد الولد .

وتَعقُّـــونَ بِـــلادًا لـــم تَزَلْ بَيْنَ إشْـفَاقٍ عليكُمْ وحذَرْ؟
فمُصَابُ المُـــلْكِ فى شُبَّانِـــهِ كمُصَابِ الأَرْضِ فى الزَّرْعِ النَّضِرْ
لَيْس يَدْرِى أَحَدٌ مِنكُمْ بِمـا كَانَ يُعْطِى لَوْ تأنَّى وانْتَظَر
رُبَّ طِفْـــلٍ بَرَّحَ البُؤْسُ بِـــهِ مُطِـــرَ الخَـــيْرَ فَتِيًّا ومَطَر (١)
وصَـــبِيٍّ أَزْرَتِ الدُّنيَا به شَبَّ بَيْنَ العِزِّ فيهـا والخَطَرْ (٢)
وَرفِيـــعٍ لـــم يُسَـــوِّدْهُ أَبٌ مَن أَبو الشَّمسِ ومَن جَدُّ القَمَرْ؟
فَــلَكٌ جَارٍ ودُنْيـا لم يَـدُمْ عِندَهَا السَّعْدُ، ولا النَّحسُ اسْتَمَر

ومن قصـيدة طويلة له يرثى فيها (مقدونية) وقد تكاثرت على الدولة العثمانية دول البلقان سنة ١٩١٢ حتى نزعتها منها بعد بلاء الترك فى الدفاع عنها:

يَا أُخْتَ أَنْدَلُس عَلَيْـكِ سَـلامُ هَوَتِ الخِلافَةُ عنكِ والإِسْلامُ
نَزَلَ الهِلالُ عن السَّماء فليْتَهـا طُــوِيَتْ وعَمَّ العالَمِينَ ظَـلامُ (٣)
أَزْرَى بِهِ وأزَالَهُ عن أَوْجِهِ قَــدَرٌ يَحُطُّ البَـــدْرَ وهْوَ تَمامُ (٤)
جُرْحَانِ تَمضِى الأُمَّتانِ عليهمـا هَــذَا يَسِـيلُ وذَاكَ لا يَلْتَامُ (٥)
بِكُمَا أُصِيبَ المُسلمُونَ وفيكُمَا دُفِنَ الـيَرَاعُ وغُيِّبَ الصَّمْصَامُ (٦)

(١) برح به: آذاه. مطر الخير الخ: أصاب الخير وقع بالخير الناس.

(٢) أزرت به: تهاونت. والخطر هنا: عظم القدر.

(٣) الهلال: شعار الدول الإسلامية، كما أن الصليب شعار الدول المسيحية.

(٤) أزرى به: وضع من شأنه. الأوج: العلا. وتمام: تام مكتمل.

(٥) يلتام: يلتئم. الأمتان هما العرب والترك. وجرحا الأمتين فى سقوط الأندلس أولا، وضياع أدرنة ثانيا.

(٦) اليراع: القلم. والصمصام والصمصامة: السيف لا ينثنى.

لم يُطْوَ مأتَمُها وهذا مأتمٌ ... لَبِسوا السَّوادَ عليكِ فيه وقاموا (١)

ما بينَ مصرعِها ومصرعِكِ انقضتْ ... فيما نُحِبُّ ونكرهُ الأيامُ

خلتِ القرونُ كليلةٍ وتصرَّمتْ ... دُوَلُ الفتوحِ كأنَّها أحلامُ (٢)

والدهرُ لا يألو الممالكَ منذرًا ... فإذا غفلْنَ فما عليه ملامُ (٣)

مقدونيا ، والمسلمونَ عشيرةٌ ، ... كيف الخؤولةُ فيك والأعمامُ؟ (٤)

أتريْنهم هانوا ، وكان بعزِّهم ... وعلوِّهم يتخايلُ الإسلامُ؟ (٥)

إذْ أنتِ نابُ الليثِ ، كلُّ كتيبةٍ ... طلعتْ عليكِ فريسةٌ وطعامُ (٦)

ما زالتِ الأيامُ حتى بُدِّلتْ ... وتغيَّرَ الساقي ، وحالَ الجامُ (٧)

أرأيتِ كيفَ أُديلَ من أُسْدِ الشَّرى ... وشهدتِ كيفَ أُبيحتِ الآجامُ (٨)

زعموكِ همًّا للخلافةِ ناصبًا ... وهلِ الممالكُ راحةٌ ومنامُ؟ (٩)

---

(١) الضمير فى (مأتمها) يعود على الأندلس .

(٢) تصرمت ، انقضت .

(٣) لا يألو : لا يقصر ولا يبطئ .

(٤) الخؤولة : النسبة الى الخال ، كالعمومة وهى النسبة الى العم .

(٥) يتخايل : يتبختر .

(٦) الكتيبة : الجيش أو القطعة منه . والمراد : أن من غزاها افترسته وقضت عليه .

(٧) حال : تحوّل . والجام : إناء من فضة تسق فيه الخمر . والمراد : خروجها من يد الترك إلى يد أعدائهم .

(٨) أديل منهم : حل غيرهم فى موضعهم . والشرى : مكان تكثر فيه الأسود . والآجام : جمع أجم ، وهذا جمع أجمة : وهى الشجر الكثير الملتف ، واليه تأوى الأسود .

(٩) زعموك الخ . كان بعض الساسة يزعمون أن بقاء مقدونيا فى يد تركيا مصدر هم كبير لها من كل وجه ، وتعزوا بهذا عن خروجها من يدها ، فرد الشاعر عليهم ردا بديعا فى هذا البيت والأبيات بعده .

ويقولُ قومٌ كُنتَ أشأمَ مَـورِدٍ ... وأراكَ سائغـــةً عليـــكَ زِحامُ
ويراكَ داءَ المُلْكِ ناسُ جهالةٍ ... بالمُلْكِ منهـــم عِلةٌ وسَـــقامُ
لو آثروا الإصلاحَ كُنتَ بعرشِهِم ... رُكنًا على هامِ النُّجومِ يُقامُ
وهمُ يُقيِّـــدُ بعضُهم بعضًا بِهِ ... وقُيـــودُ هـــذا العالَمِ الأوهامُ
صُـورُ العَمَى شتَّى، وأقبحُها إذا ... نظَرتْ بِغيرِ عُيونِهِنَّ الهامُ (١)
ولَقدْ يُقامُ منَ السُّيوفِ وليسَ مِن ... عَثَراتِ أخلاقِ الشُّـعوبِ قِيامُ (٢)

وقال يتغزّل :

قلبٌ بِوادِي الحِمَى خلَّفتُهُ رَمِقًا ... ماذا صَنَعتِ به يا ظَبيةَ البانِ
أخشَى عليكَ من الكُثبانِ فاتَّخِذي ... عليـهِ مَرعاكِ من قاعٍ وكُثبانِ (٣)
غرَّبتِـــهِ فوهي جَنْبِي لِفُرقَتِـــهِ ... وحَنَّ للنَّـازِحِ المأسورِ جُثمانِي (٤)
لا رَدَّهُ اللهُ من أَسرٍ ومن خَبَـلٍ ... إن كانَ فى رَدِّهِ صَحْوِى وسُلْوانِي (٥)
دَلَّهتِـــهِ بِعَـــزِيزٍ فى مَحَاجِرِهِ ... ماضٍ لهُ من مُبينِ السِّحْرِ جَفْنانِ
رمَى فَضَجَّتْ على قَلْبِي جَوانِحُـهُ ... وقَالَ سَهمٌ فقَـالَ القلبُ سَهْمانِ
يا صُورةَ الحُورِ فى جِلبابِ فانِيَـةٍ ... وكَوكَبَ الصُّبحِ فى أعطافِ إنسانِ (٦)

(١) الهام جمع هامة : وهى الرأس .

(٢) ولقـد يقام الخ . يريد أن الأمة التى يقهرها عدوّها بحد السـيف لا يتعذر عليها أن تجمع شملها وتستعيد قوّتها وتأخذ بثأرها وتسترجع ملكها . أما الأمة التى تعتريها الكوارث من ضعف أخلاقها وشيوع الفساد فيها فهيهات مالها من قيام .

(٣) الكثبان جمع كثيب (بفتح الكاف) ، وهو التل من الرمل ، وعليه تسرح الغزلان .

(٤) الضمير فى (فرقته) يعود على القلب فى البيت الأوّل .

(٥) السلوان : النسيان . (٦) فى جلباب فانية : فى صورة امرأة .

مُرِى عَصِيَّ الكَرَى يَغْشَى مُجامَلَةً | وسَامِحِى فى عِنَاقِ الطَّيْفِ أجْفانى
فَحسبُ خَدِّىَ من عينَيَّ ما شَرِبَا | فَمِثْلُ ما قد جَرَى لم تَلْقَ عَيْنَانِ

وقال :

رُدَّتِ الرُّوحُ عَلَى المُضْنَى مَعَكْ | أَحسَنُ الأيَّامِ يومٌ أَرجعَكْ
مَرَّ مِن بَعْدِكَ ما رَوَّعَنِى | أَتُرَى يا حُلْوُ بعْدِى رَوَّعَكْ
كَمْ شَكَوتُ البَيْنَ بِاللَّيلِ إلى | مَطْلَعِ الفَجْرِ عَسَى أن يُطْلِعَكْ
وبَعَثْتُ الشَّوقَ فى رِيحِ الصَّبَا | فَشَكَا الحُرقَةَ مِمَّا اسْتَوْدَعَكْ
يا نَعِيمِى وعَذَابِى فى الهَوَى | بِعَذُولِى فى الهَوَى مَا جَمَعَكْ
أَنتَ رُوحِى ظَلَمَ الوَاشِى الذى | زَعَمَ القَلْبَ سَلَا أَو ضَيَّعَكْ
مَوْقِعِى عِنْدَكَ لا أَعلَمُهُ | آه لو تَعلمُ عِنْدِى مَوقِعَكْ
أَرْجَفُوا أنكَ شَاكٍ مُوجَعٌ | ليتَ لى فَوْقَ الضَّنَا ما أَوْجَعَكْ (١)
نامَتِ الأعيُنُ إلَّا مُقْلَةً | تَسْكُبُ الدَّمعَ وتَرْعَى مَضْجَعَكْ

وقال يُعارِض الحصرى فى قصيدة (يا ليل الصب متى غده) :

مُضْناكَ جَفَاهُ مَرْقَدُهُ | وبَكَاهُ ورَحَّمَ عُوَّدُهُ (٢)
حَيْرانُ القَلْبِ مُعَذَّبُهُ | مَقْرُوحُ الجَفْنِ مُسَهَّدُهُ (٣)
أَوْدَى حَرَقًا إلَّا رَمَقًا | يُبْقِيهِ عَلَيْكَ وتُنْفِدُهُ (٤)

---

(١) الضنا : المرض والضعف والهزال ، يتمنى أن يحول إليه ما يشكو منه الحبيب فوق مرضه وهزاله .

(٢) العوّد : جمع عائد ، وهو زائر المريض .

(٣) المسهد (بفتح السين) : المؤرق .

(٤) الرمق : بقية الروح .

يَسْتَهْوِى الوُرْقَ تَأَوُّهُهُ ... وَيُذِيبُ الصَّخْرَ تَنَهُّدُهُ (١)
وَيُنَاجِى النَّجْمَ وَيُتْعِبُهُ ... وَيُقِيمُ اللَّيْلَ وَيُقْعِدُهُ
وَيُعَلِّمُ كُلَّ مُطَوَّقَةٍ ... شَجَنًا فى الدَّوْحِ تُرَدِّدُهُ (٢)
كَمْ مَدَّ لِطَيْفِكَ مِنْ شَرَكٍ ... وَتَأَدَّبَ لا يَتَصَيَّدُهُ

* * *

سَبَبٌ لِرِضَاكَ أُمَهِّدُهُ ... مَا بَالُ الخَصْرِ يُعَقِّدُهُ
بَيْنِى فى الحُبِّ وَبَيْنَكَ مَا ... لَا يَقْدِرُ وَاشٍ يُفْسِدُهُ
مَا بَالُ العَاذِلِ يَفْتَحُ لِى ... بَابَ السُّلْوَانِ وَأُوصِدُهُ
وَيَقُولُ: تَكَادُ تُجَنُّ بِهِ ... فَأَقُولُ: وَأُوشِكُ أَعْبُدُهُ
مَوْلَاىَ وَرُوحِى فى يَدِهِ ... قَدْ ضَيَّعَهَا سَلِمَتْ يَدُهُ
نَاقُوسُ القَلْبِ يَدُقُّ لَهُ ... وَحَنَايَا الأَضْلُعِ مَعْبَدُهُ
قَسَمًا بِثَنَايَا، لُؤْلُؤُهَا ... قَسَمَ اليَاقُوتَ مُنَضَّدُهُ
وَرُضَابٍ يُوعَدُ كَوْثَرُهُ ... مَقْتُولُ العِشْقِ وَمُشْهَدُهُ (٣)
وَبِخَالٍ كَادَ يُحَجُّ لَهُ ... لَوْ كَانَ يُقَبَّلُ أَسْوَدُهُ
وَقَوَامٍ يَرْوِى الغُصْنُ لَهُ ... نَسَبًا وَالرُّمْحُ يُفَنِّدُهُ
وَبِخَصْرٍ أَوْهَنَ مِنْ جَلَدِى ... وَعَوَادِى الهَجْرِ تُبَدِّدُهُ
مَا خُنْتُ هَوَاكَ وَلَا خَطَرَتْ ... سَلْوَى بِالقَلْبِ تُبَرِّدُهُ

(١) الورق بضم فسكون: الحمام. واحده أورق، ومؤنثه ورقاء.
(٢) المطوقة: الحمامة. والدوح: جمع دوحة، وهى الشجرة العظيمة المظالة.
(٣) مشهده بالبناء للمفعول: قتيله.

ومن قصيدة طويلة له عارض فيها البردة فى مدح النبى صلى الله عليه وسلم ، ودعاها نهج البردة :

صَلاحُ أَمْرِكَ لِلأَخْلاقِ مَرجِعُهُ ... فَقَوِّمِ النَّفْسَ بِالأَخْلاقِ تَسْتَقِمِ
والنَّفْسُ مِن خَيْرِهَا فى خَيْرِ عافِيَةٍ ... والنَّفْسُ من شَرِّهَا فى مَرْتَعٍ وَخِمِ (١)
تَطْغَى إِذَا مُكِّنَتْ مِن لَذَّةٍ وهَوًى ... طَغْىَ الجِيادِ إِذَا عَضَّتْ على الشُّكُمِ (٢)
إِن جَلَّ ذَنْبِي عَنِ الغُفْرانِ لى أَمَلٌ ... فى اللهِ يَجْعَلُنِى فى خَيْرِ مُعْتَصَمِ
أُلْقِى رَجَائِى إِذَا عَزَّ المُجِيرُ عَلَى ... مُفَرِّجِ الكَرْبِ فى الدارَيْنِ والغُمَمِ
إِذَا خَفَضْتُ جَنَاحَ الذُّلِّ أَسْأَلُهُ ... عِزَّ الشَّفَاعَةِ لم أَسْأَلْ سِوَى أَمَمِ (٣)
وَإِنْ تَقَدَّمَ ذو تَقْوَى بِصَالِحَةٍ ... قَدَّمْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَبْرَةَ النَّدَمِ
لَزِمْتُ بَابَ أَمِيرِ الأَنْبِيَاءِ ومَن ... يُمْسِكْ بِمِفْتَاحِ بَابِ اللهِ يَغْتَنِمِ
فَكُلُّ فَضْلٍ وإِحْسَانٍ وَعَارِفَةٍ ... مَا بَيْنَ مُسْتَلِمٍ منهُ ومُلْتَزِمِ (٤)
عَلِقْتُ مِن مَدحِهِ حَبْلًا أُعِزُّ به ... فى يَوْمِ لا عِزَّ بالأَنسابِ واللُّحَمِ (٥)
يُزْرِى قَرِيضِى زُهَيرًا حِينَ أَمْدَحُهُ ... ولا يُقاسُ إلى جُودِى نَدَى هَرِمِ (٦)

---

(١) المرتع : مكان الرتوع . يقال رتعت الماشية : أكلت ما شاءت . والوخم بكسر الخاء : الردىء الوبىء .

(٢) الشكم جمع شكيمة : وهى الحديدة المعترضة فى لجام الفرس .

(٣) الأمم (بفتحتين) هنا : اليسير .

(٤) العارفة : المعروف .

(٥) اللحم (بضم اللام وفتح الحاء) جمع لحمة : القرابة .

(٦) زهير : هو زهير بن أبى سلمى من أصحاب المعلقات . وهرم : هو هرم بن سنان من أجواد العرب . وكان قد حلف لا يلقاه زهير إلا أعطاه ووصله .

مُحَمَّدٌ صَفْوَةُ البَارِى ورَحْمَتُهُ   وبُغْيَةُ اللهِ مِن خَلْقٍ ومِن نَسَمِ (١)
وَصَاحِبُ الحَوْضِ يَومَ الرُّسْلُ سَائِلَةٌ   مَتَى الوُرُودُ وجِبْرِيلُ الأَمِينُ ظَمِى
سَنَاؤُهُ وسَنَاهُ الشَّمْسُ طالعَةً   فالجِرْمُ فى فَلَكٍ والضَّوْءُ فى عَلَمِ (٢)
قد أَخْطَأَ النَّجْمَ مَا نالَتْ أُبُوتُهُ   من سُؤْدَدٍ باذخٍ فى مَظْهَرٍ سَنِمِ (٣)
نُمُوا إليه فزادُوا فى الورَى شرَفًا   ورُبَّ أَصْلٍ لِفَرْعٍ فى الفَخَارِ نُمِى (٤)
حَوَاهُ فى سُبُحَاتِ الطُّهْرِ قبلَهُمُ   نُورَانِ قامَا مَقامَ الصُّلْبِ والرَّحِمِ (٥)
أَتَيْتَ والنَّاسُ فَوضَى لا تَمُرُّ بِهِمْ   إِلَّا على صَنَمٍ قد هَامَ فى صَنَمِ (٦)
والأَرْضُ مَمْلُوءَةٌ جَورًا مُسَخَّرَةٌ   لِكُلِّ طَاغِيَةٍ فى الخَلْقِ مُحْتَكِمِ
مُسَيطِرُ الفُرْسِ يَبْغِى فى رَعِيَّتِهِ   وقَيصَرُ الرُّومِ من كِبْرٍ أَصَمُّ عَمِى
يُعَذِّبَانِ عِبَادَ اللهِ فى شُبَهٍ   وَيَذْبَحَانِ كَمَا ضَحَّيْتَ بِالغَنَمِ
والخَلْقُ يَفْتِكُ أَقْوَاهُمْ بِأَضْعَفِهِمْ   كَاللَّيثِ بِالبُهْمِ أَوْ كَالحُوتِ بالبَلَمِ (٧)

* * *

أَخُوكَ عِيسَى دَعَى مَيْتًا فَقَامَ لَهُ   وَأَنْتَ أَحْيَيْتَ أَجْيَالًا من الرِّمَمِ (٨)

---

(١) النسم : جمع نسمة ، وهى النفس أو الإنسان .
(٢) سناؤه : رفعته ، وسناه : نوره . والعلم (بفتحتين) هنا : العالم .
(٣) السنم (بفتح فكسر) : المرتفع .
(٤) نمى اليه بصيغة البناء للمجهول : نسب .
(٥) السبحات (بضمتين) : مواضع السجود . وسبحات وجه الله : أنواره .
(٦) شبه عابد الصنم بالصنم بجامع الغفلة فى كل .
(٧) البهم جمع بهمة : ولد الضأن والمعز . والبلم (بفتحتين) : صغار السمك .
(٨) شبه الأمم الجاهلة بالرمم (جمع رمة) وهى ما بلى من العظام .

والجهلُ موتٌ فإنْ أُوتيتَ مُعْجِزةً فابعثْ من الجهلِ أو فابعثْ من الرَّجَمِ (١)

قالوا غزوتَ، ورُسْلُ اللهِ ما بُعثوا لِقَتْلِ نفسٍ ولا جاءُوا لِسَفْكِ دَمِ

جهلٌ وتضليلُ أحلامٍ وسفسطةٌ فتحتَ بالسَّيْفِ بعدَ الفتحِ بالقلمِ

لمَّا أتى لكَ عفوًا كُلُّ ذي حَسَبٍ تكفَّلَ السَّيفُ بالجُهَّالِ والعَمَمِ (٢)

والشَّرُّ إنْ تَلْقَهُ بالخيرِ ضِقْتَ بهِ ذَرْعًا وإنْ تَلْقَهُ بالشَّرِّ يَنْحَسِمِ (٣)

سَلِ المسيحيَّةَ الغرَّاءَ كمْ شَرِبَتْ بالصَّابِ من شَهَوَاتِ الظَّالِمِ الغَلِمِ (٤)

طَرِيدَةُ الشِّرْكِ يُؤْذِيهَا ويُوسِعُها في كُلِّ حِينٍ قِتَالًا سَاطِعَ الحَدَمِ (٥)

لولا حُمَاةٌ لها هبُّوا لِنُصْرَتِها بالسَّيْفِ ما انتفعتْ بالرِّفْقِ والرُّحُمِ (٦)

---

(١) الرجم (بفتحتين): القبر. ويجمع على رجام.

(٢) العمم (بفتحتين): اسم جمع للعامة.

(٣) ينحسم: ينقطع وينتهى.

(٤) الصاب: شجر مر، واحدته صابة. والغلم (بفتح فكسر): الهائج الثائر.

(٥) الحدم (بفتحتين): شدة احتراق النار.

(٦) الرحم (بضمتين): الرقة والعفو والرحمة.

(ب) النـــثر

أوّلا — النـــثر الفـــنى

(١) من كتاب للشيخ حسن العطار (١)

أَمَّا بعدُ فإنَّ أحسنَ وشى (٢) رقّتهُ (٣) الأقلامُ ، وأبهى زهرٍ تفتَّحتْ عنهُ الأكمامُ .
عاطرُ سلامٍ يفوحُ بعبيرِ (٤) المحبَّةِ نفحهُ (٥) ، ويُشرقُ فى سماءِ الطُّروسِ صُبحهُ .

سلامٌ كزهرِ الرَّوضِ أو نفحةِ الصَّبا ... أو الرَّاحِ تُجْــلَى فى يدِ الرَّشإِ الألْمى (٦)

سلامٌ عاطرُ الأردانِ (٧) ، تحملهُ الصَّبا ساريةً على الرَّندِ (٨) والبـانِ (٩) ، إلى مقامِ حضرةِ المُخلصِ الودادِ ، الَّذى هُوَ عندى بمنزلةِ العينِ والفُؤادِ ، صاحبِ الأخلاقِ الحميدةِ ، حليةِ الزَّمانِ الَّذى حلَّى بهـا معصمهُ وجيدهُ ، الَّذى موصولُ إحسانهِ بكُلِّ فضـلٍ عائدٌ ، كنزِ المعارفِ عقدِ دُررِ الفوائدِ ، الَّذى إذا أجرى أقلامهُ فى ميدانِ الطُّروسِ ،

---

(١) تقدّمت ترجمته فى شعره .

(٢) الوشى : الثوب المحسن بالألوان .

(٣) رقته : خططته .

(٤) العبير : أخلاط من الطيب .

(٥) نفحه : انتشار رائحته .

(٦) الرشأ : ولد الظبية . والألمى : المسود الشفة ، وهذه الصفة من مظاهر الحسن عند العرب .

(٧) الأردان : جمع ردن بضم الراء ، وهو طرف الكم .

(٨) الرند : نبات طيب الرائحة .

(٩) البان : شجر معتدل القوام يستخرج من حبه دهن طيب .

أَوْدَعَ فِيهَا من لآلِي البَيَانِ مَا يَفْعَلُ بِالنُّفُوسِ، فِعْلَ حُمَيَّا(١) الكُؤُوسِ . مِن مَعَانٍ حيَّرَت المَعَانِي(٢) ، وفَعَلَتْ بالأَلْبَابِ مَا لا تَفْعَلُهُ المَثَالثُ والمَثَانِي(٣)، تَقِفُ الفَصَاحَةُ عِنْدَهَا، وتَقْفُو البَلاغَةُ حَدَّها .

يَلْهُو بِأَطْرَافِ اليَرَاعِ فَلَمْ يَدَعْ قَوْلًا يُقَالُ وَلَا بَدِيعًا يُدَّعَى

(٢) الشيخ ناصيف اليازجي(٤)

المقامة الخَزَرَجِيَّة(٥)

قال سُهَيْلُ بْنُ عَبَّاد: دخلتُ بلادَ العرَب، فى التماس بعض الأَرَب(٦)، فقصدت نادى الأَوس والخَزْرَج(٧) ، لأَتفرّج وأَتخرّج، وآخُذَ من أَلْسِنتهم بعضَ المَنْهَج، فلما صِرْتُ فى بُهْرَةِ النَّادِى(٨)، أَخَذَ بمجامع فؤادى، فجلستُ بين القومِ ساعة، وأنا أُحَدِّقُ الى الجماعة، وإذا شيخُنا مَيْمُونُ بْنُ خِزام، قد تصدّر فى ذلك المَقَام، وهو يقول من أراد أن يعرف جُهَيْنَة(٩)، أو شاعر مُزَيْنة(١٠)، فَلْيَحْضُرْ لِيَسْمَعَ وَيَرَى، فانّ كُلَّ الصَّيْدِ

---

(١) الحميا بضم الحاء وفتح الميم : من أسماء الخمر .

(٢) يريد بالمعانى الثانية علم المعانى، وذلك بما حوت من فنون البلاغة .

(٣) المثالث والمثانى : من آلات الطرب .

(٤) تقدمت ترجمته فى الشعر .

(٥) اختصرنا هذه المقامة لطولها واقتبسنا شرحها من شرح مؤلفها .

(٦) الأرب : الحاجة . (٧) الأوس والخزرج هما أخوان كل منهما أبو قبيلة من أصل يمنى .

(٨) بهرة النادى : وسطه . (٩) جهينة : قبيلة قتل رجل منها قتيلا، ومرّ بامرأته تنشده فقال :

تناشد كل حىّ عن حصين وعند جهينة الخبر اليقين

يضرب الشطر الأخير مثلا لمعرفة الخبر على حقيقته .

(١٠) هو زهير بن أبى سلمى .

فى جَوْفِ الْفَرَا (١)، فعمد إليــه رَجُلٌ وقال : أَطْرِقْ كَرَى (٢)، إنّ النَّعَامَةَ فى القُرَى (٣)، فقال الشيخ : كلُّ فتاةٍ بأبيها مُعْجَبَة (٤)، فكن سائِلًا أومسْئُولًا لِتَرى ما فى الْقِدَاحِ من الأَنْصِبَة (٥)، قال : إنما يُسْأَلُ العالِم، فــا هى أسماءُ المطاعم، قال : لَبَّيْكَ وسَعْدَيْك، وأنشد كَهَزار (٦) الأَيْك :

للنُّفَسـاءِ الخُــرس (٧) والعقيقـــةُ (٨) ... للطفل عنـــد عارف الحقيقـة
كـذلك الإعذارُ للختـان ... وذو الحِــذَاق حافظ القـــرآن (٩)
للخِطبــةِ المِـــلاكُ والوليمــة ... للعُــرس، والمَيْتُ له الْوَضِــيمَة
وللبنـاءِ جعــلوا الْوَكِـيرَهْ ... ولهِــلالِ رَجب العَقــيرَهْ
وقيــلَ تُحفــةٌ لــزائرٍ يَــرِدِ ... وشُـــنْدُخٌ لمـا يضــلُّ إذ وُجِد (١٠)
كذا نَقيعَـةُ القُــدوم من سَــفَر ... ثم القِرى للضيف عنـد ما حَضَر
وحيـــثما لم يكُ مِنْ ذَاكَ سبب ... فإنّهــا مَأْدُبةٌ عنـــد العـــرَب
وإن تعُــمَّ دعـــوةٌ فالجَفَـــلى ... تُدعى، وإنْ خُصّت فتلك النَّقَرى (١١)

---

(١) الفرا : حمار الوحش، أى أنه أعظم الصيد فمن ظفر به أغناه عن كل صيد . وهـذا مثل سائر . (٢) اخفض رأسك، والكرى قيل : هو الكروان وهو منادى . وهذا مثل أيضا . (٣) أى لا تكبر فان النعامة التى هى أعظم منك قد صيدت وحبست فى القرى . (٤) مثل يضرب فى افتخار كل بما عنده . (٥) القداح : سهام الميسر . (٦) الهزار : طائر حسن الصوت، والأيك : الشجر الكثير الملتف . (٧) المراد به طعام الولادة لا ما تطعمه النفساء عينها وكذا البواقى . (٨) كانوا يصنعون العقيقة عنـد حلق شعر الولد . (٩) أى أن الطعـام الذى يصنع لحفظ الولد القرآن يقال له الحذاق . (١٠) شندخ نائب فاعل قيل . (١١) أى اذا دعا صاحب الطعام كل القوم فهى الجفلى، واذا دعى أفرادا منهم فهى النقرى . أخذه من قول الشاعر :

نحن فى المشتاة ندعو الجفــلى * لا ترى الآدب فينا ينتقــر

قال : أحسنت ياضريب(١) الضَّرَب(٢) ، فما هي نيران العرب ، فأنشد :

أوَّلُ نارٍ عندهم نارُ القِرى(٣) ... وذِكْرُ نارِ الوَسْمِ(٤) بعدها جَرى

ونار الاستسقاء(٥) والتحالُف(٦) ... والصيد(٧) والحرب(٨) لدى التزاحف(٩)

ونار غدرٍ(١٠) وسلامةٍ(١١) تُعَد ... ونار راحلٍ(١٢) كذا نار الأسد(١٣)

والنار للسليم(١٤) والفداء(١٥) ... فجملة النيران هؤلاء

قال أعتقك الله من النار ، فهل تعرف ساعات النَّهار؟ فأنشد :

أوَّلُ ساعةٍ من النهارِ ... هي البكورُ والبُزوغُ طارِ(١٦)

والرأد والضُّحى المُتوَّعُ بعدُ ... ظَهيرةٌ ثم الزوالَ عدُّوا

فالعصرُ فالأَصيل ثم الطَفَلُ ... و بالحُدُور والغُروب تكمَلُ

---

(١) الضريب : النظير . (٢) الضرب : العسل الأبيض الغليظ . (٣) للقرى : الضيافة .

(٤) كانوا يسمون إبل الملوك لترد الماء أولا ، ونار الوسم هي التي توقد ليحمى بها الميسم .

(٥) نار الاستسقاء كانت الجاهلية توقدها طلبا للطر .

(٦) توقد عند التعاهد على أمر . (٧) توقد للظباء لتعشى أبصارها .

(٨) توقد على جبل إعلاما للأحلاف الأباعد .

(٩) مشى الجيشين بعضهما الى بعض .

(١٠) كانوا اذا غدر الرجل بصاحبه يوقدون نارا بمنى أيام الحج ثم يقولون هذه غدرة فلان .

(١١) توقد للقادم من سفر سالما .

(١٢) توقد للسافر اذا لم يحبوا أن يعود .

(١٣) توقد عند الخوف من سطوة الأسد حتى اذا رآها ينفر منها .

(١٤) السليم : الملسوع يقال له ذلك تفاؤلا بالسلامة ، وهم يكرهونه على السهر و يوقدون له نارا ليسهر على ضوءها .

(١٥) كانوا اذا سبيت نساء الأشراف منهم وفدوهن يخرجوهن ليلا و يوقدون لهن نارا يستضئن بها .

(١٦) طار أي حادث : أي واقع بعدها .

قال : قد أسبغت الذَّيل (١)، فهل تعرف ساعاتِ الليل؟ فأنشد :

أَوَّلُ ساعةٍ من الليل الشَّفَق — وبعدها العَشْوةُ يتلوها الغَسَق
فَهَـــدْأَةٌ ثُمَّتَ شرعٌ ثم قُـل — جُنحٌ وزُلفــةٌ هزيعٌ يا رَجُل
وبعـــد ذَاكَ غَبَشٌ وسَحَــرُ — والفَجْر والصُّبحُ الذى ينفجرُ

قال : قد دَرَأْتَ الشُّبُهات، فهل تعرِف رياحَ الجهات؟ فأنشد :

ماهبَّ من شرقٍ فذلك الصَّبا — ثم الجَنُوبُ عن يمينٍ ذهبا
ثم الشَّـــمالُ والدَّبور وجَرَت — نَكْباءُ بينَ كلِّ ريحَينِ سَرَت
فذلكَ الأزْيبُ ثم الصَّابِيَـــةْ — فالهَيْفُ ثم الجِـــرْبياءُ آتيَـــه (٢)

قال : قد جلوتَ الرُّموز، وفتحتَ الكُنوز، فهل تعرف أيام برد العجوز؟ فأنشد :

صِنٌّ وصِنَّبرٌ ووَبرٌ يُذكَرُ — وبعــــدهُ الآمرُ والمؤتمرُ (٣)
كذا مُعلِّلٌ ومُطفِي الجَمْــرِ — هاتيــك أيَّام العجوز فَادْرِ

قال : حُيِّيت يا قطب العِراق (٤)، فما أسماءُ خيل السِّباق؟ فأنشد :

أَوَّلُ سـابِقٍ هـــو المُجَــلِّى — ثم المُصَـــلِّى بعـــدهُ المُسَـــلِّى
تَالٍ ومرتاحٌ عايـــهِ يُقبِـــل — والعَـــاطِفُ الحَظِىُّ والمؤمَّـــلُ
كذلكَ اللَّطِـــيمُ والسُّـــكَّيْتُ — فاحفَظْ فما أعطِيتُ قد أعطَيتُ (٥)

---

(١) أتممت وأطلت . (٢) أى أن الأزيب ريح بين الصبا والجنوب، والصابيـة بين الصبا والشمال، والهيف بالفتح بين الجنوب والدبور، والجربياء بكسر الجيم والباء وسكون الراء بين الشمال والدبور.

(٣) بكسر الصاد وفتح النون المشددة وسكون الباء. (٤) قطب القوم : سيدهم الذى يدور عليه أمرهم.

(٥) إشارة الى قولهم فى المثل : وانما نعطى الذى أعطينا ؛ وأصله ان امرأة كانت تلد البنات فهجرها زوجها وتحوّل عنها الى بيت له آخر فقالت :

ما لأبى الذلفاء لا يأتينا — وهو فى البيت الذى يلينا
يغضب أن لم نلد البنينا — وانما نعطى الذى أعطينا

قال : لله دَرُّك لقد جمعتَ فأَوعيت، وقَدَحتَ فأَوريت(١)، فان شئْتَ فَسَلْ، قال أَجَلْ(٢)، ولكن خُلِقَ الإنسانُ من عَجَل، فان أَبطأْتَ فى الجواب فلى عليك ناقةٌ حمراءُ(٣)، وعلى قومك فرس(٤) غَرَّاءُ(٥)، قال هاتِ وبالله التوفيق، الى سَواءِ الطريق، فقال ماهى بُرَق العرب المذكورة(٦)، وداراتها(٧) المشهورة؟ فضاق الرجل ذَرْعًا فى الجواب، وقال اللهم اهدنا صراط(٨) الحق والصواب، ثم قال قد وجبت راحلةُ الشيخ علينا، لِيَسْهُلَ(٩) وَفْدُهُ(١٠) الينا، فقال الشيخ قد علمتم يا قوم أن الخيرَ معقودٌ بنواصى الخيل، وهى التى ينجو بها الوافدُ من جوارح النهار وطوارق الليل(١١)، قالوا كلاهما وتمرًا(١٢)، فقد فرضنا لكل بيتٍ صِلَةً(١٣) أخرى، على أن تكتبها لنا سطرًا فسطرًا، فَفَعَلَ وقال الشرطُ أَمْلَك(١٤)، عليك أَم لك، فجاءُوا بناقةٍ وجناءَ(١٥) وفرسٍ كُمَيت(١٦)، وشاةٍ لكل بيت.

---

(١) يقال أورى الزند اذا أخرج منه نارا. (٢) نعم.

(٣) النياق الحمر عند العرب: أفضل الابل. (٤) الفرس: تذكر وتؤنث.

(٥) لها بياض فى جبهتها أوسع من الدرهم. (٦) البرق: جمع برقة وهى أرض غليظة ذات حجارة ورمل وهى مواضع فى بلاد العرب تنتهى الى نحو مائة موضع منها برقة ثهمد المذكورة فى معلقة طرفة بن العبد البكرى.

(٧) الدارات: مواضع أخرى تنتهى الى أربع عشرة ومائة دارة منها دارة جلجل المذكورة فى معلقة امرئ القيس الكندى. (٨) طريق. (٩) زيارته.

(١٠) قال ذلك رياء لأنه لم يرد أن يتظاهر بالعجز عن الجواب.

(١١) جوارح النهار: ما يحدث من آفاته وكذلك الطوارق فى الليل.

(١٢) مثل: أصله أن عمرو بن حمران الجعدى كان جالسا وبين يديه زبد وتامك وتمر فأتاه رجل وقال أطعمنى من هذا الزبد والتامك فقال كلاهما وتمرا، أى لك كلاهما وأزيدك تمرا، والتامك: سنام الجمل ويروى كليهما بالياء أى أطعمك كليهما وأزيدك تمرا. (١٣) عطية. (١٤) مثل يضرب لحفظ الشرط. (١٥) شديدة. (١٦) يخالط حمرتها سواد.

فلمـا فَصَل عن النادى، قفَوته (١) الى الوادى . وقلت له هنيًّا مريًّا (٢)، لقد جئت شـيئًا فَرِيًّا (٣)، فأنَّى لك هذا السِّجال (٤)، وكيف أَجَبتَ كلَّ سُؤَال بالارتجال (٥)، قال : يا ابنَ أخى الحقُّ أَولى أن يُقال، شَهِدتُ سوقَ عُكاظ (٦)، وتخلَّلتُ تلك الأَوشاظ (٧)، فسمعتهم يتناشــدون القِطعةَ (٨) والبيت، ويتــذاكرون من كيتَ (٩) وذَيْت (١٠)، فالتقطتُ منهم ما التقطت، وسقطت به على من سقطت، ثم أشار إلى بعصاه، وأنشد وهو يسوق الشِّياه (١١) :

تُرى عينى تَقَرُّ وعينُ ليــلى (١٢) تراقبُ عَوْدَتى حيناً فحينَا

تُسائلُ عن أبيها كلَّ رَكْب فلا تدرى له خَبَراً يقينَـا

نذَرتُ (١٣) لها الفراهيدَ (١٤) اللواتى أَعود بها وأَحرجتُ (١٥) اليمينا

تضيفُ بها بناتِ الحىّ يوماً كما قد كنتُ أصنعُ للبنينا

ولمـا فَرَغ مِن إنشادِه تمطَّى فى بِداده (١٦)، على جَواده، ثم وَدَّعَنى وانطلق، وأَودعنى القلق، فأَتبعته عينى الى أن غاب، ورَجَعتُ أَستَمْطِرُ له السَّحاب .

---

(١) اتبعته . (٢) مأخوذ من قولهم للشارب هنيا وللآكل مريا : أى جعلك الله تسيغ الشراب والطعام فلا تشرق ولا تغص .

(٣) عظيما . (٤) المباراة . (٥) من غير تفكير .

(٦) صحراء بناحية مكة كانوا يجتمعون بها كل سنة فى أول ذى القعدة فيقيمون عشرين يوما يتبايعون و يتفاخرون و يتناشدون الأشعار .

(٧) الجماعات . (٨) أبيات الشعر الى سبعة وقيل الى عشرة وما فوق ذلك قصيدة .

(٩) كناية عن القول . (١٠) كناية عن الفعل . (١١) جمع شاة . (١٢) ابنته .

(١٣) ادعى بأنه نذر الشياه لها ليقطع طمع سهيل فى شىء منها . (١٤) صغار الغنم .

(١٥) عظمت . (١٦) ما يحشى و يجعل تحت السرج ونحوه . أى فى سرجه .

(٣) أحمد فارس الشدياق (١)

قال فى وصف أهل مصر :

قَدْ قُمْتُ حَامِدًا لله شَاكِرًا، فَأَيْنَ الْقَلَمُ وَالدَّوَاةُ حَتَّى أَصِفَ هَذِهِ الْمَدِينَةَ السَّعِيدَةَ الجَدِيرَةَ بِالْمَدْحِ مِنْ كُلِّ مَنْ رَآهَا ، لأَنَّهَا بَلَدُ الخَيْرِ، ومَعْدِنُ الْفَضْلِ وَالْكَرَمِ ، أَهْلُهَا ذَوُو لُطْف وأدَب وإحْسَان إلَى الغَرِيب ، وَفِي كَلَامِهِمْ مِن الرِّقَّةِ مَا يُغْنِي الْحَزِينَ عَن التَّطْرِيب . إذَا حَيَّوكَ، فَقَدْ أَحْيوكَ ، وَإِنْ سَلَّمُوا عَلَيْكَ فَقَدْ سَلَّمُوكَ ، وإِنْ زَارُوكَ زَادُوكَ شَوْقًا إلَى رُؤْيَتِهِمْ ، وإنْ زُرْتَهم فَسَحُوا لَكَ صُدُورَهُمْ فَضْلًا عَنْ مَجَالِسِهِمْ . أمَّا عُلَمَاؤُهَا فَإِنَّ مَدْحَهُمْ قَدْ انْتَشَرَ فِي الْآفَاقِ، وَفَاتَ نَخْرَ مَنْ سِوَاهُمْ وَفَاقَ . بِهِمْ مِن لِينِ الجَانِب، وَرِقَّةِ الطَّبْعِ ، وَخَفْضِ الجَنَاحِ، وَبَشَاشَةِ الْوَجْهِ مَا لَا يُمْكِنُ الْمُبَالَغَةُ فِي إطْرَائِهِ . وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنَ النَّاسِ عِنْدَهُمْ إكْرَامٌ يَلِيقُ بِهِ سَوَاءٌ كَانَ مِنَ النَّصَارَى أَوْ مِن غَيْرِهِمْ . وَرُبَّمَا خَاطَبُوهُمْ بِقَوْلِهِمْ يَا سَيِّدِي . وَلَا يَسْتَنْكِفُونَ مِن زِيَارَتِهِمْ وَمُخَالَطَتِهِمْ وَمُعَاشَرَتِهِمْ خِلَافًا لِعَادَةِ الْمُسْلِمِينَ فِي الدِّيَارِ الشَّامِيَّةِ . وَبِذَلِكَ لَهُمْ الْفَضْلُ عَلَى غَيْرِهِمْ . وَكَأَنَّ هَذِهِ الْمَزِيَّةَ وَهِيَ حُسن الْخُلُقِ وَرِقَّةُ الطَّبْعِ أَمْرٌ مَرْكُوزٌ فِي جَمِيعِ أَهْلِ مِصْرَ . فَإِنَّ لِعَامَّتِهِمْ أَيْضًا مُخَالَقَةً وَمُجَامَلَةً . وَكُلُّهُمْ فَصِيحُ اللَّهْجَةِ، بَيِّنُ الْكَلَامِ، سَرِيعُ الْجَوَابِ، حُلْوُ الْمُفَاكَهَةِ وَالْمُطَارَحَةِ . وَأَكْثَرُهُمْ يَمِيلُ إلَى هَذَا النَّوْعِ الَّذِي يُسَمُّونَهُ الأَنْقَاطَ (٢) . وَكَأَنَّهُ الْمُجَازَرَةُ وهِيَ مُفَاكَهَةٌ تُشْبِهُ السِّبَابَ ، وَهُوَ أَشْبَهُ بِالْأَحَاجِي . فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ تَدَرَّبَ فِيهِ لَا يُمْكِنُهُ أَنْ يَفْهَمَ مِنْهُ شَيْئًا ،

(١) ينتمى الى أسرة مارونية . ولد فى لبنان ودرس العربية ، وحضر الى مصر وحرر فى الوقائع المصرية ثم أسلم ، وانشأ الجوائب بالآستانة ؛ ويمتاز بسهولة الأسلوب والخبرة اللغوية وله عدة مؤلفات لغوية علمية . توفى سنة ١٣٠٥ هـ .

(٢) الأنقاط : جمع نقطة وهى باللغة البلدية النكتة .

وَإِنْ يَكُنْ شَاعِرًا . وَكُلُّهُمْ يُحِبُّ السَّمَاعَ وَاللَّهْوَ والخَلَاعَةَ . وغِنَاؤُهم أشْجَى مَا يَكُونُ . فَلَا يُمْكِنُ لِمَنْ أَلِفَهُ أَنْ يَطْرَبَ بِغَـيْرِهِ . وَكَذَلِكَ آلَاتُهُمْ فَإِنَّهَا تَكَادُ تَنْطِقُ عَنِ الْعَازِفِ بِهَا . وَأَعْظَمُهَا عِنْدَهُمْ هُوَ الْعُودُ . غَيْرَ أَنِّى أَذُمُّ مِنْ غِنَائِهِمْ شَيْئًا وَاحِدًا ، وَهُوَ تَكْرِيرُ لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ مِنْ بَيْتٍ أَوْ مَوَّالٍ مِرَارًا مُتَعَدِّدَةً حَتَّى يَفْقِدَ السَّامِعُ لَذَّةَ مَعْنَى الْكَلَامِ .

(٤) لعبد الله باشا فكرى [(١)]

سلامٌ يُعبِّرُ عن الوِداد طِيبُ عَبيرِه ، ويُخْبِر عن إخلاص الفؤاد لطفُ تعبيرِه ، وثناءٌ على محاسن تلك الشمائل ، أرقُّ من نَسَمات الشمائل [(٢)] ، وتحيةٌ بهية تباهى الخمائل [(٣)] [(٤)] بنفَحات أورادها ، وأدعيةٌ مرضية جعلتْها الألسنة خيرَ أورادها ، وسُؤالٌ عن المزاج الزاهر ، وصحة الخاطر الباهر . لا زلتُمْ مَحَلَّ نِعمةٍ يتّصلُ على مدى الأيام بقاؤُها ، ويزيدُ على مرّ الشهور والأعوام بهاؤُها ، ولا برِحتْ ثغورُ الإقبال اليكم بواسم ، ورياحُ الآمال لديكم نواسم [(٥)] .

وبعد فانّ بى من الأشواقِ ، ما تضعُف عن حَمْله الى جنابكم الأوراقُ ، ومن التأسّف على ما حُرِمتُه من لُقياكم ، والتلهف الى مطالعة أنوار مُحيَّاكم ، ما يقْصر عن وصْفه لسانُ اليراعة ، ويقْصُر دون وصفه بيانُ البراعة ، ويضيق عنه نطاقُ العبارة ، ولا ينفسح له مَيْدان الإشارة .

(١) تقدّمت ترجمته فى الشعر . (٢) الخلال والسجايا .
(٣) جمع شمال ، وهو من الجناس التام .
(٤) الخمائل جمع خميلة : وهى الشجر الكثير الملتف .
(٥) نسمت الريح تحركت وهبت .

وكتب رحمه الله معزيا :

يعز عليّ أن أكاتب سيدى معزّيا، أو ألمّ به فى مُلمة مسلّيا، ولكنه أمرُ الله الذى لا يُقابَل بغير التسليم، وقضاؤه الذى ليس له عُدّةٌ سوى الصّبر الكريم . وقد علم مولاى (أجمل الله صبرَه، ولا أراه من بعدُ إلا ما سرّه وشرح صدره) أن اللهَ (جل ثناؤه، وتباركت آلاؤه) اذا امتحن عبدَه فصَبرَ آجَرَه وعوّضه بكرمه، كما أنه اذا أنعم عليه فشكَرَ زاده وضاعَف له من نِعَمه، وقد عُرِف من حَال سيدى فى الشكر على السرّاء، ما يستوجب المزيد منها، والظنُّ بحَزمه وعلمه أن يكون حاله فى الصبر على الضرّاء ما يستجلب الأجرَ عليها والتعويض عنها .

وكتب أيضا الى بعض أصحابه :

كَتَبْتُ والذهنُ فاتر، من وَهْنِ الدفاتر، والتّبْييض والتسويد، والتّقْييد والتسديد، والترجمةِ وكثرتها ، والهمة وفَتْرتِها ، والماهية وقلّتها ، والنفس وذِلّتَها، وراتِبي لا يكفى أجرةَ البيت، ولا يَفِي ثمَنَ الماء والزيت، وبالأمس وعد الوكِيلُ بالزيادة، واعتذر اليومَ بالأصيل على العادة، على أَنه لو حصلت زيادة فلزيد وعمرو ، الى آخر الزّمر، ولله الأمر، أحوالٌ متبدّدة، ونفوسٌ متبلّدة، وأشغال متعدّدة، وإخوانٌ خُوّان، وخِلّانٌ غيلان ، ورِفَاق ، وما أجمل الفِراق ، وقلت :

أَلَامَ أُعَانِى الصبرَ والدهرُ غادرٌ وحتى متَى أشكو ومَالِىَ عَاذِرُ
ولو أنى أَشْكُو عَظَائِمَ شِدّتى لِمَيْتٍ لَرَقّتْ لِى الْعِظَامُ النّوَاخِرُ

وسألتَ عن فلان وفلان، وهَيَّانِ بْنِ بَيَّان، ممن يَنْتَسِبُ للعلِمِ وأَهْلِه ، ويتظاهر بشِعَارِ فضله ، ولو كان العلم بِلِحْيَةٍ تَعْظُم وتُطَوّل، وشَوَارِبَ تُحَفّ وتُسْتَأْصَل،

وعُيُونٍ عَلَى مَا بِهَا مِن غَمَصٍ ورَمَصٍ تُكَحَّل ... ... فهم أعلم مَن أَقَلَّتْهُ الغَبْراء، وأفقهُ مَن أَظَلَّتْه الخضراء، وإن كان للعلم غيرُ هــذهِ الآلات، فمـا لهم سوى هذه الحالات ... ... يا قوم أهذا النحو وإعرابُه، والصرفُ وأبوابه، والعَرُوضُ وأوزانه وأبْحُرُه، والمَعـانِى وإنْشاؤُه وخَبَرُه، والبيانُ وفرائدُه، والبـديع وشواهدُه، وهــذه العلوم الموضوعة، والأسفار المحمولة، والدروسُ المــأْهولة، والأصوات المَهُولة، لمجرّد معرفة ضرب زيد لعمرو، وقتالِ خالد لبكر، وأنَّ قالَ أصلُهَا قَوَلَ، ثم لا يدرِى ما حصــل، والطوِيلُ من فعولن مفاعيلن ثم لا يعْــلَم، كيف يُنْظَم، والفصــلُ والوصل، ولا أصلَ ولا فَصْــل، والحقيقةُ والمجـاز، وليس لهما مَجَاز، والتوريةُ والجِناس، مما يُحفَظُ ولا يُقَاس، إذًا والله تكون تلك الفُنونُ، من أفانِينِ الجنون، ويكونُ الميلُ إليها، والإقبال عليها، عَمَلًا حابِطًا، وشُغْلا ساقِطًا، وهَوَسًا عاطِلا، ووَسْواسًا باطلا، ويكون واضِعوها أساءوا النــاس، وأخطئوا القياس، وبنَوْا على غيرِ أساس، كلا إنما وَضَعوا هذه القواعد، وشَرَعوا للناس تلك الموارد، ليتكلمــوا بكلام العرب مثــل ما تَكَلَّمَتْ، ويفهموا من ألفاظها كالذى فَهِمَت، ويُتَرْجِمُوا عن سرائر الضَّمَائر كما تَرْجَمَتْ، ويَنْثُرُوا ويَنْظِمُوا كما نَثَرَتْ ونَظَمَت. وقد كانت هــذه العربُ التى أَودعَ اللهُ الفصاحةَ لِسانَهَا، وشرَّف بسيدِنا النبى والقرآنِ العربىِّ مَكَانَها، تتكلم بهذه اللغــة العَلِيَّة، على الفِطْرة الأصلية، والسَّجِيَّة الجِبِلِّيَّة، من غير هــذه القواعد والأصول، وتلك الأبوابِ والفصول. وكانت تَعْتَدُّ البلاغة مبلغَ عُلَاها، وتعتقد الفصاحة من محاسن حُلَاها... الى أن خَلَفَ هذا الخَلَفُ فظنوا تلك الوسائلَ مقاصــد، ليس بعدها غايةٌ لقاصد، وحسبوا هــذه الكتب تُقصد

لذاتها، ويُكتَفى بالتعبد بكلماتها، فوقفوا عندها، ولم يتجاوزوها لما بعدها، واتخذوا الأدب وراءهم ظِهْريّا، وجعلوا النظم والنثر شيئا فَرِيّا، ... أما فلان وأترابه، وفلان وأضرابُه، فهم أعجوبة الأيام، وأحْدُوثةُ الأنام، أحوال متناقِضة، وأفعال متعارِضة، فكبر وفقر، وعجز وفخر، وحالٌ تحتَ التراب، ونفْسٌ فوق السحاب، إن صدَقْتهم كَذَبوا، وإن أرضيتَهم غضِبوا، وإن تباعدتَ عنهم لاموا وعذَلوا، وإن تقرَّبْتَ منهم سَئِموا ومَلُّوا، صغيرة السيئة عندهم كبيرة، وكبيرةُ الحسَنَة لديهم صغيرة، عيونٌ منتقِدة، وقلوبٌ متّقدَة، وألسنة حِداد، وأفئدة شِداد، وأجسام صَحيحة وقلوب مَريضة، وجهلٌ طويلٌ ودعاوى عريضة، وقد بذلْتُ في مَرْضاتهم جهدى، وأجنيْتُهم مُرّى وشَهْدى، وقابلْتُهم باللطف والعُنف، وعاملتهم بالنُّكْر والعُرْف، فلا وأبيك ما زادوا إلا فُجورا، وعتُوّا ونفورا، ولو وقفْتُ عليهم ليلتى ويومى، وهجَرْتُ لديهم راحتى ونومى، وفديتهم بعشيرتى وقومى، ثم أطعمتهم من جسمى، وآثرتهم من العافية بقَسْمى، لما بلغتُ من نفوسهم رضاها، ولا أدّيْتُ من حقوقهم — على زعمهم — مُقْتضاها، بل ولو صاحبهم جبريل، وخاطَبَهم بالتنزيل، وأهداهم الجنةَ فى منديل، وأنزل إليهم الشَّمْس فى قِنديل، ونَظَم لهم النجوم عقودًا، وشق لهم من المجَرّة بُرودا، وصير الإنس والجن لهم عبيدا، وجعل الملائكة لهم بعد ذلك جنودا، وأطْلَعهم على غيب السماء والأرض، وخبَّرهم بما كان وما يكون إلى يوم العَرْض، لما أصبح عندهم إلا مذموما، ولا أمسى لديهم إلا ملُوما، ولكان منسوبا للقُصور والتّقْصير، والإخلال بالقليل والكثير، قوم هذه طِباعهم، وتلك أوضاعهم، من ذا يرضيهم بحال، ولو فعل لهم المُحال ... اهـ باختصار .

(٥) السيد عبد الله نديم (١)

من رسالة طويلة، تعمد فيها أن يقتبس الفاصلة الثانية من آى الذكر الحكيم.

لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اشْتَبَهَ الْمُرَاقِبُ (٢) بِاللَّاه (٣)، واسْتُبْدِلَ الْحُلْوُ بِالْمُرِّ، وَقُدِّمَ الرَّقِيقُ عَلَى الْحُرِّ، وَبِيعَ الدُّرُّ بِالْخَزَف (٤)، وَالْخَزُّ (٥) بِالْخَشَف (٦)، وَأَظْهَرَ كُلُّ لَئِيمٍ كِبْرَهُ، إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَة. سَمْعًا سَمْعًا، فَالْوُشَاةُ إِنْ سَعَوْا لَا يَعْقِلُوا، وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا، فَكَيْفَ تَشْتَرُونَ مِنْهُم الْقَارَ (٧) فِي صِفَةِ الْعَنْبَرِ، وَقَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ، وكيف تسمعُ الأَحْبَابُ لِمَنْ نَهَى مِنْهُمْ وَزَجَرَ، وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ (٨). عَجِبْتُ لَهُمْ وَقَدْ دَخَلُوا دَارَنَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ. فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ (٩). وَأَنْتَ يَا عَزِيزَ الْعَلْيَا، وَوَحِيدَ الدُّنْيَا، قَدْ بَيَّنْتُ لَكَ فِعْلَهُمْ، فَبِمَا رَحْمَةٍ (١٠) مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ. وَلَكِنَّهُمْ طَمِعُوا فِي عَمِيمِ طَوْلِكَ (١١)، وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا (١٢) غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ. أَتَرَاهُمْ يَعْقِلُونَ كَلَامَكَ أَمْ يَفْهَمُونَ؟، لَعَمْرُكَ (١٣) إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ (١٤). لَهُمْ قُلُوبٌ

---

(١) تقدمت ترجمته فى الشعر. (٢) يريد بالمراقب: من يراقب الله تعالى ويخشى عذابه.

(٣) اللاه: اللاهى. (٤) الخزف: الفخار.

(٥) الخز بفتح الخاء: الحرير يخلط بالصوف. (٦) الخشف: الردىء من الصوف.

(٧) القار: الزفت. (٨) ازدجره كزجره: منعه ونهاه.

(٩) ركض: جرى وعدا. (١٠) فبما رحمة: فبرحمة وما للتوكيد.

(١١) طولك بفتح الطاء: إحسانك.

(١٢) الفظ: الجافى النفس السيئ الخلق.

(١٣) لعمرك بفتح العين وسكون الميم وضم الراء: وحياتك.

(١٤) يعمهون: يتحيرون.

لا يدرون بها للحسد قرارا، لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا. كيف يسعى العاذل بين النديم وإلفه، وقد خلت النذر (١) من بين يديه ومن خلفه، فياسادتي دعوني من المعجب والمطرب، ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب، واجعلوا سيف ثباتكم للعذال مسلولا، وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا. فإنهم إن قالوا كذب النديم أو بطر، سيعلمون غدا من الكذاب الأشر (٢). وها قد صار أمر الحزبين عندك جليا، أي الفريقين خير مقاما وأحسن نديا (٣)، أتظن عهد العاذل عند غضبك لا ينكث (٤)؟، مثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث (٥)، إنه لكم عدو كبير، ففروا إلى الله إني لكم منه نذير، فإنه جمع لقتالك الأولاد والأحفاد (٦)، وآخرين مقرنين (٧) في الأصفاد (٨)، تركوا أمر الله واشتغلوا بما يرضونه، فأعقبهم نفاقا في قلوبهم إلى يوم يلقونه: وظني إن وصل إليك كتابي أنهم يطردون ويردعون، وحرام على قرية أهلكناها أنهم لا يرجعون.

(١) النذر بضمتين: جمع نذير بمعنى الإنذار.

(٢) الأشر بكسر الشين: البطر بكسر الطاء.

(٣) الندي بكسر الدال وتشديد الياء: النادي وهو مجلس القوم.

(٤) ينكث: ينقض.

(٥) لهث الكلب يلهث: أخرج لسانه من التنفس الشديد تعبا و إعياء.

(٦) أولاد الأبناء: أما أولاد البنات فيدعون الأسباط.

(٧) مقرنين: مشدودين.

(٨) الأصفاد جمع صفد بفتحتين: وهو القيد.

(٦) السـيد جمـال الدين الأفغانى[١]

كتب الى عبد الله باشا فكرى يعتب عليه وقد بلغه أن رجلاً ذمه أمام الخديو على مسمع من فكرى باشا فسكت ولم يدافع عنه[٢] .

مولاى ! إن نسبتُك إلى هَوادة فى الحق وأنت — تقدّست جِبِلّتك — فُطِرْتَ عليه، وتخوضُ الغَمَرات إليه؛ فقد بعتُ يقينى بالشك ، وإن توهمتُ فيك حَيَدانًا عن الرُّشد، وجَوْرا عن القصد، وأنا مُوقِن أنك لازلتَ على السدادِ غيرَ مُفْرِط ولا مُفَرِّط فقد استبدلت علمى بالجهل — ولو قلتُ : إنك من الذين تأخذهم فى الحق لومة لائم، وتصدهم عن الصدق خشية ظالم، وأنت تصـدع به غيرَ وانٍ ولا ضجِـر ولو ألّب الباطلِ الكوارثَ المُودية، وأجرى عليك الخطوبَ الموبقةَ، لكذبتُ نفسى وكذّبنى من يسمع مقالتى، لأن العالم والجاهل والفَطِن والغبيّ كلهم قد أجمعـوا على طهارة سَجِيّتك ونَقاوة سَريرتك — واتفقوا على أن الفضائل حيث أنت — والحق معـك أينما كنت — لا تفارق المكارمَ ولو آضطُررت — وأنت مجبول على الخير لا يحوم حولكَ شر أبدا، ولا تصدُر عنك نقيصة قصدا — ولا تهِن فى قضاء حق، ولا تَنِي عن شهادة صدق — ومع هذا وهذا وذاك إنك مع علمك بواقع أمرى، وعِرفانك بسريرتى وسِيرى، أراك ما ذُدتَ عن حق كان واجبا عليك حمايتُه، ولا صنت عهدا

(١) هو محمد بن صفدر ولد فى أسعد أباد وتنقل فى بلاد الهند وأفغانستان، ثم رحل الى الاستانه، ثم نفى منها بجاء مصر ونفخ فيها من روحه وأسس نهضة إصلاحية فى الدين والسياسة، وتتلمذ له فيها الشيخ محمد عبده وغيره، ثم نفى من مصر، ثم قصد باريس وأنشأ فيها مع الشيخ محمد عبده جريدة «العروة الوثقى» ثم دعى الى الآستانة وبها مات سنة ١٣١٥ هـ .

(٢) قد تبين للسيد بعد ذلك أن فكرى باشا دافع عنه فى ذلك المقام أبلغ دفاع .

كانت عليك رعايته، وكتمت الشهادة وأنت تعلم أنى ما أضمرت للخديو ولا للمصريين شرا، ولا أسررتُ لأحد فى خفيَّاتِ ضميرى ضرًا — وتركتنى وأنيابَ النذل اللئيم (فلان) حتى نهشنى نهش السبّع المرِمِ العظام، ضغينةً منه على السيد ابراهيم اللقانى وإغراءً من أعدائى أحزاب (فلان)! ما هكذا الظن بك ولا المعروف من رشدك وسدادك — ولا يطاوعنى لسانى — وان كان قلبى مذعنا بعُظم منزلتك فى الفضائل، مُقراً بشرف مقامك فى الكمالات — أن أقول عفا الله عما سلف إلا أَن تصدّع بالحق، وتقيم الصدقَ، وتُظهرَ الشهادةَ إزاحةً للشبهة، وإدحاضًا للباطل، وإخزاءً للشر وأهلِه — وأظنك قد فعلتَ أداءً لفريضة الحق والعدل — ثم إنى يا مولاى أذهبُ الآن إلى لندن ومنها إلى باريس مسلما عليكم وداعيا لكم — والسلام عليكم وعلى أخى الفاضل البار أمين بك »

جمال الدين الأفغانى

٨ صفر سنة ١٣٠٠

(٧) مصطفى بك نجيب (١)

كتب مصطفى بك نجيب يصف نَظَّارَة ويشكر من أهداها :

وردَ الكتابُ المُطرَّزُ بحُلَى الكَرَم، المُحَلَّى بجَمِيلِ النعم، واستلمتُ الهدِيّة، فسلِمَت يدُ أَهدَتْها، وحُفِظَتِ السَّجَايَا الَّتِى لمحاسنِ الأعمالِ هَدَتْها، ودامت رِحَابٌ لمثل هذه الحَسَناتِ فيها مَجَال، وللحسنات بهاءٌ وجمال، وللآمال محطُّ رِحَال، وللمقاصد

(١) هو مصطفى بن محمد نجيب، شاعر كاتب، يمتاز بسهولة الأسلوب، ورشاقة العبارة، وإيراد أبرع النكات فى شعره ونثره . وقد نشأ فى معية الخديو، ثم تحول الى وزارة الداخلية فشغل فيها منصبا كبيرا حتى مات رحمه الله، وهو صاحب رسائل « أحلام الأحلام » وكتاب « حماة الاسلام » الذى نشر منجما فى جريدة اللواء . توفى سنة ١٣٢٠ ه .

كعبةُ إقبال، وطابت نفسٌ تعالَى الله أن تُماثلَها نفسُ عِصام، فانها نَسخَتْ آيةَ الكَرِّ والإقدام، بآية الجُود والإكرام، وفَعلَتْ فى القـلوبِ بالعطَاءِ والنَّوال، ما قصَّرتْ عنـه الرِّماحُ الطِّوال، وتأمَّلتُها فأرتْني ما لا عينٌ رأَتْ، وأظهرتْ من محاسنِ المَنَاظِر ما أَعْمَرتْ، وقرَّبتْ كلَّ منظورٍ بعيدٍ، وتَلَتْ ﴿ فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴾ وصَفَا وَقْتِي بِصفَائِهَا، فلم أَشْتَهِ شَيْئًا إلا جَمعَتْ بَيْنَه وبيْني، وصَحَّ عَلَيْنَا قولُ القائل "رَأَيْتُ بعَيْنِهَا ورَأَتْ بعَيْنِي" ثم سَرَّحتُ نَظَرِي فِي الأَطْلاَلِ والرُّسوم، حتى نَظَرتُ نَظْرَةً فى النُّجوم، فلم تُخْفِ عني شجرًا ولا مَدرًا، ولا نجمًا ولا قمرًا :

يَزِيدُكَ وَجْهُهُ حُسْنًا اذا ما زِدْتَه نَظَـرَا

بِبهاء، يُخَيِّلُ لِي أَنَّهَا صِيغَتْ مِنْ ضِياء، فلو كانَتْ فى يَدِ ذلكَ الظَّمْآن — استغفرُ الله — لَمَّا كَانَ يَحسِب أَنَّ السَّرابَ مَاء، استغربتْهَا العقولُ حتى صار لكل انسان فيها نَظَر، واطّلعتْ على تَفاوُتِ الناسِ فجاءَتْ لكل بَصرٍ بقَدَر، ونال بها كُلٌّ قصده ومَرامه، واستوى عندها "أَعْمَى وأَعْشَى ثم ذُو بَصرٍ وزَرْقاءُ اليَمَامَة" فلو كانت عَيْنًا لكَشَفَتْ حَقَائِقَ الضَّمائر، ونُظِر بها تقلُّبُ القلوبِ وحقيقةُ البصائر، شَهِدَ لها الجمْع بالفضل لَمَّا ظهر لكل إنسانٍ لديها حالةُ ضعفه، وعظَّمَ مِقْـدَارَها كلُّ فردٍ ورَفَعَها — رغبةً منه أو رَغْمًا — عَلَى أَنفِه، ولا عَيْبَ فيها غيرَ أَنِّي نظرتُ بها فى سَماءِ فضلك الباهر، وأُفُقِ شَرَفِكَ الطاهر، فلم يَنْكَشِفْ لى بها لجُودِك آخر، لا زال كرمك بعيدًا حدُّه على كل ناظرٍ وباصِر، وفَضْلُ مناهلك غايةً تقصدها الأوائل والأواخر.

(٨) ابراهيم بك المويلحى(١)

يشكو بلسان حاج ما رأى إحدى السنين فى الحج من فتك الوباء بالحجاج وإهمال السلطات شأنه وشأنهم .

ترجمت الى التركية وعرضت على السلطان عبد الحميد :

كذا فليجلَّ الخطبُ وليفدَح الأمْرُ   وليْسَ لعَينٍ لم يَفِضْ ماؤُها عُذْرُ

يقول الشاعرُ البيتَ الجزْلَ من الشعر لغرضٍ له حقيرٍ ، ثم يتركُهُ ويأتى من بَعدِهِ مَن يضَعه مَوضِعَهُ اللائقَ به من حوادث الزَّمَان . وإن هذا البَيْتَ لا يَحل محله فى رثاء واحدٍ من الناس ، وإنما يقال ليُبكَى به على ما أصاب المسلمين فى مَكَّة هـذا العامَ . ولا غرو أن ترتَعِدَ اليَـدُ ويقفَ القلم ، ويتلعْثَمَ اللسان عِند وصفِ ما فعلته المَنيَّـة حين قامت تَفْتِك فى الأرواح ، وتَهتِك فى الأَشبَاح ، حتى فُرِشَت الأزِقَّة بالموتَى ، وأقَامت منهم كُثْبَانًا تشهَد على عجز القوم عن تدارك الأمور .

ولقد رأيت من المناظر المدهشة ما تتَصاغر عنده عظيمات النوائب ، وتتضاءَلُ لديه جَسِيمَات المصائب . فمن ذلك أنى رأيت شابًّا عليـه شَارَةُ الحشمة والنَّجابة ،

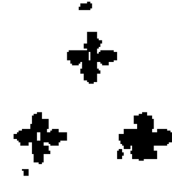
(١) أصل أجداده من عرقا المويلح ببلاد العرب ، وقد انحدروا الى مصر من زمان بعيد . وقد نشأ إبراهيم فى بيت حسب وغنى ، وكان أبوه من كبار التجار فى الحرير ، فنزع ابراهيم — مع معالجته للتجارة — الى الأدب فقرأ كثيرا فى كتب المتقدّمين ، وكان من أوائل من استظهروها ، حتى برع فى الأدب ، وحذق الفرنسية والتركية ، وجوّد التاريخ القديم والحديث ، واتصل بالأفاضل المبرّزين فى عصره . وشرع لونا من البيان يجمع بين جزالة الأسلوب وفحولة اللفظ وبين الوقوع على المعانى الغريبة ، والاستشهاد بالأمثلة الدقيقة ، فكان فى بيانه نسيج وحده . وهو يعدّ بحق من أوائل من بعثوا النهضة الأدبية فى العصر الحديث . وقد أصدر جريدة نزهة الأفكار ، ثم جريدة مصباح الشرق ، وحرر فيهما وفى كثير من الصحف التى كانت قائمة فى عهده . وتوفى سنة ١٩٠٦ م (١٣٢٣) هـ .

يَتَخَبَّط فى التُّراب ولا يستطيع إشارة ولا كلاما، وإنمـا كان يطلب بعينيه المملوءتين بالدمع أن يَدْنُو منه أحدُ المـارَّة، فَدَنَوت منـه فوجدته قد مات . فأبكانى موتُهُ غريبا عن أهله وقومه على تلك الحالة المؤلمةِ، فَطلبْتُ بالأجرة من يَدْفِنـه فلم أجِدْ أحدا، على إفراطِ حُبِّ المـالِ فى هـذا البلد . فكتبتُ ورقة وأرسلْتها الى قاضى مكّةَ أسأله المَعُونَةَ على دفن هؤلاء الغرباء المطروحين تحت أقدام الناس فى الطريق، فأجابنى بأن هذا لا يَعلَق بشىء من وظيفته، ولا يَخُصُّه الاشتغال به! فسألت عن غيره من أصحاب الحَلِّ والعَقْد، فوجدتهم قد طاروا الى الطائف وتركوا مكة للقتل العـام .

وبينا أنا حيران فى وسط هـذه المقبرة المكشوفة، إذ لاحتْ منى التفاتةٌ الى الموْتَى فرأيت — وليتنى لم أَرَ — امرأة اختطفتها المنيَّةُ من بنت لها صغيرةٍ لم تبلغْ سنَّ التمييز بين النَّوم والموت، وقد شَرَعتْ تلك الصغيرة تُحرِّك أمها بيـديها لإيقاظها، وتبكى لعدم إجابتها، بعيونٍ تَقَسَّمَتْ نظراتُها بين السَّماء والأرض، وتَعِدُها فى خلال تلك النظرات المُبهَمة أنهـا لا تعود لشىء كانت نَهَتْها عنه، بعبارات تستخرج الحنو والشفقةَ من القلوب الصَّخرية . فامسكتُ بالبنت ولا أَقدِر أن أصف لك كيف فصلْتُها عن رِمّة أمِّها، وكيف كان حالهُـا وحالُ من يراها عند آخر نظرةٍ نظرتْها الى والدتها وكافِلَتِها .

ثم قَفَلْنَا الى جُدَّةَ مشتَّتين، فعلمنا أن الدَّولة قد أرسلت وابورا لنقل الحجـاج، وليتها لم تُرسِـلْ، فان قبطان الوابور كان أشـدَّ قَسوة على الحُجاج من الموت: أمر أوّلًا بالقاء قسم ممـا كان معهم من الأزْوادِ فى البحر بدعوَى المحافظةِ على الصحة .

ثم أخذ يبيع لهم ثانيا، وهم فى اللُّجّة، مما احتكرهُ من القوت، بيعَ القَحْطِ اليُوسُفِي . ولما لم يبق معهم من النَّقْد شئٌ، شرع يبيع لهم بما معَهم من الهدايا والسَّبح . وكان الجَبَّار لا يُحب أن يسمع بمريض فى السفينة . ولهذا اضطُرَّ كثيرٌ أن يكتُمُوا أمراضَهم . وما زلنا معه على شَفَا الخَطَر الى أن وصلنا الى الطُّور، فلقينا هُنَاك من كبرياء الأطباء وعظمتهم ما تمنينا له أن نكون طُعْماً للحيتَانِ ؛ فانهم كانوا يأنفُونَ أن يَمَسُّوا أيدى الحجاج بأيديهم، وكانوا يكتفون بالنظر الشَّزْرِ اليهم . وكثيرا ما كانوا يعترضون على الحجاج . فاعتقدتُ أن الخَيْرَ ارتفع الى السماء، وأن الأرض أصبحت قاعاً صَفْصَفًا من نَوْعِ الإنسانِ، وأن الذين نراهم هم شياطين على صورة البشر .



وقُصارَى القول أننا فى زمن أصبح القابضُ على دينه فيه كالقابضِ على الجمر . فلا حولَ ولا قوّة إلا بالله .

(٩) الشيخ ابراهيم اليازجى (١)

كتب يعزى بعض أصدقائه :

مَنْ عَلِمَ أَنَّ القَضَاءَ وَاقِع، وَأَنَّ الأَعْمَارَ رَهَائِنُ المَصَارِع، فَلَمْ يَصْحَبْ دَهْرَهُ عَلَى غِرَّةٍ (٢)، وَلَمْ يَفْتُرْ (٣) مِنَ الأَقْدَارِ بِفَتْرَة (٤) . لَمْ تَكْبُرْ عَلَيْهِ الرَّزِيئَةُ إِذَا اغْتَالَتْ، وَلَمْ يَطْمَئِنَّ

(١) يعد ابراهيم اليازجى من علماء اللغة والنحو والأدب، أصدر بمصر مجلتى البيان والضياء وله مؤلفات محكمة فى علوم اللغة والنقد اللغوى . توفى سنة ١٣٢٤ هـ .

(٢) الغرة بكسر الغين : الغفلة . (٣) يفتر : يسكن .

(٤) والفترة بفتح الفاء : الهدنة وما بين النوبتين من الحمى .

إلَى السَّلامَةِ وَإنْ طَالَتْ، فَإنَّ للدَّهرِ رَقْدَةً وَهَبَّةً (١)، وَإنَّ للَّيَالِي كَمْنَةً (٢) وَوَثْبَةً (٣). وَمِثْلُكَ مَنْ أَدْرَكَ مَبَادِئَ الأُمُورِ ومَصَايِرَهَا (٤)، وعَرَفَ مَوارِدَ الحَيَاةِ ومَصَادِرَهَا. وَإنَّمَا المَوْتُ طَوْرٌ مِنْ أَطْوَارِ الوُجُودِ، وَآخِرُ أَعْمَالِ الحَيَاةِ فِي المَوْجُودِ. وَلَا أَزِيدُكَ عِلْمًا بِالكَوْنِ وشَرَائِعِهِ، والكَائِنِ وطَبَائِعِهِ. إنَّمَا هِيَ ذِكْرَى لِمَنْ فَجَأَهُ الرُّزْءُ فَشَغَلَهُ، وَحَلَّ بِسَاحَتِهِ القَضَاءُ فَأَذْهَلَهُ. وحَسْبِي من التَّعْزِيَةِ عِلْمِي بِمَا عِنْدَكَ مِنْ مَوَارِدِ العِلْمِ المُبَاحِ، ومن التَّأْسِيَةِ (٥) مَا تَعْلَمُهُ مِن حَالِ مُخَاطِبِكَ وَهُوَ سَائِلُ الجراحِ. وما أَخْلَقَنِي (٦) بِأَنْ أَقُولَ: إنَّ رُزْءَكَ هَذَا قَدْ زَادَنِي شَجَنًا (٧) عَلَى أَشْجَانِي، وَنَكَأَ (٨) مَا تَمَاثَلَ (٩) مِنْ قَرْحَةِ أَحْزَانِي. وَلَكِنِّي قَدْ صَيَّرَنِي الدَّهْرُ إلَى حالٍ لَا تَعْمَلُ فيها حَالٌ، وَلَا أُبَالِي مَعَهَا بِسِلْمٍ وَلَا قِتَالٍ، فَكَأَنَّمَا إيَّايَ عَنَى أَبُو الطَّيِّبِ حَيْثُ قال:

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالأَرْزَاءِ حَتَّى ... فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ من نِبَالِ
فَصِرْتُ إذا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ ... تَكَسَّرَتِ النِّصَالُ عَلَى النِّصَالِ

---

(١) يريد أن من صاحب الزمان على حذر ولم يأمن له، وإن طال أمد السلامة لم تعظم عليه المصيبة إذا حلت لأنها دائما داخلة فى حسابه.

(٢) الهبة بتشديد الباء المفتوحة: النهوض من النوم.

(٣) يريد بالكمنة السكون.

(٤) مصاير الأمور: غاياتها.

(٥) التأسية: التصبير والتعزية.

(٦) ما أخلقنى: ما أحقنى وأولانى.

(٧) الشجن: الهم والحزن، وجمعه أشجان.

(٨) نكأ القرحة: قشرها قبل أن تبرأ.

(٩) تماثل: قارب البرء.

(١٠) مصطفى باشا كامل[1]

من خطبة له :

أيها السادة . إنكم باجتماعكم اليومَ هذا الاجتماع الوطنى ترفعون كثيرا من مقام الوطنية المصرية، وتخفِّفون من آلام مصر العزيزة التى قاست وتقاسى أشد العذاب على مشهد منكم يا أعز بنيهـا ويا نخبة أنجابها . فكل اجتماع وطنى تُذكر فيه مصر ويُطالَب بحقوقها ويعلن أبناؤها إخلاصَهم لها هو فى الحقيقة مَرهَم لجراحها ودواء لدائها . فاذكروها ما استطعتم فان فى ذكراها ذكرى آلامها، وذكرى الآلام تجرّ حتما الى ذكر عوامل الشفاء . اذكروها كما يذكر الولد الحنون أمه الشفيقةَ وهى على سرير المرض والعناء . اذكروها بآلامها وان كان غيرُكم يذكر بلاده بمجدها ورفعة شأنها . اذكروها فانكم ما دمتم مقدِّرين لمصائبها، عارفين بحقيقة آلامها، دام الأمل وطيـدا فى سـلامتها ودام الرجاء . اذكروها فمن المسـتحيل أن يرى العاقلُ النارَ فى داره، والداءَ فى شخص أمه، ويُهمل النارَ ويهمل الداء .

ثم قال : وهناك فئة من المصريين لا أُنكر إخلاص رجالها للوطن العزيز، ولكن أنكر عليهم اليأس الذى يتظاهرون به فى كل وقت وفى كل مكان . فهـم ما عملوا ولا يعملون للبلاد عملا نافعا، ولكنهم جعلوا اليأس علّة عدم العمل وعلّة الكسل ! فان سألتهم لم لا تقومون بعمل عمومى نافع للبلاد أجابوك : "نحن يائسون من

(١) خطيب وسياسى مصرى تعلم الحقوق واشتغل بالسياسة، وانصرف الى مقاومة الاحتلال الانجليزى بخطبـه ومقالاته وكتبه . أنشأ جريدة اللواء وجريدتين أخريين احداهما بالفرنسية والأخرى بالانجليزية . وتنقل فى بلدان أوربا داعيـا لمصر . وكان فصيحا مؤثرا فى كتابته وخطابته . مات شابا سنة ١٣٢٦ هـ (١٩٠٨ م) .

مستقبل الوطن، معتقدون بظلمة الأيام الآتية" فبالله كيف يستطيع طبيب أن يحكم على عليل بعدم الشفاء قبل أن يفحص داءه ويعطيه الدواء ؟ على أننا نرى الكثير من الأطباء لا ييئس أبدا من شفاء المريض حتى فى آخر لحظة من حياته . فكيف ييئس رجال من بنى مصر من مستقبل البلاد ؟ ! وهم إن كانوا قد خبروا داءَ مصر، فيعلم الله ويعلم الناس أنهم الى اليوم ما قدّموا لها الدواء !

كيف نيئس من المستقبل، والمستقبلُ بيد الله وحده، وكثيرا ما تأتى الحوادث بخلاف المنتظَر وبغير حساب ؟

هى النفوس الصغيرة التى يُخلق عندها الأمل بكلمة أو بتلغراف ! ثم يستولى عليها اليأس بكلمة أو بتلغراف ! أما النفوس العالية الكبيرة فيدوم فيها الأمل ما دام الدمُ فى العروق وما دامت الحياة .

وأى حياة ترضاها النفوس الشريفة مع اليأس ؟ أيجمع المرء فى جسم واحد الموتَ والحياة ؟ إذ اليأس موت حقيقى وأى موت !

كيف نيأس ونحن جميعا عالمون بأن ما يظهر طويلا فى حياة الأفراد هو قصير فى حياة الشعوب، فعَشرٌ من السنوات فى حياة الانسان طويلة حقا، ولكنها فى حياة الأمة قصيرة جدا، على أنه اذا كان اليائسون معتقدين بصحة أفكارهم فعار عليهم أن يقوموا فى الأمة بوظيفة تثبيط هِمم الآملين . والآملون فى البلاد كثيرون، بل الأمة كلها مؤملة خيرا فى المستقبل . وإن لم تظهر الى الآنَ أعمال الآملين فستظهر بعد قليل، وسترى الأمة المصرية وأمم العالم أجمع أن للوطن المصرى أبناء مخلصين يقدرون الوطنية قدرها ويعرفون لمصر حقوقها .

ولا غرو فان سبيل خدمة الوطن عديدة، وإن أهمها إعلان الحقيقة فى كل بلد وفى كل زمان . فالحرية بنت الحقيقة، وما انتشرت الحقيقة فى أمة إلا وارتفعت كلمتها، وعلا شأنها . فالحقيقة نور ساطع اذا انتشر اختفى الظلم والظلمة، وانتشرت الحرية والعدل . فكما أن الأفراد لا تُسلَب حقوقهم ولا يتعدّى اللصوص على أمتعتهم إلا فى ظلام الليل الحالك — فكذلك شأن الأمم لا تُسلب حقوقها ولا يتعدى العدو على أملاكها إلا اذا كانت الحقيقة مجهولة فيها، وكانت هى عائشة فى الجهل والظلام .

فيأيها المصريون المخلصون لمصر: انشروا الحقيقة فى أمتكم وفى الأمم الأخرى . قولوا للمصرى إنه إنسان من بنى الإنسان، له حقوق الانسان، تروه رجلا كرجال الأمم الحرة يحمل لواء الوطن بكل قوة وإقدام . قولوا للفلاح المصرى إنه خلق إنسانا ككل إنسان، وإن الله أعطاه فى الحياة حقوق أكبر الأفراد، وإن له صوتا لو رفعه سُمع فى الملأ الأعلى، وإنه ما خلق لأن يعمل لغيره بل ليعمل لوطنه ولنفسه، تروه عندئذ أشد الناس دفاعا عن حقوق الأمة والوطن . قولوا للأمة المصرية إنها أمة كسائر الأمم، من أقدس حقوقها أن تحكم نفسها بنفسها، وأن لا تنفذ رغائب غيرها، وأن تكون فى بلادها علية الكلمة قوية السلطة، لا يُردّ لها رأى ولا يخالَف لها أمر: هنالك تجدون الأمة حية والشعب قويا، ولا ترون أولئك الذين يهزءون برغبة الشعب ورغبة نوابه، ويسخرون من رغائب الأمة ومن مطالبها .

لم لا يقوم كبراء مصر ووزراؤها السالفون بأمر تأسيس المدارس الأهلية وتربية الأمة ؟ لم لا يعقدون الشركات لهذه الغاية ويخصصون أيامهم الأخيرة لهذا

العمل الشريف ؟ رأينا عظيما منهم قام بمسئلة الإعانة العسكرية وأجهد نفسه فى هذا الأمر وله من الأمة والوطن جزيلُ الشكر والثناء، فلم لا نراه يقوم مع الكبراء الآخرينَ بمسئلة إعانة عمومية لتأسيس مدارسَ أهلية، والبلاد فى أشد حاجة اليها؟ يأيها الكبراء ويأيهــا العظماء ! ويأيها الأغنياء ! ما الفخار بالرتب والألقاب، ولا بسكنى القصور العالية، والتحدّث بمــا كان وما ربما سيكون . بل الفخار كل الفخار فى العمل آناء الليل وأطراف النهار لخدمة البلاد وإعلاء شأنها . فما الحياة بأيام تمر وسنين تكر، بل بالعمل وبالخدمة الوطنية :

ليس الحَيَــاةُ بانفاسٍ نردِّدها   إن الحياةَ حياةُ الفكر والعمـــل

اتركوا الأبنــاء معشر الآباء فى الحياة الحرة . اتركوهم يخدُموا الوطن ويخدموا أنفسهم فى غير دائرة الوظائف . اتركوهم أحرارًا غير مقيدين بقيود الرواتب . ابعثوا بهم الى الخارج ليدرسوا التجارة والصناعة، ويؤسسوا فى البلاد المعامل والمصانع، تزدادوا بذلك شرفا وفخرا، وتزدادوا أمام الله وأمام الوطن مثوبة وأجرا .

وإلا فان أُهملتْ تربية الأمة وبقىَ الكبراء منعكفين فى إدارة شؤونهم الخاصة، واستمر الآباء يُلقون بالأبناء الى مهاوى التوظف فى الوظائف، وبقيت التجارة والصناعة فى كساد، ودامت الأمة فى حاجة الى استجلاب لوازمها الضرورية من غير بلادها — دام الانحطاط ودام التأخر ودام الخطر .

---

(١١) الشيخ أحمد مفتاح[1]

كتب فى التهادى :

الهدية — غمرك الله بالمعروف — تبسُط يدَ المودّة وتُدِرّ بها أخلافَ القُرَب، وتغرس بين المتحابين من الائتلاف ، بقدر ما تقطع بينهما من شجر الخلاف . وما أنا فيا أهديه اليك الا كمستبضعٍ تمْرًا الى أرض خَيْبَر، أو كالواهب الماءَ للبحر، والضوْءَ للبدر، والمُلكَ لسليمان، والمالَ لقارون، والحِلمَ لأحنف، والذكاءَ لإياس، والتفسيرَ لابن عبّاس . وما ذاك الا كتابٌ كما تراه ضَربَ فى الإحكام بسهْم، ووعَى من الأحكام ما خَلت منه مفعَماتُ الأَسفار، وموجَزات الرسائل، فهو كما قيل: كلُّ الصَّيْد فى جَوْف الفَرا :

تَزِين معانيـــه ألفاظَه وألفاظُه زائناتُ المعانى

على أنى وإن تَطَفَّلتُ عليـك ، وسُقتُ لك هـذا الكتابَ مزدَلفًا الى جنـابك الرحب، ومقامك الأسنى، فقد أصبتُ كَبِدَ الصواب، ووضعتُه حيث يعرفه أهلوه، ويتقبـله مِن باذِله عالموه، علمًا بأنك عمـادُ العلوم ، وأساسُ الفضائل، لا تغادر شاردة إلا وَعَيْتَها، ولا نادرة إلا رَوَيْتَها، وإلّا :

لو كان يُهدَى على قَدرى وقد رَكِنو لكنت أُهدى لك الدنيا وما فيها

(١) يتصل نسبه بالعرب، نشأ بمصر ودرس بالأزهر، وعنى بالأدب . ثم دخل دار العلوم حتى إذا خرج منها اشتغل فى الصحافة والتدريس بدار العلوم . وكانت وفاته سنة ١٣٢٩ هـ . وله مؤلفات عدة وطريقته فى الكتابة تخضع للسجع القصير مع القصد فى استعمال البديع .

(١٢) الشيخ على يوسف(١)

كتب تحت عنوان "لا تَعَصُّبَ فى مصر":

التعصبُ بالمعنَى المَعْـرُوفِ فى الغرب عن أهل الشرق . وبعبارة أخرى عند المسيحيين عن المسلمين، هو انْبِثَاثُ روحِ الْعِدَاءِ والبَغْضَاء من الآخَرِينَ ضدَّ الْأَوَّلِينَ انْبِثَاثًا يحمِلُ على الاعتداء عليهم حينا بعد حين .

التعصب بهـذا المعنى رذيلةٌ من الرذائل التى ينْهَى عنهـا الدينُ الإسـلامى، والقوانينُ الاجتماعية، وفى نظرِ الأوربيينَ هو التَّوَحُّشُ الذى يَفْتِكُ بنفوس الأَبْرِيَاء كُلَّمَـا ثارَ ثَائِرُه . أو هو أَشْـبهُ بالغُولِ الكَاسِر الذى يَنْدَفِـعُ بعَمَايَةٍ فيفـترِسُ كلَّ ما فى طَرِيقِهِ من نفوسِ البَشَر .

التعصب على هذا مجموعُ أرواحٍ شرِّيرةٍ لا نظام لها فى ثَوَرَانِها وعُدْوانِهَا ، نعوذ بالله أن تُرْزَأَ أُمَّةٌ بهذا البلاء العظيم .

قالوا : إن المصريين مُتَعَصِّبُون تعصبا دينيا . ومعنى هذا أنهم يَكْرَهون المخالفين لهم فى الدين كراهةً عَمْيَاءَ، يعتدُون عليهم بروح البغضاء المتناهية كلما سنحت لهم فرصة الافتراس أو استفزهم صائح .

(١) أصله من بلدة بلصفورة بجرجا، نشأ نشأة دينية، ودرس بالأزهر، ولكنه عنى بالأدب، وخرج صحفيا بارعا ذا أسلوب قوى رائع ظهر فى «المؤيد» صحيفته المصرية الإسلامية . ونال منزلة سامية بقوة أسلوبه، وشدة نفسه، وذكاء جنانه . توفى سنة ١٣٣١ ﻫ .

فى البلادِ من قديم الزمان أديانٌ مختلفة يتجاور أهلوها فى المنازل ، ويتشاركون فى المرافق ، و يتنافسون فى الأعمال ، فلم تكن بين المسلمين والأقباط تلك الروح الشريرة . ولو كانت فى فطرة المسلمين أو فطرة الفريقين للاشت الأكثريةُ الأقلية فى عصور مضت ، وخصوصا فى عصور كانت الجهالة فيها سائدة ، وكان بعض الحكام من المماليك وغيرهم يبذُرون بذور البغضاء بين الفريقين لا لخدمةٍ دينية إسلامية ؛ ولكن لأغراضٍ شتّى مَنْشَؤُها الشهوات والمطامع . ولكن التواريخ تدل على أن الفريقين عاشا على الوئام والسلامِ فى كلّ الظروف أو أكثرِها .

وفد على القطر المصرى منذ أول عهد المرحوم محمد على باشا الكبير وفود من كل الطوائف المسيحية ، غربيةٍ وشرقيةٍ : من أرمن وأروام وسوريين وفرنساويين وطليانيين وانكليز ونمساويين وأمريكانيين : من بروتستانت وكاثوليك وأرثوذكس وغير ذلك : من علماء وتجار وصناع وعملة وهَمَل مفشردين . فلقىَ الكل فى مصر صدرا رحيبا .

كان منهم الموظّفون فى كل مصلحة حتى تولى نوبار باشا رئاسة النظار فى مصر ، وكان قائمقام خديوى ، ورئيسَ الاحتفال بموكب المحمل الشريف ، فهل يوجد فى أمة غيرِ الأمة المصرية المسلمة مثلُ هذا التساهل فيرأس آحتفالا دينيا مسيحيا مسلمٌ أو غيرُ مسيحى ؟ .

وكان من علمائهم الأساتذة والمعلمون ونظار المدارس والمكتشفون ، فهل الأمة التى تُربّى أبناءَها على أيدى الأساتذة من غير دينها . تُعَدُّ مُتَعَصِّبَة ؟! وكان التجار على ما يُحِبون من الرحب والسّعة وحسن القَبول ، فضربوا فى البلاد بمتاجرهم

من غثّ وسمين، وجيّد وردىء، وخالص ومغشوش، حتى صارت مصرُ من أوسع أسواق متاجر أوربا ومعاملها التى وَجدت اقبالا من الأمة هائلا .

وهؤلاء بعض الأجانب يقيمون الأكواخ الصغيرة الحقيرة لبيع الخمور الرديئة فى كل قرية من قُرى القطر، مهما سَحقت وقل عددها، أو يربُّون الخنازير ويُثرون شيئا فشيئا حتى يكون الصعلوك منهم فى بضع سنوات صاحب القرية ومزارعها ومدايَن أهليها وسيدَهم . فهل هؤلاء هم المتعصبون الذين يُخشى من شرهم فى وادى النيل على الأوربيين ؟

كيف يكون عند المصريين تعصب دينى وهؤلاء بينهم، تتسع معاملتهم معهم، وكثيرا ما تنتهى هذه المعاملات بمصادرات المدينين فى أملاكهم، ولا يخطر على بال مسلم خاطر سوء من ناحيتهم لعلمه أن دينه ينهاه عن ذلك حيث لا تكفى القوانين النظامية زاجرة للنفوس المتعصبة، لأن للاعتداء ضروبا شتى وطرقا خفية أكثر منها ظاهرة، وهذه تعدّيات الأهالى على بعضهم تُعد بالألوف فى حين أن تعدّياتهم على غيرهم لا تكاد تذكر فى جانب تعدّيات الأجانب على بعضهم فى هذه البلاد .

فكيف تَعمَى أعين الناظرين عن هذه الشمس المشرقة العامة بأشعتها على أرجاء القطر، ويقوم مفترُون يزعمون أن فى المصريين الآن تعصبا ثائرا يكاد يَفتك بالأوربيين لمجرد كونهم مسيحيين ؟ .

أيها المدّعون! راقبوا الله فى أمة رُزئتْ بالإهمال فى شؤونها حتى انحلت عُرى الجامعة بين أفرادها وذهبت منها ريح العصبية فى كل شىء . فحرام عليكم مع هذا الانحلال أن تتهموها بالتعصب فى أشدّ حالاته .

(١٣) الشيخ حمزة فتح الله (١)

قال يهنئ نصراء العربية :

أىْ جَهابِذة الكِنَانة ، نِبَالَ الجُنَانة (٢) ، مِيَاهَ الإجَّانة (٣) ، أبنَاءَ تِلْكَ اللُّغَى (٤) ، صَنَادِيدَ هذه الوَغَى (٥) ، وإليكُمْ يُسَاقُ الحَدِيثُ ، فى القَدِيم والحَدِيثِ ، عن هذا النَّبأ العظيم ، والمجد الصَّميم ، مالِى أرَى فى لُغتِنَا الشَّريفَة « ويعلمُ أُولو النُّهى أيَّةٌ هى من اللُّغَات ، أحقُّ بهذا النَّبزِ (٦) أنْ يُصرَفَ إليها عند الإطلاق » هبوبًا غِبَّ خمول ، وترَّةً (٧) بعد نُحول ، ونُورًا عقِبَ أُفول ، ونَوْرًا إثْرَ ذُبول ، وصَبًا وَرَاءَ قَبُول (٨) ، وعَدْلًا ولا حَيْف ، وقُوَّة ولا ضَعْف ، وما يشاء المُطْرِى فى هذا القَبِيل من العَطْف ، آمَنتُ بالقَدَرِ المَقْدورِ ، والبَعْثِ والنُّشُور ، كذلك يُحْيِى اللهُ الموتَى ، أليس رجلٌ واحدٌ أسفرتْ عنهُ عِنايةُ التوفيق ، فألقتْ إليه المَقَالِيد ، بَلَى ولكنَّهُ الواحدُ الذى يقولُ فى مثله صاحبُ بَنِى مِيكال (٩) .

وَالنَّاسُ أَلْفٌ مِنْهُمُ كَوَاحِدٍ ... وَوَاحِدٌ كَالْأَلْفِ إِنْ أَمْرٌ عَنَا .

---

(١) أديب من أشهر أدباء مصر ، ولد فى الاسكندرية وتعلم فى الأزهر ثم سافر الى تونس فتولى تحرير جريدة « الرائد التونسى » ثم عاد الى الاسكندرية وحرر جريدة « البرهان » ثم عين مفتشا أول للغة العربية بوزارة المعارف وقضى بها نحو ثلاثين عاما . وقد اشتهر بغيرته على اللغة وميله الى الإغراب . مات سنة ١٣٣٦ هـ — ١٩١٨ م .

(٢) الجنانة : الترس . (٣) الاجانة : إناء يغسل فيه الثياب .

(٤) اللغى : جمع لغة . (٥) الوغى : الحرب .

(٦) النبز : التعبير . (٧) الترة : من تر جسمه عظم وامتلأ .

(٨) القبول : ريح تهب من الشمال ضد الدبور .

(٩) صاحب بنى ميكال : يريد به ابن دريد وكان يمدحهم ، وهذا البيت فى مقصورته المشهورة .

إى وَرَبِّ تِلْكَ الْبَنِيَّـة [(١)]، بَارِئِ نَسَمِ الْبَرِيَّة، إنه لرجلُ البِـلَاد، رجلُ الحزم والسَّـدَاد، ألم ترجَنَانَه وحَنَانَه، وبَنَانَه وبَيَـانه، عواملَ رَفْعٍ لِهَذِهِ اللُّغَـة، لغة الفُرْقَانِ، لغةِ الأَوْطَانِ، لا بَلْ أَمْضَى مِنَ الْعَوَامِلِ، حتى ظَلَّتْ آدابُهَـا فَرَائِض، وقد كانت — ومَا بِالْعَهْدِ مِنْ قِدَمٍ — نَوَافِل، ومن حَلْيِهَا [(٢)] أَجْيَادُ اللَّهَجَاتِ عَوَاطِل، اللهم إلا بقيةَ ثَمَـد [(٣)]، قد مُنِيت صحفها لا لأَوَد، ففقدت الجَلْد والجَلَد، وبعد أن راجَ سُوقُ الرَّطَانَة، وَنَضَبَ ماءُ الإِبَانَة، وخَبَتْ أَنْوَارُ البَـلَاغَة، وذَوَتْ أَنْوَار [(٤)] النَّبَاغَة، وكَسَدَ الْبَيَانُ، وقُوِّضَ منهُ الْبُنْيَانُ، وأَصْبَحَتِ الْعَرَبِيَّةُ لَقًى [(٥)] مُلْقَاة، وبِضَاعَة مُزْجَاة [(٦)]، فأَيْهَذَا الْيَرَاع: لا أَقَلَّ مِنْ نَفَثَات، فِي صَوْغِ كَلِمَات، تُقَدِّرُ هـذهِ النِّعْمَةَ قَدْرَهَا، وتَمْنَحُهَا شُكْرَهَا، وَيْحَكَ هُبَّ مِن سِنَتِك، وانْضُ حُسَامَك [(٧)]، واشْحَذْ كَهَامَك [(٨)]، وانْثِلْ كِنَانَتَك [(٩)]، وأَعْمِلْ بَنَانَتَك، وصُغْ إن اسْتَطَعْتَ تَهَانِئَ غُرًّا، بل عُقُودًا دُرًّا، بل أَنْجُمًـا زُهْرًا، مُشْتَارًا مِنْ خَلَايَا ذَلِكَ الأَرْيِ [(١٠)] الشَّهِيِّ، النَّدِيِّ الذَّكِيِّ.

(١) البنية: المراد بها هنا الكعبة.

(٢) الحلى: ماتتزين به.

(٣) الثمد بالسكون والتحريك: الماء القليل.

(٤) الأنوار: الأولى جمع نور بالضم، والثانية جمع نور بالفتح: وهو الزهر.

(٥) اللقى: كفتى الشيء المطروح.

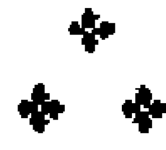
(٦) البضاعة: المزجاة القليلة.

(٧) سل سيفك.

(٨) الكهام: الضعيف العى، يريد قلمك الضعيف.

(٩) نثل الكنانة: استخرج نبلها.

(١٠) الأرى: العسل.



وقد آثرت تلكم النَّهْضَةَ العَرَبِيَّـةَ بتَهْنِئَتِكُمْ أى بَنى جِلْدَتِى ، و إخوانَ حِرْفَتِى . لِكَوْنها — فيما إخَالُ، لا بَلْ فِيمَا أَتيَقَّنُ و يتَيَقَّنُ أُولُو الحِجَـا — أَعْظَمَ النَّهَضَات، وأَيْمَنَ مَا اجْتَازَهُ الوَطَنُ مِنَ العَقَبَات، ولو كَانَ فى نِطَاقِ الإمْكَان ، زِيادةُ البَيَان ، فِي هَـذَا الشَّان ، لأَسْهَبْتُ واوْسَعْت، وأَطْرَبْتُ وأَطْنَبْتُ، ولو لم يكنْ فى تلك النَّهضِة، إلا أَنَّ حَيَاةَ الأُمَّة حَيَـاةُ لُغَتِهَا لحسب، لكفاك وشَفاك وأَغْنَاكَ ، وكَانَ ذلك قُصَارَاكَ وحُمَادَاكَ .

(١٤) حفنى بك ناصف (١)

كتب الى الفاضل السيد توفيق البكرى شيخ مشايخ الطرق الصوفية :

كِتَابى إِلَى السَّـيِّدِ السَّنَدِ وَلَا أُجَشِّمُهُ (٢) الجَوَابَ عَنْهُ ، فَذَلِكَ مَا لَا أَنْتَظِرُهُ مِنْهُ ، وَإِنَّمَـا أَسْأَلُهُ أَنْ يَنْشَطَ إِلَى قِرَاءَتِه، وَيتَنَزَّلَ إلى مُطَالَعَتِه . وَلَهُ الرَّأْىُ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُحَاسِبَ نَفْسَهُ و يُزَكِّيهَا، وَيَحْكُمَ عليهَا أَوْلَهَا .

فَقَدْ تَنْفَعُ الذِّكْرَى إذَا كَانَ هَجْرُهُمْ   دَلَالًا ، فَأَمَّا إِنْ مَلَالًا فَـلَا نَفْعَا

زُرْتُ السَّـيِّدَ، وَيَعْلَمُ اللهُ أَنَّ شَوْقِى إِلَى لِقَائِه، كَحِرْصِى عَلَى بَقَائِه. وَكَلَفِى (٣) بِشُهودِه (٤)، كَشَغَفِى (٥) بِوُجُودِه؛ فَقَدْ بَعُدَ وَاللهِ عَهْدُ التَّلَاق، وَطَالَ أَمَدُ الفِرَاق، وَتَصَرَّم (٦)

(١) تقدّمت ترجمته فى شعره .
(٢) جشمه الأمر : كلفه إياه .
(٣) الكلف بفتحتين : الحب الشديد .
(٤) شهوده : رؤيته .
(٥) الشغف : كالكلف .
(٦) تصرم الزمان : انقضى .

الزمانُ، وأنا من رؤيته في حرمان، فقيل لي: إنه خرج لتشييع (١) زائر، وهو عمّا قليل حاضر. فانتظرتُ رجوعه، وترقبتُ طلوعه. ولم أزل أعدّ اللحظات، وأستطيل الأوقات، حتى بزغت الأنوار، وارتجّ صحن (٢) الدار، وظهر الاستبشار على وجوه الزوّار. وجاء السيد في موكبه، وجلالة محتده ومنصبه. فقمنا لاستقباله، وهينمنا (٣) بكماله. فمر يتعرف وجوه القوم حتى حاذاني، وكبر على عينه أن تراني، فغادرني ومن على يساري، وأخذ في السلام على جاري. وجرّ السلامُ الكلامَ، وتكرّر القعودُ والقيام، وأنا في هذه الحال أوهم جاري، أنّي في داري، وأظهر للناس أنّ شدّة الألفة، تسقط الكلفة، ومرّ السيد بعد ذلك من أمامي ثلاث مرّات، ومن الغريب أنه لم يستدرك ما فات، وأغرب منه أنه استخلص لنفسه من المجلس أربعة، ودعاهم إلى الحجرة فدخلوا معه، فلم يبق إلّا القيام، والإمساك عن الكلام.

تمرّون الديار ولم تعوجوا ‏ ‏ كلامكمو عليّ إذن حرام

وكنت أظن أنّ مكانتي عند السيد لا تنكر، وأنّ عهدي لديه لا يخفر (٤)، فإذا أنا لستُ في العير ولا في النفير (٥)، وغيري عند السيد كثير، وذهاب صاحب أو أكثر عليه يسير.

ومن مدّت العليا إليه يمينها ‏ ‏ فأكبر إنسانٍ لديه صغير

(١) تشييعه: توديعه.

(٢) صحن الدار: ساحتها.

(٣) الهينمة: الصوت الخفي.

(٤) خفر عهده: نقضه.

(٥) يقال: هو لا في العير ولا في النفير أي أنه لا قيمة له ولا يحسب له أي حساب.

وَلَا أَدَّعِي أَنِّي أُوَازِي السَّيِّدَ ـ صَانَهُ اللهُ ـ فِي عُلُوِّ حَسَبِهِ، وَأُدَانِيهِ فِي عِلْمِهِ وَأَدَبِهِ، أَوْ أُقَارِبُهُ فِي مَنَاصِبِهِ وَرُتَبِهِ، أَوْ أُكَاثِرُهُ (١) فِي فِضَّتِهِ وَذَهَبِهِ؛ وَإِنَّمَا أَقُولُ يَنْبَغِي لِلسَّيِّدِ أَنْ يُمَيِّزَ بَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِسَمَاعِ الأَغَانِي وَالأَذْكَارِ، وَشُهُودِ الأَوَانِي عَلَى مَائِدَةِ الإِفْطَارِ، وَبَيْنَ مَنْ يَزُورُهُ لِلسَّلَامِ، وَتَأْيِيدِ جَامِعَةِ الإِسْلَامِ، وَأَنْ يُفَرِّقَ بَيْنَ مَنْ يَتَرَدَّدُ عَلَيْهِ اسْتِخْلَاصًا لِلْخَلَاصِ (٢)، وَمَنْ يَتَرَدَّدُ إِجَابَةً لِدَعْوَةِ الإِخْلَاصِ. وَأَلَّا يَشْتَبِهَ عَلَيْهِ طُلَّابُ الفَوَائِدِ، بِطُلَّابِ العَوَائِدِ (٣)، وَقُنَّاصُ الشَّوَارِدِ (٤)، بِنُقَبَاءِ المَوَائِدِ، وَرُوَّادُ الطُّرَفِ (٥)، بِأَرْبَابِ الحِرَفِ.

فَمَا كُلُّ مَنْ لَاقَيْتَ صَاحِبَ حَاجَةٍ ... وَلَا كُلُّ مَنْ قَابَلْتَ سَائِلُكَ العُرْفَا

فَإِنْ حَسُنَ عِنْدَ السَّيِّدِ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ بَعْضِ الأَجْنَاسِ. فَلَا يَحْسُنُ أَنْ يُغْضِيَ عَنْ جَمِيعِ النَّاسِ.

وَلَا أَرُومُ بِحَمْدِ اللهِ مَنْزِلَةً ... غَيْرِي أَحَقُّ بِهَا مِنِّي إِذَا رَامَا

وَإِنَّمَا أَصُونُ نَفْسِي عَنِ المَهَانَةِ وَالضَّعَةِ، وَلَا أُعَرِّضُهَا لِلضِّيقِ وَفِي الدُّنْيَا سَعَةٌ.

وَأُكْرِمُ نَفْسِي إِنَّنِي إِنْ أَهَنْتُهَا ... وَحَقِّكَ لَمْ تُكْرَمْ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي

فَلَا يُصَعِّرُ (٦) السَّيِّدُ مِنْ خَدِّهِ؛ فَقَدْ رَضِيتُ بِمَا أَلْزَمَنِي مِنْ بُعْدِهِ، وَلَا يَغُضُّ مِنْ (٧) عَيْنِهِ، فَهَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِهِ. وَلْيَتَّخِذْنِي صَاحِبًا مِنْ بَعِيدٍ، وَلَا يُكَلِّمْنِي إِلَى يَوْمِ الوَعِيدِ (٨).

(١) كاثره: فاخره بكثرة المال. (٢) الخلاص: الصافي من الذهب أو الفضة، والغرض من يستخرج منه العطاء. (٣) العوائد جمع عائدة: وهي المنفعة.
(٤) يريد بالشوارد غرائب اللغة ونوادر الأدب. (٥) الطرف بضم الطاء وفتح الراء جمع طرفة بضم الطاء، وهي الجديد الحسن المتخير. (٦) صعر الرجل خده: أماله كبرا وتيها.
(٧) يغض عينه: يغمضها. (٨) يوم الوعيد: يوم القيامة.

كِلَانَا غَنِىٌّ عَن أَخِيهِ حَيَاتَهُ وَنَحْنُ إِذَا مِتْنَا أَشَـدُّ تَغَانِيَا

وَمِنِّى عَلَى السَّيِّدِ السَّلَامُ، عَلَى الدَّوَامِ، وَمُبَارَكٌ إِذَا لَبِسَ جَدِيدًا، وَكُلَّ عَامٍ وَهُوَ بِخَيْرٍ إِذَا اسْتَقْبَلَ عِيـدًا، وَمَرْحَى (١) إِذَا أَصَابَ، وَشَيَّعَتْهُ السَّلَامَةُ إِذَا غَابَ، وَقُدُومًا مُبَارَكًا إِذَا آبَ، وَبِالرِّفَاءِ وَالبَنِينَ (٢) إِذَا أَعْرَسَ (٣)، وَبِالطَّالِعِ المَسْعُودِ إِذَا أَنْجَبَ (٤)، وَرَحِمَهُ اللهُ إِذَا عَطِسَ، وَنَوْمَ العَافِيَـةِ إِذَا نَعِسَ، وَصَحَّ نَوْمُهُ إِذَا اسْتَيْقَظَ وَهَنِيئًا إِذَا شَرِبَ، وَمَا شَاءَ اللهُ كَانَ إِذَا رَكِبَ، وَنَعِمَ صَبَاحُهُ إِذَا انْفَجَرَ الفَجْرُ، وَسَعِدَ مَسَاؤُهُ إِذَا أَذَّنَ العَصْرُ، وَبَخٍ بَخٍ (٥) إِذَا نَثَرَ (٦)، وَلَا فُضَّ فُوهُ (٧) إِذَا شَعَرَ (٨)، وَأَجَادَ وَأَفَادَ إِذَا خَطَبَ، وَأَطْرَبَ وَأَغْرَبَ اذَا كَتَبَ، وَإِذَا حَجَّ البَيْتَ فَحَجًّا مَبْرُورًا، وَإِذَا شَيَّعَ جَنَازَتِى فَسَعْيًا مَشْكُورًا .

وكتب الى الشيخ على الليثى، رحمهما الله، يشكره على هدية عنب :

وَصَـلَ يَا مَوْلَاىَ الَى هـٰـذَا الطَّرَفِ، مَا خَصَصْتَ بِهِ العَبْدَ من الطُّرَفِ (٩)، «قَفَصٌ» من عِنَبٍ كَاللُّؤْلُؤِ فِى الصَّدَفِ، تَتَأَلَّقُ عَنَاقِيدُهُ كَأَنَّهَا مِن صِنَاعَةِ «النَّجَفِ» (١٠) وَلَعَمْرُ الحَقِّ (١١) إِنَّهَا تُحْفَةٌ مِن أَحْلَى التُّحَفِ، لَا يُعْثَرُ عَلَى مِثْلِهَا إِلَّا بِطَرِيقِ «الصُّدَفِ» . فَقَابَلْنَاهُ لَثْمًا بِالأَفْوَاهِ، وَرَشْفًا بِالشِّفَاهِ . وَاحْتَفَيْنَا (١٢) بِقُدُومِهِ كُلَّ الاحْتِفَاءِ، وَلَمْ نُفَرِّطْ

(١) مرحى بفتح الميم وسكون الراء وفتح الحاء . كلمة تقال مدحا لمن يصيب الرمية .

(٢) بالرفاء والبنين : دعوة لمن يتزوج بالالتئام واستيلاد الأولاد .

(٣) أعرس : تزوج . (٤) أنجب : ولد له ولد .

(٥) بخ بخ : كلمة تقال عند استحسان الشيء والاعجاب به . (٦) نثر : أرسل القول منثورا .

(٧) لا فض فوه : لا خلا من أسنانه . دعوة توجه لمن يجيد القول . (٨) شعر : قال الشعر .

(٩) يريد بالطرف : التحف . (١٠) النجف : كلمة مولدة .

(١١) لعمر الحق : قسم بالحق .

(١٢) احتفى به احتفاء : أكرمه وأظهر السرور به .

فى حبه عند اللقاء . بل حللنا له الحبى (١)، وقلنا له أهلا وسهلا ومرحبا . وأوسعناه عضا ولثما، وتناولناه تجميشا (٢) وضما . وحفظنا فى صدورنا سره المكنون، وطويناه فى غضون البطون . فطربت من تعاطيه الأرواح، ولا غرو (٣) فهو أصل الراح (٤) . وانتشينا (٥) ولم نحمل وزرا، ونملنا (٦) ولم نذق طعما مرا . فهو كيان مهديه بسحر ولكنه حلال، ولعب إلا أنه كمال .

* * *

وكان الأحرى بهذا العنب أن يناط (٧) بالنحور، أو تزين به الصدور . فما هو إلا اللؤلؤ ولكنه سلم من سجن البحار، وما هو إلا الدر لكن ليس فيه صغار (٨) .

ومن كنت بحرا له يا علـ ـى لا يلقط الدر إلا كبارا (٩)

وما ضره أن ضمه القفص، (حصة (١٠) من الحصص) . فإن كريم الطير يودع فى الأقفاص، والقلب ليس له من حنايا الضلوع خلاص . فلا بدع أن تستقل فى حباته حبات القلوب، ويستملح فى جنب حلاوته رضاب (١١) المحبوب . وكأن الثريا لما أخذت شكله، فغر (١٢) الهلال فاه لعنقودها يريد أكله، فهو يطاردها فى السماء،

---

(١) يقال فلان ممن تحل له الحبى : أى يقابل بالإجلال والإعظام . والحبى : جمع حبوة وهى ما يجمع به بين الظهر والساق من حبل ونحوه . (٢) جمشه تجميشا : قرصه ولاعبه . .

(٣) لا غرو : لا عجب . (٤) الراح : من أسماء الخمر . (٥) انتشى : سكر .

(٦) نمل : سكر كذلك . (٧) يناط : يعلق . (٨) الصغار بضم الصاد : الصغير .

(٩) الكبار بضم الكاف : الكبير . (١٠) الحصة : النصيب والقسم عند الاقتسام واستعمالها فى الزمن مولد وهو المراد هنا . (١١) الرضاب بضم الراء : الريق .

(١٢) فغر فاه : فتحه .

وَيأخُذُ عليهَا الطَّريقِ مِن الوَرَاء . وَهِىَ تَجْرِى مِن الأَمَامِ ، مَخَافَةَ الالْتِهَامِ . هـذا لمُجرَّدِ تَشَابُهٍ فى الشَّكْلِ فَكَيْفَ بِالثُّرَيَّا ، لَوْ أَشْبَهَتْهُ حَلاوَةً وَرِيًّا (١) . فَلِلَّهِ تِلْكَ العَنَاقِيدُ مَا أَشَدَّ تَأَلُّقَهَا ، وَأَصْفَى مَاءَهَا وَأَحْسَنَ رَوْنَقَهَا . مِنْ كُلِّ عُنْقُودٍ تَخَالُهُ عَمُودَ الصُّبْحِ (٢) أَحَاطَتْ بِهِ الدَّرَارِى ، أَوْ غُصْنَ البَانِ (٣) تَعَلَّقَتْ بِهِ القَمَارِى (٤) .

(١٥) السيد مصطفى لطفى المنفلوطى (٥)

إنقاذٌ من الغرق (من رواية مجدولين) :

وَمَا زِلْنَا كَذَلِكَ حَتَّى بَلَغْنَا شَاطِئَ النَّهـرِ ، فَرَاعَنَا أَنَّا رَأَيْنَا هُنَـالِكَ جَمْعًا عَظِيمًا مِن النَّاسِ يَتَدَفَّعُ فَوْقَ الشَّاطِئِ الآخَرِ تَدَفُّعَ المَوْجِ المُتَرَاكِبِ ، وَيُشِيرُ إِلَى المَـاءِ بِأَصَابِعِهِ وَيُنَادِى : الغَرِيقَ الغَرِيقَ ! وَالنَّجْدَةَ النَّجْدَةَ ! فَالْتَفَتْنَا حَيْثُ أَشَارُوا ، فَإِذَا رَجُلٌ بَيْنَ مُعْتَرَكِ الأَمْوَاجِ يُصَارِعُ المَوْتَ وَالمَوْتُ يَصْرَعُهُ ، وَيُغَالِبُ القَضَاءَ وَالقَضَاءُ يَغْلِبُهُ ، يَطْفُو تَارَةً فَيَمُدُّ يَدَهُ إِلَى النَّاسِ فَلا يَجِدُ يَدًا تَمْتَدُّ إِلَيْهِ ، وَيَرْسُبُ أُخْرَى حَتَّى تَنْبَسِطَ فَوْقَهُ صَفْحَةُ النَّهْرِ ، فَنَحْسَبُهُ مِن الهَالِكِينَ . وَمَا زَالَ يَتَخَبَّطُ وَيَتَشَبَّثُ ، وَيَظْهَرُ ثُمَّ يَخْتَفِى ، وَيَتَحَرَّكُ ثُمَّ يَسْكُنُ ، حَتَّى كَلَّ سَاعِدُهُ ، وَوَهَتْ قُوَّتُهُ ، وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ ، وَاسْتَحَالَ

---

(١) الرىّ بالكسر : الشبع من المـاء .

(٢) عمود الصبح : ضوءه .

(٣) البان : شجر يضرب المثل بأغصانه فى اعتدال القوام .

(٤) القمارى بفتح القاف وكسر الراء : جمع قمرى بضم القاف ، وهو نوع من الحمام حسن الصوت .

(٥) نشأ السـيد المنفلوطى بمنفلوط وتعلم بالأزهر ، واشـتغل محررا بالمؤيد ، ثم اتصل بالمرحوم سعد باشا زغلول ، فألحقه بالمعارف ثم الحقانية . وكان كاتبا رقيق القول محكم النسج ، يجيد تصوير الشعور الحزين . وله شعر قليل . توفى سنة ١٣٤٣ هـ تاركا آثارا قلبية جميلة .

أَدِيمَهُ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَ أَعْيُنِنَا مِنْهُ إِلَّا رَأْسٌ يَضْطَرِبُ، وَيَدٌ تَخْتَلِجُ. فَبَكَى الْبَاكُونَ، وَأَعْوَلَ الْمُعْوِلُونَ، وَنَظَرَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ كَأَنَّمَا يَتَسَاءَلُونَ عَنْ رَجُلٍ رَحِيمٍ، أَوْ شَهْمٍ كَرِيمٍ، وَإِنَّهُمْ لَكَذَلِكَ إِذَا رَجُلٌ عَارٍ يَدْفَعُ الْجَمْعَ بِمَنْكِبَيْهِ، وَيَمُرُّ بَيْنَ النَّاسِ مَرَّ السَّهْمِ إِلَى الرَّمِيَّةِ، حَتَّى انْدَفَعَ إِلَى النَّهْرِ، وَسَبَحَ حَيْثُ هَبَطَ الْغَرِيقُ فَهَبَطَ وَرَاءَهُ. وَمَا هِيَ إِلَّا نَظْرَةٌ وَالْتِفَاتَةٌ أَنْ انْفَرَجَ الْمَاءُ عَنْهُمَا فَإِذَا هُمَا صَاعِدَانِ وَقَدْ أَمْسَكَ الرَّجُلُ بِذِرَاعِ الْغَرِيقِ، فَكَبَّرَ النَّاسُ إِعْجَابًا بِهِمَّةِ الْمُخَلِّصِ، وَفَرَحًا بِنَجَاةِ الْغَرِيقِ، وَلَكِنَّا مَا كِدْنَا نَسْتَفِيقُ مِنْ هَذَا الْمَنْظَرِ الْمُحْزِنِ حَتَّى رَاعَنَا مَنْظَرٌ آخَرُ أَجَلُّ مِنْهُ وَقْعًا وَأَعْظَمُ هَوْلًا، فَقَدْ رَأَيْنَا الْغَرِيقَ كَأَنَّمَا جُنَّ جُنُونُهُ فَظَنَّ أَنَّ مُخَلِّصَهُ يُرِيدُ بِهِ شَرًّا، وَأَنَّهُ مَا أَمْسَكَ بِذِرَاعِهِ إِلَّا وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَهْوِيَ بِهِ إِلَى قَاعِ الْمَاءِ، فَيُعِيدَهُ سِيرَتَهُ الْأُولَى؛ فَأَفْلَتَ مِنْهُ وَضَرَبَهُ بِجُمْعِ يَدِهِ فِي صَدْرِهِ ضَرْبَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَنْشَبَ أَظَافِرَهُ فِي عُنُقِهِ؛ وَلَفَّهُ بِسَاقَيْهِ لَفَّةً خِلْنَا أَنَّ عِظَامَهُ تَئِنُّ لَهَا أَنِينًا، فَاسْتَيْأَسَ الرَّجُلُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ لَا بُدَّ هَالِكٌ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، وَهَتَفَ بِاسْمٍ يُشْبِهُ اسْمَكِ يَا مَجْدُولِينُ. فَلَمْ أَفْهَمْ مَاذَا يُرِيدُ، وَلَا مَنْ هِيَ تِلْكَ الَّتِي يُرِيدُ، ثُمَّ مَا لَبِثْنَا أَنْ هَوَى الْمَاءُ بِهِمَا، وَجَرَى مَجْرَاهُ فَوْقَهُمَا. فَخَفَقَتِ الْقُلُوبُ، وَوَجَفَتِ الصُّدُورُ، وَخَفَتَتِ الْأَصْوَاتُ، وَامْتَدَّتِ الْأَعْنَاقُ، وَتَوَاثَبَتِ الْأَحْشَاءُ، وَتَزَايَلَتِ الْأَعْضَاءُ، وَمَشَى الْيَأْسُ فِي الرَّجَاءِ، مَشْيَ الظِّلَالِ فِي الْأَضْوَاءِ، وَمَرَّتْ عَلَى ذَلِكَ دَقَائِقُ لَا تَضْطَرِبُ فِيهَا مَوْجَةٌ، وَلَا تَهُبُّ نَسْمَةٌ، فَفَزِعْتُ إِلَى أَبِي ذَاهِلَةً حَائِرَةً، وَقُلْتُ: أَيَتَعَذَّبُ الْغَرْقَى كَثِيرًا فِي مُصَارَعَةِ الْمَوْتِ؟ فَبَكَى لِبُكَائِي وَقَالَ: نَعَمْ يَا بُنَيَّةُ! وَلَقَدْ يَبْلُغُ الْأَمْرُ بِأَحَدِهِمْ أَنْ يَدُورَ بِيَدِهِ فِي قَاعِ الْمَاءِ يُفَتِّشُ عَنْ صَخْرَةٍ يَضْرِبُ بِهَا رَأْسَهُ ضَرْبَةً قَاضِيَةً يَسْتَرِيحُ بِهَا مِنَ الْآلَامِ وَالْأَوْجَاعِ. فَرَكَعْتُ

عَلَى كُثْبَانِ الرَّمْلِ، وَرَفَعْتُ إِلَى السَّمَاءِ يَدَى وَقُلْتُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْدَلُ مِنْ أَنْ تُجَازِى بِالإِحْسَانِ سُوءًا، وبِالْخَيْرِ شَرًّا، فَلَقَدْ أَبْلَى هَـذَا الرَّجُلُ فى إِنْقَاذِ هَـذَا الغَرِيقِ بَلَاءً حَسَنًا، وَبَذَلَ فى سَبِيلِ ذَلِكَ مِنْ ذَاتِ نَفْسِهِ مَا ضَنَّ بِهِ النَّاسُ جَمِيعًا، فَامْدُدْ إِلَيْهِ يَدَكَ الْبَيْضَاءَ التى طَالَمَا أَنَرْتَ بِهَا ظُلُمَاتِ الْبَائِسِينَ، وَاكْشِفْ عَنْهُ كُرْبَتَهُ التى يُعَالِجُهَا، إِنَّكَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ .

ثُمَّ اسْتَغْرَقْتُ فِى دُعَائِى فَلَمْ أَعُدْ أَشْعُرُ بِشَىْءٍ مِمَّا حَوْلِى، حَتَّى سَمِعْتُ ضَجَّةً عَلَى الشَّاطِئِ فَاسْتَفَقْتُ فَإِذَا النَّهْرُ يَتَثَاءَبُ عَنِ الرَّجُلِ، وَإِذَا الرَّجُلُ صَاعِدٌ وَحْدَهُ حَتَّى بَلَغَ سَطْحَ الْمَاءِ، فَهَتَفَ بِهِ النَّاسُ أَنِ انْجُ بِنَفْسِكَ فَقَدْ أَبْلَيْتَ، فَأَبَى عَلَيْهِ كَرَمُهُ وَوَفَاؤُهُ أَنْ يَكُونَ قَاسِيًا أَوْ مُنْتَقِمًا . فَغَاصَ مَرَّةً أُخْرَى ؛ وَعَادَ بِالْغَرِيقِ يَحْمِلُهُ عَلَى كَتِفِهِ، وَمَا زَالَ يَسْبَحُ بِهِ حَتَّى بَلَغَ الشَّاطِئَ، فَسَقَطَا جَمِيعًا .

(١٦) سعد زغلول باشا[١]

وجه رحمه الله هذا النداء الى الأمة المصرية عقب عودته الى مصر فى صدر سنة ١٩٢١ :

رحّبت الأمة بعودة نوابها ترحيبا فاق كل ترحيب، وأعجز وصف كل كاتب وخطيب، فقد أتى أفرادها من كل ناحية بدافع من ضمائرهم النيّرة، وباعث من شعورهم الحى، ترتعش أعصابهم حماسة، وتخفق قلوبهم بالوطنية الصادقة للالتفاف حول من اتخذوهم رمز أمانيهم وعنوان مبادئهم . ولقد رأيت آيات الحكمة

(١) يعد سعد زغلول باشا زعيم الخطابة العربية فى عصره . درس فى الأزهر دراسة استقلالية أعدته ليكون كاتبا نابغا ومحاميا بارعا وقانونيا قديرا . كان زعيم النهضة السياسية حتى توفى سنة ١٩٢٧ م .

والكرامة والثبات تتجلى فيما استقبلنا به من مظاهر الفرح الباهر — تلك الصفات التى تضمن للشعوب تقدمها وللأمم سعادتها . وشعرت من قبلات الترحيب التى غمرونا بها بحرارة قلب يخفق فى جسم شعب عظيم . وقد اشترك الأموات والأحياء فى أن يُعلوا على المجموع وكل فرد واجبه نحو الوطن العزيز . وأجمع الكل على مطالبتنا بمواصلة السير فى الطريق الذى سنه الحق القويم . وإن الشرف والكرامة والإخلاص لوطننا المقدس لمما يوجب علينا طاعة هذا الأمر الكريم، والتزامَ هذا الطريق المستقيم .

إننا نشكر البلاد جميعها . قريبها وبعيدها، على حلة الثقة التى زينتنا بها، ونقسم بالوطن وشعائره المقدسة — ويشاركنا فى هذا القسم العظيم أصحابنا المخلصون فى جهادهم — أننا لا ندخر شيئا من وسعنا لتحقيق هذه الثقة الغالية، ولا نتحول لحظة واحدة عن الغرض الذى وضعناه نُصبَ عيوننا حتى نصل اليه .

إننا لم نعد إلا لنقوّى بعزائم مواطنينا الكرام عزائمنا ، ونشد أزْرنا باتحادهم المتين، ونتمتع بمرآهم بعد طول هذه الغيبة، ونتأكد من أن الاشتراك فى المفاوضات الرسمية التى دعتنا الوزارة الجديدة له متفق مع المبادئ التى وضعتها الأمة، وعاهدناها على احترامها ، ومع الخطة التى رسمتها وتعهدنا بمتابعتها . ولا شىء أحب الى قلوبنا من أن نخدم بلادنا بالاتفاق مع كل هيئة مستعدّة لأن تسترشد بإرادة الأمة، وعاملة على تحقيق غايتها السامية .

لم يبق علينا إلا أن يعود كل منا إلى عمله ، ويُقبل على شأنه ، فالتلميذ إلى مدرسته ، والفلاح إلى مزرعته ، والصانع إلى مصنعه ، والتاجر إلى متجره،

والكاتب إلى مكتبه ، والمرأة إلى إدارة بيتها ، وعلى الكل من غنى وفقير أن يباشر عمله ، مراقبا أعمالنا ، واضعا نُصبَ عينيه المقصد الأسمى ، وأن يعتقد أنه يزيد بما يعمل فى كنوز الوطن كنزا و يضم الى قواه قوة .

إلى العمل جميعا . لنرفع منار الوطن ، ونعلى كلمته ، ولتحى مصر ."

(١٧) محمد بك المويلحى (١)

كتب من مصر الى منيف باشا وزير المعارف فى تركيا يعزيه فى ابنته :

الى الوزيرِ الذى تَرْتعِش بنظرة منه عُقَد السياسه ، حتى تَنحلَّ من شدة الارتجاف ، والأمير الذى يَنْتعشُ به سرورًا دَسْت الرِّياسة ، حتى يتيه على الأسْلاف ، والفيلسوفِ الذى تفرَّعتْ عنه أصولِ الحِكَم ، والهمامِ الذى أعيا النجومَ أن تباريَه فى علوِّ الهِمَم . والرفيع الذى سارت عنه أمثالُ المجد المؤثَّل ، وانتشر على السَّمارِ حديثُ فضله المرتَّل :

الى قُطُب الدنيا الذى لو بفضلِهِ   مَدَحتُ. فى الدنيا كفتهم فَضَائلُه

من عبد لدولتِه له الشرفُ الأسْنَى بهذه النِّسبة بعد أبيه ، والفخرُ الأعلى بذلك وأفانينُ التِّيه . دَهَمه خبر المصاب الذى أنْقَضَ ظهرَه ، وأرْفَضَ دهره ؛ على أن الموتَ — أطال الله بقاء المجد بطول بقائك ، وأدام رَوْنَق الفضلِ بدوامك — بابٌ من

(١) هو ابن المرحوم ابراهيم بك المويلحى . أخذ الأدب عن أبيه ، واتصل بكبار أئمة العلم والأدب فى عصره ، وحذق التركية وطائفة من اللغات الأوربية . ويمتاز قلمه بصفاء الديباجة ، ونصاعة اللفظ ، وتلاحم النسج ، ومتانة السجع ، وقد أوتى من البراعة فى فنون الوصف مالا يتعلق فيه بغباره . وله (حديث عيسى بن هشام) وكان قد نشر منجما فى جريدة « مصباح الشرق » التى كان يحررها مع أبيه . توفى سنة ١٩٣٠ م .

أبواب الطبيعة لا مَفَرَّ للانسان من ولوج فيه، وعونٌ من أعوان الحياة لا بد للحي من توافيه . وٱسمُ الحياةِ لا مَعنى له بغير ٱسم الموت، ولفظُ العَيْش متضمِّنٌ للفظ الفَوْت . ولقد قيل لحكيم مثلِكَ : ما سببُ موتِ فلان ؟ قال : كَوْنُه ! فعجيب بعدَ ذلك من ابنِ آدمَ ثُكْلُه وحُزنُه، وإنى أتيقن أن مولاىَ الوزيرَ ماتجاسر أن يلمس أذيالَه رسولُ الحُزن والأَسَى، ولا عارضَ نورَ حكمته عارضٌ من ظلمةِ ذاك الدُّجَى . وما تَسَنَّى لطُفَيلِيِّ الفَزَعِ أن يَتلمَّظَ على مائدة حلمه بعد ٱرتقاء هَضَبَاته . ولا طَمِعَ اشْعَبيُّ الجزع فى استجداءٍ من مَعْدِن وقاره وثباته .

لكنما الفقيدة التى ٱختارت روحَها فداء لبناتِ معاليكَ ومجدك، ورضِيَتْ أن تكون نفسها زكاةً لكنوز فضائلك وسعدك، تستوجب من جهتين، لا من جهة، أنواعَ الأَسَف، وينبغى لها إرسالُ الدمع المتذرِف، وٱحتراق الكبد عليها من طَرَفين لا من طَرَف : الأول أن الوَرْدة قد اقتُطِفَت قبل إِبَّانها، وانتُزِعَت من أَفْنَانها قبل أَوَانها، واقتُنِصت الظَّبْيةُ من حَبَائلِها، قبل استكمال مَخَايِلِها . واختُطِفَت الحمامة من وَكْرِها قبل أن يُطَوَّق جيدُها، ويَنْتَظِمَ نشيدُها، واقتُصِف الغُصن قبل إثماره، وانْمَحَق الهلال قبل إبداره . وحِينَ البدء فى دور من أَدوارِه، وشعاع أمل لَفَّ عليه السحابُ رِدَاءَه، وساعة سرور نَبَذَها حَسَدُ الأيامِ والليالى وراءَه :

إن الفجيعةَ بالرِّياضِ نَوَاضِرًا ... لأَجَلُّ منها بالرِّياضِ ذَوَابِلا

والثانى لأنى لستُ من رأى من يَنْسُب الى النبى أنه قال : « نعم الخَتَن القَبر » ولا من رأى العَرَب حينَ تَبَجَّح بمُصَاهَرَة القبور، وهَضْمِ حقِّ الإِنَاث وتفضيل الذكور . ولا أرانى من مذهب الشيخ المَعَرّى ومَن قبلَه حيث يقول :

وَدَفْنٌ، والحَوَادِثُ فَاجِعَاتٌ، لإحداهُن إحدَى المَكْرُمَات

ولا من جانب الفَرَزْدَق ويُرْوَى عنه :

وأَهْوَنُ مَفْقُودٍ إِذَا المَوتُ نَالَهُ على المَرْءِ من أَصْحابِهِ مَنْ تَقَنَّعَا

ولا ألتَفِتُ لناحية البُحْتُرِىّ ويُنْشَدُ له :

ولَعَمْرِى مَا ٱلعَجْزُ عندِىَ إِلَّا أن تبيتَ ٱلرجالُ تَبْكِى النِّسَاءَ

فَسِيَّان فى حكم الطبيعة مُقَنَّعٌ بِلَامَة الحديد فى الهَيْجَاء، ومُقَنَّعَةٌ بلامة الحرير من النساء . وإنما الفضل بينهما لمن جاء بالعاقِبَة الحُسنَى، ولمن قل ضَرَرُه وأَتَى بالنفع الأَسْنَى، وشَتَّانَ فى حكم الإنسانيــة بين قائد للجيش مُعْــلَم، وعَذْراءَ تطرِّزُ فى ثوبها وتُنَمْنِم . ذاك يشــير بنانُه لتَيْتِيم الأطفال ولتخريب البلاد، وتلك يشير بنانُها لحبّات القلوب بعَقْد الوِدَاد . وفرقٌ عظيم بَين يَدٍ مُخَضَّبة بالدِّماء، وأخرى مخضَّبةٍ بالحِنَّاء . وبين من يحتَضِن الأطفالَ ويُرَبِّيهَا؛ وبين من يُشَتِّتها ويعذِّبها، وبين كف لا حِلْيَةَ لهـا إلا السيوفُ البَوَاتِر، وأُخْرَى إنمـا حِلْيَتُها الخواتم والأَسَاوِر . وكم جلبَت تلك من فَظَائِــعَ مشهورة، وكم لهذه من يدٍ بيضاءَ مشكورة :

وليسَ الخَمْسُ ضاربةً بسيف نظـيرَ الخَمْسِ ضاربةً بدُفِّ
أَبَاغِى حَظِّــه بِقَنًا وخَيْــلٍ كَبَاغِيــه بِمِنْــوَال وحَفِّ (١)

ومولاى أعز الله الفضل بوجوده يعلم حكاية إحدى العَذَارى مع عبد الله بن طاهر إذ ردّت بوقفة منها أمام الجيش غَرْبَ الجيش عن قَصده، وأدخلت سيفَ

(١) الحف بفتح الحاء وتشديد الفاء : المنسج .

القاهر الجبار فى غِمْده، ونَجّت قومها من الخراب ، وأنقذتهم من أليم العــذاب ، حتى قال عبدُ الله قصيدةً فى ذلك ، منها :

نَحنُ قَومٌ تُذيبُنا الأَعينُ النُّجْـ ـلُ على أَنَّنَـا نُذيبُ الحَديدَا
طَوعَ أيدى الغَرامِ تقتادُنَا الغيـ ـدُ ونَقْتَاد بالطِّعان الأُسُودا

والأخرى التى لهـا ما يماثِلُ ذلك مع أحد ملوك الفُرْس وهو يحـارب قومَها فى بلاد يهوداً أثناءَ الزمن الأوّل، إلى غير ذلك من هذه الوقائع .

هذا ما قَوَّى وقع المصيبةِ فينا، وأمدَّ جيوشَ الهموم علينا . أما مولاى الوزير فمما يُبْعِد الأَسَفَ منه ، ويُزيل الكَدَر عنه ، علمُه بضوء حكمتِه، ونور فلسفته، أنه ما فقد تلك الفقيدة، وما صارت عنــه بعيدة ، فهو يستَنشقها فى روائح الأَزهار ، ويراها فى أغصانِ الأَشجار ، ويسمع صوتَها فى صــوت الأَطيار ، وتمرّ عليه فى رِيح الصَّبا من ليالى الرَّبيع ، ويشاهدها فى كل شكلٍ لطيف أو بديع .

أَلهمنا الله عليها جزيل الصَّبر، وألبَس مولاى الوزيرَ ثوبَ الأَجر، إن شاء الله .

وقال فى وصف الصباح (من كتابه حديث عيسى بن هشام) :

جلسنا نَتجاذب أطرافَ الحديث، من قَديم فى الزمان وحَديث، الى أن صارت الليلةُ فى أُخْريَات الشَّباب، واستهانَتْ بالإزار والنِّقاب، ثم دبَّ المَشيبُ فى فَوْدِها، وبانَ أثر الوَضَح فى جِلْدِها، فعَبِثَتْ بالعقودِ والقَلائد، من الجَوَاهِرِ والفَرَائد، ونزعَتْ من صــدرِها كلَّ منثور ومنظوم ، من دُرَر الكواكِب ولآلِئِ النجــوم ، وألْقَت بالفَرْقَدَيْن من أُذنَيْهـا، وخَلَعت خواتيم الثُّرَيَّا من يَدَيْهـا، ثم إنها مَزّقتْ جِلْبَابَهَا ،

وهتكت حجابها، وبرزت للناظرين عجوزًا شمطاء، ترتعد متوكئة على عصا الجوزاء، وتردد آخر أنفاس البقاء، فسترها الفجر بملاءته الزرقاء، ودرجها الصبح فى أرديته البيضاء، ثم قبرها فى جوف الفضاء، وقامت عليها بنات هديل، نائحة بالتسجيع والترتيل، ثم انقلب المأتم فى الحال عرس اجتلاء، وتبدل النحيب بالغناء، لإشراق عروس النهار، وإسفار مليكة البدور والأقمار.

وقال فى وصف الأهرام :

وقفنا هناك موقف الإجلال والإعظام، قبالة ذلك العلم الذى يطاول الروابى والأعلام، والهضبة التى تعلو الهضاب والآكام، والبنية التى تشرف على رضوى وشمام، وتبلى ببقائها جدة الليالى والأيام، وتطوى تحت ظلالها أقوامًا بعد أقوام، وتفنى بدوامها أعمار السنين والأيام، خلقت ثياب الدهر وهى فى ثوبها القشيب، وشابت القرون وأخطأ قرنها وخط المشيب، ما برحت ثابتة تناطح مواقع النجوم، وتسخر بثواقب الشهب والرجوم، وتحدث حديث المشاهدة والعيان، ما تعاقب الفتيان، وتناوب الملوان، عن قدرة هذا الإنسان، فى بدائع الصنع والإتقان، وتنبئ عن قوة هذا الضعيف الضئيل، فى إقامة مثل هذا الأثر الجليل، وكيف لهذا الفانى البائد، أن يصدر عنه مثل هذا الباقى الخالد — وجل صنع القدير الخالق، فى تصوير هذا الحيوان الناطق، حيث جعله مصدرا للأعمال المتناقضة، والأفعال المتغايرة المتعارضة، فبينا تراه يصعد الى أجرام السماء وعوالمها، ويبحث بفكره فى رسومها ومعالمها، ويسير بعلمه فى أنحائها ومناكبها، ويهتدى لحساب أقمارها وكواكبها،

اذ تراه يعثُر عَثْرَةً برجلِه ، فيكون فيها منتهى أجلِه ، أو يكبو فى طريقه ، فيغَصّ بريقه ، ذاك الذى كبُر وصغُر ، وعظم وحقُر ، وعز وذلّ ، وكثر وقلّ ، وصعد وهبَط ، وعلا وسَقَط ، وصلح وفسد ، وعرف وجُحِد ، وسَعِد وشَقِى ، وفَنِى وبَقِى ؛ وسبحان القاهر فوق عباده .

ثانيا ـ النثر العلمى

(١) الشيخ عبد الرحمن الجبرتى (١)

قال فى كتابه عجائب الآثار فى التراجم والأخبار عند الكلام على الحملة الفرنسية سنة ثلاث عشرة ومائتين وألف :

وهى أولُ سِنى المَلاحِم العظيمة ، والحَوادِث الجَسيمة ، والوَقائِع النّازِلة ، والنوازل الهائلة ، وتَضاعُف الشرور ، وترادف الأمور ، وتوالى المحن ، وآختلال الزمن ، وانعكاس المَطْبوع ، وآنقلاب الموضوع ، وتتابع الأهوال ، وآختلاف الأحوال ، وفساد التدبير ، وحصول التدمير ، وعموم الخراب ، وتواتر الأسباب : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾ (٢) .

فى يوم الأحد العاشر من شهر محرّم الحرام من هذه السنة وردت مكاتبات على يد السُّعاة من ثغر الاسكندرية ، ومضمونها أن فى يوم الخميس ثامنه حضر إلى

(١) هو مؤرخ مصرى ولد بمصر وتعلم فى الأزهر ، ونسبته الى جبرت وهى الزيلع فى بلاد الحبشة . عينه نابليون حين احتلاله مصر كاتبا فى الديوان . وكان مفتى الحنفية فى عهد محمد على باشا . وأشهر مؤلفاته التاريخ المعروف باسمه ، قيد فيه حوادث مصر من سنة ١١٠٠ ه الى سنة ١٢٣٦ ه . وقد مات سنة ١٢٤٠ ه . بعد أن كف بصره من كثرة البكاء على ابن له قد قتل .

(٢) وردت الآية الكريمة فى الأصل « مهلك القرى » فأصلحناها .

الثغرَ عدةُ مراكب من مراكب الانجليز، ووقفت على البعد بحيث يراها أهل الثغر، وبعد قليل حضر خمسة عشر مركبا أيضا فانتظر أهل الثغر ما يريدون ، واذا بقايق صغير واصل من عندهم وفيه عشرة أنفار، فوصلوا البر واجتمعوا بكبار البلد، والرئيس إذ ذاك فيها والمشار اليه بالإبرام والنقض، السيد محمد كريم الآتى ذكره ، فكلموهم واستخبروهم عن غرضهم فاخبروا أنهم إنكليز، حضروا للتفتيش على الفرنسيس لأنهم خرجوا بعمارة عظيمة، يريدون جهة من الجهات، ولا ندرى أين قصدهم ، فربما دهموكم، فلا تقدرون على دفعهم ولا تمكنوا[1] من منعهم، فلم يقبل السيد محمد كريم منهم هذا القول، وظن أنها مكيدة، وجاوبوهم بكلام خشن ! فقالت رُسُل الانكليز، نحن نقف بمراكبنا فى البحر، محافظين على الثغر، لانحتاج منكم إلا الإمداد بالماء والزاد بثمنه ، فلم يجيبوهم لذلك ، وقالوا هـذه بلاد السلطان ، وليس للفرنسيس ولا غيرهم عليها سبيل، فاذهبوا عنا، فعندها عادت رسل الانكليز، وأقلعوا فى البحر، ليمتاروا من غير الاسكندرية ، وليقضى الله أمرا كان مفعولا ، ثم إن أهـل الثغر أرسلوا الى كاشف البحيرة ليجمع العربان، ويأتى معهم للمحافظة بالثغر — فلما قرئت هذه المكاتبات بمصر حصل بها اللغط الكثير من الناس، وتحدثوا بذلك فيما بينهم، وكثرت المقالات والأراجيف .

(٢) للشيخ حسين المرصفي[2] فى التخلق ببعض الأخلاق

غير خاف أن التخلّق بالكبر والخُيلاء والعُجب والتعاظم على الناس بما أفضل الله به على الإنسان : من علم وجاه ومال أمرٌ غيرُ حَسَن؛ لما جُبلت عليه النفوس

(١) هكذا فى الأصل والصواب ولا تتمكنون .

(٢) هو الشيخ حسين بن أحمد المرصفى تلقى العلم فى الأزهر، ثم درس فيه وفى دار العلوم . وهو يعدّ بحق من أوائل أولئك الأفذاذ الأعلام الذين ردّوا على اللغة فى العصر الحديث ما كان لها من البهاء فى العصر القديم . وقد توفى سنة ١٣٠٧ هـ وتجد أسلوبه يشبه أسلوب مقدّمة ابن خلدون فى السهولة والترتيب المنطقى .

من الإباء والنُّفْرة عَمّن يتعاظم عليها . فما أكثر ما بُدِّل حسن الوُد والتآلف بأشنع العداوة والتنافر، لكنْ لذلك موضعٌ يكون فيه حسَنا . وبيانه : أن من المشاهَد كون النوع الإنسانى محتاجا فى حسن تَعَيُّشه وتحصيل أغراضه إلى أُلفة ومودّة، واتصاف بأن يحب المرء لأخيه ما يُحب لنفسه ، فاذا خرج بعض الناس عن الجمعيّة ، وسَعَى فى الأرض بالفساد ، وجب على الناس تأديبُه بما يُعيده إلى الصّلاح . وربما كان التكبُّر والزَّهْوُ عليه أنكَى له ، وأَرْجَى لمثاب فكره ، وانحيازه إلى حَيِّز الاستقامة، كما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى فارسا من أصحابه يمشى بين الصفّين مختالا ، يميلُ يمينا وشِمالا ، فقال : « هذه مِشيةٌ يكرهها الله تعالى إلا فى هذا الموضِع » ، فقد علمنا أن للتكبُّر موضعا يكون فيه حسَنا .

(٣) للشيخ محمد عبده[(١)] من رسالة التوحيد

القرآن :

جاءنا الخبر المتواتر الذى لا تتطرَّق إليه الريبةُ أن النبى صلى الله عليه وسلم كان فى نشأته وأمّيته على الحال التى ذكرنا ، وتواترت أخبار الأمم كافة على أنه جاء بكتاب قال : إنه أُنزِل عليه ، وأن ذلك الكتاب هو القرآن المكتوبُ فى المصاحف، المحفوظُ فى صدورِ مَن عُنِيَ بحفظه من المسلمين إلى اليوم .

---

(١) ولد الشيخ العالم الأديب محمد عبده فى محلة نصر من احدى قرى مديرية البحيرة، ودرس بالأزهر العلوم العقلية والأدبية والدينية ، واتصل بجمال الدين الأفغانى، وكان أكثر الناس انتفاعا به . ثم نفى عقيب الثورة العرابية ، ولكنه عاد الى مصر وتولى التدريس والقضاء فى المحاكم الأهلية ثم الافتاء مجتهدا محققا . وقد توفى سنة ١٣٢٣ هـ بعد أن ترك آثارا ثمينة وطبقة من أنبه الطبقات المصرية .

كتاب حوى من أخبار الأمم المـاضية مافيه مُعتبَر للأجيال الحاضرة والمستقبلة؛ نقّب على الصحيح منها ، وغادر الأباطيل التى ألحقتها الأوهام بها ، ونبه على وجوه العِبْرة فيها . حكَى عن الأنبياء ما شاء الله أن يقصّ علينا من سِيَرهم ، وما كان بينهم وبين أممهم ، وبرّأهم ممـا رماهم به أهل دينهم المعتقدون برسالاتهم . آخذَ العلماءَ من الملل المختلفـة على ما أفسدوا من عقائدهم وما خلطوا فى أحكامهم ، وما حرّفوا بالتأويل فى كتبهم . وشرع للنـاس أحكاما تنطبق على مصالحهم ، وظهرت الفائدة فى العمل بها والمحافظة عليها ، وقام بها العدل ، وانتظم بها شمل الجماعة ما كانت عند حدّ ما قرّره[1] ، ثم عظمت المضرة فى إهمالهـا والانحراف عنها أو البعد بها عن الروح الذى أودعته ، ففاقت بذلك جميع الشرائع الوضعيّة كما يتبين للناظر فى شرائع الأمم . ثم جاء بعد ذلك بحِكَم ومواعظ وآداب تخشع لها القلوب ، وتهَشّ لاستقبالها العقول ، وتنصرف وراءها الهمم ، آنصرافها فى السبيل الأَقْوَم .

نزل القرآن فى عصر آتفق الرواة وتواترت آلأخبار على أنه أرقى الأعصار عنـد العرب وأغزرها مادة فى الفصاحة ، وأنه المتـاز بين جميع ما تقـدّمه بوفرة رجال البلاغة ، وفُرسان الخطابة ، وأنفس ما كانت العرب تتنافس فيـه من ثمـار العقل ونتائج الفِطَن والذكاء هو الغلَب فى القول ، والسبق الى إصابة مكان الوجدان من القلوب ، ومقر الإذعان من العقول ، وتفانيهم فى المفاخرة بذلك ممـا لا يحتاج الى الإطالة فى بيانه .

---

(١) يريد : ما دامت قائمة على حدوده ، عاملة بأحكامه .

تواتر الخبر كذلك بما كان منهم من الحرص على معارضة النبي صلى الله عليه وسلم، والتماسهم الوسائل قريبها وبعيدها لإبطال دعواه، وتكذيبه فى الإخبار عن الله، وإتيانهم فى ذلك على مبلغ آستطاعتهم، وكان فيهم الملوك الذين تحملهم عزة الملك على معاندته، والأمراء الذين يدعوهم السلطان الى مناوأته، والخطباء والشعراء والكتّاب الذين يشمخون بأنوفهم عن متابعته . وقد اشتدّ جميع أولئك فى مقاومته، وانهالوا بقواهم عليه استكبارا عن الخضوع، وتمسكا بما كانوا عليه من أديان آبائهم وحميّة لعقائدهم وعقائد أسلافهم . وهو مع ذلك يُخَطِّئُ آراءهم، ويسفّه أحلامهم، ويحتقر أصنامهم، ويدعوهم الى ما لم تعهده أيامهم، ولم تخفق لمثله أعلامهم، ولا حجة له بين يدى ذلك كله إلا تحديهم بالإتيان بمثل أقصر سورة من ذلك الكتاب أو بعشر سُوَر من مثله . وكان فى آستطاعتهم أن يجمعوا إليه من العلماء والفصحاء والبلغاء ما شاءوا ليأتوا بشىء من مثل ما أتى به ليُبطلوا الحجة ويُفحموا صاحب الدعوة .

جاءنا الخبر المتواتر أنه مع طول زمن التحدّى، ولجاج القوم فى التعدّى، أصيبوا بالعجز، ورجعوا بالخيبة وحقت للكتاب العزيز الكلمة العليا على كل كلام .

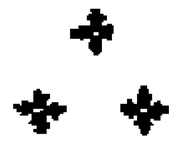
(٤) ولقاسم أمين بك[١] من كتاب تحرير المرأة

إن طبيعة العصر الذى نحن فيه منافرةٌ للآستبداد، معاديةٌ للآستعباد، ميالة الى سَوْق القُوَى الإنسانية فى طريق واحد وغاية واحدة؛ فهذا الطائف الرحمانى الذى طاف على نفوس البشر، فنبّه منها ما كان غافلا لا بدّ أن ينال منه النساءُ نصيبهن .

---

(١) ينتمى الى أصل كردى، ولكنه ولد بمصر وتعلم فيها، ودرس الحقوق، وترقى فى مناصب القضاء الى استشارة الاستئناف . وهو صاحب فكرة إصلاح شأن المرأة المسلمة، عالج ذلك فى كتابيه تحرير المرأة والمرأة الجديدة، وأسلوبه قوى واضح . توفى سنة ١٣٢٦ هـ .

فمن الواجب علينا أن نمُدّ اليهنّ يد المساعدة، ونعمل بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم «اتقوا الله فى الضعيفين : المرأة والیتیم» ولا شىء أدخَلُ فى باب التقوى من تهذيب العقل وتكميل النفس وإعدادها بالتعليم والتربية الى مدافعة الرذائل ومقاومة الشهوات، ولا من حسن المعاملة واللطف فى المعاشرة . فعلينا أن نجعل الصلة بيننا وبينهن صلَةَ محبة ورحمة لا صلَة إكراه وقسوة . هــذا ما تفرضه علينا الإنسانية، وتطالبنا به الشريعة ، وهو مع ذلك فريضــة وطنية يجب علينا أداؤها حتى تكون جميع أعضاء المجتمع عندنا حية عاملة قائمة بوظائفها .



المرأة الفلاحة تعرف كلَّ ما يعرفه الرجل الفلاح، مداركهما فى مُستوًى واحد لا يزيد أحدهما عن الآخر، مع أننا نرى أن المرأة فى الطبقة العُليا أو الوسطى متأخرةٌ عن الرجل بمسافات شاسعة؛ ذلك لأن الرجال فى هــذه الطبقات تربّت عقــولهم واستنارت بالعــلوم، ولم تتبعهم نساؤهم فى هــذه الحركة؛ بل وقفن فى الطريق . وهذا الاختلاف هو أكبر سبب فى شقاء الرجل والمرأة معا .

فالرجل المتعلم يُحب النظام والتنسيق فى منزله ، وله ذوق مهذَّب يميل الى الأشكال اللطيفة ، والإحساسات الدقيقة ، والالتفاتات الرقيقة ، ويبلغ الاهتمام بها عند بعض الأفراد حدا ينتهى الى إهمال الأمور المادّية . يفهم بكلمة، ويودّ لو يفهم بالإشارة، يسكت فى أوقاتٍ ويتكلم فى أخرى، ويضحك فى غيرها . له أفكار يحبها ومذهب يشغَله وجمعية يخدُمها، ووطن يعزه . له لذائذ وآلام معنوية؛ فيبكى مع الفقير، ويحزن مع المظلوم، ويفرح بالخير للناس . وفى كل فكرة تتولد فى ذهنه، وإحساس يؤثر على أعصابه،

يودّ أن يجد بجانبه انسانا آخر فيشرح له مايشعر به ويتسامر معه؛ وهذا ميل طبيعى يجده كل شخص من نفسه . فاذا كانت امرأته جاهلة كتم أفراحه وأحزانه عنهـا ، ولم يلبث أن يرى نفسه فى عالم وحده، وامرأته فى عالم آخر؛ إذ هى تعتبر أن الرجل ما خُلق فى هذه الدنيا إلا ليشترى لها الأقمشة الغالية والجواهر النفيسة ، وليصرف أوقاته فى ملاطفتها كأنه صورة أكبر من الصور التى يشتريها لها والدها فى صغرها لتلهوَ بها .

ومتى رأى الرجلُ امرأته بهذه المنزلة من الجهل بادر الى نفسـه باحتقارها ، واعتبرها من الأعدام التى لا أثر لها فى شئونه . وهى متى رأته أهمل وأغضى ضاق صدرها، وظنت أنه يظلمها، وبكت سوءَ حظها الذى ساقها الى رجل لا يقدرها قدرها ،ونبتت البغضاء فى قلبها . ومن ثم تبتدئ عيشة لا أظن أن الجحيمَ أشدُّ نكالًا منها؛عيشة يرى كل منهما فيها أن صاحبه هو العَدو الذى يحول بينه و بين السعادة .

(٥) فتحى زغلول باشا (١)

من مقدمته لكتاب سر تقدم الإنجليز السكسونيين :

مِن الحَقائِقِ أَنَّ الأُمَّةَ لَا تَنْهَضُ من رقْدَتِهَا ، وَلَا تَهُبُّ مِن سُبَاتِها ، إلا اذا تَخَلَّصت من قُيُودِهَا ، وفَارَقَتْهَا الأَمْرَاضُ الَّتِى تنهكُ قُوَاهَا وَتَحُطُّ من عَزِيمَتِهَا . وَلَا يَتَيَسَّرُ لِلأُمَّةِ أَنْ تَتَخَلَّصَ مِن آلَامِها،وَتَبْرأَ من أَمْرَاضِهَا إِلَّا إِذَا عَرَفَتْ أَسْبَابَهَا ، وَأَحَاطَتْ

(١) ولد فى ابيانة وتعلم فى مدارس مصر ثم درس الحقوق فى فرانسا وعاد الى مصر فتقلب فى مناصب القضاء الى أن كان وكيل نظارة الحقانية .

وكان فقيها محققا ومترجما بارعا وخطيبا مفوها . شرح القانون المدنى وألف كتاب المحاماة وترجم سر تقدم الانجليز وسر تطور الأمم وروح الاجتماع ، وله أثر كبير فى أكثر ما وضع من القوانين المصرية فى أيامه . مات سنة ١٩١٤ م .

بموجبات الضعف فيها . فأول واجب على من يطلب مصلحة أمتــه أن يبين لهـا مواضع الضعف الملم بها حتى إذا تم تشخيص الداء، سهلت معرفة الدواء . وليس من ينكر أننا متأخرون عن أمم الغرب، وأننا أمامها ضعاف، ولا نستطيع مغالبتها، ولا يسعنا أن نفوز ببغيتنا ما دمنا ودامت هــذه الحال . نحن ضعاف فى كل شىء تقوم به حياة الأمم، متأخرون فى كل شىء عليه مدار السعادة، ضعاف فى الزراعة وهى الأس المتين الذى تقوم به حياة الأمم والشعوب .

ضعاف فى الصناعة ، لأننــا أهملناها وجهلنا طرائقها ، فأصبحنا وليس منا إلا الفعلة والحمالون ومنفذو إرادة الأجنبى . نشقى ليسعد، ونموت ليحيا . هــذه المعامل الفسيحة، والمصانــع العظيمة التى أقيمت بين بيوتنا : كلها للأجنبى . وإذا زرتها وجدتها تنقسم إلى أقسام مختلفة بحسب طبيعة العمل المطلوب ، وفى كل قسم رئيس من الإفرنج . والكل بعد ذلك مصريون . هذه المبانى الشاهقة، والقصور الشامخة، شيدت كلها بيد المصريين؛ لكنهم كانوا فى تشييدها من الأجراء، يعملون بمشيئة الأجنبى ولفائدة الأجنبى .

أدخل بيت عظيم من عظمائنا ، أو بيت شيخ من علمائنا ، أو بيت راهب من رهباننا ، أو بيت حقير من أجرائنا ، ثم أعدد ما فيــه من أنواع الأثاث والأمتعة ، وانظر إلى بنائه وما تركب منه ، ووزع كل شىء على صانعه ، وابحث عن يد المصرى فيه ، لا تجدها إلا فى قطع الأحجار ورصها . وما بقى كله من آنيــة طعام ، وموائد وأخشاب ، وأطالس وحرائر ، وبسط وحديد ، ومقاعد ومصابيح ، وأكواب ومفاتيح ، وألوان وملابس ومطابخ ، وكل شىء من صنع الأجنبى .

(٦) جرجى بك زيدان[1]

كتب فى الجزء الرابع من تاريخ آداب اللغة العربية :

"الأسلوب العصرى الإنشائى"

إن كلامنا عن الشعر فيما تقدّم ينطبق على الإنشاء ؛ لأنهما من باب واحد ؛ فكان تأثير هذه النهضة عليهما على شكلٍ واحد . ولعل هذا التأثير ظهر فى الإنشاء أكثر من ظهوره فى الشعر، نعنى أن الكتّاب أخذوا يعوّلون فيما يكتبونه على المعانى أكثر مما فعل الشعراء ، وكان الإنشاء فى أواخر العصر العثمانى قد أصبح المعوّل فيه على الألفاظ بين سجع واستعارة وتورية وجناس، بحيث يتعذر عليك الوصول الى المعنى؛ لما يتلبد حوله من الصور المبهمة . فلما أتتنا هذه المدنية بعلومها الطبيعية والرياضية المبنية على المشاهدة والاختبار ؛ وتعوّد الناس تقدير الوقت بتقريب المسافات ،وأخذت الحرية فى الشيوع ،أصبح الأدباء ينفرون من استعمال مالا حقيقة له ، ويستنكفون من إضاعة الوقت فى السجع البارد، أو تكرار الألقاب والنعوت لمجرد التفخيم، وهان عليهم العدول الى الحقيقة بحيث يكون همّ الكاتب موجّها بالأكثر الى المعنى المراد إيضاحه . فأخذت هذه الروح تسرى بين الكتّاب من أواسط هذا العصر؛ لكنهم لم يتفقوا على أسلوب واحد يتّخذونه، فهم مجمعون على

(١) ولد فى بيروت ، واجتهد حتى أجاد العربية والانجليزية واللاتينية وأصاب حظا من الطب ، ثم غلبت عليه الكتابات الأدبية والتاريخية واللغوية . وقام وحده بعمل شاق فى ذلك حتى أنشأ الهلال وألف تاريخ آداب اللغة ومختصره وكتبا تاريخية واجتماعية وعدة روايات كذلك . وأسلوبه من النوع السهل الذى يقصد الى أداء المعنى . توفى سنة ١٩١٤ م .

أن الطريقة المدرسية المشوّشة كما وصلت إلينا، لا تنفع لغموضها وطولها، فتركوها واختلفوا فى الأسلوب الذى يعوّلون عليــه فيما يلائم روح هذا العصر، فرجعوا الى تحدّى أساليب القدماء، فبعضهم تحدّى أسلوب صَـدر الإسلام، وآخرون قلدوا أساليب صدر الدولة العباسية ولا سيما أسلوب ابن المقفَّع، وهو الغالب على ألسنتهم لسهولته ومتانته، على أن بعضهم يتوخى أسلوب ابن خلدون فى مقدّمته، وآخرون يقلدون الجاحظ أو غيره .

ذلك شأن الكتّاب المنشئين الذين يهمهم تميق العبارة، ولا سيـما فى المواضيع الخَطابيــة التى تحتاج الى تقريع أو تهـديد أو إرهاب أو ترغيب، أما فى المواضيع العمومية، فقــد نشأ فى الإنشاء أسلوب عصرىّ بسيط لا يرى أصحابه حاجة إلى تميق العبارة والتأنق فى التركيب، وانما يجعلون همهم إيضاح المعنى وإيصاله الى ذهن القارئ بسهولة، وفيهم من يبالغ فى اهمال الصناعة اللفظية، ولو أخل بالإعراب، واستعمل العامى من الألفاظ . وهذا غلوّ يفسد اللغة ويضيعها . فيجب مع توخّى السهولة فى الإنشاء المحافظة على قواعد اللغة وروابطها .

(٧) الشيخ محمد بك الخضرى (١)

ممـا كتبه عن الدولة العباسية فى كتابه تاريخ الأمم الإسلامية :

قامت الدولةُ العباسيةُ وليس لهـا عصَبِيّةٌ عُنْصُرِية تَشُد أَزرَها وتحمى بَيْضَتها، وإنما عصبيتُها هؤلاء الموالى المصطَنَعُون، وعصبيةُ الولاء أو الحِلف قد تقوم مَقامَ

(١) درس الأستـاذ الشيخ محمد بك الخضرى فى الأزهر ودار العـلوم، وتولى التدريس فى عدّة مدارس أهمها القضاء الشرعى والجامعة الأهلية . وكان الأستاذ معنيا بأصول الدين ومسائله وكذلك التاريخ الإسلامى الذى أسندت اليه دراسته بالجامعة، وله عدّة مؤلفات تاريخية وشرعية . توفى سنة ١٩٢٧ م .

عصبية القَرابة لولا ما يُكدِّرها من مَيل هؤلاء الموالى الى آستِرجاع ما كان لآبائهم من المجد الذى يتوارثون ذِكره، وقد وجد من هؤلاء الموالى فى بدء الدولة جماعة لهم قدم ثابتة فى الفارسية وفى الإسلام جعلهم العباسيون فى مقدمة من يعتمدون عليه . لم يترك العباسيون فى مبدإ أمرهم عصبيةَ العربِ ولم يُهملوا شأنها ؛ بل آستعانوا بها لتكونَ لهم مَلجأً إذا رأوا من الموالى نُكوبًا عن جَادّة نُصرتهم، وميلًا الى الآستئثار بالسلطانِ دونَهم، فاصطنَعوا كثيرا من رجال العربِ وحُماتهم من ربيعةَ واليمنِ ومُضرَ، إلَّا أنهم لم يلتفِتوا إلى إزالةِ ما بين هذه القبائلِ من أسباب العداء والنُّفرة ؛ بل بِالعكسِ وُجد منهم ما يدل على الميلِ إلى إنماء هذه الحميَّة ليستعينوا بفريق على الآخر.

لذلك كلِّه يمكننا أن نقول : إنه لم يكن للدولة العباسية فى بدء حياتها عصبيةٌ قوميةٌ متحدةُ الأوصالِ وثيقةُ العُرا ، وإنما كان الاسلامُ هو الذى يجمع بين تلك القُوى، والدينُ وان كان جامعا قويا لكنه إن لم يكن مُدَعَّمًا بعصبيةٍ قوميةٍ متحدة يَضعفُ عملُه . وآعتبر هذا بما قدّمناه لكَ عن رسولِ الله صلى الله عليه وسلم، فقد كان مما اعتبره أساسا لقوّته ومنبعا لحياته إماتَةُ العصبية الجُزئية ، وسدُّ الباب دونَ ذكرها والتلفظ بها .

* * *

تم طبع هذا الكتاب بالمطبعة الأميرية ببولاق
فى يوم ٢٧ من جماد آخر سنة ١٣٥٥
(١٤ من سبتمبر سنة ١٩٣٦) م
مدير المطبعة الأميرية
محمد أمين بهجت

المطبعة الأميرية ٤٤٢٣-١٩٣٦-٥٧٥٠٠